

جو نيسبو

JO NESBØ

مكتبة 521

القطيع

The LEOPARD (panserhjerter)

رواية

في هذه الإضافة الجديدة المذهلة إلى السلسلة المشهورة عالمياً للكاتب جو نيسبو، يتوجب على هاري هول مواجهة أسوأ الوحوش في مدينته - ومواجهة نفسه أيضاً.

الفهد

The LEOPARD (Panserhjerter)

t.me/t_pdf

521 | مكتبة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يتضمن هذا الكتاب ترجمة النص الإنكليزي لرواية

The LEOPARD

عن الأصل النرويجي: Panserhjerte الصادر عن دار: H. Aschehoug & Co.
حقوق الترجمة العربية مرخص بها قانونياً من الناشر
بمقتضى الاتفاق الخطي الموقع بينه وبين الدار العربية للعلوم ناشرون، ش.م.ل.
This Translation has been published with financial support of NORLA.

Originally Published in Norway as Panserhjerte

Copyright © by Jo Nesbo 2009

Published by agreement with Aschehoug & Co., Norway

All rights reserved

Arabic Copyright © 2014 by Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

الطبعة الأولى

2014 م - 1435 هـ

ردمك 978-614-01-1205-6

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L



عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم

هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (1-961+)

ص.ب: 13-5574 شوران - بيروت 1102-2050 - لبنان

فاكس: 786230 (1-961+) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb

الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

تصميم الغلاف: سامح خلف

التنضيد وفرز الألوان: أوجد غرافيكس، بيروت - هاتف 785107 (1-961+)

الطباعة: مطابع الدار العربية للعلوم، بيروت - هاتف 786233 (1-961+)

٢٩ ١٠ ٢٠١٩

مكتبة
t.me/t_pdf

الفهد

The LEOPARD (Panserhjerte)

رواية

جو نيسبو
JO NESBØ

ترجمة
جولي صليبا

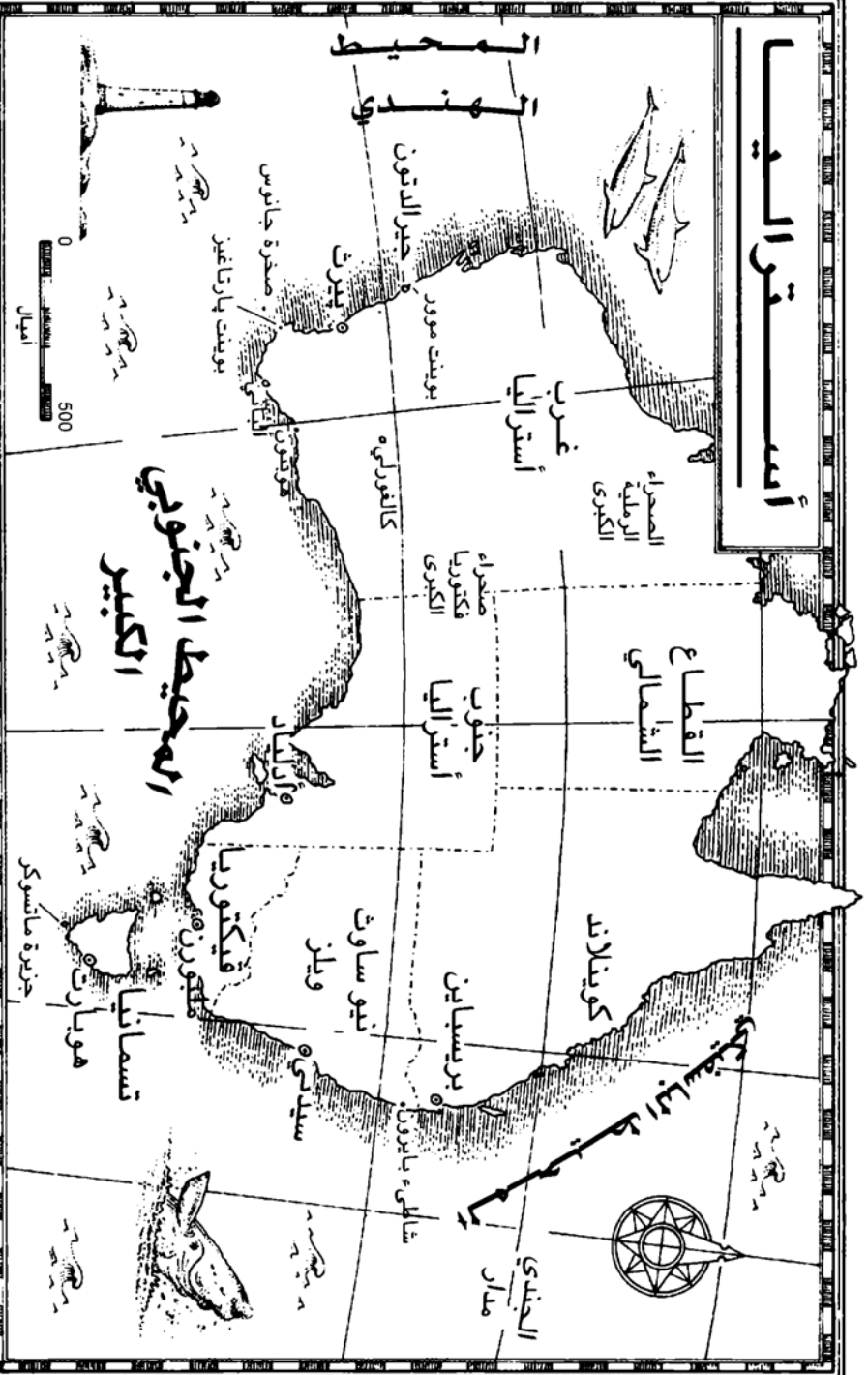
مكتبة | 521

مراجعة
مركز التعريب والبرمجة



الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

أستراليا الغربية



البحر المحيط الجنوبي الكبير

القسم الأول

استيقظت، فتحت عينيها في العتمة الحالكة وأغمضتهما بسرعة. ثاءبت، وتنفست عبر أنفها. فتحت عينيها مجدداً وأغمضتهما بسرعة. أحست بدمعة تسيل على وجهها، وشعرت بها تُذيب ملح الدموع الأخرى. إلا أن اللعاب لم يعد يدخل إلى حنجرتها؛ أصبح فمها جافاً وقاسياً. انتفخت وجنتاها قسراً إلى الخارج نتيجة الضغط من الداخل. ذلك الجسم الغريب في فمها بدا وكأنه سيفجر رأسها. لكن، ما هو؟ ما هو؟ أول شيء فكرت فيه عندما استيقظت هو أنها تريد العودة؛ العودة إلى الأعماق الحالكة والدافئة التي غلفتها. فالحقنة التي أعطاه إياها لم يختفِ مفعولها بعد، لكنها عرفت أن الألم في طريقه إليها، إذ شعرت به يزحف في الخفقان البطيء والكليل لنبضها، ودفق الدم المتقلب في دماغها. أين هو؟ هل يقف وراءها؟ حبست أنفاسها وأصغت. لم تستطع سماع أي شيء، لكنها أحست بوجود شيء ما. مثل الفهد. قال لها أحدهم إن الفهود تصدر القليل من الضجة، فتسلل مباشرة خلف طريدتها في العتمة. تستطيع الفهود تنظيم تنفسها حيث يتناغم مع تنفسك. كما تستطيع حبس نفسها عندما تحبس نفسك. إنها واثقة من إحساسها بحرارة جسمه. ماذا ينتظر؟ زفرت الهواء مجدداً. وفي تلك اللحظة، كانت واثقة من أنها أحست بنفسه على عنقها. التفتت بسرعة، لكنها اصطدمت بالهواء. توقعت على نفسها؛ محاولة جعل نفسها صغيرة، للاختفاء. ولكن عبثاً.

كم مضى من الوقت على فقدانها وغيابها؟

انتهى مفعول المخدر. استمرّ الإحساس فقط لجزء من الثانية، لكنه كان كافياً لمنحها الإنذار؛ الوعد. الوعد بما سيأتي لاحقاً.

الجسم الغريب الموضوع على الطاولة أمامها كان بحجم طابة البيليار، وكان مصنوعاً من معدن لامع مع ثقوب صغيرة وأشكال ورموز. من إحدى الفتحات تتأ سلك أحمر معدني له طرف معقوف، جعلها تفكر فوراً في الشجرة التي ينبغي تزيينها في منزل أهلها في 23 ديسمبر؛ أي بعد سبعة أيام. كرات لامة، وقلوب، وشموع،

وأعلام نرويجية. بعد ثمانية أيام، سينشدون الأغنية التقليدية، وسترى العيون المتلاثلة لأولاد إخوتها وبناتهم وهم يفتحون هداياهم. فكّرت في كل الأمور التي كان يجدر بها فعلها بطريقة أخرى، وكل الأيام التي كان يجدر بها عيشها حتى الصميم، وتفادي التهرب من الواقع، والتي كان يجدر بها ملؤها بالسعادة والأمل والحب. كما فكّرت في الأماكن التي بالكاد سافرت إليها، والأماكن التي كانت تنوي زيارتها، والرجال الذين التقتهم، والرجال الذين لم تلتقهم بعد، والجنين الذي تخلصت منه عندما كانت في السابعة عشرة، والأطفال الذين لم تنجبهم بعد؛ والأيام التي بددتها من أجل الأيام التي ظنت أنها ستناها.

ثم توقفت عن التفكير في أي شيء باستثناء السكين الذي تم التلويح به أمامها، والصوت الرقيق الذي طلب منها وضع الكرة في فمها. لقد فعلت ذلك، طبعاً فعلته. كان قلبها يخفق بقوة كبيرة عندما فتحت فمها أوسع ما يمكن، ودفعت الكرة داخله، فيما بقي السلك المعدني متديلاً نحو الخارج. كان طعم المعدن مرأً ومالحاً؛ مثل الدموع. ثم تم إرجاع رأسها إلى الخلف، وأحرق الفولاذ بشرتها، فيما جرى وضع السكين على حنجرتها. كان السقف والغرفة مضامين بمصباح عادي متكئ على الجدار في إحدى الزوايا؛ إسمنت رمادي عارٍ. وبالإضافة إلى المصباح، احتوت الغرفة على طاولة بلاستيكية بيضاء، وكرسيين، وقنيتين فارغتين وشخصين؛ هو وهي. شمّت رائحة قفاز جلدي، فيما شدّت إصبع بعنف على العقدة الحمراء المتدلّية من فمها. وفي اللحظة التالية، بدا لها أن رأسها انفجر.

لقد تمددت الكرة وشقّت طريقها بالقوة داخل فمها. ورغم أنها فتحت فكيها على وسعها، بقي الضغط ثابتاً. تأملها بتعبير مركز ومتأنٍ؛ مثل طيبب الأسنان الذي يتأكد من أن مشبك تقويم الأسنان مثبت كما يجب. وكشفت ابتسامة صغيرة عن رضاه. تحسّست بلسانها الكرة في فمها، وأدركت وجود حواف مضلعة حول الفتحات، وهذا ما كان يضغط على حنكها، على اللحم الطري للسانها، على أسنانها، على لهاة حلقها. حاولت قول شيء ما. استمع بصبر إلى الأصوات غير الواضحة الصادرة من فمها، ثم أوماً برأسه حين صمتت، وسحب إبرة. القطرة التي سالت من طرف الإبرة تلالأت تحت ضوء المصباح. همس في أذنها: "لا تلمسي السلك".

ثم حقنها في عنقها، فغابت عن الوعي خلال ثوانٍ قليلة.

أصغت إلى صوت تنفسها المذعور، فيما فتحت عينها بسرعة في العتمة ثم أغمضتهما.

عليها فعل شيء ما.

وضعت راحتي يديها على مقعد الكرسي الذي كان رطباً ودبقاً نتيجة تعرقها، ورفعت نفسها إلى الأعلى. لم يوقفها أحد.

تقدمت بخطوات صغيرة جداً حتى ارتطمت بجدار، ثم تلمّست طريقها على سطح ناعم وبارد؛ باب معدني. أمسكت بالمقبض المستدير وأدارته، غير أنه لم يتزحج. إنه مقفل. طبعاً هو مقفل. بماذا كانت تفكر؟ هل كان ما سمعته ضحكاً، أم إن الصوت صادر من داخل رأسها؟ أين هو؟ لماذا يلعب معها هكذا؟

افعلي شيئاً، فكري. لكن لكي تفكري، عليها أولاً التخلص من هذه الكرة المعدنية قبل أن يدفعها الألم إلى الجنون. وضعت الإصبعين الأولى والثانية في زاويتي فمها، وتحسست الفتحات فيها. عبثاً حاولت إدخال إصبعيها تحت واحدة منها. أصيبت بنوبة سعال ونوبة دعر عندما عجزت عن التنفس، وأدركت أن الحواف المضلعة أدت إلى تورم اللحم حول قصبته الهوائية، وأنها ستعرض قريباً لخطر الاختناق. ركلت الباب المعدني وحاولت الصراخ، لكن الكرة خنقت صوتها، فاستسلمت مجدداً. اتكأت على الحائط وأصغت. ما هذه الخطوات الحذرة التي تستطيع سماعها؟ هل يتحرك حول الغرفة؟ هل يلعب معها لعبة الغميضة؟ أم إنه دمها الذي يخفق بقوة في أذنيها؟ شحذت عزميتها لمواجهة الألم، وأجبرت فكها على الإطباق على بعضهما. بالكاد هبطت الفتحات إلى الأسفل قبل أن تتأ وتجر فمها على أن يفتح مجدداً. بدت الكرة وكأنها تنبض الآن؛ كما لو أنها أصبحت قلباً معدنياً؛ جزءاً منها. افعلي شيئاً. فكري.

نوابض. الضلوع محتملة بالنوابض.

نتأت هذه النوابض إلى الأعلى عندما سحب السلك المعدني.

لقد قال: "لا تلمسي السلك المعدني".

لماذا؟ ماذا سيحصل إن فعلت ذلك؟

انزلت على الحائط نزولاً إلى الأسفل إلى أن جلست، وتصاعدت رطوبة باردة من الأرض الإسمنتية إلى جسدها. أرادت الصراخ مجدداً، لكنها لم تستطع. هدوء. صمت.

فكرت في كل الأشياء التي كان يجدر بها قولها للذين تحبهم، بدلاً من الكلمات التي تفوّتت بها لملء الصمت مع أولئك الذين تشعر باللامبالاة تجاههم. لا مجال للهرب أبداً. لم يعد هناك سوى هي وذلك الألم الذي لا يصدق،

ورأسها الذي يكاد ينفجر.

"لا تلمسي السلك".

إذا سحبتة، فقد تنكمش الضلوع في الكرة، وتعفى حينها من الألم.

تسارعت أفكارها؛ كم مضى على وجودها هنا؟ هل مضت ساعتان؟ ثماني ساعات؟ أم عشرون دقيقة؟

إذا كان كل ما عليها فعله هو سحب السلك، فلماذا لم تفعل ذلك بعد؟ أيسبب التحذير الذي أطلقه مريض نفسي؟ أم لأن هذا جزء من اللعبة؟ هل علقت في شبك مقاومة إغراء وقف هذا الألم غير الضروري البتة؟ أم إن اللعبة تتمحور حول تحدي التحذير وسحب السلك، وبالتالي... وبالتالي حصول شيء مريع؟ ماذا سيحصل؟ ما هي هذه الكرة؟

نعم، إنها لعبة؛ لعبة وحشية. وعليها اللعب. كان الألم لا يحتمل، وبدأت حنجرتها تتورم، وسوف تختنق سريعاً.

حاولت الصراخ مجدداً، لكن الصراخ تحول إلى بكاء، وطرقت عينها مراراً وتكراراً، ولكن من دون ذرف أي دموع إضافية.

عثرت أصابعها على الجبل المتدلي من شفيتها، فسحبتة بحذر إلى أن أصبح مشدوداً.

لا شك في أن هناك الكثير من الأمور التي ندمت على عدم فعلها. لكن لو وضعتها الحياة في أي مكان آخر غير هذا المكان، في الوقت الحاضر، لكانت قد اختارت ذلك. أرادت العيش فقط، أي نوع من الحياة؛ بهذه البساطة. شدت السلك أكثر.

نتأت الإبر من الحواف المضلعة، وبلغ طولها سبعة سنتيمترات. اخترقت أربع إبر وجنتيها من الجانبين، واخرقت ثلاث منها جيوبها الأنفية، فيما انغرزت اثنتان في مجرى التنفس، وخرجت اثنتان أخريان من الذقن. ثقت إبرتان قصبته الهوائية، وواحدة عينها اليمنى، وأخرى عينها اليسرى. ثمة إبر عدة دخلت الجزء الخلفي من حلقها، ووصلت إلى الدماغ. لكن، لم يكن هذا هو السبب المباشر لموتها. فبما أن الكرة المعدنية سدّت فمها، عجزت عن بصق الدم المتدفق من الجروح إلى فمها. وهكذا، نزل الدم إلى قصبته الهوائية ورثيها، ولم يسمح للأوكسيجين بالوصول إلى دورتها الدموية، مما أفضى بدوره إلى سكتة قلبية، وما أسماه الطبيب الشرعي في تقريره نقصاً في وصول الأوكسيجين إلى الدماغ. بتعبير آخر، غرقت بورغني ستي - ميه في دمها.

العنمة المشرقة

18 ديسمبر

النهارات قصيرة، ولا يزال هناك ضوء في الخارج. لكن هنا في حجرتي، ثمة ظلام سرمدي. في الضوء المنبعث من مصباحي، يبدو الناس في الصور المعلقة على الحائط سعداء كثيراً، وواثقين بأنفسهم جداً، ومفعمين بالأمال؛ كما لو أنهم يسلّمون جدلاً بأن الحياة كلها أمامهم، مع وقت هادئ ومسالم لا يعكّر صفوه شيء. أخذت قصاصات من الجريدة، وقصصت كل الروايات المحزنة عن العائلة المصدومة، وحذفت التفاصيل المرعبة حول العثور على الجثة. أجبرت نفسي على الاكتفاء بالصورة التي أعطاها قريب أو صديق لصحافي مثابر، صورة لها في حفلة تخرجها، وهي تبتسم كما لو أنها لن تموت أبداً.

الشرطة لا تعرف الكثير، ليس بعد. لكنها ستعمل قريباً على معرفة المزيد من الأمور.

من هو؟ وأين هو؟ وأي شيء يجعل الإنسان مجرمًا؟ هل الأمر فطري؟ أو إنه في الجينات، أو صفة موروثية يملكها البعض ولا يملكها البعض الآخر؟ أو هل ينجم ذلك عن حاجة تنشأ نتيجة المواجهة مع العالم؛ مثل استراتيجية بقاء، أو مرض إنقاذ الحياة، أو جنون عقلائي؟ ومثلما يعتبر المرض قذفاً محمومًا للجسم، فإن الجنون انطواء أساسي؛ إلى مكان حيث يستطيع المرء تحصين ذاته من جديد.

بالنسبة إليّ، أعتقد أن القدرة على القتل أساسية لأي شخص سليم. فوجودنا صراع على الكسب، ومن لا يستطيع قتل جاره لا يحق له بالعيش. وفي النهاية، القتل مجرد تسريع للمحتوم؛ فالموت لا يستثنى أحداً، وهذا جيد لأن الحياة مصدر للألم والمعاناة. في هذا السياق، تعتبر كل جريمة قتل بمثابة عمل خير. لا يبدو الأمر هكذا عندما تدفئ الشمس بشرتك، أو يببل الماء شفيتك وتدرّك شهوتك الحمقاء، ورغبتك في عيش الحياة في كل خفقة قلب، وتكون مستعداً لشراء فتات الوقت بكل

ما كسبته في الحياة: الكرامة والمنزلة والمبادئ. هنا، يتوجب عليك الغوص عميقاً لإفساح المجال واسعاً أمام الضوء المربك والمبهر في العتمة المشرقة الباردة، ولرؤية النواة الجوهرية؛ الحقيقة. هذا ما توجب عليّ إيجاده، وهذا ما وجدته؛ الشيء الذي يجعل الإنسان مجرماً.

ماذا عن الحياة؟ هل أعتقد أيضاً أنها وقت هادئ لا يعكّر صفوه شيء؟ على الإطلاق. سأستلقي قريباً أنا أيضاً على سرير الموت، مع كل اللاعبيين الآخرين في هذه الدراما الصغيرة. لكن، مهما كانت مرحلة التلف التي قد يبلغها جسمي، وحتى لو كان الهيكل العظمي كل ما بقي منه، فسترتسم الابتسامة على شفتي. هذا ما أعيش من أجله الآن؛ حقي في الوجود، وفرصتي لأتطهر من كل العار. لكنها مجرد البداية. سأطفئ الآن المصباح وأخرج إلى ضوء النهار؛ القليل الذي بقي منه.

انضم إلى مكتبة .. اضغط اللينك t.me/t_pdf

هونغ كونغ

لم يتوقف هطول المطر اليوم. في الواقع، لم يتوقف على الإطلاق؛ فقد كان الطقس معتدلاً ورطباً أسبوعاً تلو الآخر. الأرض مشبعة بالماء، الطرقات السريعة الأوروبية غارقة، والطيور المهاجرة لم تهجر، وثمة تقارير عن حشرات لم يسبق أن شوهدت في المناخات الشمالية. "الروزنامة" تشير إلى أنه فصل الشتاء، لكن الأراضي العشبية في أوصلو ليست فقط خالية من الثلج، وإنما لم تتحول حتى إلى اللون البني. إنها خضراء ومغرية تماماً؛ مثل العشب الاصطناعي في سوغن حيث لجأ محبو اللياقة البدنية اليائسون إلى الركض في بذلات بيورن دايفلي الضيقة وهم ينتظرون عبثاً أن تسمح لهم الأحوال الجوية بالتزلج على الثلج حول بحيرة سوغنسفان. ليلة رأس السنة، كان الضباب كثيفاً جداً، حيث إن أصوات المفرقات انتقلت من وسط أوصلو مباشرة إلى ضاحية أسكر، ولكن لم يكن بالإمكان رؤية أي شيء؛ حتى لو وضعت تلك المفرقات في الفناء الخلفي لمنزلك. لكن في تلك الليلة، أشعل النرويجيون مفرقات نارية بمعدل ست مئة كرونر في المنزل الواحد، حسب استطلاع للمستهلكين، وهذا ما يكشف أيضاً أن عدد النرويجيين الذين حققوا حلمهم بكريسمس أبيض على شواطئ تايلندا البيضاء تضاعف خلال ثلاثة أعوام فقط. لكن، في جنوب شرق آسيا أيضاً، بدا وكأن الطقس قد فقد صوابه؛ إذ إن رموزاً مخيفة يمكن رؤيتها فقط عادة على جداول الطقس في موسم الأعاصير الاستوائية باتت ظاهرة الآن فوق بحر الصين. في هونغ كونغ - حيث يكون شهر فبراير واحداً من أكثر الأشهر جفافاً في السنة - كان المطر ينهمر بشدة، وعنت الرؤية السيئة أنه يتوجب على رحلة الخطوط الجوية "كاثاي باسيفيك"، ذات الرقم 731 الآتية من لندن، الدوران مرة جديدة قبل الهبوط في مطار تشيك لاب كوك.

"يفترض أن تكوني سعيدة لأننا غير مضطربين للهبوط في المطار القديم." قال راكب صيني المظهر جلس قرب كاجا سولنس التي كانت تضغط على ذراعي الكرسي بشدة؛ لدرجة أن براجم أصابعها أصبحت بيضاء اللون. "كان في وسط المدينة. وكنا

سنرتطم مباشرة بواحدة من ناطحات السحاب".

كانت تلك هي الكلمات الأولى التي نطق بها الرجل منذ إقلاع الطائرة قبل اثنتي عشرة ساعة. اغتنمت كاجا الفرصة للتركيز على شيء آخر، غير أنهم عالقون مؤقتاً في شرك الاضطرابات الجوية.

"شكراً لك سيدي. هذا مطمئن. هل أنت إنكليزي؟".

تراجع إلى الخلف كما لو أن أحداً ما صفعه على وجهه، فأدركت أنها أهانته في الصميم حين توقعت أنه ينتمي إلى المستعمرين السابقين: "عفواً... هل أنت صيني ربما؟".

هز رأسه بحزم. "صيني من هونغ كونغ. وأنت أنستي؟".

تساءلت كاجا سولنس هنيهة إذا كان يجدر بها الإجابة بأنها نروجية من هوكسندو، لكنها اكتفت بالقول إنها "نروجية"؛ مما حير الرجل الصيني من هونغ كونغ لبرهة، ثم أطلق صيحة انتصار "آها" قبل أن يصححها إلى "اسكنديناوية"، ثم يسألها عما جاء بها إلى هونغ كونغ.

أجابت: "للعثور على رجل". وهي تحدق في الغيوم الزرقاء-الرمادية على أمل أن تكشف اليايسة عن نفسها قريباً.

كرر الرجل الصيني من هونغ كونغ: "آها. أنت جميلة جداً أنستي. ولا تصدقي كل ما تسمعيه عن أن الصينيين يتزوجون فقط من صينيين آخرين".

كشفت عن ابتسامة متعبة وسألته: "هل تقصد صيني هونغ كونغ؟".

أوماً برأسه بحماسة، وهو يرفع يده الخالية من أي محبس. "تحديداً صيني هونغ كونغ. أنا أعمل في مجال الرقاقات المجهرية، وتملك عائلتي مصانع في الصين وكوريا الجنوبية. ماذا ستفعلين الليلة؟".

تثاءبت كاجا: "أمل أن أنام".

"ماذا عن ليلة الغد؟".

"أتمنى أن أكون قد عثرت عليه حينها، وسأكون في طريق عودتي إلى المنزل".

قَطَبَ الرجل وجهه. "هل أنت مستعجلة جداً أنستي؟".

رفضت كاجا عرض الرجل بإيصالها، وركبت في حافلة ثنائية الطبقة، للوصول إلى وسط المدينة. بعد ساعة واحدة، كانت تقف وحدها في رواق في فندق إمباير كويلون، وتأخذ نفساً عميقاً. وضعت المفتاح-البطاقة في المكان المخصص له في

باب الغرفة التي حُجزت لها، ولم يبق عليها الآن إلا فتحها. أجبرت يدها على الضغط على المقبض. ثم فتحت الباب بقوة وحدقت داخل الغرفة.
لا أحد هنا.
طبعاً لا يوجد أحد.

دخلت، وجرت حقيبتها إلى جانب السرير، ووقفت قرب النافذة ونظرت إلى الخارج. أولاً، إلى حشد الأشخاص في الشارع تحت سبعة عشر طابقاً، ومن ثم إلى ناطحات السحاب التي لا تشبه أبداً مثيلاتها الرشيقة أو الفخمة في مناهاتن أو كوالا لامبور أو طوكيو. بدت مثل كثبان النمل الأبيض؛ مرعبة ومذهلة في الوقت نفسه، مثل شهادة غريبة على قدرة البشرية على التكيف حين يضطر سبعة ملايين مواطن إلى إيجاد مكان لهم في مساحة لا تتعدى مئة كيلومتر مربع. شعرت كاجا بالإرهاق يسيطر عليها، فخلعت حذاءها واستلقت على السرير. رغم أن الغرفة مزدوجة، والفندق يحمل أربع نجوم، فإن السرير البالغ عرضه 120 سنتيمتراً احتل كل مساحة أرضية الغرفة. ولفتها أنه بين كل هذه الكثبان المتشابهة، عليها العثور على شخص واحد تحديداً؛ رجل لا يرغب أبداً في أن يتم العثور عليه، مثلما توحى كل الأدلة.

للحظة أو لحظتين، حاولت موازنة الخيارات: إغماض عينيها أو الشروع في العمل. ثم سيطرت على نفسها ووقفت على قدميها. خلعت ملابسها ودخلت للاستحمام. بعد ذلك، وقفت أمام المرآة، وأكدت من دون أي غرور أن رجل هونغ كونغ الصيني كان محقاً: إنها جميلة. ليس هذا رأيها، وإنما هو أقرب ما يكون إلى الحقيقة؛ بقدر الجمال نفسه. الوجه ذو وجنتين عاليتين، وحاجبين سوداوين بارزين ومرسومين بوضوح، فوق عينين كبيرتين وطفوليتين مع قزحيتين خضراوين تسطعان. الشعر بني عسلي، والشفتان الممتلئتان تبدوان وكأنهما تقبلان بعضهما في فم عريض نوعاً ما. أما العنق الطويل فحيل، والجسم نحيل أيضاً، والبشرة مثالية، وإنما شاحبة. كما أن منحني وركيها الرقيق، وساقها الطويلتين هي التي أفتعت شركتين لعرض الأزياء في أوصلو بالمجيء إلى مدرستها في هوكسوند، فقط لقبول رفضها مع هزة رأس حزينة. وأكثر ما أفرحها كان قول أحدهم لها وهو يغادر: "حسناً، لكن تذكري عزيزتي. لست جمالاً مثالياً؛ فأسنانك صغيرة ومستدقة. لذا، لا يجدر بك الابتسام كثيراً".

بعد ذلك، ابتسمت بمرح أكبر.

ارتدت كاجا سروالاً كاكي اللون، وسترة رقيقة مقاومة للماء، ونزلت بخفة وصمت إلى مكتب الاستقبال.

سألها موظف الاستقبال، وقد عجز عن كبح رفته حاجبه: "تشانغكينغ مانشون؟". ثم أشار إليها بإصبعه: "جادة كمبرلي، صعوداً إلى جادة ناان، ومن ثم إلى اليسار". كل الفنادق الموجودة في دول منتمية إلى عضوية الانتربول ملزمة قانونياً بتسجيل أسماء النزلاء الأجانب. لكن، عندما اتصلت كاجا بسكرتيرة السفير النروجي للتحقق من مكان إقامة الرجل الذي تبحث عنه، شرحت لها السكرتيرة أن تشانغكينغ مانشون ليست فندقاً ولا قصرًا - بمعنى مكان مترف للعيش - وإنما مجموعة من المتاجر، ومطاعم الوجبات السريعة، والمطاعم، وربما أكثر من مئة فندق مصنّف وغير مصنّف؛ فيها كل شيء من غرفتين إلى عشرين غرفة منتشرة على أربعة مبانٍ كبيرة شاهقة. ويمكن تصنيف الغرف المخصصة للإيجار بأي شيء، بدءاً من البسيط والنظيف والحميم، إلى بيوت الجرذان، وزنانات السجن ذات النجمة الواحدة. والأهم من كل شيء: في تشانغكينغ مانشون، يستطيع رجل له متطلبات متواضعة في الحياة أن ينام، ويأكل، ويعيش، ويعمل، ويتجول من دون أن يغادر المجمع.

عثرت كاجا على مدخل تشانغكينغ في جادة ناان، وهو شارع تسوق مكتظ بالبضاعة جيدة النوعية، والمتاجر ذات الواجهات المرتبة ونوافذ العرض الطويلة. دخلت، فوجدت المكان مليئاً بأدخنة الطهو المتصاعدة من مداخن مطاعم الوجبات السريعة، وطققة الإسكافيين، وصوت الأذان الذي تردده مكبرات الصوت والذي يدعو المسلمين إلى الصلاة، والمظاهر المنهكة في متاجر الملابس المستعملة. وجهت ابتسامة سريعة إلى رجل محتار يضع على ظهره حقيبة، ويحمل دليل "كوكب موحش" في يده، فيما برزت ساقاه البيضاء والمتجمدتان من "شورت" مطيع بنقوش مموهة. نظر حارس يرتدي بذلة رسمية إلى الورقة التي أرته إياه كاجا، وقال لها "المصعد ج" وأشار إلى رواق.

الرتل الواقف أمام المصعد كان طويلاً جداً، حيث لم تنجح في الدخول إلا بعد المحاولة الثالثة. انحسروا في قفص حديدي مرتج وغير ثابت جعل كاجا تفكر في العجر الذين يدفنون أمواتهم عمودياً.

صاحب الفندق رجل مسلم يضع على رأسه عمامة، أراها فوراً - وبحماسة كبيرة - غرفة على شكل صندوق صغير، حيث وجدوا بأعجوبة مكاناً لجهاز تلفاز مثبت على الجدار عند قاعدة السرير، ومكيف هواء كثير الضجة مثبت فوق رأس السرير. إلا أن حماسة صاحب الفندق اختفت عندما قاطعت خطابه التسويقي لتعرض عليه صورة رجل، ولفظت اسمه مثلما هو مكتوب في جواز سفره، وسألته عن مكانه الآن.

عند رؤيتها ردة فعله، أبلغته بسرعة أنها زوجته. لقد شرحت لها سكرتيرة السفارة أن التلويح ببطاقة العمل الرسمية في تشانغكينغ سيفضي حتماً إلى عكس النتائج المرجوة. وعندما أضافت كاجا - للمزيد من الطمأنة - أنها والرجل الذي في الصورة قد أنجبا خمسة أولاد، تبدل موقف صاحب الفندق بشكل جذري. فشاب غربي ملحد أنجب هذا العدد الكبير من الأولاد يستحق حتماً احترامه. أطلق تنهيدة كبيرة، وهزّ رأسه، ثم قال بلغة إنكليزية حزينة: "مؤسف، مؤسف، سيدتي. فقد جاءوا وأخذوا جواز سفره".

"من فعل ذلك؟"

"من؟ منظمة الترياد، سيدتي. إنها دوماً منظمة الترياد"

بطبيعة الحال، كانت تعرف تماماً هذه المنظمة، لكنها كانت تظن أن المافيا الصينية تنتمي أساساً إلى عالم الرسوم المتحركة وأفلام الكونغ فو. "اجلسي سيدتي". أحضر لها كرسيّاً بسرعة، فانهارت عليه. "جاءوا باحثين عنه، لكنه كان في الخارج، فأخذوا جواز سفره". "جواز سفره! لماذا؟".

تردد.

"أرجوك، عليّ أن أعرف".

"يراهن زوجك على الأحصنة. يؤسفني قول ذلك".

"الأحصنة!".

"هابي فالي. حلبة السباق. هذا مخز".

"هل يدين بالمال لمنظمة الترياد؟".

أوماً برأسه، وهزّ رأسه مرات عدة لتوكيد هذه الحقيقة والتأسف عليها.

"وهل أخذوا جواز سفره؟".

"عليه أن يسدّد الدين إذا أراد مغادرة هونغ كونغ".

"لكنه يستطيع الحصول على جواز سفر جديد من السفارة التروجية".

تمايل صاحب العمامة من جهة إلى أخرى. "أوه، يمكنك الحصول على جواز سفر مزور هنا في تشانغكينغ مقابل ثمانين دولاراً أميركياً فقط. لكن، ليست هذه هي المشكلة. فالمشكلة أن هونغ كونغ جزيرة، سيدتي. كيف وصلت إلى هنا؟".

"بالطائرة".

"وكيف ستغادرين؟".

"بالطائرة".

"يوجد مطار واحد. جوازات سفر. كل الأسماء على الكمبيوتر. العديد من نقاط التفتيش. هناك الكثير من الأشخاص في المطار الذين يقبضون المال من الترياد للتعرف إلى الوجوه. هل فهمت؟".

أومأت برأسها ببطء. "يصعب الهروب".

هزّ صاحب الفندق رأسه وقهقهه عالياً. "لا، سيدتي. يستحيل الهروب. لكن، يمكنك الاختباء في هونغ كونغ. فبوجود سبعة ملايين شخص سهل التخفي".

بدأت قلة النوم تؤثر في كاجا، وأغمضت عينها. لا بد أن صاحب الفندق قد أساء فهم ما حصل معها لأنه وضع يداً مواسية على كتفها وتمتم: "هناك، هناك".

تمايل ثم انحنى إلى الأمام وهمس: "أعتقد أنه لا يزال هنا، سيدتي".

"نعم، أعرف ذلك".

"لا، أقصد هنا في تشانغكينغ. أنا أراه".

رفعت رأسها.

قال لها: "أراه مرتين. في لي يوان. فهو يأكل الطعام هناك. الأرز رخيص. لا تخبري أحداً أنني قلت ذلك. زوجك رجل طيب، وإنما واقع في المشاكل". وبرم عينيه إلى أقصى مدى. "الكثير من المشاكل".

يتألف مطعم لي يوان من رف لعرض المأكولات، وأربع طاولات بلاستيكية، ورجل صيني وجّه إليها ابتسامة تشجيعية بعد مضي ست ساعات، استهلكت خلالها حصتين من الأرز المقلي، وثلاثة فناجين قهوة، ولتيرين من الماء. استيقظت مذهولة ورفعت رأسها عن الطاولة المتسخة بالدهون ونظرت إليه.

ضحك قائلاً: "متعبة؟". وكشف عن صف غير مكتمل من الأسنان الأمامية.

تأثبت كاجا، وطلبت فنجانها الرابع من القهوة وتابعت الانتظار. جاء رجلان صينيان وجلسا أمام رف عرض المأكولات من دون التحدث أو طلب أي شيء. لم يوجها إليها حتى نظرة سريعة؛ مما بعث الارتياح في نفسها. كان جسمها متصلباً جداً نتيجة الجلوس في الطائرة؛ حيث سيطر عليها الألم مهما كانت وضعية الجلوس التي اعتمدتها. برمت رأسها من جانب إلى آخر؛ محاولة تحفيز الدورة الدموية، ومن ثم إلى الخلف. طقطق عنقها. حدّقت في أنابيب النيون ذات اللون الأبيض المزرّق في السقف قبل أن تخفض رأسها. وحدقت مباشرة في وجه شاحب وباحث. لقد توقف

أمام الستائر الفولاذية المغلقة في الرواق، ومسح بعينيه مطعم لي يوان الصغير جداً. وقع نظره على الرجلين الصينيين عند رف عرض المأكولات، ثم أسرع مغادراً. وقفت كاجا على قدميها، لكن إحدى ساقيها كانت خدرة فانهارت بفعل ثقل جسمها. أمسكت بحقيبتها وعرجت وراء الرجل بأسرع ما يمكنها.

"عودي قريباً". سمعت لي يوان يصرخ لها.

بدا نحيلاً جداً. في الصور الفوتوغرافية، كشف عن جسم طويل وعريض البنية، وفي البرنامج التلفزيوني جعل الكرسي الذي جلس عليه يبدو وكأنه مصنوع للأقزام. لكن لم يساورها أدنى شك بأنه هو: الجمجمة المحلوقة والمنبجعة، الأنف النائي، العينان مع شبكة الأوعية الدموية، والقزحيتان الزرقاوان الشاحبتان اللتان اختفى لمعانهما نتيجة احتساء الشراب، والذقن الحازم مع الفم الرقيق، والجميل تقريباً.

وصلت إلى جادة ناثنان. تحت وهج أضواء النيون، لمحت سترة جلدية أعلى من بقية الحشود. لا يبدو أنه يمشي بسرعة، لكن توجب عليها الإسراع في مشيتها للحاق به. استدار من شارع التسوق المزدهم، فجعلت المسافة بينهما تزداد عندما وصلا إلى الشوارع الأضيق والأقل ازدحاماً. لمحت لافتة كتب عليها "ميلدن روو". كان الذهاب والتعريف عن نفسها والانتهاء من كل المسألة أمراً مغريباً؛ لكنها قررت الالتزام بالخطة: معرفة أين يعيش. توقف هطول المطر، وانسحبت فجأة سحابة ضخمة، فأصبحت السماء عالية وسوداء مخملية، مع نجوم صغيرة متألثة.

بعد المشي لمدة عشرين دقيقة، توقف فجأة عند زاوية، وخشيت كاجا أن يكون قد اكتشف أمرها. إلا أنه لم يستدر، وإنما أخرج شيئاً من جيب سترته. حدقت بذهول. رضاعة طفل؟

اختفى خلف المنعطف.

لحقت به كاجا، ووصلت إلى ساحة كبيرة مفتوحة مكتظة بالناس، معظمهم من الشباب. وفي نهاية الساحة، فوق أبواب زجاجية عريضة، سطعت لافتة كتب عليها بالإنكليزية والصينية. تعرفت كاجا أسماء بعض الأفلام الجديدة التي لن تراها أبداً. وجدت عيناها سترته الجلدية، ورأته يضع الرضاعة على القاعدة السفلية لتمثال برونزي يمثل مشنقة مع أنشودة فارغة. تابع طريقه أمام مقعدين مشغولين، وجلس على مقعد ثالث حيث أمسك بجريدة. وبعد عشرين ثانية تقريباً، نهض مجدداً، وعاد إلى التمثال، وأمسك بالرضاعة في طريقه، وأعادها إلى جيبه، وعاد في الطريق نفسه الذي سلكه. بدأ المطر يتساقط عندما رأته يدخل إلى تشانغكينغ مانشون. بدأت تحضر كلماتها

بيطء. لم يعد هناك رتل طويل أمام المصاعد، إلا أنه صعد الدرج، واستدار إلى اليمين، ودخل عبر باب دوار. أسرعت وراءه، ووجدت نفسها فجأة في بيت سلّم مقفر ومهمل تفوح منه رائحة بول القططة والإسمنت الرطب. حبست أنفاسها، لكنها لم تستطع سماع إلا صوت الماء المتقطر. وفيما اتخذت قرار الصعود إلى الأعلى، سمعت صوت باب ينغلق بقوة تحتها. نزلت السلالم مسرعة، ووجدت الشيء الوحيد الذي يمكن أن يصدر مثل هذا الصوت؛ باباً معدنياً منبعجاً. أمسكت بالمقبض، وشعرت بالرجفة، فأغمضت عينيها ولعنت نفسها. ثم فتحت الباب ودخلت إلى الظلمة. يعني ذلك: إلى الخارج.

مرّ شيء على قدمها، لكنها لم تصرخ ولم تتحرك. في البداية، ظنت أنها دخلت إلى بيت مصعد. لكن، عندما نظرت إلى الأعلى، لمحت جدراناً قرميذية مسوّدة مغطاة بكتل متشابكة من أنابيب المياه والكابلات والقطع المعدنية المشوهة والمنهارة، والسقالات الحديدية الصدئة. إنه فناء خلفي، عبارة عن مساحة من بضعة أمتار مربعة بين مباني شاهقة. الضوء الوحيد جاء من مربع صغير من النجوم في السماء العالية.

وعلى الرغم من عدم وجود أي غيمة في السماء، كان الماء يتساقط على الأسفلت ووجهها، وأدركت أنه ماء مقطر من أجهزة التكيف الصغيرة الصدئة الناتئة من الجهة الأمامية للمباني. تراجعت إلى الخلف، واتكأت على الباب الحديدي. انتظرت.

وأخيراً، من قلب العتمة، سمعت: "ماذا تريدان؟". لم تسمع صوته من قبل مطلقاً. حسناً، لقد سمعته في البرنامج التلفزيوني عندما كانوا يناقشون مسألة القتل المتسلسلين، لكن سماعه في الحقيقة كان مختلفاً تماماً. ثمة خشونة منهكة جعلته يبدو أكبر سناً من الأعوام الأربعين التي عرفت أنه بلغها أخيراً. لكن في الوقت نفسه، ثمة هدوء آمن وواثق كذب الوجه القلق الذي رآته خارج مطعم لي يوان؛ هدوء عميق، ودافئ. قالت: "أنا نروجية".

لا جواب. كتبت نفسها. عرفت أن كلماتها الأولى ستكون الأكثر أهمية. "اسمي كاجا سولنس. تم تكليفي بالعثور عليك؛ من قبل غونار هاغن". لم تصدر عنه أي ردة فعل لدى سماعه اسم رئيسه في قسم مكافحة الجرائم هل رحل؟

قالت في الفراغ: "أعمل بمثابة تحرية في مهام تقصي الجرائم تحت إشراف هاغن".

"تهاني".

"لا داعي للتهاني. ليس إذا كنت تقرأ الصحف النروجية خلال الأشهر الأخيرة".
كان بوسعها السيطرة على لسانها. هل تحاول التحلي بروح الدعابة؟ لا بد أنها قلة النوم، أو توتر الأعصاب.

قال الصوت: "أقصد تهاني على المهمة التي أنجزت بشكل جيد. فقد تم العثور علي. الآن يمكنك العودة".

صرخت: "انتظر، ألا تريد سماع ما عليّ قوله؟".

"أفضل عدم سماع ذلك".

لكن الكلمات التي دوّنتها وتمرنت عليها صدرت تلقائياً من فمها. "تم قتل امرأتين. تشير الأدلة الجنائية إلى أن التحضير للجريمة هو نفسه. لكن، ما عدا ذلك، لا نملك أي أدلة. وعلى الرغم من حصول الصحافة على كمية ضئيلة من المعلومات، فإنها تتحدث علناً عن أن قاتلاً جديداً بالتسلسل حرّ طليق. كتب بعض المعلقين أنه ربما استوحى أفكاره من رجل الثلج. استدعينا خبراء من الانترنتبول، لكنهم لم يحرزوا أي تقدم. الضغط من وسائل الإعلام والسلطات...".

قال الصوت: "أقصد لا".

انغلق باب بقوة.

"مرحباً؟ مرحباً؟ هل أنت هنا؟".

شقت طريقها بصعوبة إلى الأمام، ووجدت باباً. فتحته قبل أن ينجح الرعب في السيطرة عليها، ووجدت نفسها في بيت درج مظلم آخر. لمحت ضوءاً في الأعلى فتسلقت السلالم ثلاث درجات في كل مرة. كان الضوء آتياً عبر زجاج باب دوار، فدفعته. دخلت إلى رواق عادي أجرد يبدو أنه تم التخلي فيه عن محاولات ترقيع الجص المتقشر، وفاحت الرطوبة من الجدران مثل رائحة نَفَس كرية. وجدت رجلين متكئين على الجدار، مع سيجارتين تتدليان من زاويتي فميهما، ووصلت إليها رائحة حلوة. مدحا طلتها بعيونهما المترهلة، المترهلة جداً للحراك، مثلما أملت. الأصغر بين الرجلين كان أسود، من أصل إفريقي، مثلما افترضت. أما الأكبر فكان أبيض، وله ندبة هرمية الشكل على جبينه، مثل مثلث الإنذار. قرأت في مجلة الشرطة أن هونغ كونغ تضم قرابة ثلاثين ألف عنصر شرطة في الشوارع، وهي معروفة بأنها المدينة

الأكثر أماناً في العالم. لكن هذا في الشارع وليس هنا.

"هل تبحثين عن الحشيش، سيدتي؟"

هزت رأسها، وحاولت رسم ابتسامة واثقة على وجهها. حاولت التصرف مثلما نصحت الفتيات الشابات عندما كانت تجول على المدارس: التصرف مثل شخص يعرف إلى أين هو ذاهب، وليس مثل شخص أضع المجموعة؛ مثل طريدة.

بادلاها الابتسامة. الباب الوحيد الآخر في الرواق تم سدّه بالحجارة القرميدية. أخرجنا أيديهما من جيوبهما، والسيجارتين من فميهما.

"إذاً، هل تبحثين عن المرح؟"

قالت: "أخطأت في الباب. هذا كل ما في الأمر". واستدارت للعودة. إلا أن يداً ضغطت على معصمها. كان طعم الرعب شبيهاً بورق القصدير في فمها. نظرياً، كانت تعرف كيفية الخروج من هذا المأزق. فقد تمرنت على السجادة المطاطية في النادي الرياضي المضاء مع مدرّب وزملاء محتشدين حولها.

"الباب صحيح، سيدتي. الباب صحيح. المتعة في هذا الاتجاه". النّفس الذي جاء على وجهها كان مشبعاً بروائح السمك والبصل والماريجوانا. في النادي الرياضي، يوجد دوماً خصم واحد فقط.

قالت: "لا شكراً". وكافحت لإبقاء صوتها ثابتاً.

اقترب منها الرجل الأسود، وأمسك بمعصمها الآخر، وقال بصوت رجولي مرتفع: "سوف نريك الطريق".

"لكن، لا يوجد الكثير لرؤيته، أليس كذلك؟"

استداروا هم الثلاثة باتجاه الباب الدوار.

عرفت أن جواز سفره يقول إن طوله مئة واثان وتسعون سنتيمتراً، لكن حين وقف هناك عند الباب الذي تم تشييده وفقاً لمقاييس هونغ كونغ، بدا وكأن طوله متران وعشرة سنتيمترات على الأقل. وبدا أعرض مرتين أكثر مما كان عليه قبل ساعة واحدة فقط. تدلت ذراعه قرب جانبيه، بعيداً قليلاً عن جسمه، لكنه لم يتحرك، ولم يحدق، ولم يتحدث بغضب، وإنما نظر فقط بهدوء إلى الرجل الأبيض وكرّر: "أليس كذلك جو ياي؟"

أحسّت بأصابع الرجل الأبيض تشدّ ثم تسترخي حول معصمها، ولاحظت أن الرجل الأسود بدّل وقفته من قدم إلى أخرى.

قال الرجل الواقف عند الباب: "إن جي جوي".

أحست بأيديهما تفلتها بتردد.

قال: "تعالى". وأمسك ذراعها برفق.

أحست بالحرارة تتوهج في وجنتيها المتوردتين أثناء خروجهما، الحرارة الناجمة عن التوتر والإحساس بالحزي. الحزي من شعورها بالارتياح، ومن تأخر دماغها في التصرف في ذلك الظرف، ومن قبولها بالسماح له بطرد تاجري مخدرات غير مؤذنين البتة وإنما أرادا فقط العبث معها قليلاً.

رافقها طابقيين إلى الأعلى، وعبر الباب الدوار حيث وضعها أمام مصعد، ثم ضغط على السهم الذي يشير إلى الأسفل، ووقف قربها، وثبت نظره على الرقم 11 المضاء فوق باب المصعد. قال: "عاملان زائران. إنهما وحدهما ويشعران بالضجر". قالت بنبرة تحدّ: "أعرف".

"اضغطي على الحرف G للوصول إلى الطابق الأرضي، ثم استديري إلى اليمين، وتوجهي مباشرة إلى الأمام إلى حين الوصول إلى جادة ناان".

"أرجوك، أصغ إليّ. أنت الشخص الوحيد في قسم مكافحة الجرائم الذي يملك الخبرة المناسبة للقبض على القتلة بالتسلسل. في النهاية، أنت من ألقى القبض على رجل الثلج".

قال: "صحيح". راقبت الحركة في عينيه، والإصبع التي مرّرها على طول فكّه تحت أذنه اليمنى. "ثم استقلت".

"استقلت؟! تقصد أنك ذهبت في إجازة".

"استقلت. تماماً مثل انتهيت".

لاحظت حينها التواء غير الطبيعي للعظم الأيمن في فكّه.

"يقول غونار هاغن إنك عندما غادرت أوصلو، وافق على منحك إجازة حتى موعد لاحق".

ابتسم الرجل، ولاحظت كاجا كيف بدلت الابتسامة وجهه بالكامل. "هذا لأن هاغن لا يستوعب المسألة...". توقف، ثم اختفت الابتسامة. اتجهت عيناه الآن إلى الضوء فوق المصعد الذي أشار إلى الرقم 5. "غير أنني لم أعد أعمل مع الشرطة". "نحتاج إليك...". تنشقت الهواء. عرفت أنها تتزلج على جليد رقيق جداً، لكن عليها التصرف قبل أن تضيعه مجدداً. وأنت تحتاج إلينا".

برم عينيه نحوها. "بالله عليك، ما الذي يجعلك تظنين ذلك؟".

"أنت تدين بالمال لمنظمة الترياد، وتشتري المخدرات من الشارع في رضاة

طفل. وتعيش... "كثرت،" "... هنا. ولا تملك جواز سفر".

"أنا أستمتع بوقتي هنا. لم سأحتاج إلى جواز السفر؟".

اختفى الضوء، وانفتح الباب، واندفع هواء ساخن من الأجسام المحشورة في الداخل.

قالت كاجا: "لن أذهب". بصوت أعلى مما أرادت، ولاحظت الوجوه التي راحت تنظر إليها بمزيج من التملل والفضول الواضح.

قال: "بلى، ستذهبن". ووضع يده على وسط ظهرها ودفعها إلى الداخل برفق وإنما بصرامة. أصبحت محاطة فجأة بأجسام بشرية طوقتها وجعلت تحركها أو حتى استدارتها أمراً مستحيلاً. برمت رأسها في الوقت المناسب لترى الباب ينغلق.

صرخت عالياً: "هاري!".

لكنه رحل.

سكس بيستولز

وضع صاحب الفندق العجوز إصبعاً على جبينه تحت العمامة ونظر إليها مطولاً وملياً، ثم حمل الهاتف وطلب رقماً. قال بضع كلمات باللغة العربية، ثم أنهى المكالمة. قال: "انتظري. ربما نعم، وربما لا".

ابتسمت كاجا وأومأت برأسها.

جلسا يراقبان بعضهما من جانبي الطاولة الضيقة التي كانت بمثابة مكتب الاستقبال.

ثم رنّ الهاتف. رفع السماعة، وأصغى، ثم أعادها إلى مكانها من دون أي كلمة. قال: "مئة وخمسون ألف دولار".

كررت متممة وغير مصدقة: "مئة وخمسون!؟".

"دولار هونغ كونغ، سيدتي".

أنجزت كاجا بعض الحسابات في عقلها. يوازي ذلك مئة وثلاثين ألف كرون نروجي تقريباً. أي ضعف المبلغ الذي سُمح لها بدفعه.

كانت الساعة قد تجاوزت منتصف الليل، ومضت عليها أربعون ساعة تقريباً من دون نوم، عندما وجدته. فتشت المبنى "هـ" طوال ثلاث ساعات. رسمت خريطة لداخل المبنى، فيما تجولت بين الفنادق الصغيرة، والمقاهي، والمطاعم، ونوادي التديك، وقاعات الصلاة، إلى أن وصلت إلى أرخص الغرف حيث تعيش اليد العاملة الآتية من أفريقيا وباكستان؛ أولئك الأشخاص الذين لا يملكون غرفاً، وإنما فقط حجيرات من دون أبواب، ومن دون أجهزة تلفاز، ومن دون مكيفات هواء، ومن دون حياة خاصة. الحارس الليلي أسود البشرة الذي استقبل كاجا نظر إلى الصورة الفوتوغرافية لوقت طويل وإلى ورقة المئة دولار التي كانت تحملها لوقت أطول قبل أن يأخذها ويشير بإصبعه إلى إحدى الحجيرات.

هاري هول، قالت لنفسها. وجدتك.

كان يستلقي على ظهره فوق فراش، ويتنفس من دون صوت تقريباً. قَطَبَ جبينه بشكل عميق، وبات عظم فكه البارز تحت أذنه اليمنى أكثر وضوحاً الآن وهو نائم. سمعت من الحجرات الأخرى أصوات رجال يسعلون ويشخرون. تساقط الماء من السقف، وارتطم بالأرض القرميدية مع أصوات عميقة ومموهة. الفتحة الموجودة في الحجر سمحت بدخول شعاع بارد وأزرق من الضوء المنبعث من أنابيب النيون في صالة الاستقبال. رأَت خزانة ملابس أمام النافذة، وكرسياً وقنينة ماء بلاستيكية قرب الفراش. ثمة رائحة مرّة وحلوة، مثل رائحة المطاط المحترق. انبعث الدخان من طرف سيجارة في منفضة قرب الرضاعة على الأرض. جلست على الكرسي، واكتشفت أنه يمسك شيئاً في يده. كتلة دبقه، باللون البني المصفر. لقد رأَت كاجا ما يكفي من الحشيش خلال العام الذي أمضته في العمل في سيارة شرطة لتعرف أن هذا ليس حشيشاً.

كانت الساعة قرابة الثانية عندما استيقظ. سمعت بدلاً ضئيلاً في إيقاع تنفسه، ثم سطع بياض عينيه في العتمة. همس: "راكيل!؟". ثم عاد إلى النوم. بعد نصف ساعة، فتح عينيه جيداً وتفاجأ. نظر حوله، ثم أمسك بشيء من تحت الفراش.

همست كاجا: "هذه أنا. كاجا سولنس". الجسم المستلقي قرب قدميها توقف عن الحركة، ثم انهار وسقط مجدداً على الفراش.

زمجر، فيما صوته لا يزال خشناً نتيجة النوم: "بالله عليك، ماذا تفعلين هنا؟". أجابت: "أبحث عنك". قهقهة، فيما بقيت عيناه مغمضتين. "تبحثين عني! أما زلت؟". سحبت مغلفاً، وانحنت إلى الأمام ورفعته أمامه. فتح عيناً واحدة. قالت: "تذكرة طائرة، إلى أوسلو". أغمض عينه مجدداً. "شكراً، لكنني سأبقى هنا". "إذا استطعت العثور عليك، فهذا يعني أنها مسألة وقت فقط قبل أن يعثروا بدورهم عليك".

لم يجب، انتظرت فيما أصغت إلى تنفسه وصوت الماء المتقطر وتهدت. ثم فتح عينيه مجدداً، وفرك تحت أذنه اليمنى وجعل نفسه يتكئ على مرفقيه.

"أتريدين التدخين؟".

هزّت رأسها. أبعد عنه الشرفف، ووقف وتوجه إلى الخزانة. بدا شاحباً بشكل لافت - لا سيما وأنه يعيش في مناخ شبه استوائي - ونحياً جداً حيث ظهرت ضلوعه للعيان، حتى في ظهره. توحى بنيته الجسدية بأنه كان ذات مرة بطلاً رياضياً، لكن العضلات الضعيفة الآن بدت مثل ظلال حادة تحت البشرة البيضاء. فتح الخزانة. ذهلت عند رؤيتها ملابسه مطوية في كومات مرتبة. ارتدى قميصاً قطنياً وسروال جينز؛ أي الثياب التي ارتداها في اليوم السابق، وأخرج ببعض الصعوبة علبة سجائر مطوية من جيبه.

انتعل حذاء خفيفاً، ومرّ أمامها وهو ينقر على الولاة.

قال بهدوء فيما مرّ أمامها: "تعالى، العشاء".

كانت الساعة قرابة الثالثة فجراً. تم إنزال الستائر الحديدية الرمادية فوق المتاجر والمطاعم في تشانغكينغ، باستثناء مطعم لي يوان.

سألت كاجا وهي تنظر إلى هاري الذي كان يضع ملء ملعقة من النودلز اللماع في فمه، بطريقة غير لائقة وإنما فعالة، من وعاء الحساء الأبيض: "إذاً، كيف وصلت إلى هونغ كونغ؟".

"بالطائرة. هل تشعرين بالبرد؟".

أخرجت كاجا تلقائياً يديها من تحت فخذيهما. "لكن، لمّ هنا؟".

"كنت في طريقي إلى مانيلا. كان يفترض بهونغ كونغ أن تكون محطة انتقال فقط".

"الفيليبين. ماذا كنت ستفعل هناك؟".

"سأرمي نفسي في بركان".

"أي واحد؟".

"حسناً، ما هي الأسماء التي تعرفينها؟".

"لا أعرف أي واحد. لكنني قرأت أن هناك الكثير منها. ألا يوجد البعض منها في... لوزون؟".

"لا بأس. هناك ثمانية عشر بركاناً في الإجمال، وثلاثة منها في لوزون. أردت الذهاب إلى جبل مايون. ألفان وخمسة مئة متر. بركان مخروطي مركب".

"بركان مع جوانب عميقة ناجمة عن تراكم طبقات من الحمم فوق بعضها بعد

ثوران البركان".

توقف هاري عن مضغ الطعام ونظر إليها. "هل حصل أي ثوران في الأوقات المعاصرة؟".

"الكثير. ثلاثون؟".

"تحدثت السجلات عن سبعة وأربعين منذ العام 1616. وآخر ثوران كان في العام 2002. يمكن معادلته بثلاثة آلاف جريمة على الأقل".

"ماذا حصل؟".

"تراكم الضغط".

"أقصد معك".

"أنا أتحدث عني". أحست أنها رأت طيف ابتسامة. "انفجرت وبدأت أحسسي الشراب على متن الطائرة، فطلب مني النزول في هونغ كونغ".

"هناك رحلات عدة إلى مانيل".

"أدركت أنه باستثناء البراكين، لا تملك مانيل أي شيء غير موجود في هونغ كونغ".

"مثل؟".

"مثل المسافة الفاصلة عن النروج".

أومأت كاجا برأسها. لقد قرأت التقارير المتعلقة بقضية رجل الثلج.

قال وهو يشير بعود الأكل الخشبي: "والأهم من كل شيء، تملك هونغ كونغ النودلز الشفاف في مطعم لي يوان. جرّبه. هذا سبب كافٍ للتقدم بطلب للحصول على الجنسية".

"هذا والأفيون؟".

ليست صريحة عادة، لكنها عرفت أنه يجدر بها إخفاء خجلها الطبيعي. إنها فرصتها لتحقيق ما جاءت لفعله.

هزّ كتفه وركّز على النودلز.

"هل تدخن الأفيون بانتظام؟".

"من دون انتظام".

"ولماذا تفعل ذلك؟".

أجاب والطعام في فمه: "كي لا أشرب. أنا مدمن على الشراب. وهذه، مثلاً، ميزة أخرى في هونغ كونغ مقارنة مع مانيل. عقوبات أقل على المخدرات. وسجون

أكثر نظافة".

"أعرف أنك مدمن على الشراب. لكن، هل أنت مدمن على المخدرات أيضاً؟".
"حددي مفهومك للإدمان على المخدرات".

"هل تضطر إلى تناول المخدرات؟".

"لا، لكنني أريد ذلك".

"لماذا؟".

"لتخدير حواسي. يبدو هذا مثل مقابلة مهنية لوظيفة لا أريد الحصول عليها.
سولنس، هل دخنت الأفيون يوماً؟".

هزت كاجا رأسها. لقد جربت الماريجوانا بضع مرات أثناء تواجدها في أميركا
الجنوبية، لكنها لم تشعر بولع حقيقي بها.

"لكن الصينيين مجبرون على فعل ذلك. قبل مئتي عام، استورد البريطانيون
الأفيون من الهند لتحسين التوازن التجاري. حوّلوا نصف الصينيين إلى مدمنين على
المخدرات بهذه الطريقة". نقر بأصابع يده الطليقة. "وعندما حظرت السلطات الصينية
الأفيون بطبيعة الحال، شنّ البريطانيون حرباً لنيل حقهم في تزويد الصين بالمخدرات
بصفتهم متفوقين عليهم. تخيلي كولومبيا وهي تقصف نيويورك لأن الأميركيين صادروا
القليل من الكوكايين على الحدود".

"ماذا تقصد؟".

"أرى أنه من واجبي، كمواطن أوروبي، أن أدخن القليل من الهراء الذي أحضرناه
إلى هذا البلد".

استطاعت كاجا سماع نفسها تضحك. إنها بحاجة فعلاً إلى بعض النوم.

قالت: "كنت أراقبك عندما أنجزت الصفقة. رأيت كيف فعلت ذلك. كان هناك
مال في الرضاعة التي وضعتها. ومن بعدها حشيش. أليس هذا صحيحاً؟".

قال هاري وفمه مليء بالنودلز: "ممم. هل عملت في وحدة "نارك"؟".

هزت رأسها. "لماذا رضاعة الطفل؟".

مدد هاري ذراعيه فوق رأسه. بات وعاء الحساء فارغاً أمامه. "رائحة الأفيون
مرعبة. إذا وضعت كرة منه في جيبيك أو في ورقة ألمنيوم، فستتمكن كلاب الشرطة
من شمّك حتى لو كنت وسط حشود غفيرة. وبما أنّ رضاعات الأطفال، لا مجال
لأن يأخذها ولد أو شخص ما أثناء عملية التسلم والتسليم. لقد حصل ذلك".

أومأت كاجا برأسها ببطء، وبدأت تسترخي؛ كانت فقط مسألة إصرار. أي شخص لم يتحدث بلغته الأم منذ فترة يميل إلى الثرثرة عند لقاء شخص من بلده. هذا طبيعي، تابعي.

"هل تحب الأحصنة؟"

كان يعضغ عود أسنان خشبياً. "ليس كثيراً. إنها مزاجية جداً".
"لكنك تحب المراهنة عليها".

"أحب ذلك. لكن المقامرة الملمزمة ليست واحدة من سيئاتي".

ابتسم، ومرة جديدة صعقت لدى رؤيتها كيف تستطيع ابتسامته تحويله وجعله إنساناً يمكن الوصول إليه، صيانياً.

"ليست المقامرة استراتيجية رابحة على المدى الطويل. لكن، إذا لم يعد لديك أي شيء لخسارته، فستصبح الاستراتيجية الوحيدة. أراهن على كل شيء أملكه، وكذلك على القليل من الذي لا أملكه، في سباق واحد".

"تضع كل شيء تملكه على حصان واحد؟"

"أراهن على اثنين؛ على المكانين الأول والثاني. تختارين الحصانين اللذين سيحتلان المرتبة الأولى والثانية؛ بصرف النظر عمّن سيكون الرابع بينهما".

"واقترضت المال من التريادا!"

للمرة الأولى، رأت الذهول في عيني هاري.

"ما الذي يجعل اتحاداً صينياً للعصابات يقرض المال إلى غريب يدخن الأفيون ولا يملك شيئاً لخسارته؟"

قال هاري وهو يلفّ سيجارة: "حسناً، بصفتك أجنبية، يمكنك النفاذ إلى قسم الشخصيات المهمة في حلبة سباق "هابي فالي" خلال الأسابيع الثلاثة الأولى بعد دمع جواز سفرك". أشعل سيجارته، ونفخ الدخان صوب مروحة السقف التي كانت تدور ببطء شديد لدرجة أن الذبابات استقرت عليها. "هناك ملابس محددة يجب ارتداؤها، ولذلك أحضرت بذلة. كان الأسبوعان الأولان كافيين لجعلي أتذوق متعة الأمر. التقيت هيرمان كلوت، وهو جنوب أفريقي جنى ثروة من مناجم أفريقيا. علمني كيف أخسر الكثير من المال بأسلوب راقٍ، إلا أنني أحببت المفهوم بكل بساطة. وعشية السباق في الأسبوع الثالث، دعاني كلوت لتناول العشاء، حيث عرض أمام ضيوفه مجموعته من وسائل التعذيب الأفريقية من غوما. وهناك حصلت على معلومات خاصة من سائق كلوت. الحصان المفضل للسباقات كان مصاباً، لكن هذا

الأمر بقي سراً لأن الحصان سيركض في أي حال. الفكرة هي أنه كان حصاناً مفضلاً جداً، حيث إن المال الذي تم الرهان به على اسمه بات موضع تساؤل، ويستحيل جني أي مال في حال المراهنة عليه. إلا أنه يمكن جني المال بالرهان على أحصنة أخرى؛ باتباع طريقة الرهان على حصانين مثلاً. لكن هذا يستلزم حتماً رأسماً مهماً إذا أردت جني الربح الوفير. لذا، حصلت على قرض من كلوت استناداً إلى سجلي النظيف، وبذلتني التي أحضرتها خصيصاً للسباقات". تأمل هاري الوميض المنبعث من سيارته وبدا أنه يبتسم للفكرة.

سألت كاجا: "و؟".

هزّ هاري كتفه. "وفاز الحصان المفضل بستة أشواط. عندما شرحت لكلوت أنني لا أملك أي فلس بدا أسفاً فعلاً، وشرح بهذيب أنه بصفته رجل أعمال، فإنه مضطر للالتزام بمبادئه المهنية. طمأنني بأن هذه المبادئ لا تشمل استعمال أسلحة التعذيب الكونغولية، وإنما ببساطة بيع الديون لمنظمة الترياد مع حسم. وتبين أن هذا الأمر ليس أفضل حالاً. لكن في حالتي، سوف ينتظر ستاً وثلاثين ساعة قبل أن يبيع الدين لأتمكن من الخروج من هونغ كونغ".

"لكنك لم تخرج؟".

"في بعض الأحيان، أكون بطيئاً في الاستيعاب".

"وبعد ذلك؟".

فتح هاري يديه. "هذا. تشانغكينغ".

"وماذا عن مشاريعك المستقبلية؟".

هزّ هاري كتفه وباشر في إطفاء سيارته. وتذكرت كاجا غطاء الملف الذي عرضه إيفن أمامها مع صورة الموسيقي سيد فيشوس من فريق "السكس بيستولز". والموسيقى العازفة في الخلفية. "لا مستقبل. لا مستقبل".

أطفأ سيارته. "لقد سمعت ما تحتاجين إليه، كاجا سولنس".

قطبت وجهها. "أحتاج إليه؟ لا أفهم".

وقف. "ألا تفهمين؟ هل تظنين أنني تحدثت عن الأفيون والديون لأني نروجي ووحيد التفتيت نروجية أخرى؟".

لم تجبه.

"بل لأنني أريدك أن تقدري أنني لست أبدأ الرجل الذي تحتاجين إليه. حيث يمكنك العودة من دون الإحساس بأنك لم تنجز مهمتك. وحيث لا تتورطين في

المشاكل في بيوت السلام، وأستطيع النوم بسلام من دون أن أتساءل عمّا إذا كنت ستقودين الدائنين مباشرة إليّ".

نظرت إليه. ثمة شيء حازم و صارم فيه، لكنه متناقض مع الرقص المسلي في عينيه، والقائل إنه لا حاجة أبداً لأخذ كل شيء على محمل الجد، أو للتحديد أكثر: إنه لا يبالي البتة.

"انتظر". فتحت كاجا حقيبتها، وأخرجت كتيباً أحمر صغيراً، وأعطته إيّاه، وراقبت ردة الفعل. لاحظت الشك يسيطر على وجهه فيما قلب الكتيب.

"اللعنة. يبدو تماماً مثل جواز سفري".

"إنه هو".

"أشك في أن يملك قسم مكافحة الجرائم الميزانية اللازمة لذلك".

كذبت وقالت: "لقد تضاءلت قيمة ديونك. حصلت على حسم".

"أتمنى أن تكوني قد فعلت ذلك من أجلك لأنني لا أنوي العودة إلى أوصلو".

وجهت إليه كاجا نظرة طويلة، وخافت من ردة فعله. لا مجال للعودة الآن. إنها

مجبرة على استعمال ورقتها الأخيرة، الورقة التي قال غونار هاغن إنه يجدر بها تركها حتى النهاية إذا كان الحقيق عنيداً.

قالت كاجا وهي تستجمع قواها: "ثمة أمر آخر".

ارتفع أحد حاجبي هاري. لقد أحسّ ربما بشيء ما في نبرة صوتها.

"الأمر متعلق بوالدك هاري". لاحظت أنها استخدمت اسمه بطريقة فطرية.

أقنعت نفسها بأنها صادقة في ذلك، ولا تتظاهر فقط.

"والدي؟". قال ذلك كما لو أن الأمر فاجأه؛ أنه يملك والداً فعلاً.

"نعم. اتصلنا به لنرى ما إذا كان يعرف أين تعيش. باختصار، إنه مريض".

نظرت إلى الطاولة.

سمعته يزفر الهواء. ثم عاد الكسل إلى صوته. "أهو مريض جداً؟".

"نعم. وأنا آسفة لأنني أخبرك بذلك".

لم تجرؤ بعد على رفع نظرها نحوه. شعرت بالخجل. انتظرت. أصغت إلى

الأصوات باللغة الكانتونية على شاشة التلفاز وراء رف العرض في مطعم لي يوان.

كبتت نفسها وانتظرت. عليها النوم سريعاً.

"متى تنطلق الطائرة؟".

قالت: "عند الساعة الثامنة. سأمر بعد ثلاث ساعات لاصطحباك من هنا".

"سأذهب إلى المطار بطريقتي الخاصة. هناك بعض الأمور العالقة التي يجدر بها إنجازها أولاً".

مدّ راحة يده، فسألته بعينيهما.

"لكنني أحتاج إلى جواز السفر. ويجدر بك أنت تناول الطعام. ضعي القليل من اللحم على عظامك".

ترددت، ثم أعطته جواز السفر وتذكرة السفر.

قالت: "أثق فيك".

وجه إليها نظرة خالية من أي تعبير.

ثم ذهب.

ملّية
t.me/t_pdf

الساعة فوق الباب رقم 4 في مطار تشيك لاب كوك أشارت إلى أنها الثامنة إلا رباعاً، وقطعت كاجا الأمل. طبعاً لن يأتي. إنها ردة فعل طبيعية عند الحيوانات والبشر تقضي بالاختباء عند التعرض للأذى. ولا شك في أن هاري هول قد تأذى. فالتقارير في قضية رجل الثلج وصفت بالتفصيل جرائم كل النساء. لكن غونار هاغن أضاف ما لم يكن مذكوراً. كيف أن الشريكة السابقة لهاري هول التي تدعى راكيل، وابنها أوليغ، وقعا في قبضة القاتل المهبوس. وكيف أنها هربت مع ابنها من البلاد فور انتهاء القضية. وكيف قدّم هاري استقالته وهرب بدوره. لقد تأذى أكثر مما تدرك.

سلّمت كاجا بطاقة دخولها إلى الطائرة، وكانت في طريقها إلى سلّم الطائرة وهي تفكر في كيفية إعداد تقريرها حول المهمة الفاشلة عندما رأته يركض عبر أشعة الشمس المائلة الداخلة إلى مبنى المطار. كان يحمل حقيبة عادية على كتفه، حقيبة معفاة من الضرائب، وينفخ دخان سيجارة بغضب. توقف أمام الباب المؤدي إلى سلّم الطائرة. لكن، بدلاً من أن يعطي الموظف المنتظر بطاقة دخوله إلى الطائرة، وضع حقيبته أرضاً ووجه إلى كاجا نظرة يائسة.

عادت مجدداً إلى الباب.

سألته: "هل من مشاكل؟"

قال: "آسف. لا أستطيع العودة".

"لماذا؟"

أشار إلى الحقيبة المعفاة من الضرائب. "تذكرت للتو أن النروج تسمح للشخص

الواحد بإدخال علبة واحدة فقط من السجائر. لكني أحمل اثنتين. إلا إذا...". لم يرفّ له جفن.

برمت عينيها صوب السماء، محاولة ألا تفضح ارتياحها. "أعطني إياها". قال: "شكراً كثيراً لك". وفتح الحقيبة التي لاحظت أنها لا تحتوي على أي قوارير، ثم أعطها علبة مفتوحة من سجائر "كاميل" بعد أن أخرج منها واحدة. مشت أمامه للدخول إلى الطائرة كي لا يتمكن من رؤية ابتسامتها. بقيت كاجا مستيقظة لوقت كافٍ، حيث أفلعت الطائرة واختفت هونغ كونغ خلفهما، وراقبت عينا هاري عربة المشروبات فيما اقتربت منهما مع طقطقة القناني المرحّة. ثم أغمض عينيّه وأجاب المضيئة بصوت بالكاد مسموع: "لا، شكراً". تساءلت عمّا إذا كان غونار هاغن محقّقاً، وعمّا إذا كان الرجل الجالس قربها هو فعلاً من يحتاجون إليه.

ثم نامت، فاقدة الوعي، وحالمة أنها تقف أمام باب مغلق. سمعت زقزقة عصفور وحيد ومتجمد في الغابة، وبدا الأمر غريباً جداً لأن الشمس كانت ساطعة عالياً في السماء. فتحت الباب...

استيقظت ووجدت أنها وضعت رأسها على كتفه، ثم مسحت لعابها عن زاويتي فمها، فيما أعلن صوت قبطان الطائرة أنهم اقتربوا من مدرج مطار هيثرو في لندن.

الحديقة العامة

تحب ماريت أولسن التزلج على الثلج في الجبال. لكنها تكره الركض. تكره نهائها الصافر بعد مئات الأمتار فقط، والذبذبات المرتجة في الأرض كلما خبطت قدمها، والنظرات المذهولة قليلاً للمتزهين، والصور التي تظهر عندما ترى نفسها في أعينهم: الذقن المرتعش، الترهل الذي يتميل في بذلة الركض المطاطة، والتعبير نعاجز، والفم الفاجر والمندهب الذي رآته بنفسها على وجوه الأشخاص البُدن الذين يدرسون التمارين الرياضية. وكان هذا واحداً من الأسباب التي دفعتها إلى تحديد موعد ركضها ثلاث مرات أسبوعياً في فروغر بارك عند الساعة العاشرة ليلاً. فالمكان جيد ومقفر في الوقت نفسه. والأشخاص الموجودون هناك لا يرون الكثير منها وهي تشق طريقها في الظلام الحالك بين المصابيح القليلة المضئية للدروب التي تتقاطع في أكبر حديقة عامة في أوسلو. وبين ذلك العدد القليل الذي يراها، ثمة عدد أقل منهم يتعرفون إلى النائب الاشتراكية عن منطقة فينمارك. انسوا أمر "يتعرفون إليها". فهناك عدد قليل من الأشخاص الذين رأوا ماريت أولسن. عندما تحدثت - بالنيابة عادة عن منطقتها - فهي لا تلفت الانتباه مثلما يفعل زملاؤها الآخرون الأكثر جمالاً وتألُقاً. بالإضافة إلى ذلك، لم تقل أو تفعل أي شيء خطأ خلال الدورتين اللتين كانت فيهما ممثلة لمنطقة ستورتنجت. على الأقل، هكذا تشرح الأمور لنفسها. والواقع أن قول رئيس تحرير فينمارك داغبلاد إنها خفيفة الوزن على الصعيد السياسي ليس سوى تهكم ساخر من مظهرها الجسدي. إلا أن رئيس التحرير لم يستبعد إمكانية رؤيتها يوماً في حكومة اشتراكية؛ لأنها تلبى معظم المتطلبات: فهي غير مثقفة، وليست ذكراً، وليست من أوسلو.

حسناً، لقد كان محقاً ربما في أن نقاط قوتها لا تكمن في قصور كبيرة معقدة في الهواء. فهي إنسانة شعبية، وبسيطة كفاية لمعرفة آراء الرجال والنساء العاديين، ويمكن أن تكون صوتهم هنا بين كل الناخبين المستقلين والراضين عن أنفسهم في العاصمة. لأن ماريت أولسن تتصرف بطريقة عفوية. في النهاية، تلك هي ميزتها الحقيقية، وذلك

هو سبب وصولها إلى حيث هي الآن. والواقع أنه بفضل ذكائها الكلامي - الذي يحب الجنوبيون تسميته "الذكاء النروجي الشمالي" و"الشجاعة" - ربحت حتماً في النقاشات القليلة التي سُمح لها بالمشاركة فيها. إنها مجرد مسألة وقت قبل أن يلاحظوا أهميتها؛ وقت كافٍ للتخلص من هذه الكيلوغرامات. فقد أظهرت الاستطلاعات أن الناس لا يملكون ثقة كبيرة في الأشخاص المشهورين البُدن. إذ يتم اعتبارهم في اللاوعي أنهم يفتقدون إلى السيطرة الذاتية.

وصلت إلى منحدر، فأطبقت أسنانها، وأبطأت سرعتها، وباشرت في السير كما لو أنها تنزّه؛ إذا أرادت التحلي بالصراحة. مشية قوية. نعم، هذه هي الحقيقة. المشية نحو القوة. وزنها ينخفض، ومؤهلاتها للمشاركة في الحكومة تزداد.

سمعت طقطقة الحصى خلفها، فتصلّب ظهرها تلقائياً، وتسارع نبضها قليلاً. إنه الصوت نفسه الذي سمعته عندما كانت تركض قبل ثلاثة أيام. وقبل ذلك بيومين. وفي كلتا المرتين، كان الشخص يركض خلفها على مسافة قريبة لمدة دقيقتين قبل أن يختفي الصوت. استدارت ماريت في المرة السابقة ورأت بذلة ركض سوداء وقلنسوة سوداء؛ كما لو أنه رجل كومندوس يتمرن خلفها. إلا أنه ما من شخص، ولا سيما رجل كومندوس، يمكن أن يجني أي فائدة من الركض ببطء مثلما تفعل ماريت.

طبعاً، لا تستطيع التأكد من أنه الشخص نفسه، لكن شيئاً ما في صوت الخطوات أنبأها بأنه هو نفسه. لا يزال هناك القليل من الطريق المؤدي صعوداً إلى مونوليث، ثم يصبح المنحدر سهلاً للركض إلى المنزل، إلى سكوين، حيث زوجها وكلب روتويلر الألماني سمين وغير جذاب. أصبحت الخطوات أقرب، ولم تعد تشعر بالمتعة الآن لأن الساعة العاشرة مساءً، ولأن الحديقة العامة مظلمة ومقفرة. تخاف ماريت أولسن من أشياء عديدة؛ وإنما تخاف أكثر من الغرباء. نعم، بالفعل، تعرف أنه رهاب الأجانب، ويناقض سياسة الحزب، غير أن الخوف من أي شيء غريب يشكل استراتيجية صمود منطقية. في الوقت الحاضر، تمت لو أنها صوتت ضد كل القوانين المؤيدة للمهاجرين التي تقدم بها حزبها، ولو أنها استخدمت ارتجالها قليلاً أكثر.

بات كل جسمها يتحرك ببطء شديد، وألمتها عضلات فخذيها، واستغاثت رثاها طلباً للهواء، وعرفت أنها قريباً لن تتمكن من التحرك على الإطلاق. حاول دماغها محاربة الخوف، وحاول القول لها إنها ليست بالضبط ضحية اغتصاب جلية.

حملها الخوف عالياً، وبات بوسعها الآن رؤية ما فوق الهضبة، نزولاً إلى ممشي مادسيروود. ثمة سيارة تخرج بشكل عكسي من بوابة حديقة. تستطيع الوصول، فلم

يعد أمامها أكثر من مئة متر. ركضت ماريت أولسن على العشب الزلق، نزولاً عبر المنحدر، وبالكاد نجحت في البقاء على قدميها. لم يعد بوسعها سماع الخطوات وراءها؛ إذ ضاع كل شيء في تنفسها السريع. تراجعت السيارة إلى الطريق، وكان هناك الكثير من ضجيج المحرك، فيما نقل السائق السيارة من الاتجاه الخلفي إلى السرعة الأولى. كانت ماريت تقترب من السفح، وباتت على مسافة أمتار قليلة فقط من الطريق؛ من الأنوار المخروطية المنبعثة من المصابيح الأمامية للسيارة. إلا أن وزن جسمها الثقيل سبقها قليلاً أثناء النزول، وبات الآن يشدها إلى الأمام من دون شفقة. لدرجة أن ساقها لم تعودا قادرتين على التحمل. سقطت على وجهها، على الطريق، تحت الضوء. ارتطمت معدتها المغلقة بالبوليستر المشيع بالعرق بالزفت، وانزلقت أو بالأحرى تدرجت إلى الأمام. بعدها، استلقت ماريت ساكنة، وطعم غبار الطريق المرّ في فمها، فيما وخزتها راحتا يديها المكشوطتان نتيجة الاحتكاك بالحصى.

ثمة شخص يقف فوقها. أمسك بكتفيها. استدارت على جانبها مصدرة أنياباً، ورفعت ذراعيها فوق وجهها بطريقة دفاعية. لم يكن كومندوس، وإنما مجرد رجل عجوز يعتمر قبعة. وباب السيارة خلفه بقي مفتوحاً.

استفسر قائلاً: "هل أنت بخير سيدتي؟".

أجابت ماريت أولسن، وهي تشعر بالغضب يغلي داخلها: "ماذا تظن؟".

"انتظري! لقد رأيتك في مكان ما قبلاً".

قالت: "حسناً، هذا اكتشاف". وهي تبعد يده التي مدها للمساعدة، وتكافح للوقوف على قدميها.

"ألست أنت من تشارك في ذلك البرنامج الكوميدي؟".

قالت، وهي تحديق في العتمة، في الفراغ الصامت للحديقة العامة، وتدلك وركها:

"هلا... اهتمت بأمورك الخاصة، جدي".

العودة إلى الوطن

توقفت سيارة فولفو أمازون، آخر موديل أصدره مصنع شركة فولفو عام 1970، أمام ممر المشاة عند قاعة الوصول في مطار غاردموين في أوسلو.

مرّت مجموعة من أطفال الحضانة أمام السيارة تحت وابل المطر الشديد. وألقى بعضهم نظرة فضولية على السيارة الغربية القديمة المزينة بخطوط رالي على غطاء المحرك، وإلى الرجلين الجالسين خلف مساحتي الزجاج الأمامي اللتين تحركتا بسرعة لإبعاد المطر الصباحي.

الرجل الجالس على المقعد قرب السائق، غونار هاغن، عرف أن رؤية الأولاد الماشين يبدأ بيد يفترض أن تجعله يبتسم ويفكر في التعاضد، ومراعاة الآخرين، والمجتمع الذي ينتبه فيه كل شخص إلى شخص آخر. إلا أن ردة فعل هاغن الأولى تمثلت في البحث الحثيث عن شخص توقعوا أن يجده ميثاً. هذا ما يفعله بك العمل على رأس قسم مكافحة الجرائم، أو مثلما كتب شخص ذكي على باب مكتب هاري هول بالإنكليزية: أرى أشخاصاً موتى.

سأل الرجل الجالس وراء المقود: "ماذا يفعل صف أطفال الحضانة في المطار؟". اسمه بيورن هولم، وكانت سيارة الأمازون أعزّ شيء يملكه؛ رغم الرائحة الكريهة الصادرة عن جهاز التدفئة كثير الضجة، ولكن غير الفعال بالضرورة، والجلد الزائف المشيع بالعرق، والرف الخلفي المليء بالغبار. خصوصاً إذا كان كل ذلك مصحوباً بالمحرك العامل بالسرعة الصحيحة، أي بمعدل ثمانين كيلومتراً في الساعة، وصوت هانك وويليامز الصادر من جهاز الراديو كاسيت. بيورن هولم من كريمتكنيسك، قسم المباحث الجنائية في برين، كان ريفياً من سكريا مع جزمة رعاة بقر مصنوعة من جلد الأفعى، ووجه مثل البدر، وعينين ناتئتين منحته تعبيراً مندهشاً باستمرار. والواقع أن هذا الوجه جعل أكثر من مسؤول عن تحقيق يسيء الحكم على بيورن هولم. الحقيقة هي أنه كان صاحب أكبر موهبة في ساحة الجريمة منذ أيام وبيير العظيمة. كان هولم يرتدي سترة من الجلد السويدي الطري مع شرايات، ويعتمر قبعة أفريقية هيبية محبوكة

برزت من تحتها لحية حمراء هي الأكثر حيوية وكثافة التي رآها هاغن في هذه الجهة من البحر الشمالي، فضلاً عن أنها غطت وجنتيه أيضاً.

توجه هولم بسيارة الأمازون إلى مرأب السيارات قصير الأمد، حيث توقف فجأة، وخرج منها الرجلان. رفع هاغن ياقة معطفه التي لم تنجح طبعاً في منع المطر من السقوط على رأسه اللامع. وبالمناسبة، كان ذلك الرأس مغطى بشعر أسود كثيف جداً، حيث شك البعض في أن غونار هاغن يملك معدلاً طبيعياً جداً في نمو الشعر. سأل هاغن: "أخبرني، هل هذه السترة مقاومة فعلاً للماء؟". فيما توجهها بسرعة نحو المدخل.

قال هولم: "لا".

اتصلت بهما كاجا سولنس فيما كانا في السيارة، وأبلغتهما أن طائرة الخطوط الجوية الاسكندنافية قد هبطت قبل عشر دقائق، وأنها أضاعت هاري هول. بعد الدخول عبر الأبواب الدوارة، نظر غونار هاغن حوله، ورأى كاجا جالسة فوق حقيبتها قرب قسم سيارات التاكسي، فأشار إليها بإيماءة بالرأس، وتوجه نحو الباب المؤدي إلى قاعة الجمارك. دخل مع هولم عبر الباب الذي انفتح للسماح بمغادرة الركاب. حاول حارس إيقافهما، لكنه أوماً، أو بالأحرى انحنى احتراماً، عندما أبرز هاغن بطاقة هويته ولفظ كلمة "شرطة" باقتضاب.

استدار هاغن إلى اليمين، ومَرَّ أمام موظفي الجمارك وكلابهم، وأمام الرفوف المعدنية التي ذكّرت بالعربات في "معهد الباثولوجيا"، ودخل إلى الحجرة الصغيرة الموجودة خلفها.

هناك، توقف فجأة لدرجة أن هولم ارتطم به من الخلف. ثمة صوت مألوف صدر بجهد من بين أسنان مطبقة: "مرحباً أيها الرئيس. لسوء الحظ، لا أستطيع تأدية التحية لك في الوقت الحاضر".

نظر بيورن هولم من فوق كتف زعيم القسم، ورأى مشهداً سيظل يطارده لسنوات عدة.

منحنياً فوق ظهر كرسي، كان الرجل الذي يعتبر أسطورة حية ليس فقط في مركز شرطة أوسلو وإنما في كل مراكز الشرطة في النرويج، في السراء والضراء، الرجل الذي عمل معه هولم نفسه عن كثب - ولكن ليس بقدر ما فعل رجل الجمارك الذي وقف وراء الأسطورة - يتم تفتيشه من قبل رجل لبس قفازاً من اللاتكس، وقد اختفت يده جزئياً وراء المؤخرة البيضاء الشاحبة للأسطورة.

قال هاغن لرجل الجمارك، وهو يلوّح ببطاقته: "إنه لي. دعه وشأنه".
حدّق الموظف في هاغن، وبدا غير مستعد لإطلاق سراحه، لكن عندما جاء
موظف أكبر سناً يضع أشرطة ذهبية على كتفيه، وأوماً باقتضاب مع عينين مغمضتين،
برم موظف الجمارك يده مرة أخيرة ثم أخرجها، فأطلق الضحية صوت أنين عالياً.
قال هاغن: "ارتد سروالك يا هاري". واستدار.
رفع هاري سرواله، وقال للموظف الذي كان ينزع قفاز اللاتكس من يده: "هل
كان الأمر ممتعاً لك أنت أيضاً؟".

نهضت كاجا سولنس عن حقيبتها عندما خرج زملاؤها الثلاثة عبر الباب. ذهب
بيورن هولم لإحضار السيارة، فيما توجه غونار هاغن لشراء شيء يشربه من الكشك.
سألت كاجا: "هل يتم تفتيشك غالباً؟".
قال هاري: "كل مرة".
"لا أعتقد أنه جرى توقيفي يوماً من قبل الجمارك".
"أعرف".

"وكيف تعرف؟".
"لأن هناك ألف إشارة صغيرة يبحثون عنها، وأنت لا تملكين أيّاً منها. أما أنا
فأملك نصفها على الأقل".

"هل تظن أن موظفي الجمارك متحاملون إلى هذا الحد؟".
"حسناً، هل سبق لك أن هزّبت شيئاً؟".
ضحكت. "لا. حسناً إذاً، بلى فعلت. لكن، إذا كانوا بارعين إلى هذا الحد، كان
يفترض بهم أن يعرفوا أنك شرطي أيضاً، وأن يخلوا سبيلك".
"عرفوا".

"هيا. هذا يحصل في الأفلام فقط".
"رأوا الحقيقة كما هي. رأوا شرطياً منهاراً".
قالت كاجا: "أوه، حقاً؟".

بحث هاري عن علبة سجائره. "حوّلي عينيك إلى قسم سيارات التاكسي. ثمة
رجل بعينين ضيقتين، غريب الأطوار قليلاً. هل رأيته؟".
أومأت برأسها.

"لقد شدّ حزامه إلى الأعلى مرتين منذ أن خرجنا. كما لو أن شيئاً ثقيلاً يتدلى

منه، زوج أغلال أو عصا. إنها ردة فعل تلقائية إذا عملت في سيارات الشرطة أو في السجن لبضع سنوات".

"لقد عملت في سيارات الشرطة، ولم...".

"إنه يعمل مع منظمة "نارك" الآن، ويراقب الأشخاص الذين يبدون مرتاحين كثيراً بعد اجتياز نقطة الجمارك، أو يتوجهون مباشرة إلى المرحاض لأنهم لم يعودوا قادرين على تحمل البضاعة المحشورة في المستقيم عندهم، أو الحقائب التي تنتقل بين راكب سادج ومساعد وبين مهرب البضاعة الذي جعل المغفل ينقل الحقيبة المحتوية على كل المخدرات عند اجتياز نقطة الجمارك".

برمت رأسها، ونظرت إلى هاري شزراً، فيما ارتسمت ابتسامة صغيرة على شفتيها. "أو قد يكون رجلاً عادياً ينزلق سرواله على الدوام، وهو في انتظار أمه. وأنت مخطئ في ظنك".

قال هاري: "طبعاً". ونظر إلى ساعته وإلى الساعة المعلقة على الحائط. "أرتكب الأخطاء على الدوام. هل هذا هو فعلاً الوقت الصحيح؟".

انطلقت سيارة فولفو أمازون على الطريق السريع، فيما أضيئت أنوار الشوارع. على المقعدين الأماميين، انخرط هولم وسولنس في حديث عميق، فيما صدح غناء تاونز فان زاندرت من جهاز الراديو كاسيت. وعلى المقعد الخلفي، كان غونار هاغن يربّت على الحقيبة الجلدية الناعمة التي وضعها على حضنه.

قال بصوت هادئ: "أتمنى لو كان بوسعي القول إنك تبدو في حال جيدة".

قال هاري: "إنه غناء السفر، سيدي". وكان مستلقياً أكثر مما هو جالس.

"ماذا حصل لفكك؟".

"إنها قصة طويلة مضجرة".

"في أي حال، أهلاً بك. وأنا آسف بشأن الظروف".

"ظننت أنني قدمت استقالتي".

"لقد فعلت ذلك قبلاً".

"كم مرّة تريدها؟".

نظر غونار هاغن إلى مفتشه السابق، وأخفض حاجبه وصوته أكثر فأكثر. "مثلما

قلت، أنا آسف بشأن الظروف. وأنا أعني تماماً أن القضية الأخيرة استنفدت الكثير منك. وأنت تورطت أنت وأحبابك بطريقة... حسناً، يمكن أن تجعل أياً كان راغباً في حياة

مختلفة. لكن هذه مهنتك هاري. هذا ما تبرع فيه".

عطس هاري كما لو أنه التقط عدوى الزكام النموذجية نتيجة العودة إلى الوطن. "هناك جريمتان، هاري. لسنا واثقين حتى كيف تم تنفيذهما، لكننا نعلم فقط أنهما متشابهتان. إلا أنه بفضل التجارب الأخيرة، نحن نعرف ما ينتظرنا". وصمت غونار.

"قول الكلمات لا يؤلم سيدي".

"لست واثقاً من ذلك".

نظر هاري إلى المشهد الطبيعي البني الخالي من الثلج. "أطلق الناس إنذاراً خاطئاً مرات عدة، لكن الأحداث أظهرت أن القاتل بالتسلسل وحش نادر".
أوماً هاغن برأسه. "أعرف. رجل الثلج هو الوحيد الذي رأيناه في هذه البلاد خلال مدة عملي. لكننا واثقون تماماً هذه المرة. لا علاقة أبداً للضحيتين ببعضهما، والمسكن الذي تم العثور عليه في دمهما هو نفسه".

"هذا شيء مهم. بالتوفيق".

"هاري...".

"اعثر على شخص مؤهل للمهمة، سيدي".

"أنت مؤهل".

"لقد انهزت".

أخذ هاغن نفساً عميقاً. "سوف نصلحك مجدداً".

قال هاري: "أصبحت في حالة يتعذر إصلاحها".

"أنت الشخص الوحيد في هذا البلد الذي يملك المهارات والخبرة للتعاطي مع قاتل بالتسلسل".

"استدع شخصاً أميركياً".

"تعرف جيداً أن الأمور لا تنجح هكذا".

"إذاً، أنا آسف".

"حقاً! هناك شخصان ميطان لغاية الآن؛ امرأتان شابتان...".

لوح هاري بيده للرفض عندما فتح هاغن حقيته وأخرج ملفاً بنياً.

"أنا مصرّ على ما قلته سيدي. شكراً على شراء جواز سفري وكل شيء، لكنني

سئمت من الصور والتقارير المليئة بالدم والقتل".

وجّه هاغن تعبيراً متألماً إلى هاري، لكنه أبقى الملف على حضنه.

"تصفح هذا الملف. هذا كل ما أطلبه. ولا تخبر أحداً أننا نعمل على هذه القضية".

"أوه! لماذا؟".

"إنها قصة معقدة. لا تذكر الأمر أمام أي كان. اتفقنا؟".

انتهت المحادثة في القسم الأمامي من السيارة، وركّز هاري على الجهة الخلفية لرأس كاجا. بما أنه تمت صناعة سيارة أمازون التي يملكها بيورن هولم قبل زمن بعيد من استعمال أي كان عبارة "إصابة العنق"، لم يكن هناك أي مُتَكَأ للرأس. واستطاع هاري رؤية عنقها النحيل - إذ رفعت شعرها إلى الأعلى - ورؤية الزغب الأبيض على بشرتها، وتأمل كم هي هشة، وكيف تتغير الأمور بسرعة، وكم يمكن تدميرها خلال ثوانٍ قليلة. هذه هي الحياة؛ إنها عملية تدمير، تفكك مما كان في البداية مثالياً. الترقب الوحيد الباقي هو ما إذا كنا سنتدمر بشكل فجائي أو ببطء. إنها فكرة محزنة، إلا أنه متشبهت بها؛ إلى أن عبروا نفق إيسن، وهو جزء عادي من آلية السير في العاصمة، يمكن أن يكون موجوداً في أي مدينة في العالم. إلا أنه في تلك اللحظة تحديداً، شعر بالأمر. شعر بفرح كبير لوجوده هنا، في أوسلو، في الوطن. كان الإحساس قوياً جداً لدرجة أنه نسي لثوانٍ قليلة سبب عودته إلى هنا.

نظر هاري إلى الشقة رقم 5 في "صوفيز"، فيما اختفت سيارة أمازون خلفه. باتت رسوم الغرافيتي على الجهة الأمامية للمبنى أكثر مما كانت عليه عندما غادر، لكن الطلاء الأزرق تحتها لا يزال نفسه.

إذاً، رفض استلام القضية. إنه يملك والدأ مريضاً في المستشفى، وهذا هو السبب الوحيد لوجوده هنا. ما لم يخبرهم به هو لو أنه أتيح له خيار المعرفة بشأن مرض والده أو عدم معرفته، لكان قد اختار عدم المعرفة؛ لأنه لم يرجع بدافع الحب، وإنما عاد بدافع الخجل.

نظر هاري إلى النافذتين السوداوين في الطابق الثاني؛ إنهما نافذتاه.

ثم فتح الباب، ودخل إلى الفناء الخلفي. انتصب مستوعب النفايات حيث كان على الدوام. رفع هاري الغطاء. لقد وعد هاغن بأن يلقي نظرة على ملف القضية. فعل ذلك في الأغلب كي لا يخسر رئيسه ماء الوجه؛ ففي النهاية، لقد كلف جواز السفر قسم مكافحة الجرائم مبلغاً مهماً. أسقط هاري الملف في أحد الأكياس الطافحة بين القهوة، والحفاضات، والفاكهة المتعفنة وقشور البطاطا. استنشقت الهواء، وتساءل كيف

أن رائحة النفايات عالمية.

لم يتغير أي شيء في شقته المؤلفة من غرفتين، لكن ثمة شيء مختلف فيها. لون رمادي، كما لو أن أحداً قد غادر للتو لكن رائحة نفسه المتجمد لا تزال هنا. دخل إلى غرفة النوم، ووضع حقيبته، وأخرج منها علبة السجائر غير المفتوحة بعد. كل شيء لا يزال هو نفسه هنا؛ رمادياً مثل بشرة جثة عمرها يومان. استلقى على السرير. أغمض عينيه. حياً الأصوات المألوفة؛ مثل صوت الماء المتقطر من الفتحة في المزراب على الإطار الرصاصي الوامض حول النافذة. لم يكن صوت التقطر من السقف في هونغ كونغ بطيئاً ومريحاً، وإنما كان صوت قرع قوياً، في مكان ما بين التقطر والماء الجاري، كما لو أنه تذكير بأن الوقت يمرّ، والثواني تسارع، ونهاية رقم تقترب. جعله ذلك يفكر في "لا لينيا"، شخصية الرسوم المتحركة الإيطالية التي تنتهي دوماً بعد أربع دقائق في السقوط عن حافة خط الرسوم المتحركة في ظلام حالك. عرف هاري أنه توجد قنينة نصف ممتلئة من الشراب في خزانة المطبخ تحت المجلى. عرف أنه يستطيع البدء من حيث ترك كل شيء في هذه الشقة. اللعنة، لقد تحطم قبل أن يصعد حتى إلى سيارة الأجرة للذهاب إلى المطار في ذلك اليوم قبل أشهر عدة. لا عجب أنه لم ينجح في إيصال نفسه إلى مانيلا. يستطيع الذهاب مباشرة إلى المطبخ الآن، وسكب المحتويات في المجلى. زمجر هاري.

التساؤل حول من تشبه هراء بحث. يعرف تماماً من تشبه. إنها تشبه راكيل. جميعهن يشبهن راكيل.

المشقة

قالت ماريت أولسن: "لكنني خائفة راسموس. هذا ما أنا عليه".
أجاب راسموس أولسن: "أعرف". بذلك الصوت الخافت الذي رافق زوجته
وواساها لأكثر من خمسة وعشرين عاماً في القرارات السياسية، واختبارات القيادة،
ونوبات الغضب، ونوبة الذعر الغريبة. قال: "إنه أمر طبيعي". ووضع ذراعه حولها.
"أنت تعملين بكّد، ولديك الكثير من الهموم في رأسك. ولا يملك دماغك أي قدرة
احتياطية لقمع ذلك النوع من الأفكار".

قالت: "هذا النوع من الأفكار!". واستدارت لمواجهته على الأريكة. لقد فقدت
الاهتمام بالفيلم الذي كانا يحضرانه على جهاز الدي في دي - حب فعلي - قبل
وقت طويل. "هذا النوع من الأفكار، هذا النوع من الهراء، هل هذا ما تقصده؟".
قال: "المهم ليس ما أفكر به أنا. المهم..."، وباشر في لمسها بأطراف أصابعه.
قلّدتها ساخرة: "... المهم هو ما تفكرين به أنت. بالله عليك، راسموس، عليك
التوقف عن مشاهدة برنامج الدكتور فيل".

أطلق فقهة ناعمة حريرية. "أنا أقول لك فقط، إنه بصفتك عضواً في ستورتنجت،
يمكنك طبعاً طلب حارس شخصي لمرافقتك إذا شعرت أنك مهددة. لكن، هل هذا
ما تريدينه؟".

خرخرت: "مم". فيما بدأت أصابعه تدلّك البقعة المحددة التي تعرف أنه يعرف
إنها تحبها. "ماذا تقصد بقولك ما تريدينه؟".

"فكري في الأمر قليلاً. ماذا سيحصل برأيك؟".
فكرت ماريت أولسن في الأمر قليلاً. أغمضت عينيها، وأحسّت بأصابعه تدلك
جسمها بهدوء وتناغم. لقد التقت راسموس عندما كانت تعمل في خدمة التوظيف
النرويجية في ألتا، في فينمارك. تم اختيارها مندوبة رسمية عن NTL، وهو اتحاد
نموظفي الحكومة، فأرسلوها إلى الجنوب في دورة تدريبية إلى مركز مؤتمرات
سورماركا. هناك، اقترب منها في الليلة الأولى رجل نحيل صاحب عنين زرقاوين

ساطعتين تحت حدّ شعر متراجع إلى الخلف. تحدث بطريقة تذكّر بالأشخاص الفرحين بالخلاص في نادي الشباب في ألتا. إلا أنه تحدث في السياسة. كان يعمل في أمانة سرّ الحزب الاشتراكي، ويساعد النواب في المهام الوظيفية العملية، والسفر، والصحافة، وحتى في المناسبات الغربية، وفي كتابة الخطابات لهم.

أحضر لها راسموس شراباً، وسألها إذا كانت تريد الرقص. وبعد أن قضت على أربع قوارير من الشراب ببطء متزايد، واحتكاك جسدي قريب بشكل متزايد، سألها إذا كانت تريد الانضمام إليه. ليس في غرفته، وإنما في الحفلة.

بعد العودة إلى المنزل، بدأت تذهب إلى اجتماعات الحزب في ألتا، وفي السهرات تتحدث مطولاً عبر الهاتف مع راسموس حول ما فعلاه وفكرابه خلال اليوم. طبعاً، لم تقل ما ريت ذلك يوماً علناً، لكنها تظن أحياناً أن أفضل وقت أمضياه معاً كان أثناء وجودهما على بعد ألفي كيلومتر عن بعضهما. ثم حان موعد تحديد أسماء مرشحي الحزب، فوضعها على لائحة، وبسرعة البرق، تم انتخابها في مجلس مدينة ألتا. بعد عامين، أصبحت نائب رئيس الحزب الاشتراكي في ألتا. وفي العام التالي، أصبحت عضواً في مجلس المنطقة، ثم حصل اتصال هاتفي آخر، وهذه المرة كان لتحديد أسماء المرشحين لستورتينجت.

والآن، إنها تملك مكتباً صغيراً جداً في ستورتينجت، وشريكاً يساعدها في خطاباتها، ومشاريع تسلق السلم طالما أن كل شيء يجري وفق خطة. وتجنبت الحماقات. قالت: "سوف يعينون شرطياً ليبقي عينيه عليّ. وسوف ترغب الصحافة في معرفة السبب الذي دفع بنائب لا يعرف أحد اسمها بأن تسير برفقة حارس شخصي على حساب دافعي الضرائب. وعندما يعرفون السبب - وهو أنها شكّت في أن شخصاً ما يلاحقها في الحديقة العامة - فسوف يقولون إنه وفق هذا الأسلوب من التفكير، سوف تطلب كل امرأة في أوصلو حماية من الشرطة. لا أريد أي حماية. انس الأمر". ضحك راسموس بصمت، واستخدم أصابعه لتدليك موافقته.

عصفت الرياح عبر الأشجار العارية في فروغنز بارك. ثمة بطة أخفت رأسها عميقاً بين ريشها وعبرت السطح الأسود للبحيرة. علقت أوراق أشجار ميتة بحجارة أحواض السباحة الفارغة في فروغنز ليدو. بدا المكان مهجوراً منذ دهر؛ مثل عالم تائه. نفخت الرياح عاصفة في حوض السباحة العميق، وأشدت نحيبها الممل تحت برج الغوص البالغ ارتفاعه عشرة أمتار، والذي انتصب في سماء الليل مثل مشنقة.

شرطي الثلج

كانت الساعة الثالثة بعد الظهر عندما استيقظ هاري. فتح حقيبته، وارتدى ثياباً نظيفة، وعثر على معطف صوفي في الخزانة فارتداه ثم خرج. الرذاذ المتساقط أيقظ هاري بما فيه الكفاية ليبدو رزيناً باعتدال، فيما دخل إلى الغرف البنية المليئة بالدخان في مقهى شرودر. كانت طاولته مشغولة، فتوجه إلى الزاوية، تحت التلفاز. نظر حوله، ولمح وجهين لم يرهما من قبل. كان ذاك الشخصان يجلسان محييين فوق كأسين، وإلا لبدا له وكأن الوقت قد توقف. جاءت ريتا ووضعت كوباً أبيض وإبريقاً فولاذياً من القهوة أمامه.

قالت: "هاري". ليس بشكل ترحيب، وإنما للتأكد من أنه هو فعلاً.
أوماً هاري برأسه. "مرحباً ريتا. هل من جرائد قديمة؟".

توجهت ريتا إلى الغرفة الخلفية، وعادت مع كدسة من الأوراق المصفرة. لم يحصل هاري على شرح واضح للسبب الذي يدفعهم إلى الاحتفاظ بالجرائد القديمة في شرودر مطلقاً، لكنه استفاد من هذا التدبير في أكثر من مناسبة.
قالت ريتا: "مضى زمن طويل". وغادرت. وتذكر هاري ما يحبه في شرودر، إضافة إلى كونه أقرب مقهى إلى شقته؛ العبارات القصيرة، واحترام حياتك الخاصة. يتم الانتباه إلى عودتك، ولكن من دون الحاجة إلى إيضاح.

شرب هاري كويين من القهوة غير اللذيذة على غير عادة، فيما قلب الجرائد بطريقة سريعة ليزود نفسه بصورة إجمالية عما حصل في المملكة خلال الأشهر الماضية. ليس الكثير، مثل العادة. وهذا أكثر ما يحبه في النروج.

فاز أحدهم بجائزة محبوب الزوجيين، وتم إقصاء شخصية مشهورة من مسابقة رقص، وألقي القبض على لاعب كرة قدم في الدرجة الثالثة لتناوله الكوكايين، ولين غالتونغ - ابنة إمبراطور الملاحة أندرس غالتونغ - ورثت مسبقاً بعض الملايين وعقدت خطوبتها على مستثمر جميل المظهر وإنما ليس صاحب نفوذ ويدعى طوني. رئيس تحرير جريدة لبيرال، أرفي ستوب، كتب أنه بالنسبة إلى أمة تريد البروز كنموذج

ديمقراطي اجتماعياً، بات من المحرج أن النروج لا تزال ملكية. لم يتغير أي شيء. في جرائد شهر ديسمبر، رأى هاري المقالات الأولى بشأن الجريمة. تعرّف إلى وصف كاجا لمسرح الجريمة؛ طابق أرضي في مجمع مكاتب قيد الإنشاء في نايدالن. سبب الوفاة غير واضح، لكن الشرطة شكّت في عنف غير عادل.

قلّب هاري الصفحات، مفضلاً قراءة خبر عن سياسي تبجح بأنه ينسحب من السياسة لقضاء المزيد من الوقت مع عائلته.

لم يكن أرشيف الجرائد عند شرودر كاملاً، لكن الجريمة الثانية ظهرت في صحيفة مؤرخة بعد أسبوعين.

تم العثور على المرأة وراء سيارة داتسون محطمة على حافة غابة قرب بحيرة دودسجون في مايدالن. لم تستبعد الشرطة مسألة "العمل الإجرامي"، لكنها لم تكشف أي تفاصيل حول سبب الوفاة.

مسحت عينا هاري المقالة لتجعلاه يدرك أن السبب وراء صمت الشرطة هو المعتاد: إنهم لا يملكون أي أدلة، والرادار يتصفح بحراً مفتوحاً من العدم.

جريمتان فقط؛ إلا أن هاغن بدا واثقاً جداً من حقايقه عندما قال إن هذا قاتل بالتسلسل. فما هو الرابط إذاً؟ ما هو الشيء الذي لم تقله الصحافة؟ أحسّ هاري أن دماغه بدأ يتبع المسارات القديمة المألوفة. لعن نفسه على عدم قدرته على كبح نفسه واستمر في قلب الجرائد.

عندما فرغ إبريق القهوة الفولاذي، ترك ورقة نقدية مجمدة على الطاولة، وخرج إلى الشارع. شدّ معطفه حوله ونظر إلى السماء الرمادية.

أوقف سيارة أجرة فارغة توقفت عند حافة الطريق. انحنى السائق عبر السيارة وانفتح الباب الخلفي. إنها خدعة نادرًا ما تراها هذه الأيام، خدعة قرر هاري أن يكافئها ببقتيش. ليس فقط لأنه يستطيع الدخول مباشرة إلى السيارة، وإنما لأن النافذة في الباب عكست وجهاً وراء مقود سيارة مركونة مباشرة خلف هاري.

قال هاري: "مستشفى ريكس". وجلس وسط المقعد الخلفي. قال السائق: "حاضر".

تأمل هاري المرأة العاكسة للمشهد الخلفي فيما انطلقت السيارة. "أوه، هل يمكنك الذهاب إلى الشقة رقم 5 في صوفيز أولاً من فضلك؟".

أمام شقة صوفيز، انتظرت سيارة الأجرة، وطقطق محرك الديزل، فيما صعد هاري السلالم بخطوات طويلة وسريعة وقيّم دماغه مجموعة الاحتمالات الممكنة. منظمة

الترديد؟ هيرمان كلوت؟ أو إنه رهاب قديم. لا تزال العدة حيث تركها قبل السفر، في علبة الأدوات في خزانة الطعام؛ البطاقة المهنية القديمة منتهية الصلاحية، ومجموعتان من الأغلال مع ذراع محملة بالنوابض للتغليل السريع. ومسدس الخدمة، من عيار 0.38 ماركة سميث إند ويسون.

عند العودة إلى الشارع، لم ينظر يساراً ولا يميناً، وإنما قفز مباشرة إلى سيارة الأجرة.

سأل السائق: "مستشفى ريكس؟".

أجاب هاري: "انطلق في ذلك الاتجاه في أي حال". وتأمل المرأة فيما انعطفا صعوداً إلى ستنسيرغاتا ومن ثم إلى أولفالسفين. لم يرَ أي شيء. ما يعني أمراً واحداً من اثنين: إنه رهاب قديم، أو إنَّ الرجل محترف جداً. تردد هاري، ثم قال أخيراً: "مستشفى ريكس".

استمر في مراقبة المرأة أثناء مرورهما أمام دار عبادة فيستر أكر ومستشفى أولفال. مهما فعل، لا يفترض به أن يقودهم مباشرة إلى نقطة ضعفه؛ حيث سيحاولون الضرب دوماً؛ العائلة.

يقع أكبر مستشفى في البلاد عالياً فوق المدينة.

دفع هاري الأجرة للسائق الذي شكره على البقشيش، وكرر الخدعة مع الباب الخلفي.

ارتفعت واجهات المباني أمام هاري، وبدت الغيوم المنخفضة وكأنها تتلعب السقوف.

أخذ نفساً عميقاً.

كانت ابتسامة أولاف هول المستلقي فوق وسادة المستشفى رقيقة وضعيفة جداً، حيث توجب على هاري السيطرة على نفسه.

أجاب هاري: "كنت في هونغ كونغ. توجب عليّ التفكير في شيء ما".
"وهل أنهيت؟".

هزَّ هاري كتفه. "ماذا يقول الأطباء؟".

"أقل شيء ممكن. بالكاد يوجد دليل جيد، لكنني لاحظت أنني أفضل الأمر هكذا. فمواجهة حقائق الحياة - مثلما تعلم - لم تكن يوماً نقطة القوة في عائلتنا".
تساءل هاري عما إذا كانا سيتحدثان عن أمه، وأمل ألا يحصل ذلك.

"هل حصلت على وظيفة؟".

هَز هاري رأسه. انسدل شعر والده فوق جبينه، وكان مرتباً وأبيض جداً لدرجة أن هاري افترض أنه ليس شعره، وإنما تم تسليمه إياه مع البيجاما والخف. قال والده: "لا شيء؟".

"تلقيت عرضاً لإلقاء محاضرات في أكاديمية للشرطة".

إنها الحقيقة تقريباً. فقد عرض عليه هاغن ذلك بعد قضية رجل الثلج؛ بمثابة نوع من الإجازة.

"أستاذ!". قهقه والده بحذر، كما لو أن أي جهد إضافي سيكون النهاية بالنسبة إليه. "ظننت أن أحد مبادئك كان عدم القيام بأي شيء قمت به أنا".
"لم يكن يوماً هكذا".

"حسناً. لطالما فعلت الأمور بطريقتك الخاصة. مسألة الشرطة هذه... حسناً، أعتقد أنه يجدر بي أن أكون ممتناً لأنك لم تفعل ما فعلته. لست نموذجاً يحتذى به لأي كان. تعرف أنه بعدما ماتت أمك...".

مضت عشرون دقيقة على جلوس هاري في غرفة المستشفى البيضاء، وبات يشعر بحاجة ملحة إلى الهروب.

"بعدما ماتت أمك، كافحت لجعل أي شيء مفهوماً. انعزلت في قوقعتي، ولم أجد الفرح في صحبة أي كان. بدا وكأن الوحدة قد قرّبتني منها أكثر، أو هكذا اعتقدت. لكنه خطأ، هاري". كانت ابتسامة والده رقيقة. "أعرف أن خسارة راكيل قد أصابتك في الصميم، لكن لا يجدر بك تكرار ما فعلته أنا. لا يجدر بك الاختباء هاري. لا يجدر بك إقفال الباب ورمي المفتاح بعيداً".

نظر هاري إلى يديه، وأوماً برأسه، وشعر بالخدر يزحف في كل جسمه. عليه فعل شيء ما؛ أي شيء.

دخل ممرض، وعرف عن نفسه بأنه ألتمان، ورفع حقنة إلى الأعلى وقال، بلثغة خفيفة، إنه سيعطي "أولاف" شيئاً لمساعدته على النوم. شعر هاري برغبة في سؤاله إذا كان يملك شيئاً له أيضاً.

استلقى والده على جانبه، وترهلت بشرة وجهه. بدا عجوزاً أكثر مما كان يبدو عندما استلقى على ظهره. حدّق في هاري بعينين ثقيلتين وفارغتين.
وقف هاري فجأة، حيث إن قوائم الكرسي كشطت الأرض بصوت عالٍ.
سأل أولاف: "إلى أين أنت ذاهب؟".

قال هاري: "سأخرج لتدخين سيجارة. لن أغيب طويلاً".

جلس هاري على حافة حجرية منخفضة تطل على مرأب السيارات، وأشعل سيجارة كاميل. في الجهة الأخرى من الطريق السريع، استطاع رؤية بليندرن ومباني الجامعة حيث درس والده. هناك جرى التوكيد بأن الأبناء يصبحون دوماً - لدرجة معينة - نماذج متكررين عن آبائهم، وأن تجربة كسر الحلقة ليست سوى وهم؛ لقد عدت؛ جاذبية الدم لم تكن فقط أقوى من إرادتك، وإنما كانت إرادتك. بالنسبة إلى هاري، لطالما بدا له أنه دليل على العكس. لكن، لماذا كانت رؤية وجه والده المنهك على الوسادة أشبه بالنظر إلى مرآة؟ والإصغاء له وهو يتحدث أشبه بسماع الذات؟ سماعه يفكر، الكلمات... مثل مثقب طبيب الأسنان الذي وجد أعصاب هاري بدقة لا مثيل لها؛ لأنه نسخة طبق الأصل. اللعنة! وجدت عينا هاري الباحثان سيارة كورولا بيضاء في مرأب السيارات.

دوماً أبيض، ذلك اللون الأكثر غفلية. لون سيارة الكورولا خارج مقهى شرودر، ولون السيارة التي كان يقودها وجه ما؛ ذلك الوجه نفسه الذي كان يحدق فيه بعينين ضيقتين منحرفتين قبل أقل من أربع وعشرين ساعة.

رمى هاري سيجارته وأسرع إلى الداخل. أبطأ سرعته عندما دخل الرواق المؤدي إلى غرفة والده. انعطف حيث يتسع الرواق إلى قاعة انتظار مفتوحة، وادعى أنه يفتش في كومة مجلات على الطاولة، فيما مسح الأشخاص الجالسين هناك من زاوية عينه. لقد أخفى الرجل نفسه وراء نسخة من جريدة ليرال.

أخذ هاري مجلة سي أوغ هور الفنية مع صورة للين غالتونغ وخطيبها، ثم غادر. كان أولاف هول مستلقياً مغمض العينين. انحنى هاري ووضع أذنه قرب فم أولاف. كان يتنفس بشكل خفيف جداً؛ لدرجة أن أنفاسه بالكاد كانت مسموعة؛ لكن هاري أحسّ بتيار هواء على وجته.

جلس لبرهة على الكرسي قرب السرير يراقب والده، فيما استرجع عقله ذكريات طفولية بعشوائية، ومن دون أي موضوع رئيس مشترك بينها سوى أنها الأشياء التي يتذكرها بوضوح.

ثم وضع الكرسي قرب الباب الذي فتحه قليلاً، وانتظر.

مضت نصف ساعة قبل أن يرى الرجل آتياً من قاعة الانتظار وماشياً في الرواق. لاحظ هاري أن الرجل القصير وقوي البنية كان مقوس الساقين بطريقة غير طبيعية. وبدا

وكانه يمشي مع كرة شاطئ عالقة بين ركبتيه. ثم فتح باباً وضعت عليه الإشارة العالمية لحمامات الرجال، وشدّ حزامه إلى الأعلى؛ كما لو أن شيئاً ثقيلاً يتدلى منه، ودخل. نهض هاري ولحق به.

وقف خارج الحمام وتنفس بعمق. مضى وقت طويل. ثم دفع الباب لفتحه ودخل. كان الحمام كما في كل المستشفيات؛ نظيفاً، ومرتباً، وكبيراً جداً. على الجدار الرئيس، اصطفت ستة أبواب حجيرات، لكن أيّاً منها لم يكشف عن مربع أحمر فوق القفل. على الجدار القصير أربع مغاسل، وعلى الجدار الآخر الطويل أربع مبولات من البورسلين على ارتفاع الورك. كان الرجل واقفاً أمام مبولة، وقد أدار ظهره إلى هاري. على الجدار فوقه امتدّ أنبوب أفقي. بدا صلباً؛ صلباً كفاية. أخرج هاري مسدسه وزوج الأغلال. الآداب الدولية في حمامات الرجال تقضي بعدم نظر الأشخاص إلى بعضهم أثناء قضاء الحاجة؛ فالتقاء النظرات، ولو عن غير قصد، سبب للقتل. وفق تلك الأصول، لم يلتفت الرجل للنظر إلى هاري. ولا حتى عندما أقفل هاري الباب الخارجي بعناية فائقة، ولا حين مشى صوبه ببطء، ولا حين وضع فوهة المسدس على لفافة الدهن بين عنق الرجل ورأسه، وهمس له بما كان زميل له يقول إنه يجدر السماح لكل رجال الشرطة بقوله؛ ولو مرة واحدة في مهنتهم: "تجمد".

فعل الرجل ذلك بالضبط. لاحظ هاري الشعريرة على لفافة الدهن فيما تصلب الرجل.

"ارفع يديك إلى الأعلى".

رفع الرجل ذراعين قصيرتين وقويتين فوق رأسه. انحنى هاري إلى الأمام، وأدرك في تلك اللحظة أن ذلك كان خطأ كبيراً. فسرعة الرجل خاطفة للأنفاس. عرف هاري من الساعات التي أمضاها وهو يتمرن على تقنيات القتال اليدوي أن كيفية تلقي الضرب مهمة بقدر توجيه الضربة. ويقضي فن القتال بجعل العضلات مسترخية، والإدراك أنه لا يمكن تفادي العقاب، وإنما فقط التخفيف من وطأته. لذا، عندما استدار الرجل حول نفسه، ورفع ركبته - بمرونة فائقة مثل الراقص - تمثلت ردة فعل هاري في اللحاق بالحركة. لذا، حرّك جسمه بالاتجاه نفسه للركلة. أصابته القدم مباشرة فوق الورك، ففقد توازنه، وسقط وانزلق على الأرضية المبلّطة إلى أن أصبح خارج مرمى الرجل. بقي هناك، وتنهد ونظر إلى السقف، فيما أخرج علبة سجائره، ووضع سيجارة في فمه. قال هاري: "إنها السرعة في وضع الأغلال. تعلمت ذلك خلال العام الذي تلقيت فيه دورة تدريبية في الأف بي آي في شيكاغو. في كابرني غرين، الضرب هو

الأساس. بالنسبة إلى رجل أبيض، لم يكن لدي أي شيء للقيام به في السهرات إلا إذا أردت الخروج وتعريض نفسي للسرقة. لذا، كنت أبقى في المنزل وأتدرب على شيئين. تحميل مسدس الخدمة بالطلقات وإفراغه بأسرع ما يمكنني في العتمة، ووضع الأغلال بسرعة على قائمة طاولة".

نهض هاري مستعيناً بمرفقيه.

كان الرجل لا يزال واقفاً وذراعه القصيرتان ممددتان فوق رأسه. كان معصماه مقيدتين بالأغلال على جانبي الأنبوب الحديدي. حدق في هاري من دون أي تعبير. سأله هاري بالإنكليزية: "هل أرسلك السيد كلوت؟".

استمر الرجل في النظر إلى هاري من دون أن يطرف له جفن.

"أهي منظمة الترياد؟ لقد سددت ديوني، ألم تعرف؟". تأمل هاري وجه الرجل الخالي من أي تعابير. ملامحه قد تكون آسيوية، لكنه لا يملك وجهاً صينياً أو بشرة منغولية ربما! "ما الذي تريده مني؟".

لا جواب. الخبر السيئ هو أن الرجل لم يأت على الأرجح للاستفسار عن أي شيء، وإنما لفعل شيء ما.

وقف هاري، ومشى في نصف دائرة حيث يستطيع الاقتراب منه من الجانب. وضع المسدس على صدغ الرجل، فيما أدخل يده اليسرى تحت سترة بذلة الرجل. مرر يده فوق الفولاذ البارد لسلاح، ثم عثر على محفظة فأخرجها. تراجع هاري ثلاث خطوات إلى الخلف.

"دعنا نرى... سيد جوسي كولكا". رفع هاري بطاقة أميركان أكسبرس إلى الضوء. "فنلندي؟ أفترض أنك تعرف اللغة النرويجية إذا؟".

لا جواب.

"كنت شرطياً، أليس كذلك؟ عندما رأيتك في قاعة الوصول في مطار غاردموين، ظننت أنك شرطي متخفّف. كيف عرفت أنني مسافر في تلك الرحلة تحديداً، جوسي؟ لا بأس إذا ناديتك جوسي، أليس كذلك؟".

سُمع صوت يصدر من حلق الرجل قبل أن يطير البُصاق في الهواء، ويدور حول نفسه، ثم يحطّ على صدر هاري.

نظر هاري إلى قميصه القطني. لقد رسم البُصاق الأسود خطأً مائلاً عبر حرف "O" الثاني على قميصه؛ حيث باتت العبارة تبدو الآن "Snow Patrol" أو شرطي الثلج. قال هاري: "تفهم إذا اللغة النرويجية. لصالح من تعمل يا جوسي؟ وماذا تريد؟".

لم تتحرك أي عضلة في وجه جوسي. ثمة شخص هزّ مقبض الباب من الخارج، وشتّم ثم ذهب بعيداً.

تنهد هاري، ثم رفع مسدسه إلى أن أصبح على مستوى جبين الرجل الفنلندي ولقّمه.

"قد تفترض يا جوسي أنني إنسان طبيعي عاقل. حسناً، هذه هي عقلانيتي. والذي مستلقٍ بعجز في فراشه هناك. لقد اكتشفت الأمر، وهذا يضعني أمام مشكلة؛ ثمة طريقة واحدة لحلها. لحسن الحظ، إنك مسلّح، حيث أستطيع إخبار الشرطة أن الأمر كان دفاعاً عن النفس."

أرجع هاري الزند إلى الخلف أكثر فأكثر، وأحسّ بالغثيان المألوف.
"كريوس".

أوقف هاري الزناد. "كرر".

همس بالسويدية، مع اللكنة الفنلندية التي يحبها معدّو الخطابات في حفلات الزفاف النرويجية: "أنا في كريوس".

حدّق هاري في الرجل. لم يشك لثانية واحدة في أنه لا يقول الحقيقة. إلا أن الأمر غير مفهوم البتة.

أضاف الفنلندي بغضب شديد: "في محفظتي". ولكن من دون السماح للغضب الذي في صوته بالوصول إلى عينيه.

فتح هاري المحفظة وتحقق من داخلها. أخرج بطاقة تعريف مصفّحة. لا يوجد الكثير من المعلومات فيها، وإنما كانت كافية وملائمة. فالرجل الواقف أمام هاري يعمل لصالح Krimpolitisen centralen، أو كريوس باختصار، أي قسم الجرائم المركزي في أوصلو الذي يساعد في التحقيقات في الجرائم التي تؤثر في البلاد بأكملها؛ لا بل يقودها عادة.

"ما الذي تريده مني منظمة كريوس؟".

"اسأل بيلمان".

"من هو بيلمان؟".

تمتم الرجل الفنلندي مصدراً صوتاً. يصعب تحديد ما إذا كان ضحكاً أو سعالاً.
"رئيس قسم الشرطة بيلمان أيها الأخرق المسكين. رئيسي. والآن دعني أذهب أيها الوسيم".

قال هاري وهو يتأمل البطاقة مجدداً: "اللعة، اللعة، اللعة". أوقع المحفظة

على الأرض وتوجه إلى الباب.

"هاي! هاي!"

اختفت أصوات الرجل الفنلندي فيما انغلق الباب خلف هاري وسار في الرواق متوجهاً إلى المخرج. الممرض الذي رآه مع والده كان آتياً في الاتجاه المعاكس، وأوماً له مع ابتسامة عندما أصبحا قريبين كفاية من بعضهما. رمى هاري المفتاح الصغير الخاص بالأغلال في الهواء.

"ثمة ضوء إنذار في حمامات الرجال أتمان".

بطريقة فطرية، التقط الممرض المفتاح بكلتا يديه. أحسّ هاري بالدهشة والفم المفتوح خلفه إلى أن أصبح خارج باب المستشفى.

الغوص

إنها الساعة العاشرة وخمس وأربعون دقيقة ليلاً. الحرارة تسع درجات مئوية، وتذكرت ماريت أولسن أن مذبذب الطقس قال إن الطقس سيكون أكثر لطافة غداً. في فروغتر بارك، لا يمكن رؤية أي شخص. ثمة شيء في حوض السباحة العام جعلها تفكر في السفن العاطلة عن العمل، وفي قرى الصيد المهجورة، والرياح العاصفة عبر جدران المنزل، وأرض المعارض غير المستخدمة حالياً. ذكريات مجزأة من طفولتها. مثل الصيادين الغرقى الذين طاردوا طرائدهم في منطقة ترونهولمن، والذين ظهروا من البحر ليلاً، مع طحالب بحرية في شعرهم وأسماك في أفواههم ومناجرهم. أشباح من دون نفس، وإنما يستطيعون إصدار صيحات باردة وجشاء. الموتى مع أطرافهم المتورمة، والمتدللية على الأغصان والمفتولة بصوت عنيف. ترونهولمن حيث عاش الجد والجددة، وحيث استلقت هي أيضاً في غرفة الأولاد. تنفست ماريت أولسن، استمرت في التنفس.

هناك في الأسفل، لا يزال الهواء ساكناً، لكن هنا في أعلى منصة الغوص البالغ ارتفاعها عشرة أمتار، يمكنك الإحساس بالهواء يتحرك. أحست ماريت بنبضها يخفق بقوة في صدغيها، وفي حنجرتها، وفي ملتقى فخذيهما، وبالدم يتدفق بقوة في كل طرف من أطرافها، لمنحها الحياة؛ الحياة رائعة. العيش. كاد نفسها ينقطع بعدما تسلقت كل سلالم البرج، وأحسّت بقلبها - تلك العضلة الوفية والمخلصة - ينبض بجنون. حدقت في حوض السباحة الفارغ تحتها الذي منحه ضوء القمر لمعاناً أزرق غير طبيعي. في البعيد، في نهاية حوض السباحة، استطاعت رؤية الساعة الكبيرة. توقفت اليد عند الساعة العاشرة وخمس دقائق. تجمد الوقت. استطاعت سماع المدينة، ورؤية أضواء السيارات في كيركافاين؛ قريبة جداً، وإنما بعيدة جداً في الوقت نفسه. بعيدة جداً ليستطيع أي كان سماعها.

كانت تتنفس، وإنما باتت ميتة. ثمة جبل سميك مثل جبل السفينة ملتف حول عنقها، واستطاعت سماع طيور النورس تصرخ، الأشباح التي ستنضم إليها قريباً. إلا أنها

لا تفكر في الموت. كانت تفكر في الحياة، وكم أحببت العيش. تفكر في كل الأشياء الصغيرة، والأشياء الكبيرة التي أحببت القيام بها. أحببت السفر إلى بلدان لم ترها، ومشاهدة أولاد إختوتها وبناتهم وهم يكبرون، ومشاهدة العالم نفسه يعود إلى رصده. كانت سكيناً. لمع النصل تحت الضوء المنبعث من مصباح الشارع، وتم وضعه على حنجرتها. يقال إن الخوف يطلق الطاقة. ولكن، ليس في حالتها؛ فقد سرق كل طاقتها، وحرمها من قوة التصرف. ففكرة انغراز الفولاذ في لحمها حولتها إلى كومة عاجزة ومرتجفة. لذا، حين طلب منها التسلق فوق الجدار، لم تستطع فعل ذلك، وانهارت على الأرض، واستلقت هناك مثل كيس قماشى منتفخ، والدموع تنهمر على وجنتيها؛ لأنها عرفت ماذا سيحصل. سوف تفعل أي شيء بوسعها كي لا يتم ذبحها، وعرفت أنها لن تتمكن من الحؤول دون ذلك. لأنها أرادت العيش بشدة؛ بضع سنوات إضافية، بضع دقائق إضافية. إنها العقلانية العمياء المجنونة نفسها التي تسيطر على الجميع.

بدأت تشرح أنها لا تستطيع التسلق، ونسيت أنه طلب منها إبقاء فمها مغلقاً. دخلت السكين بالتواء في لحمها مثل الأفعى، وشطرت فمها، ثم برمت داخله، وانسحقت على أسنانها قبل أن يتم إخراجها. تفجر الدم دفعة واحدة. همس الصوت شيئاً خلف القناع، ودفعها للتقدم نحو السور؛ إلى مكان في الشجيرات حيث تم دفعها عبر فجوة في السور.

ابتلعت ماريت أولسن الدم الذي استمر في ملء فمها، ونظرت إلى مقاعد المشاهدين تحتها. هي أيضاً كانت مضاءة بنور القمر الأزرق. كانت فارغة جداً. إنها قاعة محكمة من دون جمهور أو هيئة تحكيم؛ وإنما فقط مع قاضي. إعدام من دون جماهير، وإنما فقط منفذ الإعدام. ظهور أخير أمام العلن لا يعتبره أي كان يستحق العناء. صعقت ماريت حين أدركت أنها تفتقد إلى الإغراء في الموت كما في الحياة. والآن، لا تستطيع التكلم أيضاً.

"اقفزي".

لاحظت كم تبدو الحديقة العامة جميلة؛ حتى الآن في الشتاء. وتمنت لو أن الساعة في نهاية حوض السباحة تعمل كما يجب لتتمكن من رؤية لحظات الحياة التي تسرقها.

كرر الصوت: "اقفزي". لا بد أنه أزال القناع، لأن صوته تغير، وتعرفت إليه لأن برمت رأسها وحدقت إليه بذهول، ثم أحسّت بقدم على ظهرها. صرخت. لم

تعد هناك أرض صلبة تحت قدميها. وفي لحظة مجنونة، أصبحت عديمة الوزن. لكن الجاذبية سحبتها إلى الأسفل، وتسارع جسمها، ولاحظت أن البورسلين الأبيض الممزق في حوض السباحة يتجه بسرعة صوبها، ليحطمها إلى أجزاء.

على مسافة ثلاثة أمتار فوق قعر حوض السباحة، التف الحبل بإحكام حول عنق ماريت أولسن وحنجرتها. كان الحبل قديم الطراز، ومصنوعاً من خشب الزيزفون وخشب الدردار، ويفتقد إلى أي مرونة. لم يكن جسد ماريت أولسن واضحاً بأي شكل من الأشكال، فقد أفلت نفسه عن الرأس وارتطم بقاعدة حوض السباحة بصوت مكتوم. بقي الرأس والعنق في الحبل. لا يوجد الكثير من الدم. ثم انحنى الرأس إلى الأمام، وأفلت من العقدة، ووقع على البذلة الرياضية الزرقاء لماريت أولسن، ثم تدرج على الأرضية مصدراً صوت قعقة. ثم أصبح حوض السباحة هادئاً مجدداً.

القسم الثاني

رسائل تذكير

عند الساعة الثالثة من بعد منتصف الليل، تخلى هاري عن محاولاته في النوم ونهض. أدار الصنبور في المطبخ ووضع كأساً زجاجية تحته، وتركها إلى أن تدفق الماء منها وسال على معصمه، وكان بارداً. ألمه فكه، وتسمر انتباهه على صورتين فوتوغرافيتين معلقتين فوق مجلى المطبخ.

الأولى، مع بعض الطيات المشوهة للصورة، تظهر راكيل في فستان صيفي باللون الأزرق الفاتح. لكنه ليس الصيف، لأن الأوراق خلفها كانت خريفية. انسدل شعرها البني الداكن على كتفيها العاريتين، وبدت عيناها وكأنهما تفتشان عن شيء ما وراء العدسة؛ عن المصور ربما. هل هو من التقط هذه الصورة؟ غريب أنه لا يستطيع التذكر. الصورة الأخرى لأوليغ. تم التقاطها بواسطة كاميرا الهاتف الخليوي الخاص بهاري في حلبة تزلج فالي هوفن خلال جلسة تدريبية الشتاء الماضي. في ذلك الوقت، كان فتى يافعاً، لكنه لو تابع تدريبه لكانت بشرته الحمراء قد أصبحت حتماً أكثر امتلاء. ماذا يفعل الآن؟ أين هو؟ هل تدبرت راكيل أمرها في إنشاء منزل لهما حيث هما؛ منزل يشعرهما بالأمان أكثر من ذلك الذي امتلكاه في أوسلو؟ هل هناك أشخاص جدد في حياتها؟ عندما يتعب أوليغ، أو يفقد التركيز، هل ما زال يقول عن هاري إنه "بابا"؟ أفل هاري الصنبور. أحسّ بباب الخزانة يضغط على ركبتيه. كان الشراب يهمس باسمه من الداخل.

ارتدى هاري سروالاً وقميصاً قطنياً، وتوجه إلى غرفة الجلوس وأدار أسطوانة "نوع من الحنين" للموسيقي مايلز دايفيس. إنها النسخة الأصلية؛ تلك التي لم يلاحظوا في الاستوديو أن البكرة تدور عليها ببطء قليلاً، فجاء التسجيل كله انزاحاً للحقيقة. استمع قليلاً إلى الموسيقى قبل أن يرفع الصوت ليخفي الهمس الآتي من المطبخ. أغمض عينيه.

كريبوس. بيلمان.

لم يسمع من قبل بهذا الاسم. يستطيع طبعاً الاتصال بهاغن والاستفسار منه،

لكنه لا يريد إزعاج نفسه؛ لأنه أحس أنه يعرف حقيقة الأمر. ومن الأفضل عدم إثارة المشاكل.

وصل هاري إلى المعزوفة الأخيرة، "مسودات فلانكو"، ثم أوقف الأسطوانة. وقف على قدميه، وغادر غرفة الجلوس متجهاً إلى المطبخ. في الرواق، استدار إلى اليسار، وظهر وهو يتتعل جزمة دوک مارتنز ثم خرج. عثر عليه تحت كيس مشقوق. ثمة شيء شبيه بحساء البازيلاء الجاف التصق بالجهة الأمامية للملف.

عاد إلى غرفة الجلوس، وجلس على الكرسي الأخضر عالي الظهر وبدأ بقراءة الملف مرتعشاً.

المرأة الأولى هي بورغني ستيم ميهر، عمرها ثلاثة وثلاثون عاماً، أصلها من ليفانجر في الشمال. كانت عازبة، من دون أولاد، ومقيمة في ساغيني في أوصلو. عملت مزينة شعر، ولديها عدد كبير من المعارف؛ خصوصاً بين مزيبي الشعر والمصورين الفوتوغرافيين والأشخاص العاملين في صحافة الموضة. كانت تتراد مطاعم عدة في أوصلو، وليس فقط الأكثر شهرة بينها. بالإضافة إلى ذلك، كانت تحب الهواء الطلق وتحب المشي أو التزلج في الجبال.

"يمكنك إخراج المرأة من ليفانجر، لكنك لا تستطيع إخراج ليفانجر من المرأة". كانت هذه هي الخلاصة الإجمالية للمقابلات التي أجريت مع زملائها. افترض هاري أن هذا الاستنتاج آت من زملاء نجحوا في محو ذكريات ترعرعهم في قرى صغيرة. "أحبيناها كلنا. في هذا المجال من العمل، كانت واحدة من القلائل الصادقين". "هذا غير منطقي. لا يمكننا أن نفهم سبب رغبة أي كان في القضاء على حياتها". "كانت لطيفة جداً. ودائماً، استغلها الرجال الذين تعرفت إليهم. أصبحت دمية بالنسبة إليهم. طمحت إلى الكثير، وهذه هي المشكلة أساساً".

تأمل هاري صورتها. واحدة في الملف تظهرها عندما كانت لا تزال حية. شقراء، وإنما بطريقة مصطنعة ربما. طلة رياضية، من دون جمال جلي، لكنها ارتدت ثيابها بذكاء، واختارت سترة عسكرية وقبعة أفريقية. أسلوب ملابس ذكي ولطافة كبيرة؛ هل يتناغمان معاً؟

ذهبت إلى مطعم مونو لحضور حفل الإطلاق الشهري لمجلة الموضة "شينيس". كان ذلك بين الساعة السابعة والثامنة، وأخبرت بورغني صديقة وزميلة لها أنها ستعود إلى المنزل للتحضير لجلسة تصوير في اليوم التالي، والتي أراد المصور الفوتوغرافي

أن تحمل عنوان "لقاء الأدغال في الثمانينيات".

افترضوا أنها توجهت إلى أقرب محطة تاكسي، لكن أياً من سائقي سيارات الأجرة في المنطقة المجاورة في ذلك الوقت (ثمة لوائح مرفقة من نورجستاكسي وأوسلو تاكسي) لم يستطع التعرف إلى صورة بورغني ستيم ميهر أو يقل إنه أوصلها إلى ساغيني. باختصار، لم يرها أحد بعدما غادرت مونو؛ إلى أن جاء عاملاً بناء بولنديان إلى عملهما، ولاحظا أنه تم نزع القفل من الباب المعدني للملجأ، فدخلا. كانت بورغني مستلقية وسط المكان، في وضعية ملتوية وكل ملابسها عليها.

تأمل هاري الصورة. السترة العسكرية نفسها. بدا الوجه وكأنه مغطى بكريم أساس أبيض. ألقى ضوء الكاميرا ظلالاً حادة على حائط الغرفة. جلسة تصويرية. يا له من ذكاء!

قال الطبيب الشرعي إن بورغني ستيم ميهر ماتت بين الساعة العاشرة والحادية عشرة من تلك الليلة. تم العثور على آثار لمخدر كيتانوم في دمها، وهو مخدر قوي يعمل بسرعة كبيرة عند حقنه عبر العضلات. إلا أن السبب المباشر للموت هو غرقها في دمائها، نتيجة الدم المتدفق من الجروح في الفم. وهنا برزت العناصر الأكثر غرابة. فقد عثر الطبيب الشرعي على أربع وعشرين طعنة في الفم، موزعة بطريقة متماثلة، وفي العمق نفسه، سبعة سنتيمترات، تلك التي لم تخترق الوجه. إلا أن الشرطة لم تتمكن من معرفة السلاح أو الشيء الذي تم استعماله. فرجال الشرطة لم يروا ببساطة أي شيء مثل هذا من قبل. ولا توجد أي أدلة جنائية على الإطلاق: لا بصمات ولا حمض نووي، ولا حتى آثار حذاء أو جزمة، لأن الأرض الإسمنتية تم تنظيفها في اليوم السابق استعداداً لتركيب كابلات التدفئة وتغطية الأرضية. وفي التقرير الذي أعده كيم إريك لوكر، شرطي قضائي تم تعيينه على الأرجح بعد هاري، ثمة صورة فوتوغرافية لخصاتين باللون الرمادي-الأسود تم العثور عليهما على الأرضية، ولا تنتميان إلى الحصى الموجودة حول ساحة الجريمة. أشار لوكر إلى أن الحصى الصغيرة تعلق غالباً في الجزئات المطاطية السميكة، وتفلت منها عند انتعال الجزمات فوق أرضية أكثر صلابة؛ تماماً مثل هذه الأرضية الإسمنتية. بالإضافة إلى ذلك، كانت هاتان الحصاتان غريبتين جداً؛ حيث إذا ظهرتنا لاحقاً في التحقيق - كما في ممشى من الحصى مثلاً - فمن الممكن العثور على حصى أخرى مطابقة لهما. ثمة إضافة واحدة إلى التقرير بعدما جرى توقيعه وتأريخه: تم العثور على آثار صغيرة من الحديد والطنطاليت على ضرسين.

استطاع هاري استنتاج ما حصل. قلب صفحات الملف.

اسم المرأة الأخرى شارلوت لوليس. والد فرنسي، أم نرويجية. تسكن في لامبرتستر، في أوصلو. عمرها تسعة وعشرون عاماً. وكانت محامية بارعة. تعيش وحدها، لكنها تملك صديقاً: إريك فوكستاد، الذي تم إخراجها بسرعة من دائرة الاتهام. فقد كان يشارك في مؤتمر جيولوجيا في "يلو ستون ناشونال بارك" في وايومينغ، الولايات المتحدة. كان يفترض بشارلوت أن تنضم إليه، لكنها فضلت الاهتمام بنزاع على ملكية كانت تعمل عليه.

رأها زملاؤها للمرة الأخيرة في المكتب ليلة الاثنين قرابة الساعة التاسعة. لم تعد إلى المنزل مطلقاً على الأرجح. تم العثور على حقيبة مستنداتها قرب جثتها خلف السيارة المهجورة عند الغابة في ماريدالن. بالإضافة إلى ذلك، تم إقصاء كلا الطرفين في النزاع على الملكية من دائرة الاتهام. وأشار التقرير الذي تلا تشريح الجثة إلى وجود آثار للطلاء والصدأ تحت أظافر شارلوت لوليس؛ مما يتطابق مع تقرير مسرح الجريمة الذي ذكر وجود آثار كشط حول قفل صندوق السيارة، كما لو أنها كانت تحاول فتحه. وأظهر الفحص الدقيق للقفل أنه تم فتحه مرة واحدة على الأقل. لكن ليس من قبل شارلوت لوليس على الأرجح. كَوّن هاري صورة لها في ذهنه وهي مكبلة بشيء ومحبوس داخل الصندوق، وتصوّر أنها لهذا السبب كانت تحاول فتحه. للتخلص من ذلك الشيء الذي أخذه القاتل معه بعد ذلك. لكن، ما هو؟ وكيف؟ ولماذا؟

تقارير المقابلة التي أجريت مع زميلة لها في مكتب المحاماة اشتملت على عبارة: "كانت شارلوت إنسانة طموحة، وعملت دوماً حتى ساعات متأخرة. كانت دوماً لطيفة، وإنما غير منفتحة بقدر ما توحى به ابتساماتها ومظهرها المتوسطي. كانت منظوية على نفسها مبدئياً. لم تتحدث عن صديقها مطلقاً، مثلاً. لكن مدرائي أحبوا كثيراً".

تخيل هاري الزميلة التي تقدم معلومة تلو الأخرى عن صديقها، من دون أن تحصل في المقابل على أكثر من ابتسامة من شارلوت. دماغه الاستقصائي بات يعمل بمفرده الآن: لقد منعت شارلوت نفسها ربما من التقرب كثيراً من ريفقاتها، إذ كان لديها شيء لتخفيه ربما. ربما...

تأمل هاري الصور الفوتوغرافية. قسما قاسية وإنما جذابة. عينان داكتان، بدت مثل... اللعنة! أغمض عينيه، ثم فتحهما مجدداً. تصفح تقرير الطبيب الشرعي، وقرأ المستندات.

توجب عليه التحقق من اسم شارلوت في الأعلى للتأكد من أنه لا يقرأ التقرير

الخاص ببورغني للمرة الثانية. مادة مخدرة. أربع وعشرون طعنة في الفم. غرق في الدماء. لا توجد آثار عنف خارجي، ولا علامات تشير إلى اعتداء جنسي. الفرق الوحيد هو أن الوفاة حصلت بين الساعة الحادية عشرة ومنتصف الليل. إلا أن هذا التقرير اشتمل على ملاحظة إضافية أيضاً تتعلق بالعثور على آثار للحديد والطنطاليت على أسنان الضحية. يعزى ذلك على الأرجح إلى إدراك كريمتكنيسك لاحقاً أن الملاحظة قد تكون مفيدة لأنها موجودة عند كلتا الضحيتين. طنطاليت. ألم يكن المبيد (Terminator) لسوارزنيغر مصنوعاً من هذه المادة؟

أدرك هاري أنه بات مستيقظاً تماماً الآن، ووجد نفسه يجلس على حافة الكرسي. أحسّ بالإثارة، وبالحماسة، والغثيان. تماماً كما حصل عندما تناول الكأس الأولى؛ تلك التي جعلت معدته تنقلب، تلك التي رفضها جسمه بشدة. وبعد فترة وجيزة، بات يطلب المزيد، المزيد والمزيد. إلى أن دمّر الشراب ودمّر كل من حوله. والآن يحصل الشيء نفسه. وقف هاري بسرعة كبيرة لدرجة أنه شعر بالدوار، وأمسك بالملف، وأدرك جيداً أنه سميك جداً، لكنه نجح رغم ذلك في تمزيقه إلى جزئين.

لملم قصاصات الورق وأعادها إلى مستوعب النفايات. تركها تتساقط على الجانب ورفع الأكياس فوقها؛ حيث انزلت القصاصات مباشرة إلى الأسفل؛ إلى القعر. أمل في أن تمرّ شاحنة النفايات غداً أو في اليوم الذي بعده.

عاد هاري إلى منزله، وجلس على الكرسي الأخضر. وفيما اختفى الليل وتحول إلى اللون الرمادي، سمع الأصوات الأولى لمدينة مستيقظة. لكن، بالإضافة إلى الضجيج المنتظم لبداية زحمة السير في بيلستريدت، استطاع أيضاً سماع صوت صفارة سيارة شرطة بعيدة تصدر الذبذبات. يمكن أن يكون أي شيء. سمع صوت صفارة أخرى. أي شيء. ومن ثم أخرى. لا، ليس أي شيء.

رنّ هاتف الخط الأرضي.

رفع هاري السماعة.

"أنا هاغن. لقد تلقينا للتو رسماً..."

أعاد هاري السماعة.

رنّ الهاتف مجدداً. نظر هاري إلى خارج النافذة. لم يتصل بعد بأخته. لماذا: لأنه لا يريد أن يظهر نفسه أمام أخته الصغيرة؛ أكثر معجبة متحمسة له من دون أي قيد أو شرط؛ المرأة التي تملك ما أسمته "طرفاً من تناذر داون" لكنها تتكيف مع حياتها بصورة أفضل بكثير مما يتكيف هو مع حياته. إنها الشخص الوحيد الذي لا

يسمح لنفسه بأن يخيب أمله.

توقف الهاتف عن الرنين، ثم بدأ مجدداً.

رفع هاري السماعه. "لا، سيدي. الجواب هو لا، لا أريد الوظيفة".

صمت الشخص الموجود في الطرف الآخر من الخط لثانية، ثم قال صوت غير مألوف: "هنا مركز طاقة أوسلو. السيد هول؟".

لعن هاري نفسه. "نعم؟".

"لم تدفع الفواتير التي أرسلناها لك، ولم تستجب لطلباتنا الأخيرة. أنا أتصل بك لأقول لك إننا سنقطع الكهرباء عن الشقة رقم 5 في "صوفيز" بدءاً من منتصف هذه الليلة".

لم يجب هاري.

"لن نعيد الكهرباء إلى الشقة قبل أن نستلم المبلغ غير المدفوع".

"وما قيمته؟".

"مع رسوم التذكير وقطع الكهرباء، إضافة إلى الفائدة، يكون المبلغ أربعة عشر ألفاً وأربع مئة وثلاثة وستين كرونر".

صمت.

"ألو؟".

"أنا هنا. لا أملك مالاً في الوقت الحاضر".

"سيتم تحصيل المبلغ غير المدفوع من قبل وكالة تحصيل الديون. وفي غضون ذلك، نأمل في ألا تنخفض الحرارة تحت الصفر، أليس كذلك؟".

أجاب هاري: "طبعاً". وأنهى الاتصال.

ارتفعت أصوات الصفارات في الخارج واختفت.

ذهب هاري للاستلقاء. استلقى هناك لربع ساعة مع عينين مغمضتين قبل أن ينهض ويرتدي ثيابه مجدداً ويغادر الشقة للحاق بالترام إلى مستشفى ريكس.

طباعة

عندما استيقظت هذا الصباح، عرفت أنني كنت هناك مجدداً. ففي الحلم، تكون الأمور هكذا دوماً: نحن مستلقيان على الأرض، والدم يتدفق، وعندما أنظر إلى الجانب، تكون هناك تنظر إليّ. تنظر إليّ والحزن في عينيها؛ كما لو أنها الآن فقط اكتشفت من أكون، ونزعت القناع عني، وعرفت أنني لست الرجل الذي تريده.

كان الفطور ممتازاً. إنه في رسالة مطبوعة. "تم العثور على نائب ميتة في حوض سباحة في فروغتر ليدو". مواقع الأخبار تضح بهذا الخبر. طباعة.

بعد فترة وجيزة، سوف تنشر مواقع الويب المهمة الاسم. لقد كان تحقيق الشرطة لغاية الآن مهزلة مضحكة؛ حيث بدا مغضباً بدلاً من أن يكون حماسياً. إلا أن الشرطة ستوظف هذه المرة كل مواردها، ولن تتلاعب بالتحقيق مثلما فعلت قبلاً مع شارلوت وبورغني. في النهاية، ماريت أولسن نائب في البرلمان. حان الوقت لكي يتوقف ذلك؛ لأنني حددت الضحية التالية.

مسرح الجريمة

كان هاري يدخن سيجارة خارج مدخل المستشفى. بدت السماء فوقه زرقاء شاحبة، لكن المدينة تحته، الواقعة في منحدر بين قمم جبلية خضراء منخفضة، كانت مغطاة بالضباب. ذكره المشهد بطفولته في أوبسال، عندما تغيب هو وأويستن عن أول صف في المدرسة وذهبا إلى المستودعات الألمانية في نورديستراند. ومن هناك، نظرا إلى الضباب الأسود المغلف لوسط مدينة أوسلو. لكن مع مرور السنوات، انزاح الضباب الصباحي تدريجياً عن أوسلو، بالترافق مع المصانع وحرق الأخشاب. أطفأ هاري السيجارة بكعب قدمه.

بدا أولاف هول أفضل حالاً، أو إنه الضوء ربما. سأل هاري عن سبب ابتسامته، وعمما حصل لفكه.

فقال هاري شيئاً عن تصرف أخرق، وتساءل في أي عمر يحصل التبدل؛ عندما يبدأ الأولاد بإخفاء الحقيقة عن أهلهم. قرابة سن العاشرة، حسبما استنتج. قال أولاف: "كانت أختك الصغيرة هنا". "كيف حالها؟".

"إنها جيدة. عندما سمعت أنك عدت، قالت إنها ستهتم بك. لأنها أصبحت كبيرة الآن، وأنت صغير".

"مم. فتاة ذكية. كيف حالك اليوم؟".

"جيد. في الواقع، جيد جداً. أعتقد أنه حان الوقت لكي أخرج من هنا". ابتسم، ورد له هاري الابتسامة.

"ماذا يقول الأطباء؟".

كان أولاف هول لا يزال يبتسم. "الكثير. هل يمكننا التحدث عن شيء آخر؟". "طبعاً. عمّ تريد أن نتحدث؟".

فكر أولاف هول قليلاً، ثم قال: "أريد التحدث عنها".

وأماً هاري برأسه، وجلس بصمت يصغي إلى والده وهو يخبره كيف التقى والدته

وتزوجا. أخبره عن مرضها عندما كان هاري صغيراً.

"ساعدتني إنغريد طوال الوقت، طوال الوقت. ونادراً ما احتاجت إليّ؛ إلى أن مرضت. أعتقد أحياناً أن المرض نعمة".
أجفل هاري.

"فقد أعطاني الفرصة لأسدد لها، هل تفهميني؟ وفعلت ذلك. كل ما طلبته مني، فعلته". ثبت أولاف عينيه على ابنه. "كل شيء هاري. تقريباً".
أوماً هاري برأسه.

تابع والده الحديث عن أخته وعنه، وكم كانت أخته رائعة فعلاً. وعن الإرادة القوية التي امتلكها هاري، وكيف خاف بشدة، لكنه أبقى الأمر سراً داخله. وعندما أنصت هو وإنغريد إلى الباب، سمعا هاري يبكي ويلعن الوحوش غير المنظورة. إلا أنهما عرفا أنه لا يجدر بهما الدخول لمواساته وطمأنته. فسوف يغضب، ويصرخ في وجهيهما قائلاً إنهما يحطمان كل شيء، وسيطلب منهما الخروج.
"لطالما أردت أن تقاتل الوحوش بمفردك هاري".

أخبر أولاف هول القصة القديمة نفسها بشأن عدم تفوه هاري بأية كلمة قبل سن الخامسة. وفجأة، ذات يوم، بدأت عبارات كاملة تتدفق من فمه. عبارات قصيرة ومفهومة، مع كلمات راشدة. لم يعرفا قط من أين تعلمها.
ابتسم أولاف. "لكن أختك محقة. أنت صبي صغير مجدداً. لا تتكلم".

"مم. هل تريدني أن أتكلم؟".
هز أولاف رأسه. "عليك أن تسمع. لكن، هذا يكفي للوقت الحاضر، وعليك أن تعود يوماً آخر".

شدّ هاري على يد والده اليسرى بيده اليمنى ونهض. "هل من مشكلة إذا بقيت في أوبسال لبضعة أيام؟".

"شكراً على العرض. لا أريد إزعاجك، لكن المنزل يحتاج إلى بعض العناية".
تخلى هاري عن نيته بإخباره أنهم سيقطعون التيار الكهربائي عن منزله.
رَنّ أولاف جرساً، فدخلت ممرضة شابة مبتسمة، واستخدمت الاسم الأول لوالده بطريقة بريئة ومغناج. ولاحظ هاري كيف أن والده جعل صوته أكثر عمقاً، فيما شرح أن هاري يحتاج إلى الحقبة التي تحتوي على المفاتيح. لاحظ كيف أن الرجل المريض المستلقي على السرير حاول أن ينفخ ريشه أمامها. ولسبب ما، لم يكن مثيراً للشفقة، وإنما كان تماماً مثلما يجب.

وفيما كان يغادر، كرر والده: "كل ما طلبته مني". ثم همس: "باستثناء شيء واحد".
قادت الممرضة هاري إلى غرفة تخزين الأغراض، وأخبرته أن الطبيب يريد
التكلم معه قليلاً. وبعد العثور على المفاتيح في الحقيبة، طرق هاري على الباب
الذي أشارت إليه الممرضة.

أوماً له الطبيب برأسه ليشير إليه بالجلوس، وابتعد إلى الخلف على كرسيه الدوار،
وضغط بأطراف أصابعه على بعضها. "من الجيد أنك عدت إلى الوطن. كنا نحاول
العثور عليك".
"أعرف".

"لقد انتشر السرطان".

أوماً هاري برأسه. أخبره أحدهم ذات مرة أن وظيفة الخلية السرطانية هي الانتشار.
تأمله الطبيب، كما لو أنه يدرس خطوته التالية.
قال هاري: "حسناً".
"حسناً؟".

"حسناً، أنا مستعد لسماع ما تريد قوله".

"لا نقول عادة كم بقي من عمر الشخص. فالأخطاء في الحكم والضغط النفسي
الناجم عن ذلك تفرض وطأة كبيرة. لكن، في هذه الحالة، أعتقد أنه من الملائم أن
أخبرك بأنه بات يعيش أيامه الأخيرة".

أوماً هاري برأسه، وحقق خارج النافذة. لا يزال الضباب كثيفاً جداً.
"هل تملك هاتفاً خلويّاً حيث نستطيع الاتصال بك في حال حدوث أي شيء؟".
هزّ هاري رأسه. هل كانت تلك صفارة سمعها وسط الضباب؟
"هل من شخص تعرفه يستطيع أن ينقل لك الرسالة؟".

هزّ هاري رأسه مجدداً. "ما من مشكلة. سأتصل وأزوره كل يوم. اتفقنا؟".
أوماً الطبيب برأسه، وراقب هاري وهو ينهض ويخرج مسرعاً.

كانت الساعة التاسعة عندما وصل هاري إلى فروغنز ليدو. تبلغ مساحة فروغنز
بارك خمسين هكتاراً تقريباً، لكن بما أن حوض السباحة العام يشكل جزءاً صغيراً من
هذه الحديقة العامة، فضلاً عن أنه مسيح، فإن الشرطة وجدت سهولة في تطويق مسرح
الجريمة. فقد وضعوا ببساطة شريطاً حول كامل السور، ووضعوا حارساً في كشك بيع
التذاكر. وصلت مجموعة المراسلين الصحفيين الذين جلسوا يثرثرون خارج البوابة

متسائلين عن الوقت الذي سيسمح لهم فيه برؤية الجثة. بالله عليكم، إنها نائب في البرلمان! ألا يستحق الرأي العام صوراً لجثة مثل هذه الشخصية الشهيرة؟
اشتري هاري قهوة أميركانو من كافيه بيكيني. وضع المقهى كراسي وطاولات على رصيف الشارع في شهر فبراير، فجلس هاري وأشعل سيجارة، وراقب الحشود أمام كشك بيع التذاكر.

ثمة رجل جلس على الكرسي قربه.

"هاري هول شخصياً! أين كنت؟".

نظر إليه هاري. روجر غيندم، مراسل الجرائم في جريدة أفتنبوستن، أشعل سيجارة، وأشار بيده إلى فروغر بارك. "أخيراً، حصلت ماريت أولسن على ما تريده. في الساعة الثامنة من هذه الليلة، ستصبح شخصية مشهورة. فقد شنقت نفسها من برج الغطس! هذه نقلة مهنية نوعية". ثم استدار نحو هاري وكثر بوجهه. "ماذا حصل لفكك؟ تبدو مريعاً".

لم يجب هاري، بل اكتفى بارتشاف قهوته، ولم يقل أي شيء للتخفيف من الصمت المخرج على أمل أن يدرك الصحفي أن صحبته غير مرغوب فيها. من قلب طبقة الضباب المخيمة فوقهما صدر ضجيج عن طائرة مروحية. نظر روجر غيندم إلى الأعلى.

"لا بد أنهم من مجلة فيردنز غانغ. فتلك المجلة مشهورة باستئجارها طائرة مروحية. أتمنى ألا ينجلي الضباب".

"مم. من الأفضل ألا يحصل أحد على صور بدل أن تحصل عليها مجلة VG".
"صحيح. ماذا تعرف؟".

أجاب هاري: "أنا واثق من أنني أعرف أقل منك. تم العثور على الجثة من قبل أحد الحراس الليليين عند انبلاج الفجر، فاتصل بالشرطة على الفور. وأنت؟".

"انفصل الرأس عن الجسم. قفزت المرأة من أعلى البرج، فيما كان هناك حبل ملتف حول عنقها على ما يبدو. وكانت ثقيلة جداً، مثلما تعلم؛ أكثر من مئة كيلوغرام. عشروا على خيوط قد تتطابق مع بذلتها الرياضية على السور الذي يظنون أنها تسلقته. لم يجدوا أي آثار أخرى، ولذلك يظنون أنها كانت وحدها".

استششق هاري دخان السيجارة. انفصل الرأس عن الجسم. هؤلاء الصحفيون يتحدثون مثلما يكتبون، على طريقة الهرم المعكوس مثلما يقولون: المعلومات الأكثر أهمية في البداية.

استفسر هاري: "لا بد أن الحادثة قد وقعت في ساعات الفجر الأولى، مثلما أفترض".

"أو في المساء. حسب زوج ماريت أولسن، غادرت المنزل عند الساعة التاسعة وخمس وأربعين دقيقة لممارسة رياضة الركض".
"إنه وقت متأخر للركض".

"يبدو أنه الوقت الذي كانت تركض فيه عادة. كانت تحب التواجد في الحديقة العامة وحدها".

"مم".

"بالمناسبة، حاولت تقفي أثر الحارس الليلي الذي وجدها".

"لماذا؟".

أرسل غيندم نظرة مندهشة إلى هاري. "للحصول على تقرير أولي طبعاً".

قال هاري، وهو يمخّ سيجارته: "طبعاً".

"لكن، يبدو أنه اختبأ. فهو ليس موجوداً هنا ولا في المنزل. لا بد أنه مصدوم؛ المسكين".

"حسناً، ليست هذه هي المرة الأولى التي يعثر فيها على جثث في حوض السباحة. أفترض أن المحقق المسؤول عن التحقيق اهتم بأمره كي لا تتمكن من إيجاده".

"ماذا تقصد بالقول إنها ليست المرة الأولى؟".

هزّ هاري كتفه. "تم استدعائي إلى هنا مرتين أو ثلاث مرات قبلاً. فالشبان يتسللون إلى هنا ليلاً. المرة الأولى كانت انتحاراً، والثانية حادثاً. أربعة أصدقاء ثملين في طريقهم إلى المنزل من حفلة راقصة، وأرادوا اللعب ومعرفة من يجروء على الوقوف بالقرب من لوح الغطس. الشاب الذي فاز بالرهان كان في التاسعة عشرة. والأكبر سناً كان أخاه".
قال غيندم باحترام: "اللعة".

تحقق هاري من ساعته كما لو أنه مستعجل.

قال غيندم: "لا بد أن ذلك الحبل كان قوياً جداً. فقد انفصل الرأس عن الجسم. هل سمعت قبلاً بخبر كهذا؟".

قال هاري: "طوم كاتشام". وهو يرتشف بقية قهوته دفعة واحدة وينهض.

"كاتشاب؟".

"كاتشام. من عصابة "هال إن ذا وال". تم شنقه في نيو مكسيكو عام 1901.

شائق عادية، وإنما كانوا يستخدمون الكثير من الجبال".

"أوه. كم؟".

"أكثر من مترين".

"ليس أكثر؟ لا بد أنه كان رجلاً بديناً".

"لا. لكن هذا يخبرك كم سهل أن تفقد رأسك، أليس كذلك؟".

صرخ غيندم شيئاً، لكن هاري لم يسمعه. فقد اجتاز مرأب السيارات شمال حوض السباحة، وتابع السير على العشب، وانعطف نحو اليسار فوق الجسر المؤدي إلى البوابة الرئيسية. كان علو السور كله أكثر من مترين ونصف المتر. أكثر من مئة كيلوغرام. لا بد أن ماريت أولسن قد حاولت، لكنها لم تجتز سور حوض السباحة من دون مساعدة.

في الجهة الأخرى من الجسر، استدار هاري إلى اليسار كي يتمكن من الاقتراب من حوض السباحة من الزاوية المعاكسة. تجاوز الشريط البرتقالي الذي وضعت الشرطة، وتوقف عند أعلى المنحدر قرب شجيرة صغيرة. نسي هاري الكثير من الأشياء خلال الأعوام الأخيرة. لكن القضايا بقيت عالقة في رأسه. ما زال يذكر أسماء الشبان الأربعة في برج الغطس. العينان الشاردتان للأخ الأكبر فيما كان يجيب عن أسئلة هاري بنبرة رتيبة. واليد التي تشير إلى المكان الذي دخلوا منه.

اختار هاري خطواته بتأنٍ؛ غير راغب في القضاء على أدلة محتملة، وحنى الشجيرة إلى جانب واحد. فرق الصيانة في الحدائق العامة في أوصلو تخطط مسبقاً بشكل جيد؛ إذا كانت تخطط أصلاً. الفجوة في الجدار لا تزال موجودة.

جلس هاري القرفصاء، وتأمل الحواف المسننة للفتحة. استطاع رؤية خيوط داكنة. الشخص لم يدخل عبر الفجوة، وإنما أجبرها على شق طريقها من هنا. أو دفعها؛ بحث عن دليل آخر. من أعلى الفجوة تدلت قطعة صوفية طويلة. كانت الفتحة عالية جداً، مما يعني أن الشخص كان واقفاً منتصباً ليصل إلى هذا العلو في السور. الرأس. الصوف منطقي، قبعة صوفية. هل كانت ماريت أولسن تعتمر قبعة صوفية؟ حسب روجر غيندم، غادرت ماريت أولسن منزلها في الساعة التاسعة وخمس وأربعين دقيقة للركض في الحديقة العامة. وكالعادة، حَمَنَ رأيه.

حاول هاري تصور الأمر. تخيل ليلة دافئة على غير العادة في الحديقة العامة. رأى امرأة ضخمة كبيرة ومتعرفة تركض. لم ير قبعة صوفية. لم يستطع أيضاً تخيل أي شخص آخر يعتمر قبعة صوفية. لا بد أن معتمر القبعة قد وضعها ليس لأن الطقس

بارد طبعاً، وإنما كي لا يراه أو يتعرف عليه أحد. صوف أسود. غطاء صوفي للرأس والعنق ربما.

خرج من بين الشجيرات بعناية.

لم يسمعهم وهم يتقدمون.

ثمة رجل يحمل مسدساً - من نوع ستاير ربما - نمساوياً، ونصف أوتوماتيكي. تم توجيهه صوب هاري. الرجل خلفه امتلك شعراً أشقر، مع فم مفتوح وفك سفلي بارز، وعندما أصدر ضحكة ساخرة، تذكر هاري الاسم المستعار الخاص بترولس بيرنستن من كريوس. بيفيس. كما في بيفيس وبات-هيد.

الرجل الثاني كان قصيراً ومقوس الساقين بشكل غير اعتيادي، ووضع يديه في جيبي معطفه؛ حيث عرف هاري أنه يخفي مسدساً وبطاقة تحمل اسماً فنلندياً. إلا أن الرجل الثالث، ذلك الذي ارتدى معطفاً رمادياً أنيقاً، هو الذي لفت انتباه هاري. فقد وقف إلى جانب الرجلين الآخرين. لكن، ثمة شيء في الرجل المسلح ولغة جسم الرجل الفنلندي، والطريقة التي تعاملها فيها مع هاري، ومع ذلك الرجل. بدوا وكأنهما امتداد له؛ كما لو أن ذلك الرجل هو الذي يمسك فعلياً بالمسدس. ما لفت نظر هاري في الرجل لم يكن طلته الجميلة الأنثوية تقريباً، ولا أهدابه الظاهرة بوضوح فوق عينيه وتحتهما؛ ما يولد الشك بأنه استعمل الماكياج، ولا الأنف، والذقن، والشكل الناعم لوجتيه، ولا شعره الكثيف الداكن والرمادي ذا القصة الأنيقة والأطول بكثير من القصة القياسية لرجال الشرطة، ولا النمش الكثير وعديم اللون في البشرة المسفوعة بالشمس؛ مما جعله يبدو وكأنه تعرض للمطر الحمضي. لا، ما لفت انتباه هاري هو الكراهية، الكراهية في العينين اللتين حدقتا به، الكراهية القوية؛ حيث شعر هاري وكأنه أحسها جسدياً، كأنها شيء أبيض وقاس.

كان الرجل ينظف أسنانه بعود أسنان خشبي. وكان صوته أعلى وأكثر نعومة مما تخيل هاري. "لقد تعديت على المساحة التي تم تطويقها من أجل التحقيق، سيد هول". قال هاري: "هذه حقيقة لا يمكن إنكارها". وهو ينظر حوله. "لماذا؟".

نظر هاري إلى الرجل، رافضاً بهدوء جواباً محتملاً تلو الآخر؛ إلى أن أدرك أنه لا يملك ببساطة أي جواب.

قال هاري: "لأنك تعرفني على ما يبدو. هل يمكن لي التشرف بمعرفتك؟". "أشك كثيراً في أن يكون هذا شرفاً لنا نحن الاثنين هول. لذا، أقترح أن تغادر

المكان الآن، وألاً تعاود الظهور مجدداً في مسرح جريمة خاص بكريبوس. هل هذا مفهوم؟".

"حسناً، وصلتني الرسالة لكني لم أفهمها تماماً. ماذا لو كان بوسعي مساعدة الشرطة على شكل نصيحة حول كيف استطاعت ماريت أولسن...".

قاطعته الصوت الناعم قائلاً: "المساعدة الوحيدة التي أعطيتها للشرطة هي تشويه سمعتها. في سجلاتي، أنت سكير، ومخالف للقانون، وشخص مؤذ هول. لذا، إن نصيحتي لك هي التالية: عد مجدداً إلى المكان الذي أتيت منه قبل أن يحطملك شخص بكعبي قدميه".

نظر هاري إلى الرجل، وتزامن حدسه الباطني مع أفكاره: استوعب الأمر. انسحب. لا تملك الذخيرة للمواجهة. كن ذكياً.

وتمنى فعلاً لو كان ذكياً؛ لكان قدّر فعلاً تلك الميزة. أخرج هاري علبة سجائره. "وذلك الشخص يكون أنت، أليس كذلك، ييلمان؟ أنت ييلمان، أليس كذلك؟ العبقري الذي أرسل القرد الفنلندي ورائي؟". أوماً هاري برأسه في اتجاه الفنلندي. "وبالحكم على تلك المحاولة، أشك في أن تتمكن من سحق...". كافح هاري بصعوبة لتذكر التشبيه، لكنه لم ينجح. إنه تعب السفر القاتل.

تدخل ييلمان: "اختفِ الآن، هول". وأشار الشرطي بإبهامه خلفه. "هيا. اقفز". بدأ هاري: "أنا...".

قال ييلمان بابتسامة عريضة: "هذا يكفي. أنت موقوف، هول". "ماذا؟".

"طلب منك ثلاث مرات إخلاء مسرح الجريمة ولم تستجب للطلب. ضع يديك خلف ظهرك".

صرخ هاري عالياً، مع الإحساس التافه بأنه جرد علق في متاهة المختبر. "والآن، أصغ إليّ. أريد فقط أن...".

هز بيرنستن - أو بيفيس - ذراعه، دافعاً السيجارة خارج فمه لتقع على الأرض الرطبة. انحنى هاري لالتقاطها، لكنه تلقى ضربة من جزمة جوسي على ظهره فوق إلى الأمام. ارتطم رأسه بالأرض، وتذوق طعم التراب وسوء الطبع. وسمع صوت ييلمان الناعم في أذنه.

"هل تقاوم الاعتقال، هول؟ طلبت منك وضع يديك خلف ظهرك، أليس كذلك؟ طلبت منك وضعهما هنا...".

وضع بيلمان يده برفق على مؤخرة هاري. تنفس هاري بصعوبة عبر أنفه من دون أن يتحرك. عرف تماماً ما الذي يريده بيلمان. الاعتداء على ضابط شرطة. شاهدان. الفقرة 127. العقوبة: خمس سنوات. انتهت اللعبة. ورغم أن هذا الأمر بات واضحاً مثل الشمس بالنسبة إلى هاري، عرف هاري أن بيلمان سينال ما يريده بعد وقت قليل. لذا، ركّز على شيء آخر، وأخرج من عقله ضحكة بيفيس الساخرة ورائحة عطر بيلمان. فكّر فيها؛ في راكيل. وضع يديه خلف ظهره، فوق يد بيلمان، وأدار رأسه. لقد أزاحت الرياح الآن الضباب الذي كان مخيماً فوقهم، واستطاع رؤية برج الغطس الأبيض النحيل الشامخ تحت السماء الرمادية. ثمة شيء متدلٍ في الأعلى، من الأرضية، جبل ربما.

تم تكبير الأغلال برفق في مكانها.

وقف بيلمان في مرأب السيارات في ميدلثانسغايت يراقبهم وهم يبتعدون، ولفحت الريح معطفه برفق.

كان الشرطي المناوب يقرأ الصحيفة عندما لاحظ الرجال الثلاثة واقفين أمامه. قال هاري: "مرحباً تور. حصلت على مكان خال من التدخين مع منظر مطر؟". "مرحباً هاري. مضى وقت طويل على رؤيتك". أخرج الشرطي مفتاحاً من الخزانة خلفه وقدمه إلى هاري. "جناح خاص بشهر العسل".

لاحظ هاري الارتباك على وجه تور عندما انحنى بيفيس إلى الأمام، وأمسك بالمفتاح، وصرخ عالياً: "إنه السجين، أيها الحقير".

كشّر هاري بوجهه للاعتذار من تور، فيما فتشه جوسي، وانتهى به الأمر بالحصول على بعض المفاتيح ومحفظة نقود.

"هل تمنع الاتصال بغونار هاغن، تور؟ إنه...".

أمسك جوسي بالأغلال التي انغرزت في جلد هاري، فتعثر هاري إلى الخلف وراء الرجلين المتوجهين إلى قسم الاحتجاز.

بعد أن حبسناه داخل الزنزانة البالغ قياسها مترين ونصف المتر مقابل متر ونصف المتر، عاد جوسي إلى تور للتوقيع على الأوراق، فيما وقف بيفيس خارج باب الزنزانة وهو ينظر إلى هاري. لاحظ هاري أنه يخبئ شيئاً في صدره وانتظر. وأخيراً، صدرت الكلمات بصوت مرتجف مع غضب مخنوق.

"ما هو شعورك، إيه؟ أنت الرجل المشهور الذي ألقى القبض على قاتلين

بالتسلسل، والذي ظهر على شاشة التلفاز وكل ذلك؟ وها أنت الآن، تنظر إلى القضبان من الداخل، ما رأيك؟".

"لم أنت غاضب هكذا بيفيس؟". سأل هاري برفق وأغمض عينيه. وأحس بالورم في جسمه كما لو أنه قد وصل للتو من سفر طويل.
"لست غاضباً. لكن، في ما يتعلق بقطاع الطرق الذين يطلقون النار على رجال الشرطة الجيدين، أنا غاضب منهم".

قال هاري، وهو مستلق على سرير الزنزانة: "ثلاثة أخطاء في جملة واحدة. أولاً، رجل وليس رجال شرطة. ثانياً، لم يكن المفتش والر شرطياً جيداً. وثالثاً أنا لم أطلق النار عليه. أنا أمسكت بذراعه. هنا، في الأعلى عند الكتف". أظهر له هاري الحركة. انفتح فم بيفيس ثم انغلق، ولكن من دون أن يصدر منه أي شيء.
أغمض هاري عينيه مجدداً.

المكتب

عندما فتح هاري عينيه في المرة التالية، كان قد مضى على استلقائه في زنزانه قرابة الساعتين، وكان غونار هاغن يقف خارجها ويحاول فتح الباب بالمفتاح. "عذراً، هاري. كنت في اجتماع". قال هاري، وهو يتمدد على السرير متثابراً: "ناسبني الأمر جيداً سيدي. هل سيتم إطلاق سراحي؟".

"تحدثت إلى محامي الشرطة الذي قال إنه لا مشكلة في ذلك. الحبس احتجاز وليس عقوبة. سمعت أن رجلين من كريوس أحضراك إلى هنا. ماذا حصل؟". "أتمنى لو تستطيع إخباري". "أنا أستطيع إخبارك!". "منذ أن وصلت إلى أوصلو وكريوس تلاحقني". "كريوس!".

جلس هاري على السرير، ومرر يده عبر شعيرات رأسه المنتصبة مثل شعيرات الفرشاة. "لحقوا بي إلى مستشفى ريكس. أوقفوني بسبب تصرف شكلي. ماذا يجري، سيدي؟".

رفع هاغن ذقنه، وربّت على البشرة فوق حنجرته. "اللعنة، كان يجدر بي استباق ذلك". "استباق ماذا؟".

"أنه قد يتم تسريب الخبر بأننا نحاول إعادةك إلى العمل. سيحاول بيلمان إيقافنا".

"من الأفضل لو أعطيتني بعض التفاصيل". "الأمر معقد جداً؛ مثلما أخبرتك. المسألة مرتبطة بالصلاحيات والتصرفات العقلانية في قوة الشرطة. بنطاق السلطات. النزاع القديم بين قسم مكافحة الجرائم وكريوس، وما إذا كانت هناك موارد كافية لفرعين اختصاصيين لهما كفاءة متساوية

في بلد صغير. واستعر النقاش عندما حصلت كريبوس على رئيس جديد لها، مايكل بيلمان".

"أخبرني عنه".

"بيلمان؟ إنه من كلية الشرطة. خدم لفترة وجيزة في النروج قبل أن يعمل مع الأوروبول في ألمانيا. عاد إلى كريبوس بمثابة الطفل الأعجوبة، المستعد للتحرك صعوداً وإلى الأمام. لكن لم تنتج سوى الكوارث منذ اليوم الذي قرر أن يوظف فيه زميلاً سابقاً له من الانتربول، غريباً عن النروج".

"أليس فنلندياً بالصدفة؟".

أوما هاغن برأسه. "جوسي كولكا. إنه شرطي متدرب في فنلندا، لكنه لا يملك أيًا من المؤهلات الرسمية اللازمة لاستلام منصب في الشرطة في النروج. غضب الاتحاد العمالي بشدة. وتمثل الحل، طبعاً، في أن يتم توظيف كولكا مؤقتاً على أساس تبادل. إلا أن مبادرة بيلمان التالية تجلت في الإيضاح بأن القوانين يجب أن تترجم بطريقة تقرر فيها كريبوس بنفسها ما إذا كانت القضية لها أو لقسم الشرطة، وليس العكس، في تحقيقات الجرائم الكبيرة".

"و؟".

"وهذا طبعاً غير مقبول. فنحن نملك هنا أكبر قسم لمكافحة الجرائم في البلاد في مقرّ الشرطة، ونقرر ما هي القضايا التي نضعها ضمن نطاق أوصلو، وما هي القضايا التي نحتاج فيها إلى المساعدة، ومتى نطلب من كريبوس استلام زمام الأمور. تم إنشاء كريبوس لتقدم خبراتها لأقسام الشرطة في كيفية إدارة قضايا الجرائم، لكن بيلمان استولى فوراً على القسم بسلطته الإمبراطورية. انجرت وزارة العدل إلى المسألة؛ فقد وجدت فوراً فرصتها في فعل ما نجحنا في إبقائه مستوراً لوقت طويل؛ أي جعل التحقيقات في الجرائم مركزية؛ حيث يكون هناك مركز خبرات واحد فقط. لا تكثر الوزارة أبداً لحججنا المتعلقة بمخاطر المركزية والاستيلاء الداخلي، وأهمية المعرفة المحلية ونشر الخبرات، والتوظيف، و...".

"شكراً. أنت تحاول إقناعي بأمور أنا مقتنع بها أصلاً".

رفع هاغن يده. "جيد، لكن وزارة العدل تعمل الآن بناء على موعد...".

"و؟".

"تقول إنها ستكون واقعية. فالمسألة مرتبطة بالاستفادة من الموارد الشحيحة

بالطريقة الأكثر فاعلية. وإذا استطاعت كريوس أن تثبت أنها تستطيع التوصل إلى أفضل النتائج من دون تعاونها مع أقسام الشرطة...".

قال هاري: "... ستذهب حينها كل الصلاحيات إلى مقرّ كريوس في برين. مكتب كبير ليلمان، ووداعاً لقسم مكافحة الجرائم".

حدّب هاغن كتفيه. "شيء من هذا القبيل. عندما تم العثور على شارلوت لوليس ميتة خلف سيارة الداتسون ولاحظنا أوجه التشابه مع الفتاة التي تم قتلها في قبو المبنى الجديد، تلقينا ضربة على الرأس. فقد قالت كريوس إنه رغم العثور على الجثتين في أوصلو، فإن الجريمة المزدوجة من اختصاص كريوس، وليس قسم الشرطة في أوصلو، وباشرت تحقيقها الخاص المستقل. لقد أدركت تماماً أن معركة الفوز بدعم الوزارة مرتبطة بهذه القضية".

"إذاً، إنها فقط مسألة حل القضية قبل كريوس؟".

"مثلما قلت، المسألة معقدة. ترفض كريوس مشاركة المعلومات معنا، رغم أنها لم تحرز أي تقدم بعد. توجهت بدل ذلك إلى الوزارة. تلقى المدير المسؤول عن الأمن اتصالاً مفاده أن الوزارة تؤدّ السماح لكريوس باستلام هذه القضية إلى أن تحسم أمرها بشأن توزيع الصلاحيات في المستقبل".

هزّ هاري رأسه ببطء. "بدأت أستوعب الأمور. أنتم يائسون جميعاً...".

"لا أستخدم هذه الكلمة".

"... يائسون كفاية للبحث عن صياد قديم للقتلة بالتسلسل، هول؛ غريب لم يعد اسمه مدرجاً على لائحة الرواتب، ويستطيع التحقيق في المسألة بهدوء. لهذا السبب، لا أستطيع قول أي شيء لأي كان".

تهدّ هاغن. "إلا أن ييلمان اكتشف المسألة جلياً. وها هو يطاردك".

"لمعرفة ما إذا كنتم تلتزمون بطلب وزارة العدل. لإلقاء القبض عليّ بالجرم المشهود وأنا أقرأ تقارير قديمة أو أستجوب شهوداً قدامى".

"أو حتى بطريقة أكثر فاعلية؛ لجعلك غير مؤهل للمسألة. يعرف ييلمان أن خطأ واحداً سيكون كافياً لتوقيك عن العمل، سواء أكان ذلك شرب قنينة واحدة من الشراب أثناء الخدمة، أو خرقاً واحداً للقوانين".

"م، أو مقاومة الاعتقال. إنه يفكر في أخذ القضية أبعد من ذلك، الحقيق".

"سأتحدث إليه. سيتوقف عندما أخبره أنك لا تريد العمل معنا في أي حال.

فنحن لا نورّط رجال الشرطة في المشاكل حين لا توجد أي جدوى من ذلك". ألقى

هاغن نظرة سريعة على ساعته. "ثمة عمل في انتظاري. دعني أخرجك من هنا".

خرجنا من مبنى الاحتجاز، وعبرنا مرأب السيارات، وتوقفاً أمام مدخل المقر الرئيسي للشرطة؛ وهو عبارة عن برج من الإسمنت والفولاذ يشرف على الحديقة العامة. إلى جانبهما، انتصبت الجدران الرمادية القديمة لبوستن، سجن منطقة أوسلو، المتصل بمقر الشرطة بواسطة نفق تحت الأرض. تحتها، امتدت مساحة غرونلاندا إلى الزقاق البحري والمرفاً. كانت الواجهات شاحبة وقذرة، كما لو أن رماداً تساقط عليها. والرافعات عند المرفاً انتصبت مثل المشانق المصطفة تحت السماء.

"ليس منظرًا جميلاً، أليس كذلك؟".

قال هاري، وهو يستنشق الهواء: "لا".

"لكن، ثمة شيء في هذه المدينة".

أوماً هاري في رأسه. "أجل".

وقفاً هناك لبرهة، يتأرجحان على أقدامهما، ويضعان أيديهما في جيوبهما.

قال هاري: "الطقس بارد".

"ليس كثيراً".

"ربما لا، لكن حرارة جسمي لا تزال مضبوطة على درجات الحرارة في

هونغ كونغ".

"فهمت".

"ثمة كوب قهوة في انتظارك في الأعلى، أليس كذلك؟". أشار هاري إلى الطابق

السادس. "أم إنه كان عملاً؟ قضية ماريت أولسن؟".

لم يجب هاغن.

قال هاري: "مم... إذًا، لقد حصل بيلمان وكريبوس على ذلك أيضاً".

تلقى هاري الإيماء الغريبة المتحفظة وهو يشق طريقه عبر ممرات المساحة

الحمراء في الطابق السادس. صحيح أنه كان أسطورة في المبنى، لكنه لم يكن دوماً

رجلاً شعبياً.

مرّاً أمام باب مكتب ألصق عليه أحدهم ورقة بقياس A4 كتب عليها: "أرى

أشخاصاً موتى".

تنحج هاغن. "توجب عليّ السماح لماغنوس سكار باستعمال مكتبك. كل

مكتبة
t.me/t_pdf

المكاتب الأخرى مزدحمة بشدة".

قال هاري: "لا داعي للقلق".

أخذ كل منهما كوباً كرتونياً من القهوة المقطرة في المطبخ.

داخل مكتب هاغن، جلس هاري على الكرسي المقابل لمكتب ضابط الشرطة، حيث جلس قبلاً مرات عدة.

قال هاري: "ما زلت تحتفظ به، مثلما أرى". وأشار برأسه إلى التذكار الموضوع على المكتب، والذي يشبه للوهلة الأولى علامة تعجب بيضاء. إنه إصبع صغيرة محشوة. عرف هاري أن هذه الإصبع كانت تخص سابقاً قائداً يابانياً في الحرب العالمية الثانية. أثناء الانسحاب في الحرب، قطع ذلك القائد إصبعه أمام رجاله للاعتذار منهم على عدم قدرته على العودة وإحضار موتاهم. أحب هاغن سرد القصة حين كان يعلم مهارات الإدارة المرتبطة بالقيادة.

"وما زلت من دونها". أوما هاغن في اتجاه اليد، من دون الإصبع الثالثة التي كان هاري يستعملها لحمل كوب القهوة.

أذعن هاري للفكرة وشرب قهوته. لم تتغير القهوة أيضاً؛ زفت سائل.

كشّر هاري. "أحتاج إلى فريق من ثلاثة أشخاص".

شرب هاغن القهوة ببطء ووضع الكوب على المكتب. "ليس أكثر!".

"تطرح دوماً هذا السؤال. أنت تعرف أنني لا أحب العمل مع فرق كبيرة من التحريين".

"في هذه الحالة، لن أتذمر. فالعدد الأقل من الأشخاص يعني تضاؤل احتمال معرفة كريوس ووزارة العدل بتحقيقاتنا في الجريمة المزدوجة".

قال هاري متثابراً: "الجريمة الثلاثية".

"توقف، لا نعرف إذا كانت ماريت أولسن...".

"امرأة وحدها في الليل، تم خطفها وقتلها بطريقة غير اعتيادية. المرة الثالثة في أوصلو القديمة الصغيرة. جريمة ثلاثية، صدقتي. لكن مهما كان عددنا، كن واثقاً بأننا سنحرص جيداً على عدم تقاطع مساراتنا مع مسارات كريوس".

قال هاغن: "نعم، أعرف ذلك. لهذا السبب، ثمة شرط بأنه إذا تم الكشف عن التحقيق، فإن قسم مكافحة الجرائم لا علاقة له أبداً بالموضوع".

أغمض هاري عينيه، فيما تابع هاغن كلامه.

"طبعاً سنندم؛ لأن بعض موظفينا قد تورطوا، لكننا سنوضح تماماً أن هذا أمر

استهله المنشق الشهير هاري هول وحده؛ من دون علم رئيس القسم. وسوف تؤكد أنت على هذه الرواية من الأحداث".

فتح هاري عينيه مجدداً وحدق في هاغن.
نظر إليه هاغن مباشرة. "هل من أسئلة؟".
"نعم".

"تفضل".

"أين مصدر التسريب؟".

"عفواً؟".

"من يخبر بيلمان؟".

رفع هاغن كتفيه. "لا أملك الانطباع بأنه يملك نفاذاً مباشراً إلى ما فعله. يحتمل أنه شم رائحة عودتك في الكثير من الأماكن".

"أعرف أن ماغنوس سكار يثرثر في أي مكان، وكيفما كان".

"لا تطرح عليّ المزيد من الأسئلة هاري".

"حسناً. أين يفترض أن يكون مكتبنا؟".

"صحيح. صحيح". أوماً غونار هاغن مرات عدة؛ كما لو أن هذا أمر سبق

لهما أن ناقشاه مسبقاً. "بالنسبة إلى المكتب...".

"نعم".

"مثلما قلت، هذا المكان مزدحم، ولذلك علينا العثور على مكان ما خارجاً،

وإنما غير بعيد كثيراً من هنا".

"جيد. أين إذأ؟".

نظر هاغن إلى خارج النافذة؛ إلى الجدران الرمادية لسجن بوتسن.

قال هاري: "أنت تمزح".

توظيف

دخل بيورن هولم إلى قاعة المحاضرات في كريمتكينسك في مقاطعة برين في أوسلو. خارج النوافذ، كانت الشمس تفلت قبضتها عن الواجهات الأمامية للمنازل وتوقع المدينة في عتمة بعد الظهر. كان مرأب السيارات مزدحماً، وأمام المدخل المؤدي إلى كريوس، في الجهة المقابلة من الطريق، ثمة حافلة بيضاء مع صحن لاقط على سطحها وشعار شركة البث النروجية على جانبه.

الشخص الوحيد الموجود في الغرفة هو مديرته، بتي لون، امرأة شاحبة على نحو غير اعتيادي، وقصيرة القامة، وهادئة الطباع. لو لم يكن يعرفها جيداً، لكان قد ظن أن شخصاً مثلها سيواجه المشاكل في قيادة مجموعة من رجال الشرطة القضائية المتدربين، والمحترفين، والمدركين لمكانتهم، والمراوغين على الدوام، والخائفين نادراً من النزاعات. لكن الشخص الذي يعرفها جيداً يدرك تماماً أنها الشخص الوحيد القادر على التعاطي معهم. ليس لأنهم يحترمون وقوفها بطريقة منتصبة وفخورة على الرغم من خسارتها شرطيين، الأول والدها والثاني والد ابنها. وإنما لأنها الفضلى في مجموعتهم، وتشفع بالاستقامة والكمال والجادبية؛ لدرجة أنه حين تهمس بتي لون أمراً، مع عينين إلى الأسفل ووجنتين متوردتين، يتم تنفيذ الأمر على الفور. لذا، جاء بيورن هولم ما إن تم إبلاغه.

كانت تجلس على كرسي جرتّه إلى القرب من شاشة التلفاز. قالت من دون أن تلتفت: "إنهم ينقلون بثاً حياً من قاعة المؤتمرات. اجلس". تعرف هولم فوراً على الأشخاص الذين ظهرُوا في الشاشة. لفته كم هو غريب أن يشاهد إشارات سافرت آلاف الكيلومترات في الفضاء وعادت إلى الأرض، لتريه فقط ماذا يحدث الآن في الجهة المقابلة من الشارع.

رفعت بتي لون الصوت.

قال مايكل بيلمان، وهو منحني صوب المذياع على الطاولة أمامه. "لقد فهمتم بشكل صحيح. في الوقت الحاضر، لا نملك أدلة ولا متهمين. ولكي أكرر ما قلته

مجدداً: لم نستبعد فرضية الانتحار".

"لكنك قلت...". بدأ صوت من حشد الصحفيين الموجودين.

فقاطعه بيلمان: "قلت إننا نعتبر طريقة الموت مريبة. أنا واثق من أنكم تعرفون معنى الكلمة. وإلا، يجدر بكم...". وترك بقية الجملة عالقة في الهواء، ثم أشار إلى شخص خلف الكاميرا.

"ستافانجر أفتنبلاذ". قال صوت بطيء ولكنه روغالاند. "هل ترى الشرطة رابطاً بين هذه الوفاة والحالتين اللتين...؟".

"لا! لو انتهت إليّ، لسمعتني أقول إننا لم نحسم وجود أي رابط".

تابع الصوت البطيء باللكنة الهادئة: "فهمت ذلك. لكننا هنا نهتم أكثر لرأيك الخاص، وليس لسبب عدم الحسم".

لاحظ بيورن هولم أن بيلمان وجه إلى الرجل نظرة شريرة، فيما بدأ صبره ينفد؛ وبدأ ذلك واضحاً عند زوايتي فمه. ثمة شرطية ترتدي البذلة الرسمية قرب بيلمان وضعت يدها فوق المذيع، وانحنت صوبه وهمست شيئاً، فاكفهرّ وجه ضابط الشرطة.

قال بيورن هولم: "يتلقى مايكل بيلمان درساً في كيفية التعاطي مع وسائل الإعلام. الدرس الأول، إسكات الفضوليين، ولا سيما الجرائد المحلية".

قالت بتي لون: "إنه جديد في المهنة. سوف يتعلم".

"هل تظنين ذلك؟".

"نعم، بيلمان من النوع الذي يتعلم".

"لكن التواضع يصعب تعلمه، مثلما سمعت".

"التواضع الحقيقي، هذا صحيح. لكن التذلل حين يناسبك الأمر ضروري في التواصل المعاصر. هذا ما نقوله له نيني. ويفترض أن يكون بيلمان ذكياً كفاية ليقدر ذلك".

على الشاشة، سعل بيلمان، وأجبر نفسه على الابتسام بطريقة صيانية تقريباً وانحنى صوب المذيع. "أعتذر إذا بدوت فظاً قليلاً، لكنه كان يوماً طويلاً بالنسبة إلينا جميعاً، وأتمنى أن تفهموا أننا نتحرق شوقاً ببساطة للعودة إلى التحقيق في هذه القضية الأساسية. علينا الانتهاء من هنا. لكن، إذا كان أي منكم يملك أسئلة إضافية، وجهوها من فضلكم إلى نيني، وأعدكم أنني سأحاول العودة إليكم لاحقاً هذا المساء.

قبل الموعد النهائي. اتفقنا؟".

"ماذا قلت لك؟". ضحكت بتي بانتصار.

قال بيورن: "ولدت نجمة".

اختفت الصورة من التلفاز، واستدارت بتي لون. "اتصل هاري. يريدني أن أسلمك".

قال بيورن هولم: "أنا! لفعل ماذا؟".

"تعرف ذلك جيداً. سمعت أنك كنت مع غونار في المطار عندما وصل هاري".
"أوبس". ابتسم هولم كاشفاً عن مجموعة أسنانه العلوية والسفلية.
"أفترض أن هاغن يريد توظيفك في عملية الإقناع لأنه يعرف أنك واحد من الأشخاص القلائل الذين يحب هاري العمل معهم".

"لم نصل يوماً إلى هذه المرحلة، ورفض هاري العرض".

"لكن، يبدو الآن أنه بدّل رأيه".

"أوه! ما الذي دفعه إلى ذلك؟".

"لم يقل. قال فقط إنه رأى أنه من المناسب طلب الأمر مني".

"طبعاً. أنت الرئيسة هنا".

"لا يمكنك الاستخفاف بأي شيء عندما يكون هاري معنياً. أنا أعرفه جيداً؛ مثلما تعلم".

أوما هولم برأسه. إنه يعلم ذلك تماماً. لقد عرف جاك هالفورسن؛ شريك بتي ووالد طفلهما الذي قتل أثناء العمل مع هاري. في يوم شتوي بارد وقارس، وفي وضوح النهار، في غرونلوكا، حين تعرض لطعنة في الصدر. وصل هولم مباشرة بعد الحادثة. تدفق الدم الساخن على الثلج الأزرق. موت شرطي. لم يلق أحد اللوم على هاري؛ باستثناء هاري نفسه.

حكّ شاربيه القصيرين. "ماذا قلت إذًا؟".

أخذت بتي نفساً عميقاً، وراقبت الصحفيين والمصورين وهم يخرجون مسرعين من مبنى كريوس. "الشيء نفسه الذي سأقوله لك الآن. لقد أعلنت وزارة العدل أن كريوس تملك الأولوية، ووفقاً لذلك لا مجال أبداً لأن أحول رجال شرطة قضائيين إلى أي شخص غير بيلمان في هذه القضية".

"لكن؟".

طرقت بتي لون بقلم "بيك" على الطاولة، بقوة. "لكن، ثمة قضايا أخرى إضافة إلى هذه الجريمة المزدوجة".

قال هولم: "جريمة ثلاثية". وبعد نظرة حادة من بتي، أضاف: "صدقيني".

"لا أعرف بالضبط ما الذي يحقق فيه المحقق هول. لكن حتماً، إنه لا يحقق في أي من هذه القضايا الجرمية. اتفقنا أنا وهو بالكامل على ذلك. وبالتالي، سيتم تحويلك إلى تلك القضية أو تلك القضايا - التي لا أعرف عنها أي شيء - لمدة أسبوعين. أريد على مكتبي نسخة عن أول تقرير حول كل ما تفعله بعد خمسة أيام عمل ابتداء من الآن. هل هذا مفهوم؟".

في قرارة نفسها، كانت كاجا سولنس مشرقة مثل الشمس، وأحست برغبة جامحة في الدوران حول نفسها على كرسيها الدوار.

قالت وهي تحاول السيطرة على نفسها، وإنما استطاعت سماع الابتهاج في صوتها: "إذا وافق هاغن، فسأنضم إليك طبعاً".

قال الرجل المتكئ على إطار الباب، والواضع ذراعه فوق رأسه على شكل خط مائل: "لقد وافق هاغن. وهكذا، يتألف الفريق مني أنا وأنت وهولم. والقضية التي نعمل عليها سرية. سنبدأ غداً. لاقيني في مكتبي عند الساعة السابعة".
"أوه... الساعة؟".

"السابعة. في تمام الساعة السابعة".

"فهمت. في أي مكتب؟".

ابتسم الرجل ابتسامة عريضة وشرح.

نظرت إليه غير مصدقة: "حصلنا على مكتب في السجن!".

استرخى الرجل الواقف على شكل مائل عند الباب. "لاقيني في الموعد المحدد، وسيبدأ العمل. هل من أسئلة؟".

تملك كاجا الكثير من الأسئلة، لكن هاري غادر.

بدأ الحلم يظهر الآن أيضاً في النهار. من مسافة بعيدة، أستطيع سماع الفرقة الموسيقية تعزف لحن "الحب مؤلم". ألاحظ بضعة شبان واقفين حولنا، لكنهم لم ينضموا إلينا. جيد. وبالنسبة إليّ، أنا أنظر إليها. انظري إلى ما فعلته؛ أحاول القول. نظري إليه الآن. هل ما زلت تريدني؟ يا الله! كم أكرهها، كم أرغب في إخراج نسكين من فمي وغرزها فيها، طعننها في أماكن عدة، ورؤيته يتدفق خارجاً: الدم، لأحشاء، الكذب، الغباء، اعتقادها الأحمق بأنها أفضل من الآخرين. يجدر بشخص ما أن يربها كم هي بشعة من الداخل.

شاهدت المؤتمر الصحفي على شاشة التلفاز. حمقى غير كفويين. لا أدلة! لا
مشبه بهم! أول ثماني وأربعين ساعة ذهبية، الوقت يمرّ، بسرعة، بسرعة. ماذا تريدون
مني أن أفعل؟ أكتبها بالدم على الجدار؟
أنتم من يسمح لهذا القتل بالاستمرار.
انتهت الرسالة.
بسرعة.

أضواء وامضة

راقبت ستاين الشاب الذي تحدث إليها للتو. يملك لحية، وشعراً أشقر، وقبعة صوفية. في الداخل! هذه القبعة ليست مخصصة للاستعمال في الداخل؛ فهي قبعة سميكة لإبقاء الأذنين دافئتين. متزليج على الثلج؟! في أي حال، عندما راقبته عن كثب أكبر، تبين لها أنه ليس شاباً صغيراً وإنما رجل. فوق الثلاثين. في أي حال، ظهرت تجاعيد بيضاء في البشرة البنية.

"إذا؟". صرخت فيما الموسيقى تصدح عالياً من مكبرات الصوت في كرابي. المطعم الذي تم افتتاحه حديثاً يزعم أنه المقصد الجديد للموسيقيين وصانعي الأفلام والكتاب الشباب الموهوبين في ستافانجر، والذين يوجد القليل منهم في هذه المدينة المادية والموجهة صوب الأعمال. واتضح أن الأشخاص الموجودين هنا لم يقرروا بعد ما إذا كانت كرابي تستحق حظوتهم أم لا؛ تماماً مثلما لم تقرر ستاين بعد ما إذا كان هذا الشاب - الرجل - يستحقها أم لا.

قال لها بابتسامة واثقة: "أعتقد فقط أنه يجدر بك السماح لي بإخبارك عن الأمر". ونظر إليها بعينين بدتا زرقاوين شاحبتين كثيراً بالنسبة إليها. لكن السبب ربما هو الإضاءة هنا؟ الأضواء الوامضة؟ هل هذا جميل؟ الوقت سيخبرها. برم كأس الشراب في يده، وتراجع إلى الخلف صوب المشرب حيث يتوجب عليها الانحناء إلى الأمام إذا أرادت سماع ما يقوله، لكنها لم تقع في هذا الفخ. كان يرتدي سترة سميكة محشوة، وإنما من دون أن تتمكن من رؤية قطرة عرق واحدة على وجهه؛ تحت تلك القبعة المضحكة. أم إن الطقس بارد إلى هذه الدرجة؟

قال لها: "هناك عدد قليل جداً من الأشخاص الذين ركبوا على الدراجات الهوائية في قسم الدلتا في بورما، وعادوا على قيد الحياة بشكل كافٍ لإخبار الآخرين بما حصل معهم".

على قيد الحياة بشكل كافٍ! ثرثار إذاً. أحببت ذلك لدرجة معينة. إنه يشبه أحداً؛ بطل مغامرات أميركياً من فيلم قديم أو برنامج تلفازي من حقبة الثمانينيات.

"وعدت نفسي بأني إذا عدت إلى ستافانجر، فسأخرج إلى المقهى وأشتري شراباً وأتكلم إلى الفتاة الأكثر جاذبية التي أراها أمامي وأقول ما أقوله الآن". مدّ ذراعيه إلى الأمام، وكشف عن ابتسامة بيضاء كبيرة. "أظن أنك الفتاة؛ حسب الباغودة الزرقاء".

"ماذا؟".

"ردويارد كيلينغ، آنستي. أنت الفتاة التي تنتظر الجندي الأميركي قرب باغودة مولماين الزرقاء القديمة. فماذا تقولين؟ هل ستتضمنين إليّ لنمشي حافبي الأقدام على الرخام في شويداغون؟ ونتناول لحم الكوبرا في باغو؟ وننام حتى نسمع أذان المسلمين الداعي إلى الصلاة في رانغون؟ ونواجه البوذيين في ماندالاي؟".

استشق الهواء، فيما انحنت إلى الأمام. "إذاً، أنا الفتاة الأكثر جاذبية هنا، أليس كذلك؟".

نظر حوله. "لا. لكنك تملكين أكبر نهدين. أنت جميلة المظهر، لكن المنافسة قاسية جداً عليك لتكوني الفتاة الأكثر جمالاً بين المجموعة. هل يجدر بنا المغادرة؟".

ضحكت وهزت رأسها. لم تعرف ما إذا كان مضحكاً أو مجنوناً.

"أنا برفقة بعض الفتيات. يمكنك تجربة هذه الخدع مع فتاة أخرى".

"الياس".

"ماذا؟".

"كنت تتساءلين عن اسمي. في حال التقينا مجدداً، اسمي الياس. سكوغ. سوف تنسين هذا، لكنك ستذكرين الياس. وسوف نلتقي مجدداً. في الواقع، قبل أن تصوري ذلك".

أحنت رأسها. "أوه، حقاً؟".

شرب بعدها كل محتوى كأسه، ووضعها على المشرب، وابتسم لها وغادر.

"من كان؟".

إنها ماتيلد.

قالت ستاين: "لا أعرف. إنه لطيف فعلاً. وإنما غريب الأطوار. تحدث كما لو أنه آتٍ من شرق النروج".

"غريب الأطوار! ماذا تعنين؟!".

"ثمة شيء غريب في عينيه وأسنانه. هل من أضواء وامضة هنا؟".

"أضواء وامضة؟".

ضحكت ستاين. "لا، إنه ضوء السولاريوم الشبيه بلون معجون الأسنان".
استدارت ستاين صوب المخرج وهي تنظر حولها. اعتقدت أنها رأّت وجهاً على
لوح نافذة، لكن ما من أحد هناك.

ملك السرعة

إنها الساعة التاسعة ليلاً، وكان هاري يسير وسط مدينة أوصلو. أمضى فترة الصباح وهو يحمل الكراسي والطاولات إلى المكتب الجديد. وبعد الظهر، ذهب إلى مستشفى ريكس، لكن والده كان يخضع لبعض الفحوص. وهكذا، عاد إلى المكتب، ونسخ تقارير، وأجرى بعض الاتصالات، وحجز تذكرة سفر إلى بيرغن، وتجول بين المحلات، واشترى بطاقة SIM بحجم طرف سيجارة.

تحرك هاري بفاعلية كبيرة. لطالما استمتع بالتحرك من الشرق إلى الغرب في هذه المدينة الصغيرة، وملاحظة التبدلات التدريجية - وإنما الجلية - في الأشخاص، والموضة، والانتماء العرقي، والهندسة المعمارية، والمحلات، والمقاهي. دخل إلى مطعم ماكدونالدز، وتناول برغر، ووضع ثلاث قشات في جيب معطفه وتابع رحلته. بعد نصف ساعة من الوقوف في القسم الباكستاني الفقير من غرونلاند، وجد نفسه في قسم ويست إند المرتب، والمعقم تقريباً، والأبيض جداً. عنوان كاجا سولنس يقع في مبنى لايدر ساجنس، وتبين أنها تقيم في واحد من تلك المنازل القديمة الضخمة التي جذبت رتلاً طويلاً من الأوسلووين في المناسبات النادرة التي يتم فيها طرح واحد منها للبيع. ليس للشراء - لأن عدداً قليلاً فقط يستطيع تحمل تلك الكلفة - وإنما فقط للمشاهدة، والحلم، وتلقي التوكيد بأن فاغربوغر لا تزال فعلاً مثلما أريد لها: منطقة حيث الأغنياء ليسوا أغنياء جداً، والمال ليس جديداً جداً، ولا يملك أحد حوض سباحة، أو أبواباً كهربائية للمرائب، أو أي اختراع عصري آخر شائع. فأهالي فاغربوغر - التي تعني حرفياً المواطنين الراقين - يفعلون ما فعلوه هنا على الدوام. في الصيف، يجلسون تحت أشجار التفاح في حدائقهم الكبيرة المظللة على مفروشات الحدائق القديمة، والضخمة بطريقة غير عملية، والملونة بالأسود؛ تماماً مثل المنازل التي تم إحضارها منها. وعندما تتم إعادتها إلى داخل المنازل وتصبح النهارات أقصر، تضاء الشموع خلف النوافذ. في مبنى لايدر ساجنس، ثمة جو احتفالي يستمر من شهر أكتوبر ولغاية شهر مارس.

أصدرت البوابة صوتاً عالياً جداً، حيث انتفتت الحاجة إلى اقتناء كلب؛ مثلما أمل هاري. انسحقت الحصى تحت حذائه. لقد كان سعيداً جداً مثل الولد الصغير عند عثوره على حذائه في الخزانة، لكنه بات الآن مبللاً بالكامل بالماء.

صعد الدرجات الأمامية، وضغط على الجرس الخالي من أي اسم عليه. وجد أمام الباب زوج أحذية أنيقاً للسيدات، وزوج أحذية للرجال. مقياس ستة وأربعين، مثلما قدّر هاري. لا بد أن زوج كاجا ضخم؛ مثلما يوحي الحذاء. فهي طبعاً تملك زوجاً. لا يعرف لماذا فكر بهذه الطريقة. انفتح الباب.

"هاري!؟". كانت ترتدي سترة صوفية مفتوحة وكبيرة جداً عليها، وسروال جينز قديماً، وتنتعل حذاء لبادياً قديماً جداً لدرجة أن هاري أقسم أنه مليء بالبقع البنية. لا ماكياج، فقط ابتسامة متفاجئة. غير أنها بدت وكأنها تتوقعه، وتتوقع أن يحب رؤيتها بهذه الطريقة. طبعاً، لقد رأى ذلك قبلاً في عينيها في هونغ كونغ؛ الافتتان - الذي تكشف عنه العديد من النساء - برجل صاحب سمعة جيدة أو سيئة. إلا أنه لم يجبر تحليلاً شاملاً لكل فكرة خطرت في باله ودفعته إلى هذا الباب. لقد وفر على نفسه الجهد فقط. حذاء بمقياس ستة وأربعين، أو ستة وأربعين ونصف.

قال هاري: "حصلت على عنوانك من هاغن. تعيشين على مسافة قريبة جداً من شقتي، ولذلك فكرت بالمرور بدلاً من استعمال الهاتف". ابتسمت ابتسامة متكلفة. "لا تملك هاتفاً خلويًا".

"خطأ". أخرج هاري هاتفاً أحمر من جيبه. "أعطاني هاغن هذا، لكنني نسيت الرقم السري. هل أزعجك؟".

"لا، لا". فتحت الباب بكامله ودخل هاري. هذا محزن، لكن قلبه كان يخفق أسرع قليلاً فيما انتظرها. قبل خمسة عشر عاماً، لكان ذلك قد أزعجه، لكنه الآن روض نفسه وتقبل الحقيقة التافهة؛ وهي أن جمال المرأة سيملك دوماً هذا القدر من القوة المؤثرة فيه. "أنا أحضر القهوة. هل تريد القليل منها؟".

انتقلا إلى غرفة الجلوس. كانت الجدران مغطاة بالصور، والرفوف مليئة بالعديد من الكتب التي شك في أن تكون قد قرأتها كلها بنفسها. تملك الغرفة طابعاً رجولياً واضحاً. مفروشات كبيرة ومزوّاة، كرة جغرافية، نارجيلة، وأسطوانات فينيل على المزيد من الرفوف، وعلى الجدران ثمة خرائط وصور فوتوغرافية لجبال عالية مغطاة بالثلج. استنتج هاري أنه أكبر منها بكثير. ثمة جهاز تلفازي يعمل، ولكن من دون أي صوت.

قالت كاجا وهي ترفع جهاز التحكم عن بعد وتطفئ التلفاز: "لا تزال ماريت أولسن الخبير الرئيس في كل نشرات الأخبار. طالب اثنان من زعماء المعارضة بنتائج سريعة في التحقيق. وقالوا إن الحكومة تفكك قوة الشرطة بشكل منهجي. لن تحظى كريبوس بالكثير من الراحة خلال الأيام القليلة المقبلة".

قال هاري: "نعم من فضلك، للقهوة". ودخلت كاجا إلى المطبخ.

جلس على الأريكة. ثمة كتاب مفتوح لجون فاتني موضوع على وجهه فوق طاولة القهوة، قرب نظارة قراءة خاصة بالسيدات. وقربها كانت هناك صور فوتوغرافية لفروغنر ليدو. ليس لمسرح الجريمة نفسه، وإنما لأشخاص احتشدوا خارج الشريط الذي وضعته الشرطة بهدف الاستطلاع. أصدر هاري صوت رضى. ليس فقط لأنها أحضرت معها عملاً إلى المنزل، وإنما لأن المسؤولين عن مسرح الجريمة ما زالوا يلتقطون هذه الصور. لقد كان هاري من أصرّ دوماً على تصوير الحشود. فهذا شيء تعلمه في دروس الأف بي أي بشأن القتل بالتسلسل. إذ إن عودة القاتل إلى مسرح الجريمة ليست خرافة أبداً. الإخوة كينغ في سان أنطونيو، والرجل "كاي-مارت" تم اعتقالهم تحديداً لأنهم لم يستطيعوا كبح أنفسهم، وعادوا إلى مسرح الجريمة لتأمل عملهم بإعجاب، ولرؤية كل الفوضى التي أحدثوها، وللإحساس بأنهم منيعون. المصورون الفوتوغرافيون في كريمتكينسك يطلقون على ذلك اسم وصية هاري السادسة. ونعم، هناك تسع وصايا أخرى. قلب هاري الصور.

صرخت كاجا من المطبخ: "لا تشرب الحليب، أليس كذلك؟".
"نعم".

"هل تشربه؟ في هيثرو...".

"أقصد نعم، كما في نعم، أنت محقة، أنا لا أشرب الحليب".

"آه. لقد اعتدت على النظام الكانتوني".

"ماذا؟".

"توقفت عن استعمال النفي المزدوج. الكانتونيون منطقيون أكثر. أنت تحب المنطق".

"هل هذا صحيح؟ أعني بشأن الكانتونيين؟".

ضحكت من المطبخ: "لا أعرف. أحاول فقط أن أبدو ذكية".

لاحظ هاري أن المصور الفوتوغرافي كان حذراً، إذ التقط الصور من ارتفاع الورك، من دون استعمال أي ضوء وامض. انتباه الحشود كان موجهاً صوب برج

نغطس. عيون كليلة، أفواه نصف مفتوحة، كما لو أنهم سئموا الانتظار لرؤية شيء مخيف، شيء لألبوماتهم، شيء سيخيفون به الجيران كثيراً. ثمة رجل يرفع هاتفاً خلويّاً عالياً في الهواء. إنه يلتقط الصور بلا شك. أخذ هاري العدسة المكبرة الموضوعة فوق كومة التقارير، وتأمل وجوه الحشود؛ الواحد تلو الآخر. لم يكن يعرف عما يبحث؛ لأن دماغه فارغ. إنها أفضل طريقة، لعدم تفويت أي شيء قد يكون موجوداً. "هل استطعت رؤية أي شيء؟". جلست على الكرسي، وانحنت لترى الصور. شم رائحة خفيفة لعطر صابون الخزامى، وهي الرائحة نفسها التي شمها في الطائرة عندما نامت على كتفه.

سألها وهو يمسك بفنجان القهوة: "مم. هل تظنين أنه يوجد أي شيء يمكن رؤيته هنا؟".
"لا".

"إذاً، لماذا أحضرت هذه الصور إلى المنزل".
"لأن خمسة وتسعين في المئة من كل عمل الشرطة يتمثل في البحث في نمكان الخطأ".

لقد ذكرت للتو وصية هاري الثالثة.
"وعليك أن تتعلم الاستمتاع بهذه النسبة، وإلا سيجنّ جنونك".
الوصية الرابعة.

سأل هاري: "والتقارير؟".
"تملك فقط التقارير المرتبطة بجريمتي بورغني وشارلوت، ولا يوجد أي شيء فيهما. لا أدلة جنائية، ولا حديث عن نشاطات غير اعتيادية. لا وجود لأعداء ندودين، أو عشاق غَيْرِي، أو ورثة جشعين، أو مطاردين مشوّشين، أو تجار مخدرات غير صبورين، أو دائنين آخرين. باختصار...".

"لا أدلة، لا حوافز ظاهرية، ولا أسلحة جرمية. كنت أودّ الشروع في إجراء مقابلات مع الأشخاص في قضية ماريت أولسن. لكن، مثلما تعلمين، نحن لا نعمل على هذه القضية".

ابتسمت كاجا. "طبعاً لا. بالمناسبة، تحدثت إلى صحفي سياسي من جريدة VG نيوم. قال إن أياً من الصحفيين في ستورتنجت لا يعلم بأن ماريت أولسن كانت تعاني من الاكتئاب أو الأزمات الشخصية أو الأفكار الانتحارية. ولا تملك أعداء؛ في مهنتها أو حياتها الخاصة".

"مم".

راقب هاري صف وجوه الحشود. ثمة امرأة بعينين نائمتين مع ولد على ذراعها. "ماذا يريد هؤلاء الأشخاص؟". خلفهم، ظهر رجل يغادر. سترة متفتحة، قبة صوفية. "التعرض للصدمة، أو للخوف، أو يريدون التسلية، أو التطهر...؟". "غير معقول".

"مم. وأنت تقرئين إذاً جون فانتلي. تحيين الأشياء القديمة، أليس كذلك؟". أوماً في اتجاه الغرفة، المنزل. وكان يقصد الغرفة والمنزل. لكنه ظنّ أنها ستصدر تعليقاً حول الزوج إذا كان أكبر منها بكثير، مثلما ظنّ هاري. نظرت إليه بحماسة وسألته: "هل قرأت فانتلي؟". "عندما كنت شاباً وأعيش حقبة بوكوفسكي، قرأت واحداً بعنوان حيرني. اشترت الكتاب على الأغلب لأن تشارلز بوكوفسكي كان معجباً كبيراً بها". نظر إلى ساعته. "أوه، حان وقت العودة إلى المنزل".

نظرت إليه كاجا بذهول، ومن ثم إلى فنجان القهوة الذي لم يلمسه. ابتسم هاري وهو يقف على قدميه: "إنه تعب السفر. نستطيع التحدث غداً في الاجتماع". "طبعاً".

رَبّت هاري على جيب سرواله. "بالمناسبة، نفذت مني السجائر. سجائر كاميل المعفاة من الضرائب التي حملتها لي عبر الجمارك...". "ابتسمت. "دقيقة واحدة".

وعندما عادت مع علبة السجائر، كان هاري واقفاً في الرواق، وقد ارتدى سترته وانتعل حذاءه.

قال: "شكراً لك". وأخرج علبة سجائر من العلبة الكبيرة وفتحها. عندما أصبح خارجاً على الدرجات، اتكأت على إطار الباب وقالت: "لا يجدر بي ربما قول ذلك، لكنني أشعر أن هذا كان نوعاً من الامتحان".

قال هاري، وهو يشعل سيجارة: "امتحان؟!". "لا أريد السؤال عن الغرض من الامتحان. لكن، هل نجحت فيه؟". قهقه هاري. "كان هذا فقط". نزل الدرج وهو يلوّح بعلبة السجائر. "تمام الساعة السابعة".

دخل هاري إلى شقته. ضغط على مفتاح الضوء، ولاحظ أنه لم يتم قطع الكهرباء. نزع معطفه، وذهب إلى غرفة الجلوس، وأدار أسطوانة "ديب بوربل"؛ فريقة الموسيقي المفضل في الفئة المضحكة، وإنما المميّزة على أي حال. "ملك السرعة". عزف آيان بايس على الطبل. جلس على الأريكة، وضغط بأطراف أصابعه على جبينه. الكلاب تنبح بقوة؛ تعوي، تصرخ، تنبح، وأسنانها تنهش أحشاءه. إذا أفلتها، فلا مجال أبداً للعودة. ليس هذه المرة. قبلاً، لطالما كانت هناك أسباب كافية للتوقف عن احتساء الشراب؛ راكيل، أوليغ، الوظيفة، وربما حتى الوالد. لكنه لم يعد يملك أيّاً من ذلك الآن. لا يمكن أن يحصل هذا. ليس مع الشراب. لذا، عليه اللجوء إلى مادة سامة أخرى. يستطيع السيطرة على التسمم. شكراً لك، كاجا. هل يشعر بالخجل؟ طبعاً يشعر بالخجل، لكن الكبرياء ترف لا يستطيع دائماً أن يحظى به.

نزع الغلاف عن علبة الكرتون، ثم أخرج العلبة السفلية. بالكاد يمكن الملاحظة أن الختم الموجود على العلبة قد تم تمزيقه. صحيح أن النساء مثل كاجا لا يخضعن أبداً للتفتيش عند الجمارك. فتح العلبة، وسحب ورقة الألمنيوم. فتحها ونظر إلى الكرة البنية. استنشقت الرائحة الحلوة.

ثم باشر في تحضيراته.

لقد رأى هاري كل الطرق الممكنة لتدخين الأفيون، كل شيء يتراوح ما بين الإجراءات التقليدية وتلك المعقدة في أوكار الأفيون التي ليست أقل شأنًا من احتفالات الشاي الصينية، مع كل أنواع الأنابيب وصولاً إلى الأكثر بساطة: إشعال الكرة، ووضع قشة فوقها، واستنشاق كل الدخان المتصاعد بكل ما أوتيت من قوة. ومهما كانت الطريقة التي تختارها، فإن المبدأ هو نفسه: إدخال المواد - المورفين، الثيباين، الكودين، ومجموعة كاملة من المواد الكيميائية الأخرى - إلى دورتك الدموية. لذا، كانت طريقة هاري مباشرة. ثبتت ملعقة فولاذية على طرف الطاولة، ووضع فيها جزيئة صغيرة جداً من الكتلة، لا يتعدى حجمها حجم رأس عود الكبريت، وسخنها بواسطة قداحة. وعندما بدأ الأفيون يحترق، وضع فوقه كوباً زجاجياً عادياً لاحتواء الدخان، ثم وضع قشة شرب، ذات طرف مرن قابل للطي، في الكوب الزجاجي واستنشقت. لاحظ هاري أن أصابعه عملت من دون أي ارتعاش على الإطلاق. في هونغ كونغ، كان يراقب دوم مستوى إدمانه. وعند مراقبته إدمانه بهذه الطريقة، وجد أنه مدمن المخدرات الأكثر انضباطاً الذي عرفه في حياته. فهو يستطيع مسبقاً تحديد جرعته والتوقف عندها؛ مهما كان ثملاً. في هونغ كونغ، توقف عن تعاطي الأفيون لمدة أسبوع أو أسبوعين، وتناول

فقط جبتين من مسكنات الألم، التي لا تحول دون حصول أعراض الانقطاع في أي حال، وإنما كان لديها ربما أثر نفسي لأنه عرف أنها تحتوي على مقدار ضئيل من المورفين. لم يكن مدمناً. إنه مدمن إجمالاً على المخدرات، ولكن ليس على الأفيون تحديداً؛ رغم أن المقياس انزلاقي حتماً. لأنه فيما كان يشعل النار تحت الملعقة، أحس بالكلاب تهدأ. فهي تعرف الآن، تعرف أنه سيتم إطعامها مجدداً.

ويمكن أن تبقى في سلام؛ حتى المرة التالية. كانت القداحة الساخنة المشتعلة تحرق أصابع هاري. وعلى الطاولة، كانت قشات ماكدونالدز.

بعد دقيقة واحدة، شَم أول جرعة. كان التأثير فورياً. فالآلام - حتى تلك التي لم يعرف أنه يعاني منها - اختفت. وظهرت الأفكار والصور. سيتمكن من النوم الليلة.

لم يستطع بيورن هولم النوم. حاول قراءة هانك ويليامز: السيرة الذاتية للمؤلف إسكوت؛ الكتاب الذي يتحدث عن الحياة القصيرة والموت الطويل لأسطورة البلاد. وحاول أيضاً الاستماع إلى قرص غنائي للوسيندا ويليامز في حفلة لها في أوستن. كما حاول عدّ رؤوس الماشية في تكساس، ولكن من دون جدوى.

إنها معضلة. هذه هي بالضبط حقيقة الأمر؛ إنها مشكلة من دون حل ملائم. يكره الشرطي القضائي هولم هذا النوع من المشاكل. تتوقع على نفسه فوق السرير الأريكة القصير جداً الذي كان بين مجموعة الأغراض التي اشتراها من سكرها، بالترافق مع مجموعة أفراس إلفيس، والسكس بيستولز، وجايسون إند ثي سكروتشرز، وثلاث بذلات يدوية الصنع من ناشفيل، وطقم لغرفة الطعام عاصر ثلاثة أجيال من آل هولم. لكنه لم يستطع التركيز.

المعضلة هي أنه توصل إلى اكتشاف مهم أثناء فحص الجبل الذي شنقت به ماريت أولسن نفسها؛ أو بالأحرى الذي تم شنقها فيه. ليس هذا دليلاً سيفضي حتماً إلى شيء مهم، لكن المعضلة تبقى نفسها: هل من الملائم نقل المعلومة إلى كريبوس أو إلى هاري؟ لقد عثر بيورن هولم على أصدقاء بالغة الصغر على الجبل، في الوقت الذي كان لا يزال يعمل فيه مع كريبوس. وقد تحدث إلى عالم أحياء متخصص في المياه العذبة في المعهد البيولوجي في جامعة أوصلو. إلا أن بتي لون نقلته للعمل

مع هاري قبل أن تتم كتابة التقرير، وعندما يجلس غداً أمام الكمبيوتر لكتابته، فإنه في الواقع ينقل المعلومة إلى هاري.

حسناً، على الصعيد التقني ليست هذه معضلة ربما لأن المعلومة تخص كريبوس. وإعطاء المعلومة لأي فريق آخر سيعتبر بمثابة تقصير في الواجب. وبماذا يدين أصلاً لهاري هول؟ لم يعطه قط أي شيء سوى العدائية. كان مراوفاً ومتهوراً في العمل، وخطيراً عندما يكون ثملاً. وإنما على المستوى المطلوب حين يكون رزيناً. يمكنك الاعتماد عليه في الظهور في الوقت المناسب، ولن تكون هناك أي فوضى، ولا أي "أنت تدين لي". إنه عدو مزعج، وإنما صديق جيد. رجل طيب. رجل طيب جداً. في الواقع، يشبه هانك قليلاً.

صرخ بيورن هولم، وبرم ليصبح وجهه أمام الحائط.

استيقظت ستاين مذهولة.

في العتمة، سمعت صوت صرير، فبرمت على جانبها. كان السقف مضاء بشكل خفيف. جاء الضوء من الأرض قرب السرير. ما هي الساعة الآن؟ الساعة الثالثة فجرًا؟ تمددت وأمسكت بالهاتف الخليوي.

"نعم؟" قالت بصوت جعلها تبدو نعسى أكثر مما كانت في الواقع.

"بعد الدلتا، سئمت من الأفاعي والبعوض، وتوجهنا أنا والدراجة النارية شمالاً بمحاذاة الشاطئ البورمي نحو أراكان".
تعرفت إلى الصوت على الفور.

قال: "إلى جزيرة ساي تشانغ. إذ كان ثمة بركان وحلي نشط سمعت أنه على وشك الانفجار. وفي الليلة الثالثة على وجودي هناك، انفجر. ظننت أنه سيكون هناك وحل فقط. لكن، مثلما تعلمين، تدفقت منه أيضاً حمم قديمة الطراز. حمم سميكة، تدفقت ببطء شديد عبر البلدة حيث بالكاد استطعنا الابتعاد عنها".

تثاءبت قائلة: "إنه منتصف الليل".

"إلا أنها لم تتوقف بعد. يطلقون عليها على ما يبدو اسم الحمم الباردة عندما تكون دبقة جداً، وإنما تقضي على كل شيء في طريقها؛ الأشجار مع الأوراق الخضراء النضرة التي سرعان ما تتحول إلى رماد ثم تختفي. حاول البورميون الفرار في سياراتهم المحملة بأغراضهم الشخصية التي استطاعوا جمعها، لكنهم قضوا وقتاً طويلاً في توضيب الأغراض. والحمم كانت تتحرك بسرعة كبيرة في النهاية! وعندما

خرجوا من منازلهم مع أجهزة التلفاز، كانت الحمم قد وصلت عالياً إلى جدرانهم. رموا أنفسهم داخل سياراتهم، لكن الحرارة ثقت العجلات. ثم اشتعلت النيران في البنزين وتفحموا مثل شعل بشرية. هل تذكرين اسمي؟".

"اسمع، الياس...".

"قلت لك إنك ستتذكرين".

"عليّ النوم. لديّ صفوف غداً".

"أنا في حالة ثوران، ستاين. أنا حمم باردة. أتحرك ببطء، لكنني لا أتوقف. أنا آتٍ إلى حيث أنت".

حاولت أن تذكر إن كانت قد ذكرت أمامه اسمها. وعلى الفور، وجهت نظرها صوب النافذة. كانت مفتوحة. في الخارج، آتت الرياح بسلام وطمأنينة.

كان صوته منخفضاً، مثل الهمس. "شاهدت كلباً عالقاً في أسلاك شائكة، يحاول الفرار. كان في طريق الحمم. إلا أن دق الحمم انعطف صوب اليسار ومرّ بالقرب منه. الحمم التصقت به، واختفى نصف الكلب ببساطة، تبخر. قبل أن يحترق كله. هكذا، تحول إلى رماد أيضاً. كل شيء تحول إلى رماد".

"اسمع، سأنتهي الاتصال".

"انظري إلى الخارج. انظري. أنا قرب المنزل".

"توقف!".

"استرخي. أنا أمزح معك". رنّت ضحكته العالية في أذنيها.

ارتعدت ستاين. لا بد أنه ثمل، أو مجنون، أو الاثنان معاً.

"نامي جيداً، ستاين. أراك قريباً".

أنهى الاتصال، فحدقت ستاين في الهاتف، ثم أطفاله ورمته عند أسفل سريرها.

لغنت نفسها لأنها عرفت ما سيحصل. لن تستطيع النوم مجدداً هذه الليلة.

ألياف

إنها الساعة 6:58. هاري هول وكاجا سولنس وبيورن هولم كانوا يسيرون في النفق تحت الأرض، الممتد على طول ثلاث مئة متر، والذي يربط بين المركز الرئيس للشرطة وسجن منطقة أوسلو. يتم استعماله بين الحين والآخر لنقل السجناء إلى مركز الشرطة لاستجوابهم، وأحياناً أخرى لإنجاز التمارين الرياضية شتاء، وفي الأيام الغابرة السيئة لممارسة التعذيب القاسي غير الرسمي بحق السجناء العنيدين.

تقطر الماء من السقف على الأرض الإسمنتية مع أصوات ندية تردد صداها في الرواق المضاء بشكل خفيف.

"هنا". قال هاري فيما وصلوا إلى نهاية الرواق.

سأل بيورن هولم: "هنا؟".

توجب عليهم حني رؤوسهم للمرور تحت السلالم المؤدية إلى زنانات السجن. برم هاري المفتاح في القفل وفتح الباب الحديدي، فصدمة رائحة الهواء الرطب الساخن.

ضغط على زر الإنارة. انبعث ضوء أزرق بارد من أنابيب النيون، وغطى الغرفة الإسمنتية المربعة المشتملة على أرضية مشمعة باللون الأزرق-الرمادي من دون أي شيء على الجدران.

لا تملك الغرفة نوافذ، ولا أجهزة تدفئة، ولا شيء من وسائل العيش التي تتوقع إيجادها في مساحة يفترض أن تكون بمثابة مكتب لثلاثة أشخاص.

باستثناء المكاتب والكراسي وجهاز كمبيوتر على كل مكتب. على الأرض، ثمة آلة للقهوة باللون البني وبرد للماء.

قال هاري: "أجهزة التدفئة التي تدفئ السجن بكامله موجودة في الغرفة المحاذية. ولهذا السبب، الجو حار جداً هنا".

قالت كاجا، وهي تجلس أمام أحد المكاتب: "ليس الجو ودوداً كثيراً مبدئياً".

قال هولم: "صحيح، ويذكرني قليلاً بالجحيم". فيما نزع عنه سترته المصنوعة من الجلد السويدي، وفك زراً من أزرار قميصه. "هل من إرسال للهاتف الخلوي هنا؟".
أجاب هاري: "بالكاد. وثمة اتصال بالإنترنت. نملك كل ما نحتاج إليه".
قال هولم: "باستثناء فناجين القهوة".

هَزَّ هاري رأسه، وأخرج من جيب سترته ثلاثة أكواب بيضاء، ووضع كوباً واحداً على كل مكتب. ثم سحب كيس قهوة من جيبه الداخلي وتوجه صوب آلة القهوة.
قال بيورن، وهو يرفع الكوب الذي وضعه هاري أمامه: "لقد أخذتها من المخزن. هانك وويليامز؟".

قال هاري، وهو يمزق كيس القهوة بأسنانه لفتحه: "الأحرف مكتوبة بقلم لبادي، ولذلك توخَّ الحذر".

قرأت كاجا على كوبها. "جون فانتى؟ ما الاسم الذي حصلت عليه؟".
قال هاري: "في الوقت الحاضر، لا شيء".
"ولمَ لا؟".

"لأنه سيكون اسم المشتبه به الرئيس في الوقت الحاضر".
لم يقل أي من الاثنين أي شيء. غلى الماء في آلة القهوة.
قال هاري: "أريد ثلاثة أسماء على الطاولة عندما تصبح هذه القهوة جاهزة".

كانوا في صدد شرب الكوب الثاني من القهوة ودرس النظرية السادسة عندما قاطع هاري الجلسة.

"حسناً، كانت هذه مجرد تحمية لتشغيل خلايا الدماغ قليلاً".
تحدثت كاجا عن فكرة أن المجرمين مهوسون جنسياً، وأن القاتل مجرم سابق له سجل حافل بجرائم مماثلة، ويعرف أن الشرطة تملك الحمض النووي الخاص به، ولذلك لم يقذف سائله على الأرض، وإنما في كيس أو مستوعب قبل أن يغادر مسرح الجريمة. ووفقاً لهذه النظرية - أضافت كاجا - يجب أن يباشروا في مراجعة سجلات المجرمين والتحدث إلى الموظفين في قسم الاعتداءات الجنسية.
قالت: "لكن، ألا تعتقد أننا أمام شيء ما".

أجاب هاري: "لا أعتقد أي شيء. أحاول إبقاء دماغي صافياً ومستقبلاً".
"لكن، لا بد أن تشكَّ في شيء ما!".

"نعم، أظن أن الجرائم الثلاث تم تنفيذها من قبل الشخص نفسه أو الأشخاص

أنفسهم. وأظن أنه من الممكن العثور على رابط قد يقودنا بدوره إلى حافر، يقودنا بدوره - إذا كنا محظوظين جداً جداً - إلى المذنب".

"إذا كنا محظوظين جداً جداً! تجعل الأمر يبدو وكأن الاحتمالات ليست جيدة".

"حسناً". اتكأ هاري إلى الخلف على كرسيه، ووضع يديه وراء رأسه. "تم تأليف أمتار عدة من الكتب المتخصصة حول ما يميز القتلة بالتسلسل. في الأفلام، تستدعي الشرطة عالماً نفسياً يقوم - بعد قراءة مجموعة من التقارير - بإعطاء ملامح شخصية تنطبق دوماً مع المجرم. يعتقد الناس أن هنري - نموذج قاتل متسلسل - وصف شامل. لكن، من المحزن القول إنه في الحقيقة يختلف القتلة عن بعضهم بعضاً؛ تماماً مثلما يختلف الجميع عن بعضهم. ثمة أمر واحد يميزهم عن بقية المجرمين".

"وهو؟".

"لا يتم إلقاء القبض عليهم".

ضحك بيورن هولم، ثم أدرك أن هذا غير ملائم، فصمت.

قالت كاجا: "ليس هذا صحيحاً، أليس كذلك؟ ماذا عن...".

"أنت تفكرين في القضايا التي ظهر فيها نمط معين، وتم إلقاء القبض فيها على الشخص. لكن، لا تنسي كل الجرائم غير المحلولة التي لا تزال نعالها فريدة؛ حيث لم يتم العثور على أي رابط. هناك الآلاف منها".

نظرت كاجا إلى بيورن الذي أوما برأسه دليل تفهم.

وقالت: "إذاً، هل تعتقد بوجود روابط دائماً؟".

قال هاري: "نعم. وعلينا إيجاد واحد من دون اللجوء إلى إجراء مقابلات مع الأشخاص؛ لأن هذا قد يفضحنا".

"إذاً؟".

"عندما توقعنا تهديدات محتملة في هيئة الأمن، لم نفعل أي شيء سوى البحث عن الروابط المحتملة؛ من دون التحدث إلى أي كائن حي. اعتمدنا محرك بحث داخل "الناتو" قبل زمن طويل من سماع أي كان بمحرك "ياهو" أو "غوغل". وبفضل ذلك، استطعنا التسلسل إلى كل مكان، ومسح كل شيء تقريباً من دون أي اتصال بشبكة الإنترنت. هذا ما يجدر بنا فعله هنا أيضاً". ألقى نظرة سريعة على ساعته.

"ولهذا السبب، سأكون جالساً في طائرة متجهة إلى بيرغن بعد ساعة ونصف الساعة".

وبعد ثلاث ساعات، سأتحدث إلى زميلة سابقة عاطلة حالياً عن العمل أتمنى أن تساعدنا. فلننه الأمور هنا إذاً. تحدثنا أنا وكاجا بما فيه الكفاية، بيورن. ماذا لديك من معلومات؟".

تحرك بيورن هولم في كرسية كما لو أنه استيقظ من النوم.

"أنا... أوه... ليس الكثير، حسبما أخشى".

فرك هاري فكه بعناية. "أنت تعرف أمراً ما".

"لا. لم يحصل رجال الشرطة القضائيون ولا التحرون العاملون في هذه القضية على الكثير من المعلومات. لا في قضية ماريت أولسن، ولا في القضيتين السابقتين".

قال هاري. "مضى شهران، هيا".

قال بيورن هولم: "أستطيع منحك خلاصة. طوال شهرين، حللنا والتقطنا صور أشعة إكس، وحددنا بغباء في الصور الفوتوغرافية، وعينات الدم، والأظافر وبقايا الشعر وكل شيء. راجعنا أربعاً وعشرين نظرية حول كيفية طعنه الضحيتين أربعاً وعشرين طعنة في فمئيهما؛ لأن كل الجروح متجهة صوب الداخل، نحو النقطة المركزية نفسها، وسبب فعله ذلك؛ ولكن من دون نتيجة. تم اكتشاف جروح في فم ماريت أولسن؛ لكنها كانت ناجمة عن سكين، وبدت كبيرة ووحشية. باختصار: لا شيء".

"ماذا عن تلك الحصى الصغيرة في القبو حيث تم العثور على بورغني؟".

"جرى تحليلها. فيها الكثير من الحديد والمغزنيوم، والقليل من الألمنيوم والسيليكا. أي ما يعرف بصخرة البازالت. إنها سوداء وكثيرة المسام. هل من رأي في هذا المجال؟".

"تم العثور على الحديد والطنطاليت في الجهة الداخلية من أضرار بورغني وشارلوت. ماذا يقول لنا ذلك؟".

"تم قتلها بالأداة نفسها، لكن ذلك لا يجعلنا ندرك البتة طبيعة تلك الأداة". صمت.

سعل هاري. "حسناً، بيورن. انطق بها".

"أنطق بماذا؟".

"بما تخبئه داخلك منذ أن جئنا إلى هنا".

حك الشرطي القضائي شاربيه فيما نظر إلى هاري. سعل مرة. مرتين. نظر إلى كاجا كما لو أنه يطلب منها المساعدة. فتح فمه، ثم أغلقه.

قال هاري: "جيد. فلنتقل إلى...".
"الحبل".

حدّق الاثنان في بيورن.

"عثرت على أصداف عليه".

قال هاري: "أوه! حقاً؟".

"ولكن، من دون ملح".

كانا لا يزالان يحدقان فيه.

تابع بيورن قائلاً: "هذا غريب جداً في ماء عذب".

"إذا؟".

"إذا، تحققت من الأمر مع عالم أحياء متخصص في المياه العذبة. هذه الحيوانات الرخوية تحديداً اسمها أصداف جاتلاندا، وهي أصغر أنواع أصداف البرك، وتم العثور عليها في بحيرتين فقط في النروج".
"وهما؟".

"أويرن ولايسرن".

قالت كاجا: "أوستفولد. بحيرتان قريبتان. كيرتان".

قال هاري: "في منطقة مكتظة سكانياً".

قال هولم: "آسف".

"مم. هل من علامات على الحبل تدلنا على المكان الذي تم شراؤه منه؟".
قال هولم: "لا، هذه هي المشكلة. لا توجد أي علامات. ولا يبدو مثل أي جبل آخر رأيته قبلاً. الألياف عضوية مئة في المئة، ولا يوجد نايلون أو أي مواد اصطناعية أخرى".

قال هاري: "قنّب".

قال هولم: "ماذا؟".

"قنّب. يتم صنع الحبال والحشيش من المادة نفسها. إذا رغبت في تدخين الحشيش، فبإمكانك التوجه إلى المرفأ وإشعال الحبال المتدلية من البواخر الدانماركية".
قال بيورن هولم بالترافق مع ضحكة كاجا: "ليس قنّباً. الألياف مصنوعة من الدردار والزيزفون. ولا سيما الدردار".

قالت كاجا: "جبل نروجي الصنع. كانوا يصنعون مثل هذه الحبال في المزارع قبل زمن بعيد".

استفسر هاري: "في المزارع؟".

أومأت كاجا برأسها. "في الإجمال، كان يوجد في كل قرية صانع حبال واحد على الأقل. يكفي نقع الخشب في الماء لمدة شهر، ومن ثم تقشير اللحاء الخارجي واستعمال اللحاء الداخلي. يتم قتله على شكل حبل".

استدار هاري وبيورن للنظر مباشرة إلى كاجا.

قالت بتردد: "ما الأمر؟".

قال هاري: "حسناً، هل هذه معلومات عامة يجدر بأي شخص معرفتها؟".

قالت كاجا: "أوه، فهمت. كان جدي يصنع الحبال".

"آه. ولصناعة الحبال، نحن بحاجة إلى الدردار والزيزفون".

"في الإجمال، يمكن استعمال ألياف لحاء أي نوع من الأشجار".

"والتركيبة؟".

هزت كاجا كتفها. "لست خبيرة. لكنني أعتقد أنه من غير المستبعد استعمال لحاء من أشجار مختلفة لإعداد الحبل نفسه. أذكر أن إيفن، أخي الكبير، قال إن جدي كان يستعمل فقط الزيزفون لأنه يمتص القليل من الماء. لذا، لم يكن يحتاج إلى تغليف حباله بالقطران".

"مم. ما رأيك بيورن؟".

"إذا كانت التركيبة غير اعتيادية، فسيسهل علينا طبعاً اكتشاف مكان صنعها".

وقف هاري، وبدأ يتحرك جيئةً وذهاباً. صدر صوت قوي كلما احتك نعله المطاطي بالأرضية المشمعة. "يمكننا الافتراض إذاً أن الإنتاج محدود والمبيعات محلية. هل تظنين أن هذا منطقي كاجا؟".

"أعتقد ذلك، نعم".

"ويمكننا الافتراض أيضاً أن مراكز الإنتاج والاستهلاك قريبة جداً. فهذه الحبال محلية الصنع يصعب نقلها لأماكن بعيدة".

"يبدو هذا منطقياً أيضاً، ولكن...".

"إذاً فلنعتبر هذه نقطة الانطلاق بالنسبة إلينا. ستبدآن أنتما الاثنان بالبحث عن صانعي الحبال المحليين قرب بحيرتي أويرن ولايسرن".

قالت كاجا معترضة: "لكن، لم يعد أحد يصنع الحبال هكذا".

قال هاري وهو ينظر إلى ساعته: "افعلا ما بوسعكما". ثم أخذ معطفه عن مسند

الكرسي، وتوجه صوب الباب. "اعرفا أين تمت صناعة الجبل. أفترض أن بيلمان لا يعرف أي شيء عن أصداف جاتلانند هذه، أليس كذلك بيورن؟".

أجبر بيورن هولم نفسه على الابتسام كطريقة للإجابة.

سألت كاجا: "هل أستطيع متابعة نظرية المجرم المهووس جنسياً؟ أستطيع التحدث مع شخص أعرفه في قسم الاعتداءات الجنسية".

قال هاري: "لا. الأمر العام يقضي بإبقاء كل ما فعله طي الكتمان، وينطبق ذلك خصوصاً على زملائنا الأعضاء في مركز الشرطة. يبدو أن هناك بعض التسريبات بين مركز الشرطة وكريبوس. وبالتالي، إن الشخص الوحيد الذي نستطيع التحدث معه هو غونار هاغن".

فتحت كاجا فمها، لكن نظرة سريعة من بيورن كانت كافية لدفعها إلى إغلاقه مجدداً.

قال هاري: "لكن، ما يمكنك فعله هو العثور على خبير في البراكين، وإرسال نتائج تحليل الحجارة الصغيرة إليه".

ارتفع حاجبا بيورن الفاتحان عالياً في جبينه.

قال هاري: "حجر أسود كثير المسام، صخر بازالت. أعتقد أنها حمم بركانية. سأعود من بيرغن عند الساعة الرابعة".

قال بيورن وهو يرفع كوب القهوة: "بلغ تحياتي إلى مركز الشرطة في با-بارغن".

أجاب هاري: "لست ذاهباً إلى مركز الشرطة".

"أوه؟ إلى أين إذا؟"

"إلى مستشفى سانديكن".

"ساند...".

انغلق الباب وراء هاري. راقبت كاجا بيورن هولم، الذي كان يحدق في الباب المنغلق مع تعبير مذهول على وجهه.

سألت: "ماذا سيفعل هناك؟ هل سيرى طبيبياً؟".

هز بيورن رأسه. "مستشفى سانديكن هي مستشفى للأمراض العقلية".

"حقاً! سوف يذهب إذاً للقاء طبيب نفسي متخصص في القتل بالتسلسل، أليس

كذلك؟".

همس بيورن، وهو لا يزال يحدق في الباب: "أعرف أنه كان يجدر بي قول لا.

إنه مجنون تماماً".

"من المجنون؟".
قال بيورن: "نحن نعمل في سجن، ونجازف بوظيفتينا إذا عرف المدير بما نفعله،
والزميلة في بيرغن...".
"نعم؟".
"إنها فعلاً مجنونة".
"تقصد إنها...".
"مجنونة تماماً".

المريضة

مقابل كل خطوة قام بها الشرطي الطويل، توجب على كجيرستي رودزموين القيام بخطوتين. ورغم ذلك، بقيت في الخلف حين سارا في رواق مستشفى سانديكن. كان المطر ينهمر بغزارة خارج النوافذ العالية والضيقة المواجهة للزقاق البحري، حيث الأشجار خضراء جداً لدرجة تجعلك تظن أن الربيع قد جاء قبل الشتاء.

في اليوم السابق، تعرفت كجيرستي رودزموين إلى صوت الشرطي على الفور، كما لو أنها كانت تنتظر اتصاله. ولتلبية الطلب الذي أراده: التحدث إلى المريضة. لقد بات يطلق على المريضة اسم المريضة لمنحها أكبر قدر ممكن من الغفلة بعد ضغوط القضية الجرمية الأخيرة التي عملت فيها بمثابة تحرية وأرسلتها مجدداً إلى المربع الأول: جناح الأمراض النفسية. في الواقع، تعافت من مرضها بسرعة ملحوظة، وعادت إلى المنزل، لكن الصحافة - التي كانت لا تزال تتابع قضية رجل الثلج حتى بعد وقت طويل من انتهائها - لم تتركها بسلام. وذات مساء، قبل أشهر قليلة، اتصلت المريضة برودزموين وسألته إذا كانت تستطيع العودة.

سأل الشرطي: "هل هي إذاً في حال مقبولة بفضل الدواء؟".

قالت كجيرستي رودزموين: "نعم للإجابة عن السؤال الأول. أما السؤال الثاني فيبقى جوابه سرياً". الحقيقة هي أن المريضة كانت بحال جيدة جداً، حيث لم تعد بحاجة أبداً إلى الدواء، ولا إلى المكوث في المستشفى. إلا أن رودزموين تساءلت عما إذا كان يجدر بها السماح له بزيارتها. فقد عمل معها في قضية رجل الثلج، ويمكن أن يعيد إلى ذهنها جروحاً قديمة. لقد باتت كجيرستي رودزموين، خلال فترة عملها كطبيبة نفسية، تثق أكثر فأكثر في أهمية الكبت؛ في إخفاء الأمور، في النسيان. وهذه وجهة نظر غير رائجة في المهنة. من جهة أخرى، يعتبر اللقاء بشخص اشترك في تلك القضية تحديداً بمثابة اختبار جيد لمعرفة مدى قوة المريضة.

قالت رودزموين قبل أن تفتح باب الغرفة المشتركة: "لديك نصف ساعة. ولا تنس أن العقل هش".

آخر مرة رأى فيها هاري كاترين برات، كانت في حالة يتعذر فيها التعرف إليها. فالمرأة الشابة الجذابة صاحبة الشعر الداكن والبشرة المتألقة والعينين اللامعتين اختفت، وحلّت مكانها امرأة ذكّرتّه بزهرة يابسة وخالية من الحياة؛ هشّة، ودقيقة، وضعيفة. أحسّ أنه قد يسحق يدها إذا ضغط بقوة كبيرة.

لذا، ارتاح لدى رؤيتها الآن. بدت أكبر سناً، أو ربما كانت فقط متعبة. لكن البريق في عينيها عاد، فيما ابتسمت ونهضت.

قالت وهي تعانقه: "هاري، كيف الحال؟"

أجاب هاري: "عادي إلى وسط. وأنت؟"

قالت: "مريعة. وإنما أفضل بكثير".

ضحكت، وعرف هاري أنها قد عادت، أو أن هذا الجزء منها قد عاد. "ماذا حصل لفكك؟ هل يؤلمك؟"

قال هاري: "فقط عندما أتحدث وأكل. وعندما أكون مستيقظاً".

"يبدو هذا مألوفاً. تبدو بشعاً أكثر مما أذكر، لكني مسرورة برؤيتك في أي حال". "وأنت أيضاً".

"تقصد وأنا أيضاً، باستثناء القسم الذي ذكرت فيه أنك بشع".

ابتسم هاري. "طبعاً". ونظر حوله. كان المرضى الآخرون في الغرفة جالسين ويحدقون خارج النافذة، أو في أحضانهم، أو مباشرة إلى الحائط. لكن أياً منهم لم يكن مهتماً فيه أو في كاترين.

أخبرها هاري بما حصل معه منذ آخر مرة رأيا فيها بعضهما بعضاً. أخبرها عن راكيل وأوليف اللذين انتقلا إلى مكان مجهول في الخارج. وأخبرها عن هونغ كونغ، وعن مرض والده، وعن القضية التي استلمها. ضحكت عندما قال لها إنه لا يجدر بها إخبار أحد.

سألها هاري: "ماذا عنك؟"

"يريدون مني أن أغادر المكان فعلاً. يظنون أنني أصبحت بخير، وأني آخذ مكان شخص آخر. لكنني أحب المكان هنا. خدمة الغرف مقرفة، لكن المكان آمن. حصلت على تلفاز، وأستطيع الدخول والخروج مثلما أريد. خلال شهر أو شهرين سأعود إلى المنزل ربما، من يعلم؟"

"من يعلم؟"

"لا أحد. الجنون متقطع. ماذا تريد؟".

"ماذا تريدني مني أن أريد؟".

نظرت إليه مطولاً قبل أن تجيب. "إضافة إلى امتلاكك رغبة قوية في معاشرتي، أريدك أن تستفيد مني في شيء ما".

"وأنا هنا بالضبط لهذه الغاية".

"لتعاشرنني؟".

"لأستفيد منك في شيء ما".

"اللعنة. حسناً. ما الأمر؟".

"هل لديك كمبيوتر مع نفاذ إلى الإنترنت هنا؟".

"نملك كمبيوتراً مشتركاً في غرفة التسلية، لكنه غير موصول بالإنترنت. إنهم لا يجازفون بذلك. يستعمل الكمبيوتر لشيء وحيد هنا وهو لعب الورق. لكنني أملك كمبيوترتي الخاص في غرفتي".

"استعملي الكمبيوتر المشترك". وضع هاري يده في جيبه، ووضع سواقة اليو أس بي على الطاولة. "هذه مكتب نقال مثلما يطلقون عليها في المتجر. يكفي وصلها في...".

قالت كاترين، وهي تأخذ السواقة وتضعها في جيها: "في أحد منافذ اليو أس بي. من يدفع كلفة الاشتراك؟".

"أنا. أقصد، هاغن".

"يا سلام! سأتصفح الإنترنت قليلاً الليلة. هل من مواقع إباحية جديدة يجدر بي معرفتها؟".

"ربما". دفع هاري ملفاً عبر الطاولة. "إليك التقارير. ثلاث جرائم. ثلاثة أسماء. أريدك أن تفعلني الشيء نفسه الذي فعلته في قضية رجل الثلج. العثور على الروابط الناقصة لدينا. هل تعرفين أي شيء عن القضية؟".

قالت كاترين برات من دون النظر إلى الملف. "نعم. كنّ نساء. هذا هو الرابط".

"قرأت الجرائد...".

"بالكاد. لماذا تعتقد أن الأمر يتعدى كونهن مجرد ضحايا عشوائيات؟".

"لا أعتقد أي شيء. أنا أبحث".

"لكنك لا تعرف عما تبحث، أليس كذلك؟".

"صحيح".

"لكنك واثق من أن قاتل ماريت أولسن هو الشخص نفسه الذي قتل المرأتين

الأخريين؟ الطريقة مختلفة تماماً، مثلما عرفت".

ابتسم هاري. استمتع بمحاولة كاترين إخفاء حقيقة تعنيها في كل تفصيل مكتوب في الجرائد. "لا، كاترين. لست واثقاً. لكني ألاحظ أنك توصلت إلى الاستنتاج نفسه مثلي".

"طبعاً. نحن شريكان. أتذكر؟".

ضحكت، ولبرهة، عادت كاترين مجدداً، وليس الهيكل العظمي للتحرية الذكية المتطرفة التي تعرف إليها مباشرة قبل أن ينهار كل شيء. أحسّ هاري بغصة في حلقة، الأمر الذي فاجأه. إنه ربما تعب السفر.

"هل تظنين أنه يمكنك مساعدتي؟".

"أجد شيئاً أمضت كريبوس شهرين في محاولة إيجادها ولم تنجح؟ وباستعمال كمبيوتر قديم في غرفة التسلية في مستشفى للأمراض العقلية؟ لا أعرف حتى لماذا تطلب مني ذلك. ثمة زملاء في المركز الرئيس للشرطة يجيدون استعمال الكمبيوتر أكثر مني".

"أعرف، لكنني أملك شيئاً لا يملكونه. ولا أستطيع منحهم إياه؛ كلمة السر إلى الكواليس".

حدقت فيه بطريقة محتارة، وتأكد هاري من أن أحداً لا يسمعهما، ثم قال: "عندما كنت أعمل لصالح الأمن العام، POT، في قضية "الصدر الأحمر"، استطعت النفاذ إلى محرك البحث الذي يستخدمونه لتعقب الإرهابيين. إنهم يستخدمون منافذ سرية في شبكة الإنترنت، مثل MILNET، أي الإنترنت العسكري الأميركي؛ الذي تم ابتكاره قبل إطلاق الإنترنت لأغراض تجارية عبر ARPANET في الثمانينيات. ومثلما تعلمين، أصبح ARPANET الإنترنت اليوم، لكن المنافذ السرية لا تزال موجودة. ومحركات البحث تستخدم أحصنة تروجان (Trojan Hoses) التي تحدث كلمات السر والرموز والترقيات عند أول نقطة دخول. حجوزات بطاقات السفر، وحجوزات الفنادق، وعدد الوفيات الناجمة عن حوادث السير، والعمليات المصرفية عبر الإنترنت. محركات البحث هذه تستطيع كشف الكثير".

قالت كاترين: "سمعت إشاعات عن محركات البحث، لكنني اعتقدت صراحة أنها غير موجودة".

"إنها موجودة. تم تأسيسها عام 1984. أصبح كابوس أروويل حقيقة. وأفضل ما في الأمر أن كلمة السر الخاصة بي لا تزال صالحة. تحققت من الأمر".

"إذاً ماذا تريد مني؟ يمكنك فعل ذلك بنفسك، أليس كذلك؟".

"وحدهم رجال الأمن العام يحق لهم باستعمال النظام، و فقط في الحالات الطارئة. تماماً مثل Google، يمكن تعقب أبحاثك ومعرفة المستخدم. وإذا تم الاكتشاف أنني قمت أنا أو أي شخص آخر في مركز الشرطة باستعمال محركات البحث، فإننا نجازف بعقوبة السجن. لكن، إذا تم تعقب البحث وتم الاكتشاف أنه جرى من كمبيوتر جماعي في مستشفى للأمراض العقلية...".

ضحكت كاترين برات ضحكتها الأخرى؛ هي من النوع الشيطاني. "بدأت أفهم. كاترين برات، التحرية اللامعة، ليست ميزتي الأقوى هنا، وإنما...". رفعت يديها عالياً. "كاترين برات المريضة هي القوية. وبما أن عقلها غير سليم، لا يمكن محاكمتها". ابتسم هاري. "صحيح. وأنت واحدة من الأشخاص القلائل الذين أستطيع الوثوق فيهم لإبقاء فمهم مغلقاً. وإذا لم تكوني عبقرية، فإنك حتماً أكثر ذكاء من أي تحرر عادي".

"أرفع لك العشرة لدماغك الذكي الشرير".

"لا يستطيع أحد اكتشاف ما نفعله، لكنني أعدك بأننا فريق Blues Brothers هنا". قالت: "في مهمة سرية؟".

"كُتبت كلمة السر على الجهة الخلفية لبطاقة SIM داخل السّواعة".

"ما الذي يجعلك تظن أنني أعرف كيف أستعمل محركات البحث؟".

"الأمر شبيه باستعمال "غوغل". حتى أنا عرفت كيف أستعملها عندما كنت في قسم الأمن العام". ابتسم ابتسامة حزينة. "في النهاية، تم ابتكار كل محركات البحث من أجل الشرطة".

ملته
t.me/t_pdf

تهندت تهيدة عميقة.

قال هاري: "شكراً".

"أنا لم أقل أي شيء".

"عندما يمكنك أداء خدمة لي، فهل ترفضين؟".

"اللعة عليك". ضربت بيدها على الطاولة. لاحظ هاري أن ممرضة نظرت في اتجاههما. حدق هاري إلى كاترين التي نظرت إليه بطريقة غريبة وانتظر.

همست: "لا أعرف. لا أعتقد أنه يجدر بي الجلوس في غرفة التسلية واستعمال محركات بحث غير قانونية في وضوح النهار، إذا استطعت وصف الأمر بهذه الطريقة". نهض هاري. "حسناً. سأعود للاتصال بك خلال ثلاثة أيام".

"ألم تنسَ أي شيء؟".

"ماذا؟".

"أن تقول لي ماذا سأنال من كل ذلك؟".

قال هاري، وهو يزرر معطفه: "حسناً، أصبحت أعرف الآن ماذا تريد".
"ماذا أريد...". وسرعان ما تحولت الدهشة على وجهها إلى ذهول فيما استوعبت معنى كلامه، وصرخت وراء هاري الذي أصبح أصلاً في طريقه إلى الباب. "أيها الحقير اللعين! والمتباهي بذلك!".

صعد هاري إلى سيارة الأجرة، وقال للسائق: "المطار". ثم أخرج هاتفه الخليوي ولاحظ أنه تلقى ثلاثة اتصالات من أحد الرقمين الموجودين في قائمة بياناته. جيد، يعني ذلك أنهما يملكان شيئاً ما.

عاود الاتصال بالرقم.

قالت كاجا. "بحيرة لايسرن. ثمة مشغل لصناعة الحبال هناك. تم إغلاقه قبل خمسة عشر عاماً. المدير المسؤول عن آيتر إينيباك يستطيع أن يرينا المكان بعد ظهر اليوم. تحدث عن وجود بعض المجرمين الدائمين في المنطقة، وإنما على مستوى صغير: اقتحامات وسرقة سيارات. إضافة إلى شخص سُجن لفترة بسبب ضربه زوجته. أرسل لنا لائحة بأسماء رجال، وسوف أتحقق الآن من السجلات الجرمية".

"جيد. اصطحبيني من غاردموين في الطريق إلى لايسرن".

"لست في ذلك الطريق".

"أنت محقة. مرّ لي لاصطحابي في أي حال".

العروس البيضاء

بالرغم من السرعة البطيئة، كانت سيارة فولفو أمازون الخاصة ببيورن هولم تتقدم بثبات على الطريق الضيق الملتوي بين مروج أوستفولد وحقولها. كان هاري نائماً على المقعد الخلفي.

قال بيورن: "إذاً، لا يوجد معتدون جنسيون حول بحيرة لايسرن".

صححت كاجا قائلة: "لم يتم إلقاء القبض على أحد. ألم تقرأ الاستطلاع في جريدة VG؟ يقول شخص واحد من كل عشرين شخصاً إنه ارتكب ما يمكن تسميته سوء معاملة جنسية".

"هل يجيب الأشخاص فعلاً بصراحة على هذا النوع من الأسئلة؟ لو تحرشت شخصياً بفتاة، فأنا أظن أن عقلي سيرر الأمر لاحقاً بطريقة منطقية".

"هل هذا ما فعلته؟".

"أنا!". انعطف بيورن وتجاوز جراراً زراعياً. "لا. أنا واحد من التسعة عشر شخصاً الآخرين. آيتر إينيباك. يا الله! ما اسم الممثل الكوميدي الآتي من هذه الأنحاء؟ ذلك الشخص الريفى صاحب النظارة المتشققة وفاتر الهمة؟ إنه من آيتر إينيباك. يا لها من سخرية مضحكة!".

هزّت كاجا كتفها، فنظر بيورن إلى المرأة، لكنه وجد نفسه ينظر إلى فم هاري المفتوح.

كان المدير المسؤول عن آيتر إينيباك واقفاً بالقرب من مصنع المعالجة في شبه جزيرة فويتتاغن يتنظروهم مثلما جرى الاتفاق. ركنوا السيارة، وعرف عن نفسه بأنه سكاى - الاسم النروجي للجلد الاصطناعي الذي يبدو أن بيورن هولم يقدره بشكل كبير - ورافقوه إلى مرفأ السفن حيث كانت ترسو دزينة من القوارب، وتمايل في المياه الهادئة.

قالت كاجا: "لا يزال الوقت مبكراً لوجود قوارب في البحيرة، أليس كذلك؟".

قال المدير المسؤول: "لم يتكوّن أي جليد هذا العام، ولن يحصل ذلك أبداً".

صعدوا إلى متن قارب عريض ذي قعر مسطح، وبدا بيورن متوخياً الحذر أكثر من الآخرين.

قالت كاجا: "المياه خضراء هنا". فيما ابتعد المدير عن مرفأ السفن بمساعدة قضيب طويل.

أجاب وهو ينظر إلى المياه ويشدّ الحبل لتشغيل المحرك. "نعم. مصنع الجبال موجود هناك، في الجانب العميق. ثمة طريق، لكن الأرض مبللة كثيراً بالماء، حيث يستحسن التوجه إلى هناك باستعمال القارب". حرّك المقبض الموجود على جانب المحرك إلى الأمام. طار عصفور من فصيلة غير محددة عن شجرة داخل الغابة الخالية، وأطلق صيحة تحذير.

"أكره البحر". قال بيورن لهاري الذي بالكاد استطاع سماع زميله بسبب الصوت المتقطع للمحرك الخارجي ثنائي الشفرة. انزلقوا عبر الضوء الرمادي لفترة بعد الظهر في قناة بين النباتات البالغ علوها مترين. مرّوا أمام كومة من الأماليد التي افترض هاري أنها عش قندس، ثم عبروا مساراً بين الأشجار الشبيهة بالمنغروف. قال هاري: "هذه بحيرة، وليست بحراً".

قال بيورن، وهو يقترب أكثر من وسط المقعد: "الهراء نفسه. أوصلوني إلى اليابسة وروث البقر والجبال الصخرية".

اتسع المسار المائي، وها قد أصبحت بحيرة لايسرن أمامهم. مروا أمام جزر فيها أكواخ مهجورة في الشتاء مع نوافذ سوداء بدت وكأنها تحدد فيهم بعيون حذرة. قال المدير المسؤول: "أكواخ بسيطة. هنا يمكنكم الابتعاد عن التوتر الموجود في الشاطئ الذهبي؛ حيث تضطرون إلى التنافس مع جاركم على أكبر مركب أو امتداد الكوخ الأكثر جاذبية". وبصق في الماء.

صرخ بيورن هولم فوق صوت المحرك: "ما اسم ذلك الممثل الكوميدي من آيتر إينيباك؟ صاحب النظارة المتشققة وفاتر الهمة؟".

نظر المدير المسؤول إلى هولم بطريقة خالية من أي تعبير وهزّ رأسه ببطء. قال: "مصنع الجبال".

مباشرة أمام المركب، بمحاذاة البحيرة، شاهد هاري مبنى خشبياً قديماً، مستطيل الشكل، ينتصب وحده على سفح منحدر عميق، مع غابة كثيفة على كلا الجانبين. خلف المبنى، امتدت قضبان فولاذية بمحاذاة الجبل، واختفت في الماء الأسود. كان الطلاء الأحمر يتشقق عن الجدران مع وجود ثغرات في النوافذ والأبواب. أغمض

هاري عينيه نصف إغماضة. في الضوء الخافت، بدا وكأن شخصاً يرتدي ثياباً بيضاء يقف خلف نافذة ويحدق فيهم.

ضحك بيورن: "يا الله! إنه نموذج البيت المسكون".

قال المدير سكاى، وهو يطفى المحرك: "هذا ما يقولونه".

في الصمت المفاجئ، استطاعوا سماع صدى ضحكة بيورن من الجانب الآخر مع صوت جرس غنم وحيد وصل إليهم من بعيد عبر البحيرة.

أسكت كاجا الحبل، وقفزت إلى الشاطئ. وبما أنها أصلاً صاحبة ميول بحرية،

ربطت حبل المركب حول عمود أخضر متعفن ناتئ بين أزهار سوسن الماء.

خرج الآخرون من القارب، ووصلوا إلى الصخور العملاقة التي كانت بمثابة

رصيف. دخلوا بعد ذلك عبر الباب، ووجدوا أنفسهم في غرفة مستطيلة ضيقة ومهجورة

تفوح منها رائحة القطران والبول. لم يكن تمييز الأمر سهلاً من الخارج؛ لأن أطراف

المبنى اندمجت مع الغابة الكثيفة. لكن، فيما يقتصر عرض الغرفة على مترين على

الأكثر، لا بد أن طولها يتعدى ستين متراً.

شرحت كاجا قبل أن يسأل هاري: "كانوا يقفون في الطرفين المتقابلين للمبنى

ويفتلون الحبل".

في زاوية، هناك ثلاث قناني فارغة وعلامات على محاولات لإشعال نار. وعلى

الجدار المواجه، ثمة شبكة معلقة أمام لوحين طليقيين.

قال سكاى، وهو ينظر حوله: "لم يشأ أحد استلام المشغل بعد سيمونسن. وبات

المكان فارغاً منذ ذلك الحين".

سأل هاري: "ما هو الغرض من وجود القضبان الموجودة على جانب المبنى؟".

"ثمة هدفان. لرفع المركب الذي كان يستخدمه لجمع الأخشاب وخفضه.

ولتثبيت القضبان تحت الماء أثناء نقعها. كان يربط القضبان بالأنايب الحديدية التي

يجب أن تكون عالية في المبنى. ومن ثم كان يغرق الأخشاب تحت الماء ويعيد

سحبها بعد أسابيع عدة حين يصبح الخشب جاهزاً. كان إنساناً عملياً، سيمونسن".

ذهلوا جميعاً عند سماعهم ضجيجاً مفاجئاً صادراً من الغابة الخارجية.

قال المدير المسؤول: "إنها أعنام أو أيائل".

لحقوا به على سلم خشبي ضيق للوصول إلى الطابق الأول. كانت ثمة طاولة

كبيرة ممتدة في وسط الغرفة. كانت زوايا الغرفة غارقة في العتمة. عصفت الريح عبر

النوافذ - ذات الأطر الزجاجية المسننة - فصدر صوت صفير منخفض، وأدت إلى

تطايير الحجاب عن وجه العروس. ووقت تنظر إلى البحيرة. تحت الرأس والجذع،
ثمة هيكل من الحديد الأسود منتصب على عجالات.

قال سكاي، وهو يشير صوب الدمية: "كان سيمونس يستخدمها بمثابة فزاعة".
قالت كاجا وهي تقف قرب سكاي وترتجف داخل معطفها: "إنها مخيفة فعلاً".
ألقي نظرة إلى جانبه، وكشف عن ابتسامة خادعة. "الأولاد هنا يخافون منها.
يقول الكبار إنه عند اكتمال البدر تمشي في الجوار وتطارد الرجل الذي نبذها يوم
زفافها. ويمكن سماع صوت العجلات الصدئة مع اقترابها. لقد ترعرعت خلف هذا
المكان، في هاغا".

سألته كاجا: "حقاً!". فيما كشف هاري عن ابتسامة.

قال سكاي: "نعم. بالمناسبة، هذه هي المرأة الوحيدة التي كانت موجودة في
حياة سيمونس. كان منظوياً على نفسه نوعاً ما، لكنه استطاع بلا شك صنع الجبال".
خلفهم، أنزل بيورن هولم حبلاً متديلاً من مسمار.

قال المدير المسؤول من دون أن يلتفت: "هل قلت إنه يمكنك لمس أي شيء؟".
أعاد بيورن الجبل بسرعة إلى مكانه.

قال هاري، وهو يوجه إلى سكاي ابتسامة ساخرة. "حسناً، سيدي، هل يمكننا
لمس أي شيء؟".

نظر الموظف إلى هاري بطريقة مزدرية. "لم تخبروني بعد عن طبيعة هذه
القضية".

أجاب هاري: "عذراً، إنها قضية سرية. قسم مكافحة جرائم الاحتيال؛ مثلما
تعلم".

"حقاً! إذا كنت هاري هول الذي أعرفه، فأنا أعتقد أنك كنت تعمل على الجرائم".
قال هاري: "حسناً، أعمل الآن في قضايا التهريب، والتهرب من الضرائب،
والاحتيال. الإنسان يترقى في حياته".

أغمض سكاي عيناً واحدة، وصرخ عصفور عالياً.
قالت كاجا مع تنهيدة: "طبعاً، أنت محق. لكنني أنا الشخص الذي يتعاطى مع
الشريط الأحمر في قضية البحث التي تم تكليفي بها من قبل الشرطة. ومثلما تعلم،
هناك نقص في عدد موظفينا، وسأوفر الكثير من الوقت لو استطعنا...". وابتسمت
بأسنانها الصغيرة المستدقة وأشارت صوب الجبل الملتف.

نظر إليها سكاي، وتأرجح على نعليه المطاطيين مرتين، ثم أوماً برأسه.

قال: "سأنتظر في المركب".

بدأ بيورن العمل على الفور. وضع الحبل الملتف على الطاولة الطويلة، وفتح الحقيبة الصغيرة التي أحضرها معه، وأدار مصباحاً متصلاً بحبل مع صنارة سمك في طرفه وثبته في موقع محدد بين لوحين في السقف. أخرج كمبيوتره المحمول، مع مجهر محمول له شكل المطرقة، ووصل المجهر بمنفذ USB في الكمبيوتر المحمول، وتحقق من أنه ينقل الصور إلى الشاشة، ثم نقر على الصورة التي نقلها إلى الكمبيوتر المحمول قبل انطلاقهم.

وقف هاري قرب العروس، وحدق في البحيرة. في المركب، استطاع رؤية وميض سيجارة. تأمل القضبان النازلة إلى الماء. الجهة العميقة. لم يحب هاري يوماً السباحة في المياه العذبة؛ خصوصاً بعدما تغيب هو وأويستن عن المدرسة، وذهبا إلى بحيرة هوكتجرن في أوستماركا وقفزا عن رأس الشيطان؛ الذي يقول الناس إن علوه يبلغ اثني عشر متراً. وهاري، قبل ثوانٍ من ارتطامه بالماء، شاهد أفعى تنزل عبر الأعماق تحته. أحس بعدها بالماء الأخضر شديد البرودة يغلفه كله. وبسبب ذعره، ابتلع نصف مياه البحيرة، وكان واثقاً من أنه لن يرى ضوء النهار أو يتنفس مجدداً.

شمّ هاري الرائحة التي أنبأته أن كاجا واقفة خلفه.

"بنغو". سمع بيورن هولم يهمس.

استدار هاري. "أهو النوع نفسه من الحبال؟".

قال بيورن وهو يضع المجهر على طرف الحبل ويضغط على مفتاح للحصول على صور شديدة الوضوح. "لا شك أبداً في ذلك. زيزفون ودردار. السماكة نفسها، والطول في الألياف نفسه. لكن البنغو مخصصة لطرف الحبل الذي جرى قصه حديثاً".

"ماذا؟!".

أشار بيورن هولم إلى الشاشة. "الصورة إلى اليسار هي الصورة التي أحضرتها معي. وهي تظهر الحبل من فروغر ليدو، بعد تكبيره خمساً وعشرين مرة. وعلى هذا الحبل، أملك نسخة...".

أغمض هاري عينيه كما لو أنه أراد الاستمتاع تماماً بالكلمة التالية.

"متطابقة".

أبقى عينيه مغمضتين. الحبل الذي شنقت به ماريت أولسن لم يتم صنعه هنا فقط، وإنما جرى قصه أيضاً من الحبل الموجود أمامهم. وقد حصل ذلك حديثاً؛ قبل زمن غير بعيد. كان واقفاً حيث يقفون الآن. شمّ هاري الهواء.

هبط ظلام دامس. بالكاد استطاع هاري تمييز أي شيء أبيض قرب النافذة عندما غادروا.

جلست كاجا معه في الجهة الأمامية للمركب، وتوجب عليها الانحناء بالقرب منه كي يتمكن من سماعها بسبب صوت المحرك.

"لا بد أن الشخص الذي أخذ الحبل يعرف طريقه جيداً في هذه المنطقة. ولا يمكن أن توجد حلقات كثيرة في السلسلة بين ذلك الشخص والقاتل...".

قال هاري: "أظن أنه لا توجد أي حلقات على الإطلاق. جرى قص الحبل حديثاً، ولا توجد الكثير من الأسباب التي تدعو إلى انتقال الحبل بين الكثير من الأيدي".

قالت كاجا بصوت عالٍ: "معرفة محلية، أو يعيش في مكان مجاور، أو يملك كوخاً هنا، أو إنه ترعرع هنا".

سأل هاري: "لكن، لماذا قطع كل هذه المسافة للوصول إلى مصنع حبال مهجور وللحصول على بضعة أمتار من الحبال؟ كم يكلف شراء حبل طويل من متجر؟ أيكلف مثتي كرونر؟".

"ربما صودف أنه كان في الجوار، وعرف بوجود الحبل".

"حسناً، لكن في الجوار تعني أنه كان يمكث في أحد الأكواخ المجاورة. لكن، بالنسبة إلى أي شخص آخر، تعتبر مجرد رحلة في مركب قديم. هل تحاولين...؟".

"نعم. أنا أحضر لائحة بأسماء أقرب الجيران. بالمناسبة، تعقبت خبير البراكين الذي طلبت مني التواصل معه. إنه عبقري في المعهد الجيولوجي؛ فيليكس روست.

يبدو أنه يتعقب آثار البراكين، ويسافر إلى كل أنحاء العالم للنظر إلى البراكين ومشاهدة ثورانها؛ وتلك الأنواع من الأمور".

"هل تحدثت إليه؟".

"تحدثت فقط مع أخته التي تعيش معه. طلبت مني إرسال بريد الكتروني أو رسالة نصية. قالت إنه لا يتواصل مع أحد بأية طريقة أخرى. في أي حال، كان خارج

المنزل يلعب الشطرنج. أرسلتُ له الحجارة والمعلومات".

تقدموا بسرعة بطيئة جداً عبر القناة الضحلة وصولاً إلى الجسر العائم. رفع بيورن المصباح اليدوي لينير طريقهم عبر الرذاذ الضبابي الطافي فوق سطح الماء. أطفأ سكاي محرك القارب.

همست كاجا وهي تقترب أكثر من هاري: "انظر!". استطاع شم رائحتها، ونظر إلى حيث تشير سبابتها. من بين الشجيرات خلف مرفأ السفن، ظهرت تحت ضوء

المصباح إوزة كبيرة بيضاء وحيدة عبر طبقة الضباب.

همست: "أليس هذا... جميلاً". وهي مفتونة، ثم ضحكت وضغطت برفق على يده.

رافقهم سكاى إلى معمل المعالجة، ثم دخلوا سيارة بيورن، وكانوا على وشك الانطلاق في السيارة عندما أنزل بيورن زجاج النافذة بسرعة وصرخ لسكاى: "فريتجوف!".

توقف سكاى واستدار ببطء، وانعكس ضوء مصباح الشارع على وجهه الخالي من أي تعابير.

صرخ بيورن: "إنه الرجل المضحك الذي يظهر على التلفاز. فريتجوف من آيتر إينبيك".

قال سكاى: "فريتجوف؟ لم أسمع به مطلقاً". ثم بصق.

فيما انعطفت سيارة الأمازون نحو الطريق السريع عند المرمّد في غرونمو بعد خمس وعشرين دقيقة، كان هاري قد اتخذ قراره.

قال: "علينا تسريب هذه المعلومة إلى كريوس".

"ماذا!!؟". صرخ بيورن وكاجا بصوت واحد.

"سأتحدث إلى بتي، وسوف تنقل الرسالة إلى كريوس؛ حيث سيبدو الأمر وكأن جماعتها في كريمتكينسك هي التي اكتشفت مسألة الحبل وليس نحن". سألت كاجا: "لماذا؟".

"إذا كان القاتل يعيش في منطقة لايسرن، فلا بد أن يحصل تفتيش في كل المنازل. ونحن لا نملك الوسائل ولا العداد للقيام بذلك".

ضرب بيورن هولم على عجلة القيادة.

قال هاري: "أعرف. لكن الشيء الأكثر أهمية هو أن يتم إلقاء القبض عليه، وليس من يلقي القبض عليه".

تابعوا الطريق بصمت، فيما بقيت الرنة الزائفة للكلمات عالقة في الهواء.

أويستن

لا كهرباء. وقف هاري في الرواق المظلم وهو يضغط على زر تشغيل الضوء مراراً وتكراراً. وفعل الشيء نفسه في غرفة الجلوس.
ثم جلس على الكرسي الهزاز وهو يحدق في الفراغ الأسود.
بعدها جلس لبرهة من الوقت، رنّ هاتفه الخلوي.
"هول".

"فيليكس روست".

قال هاري: "مم". بدا الصوت وكأنه يخص امرأة نحيلة وصغيرة القامة.
"أنا فريدة لارسن، شقيقته. طلب مني الاتصال بك والقول لك إن الحجارة التي وجدتها من حمم البازالت المتضمنة حديداً أو مغنيزيوم. اتفقنا؟"
"دقيقة واحدة من فضلك. ماذا يعني ذلك؟ المتضمنة حديداً أو مغنيزيوم؟"
"إنها حمم ساخنة، فوق ألف درجة مئوية، وذات لزوجة منخفضة؛ مما يرفقها ويتيح لها الانتشار على مسافة بعيدة أثناء انفجار البركان."
"هل يمكن أن تكون من أوسلو؟"
"لا".

"لَمْ لا؟ أوسلو مشيدة فوق الحمم".

"حمم قديمة. أما هذه فحمم حديثة".

"كم هي حديثة؟"

سمعها تضع يدها فوق الهاتف وتحدث. إلا أنه لم يستطع سماع أي أصوات أخرى. لكن، لا بد أنها تلقت جواباً فورياً لأنها عادت بسرعة إلى الخط.
"يقول إن المدة تتراوح بين خمسة أعوام وخمسين عاماً. لكن، إذا كنت تفكر في تحديد البركان الذي جاءت منه هذه الحمم، فإن عمرك سيكون شاقاً فعلاً. هناك أكثر من ألف وخمسمئة بركان نشط حول العالم. وهذه فقط البراكين التي نعرفها.

إذا كانت هناك أي استفسارات أخرى، يمكنكم التواصل مع فيليكس باستعمال البريد الإلكتروني. تملك مساعدتك العنوان".
"لكن...".

أنهت المكالمة.
فكر في معاودة الاتصال بها، لكنه غير رأيه وطلب رقماً آخر.
"أوسلو تاكسي".
"مرحبا أويستن. أنا هاري هول".
"أنت تمزح. هاري ميت".
"ليس تماماً".
"حسناً، إذا لا بد أني أنا الميت".

"هل تودّ إيصالي من الشقة في صوفيز إلى منزل طفولتي؟".
"لا أودّ ذلك، لكنني سأفعلها في أي حال. عليّ القيام بهذه الرحلة". تحولت ضحكة أويستن إلى سعال. "هاري! اللعنة... سأتصل بك عندما أصل".
أنهى هاري الاتصال، وذهب إلى غرفة النوم، ووضع حقيبة على ضوء مصباح الشارع خارج النافذة، واختار قرصين موسيقيين من غرفة الجلوس على ضوء هاتفه الخليوي، كما أخذ معه علبة سجائر، وأغلاماً يدوية ومسدس الخدمة.
جلس على الكرسي الهزاز، مستفيداً من العتمة لتكرار تمرين المسدس. شغل مقياس الوقت في ساعته، وفتح أسطوانة مسدسه "سميث أند ويسون" وأفرغ حمولتها ثم ملأها مجدداً. أربع خرطيش في الخارج، وأربع في الداخل، من دون محمّل سريع، وإنما فقط مع أصابع رشيقة. أعاد الأسطوانة مجدداً إلى مكانها؛ حيث تكون أول خرطوشة هي الأولى في السلسلة. توقف. تسع ثوانٍ وستة وستون جزءاً من الثانية. أكثر بثلاث ثوانٍ تقريباً من الرقم القياسي. فتح الأسطوانة، لقد ارتكب خطأ. الحجرة الأولى الجاهزة لإطلاق النار كانت واحدة من الحجرات الفارغة. إنه ميت. كرر التمرين. تسع ثوانٍ وخمسون جزءاً من الثانية. ميت مجدداً. عندما اتصل به أويستن، بعد عشرين دقيقة، كان قد وصل إلى ثماني ثوانٍ ومات ست مرات.
قال هاري: "أنا قادم".

ذهب إلى المطبخ، ونظر إلى الخزانة فوق المجلى. تردد، ثم أخذ صورتي راكيل وأوليع ووضعهما في جيبه الداخلي.

قال أويستن إيكلانند بازدراء: "هونغ كونغ!؟". أدار وجهه المتنفخ مع أنفه الضخم وشاربيه الهابطين صوب هاري الجالس على المقعد قربيه. "ماذا فعلت هناك بالله عليك!؟".

قال هاري: "أنت تعرفني". فيما توقف أويستن على الإشارة الحمراء أمام فندق راديسون ساس.

قال أويستن: "لا، أنا لا أعرفك لسوء الحظ. وكيف لي أن أعرفك؟". وهو يوزع التبغ على لفافة السيجارة.

"حسناً، لقد ترعرعنا معاً. هل تذكر؟".

"إذا؟ كنت حينها لغزاً بغيضاً يا هاري".

فُتح الباب الخلفي بكامله، ودخل إلى السيارة شخص يرتدي معطفاً. "المطار السريع. المحطة الرئيسة. بسرعة".

قال أويستن من دون أن يلتفت: "السيارة محجوزة".

"هراء، الإشارة التي على السقف مضاءة".

"تبدو هونغ كونغ مملّة. لماذا عدت إلى الوطن أصلاً؟".

قال الرجل الجالس على المقعد الخلفي: "أستميحك عذراً".

وضع أويستن السيجارة بين شفتيه وأشعلها. "اتصل بي تريسكو ودعاني للقاءه الليلة".

قال هاري: "لا يملك تريسكو أي أصدقاء".

"لا يملك أصدقاء، هذا صحيح. ولذلك سألته: من هم أصدقاؤك؟ فأجابني: أنت. ثم سألني: وأنت، من هم أصدقاؤك أويستن؟ أجبت: أنت. إذاً، أصبحنا نحن فقط صديقين؛ لكننا نسينا أمرك هاري. هذا ما يحصل عندما تذهب إلى...". وزمّ شفتيه وقال بصوت منخفض: "هونغ كونغ".

"هاي! إذا أنهيتما، يمكننا ربما...". صرخ صوت من المقعد الخلفي.

تحول ضوء الإشارة إلى الأخضر، وانطلق أويستن مسرعاً.

"ما رأيك في أن تأتي معنا؟ سنكون في منزل تريسكو".

"المكان مقرف هناك، أويستن".

"الثلاجة عنده مليئة".

"عذراً، لست في مزاج للحفلات".

صرخ أويستن بدهشة: "مزاج للحفلات؟!". وهو يضرب عجلة القيادة بيده. "أنت لا تعرف ما هو مزاج الحفلات، هاري. لطالما ابتعدت عن الحفلات. هل تذكر؟ اشترينا ذات مرة بعض قناني الشراب، وكنا ننوي التوجه إلى عنوان مرتب في نورديستراند مع الكثير من النساء. ثم اقترحت أن نذهب أنا وأنت وتريسكو إلى مستودعات الفحم بدلاً من ذلك ونشرب وحدنا هناك".

صرخ صوت من المقعد الخلفي: "هاي، ليست هذه هي الطريق المؤدية إلى المطار السريع".

أوقف أويستن السيارة بسبب الإشارة الحمراء مجدداً، وأزاح إلى الجانب شعره الطويل الواصل إلى كتفيه، ونظر إلى المقعد الخلفي. "وانتهى بنا الأمر هناك. احتسينا الكثير من الشراب، وراح الغلام يغني "لا استسلام"، إلى أن رمى عليه تريسكو القناني الفارغة".

صرخ الرجل في الخلف، وهو ينقر بإصبعه على زجاج ساعة "تاغ هيوير": "بالله عليك، عليّ اللحاق بآخر طائرة متوجهة إلى استوكهولم".

قال هاري: "مستودعات الفحم رائعة. هناك أفضل منظر طبيعي في أوسلو".

قال أويستن: "نعم. لو هاجم الحلفاء هناك، لكان الألمان قد قطعوها إرباً".

"صحيح". ابتسم هاري ابتسامة عريضة.

قال أويستن: "هل تعرف أمراً؟ ثمة اتفاق بيني وبينه وبين تريسكو". فيما راح صاحب البذلة الرسمية يفتش يائساً عبر المطر عن سيارات أجرة فارغة. "إذا جاء الحلفاء، فسوف نقضي عليهم بالكامل. هكذا". صوّب أويستن مسدساً وهمياً على صاحب البذلة في الخلف وأطلق النار. حدّق صاحب البذلة برعب في سائق السيارة المجنون الذي أفضت كلماته السريعة إلى تناثر قطرات لعاب زبدية بيضاء صغيرة على سروال بذلته الداكن والمكوي حديثاً. ومع شهقة خفيفة، نجح في فتح باب السيارة والخروج إلى تحت المطر.

انفجر أويستن في ضحكة قوية من القلب.

قال أويستن: "كنت مشتاقاً إلى الوطن. أردت الرقص مع "الملكة القتالة" في مطعم إيكبرغ مجدداً".

قهقه هاري وهزّ رأسه. عبر المرأة الجانبية، شاهد الرجل يركض مسرعاً صوب محطة "المسرح الوطني". "إنه والدي. إنه مريض. لم يبق لديه الكثير".

ضغط أويستن على دواسة السرعة مجدداً. "أوه اللعنة. كان رجلاً طيباً أيضاً".
"شكراً لك. ظننت أنك قد ترغب في معرفة ذلك".
"طبعاً يا صديقي أرغب".

قال أويستن، وهو يركن السيارة خارج المرأب والمنزل الخشبي الصغير أصفر اللون في أوبسال: "ها قد وصلنا".
أجاب هاري: "نعم".

مَجَّ أويستن سيجارته بقوة شديدة، لدرجة أنها بدت وكأنها تشتعل بالنار، وحبس الدخان في رثتيه، ثم أطلقه مجدداً مع صفير طويل ومتقطع. أحنى بعدها رأسه قليلاً، ونقر على الرماد فوق المنفضة. أحس هاري بألم جميل في صدره. كم مرّة شاهد أويستن يفعل هذا الأمر تحديداً؛ شاهده وهو ينحني إلى الجانب كما لو أن السيجارة ثقيلة جداً حيث سيفقد توازنه. رأس محني، الرماد على الأرض في كوخ المدخنين في المدرسة، في قنينة شراب فارغة في حفلة لم تتم دعوته إليها، على أرض إسمنتية رطبة وباردة في مستودع الفحم.

قال أويستن: "الحياة غير عادلة يا صديقي. كان والدك رجلاً رزيناً، يمشي أيام الأحاد، ويعمل أستاذاً في مدرسة. أما والدي فكان يشرب، ويعمل في مصنع كادوك، حيث أصيب الجميع بداء الربو والطفح الجلدي الغريب، ولم يتحرك مليمترًا واحداً منذ أن استقر على الأريكة في المنزل. ويتحلى الرجل بلباقة بدنية مثل شاب صغير".

تذكر هاري معمل كادوك؛ كوداك لو تم قلب الأحرف. صاحب المعمل، وهو رجل من صانمور، قرأ أن إيستمان أطلق على مصنع كاميراته اسم كوداك لأنه اسم يمكن تذكره ولفظه في كل أرجاء العالم. لكن كادوك أصبح طي النسيان، وتم إغلاقه قبل أعوام عدة.

قال هاري: "كل الأشياء تزول".

أوماً أويستن برأسه كما لو أنه كان يتبع مسار أفكاره.

"اتصل بي إذا احتجت إلى أي شيء هاري".

"نعم".

انتظر هاري حتى سمع صوت العجلات وهي تسير على الحصى خلفه، وإلى أن اختفت السيارة قبل أن يفتح قفل الباب ويدخل. أشعل الضوء ووقف جامداً فيما انغلق

الباب. الرائحة، الصمت، الضوء الهابط على خزانة المعاطف، كل شيء يتحدث إليه كما لو أنه يغوص في بحر من الذكريات. عانقته تلك الذكريات، وبعثت فيه الدفء، وجعلته يشعر بغصة في حلقه. خلع معطفه وحذاءه، ثم بدأ يمشي من غرفة إلى غرفة؛ من عام إلى عام؛ من ماما إلى بابا إلى أخته، ومن ثم إلى نفسه. غرفة الصبي. صورة فرقة "كلاش" الموسيقية، تلك الصورة التي يكاد فيها الغيتار ينسحق على الأرض. استلقى على سريره، واشتم رائحة الفراش، ثم انهمرت الدموع.

بياض الثلج

كانت الساعة الثامنة إلا دقيقتين مساءً عندما كان مايكل بيلمان يمشي في شارع كارل جوهانز؛ أحد أكثر الشوارع تواضعاً في العالم. كان في وسط مملكة النرويج، في النقطة الوسطية للمحور. إلى اليسار، الجامعة والمعرفة، وإلى اليمين، المسرح الوطني والثقافة. خلفه، في حدائق القصر، ينتصب القصر الملكي عالياً. ومباشرة أمامه: القوة. بعد ثلاث مئة خطوة، في تمام الساعة الثامنة، صعد على الدرج الحجري المؤدي إلى المدخل الرئيس لستورتينجت. إلا أن مبنى البرلمان - مثل معظم أوصلو - لم يكن كبيراً أو مؤثراً بشكل لافت، وإجراءات الأمن مقتصرة على الحد الأدنى. ثمة أسدان منحوتان من غرانيت غرورود يتصبان على جانبي المنحدر المؤدي إلى المدخل. توجه بيلمان إلى الباب الذي انفتح من دون ضجيج؛ قبل أن تتاح له فرصة الضغط عليه. وصل إلى مكتب الاستقبال، ووقف ينظر حوله. ظهر أمامه حارس مع إيماءة ودودة وإنما حازمة في اتجاه آلة جيلاردوني للتصوير بالأشعة السينية. بعد عشر ثوان، تم التأكد من أن مايكل بيلمان غير مسلح. ثمة قطعة معدنية في حزامه، وهذا كل شيء.

كان راسموس أولسن في انتظاره، متكئاً على مكتب الاستقبال. صافح أرمل ماريت أولسن النحيل بيلمان، ومشى أمامه فيما شغل صوته المرشد بطريقة تلقائية. "ستورتينجت. ثلاث مئة وثمانون موظفاً، مئة وتسعة وستون نائباً. تم تشييده عام 1866، صممه إميل فيكتور لانغت. وهو سويدي بالمناسبة. هذه هي القاعة المعروفة باسم تريبهالن. يطلق على حجارة الموزايك اسم المجتمع، إيلس هاغن، 1950. اللوحة الكبيرة للملك رسمها...".

دخلا إلى قاعة فاندريهالن التي رآها مايكل على شاشة التلفاز. مرّ أمامهما شخصان، لم يكن أي منهما مألوفاً. شرح له راسموس أن اجتماعاً لهيئة معينة كان معقوداً للتو، لكن بيلمان لم يكن يسمعه. كان يفكر في أن هذه أروقة القوة. خاب أملة. لا بأس في امتلاك كل الذهبي والأحمر، لكن أين العظمة والفخامة اللتان يفترض أن

تولدا الرهبة عند أقدام أولئك الذين يحكمون؟ تلك الرزانة المتواضعة اللعينة. هذا أشبه بضعف لم تستطع هذه الديمقراطية الهزيلة والمسكينة في أوروبا الشمالية أن تتخلص منه. إلا أنه عاد. لو لم يتمكن من الوصول إلى القمة حيث جرب للمرة الأولى، بين ذئاب الأوروبول، لكان قد نجح حتماً هنا؛ في التنافس مع الأقزام والأشخاص الأقل شأنًا.

"كل هذه الغرفة كانت مكتب رايسكومييسار تريوفين خلال الحرب. لا يملك أي كان مكتباً كبيراً كهذا في هذه الأيام".

"كيف كان زواجك؟"

"عفوًا؟"

"أنت وماريت. هل كنتما تتشاجران؟"

"أوه... لا". بدا راسموس أولسن مضطرباً، وبدأ يمشي بوتيرة أسرع. كما لو أنه أراد ترك الشرطي وراءه، أو على الأقل التحرك إلى الأمام ليصبح بعيداً عن مسمع الآخرين. وعندما أصبحتا جالسين خلف باب المكتب المغلق في أمانة السر الجماعية، أطلق نفسه المرتجف. "طبعاً، كانت هناك أوقات حلوة وأخرى عصيبة. هل أنت متزوج بيلمان؟"

أوما مايكل بيلمان برأسه.

"إذاً أنت تعرف ما أعنيه".

"هل كانت تخونك؟"

"لا. أعتقد أنني أستطيع الجزم في هذه المسألة".

لأنها كانت بدينة جداً؟ أراد بيلمان أن يسأله؛ لكنه لم يفعل. لقد حصل على ما كان يريد. التردد، الرجفة في زاوية عينه، الانقباض الضئيل للجبؤ. "وأنت أولسن، هل خنتها؟"

ردة الفعل نفسها. إضافة إلى احمرار معين في الجبهة تحت حدّ الشعر المتراجع إلى الخلف. كان الجواب وجيزاً وحازماً. "لا. في الواقع، لا، لم أفعل".

حتى بيلمان رأسه. إنه لا يشك في راسموس أولسن. إذاً، لم يُعذّب الرجل بهذا النوع من الأسئلة؟ الجواب بسيط بقدر ما هو مغضب. لأنه لا يملك أحداً لي طرح عليه الأسئلة، ولا أدلة أخرى للحاق بها. لهذا، كان يصبّ إحباطه على هذا الرجل المسكين. "ماذا عنك؟"

قال بيلمان، مع تهاؤب: "ماذا عني؟!"

"هل خنت زوجتك؟".

ابتسم بيلمان. "زوجتي جميلة جداً. بالإضافة إلى ذلك، لدينا ولدان. أما أنت وزوجتك فقد كنتما من دون أولاد، وهذا يشجع أكثر على... المرح. كنت أتحدث مع مصدر قال لي إنك واجهت أنت وزوجتك بعض المشاكل قبل فترة".
"أفترض أنها جارتنا في الشقة المجاورة. نعم، كانت ماريت تثرثر معها قليلاً. كانت هناك بعض الغيرة خلال الأشهر الماضية. وظفت فتاة شابة في الحزب لتكون مندوبة الاتحاد. هكذا، التقيت ماريت، ولذلك...".

اختفى صوت راسموس أولسن، ورأى بيلمان الدموع تتلألأ في عينيه.
"لم يكن هناك أي شيء. لكن ماريت ذهبت إلى الجبال لقضاء يومين والتفكير في الأمر. بعد ذلك، عادت الأمور إلى طبيعتها مجدداً".
رَن هاتف بيلمان. لذا، أخرجه، ورأى الاسم المدوّن على الشاشة، ثم أجاب بتهديب بكلمة "نعم". وبعد ذلك، أحسّ بتسارع نبضات قلبه، وتزايد غضبه فيما أصغى إلى الصوت.

كرر. "الحبل؟ لايسرن؟ هذا... آيتر إينيباك؟ شكراً".
أعاد الهاتف إلى جيب معطفه وقال: "عليّ المغادرة أولسن. شكراً لك على وقتك".

في طريق الخروج، توقف بيلمان لبرهة، ونظر في أرجاء الغرفة التي كانت تخص يوماً تريوفين؛ النازي الألماني.

كانت الساعة الواحدة فجراً، وكان هاري جالساً في غرفة الجلوس يستمع إلى مارتا واينورايت وهي تغني: "بعيداً... كل ما بقي يجب أن يتم العثور عليه".
كان مرهقاً. على طاولة القهوة أمامه، وضع هاتفه الخلوي والقدّاحة وورقة الألمنيوم الفضية المشتملة على الكتلة البنية. لم يلمسها. لكن، عليه النوم قريباً، إيجاد إيقاع، أخذ إجازة. حمل في يده صورة لراكيل. فستان أزرق. أغمض عينيه، فشَم رائحتها، وسمع صوتها. "انظر!". ضغطت بيدها برفق. الماء حولهما كان أسود وعميقاً، وطففت على سطحه، بيضاء، من دون أي صوت ومن دون أي وزن. رفع الهواء طرحتها، وكشف عن الريش الأبيض تحته. شكّل عنقها الطويل والنحيل علامة استفهام. أين؟ انتقلت إلى الشاطئ، هيكل حديدي أسود مع عجالات بالية ومنتحبة. دخلت إلى المنزل، واختفت عن الأنظار، ثم عاودت الظهور في الطابق الأول. وضعت

وشاحاً حول عنقها، وكان هناك رجل قريبا يرتدي بذلة سوداء مع زهرة بيضاء على طية ياقة سترته. في الأمام، وقف رجل دين يرتدي ثوباً أبيض، وقد أدار ظهره لهما. كان يقرأ ببطء، ثم استدار. كان وجهه ويداه باللون الأبيض؛ من الثلج. استيقظ هاري مذهولاً.

كان هناك وميض في العتمة. ثمة صوت، ولكن ليس مارتا واينورايت. أمسك هاري بالهاتف المضاء الذي كان يهتزّ على طاولة القهوة.

قال بصوت بطيء: "نعم".

"حصلت عليه".

جلس. "حصلت على ماذا؟".

"الرابط. ولا توجد فقط ثلاث ضحايا، بل هناك أربع".

محرك البحث

قالت كاترين برات: "في البداية، جربت الأسماء الثلاثة التي أعطيتني إياها؛ بورغني ستيم-ميهر، وشارلوت لوليس، وماريت أولسن. لكن البحث لم يفض إلى أي شيء منطقي. ومن ثم وضعت أسماء كل الأشخاص المفقودين في النروج خلال الأشهر الاثني عشر الماضية، وحصلت حينها على شيء يمكن العمل به".

قال هاري: "انتظري. من أين حصلت على أسماء كل الأشخاص المفقودين!؟". أصبح مستيقظاً تماماً الآن.

"الإنترنت في قسم الأشخاص المفقودين، منطقة شرطة أوصلو. ما رأيك؟". زمجر هاري، وتابعت كاترين.

"في الواقع، كان هناك اسم مرتبط بالأسماء الثلاثة الأخرى. هل أنت مستعد؟". "حسناً...".

المرأة المفقودة هي أديل فيتلسين، ثلاثة وعشرون عاماً، تعيش في أي. أبلغ شريكها عن اختفائها في شهر نوفمبر. ظهر الرابط في نظام حجز البطاقات في NSB. ففي السابع من نوفمبر، حجزت أديل فيتلسين عبر شبكة الإنترنت بطاقة للسفر في القطار من درامين إلى أوستاوسيت. في اليوم نفسه، اشترت بورغني ستيم-ميهر بطاقة للسفر في القطار من كونغسبرغ إلى المكان نفسه".

قال هاري: "لكن أوستاوسيت ليست تحديداً وسط الكون".

"ليست مكاناً، بل إنها مجموعة جبال. حيث شيدت عائلات بيرغن منازلها الجبلية بمال قديم، وشيدت الهيئة السياحية شاليهات في قمم الجبال؛ حيث يستطيع النروجيون الحفاظ على أموندسن وإرث نانسن والانتقال من شاليه إلى آخر بواسطة ألواح التزلج المثبتة على أقدامهم، مع خمسة وعشرين كيلوغراماً على ظهورهم، وطعم الخوف من الموت في عقولهم. يضيف ذلك الحماسة إلى الحياة مثلما تعلم".

"يبدو وكأنك كنتِ هناك".

"كانت عائلة زوجي السابق تملك بيتاً صغيراً في الجبال. كانوا أغنياء جداً،

ويتبجحون بأنهم لا يملكون كهرباء أو ماء. وحدهم المتسلقون الاجتماعيون يملكون سونا وجاكوزي".

"وما هي الروابط الأخرى؟".

"لم تكن هناك تذكرة للسفر بالقطار باسم ماريت أولسن. إلا أنه جرى تسجيل دفع للمال في الجهاز النقدي في مقصورة المطعم في القطار عينه في اليوم السابق. عند الساعة 14:13. وحسب الجدول الزمني لمحطة القطارات، يفترض أن يكون ذلك بين آل وجيلو، أي قبل أوستاوسيت.

قال هاري: "ليس هذا مقنعاً كثيراً. يتوجه القطار إلى بيرغن. ربما كانت ذاهبة إلى هناك".

"هل تظن...؟". بدأت كاترين برات، ثم توقفت وانتظرت، وبعد ذلك تابعت بنبرة هادئة. "هل تظن. أني غبية؟ الفندق في أوستاوسيت حجز إقامة لليلة واحدة في غرفة لشخصين باسم راسموس أولسن الذي يقيم مع ماريت أولسن في العنوان نفسه حسب سجل الأحوال الشخصية. لذا، افترضت أن...".

"نعم، إنه زوجها. لماذا تهمسين؟".

"لأن الحارس الليلي مرّ للتو. حسناً، اسمع، وجدنا رابطاً بين ضحيتين وشخص مفقود وبين أوستاوسيت في اليوم نفسه. ما رأيك؟".

"حسناً، هذه مصادفة مهمة، لكننا لا نستطيع حذف الاحتمال بأن يكون الأمر مجرد صدفة".

"موافقة. إليك إذاً الباقي. بحثت عن شارلوت لوليس إضافة إلى أوستاوسيت، لكنني لم أحصل على أي تلميح. لذا، ركزت على التاريخ لمعرفة أين كانت شارلوت لوليس عند وجود النساء الثلاث الأخريات في أوستاوسيت. قبل يومين، دفعت شارلوت ثمن ديزل في محطة وقود خارج هونفوس".

"هذا بعيد جداً عن أوستاوسيت".

"لكنه في الاتجاه الصحيح من أوسلو. حاولت العثور على سيارة مسجلة باسمها أو باسم شريك محتمل لها. فإذا كانا يملكان جواز مرور تلقائياً واجتازا محطات مرور عدة، فبالإمكان تعقب حركتهما".

"مم".

"المشكلة هي أنها لم تكن تملك سيارة، ولا شريكاً تعيش معه؛ بطريقة رسمية على أي حال".

"كانت تملك صديقاً".

"هذا محتمل. لكن محرك البحث وجد سيارة في مرأب أوروبارك في جيلو، تم دفع كلفتها من قبل إيسكا بيلر".

"هذا على مسافة كيلومترات قليلة فقط. لكن، من هي... إيسكا بيلر؟"
"حسب المعلومات الواردة في بطاقة الاعتماد، إنها تقيم في بريستول، سيدني، أستراليا. واللافت أنها تسجل معدلات عالية في بحث الوقت الحقيقي مع شارلوت لوليس".

"بحث الوقت الحقيقي!؟".

"تعمل الأمور هكذا. استناداً إلى الأعوام القليلة الماضية، تظهر أسماء أشخاص يدفعون ببطاقة الاعتماد في المطعم نفسه وفي الوقت نفسه؛ مما يوحي بأنهم تناولوا الطعام معاً، وتشاركوا في دفع الفاتورة. أو لأشخاص. يكونون أعضاء في النادي الرياضي نفسه مع تواريخ تسجيل متطابقة، أو حجزوا مقاعد في الطائرة قرب بعضهم بعضاً أكثر من مرة واحدة. هل فهمت الصورة؟".

كرر هاري، وهو يحاكي نبرتها: "فهمت الصورة. وأنا واثق من أنك تحققت من نوع السيارة، وما إذا كانت تستخدم...".

أجابت كاترين بحزم: "نعم، فعلت، وهي تستخدم الديزل. هل تريد سماع الباقي أم لا؟".

"طبعاً".

"لا يمكنك أن تحجز مسبقاً أسرة في شاليهات هيئة السياحة. وإذا كانت كل الأسرة محجوزة عندما تصل، فعليك ببساطة النوم على الأرض، أو على فراش، أو في كيس نوم على حصيرتك الخاصة. الليلة الواحدة تكلف مئة وسبعين كرونر فقط، ويمكنك الدفع نقداً في صندوق موضوع في الشاليه، أو ترك مغلف مع إذن بالسحب من حسابك".

"بتعبير آخر، لا يمكنك معرفة من كان في الشاليهات ومتى".

"ليس إذا تم الدفع نقداً. لكن، إذا تركُ إذن فسيتم لاحقاً تسجيل معاملة في الحساب المصرفي الخاص بالشخص المعني؛ بينه وبين هيئة السياحة؛ تذكر الشاليه الذي تم استخدامه وتاريخ الإقامة".

"أعتقد أنني أذكر كم هو مضمّن البحث في المعاملات المصرفية".

"ليس إذا حصل محرك البحث على المعايير الصحيحة من قبل دماغ بشري

"وهذه هي الحال مثلما أفترض".

"هذه هي الفكرة العامة. تم السحب من حساب إيسكا بيلر لاستئجار سريرين في أربعة من شاليهات هيئة السياحة بتاريخ العشرين من نوفمبر؛ علماً أن كل شاليه يبعد عن الآخر مسافة سير يوم واحد".

"رحلة تزلج لأربعة أيام".

"نعم. ومكثنا في الشاليه الأخير، شاليه هافاس، في السابع من نوفمبر. وهذا على مسافة نصف يوم سير فقط من أوستاوسيت".

"هذا مثير".

"المثير فعلاً هو وجود حسابين آخرين تم سحب الأجرة منهما بدل الإقامة لليلة واحدة في شاليه هافاس في السابع من نوفمبر. احزر من؟".

"حسناً، ثمة احتمال ضئيل بأن تكون ماريت أولسن أو بورغني ستييم-ميهر لأنني أفترض أن كريوس كانت ستكتشف أن اثنتين من ضحايا الجرائم مكثنا مؤخراً في المكان نفسه في الليلة نفسها. إذاً لا بد أن تكون الفتاة المفقودة. ما كان اسمها؟".

"أديل فيتلسين. وأنت محق. لقد دفعت أجرة شخصين، لكن لا مجال أبداً لمعرفة من كان الشخص الآخر".

"من هو الشخص الآخر الذي دفع بواسطة معاملة مصرفية؟".

"ليس مهماً جداً. إنه من ستافانجر".

إلا أن هاري أمسك بقلم، ودوّن اسم ذلك الشخص وعنوانه، إضافة إلى عنوان إيسكا بيلر في سيدني. "يبدو أنك تبرعين في استعمال محركات البحث". قال لها.

أجابت: "نعم. هذا أشبه بالسفر على متن طائرة قديمة؛ صدئة قليلاً وبطيئة السرعة، لكن عندما تكون في الجو... يا إلهي! ما رأيك بالنتائج؟".

تردد هاري.

قال: "ما فعلته هو تحديد وجود امرأة مفقودة، امرأة يفترض أن لا علاقة لها أبداً بالقضية في المكان نفسه وفي الوقت نفسه. ما من شيء لفت في هذا الأمر، بحد ذاته. لكنك أبرزت أرجحية أن واحدة من ضحايا الجرائم - شارلوت لوليس - كانت معها. وحددت موقع الضحيتين الأخريين - بورغني ستييم - ميهر وماريت أولسن - في الضاحية المجاورة لأوستاوسيت. إذاً...".

"إذا؟".

"تهانينا. لقد نفذت مهمتك. الآن، بالنسبة إلى مهمتي...".
"احبس نفسك، وامسح تلك الابتسامة عن وجهك. لم أكن أقصد ذلك. أنا
صاحبة عقل غير سليم، أتذكر؟".
أنهت المكالمة.

راكبة

كانت وحدها في الحافلة. وضعت ستاين جبينها على النافذة كي لا ترى انعكاس صورتها. حدثت في محطة الحافلات المقفرة والحالكة؛ على أمل أن يأتي أحد. على أمل ألا يأتي أحد.

كان يجلس قرب النافذة في كراب مع قنينة أمامه، يحدق فيها من دون حركة. قبة صوفية، شعر أشقر، وتانك العينان الزرقاوان الغريبتان. ضحكت عيناه، وتغلغلنا، وسيرتا أغوارها، ونادتا باسمها. في النهاية، أخبرت ماتيلد أنها تريد العودة إلى المنزل. لكن ماتيلد شرعت للتو في محادثة مع رجل إنكليزي، وأرادت البقاء لوقت أطول قليلاً. وهكذا، أمسكت ستاين بمعطفها، وركضت من كراب إلى محطة الحافلات، وركبت إحدى الحافلات المتوجهة إلى فالاند.

نظرت إلى الأرقام الحمراء في الساعة الرقمية فوق السائق؛ آملة أن تنغلق الأبواب وتبدأ الحافلة بالتحرك. بقيت دقيقة واحدة.

لم ترفع عينها. ولا حتى عندما سمعت الخطوات الراكضة، والصوت منقطع الأنفاس وهو يطلب تذكرة من السائق في الجهة الأمامية، ولا عندما جلس على المقعد قربها.

قال لها: "هاي ستاين. ظننت أنك تتهربين مني".
 قالت: "أوه، مرحباً الياس". من دون أن تزيح نظرها عن النافذة المبللة بالمطر.
 لماذا جلست في آخر الحافلة، بعيدة جداً عن السائق؟
 "لا يفترض بك أن تكوني وحدك في ليلة كهذه، مثلما تعلمين".
 تمتمت: "لا؟". على أمل أن يأتي أحد، أي كان.
 "ألا تقرئين الجرائد؟ تانك الفتاتان من أوسلو؟ والآن، ذلك اليوم، النائب في البرلمان. ما كان اسمها؟".

"لا أعرف". كذبت ستاين، وشعرت بخفقان قلبها يتسارع.
 قال الياس: "ماريت أولسن. الحزب الاشتراكي. الفتاتان الأخريان كانتا بورغني

وشارلوت. هل أنت واثقة من أنك لا تعرفين هذه الأسماء ستاين؟".
قالت ستاين: "أنا لا أقرأ الجرائد". يجب أن يأتي شخص ما قريباً.
قال: "كنّ فتيات رائعات. هنّ الثلاث".

"طبعاً. كنت تعرفهن، أليس كذلك؟". ندمت ستاين فوراً على النبرة الساخرة التي تحدّثت بها؛ كانت تشعر بالخوف.

قال الياس: "ليس كثيراً. لكن الانطباع الأول كان جيداً. أنا - مثلما تعلمين - من النوع الذي يضع الكثير من الأهمية على الانطباع الأول".

حدّقت في اليد التي وضعها بحذر على ركبته وقالت: "أنت...". وحتى لدى قولها هذه الكلمة الوحيدة استطاعت سماع نفسها تتوسل.
"نعم، ستاين؟".

نظرت إليه. كان وجهه أشبه بوجه ولد، وبدت عيناه فضوليتين فعلاً. أرادت الصراخ، والقفز، وعندما سمعت خطوات السائق وصوته. راكب. رجل. جاء إلى الجهة الخلفية من الحافلة. حاولت ستاين لفت انتباهه، جعله يفهم، لكن حافة قبعته غطت النصف العلوي من وجهه، وكان مشغولاً في التحقق من نقوده ووضع التذكرة في محفظته. أصبح تنفسها أخف عندما جلس خلفهما.

قال الياس: "لا أصدق أن الشرطة لم تكتشف بعد الرابط بينهن. لا يفترض أن يكون الأمر صعباً. يجب أن يعرفوا أن النساء الثلاث أحبين التزلج في الجبال، وأنهن مكثن كلهن في شاليه في هافاس في الليلة نفسها. هل تظنين أنه يجدر بي إخبارهم؟".
همست ستاين: "ربما". لو كانت سريعة، لتجاوزت الياس ربما وقفزت من الحافلة. لكنها بالكاد استوعبت الفكرة في رأسها قبل أن يدور المحرك وتنغلق الأبواب وتطلق الحافلة. أغمضت عينيها.

"لا أريد التورط. أتمنى أن تفهمي ذلك ستاين".
أومأت برأسها ببطء، فيما بقيت عيناها مغمضتين.
"جيد. أستطيع إذاً أن أخبرك عن شخص آخر كان هناك؛ شخص أنا واثق من أنك تعرفينه".

القسم الثالث

ستافانجر

قالت كاجا: "إنها رائحة...".

قال هاري: "اللعنة. رائحة الأبقار. أهلاً بكم في منطقة جايرن".

ارتشح ضوء الفجر من الغيوم الممتدة فوق الحقول الخضراء. من وراء الجدران الحجرية، حدقت الأبقار بصمت في سيارة الأجرة خاصتهم. إنهم في طريقهم من مطار سولا إلى وسط مدينة ستافانجر.

انحنى هاري إلى الأمام بين المقعدين الأماميين. "هل يمكنك الإسراع قليلاً أيها السائق؟". رفع بطاقة التعريف الخاصة به. ابتسم السائق ابتسامة عريضة، وضغط على الدواسة، وانطلقوا بسرعة على الطريق السريع.

سألت كاجا فيما تراجع هاري إلى الخلف: "هل تخشى أننا تأخرنا جداً؟".

قال هاري: "لم يجب على الهاتف، ولم يذهب إلى العمل". من دون الحاجة إلى إكمال ما يفكر فيه.

بعدهما تحدث إلى كاترين برات في الليلة الفائتة، راجع هاري كل المعلومات التي دونها. كان يملك اسمين، ورقمي هاتف، وعنواني شخصين على قيد الحياة مكثا ربما في شاليه في شهر نوفمبر مع الضحايا الثلاث. تحقق من ساعته، واكتشف أنه الصباح الباكر في سيدني فاتصل برقم إيسكا بيلر. أجابت، وبدت متفاجئة جداً عندما تطرق هاري إلى مسألة الشاليه في هافاس. لم تستطع إخبار هاري الكثير عن الإقامة ليلية واحدة؛ لأنها ظلت في غرفة النوم بسبب ارتفاع حرارتها. يعزى ذلك ربما إلى ارتدائها ملابس رطبة لوقت طويل جداً، أو ربما لأن التزلج من شاليه إلى شاليه كان أمراً صعباً بالنسبة إلى إنسانة مثلها لا تملك أي خبرة في سباقات التزلج الطويلة. أو ربما ببساطة لأن الانفلونزا تضرب بشكل عشوائي. في أي حال، تدبرت أمرها فقط في الوصول إلى هافاس، حيث طلبت منها رفيقتها شارلوت لوليس البقاء في السرير. هناك، خلدت إيسكا بيلر إلى النوم المتقطع المليء بالأحلام فيما ألمها جسمها، وعانت من التعرق والبرد بشكل متناوب. لذا، إن كل ما حصل مع الآخرين

في الشاليهات الأخرى - أياً كانوا - لا تعرف أي شيء عنه؛ علماً أنها وشارلوت كانتا أول الواصلين. في اليوم التالي، بقيت في السرير إلى أن غادر الآخرون، وذهبت مع شارلوت على متن دراجة ثلجية تخصص شرطياً محلياً اتصلت به شارلوت. أخذهما إلى منزله، حيث دعاهما للمكوث طوال الليل لأن الفندق الوحيد الموجود محجوز بالكامل؛ مثلما قال لهما. قبلتا الدعوة، لكن في تلك الليلة بدلتا رأيهما وركبتا القطار الليلي إلى جيلو للنزول في فندق هناك. لم تخبر شارلوت صديقتها إيسكا أي شيء محدد عن تلك الليلة في الشاليه في هافاس. يبدو أنها كانت ليلة خالية من الأحداث. بعد خمسة أيام من رحلة التزلج، غادرت إيسكا أوصلو متوجهة إلى سيدني، وهي لا تزال تعاني من الحرارة، وبقيت على اتصال منتظم بشارلوت بواسطة البريد الإلكتروني، لكنها لم تلاحظ أي شيء خارج عن المألوف؛ إلى أن تلقت الخبر الصدمة القاتل إنه تم العثور على صديقتها مقتولة خلف سيارة محطمة على حافة غابة قرب بحيرة دودسجوين، مباشرة خارج المنطقة المدنية في أوصلو.

شرح هاري لإيسكا بيلر ببعض العناية، وإنما من دون أي مراوغة، أنهم قلقون على الأشخاص الذين كانوا في الشاليه ليلة السابع من نوفمبر، وأنه بعد إنهاء المكالمات معها سيتصل برئيس قسم مكافحة الجرائم في شرطة جنوب سيدني، نيل ماك كورماك، الذي عمل معه هاري في إحدى المرات. قال إن ماك كورماك سيطلب المزيد من التفاصيل منها - رغم بعد أستراليا عن أوصلو - وسيوفر لها حماية الشرطة حتى إشعار آخر. بدا له أن إيسكا بيلر قد تقبلت الأمر برباطة جأش.

اتصل هاري بعدها بالرقم الثاني الذي حصل عليه؛ الرقم في ستافانجر. جرّب أربع مرات، ولكن لم يجب أحد. عرف طبعاً أن هذا الأمر لا يعني شيئاً بحد ذاته. فليس كل شخص ينام وهاتفه الخليوي قربه. لكن كاجا سولنس تفعل ذلك بوضوح. فقد أجابت بعد الرنة الثانية، وعندما قال لها هاري إنهما ذاهبان إلى ستافانجر في أول رحلة، وإنه يجدر بها التواجد في المطار السريع في تمام السادسة وخمس دقائق، تمتت كلمة واحدة: "حسناً".

وصلا إلى مطار غاردموين في أوصلو عند الساعة السادسة والنصف، وحاول هاري طلب الرقم مجدداً، ولكن من دون جدوى. بعد ساعة، هبطا في مطار سولا، وطلب هاري الرقم؛ وإنما مع النتيجة نفسها. في طريقهما إلى الرتل المنتظر أمام سيارات الأجرة، نجحت كاجا في الاتصال بصاحب العمل الذي قال إن الشخص الذي يسألان عنه لم يأت إلى العمل في الوقت الاعتيادي. أبلغت هاري بالأمر، فوضع يده

برفق على أسفل ظهرها، ودفعها بصرامة أمام الرتل المنتظر، وركبا سيارة أجرة على وقع الاحتجاجات العالية التي واجهها بعبارة: "شكراً لكم، وأتمنى لكم يوماً سعيداً أيها الإخوة".

كانت الساعة 8:16 دقيقة تماماً عندما وصلا إلى العنوان، وهو عبارة عن منزل خشبي أبيض في فيستلاند. سمح هاري لكاجا بأن تدفع أجرة السيارة، وخرج وترك الباب مفتوحاً. تأمل الجهة الأمامية للمنزل التي لم تكشف عن أي شيء. استنشقت هواء فيستلاند الرطب والمنعش، وإنما الساكن. ضبط أعصابه؛ لأنه يعرف مسبقاً ما ينتظره. قد يكون مخطئاً طبعاً، لكنه متأكد تماماً؛ مثلما هو متأكد من أن كاجا ستقول "شكراً" بعد حصولها على الإيصال.

"شكراً". انغلق باب السيارة.

كان الاسم مدوناً قرب الجرس الوسطي بين الأجراس الثلاثة، أمام الباب الرئيس. ضغط هاري على الزر، وسمع الجرس يرنّ في مكان ما داخل المنزل. بعد دقيقة واحدة وثلاث محاولات، ضغط على الزر السفلي.

السيدة العجوز التي فتحت الباب ابتسمت لهما.

لاحظ هاري أن كاجا عرفت فوراً من يجدر به التكلم. "مرحباً، أنا كاجا سولنس. نحن من الشرطة. الأشخاص في الطابق الذي فوقك لا يجيبون. هل تعرفين إذا كان يوجد أحد في المنزل؟".

قالت السيدة: "ربما. رغم أن الجو كان هادئاً جداً فوق هذا الصباح". وعندما لاحظت حاجبي هاري المرتفعين، أضافت بسرعة: "يمكن سماع أي شيء هنا، وسمعت أصوات أشخاص في الليلة الماضية. منذ أن قمت بتأجير الشقة، أحرص على إبقاء أذنيّ مفتوحتين".

استفسر هاري: "أذناك مفتوحتان!".

"نعم، لكنني لا ألتزم...". توردت وجنتا السيدة خجلاً. "أعتقد أنه لا يوجد أي خطب، أليس كذلك؟ أقصد، لم أواجه المشاكل مطلقاً مع...".

قال هاري: "لا نعرف".

قالت كاجا: "أفضل شيء يمكننا فعله هو التحقق. فإذا كنت تملكين مفتاحاً...".

عرف هاري أن مجموعة من العبارات المحددة تدور الآن في رأس كاجا، ولذلك انتظر التالي باهتمام. "... نودّ أن نساعدك في التأكد من أن كل شيء على ما يرام".

كانت كاجا سولنس امرأة ذكية. إذا وافقت صاحبة المنزل على الاقتراح ووجدوا شيئاً، فسيدّكر في التقرير أنه تم استدعاؤهما. لا مجال لأن يكونا قد دخلا عنوة أو اقتحما المكان من دون سابق إنذار.
ترددت المرأة.

ابتسمت كاجا. "لكن، يمكنك أيضاً التأكد من الأمر بمفردك بعد مغادرتنا. ومن ثم الاتصال بالشرطة، أو سيارة الإسعاف، أو...".

"أظن أنه من الأفضل أن تأتيا معي". قالت المرأة بعدما عبّرت عن قلقها العميق في تقويس حاجبيها. "انتظرا هنا وسأحضر المفاتيح".

الشقة التي دخلا إليها بعد دقيقة واحدة كانت نظيفة ومرتبة وخالية تقريباً من الأثاث. وعلى الفور، أحسّ هاري بالصمت الحاضر بقوة والمهيمن بشدة، في الشقة العارية في الصباح؛ عندما تكون زحمة يوم العمل ضجة بالكاد مسموعة في الخارج. لكنه تعرف أيضاً إلى رائحة قوية؛ رائحة غراء لاصق. لمح زوج أحذية، ولكن من دون أي ملابس.

في المطبخ الصغير، ثمة فنجان شاي كبير في المجلى، وعلى الرف العلوي ثمة علب معدنية تحتوي على أنواع مختلفة من الشاي ذات مصادر غير معروفة بالنسبة إلى هاري: أوولونغ، آنجي باي تشا. تقدموا في الشقة. على الحائط في غرفة الجلوس ثمة صورة معلقة اعتقد هاري أنها صورة K2، آلة القتل الرائجة في جبل في الهيمالايا. قال هاري: "هلاً بتحقيقين من هذا من فضلك". وهو يشير إلى الباب الذي رسم عليه قلب، ثم توجه إلى ما افترض أنه باب غرفة النوم. أخذ نفساً عميقاً، وضغط على المقبض وفتح الباب.

كان السرير مرتباً. الغرفة مرتبة. ثمة نافذة مفتوحة قليلاً، ولا توجد رائحة غراء لاصق، بل كان الهواء منعشاً بقدر نَفَس الطفل. سمع هاري السيدة صاحبة المنزل وهي تقف قرب الباب خلفه.

قالت: "هذا غريب. سمعتهم في الليلة الماضية. لكن، كانت هناك خطوات شخص واحد فقط".

قال هاري: "هم! هل أنت واثقة من أنهم كانوا أكثر من شخص واحد؟".

"نعم، سمعت أصواتاً".

"كم عددهم؟".

"ثلاثة، مثلما أعتقد".

نظر هاري إلى خزانة الملابس. "أهم رجال أم نساء؟".

"أخشى أنه لا يمكن سماع كل شيء تماماً".

ملابس، كيس للنوم، وحقيبة كبيرة، المزيد من الملابس.

"لماذا تقولين إنهم كانوا ثلاثة؟".

"بعدما غادر أحدهم، سمعت ضجيجاً في الأعلى؟".

"أي نوع من الضجيج؟".

توردت وجنتا السيدة مجدداً. "سمعت ضرباً قوياً. كما لو أن... حسناً، تعرف

ماذا أقصد".

"ولكن، من دون أصوات".

فكرت السيدة في السؤال. "لا، لا أصوات".

خرج هاري من الغرفة، وتفاعلاً عندما رأى كاجا لا تزال واقفة في الرواق قرب

باب الحمام. ثمة شيء في طريقة وقوفها؛ كما لو أنها تواجه ريحاً معاكسة.

"هل من مشكلة؟".

"لا على الإطلاق". أجابت كاجا بسرعة ومرح. مرح شديد.

فتوجه إليها هاري ووقف قربها.

سألها بهمس: "ما الأمر؟".

"لدي... مشكلة صغيرة مع الأبواب المغلقة".

قال هاري: "حسناً".

"وهذه... هذه هي حالي الآن".

أوماً هاري برأسه، وسمع الصوت حينها؛ صوت الوقت المقسم، صوت خط جارٍ،

صوت ثوانٍ مختفية، صوت تقطر ماء سريع وفوضوي لا يجري تماماً ولا يتقطر تماماً.

صوت مياه تجري من صنوبر في الجهة الأخرى من الباب. وعرف أنه ليس مخطئاً.

قال هاري: "انتظري هنا". فتح الباب.

أول شيء لاحظته هو أن رائحة الغراء اللاصق كانت أقوى كثيراً في الداخل.

الشيء الثاني هو وجود سترة، وسروال جينز، وقميص قطني، وزوج جوارب

سوداء، وقبعة، وكنزة صوفية رقيقة على الأرض.

الشيء الثالث هو الماء الذي يسيل بشكل متواصل تقريباً من الصنوبر إلى المغطس

المليء كله بالماء؛ لدرجة أن الماء بات يتدفق من الجانب.

الشيء الرابع هو أن الماء في المغطس أحمر؛ بسبب الدم مثلما يعتقد.

الشيء الخامس هو العينان المتجمدتان فوق الفم المغلق بشريط لاصق لجثة بيضاء عارية ومستلقية في قعر المغطس، ووجهها إلى الجانب. كما لو أن ذلك الشخص كان يحاول لمح شيء ما في المنطقة العمياء؛ شيء لم يره قادماً.

الشيء السادس هو أنه لم يلاحظ أي دلائل عنف، ولا إصابات خارجية تبرر وجود كل ذلك الدم.

تنحني هاري، وتساءل عن الطريقة الأكثر رزانة التي سيطلب فيها من السيدة صاحبة المنزل الدخول والتعرف على المستأجر عندها.

إلا أنه لم يضطر إلى فعل ذلك؛ فقد كانت أصلاً واقفة عند الباب.

صرخت: "يا الله!". ثم شددت على كل حرف بمفرده. "يا الله!". وأخيراً، بصوت نحيب وتشديد أكبر. "يا الله!".

بدأ هاري: "هل هو...؟".

قالت المرأة بصوت مليء بالدموع. "نعم. هذا هو. هذا الياس. الياس سكوغ".

الأفضلية

وضعت المرأة يديها على فمها، وتمتمت عبر أصابعها: "ولكن، ماذا فعلت يا عزيزي الياس؟ أقطعت ويريدك؟".

قال هاري: "أنا واثق من أنه لم يفعل أي شيء". وقادها من الحمام إلى الباب الأمامي للشقة. "هل أستطيع أن أطلب منك الاتصال بمركز الشرطة في ستافانجر والطلب منهم إرسال رجال من الشرطة القضائية؟ أخبرهم أن لدينا مسرح جريمة هنا." "مسرح جريمة؟!". كانت عيناها كبيرتين ومليتتين بالصدمة.

"نعم. قولي لهم ذلك. استخدم رقم الطوارئ 112، إذا أردت. اتفقنا؟".

"نعم".

سمعا المرأة تنزل الدرجة للوصول إلى شقتها.

قال هاري: "لدينا ربع ساعة تقريباً قبل أن يصلوا إلى هنا". خلعا حذاءيهما ووضعاهما في الرواق، ودخلا إلى الحمام بأرجلهما المغطاة فقط بالجوارب. نظر هاري حوله. كانت المغسلة مليئة بالشعر الأشقر الطويل، وعلى الرف ثمة أنبوب معصور ومسطح.

قال هاري: "يبدو هذا مثل معجون أسنان". وهو ينحني فوق الأنبوب، محاولاً عدم لمسه.

اقتربت كاجا أكثر وقالت: "إنه الغراء العجيب. أقوى الأنواع على الإطلاق".

"هذا هو النوع الذي لا يفترض أن يلامس أصابعك، أليس كذلك؟".

"مفعوله سريع جداً. إذا ضُغِطت أصابعك إلى بعضها لوقت طويل، فستلتصق، وستضطر حينها إلى استعمال شيء حاد لفصلها عن بعضها، أو إلى الشد بقوة حتى ينسلخ الجلد.

حذق هاري في كاجا أولاً، ومن ثم في الجثة الموجودة في المغطس.

وقال ببطء: "يا الله، لا يمكن أن يكون هذا صحيحاً...".

تأكد قائد الشرطة غونار هاغن من شكوكه. قد يكون هذا أغبي شيء قام به منذ توليه قيادة مركز الشرطة. إذ إن تشكيل مجموعة لإجراء تحقيق خلافاً لأوامر الوزارة يمكن أن يورطه في المشاكل. وجعل هاري هول زعيم المجموعة يعني طلب المشاكل. وها هي المشاكل قد طرقت على بابه ودخلت. وها هي الآن تقف أمامه متجسدة بمايكل بيلمان. وفيما أصغى هاغن إليه، لاحظ العلامات الغريبة على وجه قائد كريوس تسطع بياض أكثر من المعتاد؛ كما لو أنها مشرقة نتيجة شيء أحمر ساخن في الداخل، مثل الانشطار المبرد في مفاعل نووي، وانفجار محتمل لا يزال تحت السيطرة في الوقت الحاضر.

"أعرف جيداً أن هاري هول واثنين من زملائه قد ذهبوا إلى بحيرة لايسرن للتحقيق في جريمة ماريت أولسن. طلبت منا بتي لون من كريمتكينسك إجراء بحث ميداني في كل المنازل المحيطة بمصنع الحبال القديم. وقيل إن أحد الموظفين لديها قد اكتشف أن الحبل الذي استخدم لشنق ماريت أولسن يعود أصله إلى هناك. هذا جيد للغاية الآن..."

تأرجح مايكل بيلمان على كعبي قدميه. لم يخلع حتى معطفه الطويل الواصل إلى الأرض. حصن غونار هاغن نفسه استعداداً لما سيلي. وقد جاء في شكل مؤلم؛ مع نبرة مربكة نوعاً ما.

"لكن، عندما تحدثنا إلى المسؤول في آيتر إينيباك، قال لي إن البطل الشهير هاري هول كان واحداً من الشرطيين الثلاثة المسؤولين عن التحقيق. إذًا، إنه أحد رجالك، هاغن."

لم يجب هاغن.

"أفترض أنك واع تماماً لعواقب جعلك نفسك فوق أوامر وزارة العدل هاغن." لم يجب هاغن أيضاً، لكنه حدّق في عيني بيلمان الغاضبتين. قال بيلمان، وهو يفك زراً من معطفه ويجلس أخيراً: "اسمع. أنا أحبك هاغن. أظن أنك شرطي جيد، وأنا سأحتاج إلى الرجال الجيدين." "أتقصد حين تستلم كريوس كامل السلطة؟"

"بالضبط. أستطيع الاستفادة من شخص مثلك في موقع بارز. أنت تملك خلفية عسكرية أكاديمية، وتعرف أهمية التفكير بطريقة تكتيكية، وتفادي المعارك التي لا تستطيع الفوز بها، والإدراك متى يكون الانسحاب أفضل طريقة للفوز..."

أوماً هاغن برأسه ببطء.

قال بيلمان وهو يقف: "جيد. فلنقل إن هاري هول وجد نفسه عن غير قصد في بحيرة لايسرن. كانت مصادفة، ولا علاقة لها أبداً بماريت أولسن. لكن مثل هذه المصادفات لا تتكرر كثيراً على الأرجح. هل يمكننا الاتفاق على ذلك... غونار؟".

أجفل هاغن عن غير قصد عندما سمع اسمه يصدر من فم الرجل الآخر؛ كما لو أنه صدى لاسم لفظه شخصياً ذات مرة، اسم سلفه، في محاولة لتوليد أجواء مرح لا وجود لها أساساً. لكنه صرف الأمر من ذهنه؛ لأنه يعرف جيداً أن هذا هو نوع المعارك التي كان بيلمان يتحدث عنها. بالإضافة إلى ذلك، كان على وشك خسارة الحرب. كما أن ظروف الاستسلام التي عرضها عليه بيلمان كان من الممكن أن تكون أسوأ؛ أسوأ بكثير.

قال: "سأتكلم مع هاري". وصافح يد بيلمان الممدودة. كان الأمر أشبه بمصافحة الرخام القاسي والبارد والخالي من الحياة.

أخذ هاري جرعة كبيرة، وأفلت العقدة الأخيرة من سببته عن مقبض فنجان القهوة الشفاف الذي قدمته له السيدة صاحبة المنزل.

"إذاً، أنت المفتش هاري هول من شرطة منطقة أوسلو". قال الرجل الجالس في الجهة المقابلة من طاولة القهوة الخاصة بالسيدة صاحبة المنزل. لقد عرّف عن نفسه بأنه المفتش كولبيورنسن، وها هو الآن يكرر لقب هاري واسمه واتتماءه مع التشديد على كلمة أوسلو. "وما الذي جلب شرطة أوسلو إلى ستافانجر، سيد هول؟".

قال هاري: "كالعادة. الهواء المنعش والجبال الجميلة".

"أوه حقاً!".

"الزقاق المائي بين الجبال. القفز عن صخرة بولبيت؛ إذا كان لدينا الوقت".

"إذاً، لقد أرسلت لنا أوسلو ممثلاً كوميدياً، أليس كذلك؟ أنت تشارك في رياضة خطيرة؛ حسب ما أستطيع قوله لك. هل من سبب وجيه لعدم إبلاغنا بهذه الزيارة؟".

كانت ابتسامة المفتش كولبيورنسن رقيقة مثل شاربيه. كان يعتمر واحدة من تلك القبعات الصغيرة المضحكة التي يعتمرها فقط الرجال الكبار في السن، ويملكها المغتربون جداً بأنفسهم. تذكر هاري بوباي دويل في الرابط الفرنسي، وأدرك تماماً أن كولبيورنسن لن يخجل من مصّ عود الكاراميل أو التوقف وهو خارج من الباب والقول "أوه، ثمة أمر آخر بعد".

قال هاري: "أعتقد أنه يوجد فاكس على الأرجح في صندوق الوارد لديكم".

فيما نظر إلى الرجل الذي دخل وكان يرتدي زياً أبيض. أحدثت بذلة الشرطي القضائي صوت حفيف، فيما نزع القلنسوة البيضاء عن رأسه وجلس على كرسي. نظر مباشرة إلى كوليبورنسن وتمتم بلغة محلية.
سأل كوليبورنسن: "حسناً؟".

قال الشرطي الذي دقق في مسرح الجريمة: "إنه محق". وأوماً في اتجاه هاري من دون أن ينظر إليه. "الرجل الميت هناك تم لصقه بقعر المغطس بواسطة الغراء العجيب".

قال كوليبورنسن: "تم لصقه؟!". وهو ينظر إلى زميله بتعجب. "صيغة المجهول. ألم تستعجل قليلاً في حذف الاحتمال بأن الياس سكوغ قد قتل نفسه؟".

قال هاري: "ونجح في فتح الصنبور بطريقة تجعله يغرق ببطء شديد وتسبب له الألم أكثر مما يمكن تصوّره؟! بعد إغلاقه فمه بشريط لاصق كي لا يتمكن من الصراخ!".

وجه كوليبورنسن إلى هاري ابتسامة أخرى رقيقة وساخرة. "سأقول لك متى يمكنك المقاطعة، أو سلو".

تابع الشرطي قائلاً: "تم لصقه بسرعة من أعلى الرأس وحتى أخمص القدمين. تمت حلاقة الجهة الخلفية من الرأس ولصقها بالغراء. وقد حصل الشيء نفسه مع كتفيه وظهره، والمؤخرة، والذراعين، وكلتا الساقين. بتعبير آخر...".

قال هاري: "بتعبير آخر، عندما انتهى القاتل من عملية توزيع الغراء اللاصق، بقي الياس مستلقياً هناك لبعض الوقت، وكان الغراء يزداد قساوة وتصلباً. فتح القاتل الصنبور قليلاً، وترك الياس سكوغ يواجه الموت البطيء غرقاً. وبدأ الياس صراعه ضد الوقت والموت. ارتفع الماء ببطء، لكن قوته كانت تنهار تدريجياً؛ إلى أن أحكم الخوف المميت قبضته عليه، ومنحه الطاقة للقيام بمحاولة أخيرة لتحرير نفسه. وهذا ما فعله. حرر الأقوى بين أطرافه من قعر المغطس؛ ساقه اليمنى. مزقها بكل بساطة عن المغطس، ويمكنك رؤية الجلد الذي لا يزال ملتصقاً بقعر المغطس. تفجر الدم في الماء، فيما ارتطمت قدم الياس بالمغطس، ونجم عن ذلك الصوت الذي سمعته السيدة في الأسفل. لقد سمعت الصوت".

أوماً هاري برأسه في اتجاه المطبخ حيث كانت كاجا تحاول تهدئة السيدة العجوز ومواساتها. استطاعوا سماع بكائها المرير.

"لكنها أساءت الظن. ظنت أن المستأجر لديها يمارس الجنس مع فتاة اصطحبها

معه إلى المنزل".

نظر إلى كوليبورنسن الذي أصبح شاحباً، ولم يعد يُظهر أي رغبة في المقاطعة. "وطوال الوقت، كان الياس ينزف الدم. الكثير من الدم. لقد انسلخ كل الجلد عن ساقه، وأصبح أكثر ضعفاً وتعباً. في النهاية، بدأ عزمه يفتر. استسلم. لقد كان فاقد الوعي ربما نتيجة خسارته الكثير من الدم عندما وصل الماء إلى منخره". حدّق هاري ملياً في كوليبورنسن. "أو ربما لا".

باتت تفاحة آدم في عنق كوليبورنسن تنبض بقوة.

نظر هاري إلى البقايا في فنجان القهوة وقال: "والآن، أظن أنه يجدر بنا أنا والتحرية سولنس شكركم على ضيافتكم والعودة إلى أوصلو. إذا كان لديكم المزيد من الأسئلة، فيإمكانك الاتصال بي على هذا الرقم". ودوّن هاري رقماً على هامش الجريدة، ومزق الورقة ومررها فوق الطاولة، ثم وقف على قدميه.

قال كوليبورنسن، وهو يقف أيضاً: "لكن...". كان هاري أطول منه بعشرين سنتيمتراً تقريباً. "ماذا أردتما تحديداً من الياس سكوغ؟". قال هاري، وهو يزرر معطفه: "إنقاذه".

"إنقاذه! هل كان متورطاً في شيء ما؟ انتظر هول، علينا معرفة الحقيقة". لكن، لم تعد النبذة التي استخدمها كوليبورنسن سابقاً - بطريقة الأمر - موجودة. قال هاري وهو يتجه إلى باب المطبخ، ويشير إلى كاجا بأنهما مغادران: "أنا واثق من أن رجال الشرطة في ستافانجر قادرون تماماً على اكتشاف الحقيقة بأنفسهم. وإلا، فأنا أوصيكم بكريوس. بلغ تحياتي لمايكل بيلمان؛ إذا توجب عليك فعل ذلك". "إنقاذه من ماذا؟".

قال هاري: "مما لم نستطع أن نلقه منه".

في سيارة الأجرة في الطريق إلى سولا، حدق هاري خارج النافذة، في المطر المنهمر بغزارة على الحقول الخضراء بشكل لافت. لم تفوه كاجا بأية كلمة. وكان ممتناً لذلك.

الإبرة

كان غونار هاغن جالساً على كرسي هاري يتتظر عودتهما عندما دخل هاري وكاجا إلى المكتب الساخن والرطب.
بيورن هولم الذي كان جالساً خلف هاغن هز كتفه، وأشار إلى أنه لا يعرف ما يريده قائد مركز الشرطة.

قال هاغن، وهو ينهض: "سمعت أنكما كنتما في ستافانجر".
قال هاري: "نعم. لا داعي لأن تقف سيدي".
"إنه كرسيك. سأغادر قريباً".
"أوه!".

أدرك هاري أن هناك خبراً سيئاً؛ خبراً سيئاً ذا أهمية كبيرة. فالمدراء لا يعذبون أنفسهم بالنزول إلى مكتب تحت الأرض في سجن بوتسن ليقولوا لك إن فاتورة سفرك تم إنجازها بطريقة غير دقيقة.

بقي هاغن واقفاً، حيث بات هولم الشخص الوحيد الجالس في الغرفة.
"أخشى إبلاغكم أن كريوس اكتشفت أنكم تعملون على التحقيق في الجرائم.
ولا أملك أي خيار سوى ختم التحقيق".

في الصمت الذي تلا ذلك، استطاع هاري سماع أجهزة التدفئة وهي تعمل في الغرفة المحاذية. نظر هاغن إليهم، وثبت نظره على كل واحد منهم بدوره، ثم توقف عند هاري. "لا أستطيع القول أيضاً إن هذا إعفاء مشرف من الخدمة. فقد أعطيتكم تعليمات واضحة بأن هذه العملية سرية".

قال هاري: "حسناً. طلبت من بيتي لون تسريب المعلومات بشأن مصنع الحبال في كريوس، لكنها وعدتني بأن تفعل ذلك بطريقة تبدو فيها كريمتكنيسك وكأنها هي المصدر".

قال هاغن: "وأنا واثق من أنها فعلت ذلك. لكن المدير المسؤول في آير إننيك هو الذي وشى بكم هاري".

قطب هاري جيبنه، وتمتم بشتيمة بصوت منخفض.

صقق هاغن بيديه معاً، ودوى صوت ضربة فارغة بين الجدران القرميدية. "لهذا السبب، ولسوء الحظ، أنا ملزم بأمركم بضرورة التخلي عن كل أعمال التحقيق على الفور. وعليكم إخلاء هذا المكتب خلال ثماني وأربعين ساعة. هل هذا مفهوم؟".

نظر هاري وكاجا وبيورن إلى بعضهم بعضاً، فيما انغلق الباب الحديدي، واختفت أصوات خطوات هاغن المسرعة في الممر تحت الأرض.

قال بيورن: "ثماني وأربعون ساعة! هل يرغب أي منكما في قهوة طازجة؟".

ركل هاري سلة المهملات الموجودة قرب المكتب، فارتطمت بالجدار مصدرة صوتاً قوياً، وتناثرت محتوياتها المتواضعة، ثم تدرجت صوبه.

قال: "سأكون في مستشفى ريكس". وتوجه مسرعاً صوب الباب.

وضع هاري الكرسي الخشبي القاسي قرب النافذة، وأصغى إلى تنفس والده المنتظم فيما قلب صفحات الجريدة. خبر زفاف، وخبر وفاة قرب بعضهما. إلى اليسار، صور لمأتم ماريت أولسن، بدا فيها رئيس الوزراء التروجي جدياً، مع وجه متعاطف، وارتدى رفاق الحزب بذلات سوداء، وبدا زوجها راسموس أولسن، وهو يضع نظارة شمسية كبيرة. إلى اليمين، ثمة مقالة تعلن أن ابنة إمبراطور الملاحه، لين، ستتزوج من طوني في الربيع المقبل، مع صور للمدعوين إلى حفل الزفاف (وكلهم طبعاً من الدرجة الأولى) الذين سيسافرون جميعاً إلى سان ترويز. على الصفحة الخلفية، قيل إن الشمس ستغيب اليوم في تمام الساعة 16:58 في أوسلو. نظر هاري إلى ساعته، واستوعب أن الشمس بدأت فعلاً تغيب الآن، خلف الغيوم التي لم يهطل منها مطر ولا ثلج. شاهد الأنوار تضاء في كل المنازل الموجودة على جانب الجسر؛ حول ما كان قبلاً بركاناً. بطريقة ما، من المذهل التفكير في أن البركان سيثور تحتها يوماً ما، وابتلعها، ويزيل آثار كل ما كان ذات مرة بلدة مكتفية ومنظمة وحزينة قليلاً.

ثماني وأربعون ساعة! لماذا؟ إنهم لا يحتاجون إلى أكثر من ساعتين لإفراغ ما يسمى مكتبهم.

أغمض هاري عينيه وفكر في المسألة. أعدّ تقريراً عقلياً أخيراً لأرشيفه الشخصي. امرأتان قتلتا بالطريقة نفسها؛ حيث غرقتا في دمهما، مع وجود لمادة الكيناتوم في دمهما. امرأة شنقت من منصة غوص، مع حبل مأخوذ من مصنع حبال قديم. رجل غرق حتى الموت في مغطسه. كل الضحايا كانوا ربما في الحجرة نفسها وفي الوقت

نفسه. إنهم لا يعرفون بعد الأشخاص الآخرين الذين كانوا موجودين هناك أيضاً، وما هو الدافع وراء الجرائم، أو ما حصل في شاليه هافاس في ذلك اليوم أو تلك الليلة. إنها فقط النتيجة، وليست السبب. ختمت القضية.
"هاري...".

لم يسمع والده حين استيقظ، واستدار.
بدا أولاف هول منتعشاً، لكن هذا ناجم ربما عن لون وجنتيه والتألق المحموم في عينيه. نهض هاري ووضع كرسيه بالقرب من سرير والده.
"كم مضى على وجودك هنا؟".

"عشر دقائق". كذب هاري.
قال أولاف: "لقد نمت جيداً، وشاهدت أحلاماً رائعة".
"ألاحظ ذلك. تبدو وكأنك جاهز للنهوض والمغادرة".
سوى هاري وسادة والده، وسمح له والده بفعل ذلك؛ رغم إدراكهما جيداً أن هذا الأمر غير ضروري.

"كيف حال المنزل؟".
قال هاري: "جيدة. سيصمد إلى الأبد".
"جيد. ثمة أمر أريد التحدث معك بشأنه هاري".
"ما هو؟".

"أنت رجل ناضج الآن. سوف تخسرني بطريقة طبيعية. هذا هو المسار الطبيعي للأمور، وليس مثلما فقدت والدتك. كنت على وشك التعرض للجنون".
قال هاري: "حقاً؟". وهو يملس غطاء الوسادة.
"دمّرت غرفتك. أردت قتل الأطباء؛ أولئك الذين نقلوا إليها عدوى المرض، وحتى أنا. لأنني... حسناً، لأنني لم أكتشف الأمر قبلاً؛ مثلما أفترض. كنت مليئاً بالحب".
"تقصد، بالكراهية أليس كذلك؟".

"لا، بالحب. إنها العملة نفسها. كل شيء يبدأ بالحب. الكراهية هي الوجه الآخر للعملة. لطالما ظننت أن موت أمك هو الذي دفعك إلى احتساء الشراب. أو بالأحرى، حبك لأمك".

تمتم هاري: "الحب قاتل".
"ماذا؟".

"إنه مجرد شيء قاله لي أحدهم ذات مرة".

"فعلت كل شي طلبته مني أمك؛ باستثناء شيء واحد. فقد طلبت مني مساعدتها عندما جاءت ساعتها".

أحس هاري كما لو أن أحداً قد حقن ماء شديد البرودة في صدره.

"لكني لم أستطع. وهل تعرف أمراً هاري؟ سبب لي ذلك الكوابيس. لم يمر عليّ يوم واحد ولم أفكر فيه في عدم قدرتي على تلبية أمنيته الأخيرة؛ أمنية المرأة التي أحببتها أكثر من أي شيء آخر على هذه الأرض".

قطع الكرسى الخشبي الرقيق فيما نهض هاري فجأة. مشى صوب النافذة، وسمع والده يشهق مرتين خلفه، بعمق، ويرتجف. ثم جاءت الساعة.

"أعرف أنني أفرض عليك عبئاً كبيراً بنّي. لكنني أعرف أيضاً أنك مثلي، أي إن الفكرة ستطاردك إذا لم تفعلها. لذا، دعني أشرح لك ماذا أريد منك أن تفعل...". قال هاري: "بابا".

"هل تستطيع رؤية هذه الإبرة تحت الجلد؟".

"بابا! توقف!".

أصبح كل شيء صامتاً؛ باستثناء صوت تنفسه. في الخارج، رأى هاري الغشاء الأسود والأبيض للبلدة مع غيوم شبيهة بالوجوه تضغط بقسماتها الرمادية المترجة على أسطح المنازل.

قال والده: "أريد أن أدفن في آندالسنس".

يدفن؛ بدت الكلمة له مثل صدى من مناسبات الفصح مع أمه وأبيه في ليسجا؛ عندما شرح أولاف هول لهاري وأخته، بحماسة كبيرة، ما يجدر بهما فعله في حال دفنا في انهيار ثلجي وعانيا من تصلب غشاء القلب؛ ذلك الغشاء القاسي المحيط بالقلب والذي يمنعه من التمدد. قلب مصفح. حولهم كانت الحقول مسطحة والهضاب منحدره قليلاً. بدا الأمر شبيهاً نوعاً ما بحال مضيقات الطيران في الرحلات الداخلية فوق منغوليا حين يشرح كيفية استعمال سترات الإنقاذ. إن ما يقلنه هراء، وإنما يمنح المسافرين في الوقت نفسه الإحساس بالأمان؛ الإحساس بأنهم سينجون جميعاً إذا فعلوا الأشياء الصحيحة. والآن، يقول بابا إن هذا لم يكن صحيحاً، في النهاية.

سعل هاري. "آندالسنس... لتكون مع ماما...؟".

صمت هاري.

"وأريد الاستلقاء قرب رفاقي القرويين".

"أنت لا تعرفهم".

"حسناً، من نعرف نحن؟ على الأقل، أنا وهم نتحدر من المكان نفسه. في النهاية، هذا هو جوهر الأمور. القبيلة. نريد أن نكون مع قبيلتنا."
"حقاً؟".

"نعم، نريد هذا. سواء أدركنا ذلك أم لا، فإن هذا ما نريده."
دخل الممرض الذي يضع شارة تحمل اسم ألتمان، ووجه ابتسامة سريعة إلى هاري، ونقر على ساعته.

نزل هاري إلى الأسفل، والتقى شرطين يرتديان الثياب الرسمية الخاصة بالشرطة وهما في طريقهما إلى الأعلى. أولاً لهما بطريقة تلقائية. إنه تقليد. نظرا إليه بصمت، كما لو أنه غريب.

يتوق هاري عادة إلى الوحدة وكل الفوائد المرافقة لذلك: السلام، الهدوء، الحرية. لكن، عند وقوفه أمام محطة الترامواي، شعر فجأة أنه لا يعرف إلى أين يذهب، أو ماذا يفعل. عرف فقط أن تواجهه وحده في المنزل في أوبسال سيكون غير محتمل في الوقت الحاضر.

اتصل برقم أويستن.

كان أويستن في رحلة طويلة إلى فاغرنس، لكنه اقترح عليه تناول الشراب في لومبا قرابة منتصف الليل للاحتفال بالانتهاء المرضي نوعاً ما ليوم آخر في حياة أويستن إيكلاند. توجب على هاري تذكير أويستن بأنه مدمن على الشراب، لكنه تلقى الجواب بأنه حتى المدمن على الشراب يجدر به المرح بين الحين والآخر.

تمنى هاري لأويستن رحلة سالمة وأنهى الاتصال. نظر إلى ساعته، وراوده السؤال مجدداً. ثماني وأربعون ساعة! لماذا؟

توقف ترامواي أمامه وفتحت أبوابه. نظر هاري إلى الداخل المضاء والمغري، إلا أنه استدار وبدأ يمشي صوب المدينة.

لطيف وسارق وبخيل

قال هاري: "كنت في الجوار. لكنني أفترض أنك خارجة".
 ابتسمت كاجا التي كانت تقف عند الباب وترتدي سترة سميكة محشوة. "على الإطلاق. كنت جالسة على الشرفة. ادخل، انتعل الخف الموضوع هناك".
 خلع هاري حذاءه ولحق بها عبر غرفة الجلوس. جلس كل منهما على كرسي خشبي كبير على الشرفة المسقوفة. كان الجو هادئاً وساكناً في الشقة في لايدر ساغنز، مع سيارة واحدة فقط مركونة. لكن من الطابق الأول في المنزل المطل على الطريق، استطاع هاري رؤية طيف رجل قرب نافذة مضاءة.

قالت كاجا: "إنه غريجر. بات في الثمانين من عمره الآن. إنه يجلس هكذا ويراقب كل ما يحصل في الشارع منذ أيام الحرب، مثلما أعتقد. أحب الاعتقاد بأنه يحرسني".
 قال هاري، وهو يخرج علبة سجائر: "نعم. نحن بحاجة إلى ذلك. الاعتقاد بأن شخصاً ما يحرسنا".

"هل لديك غريجر آخر أنت أيضاً؟".

قال هاري: "لا".

"هل أستطيع الحصول على واحدة؟".

"أتريدين سيجارة؟!".

ضحكت. "أدخن بين الحين والآخر. يجعلني ذلك أكثر هدوءاً... مثلما أعتقد".
 "مم... هل فكرت بما ستفعلينه؟ أقصد، بعد الثماني والأربعين ساعة؟".
 هزت رأسها. "العودة إلى قسم مكافحة الجرائم، ووضع قدمي على الطاولة، وانتظار جريمة تافهة كفاية بالنسبة إلى كريوس لعدم سحبها من صلاحياتنا".

أخرج سيجارتين، ووضعهما بين شفتيه، وأشعلهما ثم مرر إليها سيجارة.

قالت: "الآن، السفر... هن... هن... ما كان اسم الرجل الذي فعل ذلك؟".

قال هاري: "هنريد. بول هنريد".

"والمرأة التي أشعل لها السيجارة؟".

"بيت دايفيس".

"فيلم مثير. هل ترغب في استعارة سترة أكثر سماكة؟".

"لا، شكراً. بالمناسبة، لماذا كنت جالسة على الشرفة؟ ليست ليلة استوائية مثلما أعتقد".

رفعت كتاباً. "يصبح دماغي يقظاً أكثر في الهواء البارد".

قرأ هاري الغلاف الخارجي. "الأحذية المادية. مم... أجزاء منسية من دراسات فلسفية تعود إلى الذاكرة".

"صحيح. المادية تقول إن كل شيء مادة وطاقة. وكل ما يحصل جزء من حساب أكبر؛ من سلسلة تفاعلات، عواقب لشيء حصل قبلاً".

"والإرادة الحرّة مجرد وهم، أليس كذلك؟".

"نعم. أفعالنا محددة بالتركيب الكيميائية لدماغنا، التي تتحدد وفق من ينجب أولاداً ممن؛ الأمر الذي يتحدد بدوره بكميائية الدماغ، وما إلى ذلك".

أوماً هاري برأسه قائلاً: "أذكر هذه المسألة". ونفخ دخان السيجارة في الليل الشتوي. "إنها تجعلني أفكر في عالم الأرصاد الجوية الذي قال إنه لو حصل على

كل المعطيات الصحيحة، لاستطاع توقع كل الطقس المستقبلي".

"ولأمكننا الحؤول دون وقوع الجرائم قبل حصولها".

"والتوقع أن شرطيات متسولات للسجائر سيجلسن على الشرفات في ليالٍ باردة مع كتب فلسفية باهظة".

ضحكت. "لم أشتري الكتاب شخصياً. وجدته على الرف هنا". زمت شفيتها ومجت السيجارة، ودخل الدخان إلى عينيها. "لا أشتري الكتب أبداً، بل أستعيرها فقط، أو أسرقها".

"لا أراك سارقة".

قالت وهي تضع السيجارة على حافة المنفضة: "لا أحد يفعل ذلك، ولهذا السبب لا يتم أبداً كشف أمري".

سعل هاري. "ولماذا تسرقين؟".

"أسرق فقط من الأشخاص الذين أعرفهم، والذين يستطيعون تحمل كلفة ذلك. ليس لأنني جشعة، وإنما لأنني مقتصدة قليلاً. عندما كنت أدرس، كنت أسرق لفافات

المحارم من حمامات الجامعة. بالمناسبة، هل تذكرت عنوان كتاب فاتي الذي كان رائعاً؟".

"لا".

"أرسل لي رسالة نصية عندما تتذكره".
فهقه هاري. "عذراً، أنا لا أرسل الرسائل النصية".
"لماذا؟".

هَزَّ هاري كتفه. "لا أعرف. لا أحب المفهوم. تماماً مثل الشعوب الأصلية التي لا ترغب في أن يتم التقاط صور لها ظناً منها أنها ستخسر جزءاً من أرواحها ربما".
قالت بحماسة: "أعرف! لا تريد أن تترك آثاراً لك، بصمات؛ دليلاً محتملاً على هويتك. تريد أن تعرف أنك ستختفي، بشكل كامل وتام".

قال هاري: "لقد أصبت الظن". واستنشق الهواء. "هل تريد الدخول؟". أوماً صوب يديها اللتين وضعتهما بين فخذيها والكرسي.

ابتسمت. "لا، أشعر بالبرد فقط في يديّ. قلبي دافئ. ماذا عنك؟".
نظر هاري عبر سور الحديقة إلى الطريق. إلى السيارة الواقفة هناك. "ماذا عني؟".
"هل أنت مثلي؟ هل أنت لطيف وسارق وبخيل؟".
"لا، أنا شرير وصريح وبخيل. ماذا عن زوجك؟".

جاءت الكلمات أقوى مما أرادها هاري؛ كما لو أنه أراد وضعها في مكانها لأنها... لأنها ماذا؟ لأنها جالسة هناك وتبدو جميلة، وتفعل الأشياء نفسها التي يفعلها، وأعارته خفاً يخص رجلاً تدعي أنه غير موجود.

سألت بابتسامة صغيرة: "ماذا عنه؟".
سمع هاري نفسه يقول: "حسناً، إنه يملك قدمين كبيرتين". وأحسّ برغبة جامحة في ضرب رأسه بالطاولة.

ضحكت عالياً، وترددت ضحكتها في صمت فاغربورغ المظلم المخيم على المنازل والحدائق والمرائب. المرائب، يملك كل منزل مرأباً. ثمة سيارة واحدة فقط مركونة في الشارع. هناك طبعاً ألف سبب لكي تكون موجودة هناك.
قالت: "لا أملك زوجاً".

"إذا...".

"إذا، أنت تتعل في قدميك خف أخي".

"والحذاء الموضوع على الدرج؟".

"... إنه أيضاً لأخي. وقد وضعته هناك لأنني أعتقد أن حذاء رجل بقياس ستة وأربعين ونصف كفيل بردع الرجال الأشرار الذين ينوون القيام بأشياء شريرة".

وجهت إلى هاري نظرة ذات مغزى. اختار التصديق أن الغموض غير مطلوب.
" إذًا، هل يعيش أخوك هنا؟".

هزت رأسها. "لقد مات قبل عشرة أعوام. إنه منزل بابا. في الأعوام الأخيرة،
عندما كان إيفن يدرس في بليندرن، كنا نعيش هنا أنا وهو وبابا."
"وبابا؟".

"مات مباشرة بعد إيفن. وبما أنني كنت أعيش هنا أصلاً، استلمت المنزل."
رفعت كاجا ساقيها على الكرسي، ووضعت رأسها على ركبتيها. نظر هاري إلى
العنق النحيل، وإلى التجويف حيث كان شعرها مربوطاً ومرفوعاً مع بضع خصلات
متناثرة على بشرتها.

سألها هاري: "هل تفكرين غالباً بهما؟".

رفعت رأسها عن ركبتيها.

أجابت: "خصوصاً في إيفن. ترك بابا المنزل عندما كنا صغيرين، وعاشت أمي
في عزلتها الخاصة، فتحول إيفن إلى بديل لوالدي بالنسبة إليّ. اهتم بي، وشجعني،
وربّاني، وكان نموذجي. لم يكن يرتكب أي خطأ برأيي. وعندما تكون قريباً جداً من
شخص ما مثلما كنا أنا وإيفن قريبين من بعضنا، لا يزول ذلك القرب أبداً. أبداً."
أوماً هاري برأسه.

قالت كاجا مع سعال متردد: "كيف حال والدك؟".

تأمل هاري وهج السيارة.

قال: "هل تجددين الأمر غريباً؟ أعني، أعطانا هاغن ثماني وأربعين ساعة. كان
بوسعنا إخلاء المكتب خلال ساعتين على الأكثر".

"أفترض. وها أنت تقول ذلك الآن".

"ربما ظن أنه بوسعنا تخصيص اليومين الأخيرين لفعل شيء مفيد."
نظرت كاجا إليه.

"ليس التحقيق في الجريمة الحالية طبعاً. علينا ترك ذلك لكريبوس. لكن قسم
الأشخاص المفقودين يحتاج إلى المساعدة مثلما سمعت".

"ماذا تقصد؟".

"أدبل فيتلسين امرأة شابة غير متصلة بأية جريمة، حسب علمي."
"هل تظن أنه يجدر بنا...؟".

قال هاري: "أظن أنه يجدر بنا الاجتماع للعمل في تمام الساعة السابعة من

صباح الغد. ولنر إذا كان بوسعنا فعل شيء مفيد".
مجت كاجا سولنس السيجارة مجدداً، فيما أطفأ هاري سيجارته.
قال: "حان الوقت لأغادر. أسنانك تصطك ببعضها".
في طريقه إلى الخارج، حاول أن يرى إذا كان هناك أحد في السيارة المركونة،
لكن ذلك مستحيل من دون الاقتراب منها. واختار ألا يقترب أكثر.
كان المنزل في أوبسال في انتظاره. إنه كبير وفارغ ومليء بالصدى.
توجه إلى السرير في غرفة الصبي وأغمض عينيه.

وحلم الحلم نفسه الذي يراه غالباً. إنه واقف قرب حوض لرسو السفن في
سيدني، مع سلسلة مسحوبة إلى الأعلى، ويظهر قنديل بحر سام على السطح. ليس
قنديل بحر، وإنما شعر أحمر طاف حول وجه أبيض. ثم جاء الحلم الثاني. الجديد.
رآه للمرة الأولى في هونغ كونغ، مباشرة قبل الكريسمس. إنه مستلق على ظهره،
ويحرق في مسمار ناتئ من الجدار، مع وجه مثبت عليه، وجه، وجه حساس المظهر
مع شاربين مشذيين بترتيب. في الحلم، يضع هاري شيئاً في فمه، شيئاً يشعر أنه
سينسف رأسه إرباً. ما هو؟ ما هو؟ إنه إنذار. أجفل هاري. ثلاث مرات. ثم نام.

درامين

قالت كاجا للتوكيد: "أنت من أبلغ إذاً عن اختفاء أديل فيتلسين".
 "نعم". أجاب الرجل الشاب الجالس أمامها في مقهى "بيبول إند كوفي". "لقد
 عشنا معاً. وحين لم تعد إلى المنزل، شعرت أنه عليّ فعل شيء ما".
 قالت كاجا وهي تنظر إلى هاري: "طبعاً". إنها الثامنة والنصف. احتاجا إلى ثلاثين
 دقيقة للانتقال من أوصلو إلى درامين بعد الاجتماع الثلاثي صباحاً الذي انتهى بتخلي
 هاري عن خدمات بيورن هولم. لم يقل هولم شيئاً، وإنما تنهد تنهيدة عميقة، وغسل
 كوب قهوته، ثم عاد إلى كريمتكينسك في براين لاستئناف عمله هناك.
 سأل الرجل وهو ينظر إلى كاجا وهاري: "هل سمعتما أي شيء عن أديل؟".
 قال هاري: "لا. وأنت؟".

هزّ الرجل رأسه، ونظر من فوق كتفه إلى رف العرض، للتأكد من عدم وجود
 زبائن منتظرين. جلسوا على كراسٍ عالية أمام النافذة المواجهة لإحدى الساحات العديدة
 في درامين؛ وهي مساحة مفتوحة كانت تستخدم بمثابة مرآب للسيارات. مقهى "بيبول
 إند كوفي" يبيع القهوة والجاتوه بأسعار المطار، ويحاول توليد الانطباع بأنه ينتمي
 إلى سلسلة مقاهٍ أميركية؛ وهذا صحيح ربما. الرجل الذي عاشت معه أديل فيتلسين،
 غير بروون، بدا في الثلاثين من عمره تقريباً، مع بشرة بيضاء على نحو غير اعتيادي،
 ورأس لماع ومتعرق، وعينين هائمتين باستمرار. عمل في هذا المكان بصفة "باريستا"
 أو محضّر للقهوة، وهو لقب نال الكثير من الاحترام في التسعينيات عندما اجتاحت
 المقاهي أوصلو للمرة الأولى. وتنطوي المهنة على تحضير القهوة، وهذا فنّ - مثلما
 رآه هاري - يقضي مبدئياً بتفادي سيلان القهوة خارج الكوب. وبصفته شرطياً، يستخدم
 هاري نبرة الأشخاص، وكلماتهم، وتعابيرهم، وألفاظهم اللغوية لتحديد هويتهم. غير
 بروون لا يرتدي ملابس شاذة، ولا يمشط شعره مثله ولا يتصرف مثله، لكن ما إن فتح
 فمه حتى استحال على هاري التفكير في شيء آخر. ثمة شيء في تدويره للحروف، وفي
 الزخرفة الصغيرة للمفردات، وفي لفظ الكلمات الذي يبدو غير حقيقي تقريباً. عرف

هاري أن الرجل يمكن أن يكون متباين الجنسين، لكنه تأكد أن كاترين توصلت إلى استنتاج مسبق زائف عندما قالت إن أديل فيتلسين وغير بروون يعيشان مع بعضهما. إنهما مجرد شخصين يتشاركان شقة في وسط المدينة في درامين لأسباب اقتصادية. قال غير بروون للإجابة عن سؤال هاري: "نعم. أذكر أنها ذهبت إلى نوع من الشاليهات الجبلية في الخريف". تمت ذلك كما لو أنه يجد الأمر غريباً تماماً. "لكنها لم تختفِ حينها".

قالت كاجا: "تعرف ذلك. هل ذهبت إلى هناك مع شخص ما؟ وإذا كان الجواب نعم، فهل تعرف مع من؟".

"لا فكرة لديّ. لم نكن نتحدث عن هذا النوع من الأمور. كان يكفينا تشارك الحمام، إذا كنتما تفهمان ما أقصده. كانت لها حياتها الخاصة، وأنا لي حياتي الخاصة. لكنني أشك في أن تكون قد ذهبت إلى هناك وحدها؛ إذا كنت تقصدين هذا الجانب بسؤالك".

"آه!".

"نادراً ما كانت أديل تنجز الأمور وحدها. لذا، لا يمكنني التفكير فيها في شاليه من دون رجل. لكن يستحيل قول من. كان لديها الكثير من الشركاء الجنسيين؛ إذا كان بوسعي التحلي بالصراحة. لم تكن تملك صديقات، وإنما عوّضت عن ذلك بالأصدقاء الذكور الذين أبقثهم بعيدين. لم تعش أديل حياة مزدوجة، بل عاشت حياة رباعية، أو ربما أكثر".

"إذاً لم تكن صادقة".

"ليس بالضرورة. أذكر أنها نصحتني بشأن الطرق الصادقة لإنهاء العلاقة مع شخص ما. قالت إنها تطعن في الظهر بين الحين والآخر، فلتلتقط صورة من فوق كتفها بواسطة هاتفها الخليوي، وتكتب اسم الرجل، وترسل له الصورة، ثم تحذف اسمه من الهاتف. كل ذلك ضمن عملية سريعة". كان وجه غير بروون خالياً من التعابير.

قال هاري: "مذهل. نعرف أنها دفعت كلفة إقامة شخصين في الشاليه في الجبال. هل تستطيع إخبارنا باسم صديق لها، كي تتمكن من بدء تحقيقنا؟".

قال غير بروون: "أخشى أنني لا أستطيع فعل ذلك. لكن، عندما تقدمت للإبلاغ عن اختفائها، تحققت الشرطة كثيراً من أسماء الأشخاص الذين تحدثت معهم عبر الهاتف خلال الأسابيع الأخيرة".

"من هم رجال الشرطة تحديداً؟".

"لا أذكر أي أسماء. الشرطة المحلية".

قال هاري وهو ينظر إلى ساعته وينهض: "جيد. لدينا اجتماع الآن في مركز الشرطة".

سألت كاجا التي لم تتحرك البتة: "لماذا توقفت الشرطة عن التحقيق في القضية؟ لا أذكر حتى أنني قرأت الخبر في الجرائد".

قال الرجل وهو يشير إلى امرأتين بأنه سيأتي إليهما فوراً: "ألا تعرفين؟ أرسلت بطاقة بريدية".

قال هاري: "بطاقة بريدية!".

"نعم. من رواندا. في مجاهل أفريقيا".

"ماذا كتبت؟".

"كانت رسالة مختصرة جداً. لقد التقت رجل أحلامها، وعليّ دفع الإيجار بمفردي إلى أن تعود في شهر مارس؛ الحقيرة".

المسافة المؤدية إلى مركز الشرطة قصيرة جداً. ثمة مفتش ذو رأس ممتلئ مثل اليقطينة، ونسي هاري اسمه ما إن سمعه، استقبلهما في مكتب مشبع بروائح الدخان، وقدم لهما القهوة في كوبين بلاستيكيين حرقاً أصابعهما، ونظر مطوّلاً إلى كاجا كلما ظن نفسه غير مراقب.

بدأ بالقاء محاضرة عن اختفاء قرابة ألف وخمسة مئة شخص نروجي على الدوام. عاجلاً أم آجلاً، سيعاودون الظهور. ولو أرادت الشرطة التحقيق في قضية كل شخص مفقود عند الشك في حصول جريمة أو حادث، لما كان أمام الشرطة وقت لفعل أي شيء آخر. تئاب هاري.

في قضية أديل فيتلسين، تلقيا دليلاً على وجودها على قيد الحياة. إنه في مكان ما. نهض المفتش وأقحم رأسه الشبيه باليقطينة في درج من الملفات المعلقة، وعاد للظهور مجدداً مع بطاقة بريدية وضعها أمامهما. ثمة صورة لجبل مخروطي مع غيمة فوق قمته، ولكن من دون أي نص يشرح ما هو الجبل أو أين يقع في هذا العالم. كان الخط اليدوي مخربشاً ومربعاً. استطاع هاري فهم التوقيع فقط. أديل. ثمة دماغ يحمل اسم رواندا، وطبع على المغلف اسم كيغالي، فتذكر هاري أنها العاصمة.

قال المفتش: "أكدت أمها أن هذا خط ابنتها". وشرح أنه بناء على إصرار الأم، تحققوا ووجدوا اسم أديل فيتلسين على لائحة الركاب في رحلة للخطوط الجوية

البلجيكية إلى كيغالي عبر إنيتيبي في أوغاندا يوم الخامس والعشرين من شهر نوفمبر. بالإضافة إلى ذلك، أجروا بحثاً في الفنادق عبر الانترنت، وتبين أن فندقاً في كيغالي - قرأ المفتش الملاحظات المدوّنة أمامه: فندق غوريلا! - استقبل فعلاً أديل فيتلسين ليلة وصولها بالطائرة. السبب الوحيد وراء بقاء أديل فيتلسين على لائحة المفقودين هو عدم معرفتهم مكانها الآن بالضبط، ولأن البطاقة البريدية المرسلة من الخارج لا تبدّل تقنياً وضعها كشخص مفقود.

قال المفتش وهو يرفع ذراعيه: "بالإضافة إلى ذلك، نحن لا نتحدث هنا عن الجزء المتحضر من العالم. هوتي، توتسو، أو أي اسم آخر. مناجل. مليونا وفاة. هل تفهمان ما أعنيه؟".

لاحظ هاري أن كاجا أغمضت عينيها فيما شرح المفتش بصوت أستاذ المدرسة وسلسلة من العبارات البليغة المترابطة كيف أن الحياة لا تساوي شيئاً في أفريقيا، حيث الاتجار بالبشر ظاهرة معروفة جداً، وكيف أنه يحتمل نظرياً أن تكون أديل قد خطفت وأجبرت على كتابة البطاقة البريدية؛ لأن الرجال السود مستعدون لدفع راتب عام كامل بهدف الإمساك بفتاة نروجية شقراء، أليس كذلك؟

تأمل هاري البطاقة البريدية، وحاول تجاهل صوت الرجل صاحب الرأس الشبيهة باليقطينة. جبل مخروطي مع سحابة حول القمة. نظر إلى الأعلى عندما تنحنح المفتش. "نعم، يمكننا فهمهم بين الحين والآخر، أليس كذلك؟". قال مع ابتسامة ماكرة موجهة إلى هاري.

نهض هاري وقال إن العمل ينتظره في أوصلو. وسأل عمّا إذا كان قسم الشرطة درامين يستطيع التحلي باللطف لنسخ البطاقة البريدية وإرسالها إليه بالبريد الإلكتروني. سأل المفتش: "لإرسالها إلى خبير في الخطوط، أليس كذلك؟". وبدا غير مسرور بوضوح، فيما تأمل العنوان الذي كتبه له كاجا.

قال هاري: "بل خبير في البراكين. أريد أن أرسل له الصورة، وأسأله إذا كان يستطيع التعرف إلى الجبل".

"التعرف إلى الجبل!".

"إنه اختصاصي. فهو يسافر حول العالم لفحصها".

هزّ المفتش كتفه ثم أوماً برأسه، وبعد ذلك رافقهما إلى الباب الرئيس. سأله هاري عمّا إذا كانوا قد تحققوا من ورود أي اتصالات على هاتف أديل الخلوي بعد مغادرتها.

قال المفتش: "نعرف عملنا، هول. لم تجرّ أي اتصالات من الهاتف. لكنك تستطيع تخيل شبكة الهاتف الخليوي في بلد مثل رواندا...".
قال هاري: "في الواقع، لا أستطيع. فأنا لم أذهب إلى هناك مطلقاً".
"بطاقة بريدية!". زمجرت كاجا فيما كانا يقفان في الساحة قرب سيارة الشرطة المدنية التي طلباها من مركز الشرطة. "تذكرة سفر وإقامة في فندق في رواندا! لماذا لم تكتشف صديقتك خبيرة الكمبيوتر في بيرغن ذلك؛ حيث لم تكن مضطرين لتبديد نصف يوم في درامين؟".

قال هاري وهو يفتح الباب: "ظننت أن هذا سيجعلك في مزاج جيد. أصبح لديك صديق جديد، وأدليل ليست مئة ربما".
سألته كاجا: "هل أنت في مزاج جيد؟".
نظر هاري إلى مفاتيح السيارة وسألها: "هل توّدين القيادة؟".
"نعم!".

الغريب فعلاً أن أياً من رادارات السرعة لم تومض أمامهما، ووصلا إلى أوسلو بعد عشرين دقيقة تماماً.

اتفقا على نقل الأشياء الخفيفة - مثل معدات المكتب وأدراج المكاتب - إلى مركز الشرطة أولاً، والانتظار حتى اليوم التالي لنقل الأشياء الثقيلة. وضعاها في العربة نفسها التي استخدمها هاري عندما جهّز المكتب.
سألته كاجا عندما أصبحا في منتصف الممر تحت الأرض: "ألم يعطوك مكتباً بعد؟". وتحول صوتها إلى أصداء طويلة.

هزّ هاري رأسه. "سنضع الأغراض في مكتبك".
سألت: "هل تقدمت بطلب للحصول على مكتب؟". وتوقفت.
استمر هاري في المشي.
"هاري!".

توقف.
قال: "سألتي عن والدي".
"لم أقصد...".
"لا، طبعاً لا. لكن لم يبق لديه الكثير من الوقت. بعد ذلك، سأخذ إجازة مجدداً. أردت فقط أن...".

"أردت ماذا؟".

"هل سمعت بجمعية رجال الشرطة الموتى؟".

"ما هذه؟".

"الأشخاص الذين عملوا في قسم مكافحة الجرائم. الأشخاص الذين اهتمت لأمرهم. لا أعرف إذا كنت أدين لهم بأي شيء، لكن هذه هي القبيلة".

"ماذا؟".

"ليس هذا بالكثير، لكنه كل ما أملكه كاجا. إنهم الوحيدون الذين أملك سبباً للشعور بالوفاء تجاههم".

"قسم شرطة!".

بدأ هاري يمشي. "أعرف، وقد يزول ذلك. فالحياة تمضي قدماً. إنها مجرد إعادة تنظيم للهيكلية، أليس كذلك؟ القصص على الجدران، وها هي الجدران تنهار الآن. أنت وأفراد جماعتك ستضطرون إلى كتابة قصص جديدة كاجا".

"هل أنت ثمل؟".

ضحك هاري. "أنا محطم، منتبه. ولا بأس في ذلك. لا بأس تماماً".

رن هاتفه. إنه بيورن.

قال: "تركت سيرة هانك الذاتية على مكثبي".

قال هاري: "أحضرتها معي".

"يا لهذا الصوت! هل أنت في دار عبادة؟".

"بل في الرواق تحت الأرض".

"يا الله! هل يوجد إرسال هناك؟".

"يبدو أن شبكتنا الخلوية أفضل مما هي عليه في رواندا. سأترك لك الكتاب عند مكتب الاستقبال".

"هذه هي المرة الثانية التي أسمع فيها بكلمة رواندا والهواتف الخلوية اليوم. أخبرهم أنني سأمر لأخذه غداً، اتفقنا؟".

"ماذا سمعت عن رواندا؟".

"إنه شيء قالته بتي عن الطنظاليت؛ كما تعرف، أجزاء المعدن التي وجدناها على أسنان الضحيتين اللتين طعنتنا بجروح في الفم".

"المبيد".

"ماذا؟".

"لا شيء. وما علاقة ذلك برواندا؟".

"الطنطاليت يستخدم في الهواتف الخلوية. إنه معدن نادر، وتملك جمهورية الكونغو الديمقراطية كامل المخزون العالمي تقريباً. المشكلة هي أن الرواسب موجودة في منطقة الحرب التي لا يراقبها أحد. وبالتالي، إن المهربين الأذكياء يسرقونها في ظل الفوضى والتهريب الحاصل في كل رواندا".

"مم".

"أراك لاحقاً".

كان هاري على وشك وضع هاتفه الخلوي في جيبه عندما لاحظ أنه تلقى رسالة نصية، فقرأها.

جبل نيراغونغو. آخر ثوران عام 2002. أحد البراكين القليلة مع بحيرة حمم في الفوهة. في جمهورية الكونغو الديمقراطية قرب غوما. فيليكس.

غوما. وقف هاري مراقباً قطرات الماء النازلة من أنبوب في السقف. يعود أصل وسائل تعذيب كلوت إلى هناك. سألته كاجا: "ما الأمر؟".

قال هاري: "أوستاوسيت، والكونغو".

"وماذا يفترض بهذا أن يعني؟".

قال هاري: "لا أعرف. لكنني لا أعتقد كثيراً أن الصدفة قد لعبت دورها هنا".

أمسك بالعربة وبرمها.

قالت كاجا: "ماذا تفعل؟".

قال هاري: "أعود أدراجي. ما زالت أمامنا أربع وعشرون ساعة".

كلوت

كانت أمسية هادئة على غير عاداتها في هونغ كونغ. ناطحات السحاب ألفت بظلال طويلة فوق "القمة"، وكان بعضها بعيداً، بقدر المنزل حيث يجلس هيرمان كلوت على المصطبة مع شراب أحمر من سنغافورة في يده، والهاتف في اليد الأخرى. كان يصغي وهو يشاهد الأضواء في أرتال السيارات التي تلتف وتبرم مثل الديدان.

إنه يحب هاري هول. أحبه منذ اللحظة الأولى التي وقعت فيها عيناه على الشاب النروجي الطويل والرياضي، وإنما المدمن بشكل جلي، وهو يدخل إلى "هابي فالي" للمراهنة بآخر ماله على الحصان الخطأ. ثمة شيء في التعبير العدائي، وفي المشية المتعجرفة، وفي لغة الجسد اليقظة التي ذكرته بنفسه عندما كان جندياً شاباً في أفريقيا. لقد حارب هيرمان كلوت في كل مكان، وعلى كل الجهات، وخدم أصحاب المال. في أنغولا، وزامبيا، وزمبابواي، وسييرا ليون، وليبيريا؛ كل الدول ذات الماضي الداكن والمستقبل الأكثر دكنة. لكن، ليس حتماً أكثر دكنة من الدولة التي سأل عنها هاري. الكونغو. فهناك وجدوا فعلياً نبع الذهب؛ على شكل ألماس وكوبالت وطنطاليت. زعيم البلدة ينتمي إلى قبيلة الماي ماي، التي تظن أن الماء يجعلها أكثر ضعفاً. لكن، ما عدا ذلك، كان رجلاً حساساً. ما من شيء لا يمكنك تسويته في أفريقيا برزمة من المال أو مجموعة من رشاشات الكلاشينكوف. وخلال عام واحد، أصبح هيرمان كلوت رجلاً غنياً. خلال ثلاثة أعوام، أصبح غنياً بدرجة تفوق أحلام أي كان. مرة كل شهر، كانوا يسافرون إلى البلدة الأقرب، غوما، وينامون على الأسرة بدلاً من النوم على أرض الأدغال، حيث تخرج مجموعة هائلة من الحشرات الماصة للدماء من الفتحات كل ليلة وتوقظك مثل جثة نصف مهترئة. غوما. الحمم السوداء، المال الأسود، الجمال الأسود، الخطايا السوداء. نصف الرجال في الأدغال أصيبوا بالمalaria، فيما عانى الباقون من أمراض لا يعرفها أي طبيب أبيض، وتمت تسميتها كلها بمصطلح شامل هو "حمى الأدغال". هذا هو المرض الذي عانى منه هيرمان كلوت. ورغم أنه يتركه بسلام لفترات طويلة، إلا أنه لم يشف منه تماماً البتة. العلاج الوحيد الذي

يعرفه هيرمان كلوت هو الشراب السنغافوري. تعرف الشراب في غوما على يد رجل بلجيكي يملك منزلاً رائعاً يقال إنه سُيّد من قبل الملك ليوبولد في الحقبة التي كانت فيها البلاد تعرف باسم ولاية كونغو الحرة، وكانت الملعب الخاص للحاكم ونبع ثروته. كان المنزل يقع على ضفة بحيرة كيفو، مع مناظر غروب رائعة لدرجة أنك تنسى أمر الأدغال والمائي ماي والحشرات لبرهة.

والواقع أن البلجيكي هو الذي عرض أمام هيرمان كلوت ثروة الملك الصغيرة في القبو. هناك، جمع كل شيء؛ بدءاً من الساعات الأكثر تطوراً في العالم، والأسلحة النادرة وأدوات التعذيب، إلى الكتل الذهبية والألماس غير المصقول والجماجم البشرية المحفوظة. هناك، شاهد هيرمان كلوت وجهاً لوجه ما يعرف بتفاحة ليوبولد. وحسب كل الروايات، قام بتطوير هذه التفاحة أحد المهندسين البلجيكين عند الملك لاستعمالها في تعذيب سارقي القبائل المتمردين الذين لا يعترفون أين عثروا على حجارة الألماس التي حصلوا عليها. الطريقة الأولى كانت تقضي باستعمال الثيران. إذ كانوا يغطون رأس السارق بالعلس، ويربطونه إلى شجرة، ويحضرون ثوراً برياً أسروه في الغابة، ليبدأ بلعق العسل. الفكرة من ذلك أن لسان الثور خشن جداً حيث يلعق البشرة واللحم. إلا أن أسر ثور من الغابة كان يأخذ وقتاً، وقد يصعب توقيفه بعدما يبدأ. من هنا، جاءت فكرة تفاحة ليوبولد. ليس لأنها فعالة جداً من ناحية التعذيب - ففي النهاية، التفاحة تمنع السجين من الكلام - لكن، لأن التأثير في السكان الأصليين الذين يشاهدون ما يحصل عندما يشدّ المستجوب الخيط للمرة الثانية كان مذهلاً. فالرجل التالي الذي يطلب منه فتح فمه كان يعجز عن الكلام.

أوما هيرمان كلوت إلى خادمته الفيليبينية لتأخذ منه كأسه الفارغة.

قال هيرمان كلوت: "ذاكرتك سليمة هاري. لا تزال على الرف فوق المدفأة. لحسن الحظ، لا أعرف ما إذا كان قد تم استخدامها يوماً. إنها تذكاري. فهي تذكرنني بما يوجد داخل العتمة. هذا مفيد دوماً هاري. لا، لم أرها، ولم أسمع أنه تم استخدامها في أي مكان آخر. إنها قطعة تكنولوجية معقدة، مثلما تعلم، مع كل النواضب والإبر. وصناعتها تستلزم معدناً خاصاً. الطنطاليت صحيح. نعم صحيح. إنه نادر جداً. الشخص الذي اشتريت منه تفاحتي، إيدي فان بورست، يزعم أنه تمت صناعة أربع وعشرين تفاحة، وأنه يملك اثنتين وعشرين منها؛ إحداها مصنوعة من الذهب بعبارة أربع وعشرين قيراطاً. هذا صحيح، هناك أربع وعشرون إبرة فيها أيضاً. كيف تعرف؟ يبدو أن الرقم أربعة وعشرين له علاقة بأخت المهندس، لكني لا أذكرها. لكن، هناك أيضاً شيء قاله فان

بورست لرفع الثمن. إنه بلجيكي، أليس كذلك؟".

تحولت ضحكة كلوت إلى سعال. الحمى اللعينة.

"لكن، لا بد أنه يملك فكرة حول مكان وجود التفاحات. إنه يعيش في منزل مذهل في غوما، في شمال كيفو، عند الحدود قرب رواندا. العنوان؟". سعل كلوت مجدداً. "ثمة شارع جديد في غوما كل يوم، وبين الحين والآخر يختفي نصف البلدة تحت حمم البركان، وبالتالي لا توجد أي عناوين هاري. إلا أن مكتب البريد يملك لائحة بكل أسماء البيض هناك. لا، لا أعرف ما إذا كان لا يزال يعيش في غوما، أو ما إذا كان لا يزال على قيد الحياة. أمد الحياة في الكونغو هو قرابة الثلاثين، هاري. وينطبق هذا أيضاً على البيض. بالإضافة إلى ذلك، تقع البلدة تحت حصار محكم بالضبط. لا، طبعاً لم تسمع بالحرب. لم يسمع أحد بها".

حدق غونار هاغن المصعوق بهاري، وانحنى فوق مكتبه.

قال: "أتريد الذهاب إلى رواندا؟".

أجاب هاري: "مجرد زيارة قصيرة. لمدة يومين بما في ذلك رحلة السفر".

"للتحقيق في ماذا؟".

"ما قلته. للتحقيق في قضية شخص مفقود. أدبيل فيتلسين. سوف تذهب كاجا

إلى أوستاوسيت لترى ما إذا كان بوسعها معرفة مع من سافرت أدبيل قبل اختفائها".

"لماذا لا تتصل بهم وتساءلهم للتحقق من سجل النزلاء؟".

قالت كاجا التي جلست على كرسي قرب هاري: "لأن الشاليه في هافاس يقوم

على الخدمة الذاتية. لكن، يجدر بأي شخص ينزل في شاليه خاص بهيئة السياحة أن

يسجل اسمه في سجل النزلاء ويحدد مقصده. هذا إلزامي؛ لأنه في حال تم الإبلاغ

عن شخص مفقود في الجبال، فسيعرف فريق البحث أين يجدر به تركيز جهوده. أمل

أن تكون أدبيل ورفيقها قد أعطيا الاسم والعنوان الكاملين".

حكّ غونار هاغن رأسه بكلتا يديه. "ولا علاقة لذلك بأي من الجرائم الأخرى،

أليس كذلك؟".

أنزل هاري شفته السفلية. "ليس حسب علمي، سيدي. ما رأيك؟".

"ولماذا يجدر بي الموافقة على ميزانية السفر في مثل هذه الرحلة المتهورة؟".

قالت كاجا: "لأن الاتجار بالبشر أولوية. هذا ما قاله بيان وزارة العدل للصحافة

في مطلع هذا الأسبوع".

قال هاري، وهو يتمدد إلى الأعلى ويشبك أصابعه خلف رأسه: "في أي حال، قد تتكشف أشياء أخرى خلال مسار التحقيق؛ أشياء قد تقودنا إلى كشف قضايا أخرى".
تأمل غونار هاغن مفتشه بإمعان.
أضاف هاري: "سيدي".

مكتبة
t.me/t_pdf

سجل النزلاء

ثمة لافتة على مبنى محطة أصفر عادي متواضع تعلن أنهم في أوستاوسيت. تأكدت كاجا من أنها وصلت وفق الجدول المحدد، في تمام الساعة 10:44. نظرت إلى الخارج، كانت الشمس تسطع على السهول المغطاة بالثلج والجبال البيضاء مثل البورسلين. وباستثناء مجموعة من المنازل وفندق مؤلف من طبقتين، كانت أوستاوسيت عبارة عن صخور عارية. وللتحلي بالموضوعية، ثمة شاليهات صغيرة متناثرة، إضافة إلى الشجيرات غريبة المظهر؛ لكن المظهر الإجمالي بقي فقراً. قرب مبنى المحطة، وعلى الأرضية نفسها تقريباً، ثمة سيارة وحيدة رباعية الدفع، وكان محركها قيد الدوران. من القطار، بدا لها وكأنه لا يوجد أي هواء على الإطلاق. لكن، عندما تراجلت، بدت الرياح وكأنها تخترق ملابسها المؤلفة من ملابس داخلية حرارية ومعطف واق من المطر وجزمة للترليج.

خرج شخص من السيارة رباعية الدفع وتوجه صوبها. كانت شمس الشتاء المنخفضة خلفه. أبعدت كاجا عينيها. ضوء، مشية واثقة، ابتسامة مشرقة، يد ممدودة. تجمدت في مكانها؛ إنه إيفن.

قال الرجل وهو يضافحها بقوة: "أسلاك كرونغلي. الشرطي المسؤول".
"كاجا سولنس".

"الطقس بارد، أليس كذلك؟ ليس كما في الأراضي المنخفضة".
قالت كاجا، وهي تردّ له الابتسامة: "بالضبط".

"لا أستطيع الذهاب معك إلى الشاليه اليوم. حدث انهيار ثلجي، وثمة نفق مغلق، وعلينا تحويل السير". ومن دون أن تطلب منه، أخذ مزلجتيها وحملهما فوق كتفه وبدأ يمشي صوب السيارة رباعية الدفع. "لكني طلبت من الرجل الذي يراقب شاليهات الجبال أن يوصلك إلى هناك. أود أوتمو. هل أنت موافقة؟".

قالت كاجا التي كانت في الواقع مسرورة جداً: "لا بأس". يعني ذلك ربما أنها تستطيع تفادي كل الأسئلة حول الاهتمام المفاجئ لشرطة أوسلو في قضية أشخاص

رافقها كرونغلي مسافة خمس مئة متر تقريباً وصولاً إلى الفندق. ثمة رجل جالس على دراجة ثلجية صفراء في المربع الجليدي أمام المدخل. كان يرتدي بذلة ثلجية حمراء اللون، ويعتمر قبعة جلدية مع غطاءين للأذنين، ويلف وشاحاً حول فمه ويضع نظارة ثلجية كبيرة.

عندما رفع النظارة إلى الأعلى وتمتم باسمه، لاحظت كاجا أن عيناً واحدة كانت عبارة عن غشاء أبيض شفاف؛ كما لو أنه قد حصلت إراقة للحليب. أما العين الأخرى فتأملت من أعلى رأسها وحتى أخمص قدميها من دون أي إحراج. وضعية الرجل المنتصبه توحي بأنه شاب، لكن وجهه عجوز.

قالت: "كاجا. شكراً على تليبتك الطلب؛ رغم عدم إعطائي مهلة كافية مسبقاً". قال أود أوتمو وهو ينظر إلى ساعته: "أنا أقبض أجرتي". وأنزل الوشاح وبصق على الأرض. لاحظت كاجا وجود جسر لتقويم الأسنان بين الأسنان الصفراء. تحولت بصقة التبغ إلى نجمة سوداء على الثلج.

"أمل أن تكوني قد أكلت قليلاً ودخلت إلى الحمام".

ضحكت كاجا، لكن أوتمو ركب على الدراجة الثلجية وأدار ظهره لها.

نظرت إلى كرونغلي الذي قام خلال هذا الوقت بتثبيت المزلجين والقضيين تحت الحملات، حيث امتدت معدات التزلج الآن على طول الدراجة الثلجية، بالترافق مع أغراض تزلج أوتمو، ومجموعة بدت مثل أصابع ديناميت حمراء، إضافة إلى بندقية مزودة بمنظار تلسكوب.

هزّ كرونغلي كتفه، وكشف مجدداً عن ابتسامته الصيانية. "حظاً موفقاً. أتمنى أن تجدي...".

اختفت بقية الكلمات بفعل هدير المحرك. ركبت كاجا على الدراجة الثلجية بسرعة. ارتاحت لدى رؤيتها مقبضين تستطيع التثبيت بهما، حيث لا تضطر إلى التثبيت بالرجل العجوز صاحب العين الواحدة. أحاطت بهما الغازات المنبعثة من العادم، ثم انطلقا بسرعة.

وقف أوتمو، وجعل من ركبتيه مثل مخمدات الصدمات، فيما استخدم وزن جسمه لموازنة الدراجة الثلجية التي قادها أمام الفندق، وسار فوق كومة من الثلج الطري، وتوجه صعوداً على نحو مائل فوق أول منحدر خفيف. عند الوصول إلى القمة، مع منظر مطل على الشمال، رأت كاجا بساطاً غير متناه من الثلج الأبيض يمتد أمامهما.

استدار أوتمو مع إيماءة استفسار. أومأت كاجا بدورها للقول إن كل شيء على ما يرام، ثم أسرع. راقبت كاجا المباني تختفي عبر دفق الثلج المتناثر بعيداً عن الدراجة. لطالما سمعت كاجا الأشخاص يقولون إن السهول الثلجية تجعلهم يفكرون في الصحارى. وقد جعلها ذلك تفكر في الأيام والليالي مع إيفن على مركبه الشراعي. انزلت الدراجة الثلجية عبر المساحة الفسيحة والفارغة. واللافت أن اندماج الثلج والهواء محاً وسوّى كل محيط الأشياء إلى أن أصبحا في محيط عملاق انتصب فيه الجبل العالي، هالينغسكارفت، مثل موجة عملاقة خطيرة. لم تكن هناك أي حركات مفاجئة. فتقل الدراجة الثلجية ونعومة الثلج جعلها كل الحركات رقيقة. فركت كاجا أنفها ووجنتها بعناية للتأكد من جريان دم كاف في عروقه. فقد رأت ما يمكن أن تفعله غضة الثلج البسيطة نسبياً في الوجوه. الهدير الرتيب للمحرك، والمظهر الموحد المطمئن للأرض جعلها في حالة كسل ونعاس إلى أن توقف المحرك وتوقفت الدراجة الثلجية. استيقظت ونظرت إلى ساعتها. أول فكرة خطرت في بالها هي أنه تم إطفاء المحرك، وأصبحا على بعد خمس وأربعين دقيقة على الأقل عن الحضارة. كم هي المسافة الواجب اجتيازها باستعمال أدوات التزلج؟ ثلاث ساعات؟ خمس؟ لا تملك أدنى فكرة. نزل أوتمو عن الدراجة وراح يفك مزليجه.

بدأت بالقول: "هل من مشكلة...؟". لكنها توقفت عندما انتصب أوتمو وأشار إلى الوادي الصغير أمامهما.
قال: "شاليه هافاس".

طرفت كاجا بعينها خلف نظارتها الشمسية. وبالفعل، رأت شاليهاً أسود صغيراً عند سفح الجبل.

"لماذا لا نذهب بواسطة الدراجة؟".

"لأن الناس أغبياء، ولهذا السبب علينا الزحف للوصول إلى الشاليه".
قالت كاجا: "الزحف؟". وهي تثبت مزليجها بسرعة؛ تماماً مثلما فعل أوتمو.
أشار إلى العمود الموجود إلى جانب الجبل. "إذا ذهبت على متن الدراجة الثلجية في مثل هذا الوادي الضيق، فسيرتدّ الثلج عن السطح، وسيترأخى الثلج الجديد...".
قالت كاجا: "انهيار ثلجي". تذكرت شيئاً قاله لها والدها بعد إحدى رحلاته إلى جبال الألب. أكثر من ستين ألف جندي ماتوا في انهيارات ثلجية خلال الحرب العالمية الثانية، ونجمت معظم تلك الانهيارات عن موجات صوتية من نيران الأسلحة الحربية. توقف أوتمو لبرهة، ونظر إليها مباشرة. "يظن أولئك المدنيون الحمقى في أمور

الطبيعية أنهم كانوا أذكيا عندما بنوا شاليهات في مساحات محمية. لكنها مجرد مسألة وقت قبل أن يغطيها الثلج أيضاً".
"أيضاً؟".

"مضى على وجود شاليه هافاس هناك ثلاثة أعوام فقط. هذا العام هو أول شتاء يشهد انهياراً ثلجياً. وسيحصل المزيد منها عما قريب".

أشار إلى جهة الغرب. حمت كاجا عينيه ونظرت إلى حيث أشار. في الأفق الثلجي، استطاعت رؤية ما يقصده. غيوم كبيرة بيضاء إلى رمادية تتراكم على شكل فطريات عملاقة تحت الخلفية الزرقاء.

قال أوتمو: "سوف يتساقط الثلج طوال الأسبوع". وهو يفك البندقية عن الدراجة الثلجية ويعلقها على كتفه. "لو كنت مكانك، لأسرعت. ولا تصرخي".

دخلوا الوادي بصمت، وأحست كاجا بتدني درجات الحرارة، فيما وصلا إلى الظل وملاً البرد كل المنخفضات في الأرض.

نزعا أدوات التزلج قرب الشاليه الخشبي الأسود، وجعلها تتكئ على الحائط، فيما أخذ أوتمو مفتاحاً من جيبه وأدخله في القفل.

سألته كاجا: "كيف يدخل النزلاء الذين يريدون المبيت ليلاً؟".

"يشترون مفتاحاً هيكلياً. يستطيع فتح الشاليهات كلها التي شيدتها هيئة السياحة في كل أرجاء البلاد، والبالغ عددها أربع مئة وخمسين شاليهاً". برم المفتاح، وضغط إلى الأسفل على المقبض، ودفع الباب. لم يحصل أي شيء. شتم بصوت منخفض، ووضع كتفه على الباب وضرب بقوة، فانزاح الباب عن الإطار مصدراً صوت صرير قويًا. تتمم قائلاً: "تقلص الشاليهات في البرد".

كان الظلام حالكاً في الداخل، وفاحت رائحة البارافين والخشب المحترق في الموقد. تأملت كاجا الشاليه. عرفت أن مستلزمات الإقامة بسيطة جداً. تأتي إلى هنا، وتدوّن التفاصيل في سجل النزلاء، وتحضر طعامك بنفسك في المطبخ حيث يوجد موقد وأدوات للطهو، أو إذا استخدمت الطعام الموضوع في الخزانات، فينبغي أن تترك بعض المال في علبة معدنية. تدفع بدلاً إقامتك في العلبة المعدنية نفسها، أو تملأ قسيمة تخولهم سحب المال من حسابك المصرفي. كل المبالغ المدفوعة مسألة ضمير وأخلاق.

يحتوي الشاليه على أربع غرف نوم مواجهة للشمال، مع أربعة أسرة في كل غرفة منها. أما غرفة الجلوس فمواجهة للجنوب، ومفروشة بطريقة تقليدية؛ أي بمفروشات

من خشب الصنوبر. ثمة موقد كبير مفتوح للإيحاء بالدفء المنزلي مع مضرم خشبي للمزيد من التدفئة الفعالة. حسبت كاجا أن هناك مساحة جلوس حول الطاولة تكفي لاثني عشر إلى خمسة عشر شخصاً، ومساحة نوم لضعف هذا العدد إذا اكتظ المكان بالناس واستخدموا الأرضية والفرش. تصوّرت الضوء المنبعث من الشموع، والنار المتألّثة من الموقد أمام وجوه مألوفة وغير مألوفة، فيما طغت الأحاديث عن مغامرات التزلج ومشاريع الغد مع قنينة من الشراب أو كأس منه. ابتسم لها وجهه يفن المتورّد، وشرب نخبها من إحدى الزوايا المعتمة.

قال أوتمو وهو يشير إلى أحد الأبواب: "سجل النزلاء في المطبخ". كان لا يزال واقفاً قرب الباب الأمامي وهو يعتمر القبعة ويرتدي زوجاً من القفازات، وبدا متململاً. أمسكت كاجا بمقبض الباب، وكانت على وشك الضغط عليه عندما خطرت صورة في بالها. عرفت أن هذه الصورة ستعاود الظهور، لكنها لم تعرف متى. قالت: "هل يمكنك فتح الباب لي؟". "ماذا؟".

قالت كاجا: "إنه عالق. البرد".

أغمضت عينيها، وأصغت إليه وهو يقترب، وسمعتة يفتح الباب من دون صوت، وأحست بنظراته المندهشة تحديق فيها، ثم فتحت عينيها ودخلت. فاحت رائحة دهن قليلاً في المطبخ. تسارع نبضها فيما تأملت عيناها الأسطح والخزانات. لمحت السجل المغطى بجلد أسود والموضوع على رف المجلى تحت النافذة. كان مربوطاً بالحائط بواسطة حبل أزرق من النايلون. استنشقت كاجا الهواء، ثم توجهت إلى الكتاب. قلبت صفحاته. صفحة وراء صفحة من الأسماء المكتوبة يدوياً، مدوّنة بأقلام الضيوف. التزم معظمهم بالقاعدة، ودوّنوا اسم مقصدهم التالي.

سمعت أوتمو يقول خلفها: "في الواقع، كنت سآتي إلى هنا في عطلة نهاية الأسبوع للتحقق من السجل من أجلك. لكن، يبدو جلياً أن الشرطة لا تستطيع الانتظار، أليس كذلك؟".

قالت كاجا: "لا". وهي تتصفح التواريخ. 6 نوفمبر. 8 نوفمبر. أرجعت الصفحة إلى الخلف، ثم قلبتها إلى الأمام مجدداً. ليست موجودة. صفحة 7 نوفمبر اختفت. أعادت السجل إلى مكانه. انتصبت الحواف المسننة للورقة الممزقة. أخذها شخص ما.

كيغالي

المطار في كيغالي، رواندا، كان صغيراً وعصرياً ومنظماً جيداً بطريقة لافتة. غير أن تجربة هاري تقول إن المطارات الدولية تنطق بالقليل، أو حتى بلا شيء على الإطلاق عن البلد الذي تقع فيه. ففي مومباي، الهند، يسود الهدوء والفاعلية. وفي مطار جاي إف كاي في نيويورك، يسود الرعب والفوضى. امتدّ رتل المنتظرين لختم جوازات السفر، ولحق بهم هاري. رغم درجة الحرارة المقبولة، أحسّ بالعرق يتقطّر بين عظمي كتفيه تحت قميصه القطني الرقيق. فكر مجدداً في الوجوه التي رآها في مطار شيبهول في أمستردام حيث هبطت طائرة أوصلو المتأخرة. تعرق هاري كثيراً نتيجة الركض في الأروقة، والتنقل بين أحرف الأبجدية والأعداد الكبيرة جداً من البوابات للحاق بالطائرة المسافرة إلى كامبالا، أوغاندا. وفيما تشابكت الأروقة، لمح شيئاً من زاوية عينه؛ شخصاً بدا مألوفاً بطريقة غامضة. كان ينظر إلى الضوء، وكان الشخص بعيداً جداً عنه لتعرّف ملامح الوجه. لكن، بعدما وصل إلى الطائرة، وكان الراكب الأخير، توصل هاري إلى الاستنتاج الجلي: لم تكن هي. ما هي احتمالات حدوث ذلك؟ لا مجال أبداً لأن يكون الصبي الذي كان واقفاً قريباً هو أوليغ. لا يمكن بالتأكيد أن يكون قد كبر بهذه السرعة.

"التالي".

تقدم هاري خطوة إلى الأمام صوب النافذة، وقدّم جواز سفره، وبطاقة الهبوط، ونسخة عن طلب تأشيرة الدخول التي طبعها عن شبكة الإنترنت، إضافة إلى مبلغ ستين دولاراً كلفة تأشيرة الدخول.

سأله الموظف المسؤول عن جوازات السفر: "أهي رحلة عمل؟". ونظر هاري إلى عينيه. كان الرجل طويلاً ونحياً مع بشرة داكنة جداً لدرجة تعكس الضوء. إنه توتسي ربما، فكر هاري في سرّه. باتوا يضبطون الحدود الوطنية الآن.

"نعم".

"أين؟".

قال هاري: "الكونغو". ثم استخدم الاسم المحلي للتمييز بين بلدي الكونغو. صحح له الموظف المسؤول عن جوازات السفر بالقول: "كونغو كينشاسا". أشار إلى بطاقة الهبوط التي ملأها هاري في الطائرة. "تقول المعلومات هنا إنك ستقيم في فندق غوريلا في كيغالي".

قال هاري: "ليلة واحدة فقط. ثم سأذهب إلى الكونغو غداً، وأمضي ليلة واحدة في غوما، ثم سأعود إلى هناك مجدداً، وبعدها إلى الوطن".

قال الموظف الذي كان يرتدي بذلة رسمية: "استمتع بإقامتك في الكونغو أيها الرجل المشغول". مع ضحكة من القلب، ثم ختم جواز السفر وأعادته إليه.

بعد نصف ساعة، ملأ هاري بطاقة التسجيل في فندق غوريلا، ووقعها، فحصل على مفتاح مربوط بمنحوتة خشبية لغوريلا. عندما خلد هاري إلى السرير، كانت قد مضت ثماني عشرة ساعة على مغادرته منزله في أوبسال. حدق في المروحة التي تبرم عند أسفل السرير. بالكاد أعطت نفخة هواء، على الرغم من دوران شفراتها بسرعة هستيرية. لن يتمكن من النوم.

طلب السائق من هاري أن يناديه جو. كان جو كونغولياً، ويتحدث الفرنسية بطلاقة، مع القليل من الإنكليزية المتلثمة. تم توظيفه من قبل أشخاص يعرفهم في منظمة مساعدة نروجية مقرها غوما.

قال جو: "ثماني مئة ألف". وهو يقود سيارة اللاند روفر على طريق مليئة بالثقوب، وإنما صالحة للسير بين المروج الخضراء والمنحدرات الجبلية المزروعة من الأعلى إلى الأسفل. بين الحين والآخر، كان يتحلى بالرفق، ويضغط على المكابح لعدم دوس الناس الذين يمشون، أو يركبون على الدراجات الهوائية، أو يجرون العربات ويحملون البضائع عند حافة الطريق. ولكن في الإجمال، كانت الرحلة متهورة، ونجواً كل مرة في الثانية الأخيرة.

"قتلوا ثماني مئة ألف خلال أسابيع قليلة فقط عام 1994. اجتاح الهوتوس جيرانهم القدامى اللطفاء، وقتلهم بالمناجل لأنهم من التوتسي. ونادت الشعارات عبر الراديو بأنه إذا كان الزوج من التوتسي، فتقضي مهمة الزوجة كواحدة من الهوتو بأن تقتله، وبالعكس. تم قطع الأشجار الطويلة، وهرب العديد منهم عبر هذه الطريق...". أشار جو إلى خارج النافذة. "تراكمت الجثث فوق بعضها، واستحال المرور في بعض الأماكن. كانت أوقاتاً جيدة للصفور المفترسة".

تابعا الطريق بصمت.

مرّا أمام رجلين يحملان هرة كبيرة مربوطة بقضيب عند ساقها. كان الأولاد يرقصون ويهتفون قربها، ويفرزون الدبابيس في جثة الهرة الميتة. وكان شعرها بلون الشمس مع بقع مظلمة فيه.

سأل هاري: "هل هم صيادون؟".

هزّ جو رأسه، ونظر إلى المرأة، وأجاب بمزيج من الإنكليزية والفرنسية: "صدمتها سيارة مثلما أعتقد. هذا النوع يستحيل صيده. إنه نادر، ويجوب مساحة كبيرة، ويصطاد فقط في الليل. فهو يختبئ ويموّه نفسه مع البيئة المحيطة به خلال النهار. أظن أنه حيوان وحيد جداً، هاري".

راقب هاري الرجال والنساء الذين يعملون في الحقول. في أماكن عدة، شاهد معدات ثقيلة، ورجالاً يصلحون الطريق. وفي أسفل الوادي، شاهد طريقاً قيد الإنشاء. في حقل كبير، ثمة أولاد يرتدون بذلات مدرسية زرقاء، ويلعبون كرة القدم ويصرخون. قال جو: "رواندا جيدة".

بعد ساعتين ونصف الساعة، أشار جو عبر الزجاج الأمامي. "بحيرة كيفو. إنها جميلة جداً. عميقة جداً".

السطح الواسع للمياه الممتدة فوق البحيرة بدا وكأنه يعكس آلاف الشمس. البلاد الموجودة على الضفة الأخرى هي جمهورية الكونغو الديمقراطية. ارتفعت الجبال في كل الجهات. ثمة غيمة واحدة بيضاء تطوق قمة أحد الجبال. قال جو، كما لو أنه يقرأ أفكار هاري: "لا يوجد الكثير من الغيوم. الجبل القاتل؛ نيراغونغو".

أوماً هاري برأسه.

بعد ساعة، عبرا الحدود، ودخلا إلى غوما. على جانب الطريق، ثمة رجل نحيل يرتدي سترة ممزقة، يجلس ويحدق إلى الأمام بعينين تعيستين. حركّ جو عجلة القيادة بعناية بين الفوهات في الطريق الموحلة. ثمة عربة عسكرية أمامهما. كان الجندي المتمايل الذي يحمل المسدس ينظر إليهما بعينين باردتين ومنهكتين. فوقهما هدرت محركات طائرة.

قال جو: "الأمم المتحدة. المزيد من الأسلحة والقنابل. أصبحت نكوندا أقرب إلى المدينة. قوية جداً. يهرب العديد من الأشخاص الآن. لاجئون. قد يكون السيد فان بورست بينهم أيضاً؟ لم أره منذ وقت طويل".

"هل تعرفه؟"

"الجميع يعرفون السيد فان. لكنه يملك با - ماغوجي داخله".

"با ماذا؟"

"يملك روحاً شريرة. تجعلك تتوق إلى الشراب. ويسلب منك عواطفك".
كان مكيف الهواء يضح هواء بارداً. إلا أن العرق تصبب بين عظامي كتفي هاري.

توقفاً في منتصف الطريق بين صفين من الأكواخ، وأدرك هاري أن هذا وسط المدينة في غوما. تحرك الناس بسرعة جيئة وذهاباً على الطريق غير الصالح تقريباً بين المحلات. تم رصف صخور سوداء كبيرة إلى جانب المنازل، وكانت بمثابة أسس. بدت الأرض أشبه بالجليد الأسود المتصلب، وتطاير الغبار الرمادي في الهواء المشبع برائحة السمك المتعفن.

قال جو: "هنا". وهو يشير إلى باب المنزل القرميدي الوحيد في صف المنازل.
"سأنتظر في السيارة".

لاحظ هاري رجلين يتوقفان في الشارع فيما خرج من السيارة. وجَّه إليه النظرة الحيادية الخطرة التي لا تنطوي على أي إنذار. إنهما رجلان يعرفان أن الأعمال العدوانية أكثر فاعلية من دون إنذار. توجه هاري مباشرة إلى الباب؛ من دون أن ينظر إلى كلا الجانبين، وأظهر أنه يعرف ماذا يفعل هنا، وإلى أين يجدر به الذهاب. طرق على الباب. مرة. مرتين. ثلاث مرات. أوه! كل هذه المسافة الطويلة لمجرد...
فتح الباب قليلاً.

حدق به وجه أبيض متجدد مع عينين متسائلتين.

سأل هاري: "إيدي فان بورست؟"

قال الرجل: "لقد مات". باللغة الفرنسية وصوت أجش بدا شبيهاً بحشرة الموت.
تذكر هاري ما يكفي من الفرنسية من أيام المدرسة ليفهم أن هذا الرجل يزعم أن فان بورست مات. حاول بالإنكليزية. "اسمي هاري هول. حصلت على اسم فان بورست من هيرمان كلوت في هونغ كونغ. أنا مهتم بتفاحة ليوبولد".

طرف الرجل عينيه مرتين، ثم أخرج رأسه من الباب، ونظر يميناً ويساراً. ثم فتح الباب قليلاً أكثر، وقال وهو يشير إلى هاري: "ادخل".

حنى هاري رأسه تحت إطار الباب المنخفض، ونجح في ثني ركبتيه في الوقت المناسب. فالأرضية في الداخل أكثر انخفاصاً بنحو عشرين سنتيمتراً تقريباً.

فاحت رائحة بخور، وكذلك رائحة شيء مألوف؛ رائحة رجل عجوز يشرب منذ أيام عدة.

اعتادت عينا هاري على العتمة، واكتشف أن الرجل العجوز الضعيف وصغير القامة كان يرتدي رداءً أبيضاً طويلاً من الحرير باللون البرغندي.

قال فان بورست بلغة إنكليزية شبيهة بلكنة هيركول بوارو: "لكنة اسكاندينافية". ووضع سيجارة في الحامل الأصفر بين شفثيه الرقيقتين. "دعني أحزر. حتماً لست دانماركياً. يمكن أن تكون سويدياً. لكني أظنك نرويجياً، أليس كذلك؟".

كشف صرصار عن زبانه عبر شق في الجدار خلفه.

"مم... هل أنت خبير في اللكنات؟".

قال فان بورست: "مجرد هواية". وهو يشعر بالإطراء والسرور. "في دول صغيرة مثل بلجيكا، عليك تعلم النظر إلى الخارج، وليس إلى الداخل. كيف حال هيرمان؟".

قال هاري: "بخير". واستدار إلى يمينه، فرأى زوجين من العيون السئمة تنظر إليه. الزوج الأول من صورة فوق السرير في الزاوية. صورة مؤطرة لشخص له لحية

رمادية طويلة، وأنف قوي، وشعر قصير، وكفان عريضتان ويحمل سلسلة وسيقاً. الملك ليوبولد؛ إلا إذا كان هاري مخطئاً جداً. الزوج الثاني من العيون يخص المرأة

المستلقية على جانبها في السرير مع بطانية ملتفة فوق وركيها. الضوء الصادر من النافذة فوقها سقط صدرها. استجابت لإيماءة هاري بابتسامة كشفت عن سن ذهبية

كبيرة بين الأسنان البيضاء. لا يمكن أن تكون قد تجاوزت العشرين. على الحائط خلف الخصر النحيل، لمح هاري مسماراً مثبتاً في الجص المتشقق. ومن المسمار

تدلى زوج من الأغلال الوردية.

قال البلجيكي صغير القامة: "زوجتي. حسناً، واحدة منهن".

"أهي عشيقه فان بورست؟".

"شيء من هذا القبيل. أتريد الشراء؟ هل لديك المال؟".

قال هاري: "أريد أولاً أن أرى ما لديك".

ذهب إيدي فان بورست إلى الباب، فتحه قليلاً ونظر إلى الخارج، ثم أغلقه وأقفله. "هل أحضرت معك السائق فقط؟".

"نعم".

نفخ فان بورست دخان سيجارته، فيما تأمل هاري بتمعن، وتجعّد الجلد حول عينيه عندما طرف بهما.

ثم ذهب إلى زاوية في الغرفة، وأبعد السجادة، وانحنى وشدّ حلقة حديدية. فُتح باب أفقي. لوح البلجيكي لهاري لينزل إلى القبو أولاً. افترض هاري أنه إجراء احترازي مرتكز على خبرة، ففعل مثلما طُلب منه. ثمة سلم يقضي إلى عتمة حالكة. وصل هاري إلى أرض صلبة بعد الدرجة السابعة في السلم. أضيء بعدها مصباح. نظر هاري في أرجاء الغرفة. كان السقف مرتفعاً، وثمة أرض إسمنتية مستوية. غطت الرفوف والخزانات ثلاثة من الجدران. على الرفوف، اصطفت الأغراض اليومية: مسدسات غلوك كثيرة الاستعمال، وأخرى من نوع سميث إند ويسون بعمار 0.38، وعلب من الذخيرة، وكلاشينكوف. لم يمسك هاري قط بالبندقية الأوتوماتيكية الروسية الشهيرة المعروفة رسمياً باسم AK-47. ربت على المقبض الخشبي.

قال فان بورست: "إنها موديل أصلي يعود إلى أول عام تم صنعها فيه، 1947". قال هاري: "يبدو أن الجميع هنا حصلوا على واحدة منها. إنها سبب الموت الأكثر شيوعاً في أفريقيا؛ مثلما سمعت".

أوماً فان بورست برأسه. "لسيين بسيطين. أولاً، عندما بدأت البلاد الشيوعية بتصدير الكلاشينكوف إلى هنا بعد الحرب الباردة، كان سعر البندقية موازياً لسعر فروج دسم في أيام السلم. وليس أكثر من مئة دولار في أيام الحرب. ثانياً، إنها فعالة، مهما فعلت بها، وهذا مهم في أفريقيا. في موزامبيق، يحبون الكلاشينكوف كثيراً لدرجة أنهم وضعوها على علمهم الوطني".

توقفت عينا هاري على الأحرف المدموغة على علبة سوداء. سأل هاري: "هل هذا ما أظنه؟".

قال فان بورست: "ماركلين. بندقية نادرة. تم صنعها بأعداد محدودة جداً لأنها كانت فاشلة جداً. إنها ثقيلة جداً ولها عيار كبير. تم استخدامها لصيد القبلة". قال هاري بهدوء: "والبشر". "هل تعرف هذا السلاح؟".

"إنه يوفر أفضل رؤية بعيدة المدى في العالم. وهو ليس بالضرورة سلاحاً تحتاج إليه لقتل فيل من مسافة مئة متر. إنه مثالي للاغتيال". مرر هاري أصابعه على العلبة الخشبية فيما عادت إليه الذكريات. "نعم، أعرفه".

"يمكنك الحصول عليه مقابل سعر زهيد، ثلاثين ألف يورو".

"لا أسعى وراء بندقية هذه المرة". والتفت هاري صوب قسم الرفوف في وسط الغرفة. أقنعة خشبية بيضاء كبيرة كُثرت له من الرفوف.

قال فان بورست: "الأقنعة الروحية لقبيلة الماي ماي. يظنون أنهم إذا غمسوا أجسادهم في المياه المبجلة فلن تستطيع رصاصات العدو أن تصيبهم؛ لأن الرصاصات تتحول أيضاً إلى ماء. كان أفراد عصابات الماي ماي يذهبون إلى الحرب ضد الجيش النظامي بالقوس والنشاب، ويعتزمون قبعات الاستحمام على رؤوسهم، ويحملون سدادات المغاطس بمثابة تمام. أنا لا أمزح معك سيدي. لكن، بطبيعة الحال، كانوا ينهزمون. لكنهم يحبون الماء - شعب الماي ماي - والأقنعة البيضاء، وقلوب أعدائهم وكيالياتهم؛ مشوية قليلاً مع الذرة المهروسة".

قال هاري: "مم... لم أتوقع أن يشتمل مثل هذا المنزل البسيط على قبو ممتلئ كهذا".

فقهه فان بورست. "قبو! إنه الطابق الأرضي؛ أو هكذا كان. قبل ثوران البركان قبل ثلاثة أعوام".

فهم هاري الآن كل شيء. الصخور السوداء الضخمة، الجليد الأسود، الطابق العلوي المنخفض أكثر من الشارع. قال هاري: "الحمم البركانية".

أوماً فان بورست برأسه. "تدفقت مباشرة عبر الوسط، واجتاحت منزلي قرب بحيرة كيفو. كل المنازل الخشبية التي كانت هنا احترقت في أرضها. هذا المنزل القرميدي كان الوحيد الذي بقي صامداً، لكن نصفه انظمر تحت الحمم". وأشار إلى الجدار. "هناك يمكنك رؤية الباب الأمامي لما كان مستوى الشارع قبل ثلاثة أعوام. اشترت المنزل ووضعت باباً جديداً حيث دخلت".

أوماً هاري برأسه. "لحسن الحظ، لم تحرق الحمم البركانية الباب وتنزل إلى هذا الطابق أيضاً".

"مثلما ترى، النوافذ والأبواب في الجدار المواجه بعيدة عن نيراغونغو. لم تكن تلك هي المرة الأولى. فذلك البركان اللعين يفجر حممه على هذه البلدة كل عشرة أعوام أو عشرين عاماً".

رفع هاري أحد حاجبيه. "ولا يزال الناس يعودون إلى هنا!؟".

هز فان بورست كتفه. "أهلاً بك في أفريقيا. لكن البركان مفيد جداً. إذا أردت التخلص من جثة تزعجك - وهذه مشكلة شائعة جداً في غوما - يمكنك طبعاً طمرها في بحيرة كيفو. لكنها تبقى طبعاً موجودة هناك. لكن، إذا استعملت نيراغونغو... يظن الناس غالباً أن البراكين تشتمل على بحيرات حمم حمراء ساخنة مغلقة في القعر،

لكن هذا غير صحيح. لا يملك أي بركان تلك البحيرات؛ باستثناء نيراغونغو. ألف درجة مئوية. ضع شيئاً فوق فوهته، وسيختفي بلمح البصر، وسيصبح مثل الغاز". راح يسعل بشكل قوي. "شاهدت ذات مرة صياد طنطاليت متحمساً جداً وهو يُرغم ابنة زعيم قبيلة على الوقوف على سلسلة قرب الفوهة هناك. لم يوقع زعيم القبيلة على الأوراق التي تمنح الصيادين الحق في التنجيم في أرضهم. اشتعلت النيران في شعرها من مسافة عشرين متراً فوق اللحم، وراحت الفتاة تحترق، وتذوب مثل الشمعة من علو عشرة أمتار، وباتت تتقطر. أنا لا أبالغ. الجلد واللحم انسلخا عن عظامها... هل هذا ما تهتم به؟".

فتح فان بورست خزانة وأخرج كرة معدنية. كانت لامعة، وفيها ثقب صغير جداً، وكان حجمها أصغر من كرة التنس. من فتحة أكبر قليلاً، تدلت حلقة معدنية. إنها الآلة نفسها التي رآها هاري في منزل هيرمان كلوت. سأل هاري: "هل تعمل؟".

تنهد فان بورست، ووضع إصبعه الصغيرة في الحلقة المعدنية وشدها. صدر صوت قوي، وقفزت الكرة في يد الرجل البلجيكي. حذق هاري مذهولاً؛ فمن الثقب الموجودة في الكرة نتأت أشياء تشبه الهوائيات.

سأل، وهو يمدّ يده: "هل أستطيع إمساكها؟". نقل فان بورست الكرة إليه، وراقب بحذر شديد فيما عدّ هاري الهوائيات.

أوماً هاري برأسه وقال: "عددها أربعة وعشرون". قال فان بورست: "تماماً مثل عدد التفاحات. يملك هذا الرقم قيمة رمزية بالنسبة إلى المهندس الذي صممها وصنعها. كان ذلك عمر أخته عندما أنهت حياتها". "وكم تملك منها في خزانتك؟".

"ثمانية تفاحات فقط. بما فيها هذه التفاحة المقاومة المصنوعة من الذهب". أخرج كرة سطعت باللون الذهبي الباهت تحت ضوء المصباح الكهربائي، ثم أعادها إلى الخزانة. "لكن، هذه ليست للبيع. عليك قتلي لتحصل على هذه التفاحة". "إذاً، لقد بعث ثلاث عشرة تفاحة. هل اشترى كلوت تفاحته؟".

"ومقابل مبالغ متزايدة في كل مرة. إنها استثمار مضمون، سيد هول. وسائل التعذيب القديمة تملك زبائن أوفياء يكونون مستعدين للدفع. صدقني". قال هاري: "أصدقك". وحاول الضغط على أحد الهوائيات لإنزاله. قال فان بورست: "تعمل بالنوايض. بعد سحب السلك، لن تتمكن الضحية من

إزالة التفاحة من فمها. ولا يعود أي شيء مهماً بعد ذلك. لا تقم بالخطوة الثانية إذا أردت سحب الضلوع الدائرية. لا تسحب السلك من فضلك".
"الخطوة الثانية!؟".
"أعطني إياها".

أعطى هاري فان بورست الكرة. مرّر البلجيكي بعناية قلماً عبر الحلقة، وحمله بشكل أفقي وبالارتفاع نفسه للكرة، ثم أفلت الكرة. عندما أصبح السلك مشدوداً، دوى صوت آخر، واهتزت تفاحة ليوبولد على بعد خمسة عشر سنتيمتراً تحت القلم، ولمعت الإبر الحادة التي نتأت من كل واحد من الهوائيات.
"اللعة!". قال هاري بلغته النروجية.

ابتسم البلجيكي. "تطلق قبيلة الماي ماي على هذه الآلة اسم "دم الشمس". تملك هذه التحفة الصغيرة أسماء عدة". وضع التفاحة على الطاولة، ثم وضع القلم في الفتحة التي خرج منها السلك المعدني وضغط بقوة، فارتدت الإبر والهوائيات إلى الداخل مع صوت مدوّ، واستعادت التفاحة الملكية شكلها الدائري الناعم.
قال هاري: "مذهل. كم ثمنها؟".

قال فان بورست: "سته آلاف دولار. أضيف عادة مبلغاً قليلاً في كل مرة، لكنك تستطيع الحصول عليها بالسعر نفسه الذي حصلت عليه في المرة الأخيرة".
سأل هاري: "ولمّ هذا؟". وهو يمرر سبابته على المعدن الناعم.
أجاب فان بورست، وهو ينفخ دخان السيجارة في الغرفة: "لأنك اجتزت مسافة طويلة. ولأنني أحب لكتك".
"مم... ومن كان الشاري الأخير؟".

قهقه فان بورست. "تماماً مثلما لن يعرف أحد أنك كنت هنا، لن أخبرك عن زبائني الآخرين. هل يبدو هذا مطمئناً لك سيد...؟ هل ترى؟ لقد نسيت اسمك أصلاً".
أوماً هاري برأسه. قال: "ست مئة".
"عفواً؟".

"ست مئة دولار".

قهقه فان بورست بالطريقة الوجيزة نفسها. "هذه سخافة. فالسعر الذي ذكرته يساوي كلفة رحلة لمدة ثلاث ساعات في المحمية الطبيعية حيث توجد الغوريلا الجبلية. هل تفضل ذلك، سيد هول؟".

قال هاري: "يمكنك الاحتفاظ بالتفاحة". وأخرج كدسة صغيرة من أوراق

العشرين دولاراً من جيبه الخلفي. "أنا أعرض عليك ست مئة دولار مقابل معلومات عن الأشخاص الذين اشتروا التفاحات منك".

وضع كدسة المال على الطاولة أمام فان بورست، ووضع فوقها بطاقته المهنية. قال هاري: "الشرطة النرويجية. تم قتل امرأتين على الأقل بهذا المنتج الذي تملكه أنت بشكل حصري".

انحنى فان بورست فوق المال وتأمل البطاقة المهنية، ولكن من دون لمس أي من الاثنين.

قال: "إذا كانت الحال كذلك، فأنا آسف فعلاً". وبدأ وكأن صوته أصبح أكثر رزانة. "صدقني. لكن أمني الشخصي يساوي ربما أكثر من ست مئة دولار. ولو أردت التحدث صراحة عن كل الأشخاص الذين اشتروا من هنا، لكنت حياتي...".

قال هاري: "يجدر بك القلق أكثر على حياتك في سجن كونغولي". ضحك فان بورست مجدداً. "محاولة جيدة، هول. لكن صودف أنني أعرف شخصياً رئيس الشرطة في غوما. وفي أي حال، ماذا فعلت أنا في النهاية؟". ورفع ذراعيه عالياً في الهواء.

قال هاري: "ما فعلته غير مهم". وأخرج صورة من جيب صدره. "الدولة النرويجية واحدة من أهم الدول التي توفر المساعدات للكونغو. وإذا اتصلت السلطات النرويجية بكينشاسا، وقالت إنك مصدر غير متعاون في ما يتعلق بسلاح استخدم في جريمتين نرويجيتين، فماذا سيحصل برأيك؟".

لم يعد فان بورست يبتسم. قال هاري: "لا، طبعاً، لن تتم إدانتك زوراً بأي شيء. وإنما سيتم توقيفك احتياطياً، ولا يجدر بنا الخلط بين هذا والعقاب. إنه التوقيف القضائي لشخص ما ريثما يتم التحقيق في قضية، وثمة مخاوف ربما بأن يكون قد تم التلاعب بالأدلة. إلا أنه يبقى سجيناً في أي حال. وقد يستغرق التحقيق وقتاً طويلاً. هل شاهدت يوماً سجيناً كونغولياً من الداخل، فان بورست؟ لا، أفترض أنه لا يوجد الكثير من الرجال البيض الذين فعلوا ذلك".

شدّ فان بورست الرداء الحريري حوله بإحكام، وتأمل هاري فيما مضى عقب السجارة، ثم قال: "حسناً، ألف دولار". قال هاري: "خمس مئة". "خمس. لكنك...؟".

قال هاري: "أربع".

صرخ فان فورست، وهو يرفع ذراعيه في الهواء: "حسناً. ماذا تريد أن تعرف؟".
قال هاري: "كل شيء". واتكأ على الجدار، وأخرج علبة سجائر.

عندما خرج هاري بعد نصف ساعة من منزل فان بورست وركب سيارة اللاند روفر التي يقودها جو، كان الظلام قد حلّ.
قال هاري: "الفندق".

تبين أن الفندق محاذٍ للبحيرة. حذرّ جو هاري من السباحة. ليس بسبب طفيلية الغرغر التي يحتمل ألا يكتشفها إلا حين تبدأ يوماً دودة صغيرة بالتسلل تحت جلده، وإنما بسبب غاز الميثان الذي ينبعث من قعر البحيرة على شكل فقاع كبير يمكن أن تجعله فاقد الوعي وتسرع عملية غرقه.

جلس هاري على الشرفة، ونظر إلى كائنين طويلين يمشيان مثل قضيبين خشبيين على المرج المضاء. بدواً مثل طائري فلامنكو في بذلة طاووس. وفي ملعب التنس المضاء، ثمة صبيان صغيران من العرق الأسود يلعبان فقط بكرتين، كلتاهما مهترتان؛ حيث بدتا مثل جوربين ملفوفين يتحركان جيئةً وذهاباً فوق الشبكة نصف المهترئة. وبين الحين والآخر، كانت الطائرات تهدر في السماء؛ مباشرة فوق سقف الفندق.
سمع هاري قرقعة قناني في المقهى. كان هذا على مسافة ثماني وستين خطوة بالضبط من حيث يتواجد. لقد عدّ الخطوات عندما دخل. أخذ هاتفه وطلب رقم كاجا. بدت سعيدة لسماع صوته. سعيدة في أي حال.

قالت: "أنا عالقة في الثلج في أوستاوسيت. الثلج يتساقط بغزارة بدلاً من انهمار المطر. لكن على الأقل، تمت دعوتي إلى العشاء. وسجل النزلاء كان مثيراً".
"أوه حقاً؟".

"الصفحة الخاصة باليوم الذي بهننا مفقودة".

"يا الله! هل تحققت إذا...؟".

"نعم، تحققت إذا كانت هناك أي بصمات، أو إذا انحفرت الكتابة على الصفحة التالية". ضحكت، وحزر هاري أنها شربت حتماً كأسين.

"مم... كنت أفكر أكثر في...".

"نعم، تحققت مما هو مكتوب في اليوم السابق واليوم التالي. لكن، مبدئياً لا ينام أحد أكثر من ليلة واحدة في مثل هذا المكان الأولي؛ إلا إذا حبستهم الثلوج. وكان

الطقس صافياً يوم السابع من نوفمبر. إلا أن المدير المسؤول هنا وعدني بالتحقق من سجلات النزلاء في الشاليهات المحيطة في الأيام السابقة والأيام التالية لمعرفة أسماء النزلاء الذين مكثوا ربما في شاليه هافاس خلال رحلتهم".
"جيد. يبدو أننا أصبحنا أكثر قرباً من اكتشاف الحقيقة".
"ربما. ماذا عنك؟".

"أخشى أن الوضع أكثر برودة هنا. لقد وجدت فان بورست. لكن، لم يكن أيّ من الزبائن الأربعة عشر الذين تعاطى معهم اسكاندينافياً. كان واثقاً تماماً. أمملك ستة أسماء وستة عناوين، لكنهم جميعاً من الأشخاص الذين يحبون جمع التحف. ما عدا ذلك، هناك بعض الأسماء التي تذكرها، وبعض الأوصاف، وهذا كل شيء. هناك تفاحتان إضافيتان، لكن صودف أن فان بورست يعرف أنهما لا تزالان لدى شخص يحب جمع التحف في كاراكاس. هل تحققت من أدبيل وتأشيرة دخولها؟".
"اتصلت بالقنصلية الرواندية في السويد. عليّ الاعتراف أنني توقعت الفوضى، لكن كل شيء كان منظماً".

"الكونغو أيضاً دولة صغيرة ومنظمة جداً".

"يملكون نسخة عن طلب تأشيرة الدخول الخاصة بأدبيل، وتطابقت التواريخ. الفترة التي تغطيها تأشيرة الدخول انتهت صلاحيتها الآن، لكنهم لا يعرفون طبعاً أين هي موجودة. طلبوا مني الاتصال بسلطات الهجرة في كيغالي. حصلت على رقم، وجربته، وتم تحويلي بين المكاتب مثل الكرة المتطايرة؛ إلى أن تم تحويلي إلى ناطق باللغة الإنكليزية قال لي إنه لا يوجد اتفاق تعاون مع رواندا في هذا الخصوص، واعتذر بتهذيب لأنه مضطر لرفض طلبي، وتمنى لي ولعائلتي حياة طويلة وسعيدة. ألم تتوصل أنت إلى أي شيء أيضاً؟".

"لا. عرضت صورة أدبيل على فان بورست. قال إن المرأة الوحيدة التي اشترت شيئاً منه كانت صاحبة شعر أحمر مجعد، ولها لكنة ألمانيا الشرقية".

"لكنة ألمانيا الشرقية! هل مثل هذا الشيء موجود؟".

"لا أعرف، كاجا. يسير ذلك الرجل مرتدياً رداء طويلاً، ويضع حاملة سجائر في فمه، وهو مدمن على الشراب، واختصاصي في اللكنات. حاولت إبقاء تركيزي على القضية ومن ثم الهروب".

قال: "لكن، لديّ فكرة. بطاقات الهبوط".

"ماذا؟".

"عليك أن تعطي عنوان إقامتك في الليلة الأولى. إذا كانوا يحتفظون بالبطاقات في كيغالي وهناك المزيد من المعلومات الإضافية، مثل العنوان التالي، فسأستطيع ربما معرفة المكان الذي ذهبت إليه أديل. قد يكون ذلك دليلاً؛ لأن كل ما نعرفه هو أنها ربما الشخص الوحيد على قيد الحياة الذي يعرف من كان في شاليه هافاس تلك الليلة".

"حظاً موفقاً، هاري".

"وحظاً موفقاً لك أنت أيضاً".

أنهى الاتصال. كان بوسعه طبعاً أن يسألها عمّن ستتناول العشاء معه؛ لكن لو كان ذلك على علاقة بالتحقيق لأخبرته ربما.

جلس هاري على الشرفة إلى أن أغلق المقهى وتوقفت أصوات القناني، لتحلّ مكانها أصوات أخرى من نافذة مفتوحة في الأعلى. أصوات رتيبة ذكّرت به بأصوات النورس في آندالسنس عندما اعتاد هو وجده على النهوض عند انبلاج الفجر للذهاب إلى صيد السمك. لم يذهب والده يوماً معه. لمَ لا؟ ولماذا لم يفكر هاري قطّ في الأمر؟ لماذا لم يعرف بصورة فطرية أن أولاف لا يشعر بالارتياح في قارب صيد؟ هل كان يعرف أصلاً، كولد في عمر الخامسة، أن والده اختار التعلم وغادر المزرعة تحديداً كي لا يكون مضطراً للجلوس في قارب؟ غير أن والده أراد أن يدفن هناك. الحياة غريبة. الموت، على الأقل.

أشعل هاري سيجارة. كانت السماء سوداء وخالية من النجوم؛ باستثناء المساحة الموجودة فوق فوهة نيراغونغو، حيث توهج بريق أحمر. أحسّ هاري بألم شديد، فيما لسعته حشرة. الملاريا. غاز الميثان. تلالأت بحيرة كيفو في البعيد. جميلة جداً، عميقة جداً.

دوى صوت انفجار من الجبال، وتدحرج الصوت عبر البحيرة. هل هو انفجار بركاني أم مجرد رعد؟ نظر هاري إلى الأعلى. دوي آخر، ثم تردّد الصدى بين الجبال. ودوي آخر، بعيد، وصل إلى هاري في الوقت نفسه. عميق جداً.

حذق في العتمة بعينين مفتوحتين جداً، وبالكاد لاحظ أن السماء تنشق وأن المطر بدأ ينهمر ويفرق صراخ النورس.

الشرطة

قال السيد كرونغلي: "أنا مسرور لأنك نجحت في الخروج من شاليه هافاس قبل حصول هذا الانهيار. فقد كان من الممكن أن تحتجزني هناك لأيام عدة". وأوماً برأسه في اتجاه النافذة الكبيرة لمطعم الفندق. "لكن، من الرائع رؤية ذلك، أليس كذلك؟". نظرت كاجا إلى تساقط الثلج الكثيف. كان إيفن هكذا أيضاً؛ يتحمس كثيراً لقوة الطبيعة، بصرف النظر عما إذا كانت تعمل لصالحه أم ضده.

قالت: "أتمنى أن ينجح قطاري في الوصول إلى هنا". قال كرونغلي: "نعم طبعاً". وهو يمسك الكأس بطريقة أوحى لكاجا أن احتساء الشراب وتناول العشاء ليسا من الأمور التي يفعلها غالباً. "سوف نحرص على ذلك، ونراجع سجلات النزلاء في بقية الشاليهات". قالت كاجا: "شكراً لك".

مرر كرونغلي يداً عبر خصلاته المتمردة، وكشف عن ابتسامة حزينة. صدحت أغنية "لايدي إين رد" لكريس دو بورغ مثل العسل عبر مكبرات الصوت. كان هناك شخصان آخران فقط في المطعم، رجلان في العقد الثالث، يجلس كل منهما أمام طاولة ذات شروشف أبيض، ويضع كل منهما قنينة أمامه، ويحدق في النافذة، في انتظار شيء لن يحصل. سألت كاجا: "ألا تشعرين بالوحدة هنا أحياناً؟".

قال الشرطي الريفي، وهو يلحق نظرتها: "حسب الوضع؛ إذا كنت لا تملكين زوجاً وعائلة، فهذا يعني أنك تميلين إلى المجيء إلى مثل هذه الأماكن". قالت كاجا: "للإحساس بالوحدة مع أشخاص آخرين". قال كرونغلي، وهو يسكب المزيد من الشراب في كأسيهما: "نعم. لكنني أفترض أن الأمر مماثل في أوسلو أيضاً؟".

قالت كاجا: "نعم، صحيح. هل تملك عائلة؟". هز كرونغلي كتفه. "عشت قبلاً مع امرأة. لكنها وجدت الحياة فارغة جداً هنا،

فانتقلت إلى حيث تعيشين أنت. أستطيع فهمها. عليك أن تملكي مهنة مثيرة في مكان كهذا".

"وهل تملك واحدة؟".

"أظن ذلك. أعرف الجميع هنا، وهم يعرفونني. نساعد بعضنا بعضاً. أحتاج إليهم و... حسناً...". برم الكأس في يده.

قالت كاجا: "يحتاجون إليك".

"أعتقد ذلك، نعم".

"وهذا مهم".

قال كرونغلي بصرامة: "نعم، صحيح". وهو ينظر إليها. عينا إيفن اللتان تنطويان على جمر الضحك فيهما؛ كما لو أن شيئاً مسلياً أو شيئاً يستدعي الفرح حصل للتو. حتى لو لم يحصل أي شيء. خصوصاً عندما لا يحصل أي شيء.

قالت كاجا: "ماذا عن أود أوتمو؟".

"ماذا عنه؟".

"غادر ما إن أوصلني. ماذا يفعل في أمسية كهذه؟".

"وكيف تعرفين أنه ليس جالساً في المنزل مع زوجته وأولاده؟".

"إذا التقيت يوماً ناسكاً، حضرة...".

قال وهو يضحك ويرجع رأسه إلى الخلف: "ناديني أسلاك". وتابع:

"وألأحظ أنك تحرية حقيقية. لكن أوتمو لم يكن دوماً هكذا".

"ألم يكن؟".

"قبل أن يختفي ابنه، كان على ما يبدو إنساناً اجتماعياً. نعم، كان بين الحين والآخر دمث المعشر. لكنني أعتقد أنه لطالما امتلك طباعاً سيئة".

"اعتقدت أن رجلاً مثل أوتمو يكون عازباً".

"كانت زوجته جميلة أيضاً. عندما تفكرين كم هو قبيح... فلا بد أن تتساءلي.

هل رأيت أسنانه؟".

"لاحظت أنه يضع جسراً مقوماً للأسنان، نعم".

"يقول إن الجسر موجود كي لا تنعقف أسنانه". هزّ أسلاك كرونغلي رأسه،

والضحك بادٍ في عينيه، ولكن ليس في صوته. "لكنها الوسيلة الوحيدة للتأكد من عدم سقوطها".

"أخبرني، هل كان فعلاً ديناميت ما وضعه على دراجته الثلجية؟".

قال كرونغلي: "أنت رأيت ذلك، وليس أنا".
"ماذا تقصد؟"

"هناك الكثير من السكان هنا الذين لا يفهمون رومانية الجلوس لساعات طويلة مع قسبة صيد قرب البحيرات الجبلية، وإنما يفضلون الحصول على السمك الذي يعتبرونه ملكاً لهم على طاولة العشاء".

"أيرمون الديناميت في البحيرات؟"

"ما إن يختفي الجليد".

"أليس هذا غير شرعي نوعاً ما؟"

رفع كرونغلي يديه إلى الأعلى للدفاع عن نفسه. "مثلما قلت، أنا لم أر أي شيء".

"لا، هذا صحيح. أنت تعيش هنا، فهل تحمل أنت أيضاً الديناميت بالصدفة؟"
"فقط للمرأب. الذي أنوي تشييده".

"صحيح. ماذا عن سلاح أوتمو؟ يبدو عصرياً مع منظار التلسكوب عليه وما إلى ذلك".

"طبعاً. كان أوتمو بارعاً في صيد الدببة؛ إلى أن أصبح نصف أعمى".

"رأيت عينه. ماذا حصل؟"

"يبدو أن ابنه سكب كوباً من الحمض عليه".
"يبدو؟"

هز كرونغلي كتفيه. "أوتمو هو الشخص الوحيد الذي يعرف حقيقة ما حصل. اختفى ابنه عندما كان في الخامسة عشرة. بعد فترة وجيزة، اختفت زوجته أيضاً. لكن هذا حصل قبل ثمانية عشر عاماً؛ قبل أن أنتقل إلى هنا. بعد ذلك، عاش أوتمو وحده في الجبال؛ من دون تلفاز، ولا راديو. حتى إنه لا يقرأ الجرائد".
"وكيف اختفياً؟"

"أنت قولي لي. هناك الكثير من الأجراف حول مزرعة أوتمو حيث يمكن أن يسقط الشخص. والثلج. تم العثور على حذاء الابن بعد انهيار ثلجي، ولكن من دون أي دليل يشير إلى مكان وجوده بعدما ذاب الثلج في ذلك العام. ومن الغريب أصلاً فقدان حذاء كذلك في الثلج. يظن البعض أن دباباً هاجمه. لكن، حسب علمي، لم تكن هناك أي دببة هنا قبل ثمانية عشر عاماً. وهناك أشخاص يقولون إن المتهم هو أوتمو".
"أوه! ولم هذا؟"

قال أسلاك متابعاً كلامه: "حسناً، امتلك الصبي ندبة كبيرة على صدره. يقول

السكان المحليون إن تلك الندبة ناجمة عن والده. وللأمر علاقة بالأم، كارن".
"كيف هذا؟".

هز أسلاك رأسه للإجابة عن السؤال في عيني كاجا. "كان هذا قبل مجيئي إلى هنا. وروي ستيل الذي كان المسؤول هنا منذ غابر الأزمان ذهب إلى المنزل، لكن أود وكارن كانا وحدهما هناك. وقالا كلاهما الشيء نفسه. لقد خرج الصبي للصيد ولم يعد. لكن هذا كان في شهر أبريل".
"ليس موسم صيد!".

هز أسلاك رأسه. "ومنذ ذلك اليوم، لم يره أحد مطلقاً. في السنة التالية، اختفت كارن. يقول السكان المحليون هنا إن الحزن حطمها، وإنها حجزت لنفسها بطاقة ذهاب بلا عودة إلى أحد الأجراف".

ظنت كاجا أنها أحست بارتعاش بسيط في صوت المسؤول، لكنها استنتجت أنه ربما تأثير الشراب.
سألته: "وما رأيك؟".

"أعتقد أن هذا صحيح. علق الصبي في انهيار ثلجي، واختنق تحت الثلج. ذاب الثلج وجرفه إلى بحيرة حيث لا يزال هناك. ولنأمل أن يكون مع أمه".
"تبدو هذه الرواية ألطف على الأقل من رواية الدب".
"حسناً، ليس صحيحاً".

نظرت كاجا إلى أسلاك. لم يعد هناك أي ضحك في عينيه الآن.
قال، وهو ينظر إلى خارج النافذة؛ إلى الثلج المتساقط: "أن يُدْفَنَ المرء حياً في انهيار ثلجي، العتمة، الوحدة، عدم القدرة على التحرك لأن الانهيار الثلجي يمسك به بقبضة حديدية، ويسخر من محاولاته لتحرير نفسه، الثقة بأنه سيموت، الذعر، الخوف المमित عندما يعجز عن التنفس؛ ما من طريقة أسوأ للموت".
ارتشفت كاجا القليل من الشراب، ثم أعادت الكأس إلى الطاولة وسألته: "كم من الوقت مضى على احتباسك هناك؟".

قال أسلاك: "اعتقدت أنه مضت ثلاث ساعات أو أربع. لكن عندما أخرجوني، قالوا لي إنني علقت لمدة خمس عشرة دقيقة. لو بقيت خمس دقائق إضافية، لكنت قد مت".

جاء النادل، وسألهما إذا كانا يريدان أي شيء آخر، وأخبرهما أنه سيتوقف عن أخذ الطلبات بعد عشر دقائق. قالت كاجا لا، فوضع النادل الفاتورة أمام أسلاك.

سألت كاجا: "لماذا يحمل أوتمو سلاحاً؟ حسبما أعلم، لسنا في موسم الصيد الآن".

"يقول إنه يفعل هذا بسبب الوحوش؛ للدفاع عن النفس".

"هل توجد أي وحوش هنا؟ ذئاب؟".

"لم يخبرني يوماً عن نوع الحيوان الذي يتحدث عنه. بالمناسبة، ثمة شائعة تقول إن شبح الصبي يمشي ليلاً في السهول. وإذا رأيته، عليك توخي الحذر لأن هذا يعني وجود جرف عميق أو انهيار ثلجي في الجوار".

أنهت كاجا ما في كأسها.

"أستطيع تمديد ساعات الشرب قليلاً هنا إذا أردت".

"شكراً أسلاك، لكن عليّ النهوض باكراً غداً".

قال، والضحك في عينيه: "أوه... يبدو هذا الآن وكأنني...". توقف.

قالت كاجا: "ماذا؟".

"لا شيء. أفترض أن لديك زوجاً أو صديقاً في الجنوب".

ابتسمت كاجا، لكنها لم تجب.

حدّق أسلاك في الطاولة، وقال بهدوء: "حسناً إليك ما أريد قوله: لا يستطيع

الشرطي الريفي أن يحمل كأسه ويبدأ بالمزاح".

قالت كاجا: "لا بأس. لا أملك أي صديق. وأنا أستلطفك، فأنت تذكرني بأخي".

"لكن؟".

"لكن، ماذا؟".

"لا تنسي أنني تحرّ أنا أيضاً. أرى أنك لست ناسكة. هناك شخص في حياتك،

أليس كذلك؟".

ضحكت كاجا. تترك الأمور عادة عند هذا الحد. إنه تأثير الشراب ربما، أو لأنها

تستلطف أسلاك كرونغلي، أو لأنها لا تملك أحداً للتحدث إليه بشأن هذا النوع من

الأمور منذ أن مات إيفن. وأسلاك شخص غريب، بعيد جداً عن أوسلو، شخص لا

يتحدث إلى دائرة معارفها.

سمعت نفسها تقول: "أنا مغرمة بشرطي". ووضعت كأس الماء على فمها لإخفاء

أي ارتباك. الشيء الغريب هو أن الحقيقة لم تصعقها بقوة إلا عندما سمعت نفسها

تقول الكلمات بصوت عالٍ.

رفع أسلاك كأسه لشرب نخبها. "نخب الشاب المحظوظ، والفتاة المحظوظة،

مثلما أمل".

هزّت كاجا رأسها. "لا يوجد شيء لشرب نخبه. ليس بعد. ولا في أي يوم ربما. يا الله! أصغ إليّ".

"لا نملك شيئاً آخر لفعله، أليس كذلك؟ أخبريني المزيد".

"الأمر معقد. إنه معقد. لا أعرف إذا كان يريدني. في الواقع، هذا الجزء دقيق جداً".

"دعيني أحزر. لديه امرأة أخرى، ولا يستطيع التخلي عنها".

تنهدت كاجا. "ربما. أنا لا أعرف بصراحة. أسلاك، شكراً لك على كل مساعدتك، لكني...".

وقف الشرطي: "عليك الذهاب إلى السرير الآن. أتمنى ألا تجري الأمور على ما يرام مع صديقك؛ لترغبني في الهروب من قلبك المحطم والمدينة، ولتعتبرني هذه بمثابة فرصة". مرر لها ورقة A4 معنونة بشعار مركز شرطة هول. قرأتها كاجا وضحكت عالياً. "وظيفة في الأرياف!".

قال أسلاك: "سوف يتقاعد روي ستيل في الخريف، ويصعب العثور على شرطين جيدين. إنه إعلاننا من مركز الشرطة. وضعناه الأسبوع الماضي. يقع مكتبنا في وسط مدينة جيلو. هناك إجازة مرة كل أسبوعين، فيما طبابة الأسنان مجانية".

فيما خلدت كاجا إلى السرير، استطاعت سماع الهدير البعيد. نادراً ما يأتي الرعد والثلج معاً.

اتصلت بهاري فأجابها المحيب الصوتي. تركت له رسالة وجيزة أخبرته فيها عن الدليل المحلي أود أوتمو صاحب الأسنان المهترئة وجسر التقويم، وابنه الذي كان أكثر بشاعة لأن شبجه يجوب في المنطقة منذ ثمانية عشر عاماً. ضحكت. أدركت أنها ليست على ما يرام، فقالت تصبح على خير. حلمت بالانهيارات الثلجية.

كانت الساعة الحادية عشرة صباحاً. غادر هاري وجو غوما عند الساعة السابعة، وعبرا الحدود إلى رواندا من دون أي مشاكل، وكان هاري واقفاً في مكتب في الطابق الأول من مبنى مطار كيغالي. ثمة شرطيان يرتديان البذلة الرسمية نظراً إليه بطريقة سريعة وشاملة. ليس بطريقة غير ودودة، وإنما للتأكد من أنه فعلاً من يزعم: شرطي نروجي. أعاد هاري بطاقته المهنية إلى جيب سترته، وتحسس المغلف الورقي الناعم

بني اللون الذي وضعه هناك. المشكلة هي أنه يوجد اثنان. كيف يمكنك أن ترشوا موظفين دفعة واحدة؟ هل تطلب منهما مشاركة محتويات الظرف وتسالهما بتهذيب ألا يشيا ببعضهما؟

ثمة شرطي، هو نفسه الذي تمعن في جواز سفر هاري قبل يومين، أرجع قبعة الموضوع على رأسه إلى الخلف. "إذاً، تريد نسخة عن بطاقة الهبوط، أليس كذلك؟ هل يمكنك تكرار التاريخ والاسم؟".

"أديل فيتلسين. نعرف أنها وصلت إلى هذا المطار في الخامس والعشرين من شهر نوفمبر. وسوف أدفع أجرة البحث".

تبادل الشرطيان النظرات في ما بينهما، وغادر واحد منهما الغرفة بناء على إشارة الثاني. توجه الشرطي الثاني صوب النافذة، وراقب المدرج، وطائرة DH8 الصغيرة التي هبطت، والتي ستنقل هاري بعد خمس وخمسين دقيقة إلى أول مرحلة من رحلة عودته إلى الوطن.

كرر الشرطي بهدوء: "أجرة البحث! أفترض أنك تعرف أنه لا يجوز رشوة موظف عام، سيد هول. لكنك ظننت ربما: اللعنة، هذه أفريقيا".

انتبه هاري إلى أن بشرة الرجل كانت سوداء جداً لدرجة أنها بدت مثل الطلاء اللامع.

أحسّ بقميصه يلتصق بظهره؛ القميص نفسه. ربما يبيعون قمصاناً في مطار نيروبي؛ إذا وصل إلى هناك.

قال هاري: "هذا صحيح".

ضحك الشرطي واستدار. "رجل قاسي، أليس كذلك؟ أنت رجل قاسي هول؟ لاحظت أنك شرطي عندما وصلت".
"حقاً؟".

"تأملتني بالطريقة نفسها التي تأملتك بها".

هزّ هاري كتفه.

فتح الباب، وجاء الشرطي الآخر برفقة امرأة ترتدي ثياب سكرتيرة وتنتعل حذاء ذا كعب عال مقطّط وتضع نظارة على طرف أنفها.

قالت بلغة إنكليزية ممتازة وهي تتأمل هاري: "أنا آسفة. تحققت من التاريخ. لم تكن هناك من تدعى أديل فيتلسين في تلك الرحلة".
"مم... هل يمكن أن يكون هناك خطأ؟".

"هذا مستبعد. فبطاقات الهبوط يتم حفظها في الإضبارات وفق التواريخ. والرحلة التي تتحدث عنها كانت في طائرة DH8 بسبعة وثلاثين مقعداً آتية من أنتيبي. لذا، لم أحتج إلى الكثير من الوقت للتحقق من الأسماء."

"مم... في هذه الحالة، هل أستطيع أن أطلب منك شيئاً آخر؟"
"يمكنك أن تطلب طبعاً. ما الأمر؟"

"هل يمكنك أن تتحقي إذا كانت هناك نساء أخريات أجنبيات على متن تلك الرحلة؟"

"ولم يجدر بي فعل ذلك؟"

"لأنه تم حجز مقعد لأديل فيتلسين في تلك الرحلة. فإما أن تكون قد استخدمت جواز سفر مزيفاً هنا..."

قال الشرطي المسؤول عن جوازات السفر: "أشك كثيراً في ذلك. نحن نتحقق من كل صور جوازات السفر بعناية فائقة قبل أن يتم مسحها بواسطة آلة تطابق رقم جواز السفر مع السجل الدولي للمنظمة العالمية للطيران المدني."

"... أو أن امرأة أخرى كانت تسافر باسم أديل فيتلسين، وقد استخدمت جواز سفرها الخاص الحقيقي للعبور من هنا. وهذا الأمر محتمل جداً لأنه لا يتم التحقق من أرقام جوازات السفر قبل أن يصعد الركاب إلى متن الطائرة."

قال الشرطي المسؤول عن جوازات السفر، وهو يشدّ قبعته: "صحيح. موظفو شركات الطيران يتحققون فقط من تطابق الاسم والصورة. لهذا السبب، يمكنك الحصول على جواز سفر مزيف مقابل 50 دولاراً في أي مكان في العالم. وعندما تنزل من الطائرة في مقصدك الأخير، وتضطر إلى عبور نقاط التفتيش حيث يتم التحقق من رقم جواز السفر، يتم كشف جوازات السفر المزيفة. لكن السؤال يبقى نفسه: لم يجدر بنا مساعدتك، سيد هول؟ هل أنت هنا في مهمة رسمية؟ وهل تملك الأوراق الداعمة لذلك؟"

كذب هاري قائلاً: "مهمتي الرسمية كانت في الكونغو. لكنني لم أجد أي شيء هناك. أديل فيتلسين مفقودة، ونخشى أن تكون قد قتلت على يد مجرم بالتسلسل قتل قبلاً ثلاث نساء أخريات على الأقل، بينهنّ نائب في البرلمان اسمها ماريت أولسن؛ يمكنك التحقق من ذلك عبر شبكة الإنترنت. أنا مدرك تماماً أنه يجدر بي الآن العودة إلى بلادي واتباع الإجراءات الرسمية، لكننا سنخسر نتيجة لذلك أياماً عدة، وسنعطي القاتل انطلاقة إضافية، والوقت للقتل مجدداً."

لاحظ هاري أن كلماته أثرت فيهم. تشاورت المرأة مع الشرطي المسؤول، ثم غادرت مجدداً.

انتظروا بصمت.

نظر هاري إلى ساعته. لم يحصل بعد على بطاقة الدخول إلى الطائرة. مرّت ست دقائق قبل أن يسمعو صوت طقطقة الكعيبين العالين يقترب منهم. "إيفا روزنبرغ، جوليانا فيرني، فيرونیکا راوول غوينو، وكليز هوبس". لفظت الأسماء، وسوّت نظارتها، ووضعت أربع بطاقات هبوط على الطاولة أمام هاري قبل أن ينغلق الباب وراءها. قالت: "لا تأتي الكثير من النساء الأوروبيات إلى هنا".

تأمّلت عينا هاري البطاقات. جميعهنّ ذكرن فندق كيغالي كمقرّ لإقامتهن، وليس فندق غوريلا. نظر إلى عناوينهن الأصلية. أعطت إيفا روزنبرغ عنواناً في استوكهولم. قال هاري: "شكراً". ودوّن الأسماء والعناوين وأرقام جوازات السفر على الجهة الخلفية لإيصال تاكسي وجده في جيب سترته.

قالت المرأة، وهي ترفع نظارتها مجدداً: "أخشى أننا لا نستطيع مساعدتك أكثر". أجاب هاري: "على الإطلاق. لقد ساعدتني كثيراً، فعلاً". قال الشرطي النحيل الطويل، مع ابتسامة جعلت وجهه الأسود كالليل مشرقاً: "والآن سيدي الشرطي".

"ماذا؟". أجاب هاري وهو مستعد لسحب المغلف الورقي بني اللون. "حان الوقت لتستقلّ الطائرة المتوجهة إلى نيروبي". قال هاري وهو ينظر إلى ساعته: "مم... قد أضطر إلى الذهاب في الرحلة التالية". "الرحلة التالية!". "عليّ العودة إلى فندق غوريلا".

كانت كاجا جالسة في "الدرجة المريحة" في الفطار النروجي، والتي - إذا استثنينا الجرائد المجانية، وكوبين من القهوة المجانية، وقابساً للكمبيوتر المحمول - تعني فعلياً أنك جالس مثل السردين في علبة بدلاً من الدرجات السياحية شبه الفارغة. لذا، عندما رنّ هاتفها ورأت أنه هاري، أسرعت إلى الدرجة السياحية. سألتها هاري: "أين أنت؟".

"في القطار. أعبّر كونغسبرغ في هذه اللحظة. وأنت؟". "في فندق غوريلا في كيغالي. ألقيت نظرة على بطاقة تسجل أدبيل فيتلسين في

الفندق. لن أتمكن من اللحاق برحلة بعد الظهر، لكنني سأعود إلى الوطن غداً صباحاً. هل يمكنك الاتصال بصديقك، صاحب رأس اليقطينة في مركز شرطة درامين، وسؤاله عما إذا كان بوسعنا استعارة البطاقة البريدية التي كتبتها أديل؟ يمكنك سؤاله ليحضرها معه إلى المركز. يتوقف القطار في درامين، أليس كذلك؟".

"أنت تطلب المستحيل. لكنني سأجرب في أي حال. ماذا سنفعل بها؟".
"مقارنة الخط اليدوي. ثمة خبير في الخط اليدوي اسمه جان هيو عمل في كريبوس قبل أن يتقاعد. اطلبي منه الحضور إلى المكتب غداً في الساعة السابعة".
"في هذا الوقت المبكر! هل تظن أنه...؟".

"أنت محقة. سأصور بطاقة تسجل أديل في الفندق، وأرسلها بواسطة البريد الإلكتروني إليك، حيث يمكنك الذهاب إلى منزل جان الليلة وأنت تحملي البطاقتين".
"هذه الليلة؟!".

"سيفرح برؤيتك. وإذا كانت لديك مشاريع أخرى، فستصبح ملغاة".

"رائع. بالمناسبة، أنا آسفة بشأن الاتصال المتأخر الليلة البارحة".

"لا داعي للقلق. قصة مسلية".

"كنت ثملة قليلاً".

"ظننت ذلك".

أنهى هاري المكالمة.

قال: "شكراً على مساعدتك".

ابتسمت موظفة الاستقبال.

وجد المغلف الورقي بني اللون طريقه أخيراً إلى شخص جديد.

ذهبت كجيرستي رودزموين إلى الغرفة المشتركة، وتوجهت صوب المرأة التي تنظر إلى خارج النافذة؛ إلى المطر المنهمر على المنازل الخشبية في ساندفيكن. أمامها قطعة من الحلوى مع شمعة صغيرة عليها.

قالت بهدوء: "تم العثور على هذا الهاتف في غرفتك، كاترين. أحضرته لي الأخت المسؤولة عن القسم. تعرفين أن هذا ممنوع، أليس كذلك؟".

أومأت كاترين برأسها.

قالت رودزموين وهي تمرره لها: "في أي حال. إنه يرن".

أخذت كاترين برات الهاتف الخليوي الذي كان يهتز، وضغطت على زر الإجابة.

قال الصوت في الطرف الآخر: "هذا أنا. حصلت على أسماء أربع نساء هنا. أريد أن أعرف أي واحدة منهن لم تحجز في الرحلة RA101 إلى كيغالي في الخامس والعشرين من شهر نوفمبر، وتلقي التوكيد من أنها ليست مذكورة في نظام الحجز في فندق في رواندا في الليلة نفسها".

"أنا بخير. شكراً آني".

صمت لثانية.

"فهمت، اتصلي بي عند الإمكان".

أعدت كاترين الهاتف إلى رودزموين. "إنها عمتي، وهي تمنى لي ذكرى ميلاد سعيدة".

هزت كجبرستي رودزموين رأسها. "نقول القوانين إنه يمنع استعمال الهواتف. فما من سبب إذاً لكي تحملي هاتفاً، طالما أنك لا تستخدمينه. احرصي على ألا تراه الأخت المسؤولة عن القسم. اتفقنا؟".

أومأت كاترين برأسها، وغادرت رودزموين.

جلست كاترين تنظر عبر النافذة لبرهة، ثم نهضت وتوجهت صوب غرفة التسلية. سمعت صوت الأخت المسؤولة عن القسم يناديها فيما كانت على وشك اجتياز العتبة. "ماذا ستفعلين كاترين؟".

أجابت كاترين من دون أن تلتفت: "سألعب سوليتير".

ليبيغ

أخذ غونار هاغن المصعد نزولاً إلى الطابق الأرضي.
إلى الأسفل. أكثر انحطاطاً، أكثر قمعاً، أكثر تحجيماً.
خرج من المصعد، ومشى عبر الرواق تحت الأرض.

لكن بيلمان وفي بوعده، ولم يتحدث فقط لمجرد الكلام. فقد رسم له مساراً، ومنحه منصباً رفيعاً في كريوس الجديدة والمتوسعة. كان تقرير هاري قصيراً ومقتضباً؛ لا نتائج. ويفترض بأي مغفل أن يدرك أن الوقت قد حان لمباشرة السباحة صوب سترة الإنقاذ.

فتح هاغن الباب الموجود في نهاية الرواق تحت الأرض من دون أن يطرق عليه. ابتسمت كاجا سولنس بلطف فيما لم يلتفت هاري هول - الذي كان جالساً أمام شاشة الكمبيوتر والهاتف على أذنه - وإنما قال جملته الشهيرة: "تفضل سيدي. هل تريد بعض القهوة؟". كما لو أن رئيس قسم الشرطة أعلن عن وصوله الوشيك. وقف هاغن عند الباب. "وصلتني الرسالة بأنكما لم تستطيعا العثور على أدليل فيتلسين. حان الوقت لتوضيب الأغراض. كان يفترض أن يتم ذلك قبل وقت طويل، ونحن بحاجة إليكما في قضايا أخرى. أنت على الأقل، كاجا سولنس".

قال هاري عبر الهاتف: "دانكسخون، غونثر". ثم أنهى الاتصال، وبرم كرسيه. كرر هاغن: "دانكسخون!؟".

قال هاري: "شرطة ليبيغ. بالمناسبة، ترسل لك كاترين برات تحياتها سيدي. هل تذكرها؟".

نظر هاغن إلى المفتش بشك. "ظننت أن برات موجودة في مصحّ عقلي".
قال هاري: "لا شك في ذلك". ثم نهض وتوجه صوب آلة إعداد القهوة. "لكن هذه المرأة عبقرية في البحث عبر شبكة الإنترنت. بالحديث عن الأبحاث، سيدي...".
"الأبحاث!".

"هل يمكنك أن تمنحنا رصيماً مفتوحاً لتمويل بحث؟".

كادت عينا هاغن أن تخرجا من محجريهما، ثم انفجر ضاحكاً. "أنت فعلاً غير معقول، هاري. لقد بددت للتو نصف ميزانية السفر على رحلة فاشلة إلى الكونغو، وها أنت تريد الآن عملية بحث في الشرطة؟ يجب أن ينتهي هذا التحقيق الآن وعلى الفور. هل تفهم؟".

قال هاري وهو يسكب القهوة في كوبين ويعطي هاغن واحداً: "أفهم... كثيراً. وسوف تفهم قريباً أنت أيضاً، سيدي. أمسك بكرسيّ واسمع".

نظر هاغن إلى هاري وكاجا. حدّق بشك في القهوة، ثم جلس. "أمامك دقيقتان". قال هاري: "الأمر بسيط جداً. حسب لوائح الركاب في خطوط بروسلز الجوية، سافرت أديل فيتلسين إلى كيغالي في الخامس والعشرين من نوفمبر. لكن، حسب مركز مراقبة جوازات السفر، لم يدخل إلى البلاد أي شخص بهذا الاسم. ما حصل هو أن امرأة تحمل جواز سفر مزوراً نجحت في السفر من أوصلو باسم أديل. وقد نجحت في الاستفادة من جواز السفر من دون أي مشكلة إلى أن وصلت إلى مقصدها الأخير في كيغالي؛ لأنه تتم هناك مطابقة الرقم والتحقق من جواز السفر باستعمال الكمبيوتر، أليس كذلك؟ يتضح إذاً أن هذه المرأة الغامضة استخدمت جواز سفرها الخاص؛ الذي كان حقيقياً وغير مزور. لا يسأل موظفو مراقبة الجوازات عن الاسم المدوّن على بطاقة السفر، ولذلك لا يتم اكتشاف أي عدم تطابق بين جواز السفر وتذكرة السفر. طالما أن أحداً لا يدقق في ذلك، طبعاً".

"لكنك فعلت".

"نعم".

"ألا يمكن أن تكون هذه مجرد هفوة إدارية؟ ربما نسوا تسجيل وصول أديل؟".

"بالفعل، لكن هناك أيضاً البطاقة البريدية...".

أوماً هاري برأسه إلى كاجا التي رفعت بطاقة. رأى هاغن صورة شيء شبيه ببركان ينبعث منه الدخان.

قال هاري: "تم إرسال هذه البطاقة من كيغالي في اليوم نفسه الذي يفترض أن تصل فيه أديل إلى هناك. لكن، قبل كل شيء، هذه صورة لنيراغونغو؛ وهو بركان موجود في الكونغو، وليس في رواندا. ثانياً، طلبنا من جان هيو أن يقارن الخط اليدوي الموجود في هذه البطاقة مع الخط على بطاقة تسجيل الدخول التي ملأتها أديل فيتلسين المزعومة في فندق غوريلا".

قالت كاجا: "وقد حسم من دون أي شك ما استطعت أنا رؤيته أيضاً. ليس من

كتب على البطاقتين الشخص نفسه".

قال هاغن: "حسناً، حسناً. لكن، إلى أين ستصل بكل هذا؟".

قال هاري: "يبدو أن شخصاً ما بذل جهداً كبيراً لجعل الأمر يبدو وكأن أديل فيتلسين سافرت إلى أفريقيا. أعتقد أن أديل كانت في النروج وأجبرت على كتابة البطاقة. وتم أخذ البطاقة إلى أفريقيا بواسطة شخص آخر تولى إرسالها من هناك؛ كل ذلك لتوليد الانطباع بأن أديل سافرت إلى هناك، وراسلت أهلها للقول إنها التقت رجل أحلامها ولن تعود قبل شهر مارس".

"هل لديك فكرة عمّن قد يكون متحلل الشخصية؟".

"نعم".

"نعم؟".

"وجدت سلطات الهجرة في مطار كيغالي بطاقة باسم جوليانا فيرني. لكن زميلنا العزيز في بيرغن يقول إن هذا الاسم غير مسجل في أي من لوائح الركاب المسافرين إلى رواندا، أو في أي من الفنادق المشتملة على أجهزة حجز إلكترونية عصرية في التاريخ المذكور. غير أنها مسجلة في لائحة ركاب رواندا من كيغالي بعد ثلاثة أيام".

"هل أستطيع أن أعرف كيف اكتسبت كل هذه المعلومات؟".

"لا، سيدي. لكنك تستطيع أن تعرف من هي، وأين هي جوليانا فيرني".

"والجواب؟".

نظر هاري إلى ساعته. "حسب المعلومات المذكورة على بطاقة الهبوط، إنها تعيش في ليبزيغ، ألمانيا. هل ذهبت يوماً إلى ليبزيغ، سيدي؟".

"لا".

"ولا أنا. لكنني أعرف أنها مشهورة لكونها مدينة غوتيه وباخ إضافة إلى أحد ملوك الفالس. ما كان اسمه مجدداً؟".

"وما علاقة ذلك ب...؟".

"حسناً، مثلما ترى، إن ليبزيغ مشهورة أيضاً باحتوائها على الأرشيف الأساسي للستاتسي، أي شرطة الأمن. تقع المدينة في ألمانيا الشرقية. وهل تعرف أنه خلال الأربعين عاماً التي مضت على وجود ألمانيا الشرقية، كان الألمان يتحدثون في الشرق بطريقة تستطيع الأذن الحساسة سماع الاختلاف بينها وبين الطريقة التي يتحدث بها الألمان الغربيون؟".

"هاري...".

"عذراً سيدي. المسألة هي أنه في أواخر شهر نوفمبر، كانت امرأة ذات لكثة ألمانية شرقية في مدينة غوما في الكونغو، وهي على مسافة ثلاث ساعات فقط بالسيارة من كيغالي. وأنا واثق تماماً أنها أثناء وجودها هناك، اشترت سلاح القتل الذي قضى على حياة بورغني ستيم - ميهر وشارلوت لوليس".

قالت كاجا وهي تعطي هاغن ورقة: "حصلنا على نسخة عن الاستمارة التي تحتفظ بها الشرطة عندما يتم إصدار جوازات السفر".

قال هاري: "تتطابق المواصفات مع وصف فان بورست للشارية. تملك جوليانا فيرني شعراً أحمر متموجاً".

قالت كاجا: "باللون الأحمر القرميدي".

قال هاغن: "غفوا؟".

أشارت كاجا إلى الورقة. "تملك واحداً من جوازات السفر القديمة؛ حيث يتم ذكر لون الشعر. أطلقوا عليه اسم الأحمر القرميدي. الدقة الألمانية، مثلما تعلم".

"طلبت أيضاً من الشرطة في ليزيغ أن تصدر جواز سفرها وتؤكد من وجود دمع مطار كيغالي في التاريخ المذكور".

حدق غونار هاغن في الورقة المطبوعة. بدا وكأنه يحاول استيعاب ما قاله له هاري وكاجا. وأخيراً، نظر إليهما وهو يرفع أحد حاجبيه الكثيفين. "هل تقول لي...

هل تقول لي إنك قد تعرف الشخص الذي...". توقف رئيس مركز الشرطة، وكافح لإيجاد طريقة غير مباشرة لقول ذلك، إذ خاف أن تختفي هذه الأعجوبة، أو هذا السراب إذا قال الأمر بصوت عالٍ. لكنه تخلى عن المحاولة... "القاتل بالتسلسل؟".

قال هاري: "أنا لا أقول أكثر مما أقوله. في الوقت الحاضر، سيقوم زميلي في ليزيغ بمراجعة معلوماتها الشخصية وسجلاتها الجرمية الآن، حيث سنعرف قريباً المزيد من المعلومات عن جوليانا فيرني".

قال هاغن: "لكن هذا خبر رائع". ووجه ابتسامة عريضة إلى كل من هاري، وكاجا التي أومأت له بهدف التشجيع.

قال هاري وهو يرتشف القليل من قهوته: "ولكن، ليس بالنسبة إلى عائلة أديل فيتلسين".

اختفت الابتسامة عن وجه هاغن. "صحيح. هل تظن أن هناك أي أمل في...؟".

هزّ هاري رأسه. "إنها ميتة سيدي".

"لكن...".

في تلك اللحظة، رن الهاتف.
أجاب هاري. "نعم، غانثر". ثم كرر مع ابتسامة مصطنعة: "نعم، هاري الحقيق،
غينو".

راقب غونار هاغن وكاجا زميلهما هاري فيما كان يستمع بصمت. أنهى هاري
المحادثة بكلمة "دانكي"، وأعاد السّماع بقرّة، ثمّ تنحنح قبل أن يقول:
"إنها ميتة".

قال هاغن: "نعم، لقد قلت ذلك".
"لا، جوليانا فيرني ميتة. تم العثور عليها في نهر إلستر يوم الثاني من ديسمبر".
شتم هاغن بصوت منخفض.

سألت كاجا: "وما هو سبب الوفاة؟".
حدق هاري في البعيد. "الغرق".
"إنه حادث ربما".

هزّ هاري رأسه ببطء. "لم تغرق في الماء".
في الصمت المدوي الذي سيطر على المكان، سمعوا هدير أجهزة التدفئة في
الغرفة المحاذية.

سألت كاجا: "أبسبب جروح في الفم؟".
أوماً هاري برأسه. "أربعة وعشرون جرحاً على وجه التحديد. تم إرسالها إلى
أفريقيا لتجلب الأداة التي ستقتلها".

وسط

قالت كاجا: "إذاً، تم العثور على جوليانا فيرني ميتة في ليزيغ بعد ثلاثة أيام من عودتها من كيغالي. حيث سافرت باسم أديل فيتلسين، وحجزت غرفة في فندق غوريلا باسم أديل فيتلسين، وأرسلت بطاقة بريدية كتبها أديل فيتلسين الحقيقية، تحت وطأة التهديد ربما".

قال هاري: "هذا ما حصل تقريباً". فيما كان يحضر المزيد من القهوة.

قال هاغن: "وتظن أن فيرني فعلت ذلك بالتعاون مع شخص ما، وقام ذلك الشخص الثاني بقتلها لإخفاء كل الآثار".

قال هاري: "نعم".

"إذاً، تكمن المسألة الآن في إيجاد الرابط بينها وبين ذلك الشخص الثاني. لا يفترض أن يكون ذلك صعباً. فلا بد أنهما كانا قريبين جداً من بعضهما إذا ارتكبا هذا النوع من الجرائم معاً".

"حسناً في هذه الحالة، أظن أن الأمر صعب جداً".

"ولم ذلك؟".

قال هاري، وهو يضع الغطاء على آلة إعداد القهوة، وينقر على زر التشغيل: "لأن جوليانا فيرني تملك سجلاً حافلاً؛ مخدرات، دعارة، تشرد... باختصار، كانت من النوع الذي يسهل استئجاره للقيام بمثل هذه الوظيفة، إذا كان المال مناسباً. وكل شيء لغاية الآن يوحي بأن الشخص الواقف وراء ذلك لم يترك لنا أي آثار، وفكر في كل الجوانب. اكتشفت كاترين أن فيرني سافرت من ليزيغ إلى أوسلو. ومن هناك، سافرت إلى كيغالي باستعمال اسم أديل. إلا أن كاترين لم تعثر على شيء مهم في المحادثات الهاتفية بين هاتف فيرني الخلوي والنروج. لقد كان ذلك الشخص دقيقاً جداً".

هزّ هاغن رأسه بحزن. "كنا قريبين جداً...".

جلس هاري على المكتب. "ثمة معضلة أخرى علينا حلها. نزلت تلك الليلة

في شاليه هافاس".
"ماذا عنهم؟".

"لا يمكننا التفاوضي عن أن الصفحة التي جرى تمزيقها من سجل النزلاء كانت
لائحة بالغة الأهمية. لا بد من تحذيرهم".

"كيف؟! نحن لا نعرف من يكونون".

"عبر وسائل الإعلام. حتى لو عنى ذلك السماح للقاتل بمعرفة أننا تقفينا أثره".
هزّ هاغن رأسه ببطء. "لائحة أسماء. وهل توصلت إلى هذا الاستنتاج الآن؟".
نظر هاري إلى عيني هاغن: "أعرف سيدي. لو لجأت إلى وسائل الإعلام للتحذير
ما إن اكتشفنا أمر شاليه هافاس، لكننا قد أنقذنا حياة الياس سكوغ".
خيم الصمت على الغرفة.

قال هاغن: "لا يمكننا اللجوء إلى وسائل الإعلام".

"لَمْ لا؟".

قالت كاجا: "إذا استجاب أحدهم لإنذار الإعلام، فقد تتمكن من معرفة أسماء
الأخرين الذين كانوا في الشاليه، وقد نعرف ما حصل فعلاً".

قال هاغن وهو يقف: "لا يمكننا اللجوء إلى وسائل الإعلام. نحن نحقق في
قضية شخص مفقود، واكتشفنا روابط بقضية جرمية هي الآن بين أيدي كريبوس. لذا،
علينا نقل المعلومات إليهم وجعلهم يتصرفون. سوف أتصل ببيلمان".

قال هاري: "انتظر! وهل سيأخذ هو كل المفخرة بفضل ما فعلناه نحن؟".

قال هاغن وهو يتوجه إلى الباب: "أنا واثق من أنه لا توجد أي مفخرة لتشاركها،
أليس كذلك؟ ويمكنكما توضيب أغراضكما الآن".

قالت كاجا: "أليس هذا قراراً مستعجلاً قليلاً؟".

نظر الرجلان إليها.

"أفصد. لا يزال هناك شخص مفقود. ألا يجدر بنا محاولة تحديد مكان أدليل
قبل أن ننهي مهمتنا؟".

سأل هاغن: "وكيف ستفعلان ذلك؟".

"مثلما قال هاري سابقاً؛ من خلال البحث".

"لكنكما لا تعرفان حتى أين يجدر بكما البحث".

"هاري يعرف".

نظرا إلى الرجل الذي رفع إبريق القهوة عن الآلة بيد واحدة، وكان يحمل كوبه

تحت السائل البني المغلي باليد الأخرى.

قال هاغن أخيراً: "هل تعرف؟".

أجاب هاري: "نعم، أعرف".

"أين؟".

قال هاري: "سوف تتورط في المشاكل".

قال هاغن: "أخرس، وأخبرني الحقيقة". من دون أن يلاحظ التناقض في ما قاله. لأنه كان يفكر، ها قد فعلتها مجدداً. ما سرّ هذا الشرطي الطويل صاحب الشعر الفاتح الذي ينجح دوماً في جرّ الآخرين معه عندما يغوص في مغامراته؟".

نظر أولاف هول إلى هاري والمرأة الواقعة قربه.

انحنت احتراماً عندما عرّفت عن نفسها، ولاحظ هاري أن والده أحب ذلك. لطالما شكّا من أن النساء توقفن عن الانحناء احتراماً.

قال أولاف: "إذاً، أنت زميلة هاري. هل يحسن السلوك؟".

قال هاري: "نحن في صدد تنظيم مهمة. مررنا فقط للاطلاع على حالك".

ابتسم والده ابتسامة متعبة، وهزّ كتفه، ثم طلب من هاري أن يقترب منه أكثر. انحنى هاري إلى الأمام، وأصغى، ثم أجفل.

قال هاري بصوت خشن مفاجئ وهو ينهض: "ستكون على ما يرام. سوف أعود هذا المساء. اتفقنا؟".

في الرواق، توقف هاري للحديث مع ألتمان، وأشار إلى كاجا لتكمل طريقها.

قال بعدما أصبحت كاجا بعيدة عنهما: "اسمع، كنت أتساءل إذا كان بوسعك أن

تسديني خدمة كبيرة. أخبرني والذي للتو أنه متألم. لن يعترف بهذا أبداً أمامك لأنه

يخشى أن تعطيه المزيد من مسكنات الألم، وهو يملك خوفاً مرضياً من أن يصبح

مدمناً على العقاقير؛ فهناك تاريخ عائلي في هذا الصدد، هل تفهمني؟".

"فهمت". قال الممرض من بين شفثيه المطبقتين، وسادت لحظة ارتباك إلى أن

أدرك هاري ما قاله ألتمان. "المشكلة هي أنني أجوب حالياً بين الأقسام".

"أنا أطلب منك ذلك بمثابة خدمة شخصية".

نظر ألتمان إلى هاري من فوق نظارته، وحدّق بإمعان في نقطة فاصلة بينه وبين

هاري. "سأرى ما يمكنني فعله".

"شكراً".

تولت كاجا قيادة السيارة فيما تحدث هاري عبر الهاتف مع رئيس العمليات في مركز بريسكي للحرائق.

قالت كاجا بعدما أنهى هاري المكالمة: "بيدو والدك رجلاً لطيفاً".
استوعب هاري ذلك. "مم... أمي هي التي جعلته جيداً. عندما كانت على قيد الحياة، كان جيداً. أبرزت أفضل ما فيه".
قالت: "بيدو هذا وكأنه شيء عشته بنفسك".
"ماذا؟".

"أعني أن هناك شخصاً ما جعلك جيداً".
نظر هاري إلى خارج النافذة، وأوماً برأسه.
"أهي راكيل؟".

قال هاري: "راكيل وأوليغ".
"آسفة، لم أقصد أن...".
"لا بأس".

"عندما جئت إلى قسم مكافحة الجرائم، كان الجميع يتحدثون عن قضية رجل الثلج، وعن محاولته قتلهما. لكن علاقتهما انتهت قبل أن تبدأ القضية، أليس كذلك؟".
قال هاري: "نوعاً ما".

"هل أجريت أي اتصال بهما؟".

هزّ هاري رأسه. "توجب علينا جعل الموضوع خلفنا لمساعدة أوليغ على النسيان.
عندما يكون الأولاد صغاراً جداً، فهم يستطيعون النسيان".
قالت كاجا بابتسامة ساخرة: "ليس دوماً".

ألقي هاري نظرة سريعة عليها. "وأنت، من الذي جعلك جيدة؟".
أجابت من دون تردد: "إيفن".
"لا علاقات غرامية مهمة؟".

هزّت رأسها. "ليست ذات أهمية كبيرة. فقط بعض العلاقات البسيطة. وواحدة متوسطة".

"هل حاولت الإيقاع بأحدهم؟".
ضحكت. "الإيقاع بأحدهم!".

ابتسم هاري. "كلماتي قديمة الطراز نوعاً ما في هذا المجال".
ترددت. "أعتقد أنني متعلقة قليلاً برجل".

"وما هي التوقعات؟".

"ضئيلة".

قال هاري، وهو ينزل زجاج النافذة ويشعل سيجارة: "دعيني أحزر. إنه متزوج ويقول لك إنه سيرك زوجته وأولاده من أجلك، لكنه لا يفعل ذلك أبداً".

ضحكت. "دعني أحزر. أنت من النوع الذي يظن أنه بارع جداً في قراءة عقول الآخرين لأنه يذكر فقط المرات التي كان فيها محقاً".

"هل قال إن عليك منحه بعض الوقت؟".

قالت: "أخطأت مجدداً. لم يقل أي شيء".

أوماً هاري برأسه. كان على وشك طرح المزيد من الأسئلة عندما صعقته الحقيقة: لا يريد أن يعرف.

الغوص

طفا الضباب فوق السطح الأسود المتلألئ لبحيرة لايسرن. بمحاذاة ضفة البحيرة، انتصبت الأشجار كما لو أنها شاهدة كثيبة صامتة. كسر الهدوء صوت الأوامر العالية، والأجهزة اللاسلكية، وتناثر الماء فيما قفز الغطاسون من قواربهم المطاطية. لقد بدأوا البحث بالقرب من الشاطئ الأقرب إلى مصنع الجبال. قام رؤساء فرق البحث والتحري بإرسال الغطاسين لديهم في مهمة بحث، وها هم الآن يقفون على اليابسة، ويشطبون المربعات في شبكة البحث المحددة التي رسموها، ويشيرون بواسطة شدّ الجبال متى يريدون من الغطاسين أن يتوقفوا أو يعودوا. يملك أيضاً الغطاسون المحترفون، مثل جارل أندرياسين، أسلاكاً في الأنابيب المتصاعدة من الأقنعة المغطية للوجوه؛ مما يسمح لهم بالبقاء على تواصل شفوي.

مضت ستة أشهر فقط على خضوع جارل لدورة الإنقاذ، ولا يزال نبضه يتسارع بشدة في مثل عمليات الغوص هذه. والنبض المتسارع يعني استهلاكاً أكبر للأوكسجين. لذا، إن الرجال الأكثر خبرة في مركز بريسكي لمكافحة الحرائق يطلقون عليه اسم "الطافي" بسبب اضطراره غالباً إلى الطفو على سطح الماء وتبديل أسطوانات الأوكسجين.

عرف جارل أنه لا يزال هناك ضوء نهار كافٍ في الأعلى، لكن السواد حالك جداً في الأسفل. حاول السباحة وفق النظام المحدد على ارتفاع متر ونصف المتر فوق قعر البحيرة، لكنه أثار رغم ذلك زوبعة من الوحل عكست الضوء من مصباحه وجعلته أعمى جزئياً. ورغم معرفته بوجود غطاسين آخرين على مسافة أمتار قليلة من كلا الجانبين، إلا أنه أحس أنه وحيد؛ وحيد ومتجمد حتى العظام. ولا تزال أمامهم ربما ساعات طويلة من الغوص الإضافي. عرف أنه يملك أوكسجين أقل من الآخرين ولعن نفسه. لا مشكلة لديه في أن يكون أول غطاس من مركز مكافحة الحرائق يبدل أسطوانات الأوكسجين، لكنه خشي أن يضطر إلى الصعود إلى سطح الماء قبل الغطاسين المتطوعين أيضاً. أعاد تركيز انتباهه على ما يراه أمامه وتوقف عن

التنفس. لم يكن ذلك تصرفاً إرادياً لتخفيف استهلاك الأوكسيجين، وإنما لأنه رأى وسط شعاع الضوء المنبعث من مصباحه، بين كومات الأعشاب المتمائلة والنامية في قعر البحيرة الموحد، شيئاً يطفو بحرية؛ شيئاً لا ينتمي إلى هنا، ولا يستطيع العيش هنا؛ شيئاً غريباً. هذا ما جعل المشهد مذهلاً جداً ومخيفاً جداً في الوقت نفسه. أو إن الضوء المنبعث من مصباحه والمسّط على العينين الداكنتين هو الذي جعلهما تبدوان وكأنهما على قيد الحياة.

"هل كل شيء على ما يرام جارل؟".

إنه رئيس الفريق. تقضي إحدى مهامه بالاستماع إلى تنفس غطاسيه. ليس فقط للتأكد من أنهم يتنفسون، وإنما أيضاً لسماع أي إشارات تدلّ على القلق، أو الهدوء المفرط. على عمق عشرين متراً، يبدأ الدماغ بتخزين الكثير من النتروجين، حيث يمكن أن يحصل ما يعرف بالنشوة العميقة، ويعني ذلك أنك تبدأ بنسيان الأشياء، وتصبح تلك المهام البسيطة أكثر صعوبة، ويمكن أن تسبب - في الأعماق الأكثر غمقاً - الدوار، وعدم الوضوح في الرؤية، والسلوك غير العقلاني. لا يعرف جارل ما إذا كانت هذه مجرد إشاعات متداولة، لكنه سمع عن غطاسين نزعوا أفنتهم مع ابتسامته على عمق خمسين متراً. أما النشوة العميقة التي أحس بها شخصياً لغاية الآن فكانت عبارة عن الهدوء الناجم عن احتسائه الشراب الذي استمتع به مع صديقه ليالي السبت.

قال جارل أندرياسين: "كل شيء على ما يرام". وعاود التنفس مجدداً. استنشق مزيج الأوكسيجين والنتروجين، وسمع الهواء يمرّ عبر أذنيه، فيما أطلق دفقاً من الفقاع التي شقت طريقها بصعوبة نحو السطح.

إنه أيل أحمر كبير. كان يتدلى رأساً على عقب، وبدا وكأن قرنيه الكبيرين قد علقا بصخرة. لا بد أنه كان يأكل على ضفة البحيرة ووقع، أو أن شيئاً أو شخصاً طارده إلى الماء. وإلا، ما هو سبب وجوده هنا؟ لقد علق ربما في نباتات الأسفل والأعناق الطويلة لسوسن الماء، وحاول تحرير نفسه، فما كان منه إلا أن علق أكثر فأكثر في برائن المجسات الخضراء القاسية. ولا بد أنه نزل بعدها تحت سطح الماء وتصارع مع النباتات إلى أن غرق، فاستقرّ في القعر، وبقي هناك إلى أن ملأته البكتيريا وكيمياء الجسم بالغازات وجعلته يرتفع نحو الأعلى مجدداً، لكن القرنين علقا في شبكة النباتات الخضراء الموجودة في الأسفل. خلال أيام قليلة، تؤدي الغازات إلى غرق الجثة مجدداً ونزولها إلى القعر. تماماً مثل الجسم البشري الذي يغرق. الشيء نفسه حصل على الأرجح مع الشخص الذي يبحثون عنه، ولهذا السبب لم يتم العثور

على الجثة. لم تطفُ الجثة مطلقاً على سطح الماء. في هذه الحالة، إنها مستلقية هنا في مكان ما، ومغطاة ربما بطبقة من الوحل. الوحل الذي تصاعد إلى الأعلى على شكل دوامة مع اقترابهم؛ ما يعني أنه حتى مثل هذه المساحات المحددة في البحث تبقي أسرارها مخفية إلى الأبد.

أخرج جارل أندرياسين سكين الغوص الكبيرة، وسبح صوب الأيل، وقطع النباتات التي تلتف حول القرنين. عرف جيداً أن مديره لن يحب ذلك، لكنه لم يستطع تحمل فكرة بقاء هذا الحيوان الجميل تحت الماء. ارتفعت الجثة نصف متر، لكن هناك المزيد من النباتات التي تعيقها. حرص جارل على عدم السماح لحبل النجاة خاصته بأن يعلق بين النباتات، وعمد إلى قصها بسرعة، ثم أحسّ بشيء يشدّ الحبل؛ شيء قاسٍ كفاية ليجعله يشعر بالتوتر، قاسٍ كفاية ليجعله يفقد التركيز لبرهة. انزلت السكين من يده. وجه مصباحه إلى الأسفل، ولمح نصل السكين؛ قبل أن تضع تماماً في الوحل. سبح بحذر في اتجاهها. غرز يده في الوحل، ورفعها صوبه، ثم تلمس طريقه في القعر. أحس بالحجارة، والأغصان، والمواد المنزقة والمتعفنة والخضراء، و... وشيء قاسٍ. إنها سلسلة من قارب ربما. المزيد من السلاسل، وشيء آخر صلب، حواف شيء ما. فتحة، ثقب. سمع الصوت المفاجئ لفقاقيع الهواء، قبل أن يستوعب دماغه الفكرة؛ إنه خائف.

"هل كل شيء على ما يرام جارل؟ جارل؟".

لا، لم يكن كل شيء على ما يرام. لأنه رغم القفازين السميكين، ورغم عجز دماغه عن امتصاص كمية كافية من الهواء، لم يساوره الشك مطلقاً في المكان الذي وصلت إليه يده؛ الفم المفتوح لجثة بشرية.

القسم الرابع

الطائرة المروحية

وصل مايكل بيلمان إلى البحيرة بواسطة طائرة مروحية. حوّلت المروحة الدوارة الضباب إلى رذاذ ناعم فيما اندفع بسرعة، منحني القامة، من مقعد الركاب صوب مصنع الحبال مروراً بالحقل. لحق به كولكا وبيفيس بمشية سريعة. ومن الاتجاه المعاكس، جاء أربعة رجال ينقلون حمالة. أوقفهم بيلمان ورفع البطانية. أدار حاملو الحمالة رؤوسهم جانباً، فيما انحنى بيلمان فوق الحمالة، وتأمل بإمعان الجثة العارية البيضاء المتنفخة. قال: "شكراً لكم". وسمح لهم بمتابعة طريقهم صوب المروحية.

توقف بيلمان عند أعلى المنحدر، ونظر إلى الأشخاص الواقفين في الأسفل بين المبنى والماء. بين الغطاسين الذين كانوا يحررون أنفسهم من معداتهم ويخلعون بذلاتهم، استطاع رؤية بتي لون وكاجا سولنس. وعلى مسافة أبعد، رأى هاري هول يتحدث إلى رجل، خمن بيلمان أنه سكاى؛ المدير المسؤول هنا.

أشار رئيس قسم الشرطة إلى بيفيس وكولكا لينتظراه، ونزل المنحدر بخطوات رشيقة.

قال بيلمان وهو ينفذ العيدان العالقة بمعطفه الطويل: "مرحباً سكاى. أنا مايكل بيلمان من كريوس. تحدثنا عبر الهاتف".

قال سكاى: "صحيح. ليلة عثر رجاله على جبل معين هنا". وأشار بإبهامه صوب هاري.

قال بيلمان: "والآن يبدو أنه عاد إلى هنا مجدداً. السؤال هو طبعاً: ماذا يفعل في مسرح جريمة يخصني؟".

قال هاري متنحنحاً: "حسناً. أولاً، بالكاد يعتبر هذا مسرح جريمة. ثانياً، أنا أبحث عن شخص مفقود، ويبدو أنني عثرت على من كنت أبحث عنه. كيف تجري الأمور في الجريمة الثلاثية؟ هل وجدتم أي شيء؟ حصلتم على معلوماتنا بشأن شاليه هافاس، أليس كذلك؟".

وجه المدير المسؤول عن المنطقة نظرة سريعة إلى بيلمان، ثم انسحب بهدوء.

راقب بيلمان البحيرة، فيما مرر سباته على شفته السفلية كما لو أنه يفرك مرهماً معيناً. "حسناً، هول، أنت تدرك تماماً أنك ومديرك المسؤول، غونار هاغن، لم تفقداً فقط وظيفتيكما، وإنما سيتم اتهامكما أيضاً بالتقصير في أداء الواجب".

"م... الأنا نؤدي المهمة التي أوكلت إلينا؟".

"أعتقد أن وزير العدل سيطلب الكثير من الشرح المفصل حول سبب شروعك أساساً في البحث عن شخص مفقود مباشرة خارج مصنع الحبال الذي زوّد القاتل بالحبل المستخدم في قتل ماريت أولسن. أعطيتكم فرصة يا جماعة قسم مكافحة الجرائم. لن تحصلوا على فرصة أخرى. انتهت اللعبة هول".

"حسناً، سنضطرّ إذاً إلى إعطاء وزير العدل تفسيراً مفصلاً، بيلمان. بطبيعة الحال، سينطوي ذلك على معلومات حول كيفية اكتشافنا مصدر الحبل، وكيفية تقفينا أثر الياس سكوغ وشاليه هافاس، وكيفية اكتشافنا أنه توجد ضحية رابعة اسمها أديل فيتلسين، وكيفية عثورنا عليها هنا اليوم. إنها مهمة أخفقت كريبوس - بكل رجالها ومواردها - في إنجازها خلال أكثر من شهرين. اتفقنا بيلمان؟".

لم يجب بيلمان.

"خشيت أن يؤثر ذلك في قرار وزير العدل لناحية اختيار الشخص الأنسب للتحقيق في الجرائم في هذه البلاد، أليس كذلك؟".

"لا تتناول عليّ هول، وإلا فسأسحقك... هكذا". وثنى بيلمان أصابعه.

قال هاري: "حسناً. لم يربح أي منا في المعادلة. فما رأيك لو تنازلت عن كل شيء؟".

"ماذا تقصد!؟".

"تحصل على كل شيء؛ كل ما نملكه، ولا نحظى بأي تقدير على أي شيء".

نظر بيلمان إلى هاري بإمعان. "ولمّ تحاول مساعدتنا؟".

قال هاري، وهو يسحب آخر سيجارة من العلبة: "الأمر بسيط؛ تم دفع المال لي لأساعد في إلقاء القبض على القاتل. هذه مهمتي".

كشّر بيلمان، وتحرك رأسه وكتفاه كما لو أنه يضحك، ولكن من دون أن يصدر أي صوت. "ها هول، ماذا تريد؟".

أشعل هاري سيجارته. "لا أريد أن يتحمل غونار هاغن أو كاجا سولنس أو بيورن هولم عواقب ذلك. لن تتأثر مشاريعك في مركز الشرطة".

ضغط بيلمان على شفته السفلية بين الإبهام والسبابة. "سأرى ما يمكنني فعله".

"وأريد أن أكون جزءاً من هذا. أريد النفاذ إلى كل المواد التي تملكها وكل الموارد الضرورية للتحقيق".

قال بيلمان وهو يرفع يده: "هذا يكفي. هل لديك مشكلة في السمع هول؟ طلبت منك أن تبقى بعيداً عن هذه القضية".

"يمكننا إلقاء القبض على هذا القاتل بيلمان. وفي الوقت الحاضر، يفترض أن يكون هذا أكثر أهمية من اسم الشخص المسؤول عن العملية، أليس كذلك؟".

صرخ بيلمان: "ألا...". لكنه توقف عندما رأى رأسين يلتفتان صوبهما. اقترب خطوة إضافية من هاري وأخفض صوته. "لا تتحدث إليّ وكأنني مغفل هول".

دفع الهواء بدخان سيجارة هاري إلى وجه بيلمان، ولكنه لم يتحرك. هزّ هاري كتفه.

"أتعرف شيئاً بيلمان؟ لا أظن أن لهذا علاقة كبيرة بالسلطة أو السياسة. أنت ولد صغير يريد أن يكون البطل الذي ينقذ الآخرين. الأمر بهذه البساطة. وتخشى أن أدمر أنا هذه البطولة. لكن، ثمة طريقة بسيطة لحل ذلك. ما رأيك في فك السحاب

لنرى من يستطيع التبويل لأبعد مسافة وصولاً إلى مكان الغطاسين؟".

عندما ضحك مايكل بيلمان هذه المرة، كانت ضحكة حقيقية، فيها حجم وكل شيء. "يفترض بك أن تقرأ علامات الإنذار هاري".

ثم ارتفعت يده اليمنى بسرعة كبيرة، لدرجة أن هاري لم يستطع التصرف، وسحب السيجارة من بين شفتي هاري ورماها بعيداً، فارتطمت بسطح الماء مصدرة صوت

هسيس.

"التدخين قاتل. طاب يومك".

سمع هاري المروحية تقلع بعيداً، فيما شاهد آخر سيجارة له تطفو على سطح الماء؛ الورق الرمادي الرطب والطرف الأسود المنطفيء.

بدأ الظلام يهبط فيما أوصل مركب فريق الغطس كلاً من هاري وكاجا وبتي إلى اليابسة قرب مرأب السيارات. حصلت حركة مفاجئة بين الأشجار، لحقها وميض كاميرات. رفع هاري ذراعه بطريقة فطرية، وسمع صوت روجر غيندم يخرج من العتمة.

"هاري هول، ثمة شائعات تسري بأنك عثرت على جثة امرأة شابة. ما اسمها؟ وكم أنت واثق من أن هذا مرتبط بالجرائم الأخرى؟".

قال هاري، وهو يشق طريقه شبه معمي: "لا تعليق. في الوقت الحاضر، هذه

قضية شخص مفقود. والشيء الوحيد الذي نستطيع قوله هو أن المرأة التي عُثِرَ عليها قد تكون الشخص المفقود. وبالنسبة إلى الجرائم التي أفترض أنك تشير إليها، تحدث إلى كريوس".

"ما اسم المرأة؟".

"يجب أن يتم التعرف عليها أولاً وإبلاغ أقاربها".

"لكنك لا تنفي احتمال...".

"كالعادة، أنا لا أنفي احتمال أي شيء، غيندم. ثمة مؤتمر صحافي وشيك".
دخل هاري إلى السيارة، وكانت كاجا قد أدارت المحرك، فيما جلست بتي لون على المقعد الخلفي. انطلقوا على الطريق الأساسي، فيما وميض الكاميرات يلمع خلفهم.

قالت بتي لون، وهي تنحني إلى الأمام بين المقعدين الأماميين: "والآن، لم أحصل بعد على أي شرح حول كيف أفضى بحثكما عن أديل فيتلسين إلى هنا".

قال هاري: "المنطق الاستنتاجي البسيط والنقي".

تنهدت بتي قائلة: "لا شك في ذلك".

قال هاري: "في الواقع، أشعر بالإحراج لأنني لم أتوصل إلى ذلك قبلاً. رحلت أتساءل عن سبب بذل القاتل ذلك الجهد باجتيازه كل تلك المسافة وصولاً إلى مصنع جبال قديم لمجرد الحصول على قطعة جبل. خصوصاً وأن هذا الجبل - على عكس ما كان بوسعه شراؤه من متجر - يمكن تعقب أثره إلى هنا. الجواب كان طبعاً بدهياً. لكن، عندما جلست وأنا أنظر إلى بحيرة أفریقیة عميقة، أدركت الأمر. لم يأت إلى هنا من أجل الجبل. إذًا، لا بد أنه استعمل الجبل لشيء هنا، إذ صودف وجوده، ومن ثم أخذه معه إلى منزله حيث استعمله لاحقاً لقتل ماريت أولسن. السبب الذي جاء به إلى هنا هو وجود جثة يجدر به التخلص منها. أديل فيتلسين. الرجل المحلي، سكاى. أخبرنا بالأمر أول مرة جئنا فيها إلى هنا. هذا هو الطرف العميق من البحيرة. ملأ القاتل جيوبها بالصخور، وربط الخصر والساقين بحبل، ثم أنزلها إلى القعر.

"وكيف تعلم أنها كانت ميتة قبل أن يأتي بها إلى هنا؟ يحتمل أنه أغرقها"

"كان هناك جرح كبير حول عنقها. أراهن أن تشريح الجثة سيوضح أنه لا يوجد

أي ماء في رثتها".

قالت بتي: "وأن الكيتانوم موجود في دمها؛ تماماً كما هي الحال مع شارلوت

وبورغني".

قال هاري: "أخبروني أن الكيتانوم مخدّر سريع المفعول. غريب أنني لم أسمع به قبلاً".

قالت بتي: "ليس هذا غريباً جداً. فهو شكل قديم ورخيص من الكيتالار الذي يستخدم لتخدير المرضى مع ميزة إضافية؛ وهي أنهم يبقون قادرين على التنفس بمفردهم. تم حظر استعمال الكيتانوم في الاتحاد الأوروبي والنروج في حقبة التسعينيات بسبب التأثيرات الجانبية، ولذلك يمكن رؤيته الآن عموماً في الدول النامية. اعتبرت كريبوس هذا الأمر بمثابة دليل مهم لفترة، لكنها لم تتوصل إلى أي شيء من خلاله".

حين أوصلا بتي أمام كريمتكينسك في براين بعد أربعين دقيقة، طلب هاري من كاجا أن تنتظره ونزل من السيارة.

قال هاري: "ثمة أمر أردت سؤالك عنه".

قالت بتي: "أوه حقاً؟". وهي ترتجف وتفرك يديها ببعضهما.

"ماذا كنت تفعلين في مسرح جريمة محتمل؟ لماذا لم يكن بيورن هناك؟".

"لأن ييلمان كلّف بيورن بمهام خاصة".

"وما الذي يعنيه ذلك؟ تنظيف المراحيض؟".

"لا. تنسيق كريمتكينسك وتصميم استراتيجي".

رفع هاري حاجبيه. "ماذا؟! هذه ترقية مهمة".

هزّت بتي كتفها. "بيورن جيد. لم يحصل ذلك منذ وقت طويل. هل من شيء

آخر؟".

"لا".

"وداعاً".

"وداعاً. أوه بالمناسبة، لحظة من فضلك. طلبت منك أن تخبري ييلمان عن

المكان الذي عثرنا فيه على الجبل. متى نقلت إليه الرسالة؟".

"اتصلت بي ليلاً - حسبما أذكر - ولذلك انتظرت حتى صباح اليوم التالي.

لم هذا السؤال؟".

قال هاري: "ما من سبب. ما من سبب".

عندما صعد إلى السيارة، وضعت كاجا هاتفها بسرعة في جيبتها.

قالت: "صدرت أخبار عن الجثة في موقع أفتنبوستن".

"أوه حقاً؟".

"يقولون إن هناك صورة كبيرة لك مع اسمك الكامل، إضافة إلى عبارة تقول إنك "ترأس التحقيق". وطبعاً، تم ربط هذه القضية بالجرائم الأخرى".
"إذاً، هذا ما يفعلونه. مم... هل أنت جائعة؟".
"قليلاً".

"هل لديك أي مشاريع؟ إذا لم يكن لديك أي شيء، فأنا أدعوك لتناول وجبة معي".

"رائع. أين؟".

"مطعم إكبرغ".

"أوه. هذا رائع. هل من سبب معين دفعك إلى هذا الاختيار؟".

"حسناً، تذكرته عندما كان صديق لي يعيد سرد حكاية قديمة".

"أخبرني".

"ما من شيء لأخبرك به، وإنما مجرد أمور المراهقة...".

"المراهقة! هيا!".

فهقه هاري. فيما اقتربا من وسط المدينة وبدأ الثلج يتساقط على جسر إكبرغ، أخبرها هاري عن "الملكة القاتلة"، محبوبة مطعم إكبرغ الذي كان قبلاً المبنى الوظيفي الأكثر جاذبية في أوصلو. وها قد عاد مجدداً اليوم بعد أن تم تجديده.

"لكن في الثمانينيات، كان المطعم متهدماً جداً؛ لدرجة توقف الناس عن زيارة المكان. أصبح مطعماً رخيصاً للرقص؛ حيث يدخل الشخص ويجلس أمام طاولة ويطلب المتعة، محاولاً عدم إيقاع الكؤوس الزجاجية. ويقوم بعدها الأشخاص للرقص والتدافع".

"فهمت".

"كنت وأويستن وتريسكو نذهب إلى أعلى المتاريس الألمانية في شاطئ نوردستراند، ونحتسي الشراب، ومنتظر وصولنا إلى سن البلوغ. عندما أصبحنا في السابعة عشرة، تجرأنا على الدخول إلى المطعم، وكذبنا بشأن عمرينا ودخلنا. لم تكن هناك حاجة إلى الكذب كثيراً لأن المكان احتاج إلى أي مال نقدي ممكن الحصول عليه. كانت فرقة الرقص كريهة الرائحة، لكنها عزفت على الأقل "الليالي في الساتان الأبيض". وكانت هناك نجمة جذابة تتواجد كل ليلة تقريباً. أطلقنا عليها لقب الملكة القاتلة. كانت أنثى مذهلة".

ضحكت كاجا. "أنثى مذهلة! هل حاولت الإيقاع بها؟".

قال هاري: "نعم. كانت تتقدم مثل السفينة العملاقة المنطلقة بأقصى سرعتها، وكانت جذابة ومخيفة جداً؛ مجهزة مثل مدينة الملاهي. ومنحنياتها مثل السكة الأفعوانية".

ضحكت كاجا بصوت أعلى. "مدينة الملاهي المحلية؟"

قال هاري: "نوعاً ما. لكنها كانت تذهب إلى مطعم إكبرغ أساساً لتتم مشاهدتها وتأملها؛ حسبما أظن. وللحصول على الشراب المجاني من ملوك الرقص طبعاً. لم يشاهد أي كان الملكة القتالة وهي تذهب مع أي رجل إلى المنزل. هذا ما كان يبهرننا ربما. امرأة تملك عصابة كاملة أو اثنتين من المعجبين، لكنها بقيت محافظة على بعض الرقي نوعاً ما".

"وماذا بعد ذلك؟"

"قال أويستن وتريسكو إن كل واحد منهما سيشتري لي شراباً إذا تجرأت على الطلب إليها أن ترقص معي".

عبرا خط الترام وصعدا الهضبة العالية وصولاً إلى المطعم.

قالت كاجا: "و؟"

"تجرأت".

"وبعدها؟"

"رقصنا، إلى أن قالت إنها سئمت من دوس الآخرين على قدميها، وإنه من الأفضل لو قمنا بالتنزه معاً. غادرت المطعم قبلي. كانت ليلة صيفية حارة من شهر أغسطس، ومثلما تلاحظين، لا توجد إلا الغابات هنا. أوراق نباتات كثيفة، والكثير من المسارات المؤدية إلى أماكن مخفية. كنت ثملاً، وإنما متحمساً جداً؛ حيث عرفت أنها ستمكن من سماع الارتجاف في صوتي إذا قلت أي شيء. لذا، أبقيت فمي مغلقاً. وكان هذا جيداً، إذ تولت هي كل الكلام. والباقي أيضاً. بعد ذلك، سألتني إذا كنت أريد الذهاب معها إلى المنزل".

ضحكت كاجا ضحكة مكبوتة. "أوه. وماذا حصل هناك؟"

"يمكننا التحدث عن ذلك أثناء تناولنا وجبة الطعام. ها قد وصلنا".

أوقفا السيارة في مرأب السيارات، وخرجا وصعدا الدرج المؤدي إلى المطعم. رحب بهما النادل المسؤول عند مدخل قاعة الطعام، وسألهما عن الاسم. أجاب هاري أنهما لم يحجزا طاولة.

بالكاد استطاع النادل كبح نفسه من برم عينيه.

قال هاري وهما يخرجان بعدما اشترى علبة سجائر: "المكان محجوز طوال الشهرين القادمين. أظن أنني أحببت المكان أكثر عندما كانت المياه ترتشح في المطعم والجرذان تنظر إليك من وراء الحمامات. على الأقل، كان بوسعنا الدخول".
اقتربت كاجا قائلة: "فلندخن سيجارة".

مشياً صوب الجدار القرميدي المنخفض حيث تنزلق الغابة نزولاً صوب أوصلو. كانت الغيوم في الغرب مرقعة بالبرتقالي والأحمر، فيما أرتال السيارات على الطريق السريع تتلألاً مثل الوميض الفوسفوري أمام سواد المدينة. قال هاري لنفسه إنه يبدو وكأنه مستلق هناك، ينتظر. وحش مموه. أخرج سيجارتين من العلبة، وأشعلهما، ثم مرر واحدة إلى كاجا.

قالت كاجا، وهي تمج السيجارة: "بقية القصة".
"إلى أين وصلنا؟".

"أخذتك الملكة القاتلة إلى المنزل".

"لا، سألتني إذا كنت أريد الذهاب، واعتذرت بتهذيب".
"اعتذرت؟! أنت تكذب. لماذا؟".

"سألني أويستن وتريسكو هذا السؤال عندما عدت، فأخبرتهما أنني لا أستطيع المغادرة هكذا فيما أملك صديقين وشراباً مجانياً في انتظاري".
ضحكت كاجا ونفخت دخان السيجارة عالياً.

قال هاري: "لكن هذه كانت كذبة طبعاً. فلا علاقة أبداً للإخلاص بالأمر. الصداقة لا تعني أي شيء للرجل إذا كان يملك عرضاً مغريباً. لا شيء. الحقيقة هي أنني لم أجزؤ. الملكة القاتلة كانت ببساطة ضمن المجموعة المخيفة بالنسبة إلي".
جلسا بصمت لبرهة، وهما يستمعان إلى هدير المدينة، ويراقبان الدخان يتصاعد إلى الأعلى.

قالت كاجا: "أنت تفكر".

"مم... أفكر في بيلمان. كم هو حسن الاطلاع على الأخبار. لم يعرف فقط أنني آتٍ إلى النروج، وإنما عرف أيضاً ما هو رقم الرحلة".
"ربما يملك بعض الاتصالات في المقر الرئيس لمركز الشرطة".

"مم... وفي بحيرة لايسرن اليوم، قال سكاى إن بيلمان اتصل به بشأن الجبل في الليلة نفسها التي كنا فيها في مصنع الجبال".
"حقاً!؟".

"لكن بني تقول إنها لم تخبر بيلمان عن الجبل إلا في صباح اليوم التالي".
لحق هاري بوميض التبغ في رحلته فوق المنحدر. "وتمت ترقية بيورن إلى رتبة منسق
للأدلة الجنائية والتخطيط الاستراتيجي".

حدقت به كاجا متفاجئة. "ليس هذا ممكناً هاري!".

لم يجب.

"بيورن هولم! هل كان يبلغ بيلمان بما فعله؟ لقد عملتما معاً لوقت طويل.
أنتما... صديقان!".

هزّ هاري كتفه. "مثلما قلت، أعتقد...". وأوقع سيجارته أرضاً، وسحقها بكعب
حذاءه. "... الصداقة لا تعني أي شيء لرجل إذا كان يملك عرضاً مغريباً. هل تجرؤين
على الانضمام إليّ لتناول الوجبة الخاصة اليوم في مطعم شرودر؟".

أحلم طوال الوقت الآن. كان ذلك صيفاً، وأحببتها. كنت صغيراً جداً، وظننت
أن المرء إذا أراد شيئاً بقوة فسيكون حتماً له.

أدبل، كنت تملكين ابتسامتها وشعرها وقلبها الخائن. والآن، يقول موقع
"أفنبوستن" إنه تم العثور عليك. أتمنى أن تكوني قدرة من الخارج مثلما كنت من
الداخل.

يقولون أيضاً إن المفتش هاري هول استلم القضية. كان هو من ألقى القبض
على رجل الثلج. هناك أمل ربما. قد تستطيع الشرطة إنقاذ حيوات في النهاية؟
طبعت صورة لأدبل من موقع فيردنز غانغ في شبكة الإنترنت وثبتها على الجدار،
بالقرب من الصفحة الممزقة من سجل النزلاء في شاليه هافاس. بالإضافة إلى اسمي
أنا، لا تزال هناك ثلاثة أسماء فقط الآن.

لمحة مختصرة

الوجبة الخاصة في مطعم شرودر كانت بطاطا مع الخضار، وجرى تقديمها مع البيض المقلي والبصل النيء.
قالت كاجا: "لذيذة".
وافقها هاري الرأي. "لا بد أن الطاهي كان رزيناً اليوم". ثم أشار بإصبعه.
"انظري".

استدارت كاجا، ونظرت إلى شاشة التلفاز التي كان هاري يشير إليها.
قالت: "حسناً، مرحباً".

ملاً وجه مايكل بيلمان الشاشة، وأشار هاري إلى ريتا بأنها يرغبان في رفع الصوت. تأمل هاري حركات بيلمان؛ القسمات الناعمة شبه الأنثوية، والبريق في العينين البنيتين تحت الحاجبين الكثيفين المرسومين بأناقة. البقع البيضاء - مثل المطر المتجمد على بشرته - لم تشوّهه، بل على العكس، جعلت النظر إليه أكثر متعة؛ تماماً مثل الحيوان غريب المظهر. ولو لم يكن رقمه خارج دليل الأرقام الهاتفية - كما هي الحال مع معظم رجال التحري - لكان هاتفه قد امتلأ بالمراسلات الغرامية. ثم جاء الصوت.
"... في شاليه هافاس ليلة السابع من نوفمبر. لذلك نحن نطلب منكم، أنتم الذين كنتم موجودين هناك، أن تأتوا إلى مركز الشرطة بأسرع ما يمكن".

ثم عاود مذيع الأخبار الظهور، وتم إكمال نشرة الأخبار.
دفع هاري طبقه بعيداً، ولوّح طلباً للقهوة. "أخبريني عن رأيك بهذا القاتل بعد أن عثرنا الآن على أدليل. أعطيني لمحة مختصرة عنه".
سألت كاجا، وهي ترتشف الماء من كوبها: "لماذا؟ بدءاً من الغد، سنعمل على قضايا أخرى".

"لمجرد التسلية".

"وهل إعطاء لمحة عن القتلة بالتسلسل يأتي ضمن تعريفك للتسلية؟".
وضع هاري عود أسنان في فمه. "أعرف أن ثمة جواباً جيداً على ذلك، لكنني

لا أستطيع إيجاده".

"أنت مريض".

"إذاً، من يكون؟".

"أولاً، لا يزال رجلاً. ولا يزال قاتلاً بالتسلسل. لا أعتقد بالضرورة أن أدليل كانت الضحية الأولى".

"ولم لا؟".

"لأن الجريمة كانت خالية تماماً من العيوب، حيث إن رأسه كان صافياً على الأرجح. عندما يقتل المرء لأول مرة، لا يكون عقله صافياً هكذا. بالإضافة إلى ذلك، خبأها جيداً حيث لا نستطيع العثور عليها. يوحي ذلك بأنه قد يكون السبب وراء اختفاء العديد من الأشخاص حالياً".

"جيد. ماذا أيضاً؟".

"لا شيء...".

"هيا. لقد قلت للتو إنه كان بارعاً في إخفاء أدليل فيتلسين. الأولى بين ضحايا الجرائم التي نعرف شيئاً عنها. كيف تطورت بقية الجرائم؟".

"أصبح أكثر جرأة وأكثر ثقة في نفسه، وتوقف عن إخفاء الضحايا. تم العثور على شارلوت خلف سيارة في غابة، وبورغني في قبو تحت مبنى مكاتب في وسط المدينة".

"وماريت أولسن؟".

فكرت كاجا في ذلك. "لقد أفرط في الوقاحة، فقد السيطرة على نفسه".

قال هاري: "أو... انتقل إلى المستوى التالي. أراد أن يظهر للجميع كم هو ذكي، ولذلك بدأ يعرض ضحاياها. جريمة ماريت أولسن في فروغرن ليدو صرخة كبيرة للفت الانتباه، لكن توجد أدلة قليلة لناحية فقدان السيطرة في التنفيذ. الحبل الذي استخدمه كان غير متقن، لكن ما عدا ذلك، لم يترك لنا أي آثار. هل توافقتني الرأي؟".

فكرت وهزت رأسها.

قال هاري: "هناك أيضاً الياس سكوغ. هل اختلف أي شيء هنا؟".

قالت كاجا: "عذب الضحية بالموت البطيء. السادية لديه كشفت عن نفسها".

قال هاري: "تفاحة ليوبولد أيضاً أداة تعذيب. لكنني أوافقك الرأي بأن جريمة قتل الياس هي المرة الأولى التي نرى فيها سادية. في الوقت نفسه، كان ذلك خياراً واعياً، كشف عن نفسه. لم يسمح للآخرين بفعل ذلك. لا يزال هو من يدير العرض،

وهو المسؤول عن كل شيء".

تم وضع إبريق القهوة والكوبين أمامهما.

قالت كاجا: "لكن...".

"نعم؟".

"أليس غريباً قليلاً أن يقوم القاتل السادي بمغادرة مسرح الجريمة قبل أن يشهد على معاناة الضحية وموتها في النهاية؟ حسب ما قالته السيدة صاحبة المنزل، استطاعت سماع أصوات الضرب من الحمام بعدما غادر الضيف. هرب... هذا مضحك، أليس كذلك؟".

"نقطة جيدة. ماذا لدينا إذا؟ سادي زائف! ولماذا يتظاهر بذلك؟".

قالت كاجا بحماسة: "لأنه يعرف أننا سنحاول تحديد لمحة مختصرة عنه، مثلما نفعل الآن. ثم سنذهب للبحث عنه في الأمكنة الخاطئة".

"مم... ربما. إنه قاتل متكلف في هذه الحالة".

"أوه، ما رأيك أيها الحكيم الموقر؟".

صَبَّ هاري القهوة. "إذا كان فعلاً قاتلاً بالتسلسل، فأنا أعتقد أن الجرائم موزعة بشكل جيد".

انحنى كاجا فوق الطاولة، ولمعت أسنانها المستدقة فيما همست: "هل تظن أنه قد لا يكون قاتلاً بالتسلسل؟".

"حسناً، ثمة توقيع مفقود. في العادة، تكون هناك جوانب خاصة في الجريمة تحفز القاتل بالتسلسل، وبالتالي فإن بعض الأمور تتكرر. ونحن لا نملك هنا أي أدلة تشير إلى أن القاتل قد فعل أي شيء جنسي خلال عملية القتل. ولا يوجد تشابه في الطرق المستخدمة؛ باستثناء قتل بورغني وشارلوت بواسطة تفاحة ليوبولد. مسارح الجريمة مختلفة تماماً، وكذلك الضحايا. فالضحايا من كلا الجنسين، ومن أعمار مختلفة، ومن خلفيات اجتماعية مختلفة، بأجسام مختلفة".

"لكن، لم يتم اختيارهم عشوائياً. فقد أمضوا جميعاً الليلة نفسها في الشاليه نفسه".

"بالضبط. ولهذا السبب، لست مقتنعاً تماماً بأننا أمام قاتل كلاسيكي بالتسلسل. أو بالأحرى، لسنا أمام حافز كلاسيكي للقتل. عند القتل بالتسلسل، يكون القتل نفسه عموماً حافزاً بحد ذاته؛ إذا كانت الضحايا مثلاً عاهرات. لا يهم فعلاً إذا كنّ قد ارتكبن خطأ، وإنما المهم أنهن يسهل الوصول إليهن. أعرف فقط قاتلاً واحداً بالتسلسل امتلك

معايير انتقاء ضحايا فرديين".

"رجل الثلج".

"لا أظن أن القاتل بالتسلسل يختار ضحاياه من صفحة عشوائية في سجل نزلاء شاليه. وإذا حصل أي شيء في هافاس لمنح القاتل حافزاً، فنحن لا نتحدث إذاً عن جرائم كلاسيكية بالتسلسل. بالإضافة إلى ذلك، كانت خطوته في إظهار نفسه سريعة جداً بالنسبة إلى القاتل بالتسلسل الاعتيادي".

"ماذا تقصد؟".

"أرسل امرأة إلى رواندا والكونغو لتمويه جريمة، وفي الوقت نفسه لشراء سلاح القتل الذي استخدمه في الجريمة التالية. بعد ذلك، قتلها. بتعبير آخر، ذهب إلى أقصى الحدود لإخفاء جريمة. لكن في الجريمة التالية، بعد أسابيع قليلة، لم يفعل أي شيء مطلقاً. وفي الجريمة التالية مجدداً، كان أشبه بمصارع الثيران الذي يلوح بالغطاء الأحمر أمام وجوهنا، ويفتح رداءه واسعاً. إنه تبدل في الشخصية بسرعة فائقة. هذا غير منطقي".

"هل تظن أنه يمكن أن يكون هناك عدة قتلة بالتسلسل؟ لكل واحد منهم طريقة مختلفة؟".

هزّ هاري رأسه. "ثمة تشابه وحيد. القاتل لا يترك أي آثار وراءه. إذا كان القتلة بالتسلسل نادرين، فإن الذي يقتل من دون ترك أي أثر خلفه أشبه بالحوت الأبيض. يوجد قاتل واحد في هذه القضية".

رفعت كاجا ذراعيها. "صحيح. عمّ نتحدث إذاً هنا؟ أهو قاتل بالتسلسل مصاب باضطراب تعدد الشخصيات؟".

قال هاري: "عن حوت أبيض بأجنحة. لا، لا أعرف. وعلى أي حال، لا يهم. نحن نفعل ذلك فقط لمجرد التسلية. باتت القضية الآن تخصّ كريبوس. سوف أستقل سيارة أجرة للذهاب إلى المستشفى". شرب ما تبقى من قهوته.

"أستطيع إيصالك".

"لا شكراً. اذهبي إلى المنزل، واستعدي لقضايا جديدة ومثيرة".

أطلقت كاجا تنهيدة عميقة. "العمل مع بيورن...".

قال هاري: "يجب ألا تذكرني الأمر أمام أي كان. نوماً هنيئاً".

كان ألتمان يغادر غرفة والد هاري في مستشفى ريكس عندما وصل.

قال الممرض: "إنه نائم. أعطيته عشرة مليغرامات من المورفين. يمكنك الجلوس

هنا. لا مشكلة. لكنه لن يتحرك على الأرجح قبل ساعات عدة".

قال هاري: "شكراً لك".

"لا بأس. كانت أُمي... حسناً، توجب عليها تحمل ألم أكثر مما هو ضروري".

"مم... هل تدخن ألتمان؟".

رأى هاري ردة الفعل المحمّلة بالذنب عند ألتمان، ودعاه للانضمام إليه في الخارج. دخن الرجلان السجائر، فيما شرح له ألتمان، واسمه الأول سيفورد، أنه تخصص في التخدير بسبب أمه.

"إذاً، عندما أعطيت والدي حقنة الآن...".

ابتسم ألتمان قائلاً: "فلنقل إنها خدمة من ابن إلى آخر. لكنني استأذنت الطبيب طبعاً. أريد الاحتفاظ بوظيفتي".

قال هاري: "تصرف حكيم. ليتني كنت بهذه الحكمة".

أنهيا تدخين السجائر، وكان ألتمان على وشك الذهاب عندما سأله هاري: "بما أنك خبير في التخدير، هل يمكنك أن تقول لي كيف يستطيع الشخص الحصول على الكيتانوم؟".

قال ألتمان: "أوه عزيزي. لا يجدر بي الإجابة عن هذا ربما".

قال هاري مع ابتسامة ساخرة: "لا بأس. الأمر مرتبط بالجريمة التي أحقق فيها". "أوه. حسناً، إذا كنت لا تعمل في مجال التخدير، فسيصعب عليك كثيراً الحصول على الكيتانوم في النروج. فهو يعمل مثل الرصاصة، حيث يفقد الشخص وعيه على الفور. لكن التأثيرات الجانبية - أي القروح - مزعجة جداً. بالإضافة إلى ذلك، يزداد خطر توقف القلب عندما تكون الجرعة زائدة. تم استعماله قبلاً للانتحار. ولكن، لم تعد الحال كذلك. تم حظر استعمال الكيتانوم في الاتحاد الأوروبي والنروج قبل أعوام عدة".

"أعرف ذلك. لكن، إلى أين يذهب المرء للحصول على الكيتانوم؟".

"حسناً، إلى دول الاتحاد السوفياتي السابق، أو أفريقيا".

"الكونغو مثلاً؟".

"طبعاً. يبيعه المنتج بأسعار منخفضة جداً منذ الحظر الأوروبي، ولذلك يتوافر في الدول الفقيرة. هذه هي الحال دوماً".

جلس هاري قرب سرير والده، مراقباً صدره الضعيف المغطى بالبيجاما وهو

يرتفع وينخفض. بعد ساعة، نهض وغادر.

قرر هاري أن يؤجل إجراء الاتصال إلى ما بعد فتح قفل منزله، وتشغيل أغنية "لا تقترب كثيراً من هنا بعد الآن" - إحدى أغنيات ديوك إلينغتون المفضلة عند والده - وإخراج الكتلة البنية. رأى أن غونار هاغن ترك له رسالة، لكنه لا ينوي الاستماع إليها لأنه عرف تقريباً فحواها. عاد بيلمان ليزعجه مجدداً: من الآن فصاعداً لا يسمح لهم أبداً بالتعاطي في قضية الجريمة ما لم تكن هناك أعذار مبررة. ويتوجب على هاري استلام المهام العادية إذا كان لا يزال يريد وظيفة مع الشرطة. حسناً، ليس الجزء الأخير ربما. لقد حان الوقت ليقوم بأسفاره الخاصة. ويفترض أن تبدأ الأسفار هنا، الآن، الليلة. أمسك القداحة بإحدى يديه، فيما نقر باليد الأخرى على الرسالتين النصيتين الأخيرين اللتين تلقاهما. الأولى من أويستن الذي اقترح عليه "سهرة رجال" في المستقبل غير البعيد، مع دعوة تريسكو الذي كان ربما الأكثر نفوذاً بين الثلاثة. أما الرسالة الثانية فكانت من رقم لم يتعرف إليه هاري. فتح هاري الرسالة.

عرفت من موقع أفتنوستن أنك المسؤول عن القضية. أستطيع المساعدة. الياس سكوغ تحدث قبل أن يتم لصقه بالمغطس. س.

أفلت هاري القداحة التي ارتطمت بالطاولة الزجاجية مع صوت دوي كبير، وأحس بقلبه يخفق بسرعة. أثناء التحقيق في الجرائم، يتلقون دوماً اتصالات من أشخاص راغبين في تقديم معلومات ونصائح وفرضيات، أشخاص مستعدين للقسم إنهم رأوا أو سمعوا أو قيلت لهم شتى أنواع الروايات، ولا تستطيع الشرطة منحهم دقيقة للاستماع إليهم. وفي أغلب الأحيان، تكون الأصوات هي نفسها مراراً وتكراراً، وإنما مع بعض الروايات الجديدة على الدوام. إلا أن هاري واثق تماماً أن هذا الصوت ليس كسائر الأصوات. كتبت الصحافة الكثير عن الجريمة. وبات القراء يمتلكون مقداراً كبيراً من المعلومات. لكن الجمهور العادي لا يعرف أن الياس سكوغ تم لصقه بالمغطس. ولم يتم أيضاً منحه رقم الخلوي الخاص بهاري وغير الموجود في دليل الهاتف.

أوقف هاري أغنية ديوك إلينغتون وجلس والهاتف في يده. يعرف هذا الشخص بأمر الغراء العجيب، ويعرف رقمه. يمكنه التحقق من اسم المتصل وعنوانه، وربما حتى توقيفه لأنه حاول تهيبه. لكن من جهة أخرى، أياً كان هذا الشخص، فإنه ينتظر جواباً. ضغط هاري على "معاودة الاتصال".

رنّ الهاتف مرتين، ثم سمع صوتاً عميقاً. "نعم؟"
"أنا هاري هول".

"سررت بالتحدث إليك مجدداً، هول".

"مم... هل تحدثنا من قبل؟".

"ألا تذكر؟ شقة الياس سكوغ. الغراء العجيب".

أحس هاري بالشريان السباتي في عنقه ينبض بقوة، حيث تشنجت حنجرتة.

"كنت هناك. مع من أتحدث؟ وماذا كنت تفعل هناك؟".

صمت الشخص الآخر لبرهة، واستنتج هاري فوراً أن ذلك الشخص أنهى

الاتصال، لكن الصوت عاد مع عبارة: "أوه، عذراً، لكنني وقعت الرسالة بالحرف س فقط، أليس كذلك؟".

"نعم، صحيح".

"هذا ما أفعله عموماً. أنا المفتش كوليبورنسن. من ستافانجر. أنت أعطيتني

رقمك، أتذكر؟".

شتم هاري نفسه، وأدرك أنه كان لا يزال حابساً أنفاسه فأطلق زفيراً طويلاً.

"هل أنت معي؟".

قال هاري وهو يرفع الملاعقة عن الطاولة ويكشط القليل من الأفيون. "قلت إنك

تملك شيئاً لي".

"نعم، صحيح. لكن، بشرط واحد".

"ما هو؟".

"يبقى الأمر بيننا".

"ولم ذلك؟".

"لأنني لا أريد أن يأتي ذلك الحقيقير بيلمان إلى هنا ويظن أنه يملك موهبة في التحقيق في الجرائم. يحاول هو وكريوس اللعينة السيطرة على كل البلاد. برأيي الشخصي، يستطيع الذهاب إلى الجحيم. لكن المشكلة تكمن في مدرائي. لا يسمح لي أبدأ بالتحري في قضية سكوغ".

"لماذا جئت إليّ؟".

"أنا شرطي بسيط من الأرياف هول. لكن، عندما أقرأ في أفتنبوستن أنك استلمت القضية، فأنا أعرف تماماً ماذا سيحصل. أعرف أنك مثلي تماماً، وأنت لن تستلقي وتنتظر الموت، أليس كذلك؟".

قال هاري: "حسناً...". ونظر إلى الأفيون أمامه.

"إذا استطعت استخدام ذلك للتفوق على المتذاهبي والإطاحة بمشاريعه للإمبراطورية الشيطانية، فيمكنك أخذ المعلومة مني بكل رضى. سأنتظر حتى ما بعد الغد قبل إرسال التقرير إلى بيلمان. يمنحك ذلك يوماً كاملاً".

"ماذا لديك؟".

"تحدثت إلى أشخاص من معارف سكوغ، وعددهم قليل أصلاً؛ إذ كان غريب الأطوار ومتوتراً على نحو غير اعتيادي، ويسافر كثيراً بمفرده في كل أرجاء العالم. إنهما شخصان في الواقع. السيدة صاحبة المنزل، وفناة تعقبت أثرها عبر الأرقام الهاتفية التي اتصل بها في الأيام القليلة قبل موته للتحدث إليها. اسمها ستاين أولبرغ، وقالت إنها تحدثت مع الياس ليلة مقتله. كانا في الحافلة يغادران المدينة، وقال لها إنه كان في شاليه هافاس في الوقت نفسه مع الفتيات اللواتي تم قتلهن وجرى الحديث عنهن في الجرائد. رأى أنه من الغريب أن أحداً لم يكتشف بعد أنهن ذهبن جميعاً إلى الشاليه نفسه، وتساءل عما إذا كان يجدر به الاتصال بالشرطة. إلا أنه تردد لأنه لا يرغب أبدأ في التورط. وأستطيع فهم ذلك. فقد واجه سكوغ قبلاً مشاكل مع الشرطة، وجرى اتهامه بالمطاردة خلسة مرتين. إلا أنه لم يفعل أي شيء غير شرعي، لأكون عادلاً معه. كان فقط من النوع الانفعالي. قالت ستاين إنها خافت منه، لكن في تلك الليلة، كان هو الشخص الخائف".

"مثير".

"زعمت ستاين أنها لا تعرف من هنّ ضحايا الجرائم الثلاث، ثم قال لها الياس

إنه سيخبرها عن شخص آخر كان موجوداً أيضاً هناك؛ شخص هو واثق من أنها تعرفه. وهنا الجزء المهم؛ فالرجل معروف جداً. إنه على الأقل شخص مشهور من الدرجة الثانية".

"أوه حقاً؟".

"حسب الياس سكوغ، طوني لايك كان هناك".

"طوني لايك! هل يجدر بي أن أعرف من يكون؟".

"إنه يعيش مع ابنة أندرس غالتونغ، إمبراطور الملاحة البحرية".

لمعت في ذاكرة هاري بعض عناوين الجرائد.

"طوني لايك مستثمر كبير، ما يعني أنه أصبح غنياً من دون أن يفهم أحد كيف حصل ذلك. لكن الأمر ليس حتماً نتيجة العمل الشاق. بالإضافة إلى ذلك، إنه شاب وسيم، لكنه ليس الشاب اللطيف. وهنا بيت القصيد. فالرجل يملك سجلاً".

سأل هاري وهو يدّعي عدم الفهم لمعرفة حقيقة أفكار كولبيورنسن: "سجل!؟".

"سجل جرمي. فقد تم الحكم على طوني لايك بسبب اعتداء عنيف".

"مم... هل تحققت من التهمة؟".

"قبل أعوام عدة، ضرب طوني لايك شخصاً يدعى أول س. هانسن يوم السابع من أغسطس بين الساعة 11:20 و 11:45 ليلاً. صودف أن الاعتداء حصل خارج قاعة للرقص حيث كان طوني يعيش مع جده. كان عمر طوني حينها ثمانية عشر عاماً، وأول سبعة عشر عاماً، وكان سبب الشجار طبعاً تنورة قصيرة".

"مم... شابان غيوران يتشاجران بعد الشرب. ليس هذا بالأمر غير الاعتيادي.

هل قلت اعتداء عنيفاً؟".

"نعم، في الواقع، هناك المزيد. فبعدما أوقع لايك الشاب الآخر أرضاً، جلس فوقه وغرز سكيناً في وجه الشاب المسكين. أصيب الشاب بندبة دائمة؛ رغم ما ورد في التقرير عن أن الأمر كان يمكن أن يكون أسوأ لو لم يعمد الناس إلى إبعاد لايك".

"ولكن، لا توجد أكثر من تهمة واحدة؟".

"كان طوني لايك معروفاً بطباعه السيئة، وكان يشترك دوماً في الشجارات. وخلال المحاكمة، قال أحد الشهود إنه في أيام المدرسة، حاول لايك خنقه بواسطة حزام لأنه قال شيئاً أقل من الإطراء عن والد طوني".

"يبدو أنه يجدر بشخص ما التحدث مطولاً مع لايك. هل تعرف أين يعيش؟".

"في منطقتك. هولمنفين... انتظر... 172".

"صحيح. الطرف الغربي. حسناً، شكراً كوليبورنسن".

"لا داعي للشكر. أوه، ثمة أمر آخر. هناك رجل صعد إلى الحافلة بعد الياس، ونزل في المحطة نفسها مع الياس، وتقول ستاين إنها رأت الرجل يلحق به. لكنها لم تستطع إعطاء وصف لوجهه لأنه أخفى وجهه بقبعة. قد تكون لهذا الأمر أهمية، أو ربما لا".

"صحيح".

"إذاً، أنا أعتد عليك هول".

"فيمَ تعتمد عليّ؟!".

"في القيام بالشيء الصحيح".

"حسناً".

"تصبح على خير".

جلس هاري يستمع إلى ديوك، ثم أمسك بالهاتف وبحث عن رقم كاجا. كان على وشك الضغط على زر الاتصال، لكنه تردد. ها هو يفعل ذلك مجدداً؛ يغرق الأشخاص معه. رمى هاري الهاتف جانباً. إنه يملك خيارين. الخيار الذكي هو الاتصال ببيلمان. والخيار الغبي هو المتابعة وحده.

تنهد هاري. مع من يمزح؟ إنه لا يملك أي خيار. أعاد القداحة إلى جيبه، ولف الكرة بورق الألمنيوم الفضي وأعادها إلى خزانة المشروبات، ثم خلع ملابسه، وضبط المنبه على الساعة السادسة، وذهب إلى السرير. لا يوجد أمامه أي خيار. إنه سجين أنماط سلوكه؛ حيث في الحقيقة كل تصرف هو بمثابة تصرف ملزم. في هذا الإطار، لم يكن أفضل ولا أسوأ من الذين يطاردهم.

ومع هذه الفكرة، خلد إلى النوم والابتسامة مرسومة على شفتيه.

الليلة ساكنة جداً، حيث تشفي بصرك، وتنقي عقلك. الشرطي الجديد القديم. هول. عليّ إخباره ذلك. لن أظهر له كل شيء، وإنما ما يكفي فقط لكي يفهم. ومن ثم يستطيع إيقاف الأمر؛ حيث لا أضطر إلى فعل ما أفعله. أبصق وأبصق، لكن الدم يملاً فمي، مراراً وتكراراً.

بحث متصل

وصل هاري إلى مركز الشرطة عند الساعة السابعة إلا ربعاً صباحاً. باستثناء رجل الأمن الجالس إلى مكتب الاستقبال، لم يكن هناك أحد في قاعة الاستقبال الكبيرة وراء الأبواب الأمامية الضخمة.

أوماً برأسه لرجل الأمن، ومرر بطاقته في الآلة القارئة عند البوابة، واستقلّ المصعد نزولاً إلى الطابق تحت الأرض. من هناك، مشى في الرواق بخطوات سريعة وفتح قفل الغرفة. أشعل أول سيجارة لهذا اليوم، وضغط على زرّ الاتصال في الهاتف الخليوي، فيما شغلّ جهاز الكمبيوتر. بدت كاترين برات نائمة.

قال هاري: "أريدك أن تجري لي هذه الأبحاث المتصلة. بين طوني لايك وكل واحدة من ضحايا الجرائم. بمن فيهنّ جوليانا فيرني من ليزيغ".

قالت: "قاعة التسلية فارغة حتى الساعة الثامنة والنصف. سوف أذهب في الحال. هل من شيء آخر؟".

تردد هاري. "هل يمكنك التحقق من أمر جوسي كولكا؟ إنه شرطي".
"ما به؟".

قال هاري: "هذه هي النقطة. لا أعرف ما به".

وضع هاري الهاتف جانباً وبدأ العمل على الكمبيوتر.

تلقى طوني لايك حكماً واحداً. هذا صحيح. وحسب السجل العدلي، تورط مع الشرطة في حادثتين أخريين أيضاً. ومثلما أشار كوليبورنسن، كان هناك عنف جسدي في الحادثتين. في المرة الأولى تم سحب التهمة، وفي المرة الثانية تم إسقاط التهمة. بحث هاري عن طوني لايك في محرك البحث غوغل، وحصل على عدد من

المعلومات: تم ذكره في الجرائد؛ وكانت معظم تلك الأخبار مرتبطة بخطيبته لين غالتونغ. وتم ذكره أيضاً في الصحافة الاقتصادية؛ حيث جرى وصفه بالمستثمر أو المضارب أو الجاهل. وهذا الوصف الأخير ورد في جريدة "كاييتال"، وكان إشارة إلى انتماء لايك إلى المجموعة التي تحاكي شخصاً مضللاً، المعالج النفسي إينار

كريغلن، في كل شيء يفعله: من شراء الأسهم والشاليهات الجبلية والسيارات، إلى اختياره المطعم المناسب والشراب والمرأة والمكتب والمنزل ومقصد العطلات. بحث هاري عبر الروابط إلى أن توقف عند مقالة في جريدة مالية. تمت: "بنغوا!".

بدا جلياً أن طوني لايك قادر على الصمود وحده، أو على الأقل في مجال المناجم. فقد كتبت جريدة "فينانسافيسن" عن مشروع مناجم حيث لايك هو المقاول والمشجع. تم تصويره مع زميلين له؛ رجلين شابين وقفا إلى جانبه. لم يكونوا مرتدين البذلات الرسمية الاعتيادية، وإنما ملابس العمل، وبذلات فوقية ذات قطعة واحدة، وجلسوا على كومة من الخشب أمام طائرة مروحية وهم يتسمون. كان عريض الكتفين، وطويل الأطراف، وداكن البشرة والشعر. كما كشف عن أنف بارز ومعقوف جعل هاري - بالترافق مع لون بشرته - يفكر في أن دمأً عربياً يجري في عروقه. لكن السبب الذي جعل هاري يتحمس كثيراً هو العنوان: ملك الكونغو؟ تابع هاري البحث في الروابط.

كانت الصحافة الصفراء أكثر اهتماماً بزواجه الوشيك من لين غالتونغ ولائحة المدعويين. ألقى هاري نظرة على ساعته، وكانت تشير إلى السابعة وخمس دقائق. اتصل بالضابط المسؤول.

"أحتاج إلى المساعدة في عملية توقيف في هولمنفين".
"أهو احتجاز؟".

عرف هاري جيداً أنه لا يملك أدلة كافية للطلب من ضابط الشرطة إذناً بالاحتجاز. قال هاري: "لنتم إحضاره للاستجواب".
"ظننت أنك قلت توقيف. ولماذا تحتاج إلى المساعدة إذا كان الأمر مجرد...".
"هل يمكنك أن تجهز لي سيارة ورجلين خارج المرأب بعد خمس دقائق؟".
حصل هاري على شخير غضب كجواب على طلبه، ففسره بأنه نعم. مع سيجارته مرتين، ثم أطفالها، ونهض، وأقفل الباب وغادر. كان قد اجتاز مسافة عشرة أمتار في الرواق عندما سمع صوتاً خفيفاً خلفه، وعرف أنه رنين الهاتف الأرضي.
خرج من المصعد، وكان في طريقه إلى الباب عندما سمع شخصاً يناديه باسمه. استدار ورأى رجل الأمن يلوح له. قرب مكتب الاستقبال، رأى هاري الجهة الخلفية لمعطف صوفي بلون الخردل.

قالت موظفة الاستقبال: "هذا الرجل يطلب رؤيتك".

استدار صاحب المعطف الصوفي. كان من النوع الذي يفترض أن يبدو كأنه كشمير، ويكون أحياناً هكذا. هذه المرة، افترض هاري أنه كشمير فعلاً؛ لأنه كان على جسم رجل عريض الكتفين، وطويل الأطراف، وصاحب عينين داكنتين، وشعر داكن، ويجري ربما دم عربي في عروقه.

قال طوني لايك: "أنت أطول مما تبدو في الصور". وكشف عن صف من الأسنان ناصعة البياض فيما مدّ يده.

قال طوني لايك "قهوة لذيذة"، وبدا وكأنه يقصد ذلك فعلاً. تأمل هاري أصابع لايك الطويلة والمشوهة الملتفة حول كوب القهوة. شرح لايك أن المرض ليس معدياً، فيما عرض يده أمام هاري، وقال إنه مجرد التهاب مفاصل عتيق الطراز؛ مرض موروث جعله على الأقل خبيراً موثوقاً في الأحوال الجوية. "لكن، للتخلي بالصراحة، ظننت أنهم يعطون المفتشين مكاتب أفضل من هذا. أليس الجو حاراً هنا؟".

قال هاري، وهو يرتشف القهوة: "إذاً، لقد قرأت عن القضية في موقع أفتنوستن هذا الصباح؟".

"نعم. كنت أتناول الفطور. بصراحة، كدت أختنق أثناء تناول الطعام".
"لماذا؟".

تأرجح لايك على كرسيه تماماً مثل سائق الفورمولا وان الجالس على مقعده قبيل الانطلاق. "أتمنى أن يبقى ما سأقوله سراً بيننا".
"من تقصد بكلمة بيننا؟".

"أنا والشرطة. والأفضل أنا وأنت".

أمل هاري في أن يبقى صوته حيادياً وألاً يفضح حماسه. "وما السبب في ذلك؟".
أخذ لايك نفساً عميقاً. "لا أريد أن ينتشر الخبر بأني كنت في شاليه هافاس في الوقت نفسه مع النائب ماريت أولسن. في الوقت الحاضر، أملك صورة اجتماعية راقية جداً بسبب زواجي الوشيك. وسيكون الأمر مؤسفاً إذا تم ربطتي بالتحقيق في جرائم في الوقت الحاضر. سوف يصل الخبر إلى الصحافة وقد... تظهر أشياء من ماضي أفضل أن تبقى ميتة ومدفونة".

قال هاري ببراءة: "فهمت. طبعاً، عليّ أن آخذ في الاعتبار عدداً من العوامل، ولهذا السبب لا أستطيع أن أعدك بأي شيء. لكن هذه ليست مقابلة، وإنما مجرد

محادثة، وأنا لا أسرّب عادة هذا النوع من المعلومات للصحافة".

"ولا إلى... أعزّ وأقرب شخص إليّ؟".

"إلا إذا كان هناك سبب لذلك. إذا كنت تخشى أن يعرف الناس أنك كنت هنا، فلماذا جئت أصلاً؟".

"أنتم طلبتم من الأشخاص الذين كانوا في الشاليه أن يأتوا إليكم. وبالتالي، إن هذا واجبي المدني، أليس كذلك؟". ووجه إلى هاري نظرة استفسار، ثم سيطر على نفسه. "بالله عليك، كنت خائفاً. عرفت أن الذين كانوا هناك تلك الليلة سيكونون الضحايا القادمين. لذا، ركبت في سيارتي وجئت مباشرة إلى هنا".

"هل حصل مؤخراً أي شيء جعلك قلقاً؟".

فكّر طوني لايك ملياً. "لا، باستثناء خلع باب القبو عندي قبل أيام قليلة. أوه، يجدر بي تركيب جهاز إنذار، أليس كذلك؟".

"هل أبلغت الشرطة بالأمر؟".

"لا. فقد سُرقت فقط دراجة هوائية".

"وهل تظن أن القتلة بالتسلسل يمارسون رياضة ركوب الدراجة أيضاً؟".

هزّ لايك رأسه مع ابتسامة. ليست ابتسامة بريئة لشخص خجل من قول شيء أحمر - فكّر هاري في سرّه - وإنما الابتسامة الماكرة الساخرة التي تقول: "لقد نلت مني يا صديقي". وهي بمثابة تحية أنيقة من شخص اعتاد على تحقيق الانتصارات. "لماذا سألت عني؟".

"تقول الجرائد إنك المسؤول، ولذلك وجدت الأمر طبيعياً. في أي حال، مثلما قلت، أملت أن تبقى المعلومات بين أقل عدد ممكن من الأشخاص إذا أمكن، ولذلك جئت مباشرة إلى رأس الهرم".

"لست رأس الهرم، لايك".

"ألست كذلك؟! أعطى موقع أفتنوسن الانطباع بأنك هكذا".

رَبّت هاري على فكه الناتئ. لم يحسم أمره بعد بشأن طوني لايك. كان رجلاً صاحب مظهر خارجي مرتب، وإنما مع جاذبية الشاب النذل؛ حيث ذكّر هاري بلاعب هوكي على الجليد رآه في إعلان للملابس الداخلية. بدا وكأنه يريد تقديم جو من اللطافة والتهديب والنعومة، وإنما الظهور في الوقت نفسه كإنسان صادق وصاحب مشاعر لا يمكن إخفاؤها. أو إن الأمر معاكس ربما. النعومة هي الصادقة، والمشاعر زائفة.

"ماذا كنت تفعل في شاليه هافاس لايك؟"

"أترلج طبعاً."

"بمفردك؟!".

"نعم. عشت بعض الأيام المتوترة في العمل واحتجت إلى إجازة. أذهب إلى أوستاوسيت وهالينغسكارفت كثيراً، وأنام في الشاليهات. يمكنك القول إنها هوايتي".
"ألا تملك إذاً شاليهاً خاصاً بك هناك؟".

"توقفوا عن إعطاء الرخص حيث أريد امتلاك شاليه؛ قوانين الحدائق العامة".
"لماذا لم تكن خطيبتك معك؟ ألا تترلج؟".

"لين؟ إنها...". ارتشف لايك القليل من القهوة. ذلك النوع من الارتشاف المتعمد في وسط الجملة عندما يحتاج الشخص إلى بعض الوقت للتفكير؛ مما لفت انتباه هاري. "كانت في المنزل. أنا... نحن...". نظر إلى هاري وقد ظهر على وجهه تعبير تعاسة خفيفة؛ كما لو أنه يتوسل المساعدة. لكن هاري لم يعطه شيئاً.
"اللعنة. لا ضغط إذاً؟".

لم يجب هاري.

قال لايك كما لو أن هاري أعطاه جواباً بالإيجاب. "حسناً. احتجت إلى متنفس للابتعاد، للتفكير. خطوبة، زواج... هذه المسائل معقدة. وأفكر بصورة أفضل عندما أكون بمفردتي. خصوصاً هناك وسط ذلك المكان المكسو بالثلوج".

"وهل تظن أن هذا ساعدك؟".

لمعت أسنان لايك مجدداً. "نعم".

"هل تذكر أياً من الآخرين الذين كانوا في الشاليه؟".

"أذكر ماريت أولسن مثلما قلت. شربنا معاً كأساً. لم أعرف أنها نائب في البرلمان إلى أن قالت ذلك".

"هل من شخص آخر؟".

"كان هناك بعض الأشخاص الآخرين الجالسين، وقد ألقيت عليهم تحية سريعة. لكنني وصلت متأخراً جداً، ولا بد أن بعضهم قد خلدوا إلى النوم".
"آه!".

"كانت هناك ست أدوات للترلج في الخارج. أذكر ذلك بوضوح لأنني وضعتها في الردهة تحسباً لحصول انهيار ثلجي. أذكر أنني قلت لنفسني إن الآخرين ليسوا متزلجين أصحاب خبرة ربما. فإذا انظمر نصف الشاليه تحت ثلاثة أمتار من الثلج، فستكون

قد وقعت في ورطة من دون أدوات التزلج. كنت أول من نهض في الصباح - وهذه حالي عادة - وخرجت قبل أن يستيقظ أحد".

"قلت إنك وصلت متأخراً. كنت تتزلج بمفردك في العتمة، أليس كذلك؟".
"مصباح على الرأس وخريطة وبوصلة. كانت الرحلة بمثابة قرار ارتجالي، ولذلك لم ألحق بالقطار الذهاب إلى أوستاوسيت إلا في المساء. لكن، مثلما قلت لك، إن المنطقة مألوفة بالنسبة إلي. أنا معتاد على إيجاد طريقي في الثلج وسط العتمة. وكان الطقس جيداً، حيث انعكس ضوء القمر على الثلج. ولذلك، لم أكن بحاجة إلى خريطة أو ضوء".

"هل يمكنك إخباري عما حصل في الشاليه أثناء وجودك هناك؟".
"لم يحصل أي شيء. تحدثنا أنا وماريت أولسن عن الشراب، ومن ثم عن مشاكل استمرارية العلاقة العصرية. في هذا الصدد، أعتقد أن علاقتها كانت أكثر عصرية من علاقتي".

"ألم تخبرك عن أي شيء حصل في الشاليه؟".
"لا".

"ماذا عن الآخرين؟".
"جلسوا قرب النار، وتحدّثوا عن رحلات التزلج وهم يشربون نوعاً معيناً من مشروبات الطاقة. كانوا امرأتين ورجلاً، بين العشرين والخامسة والثلاثين، مثلما أعتقد".
"هل تعرف أسماءهم؟".

"اكتفينا بالإيماء بالرأس وإلقاء التحية. مثلما قلت لك، ذهبت إلى هناك لأكون وحيداً، وليس للتعرف إلى أصدقاء جدد".

"ماذا عن مظهرهم الخارجي؟".
"المكان معتم جداً في تلك الشاليهات ليلاً، وإذا قلت إن واحدة كانت شقراء، والثانية سمراء فقد لا يكون ذلك صحيحاً البتة. مثلما قلت، لا أذكر حتى عدد الأشخاص الذين كانوا هناك".

"ماذا عن لهجاتهم؟".
"إحدى النساء امتلكت لهجة الساحل الغربي، مثلما أعتقد".

"ستافانجر؟ بيرغن؟ صانمور؟".
"آسف، لست بارعاً جداً في هذا النوع من الأمور. يمكن أن تكون من الساحل الغربي، أو من الجنوب".

"حسناً. أردت أن تكون بمفردك، لكنك تحدثت مع ماريت أولسن بشأن العلاقات".

"حصل ذلك صدفة. فقد جاءت وجلست قربي. لم تكن خجولة، وأحبت الشرثرة. كانت بدينة ومرحة". قال ذلك كما لو أن الكلمتين الأخيرتين كانتا وصفاً طبيعياً. لفت هاري أن الصورة التي رآها للين غالتونغ أظهرت أنها امرأة نحيلة جداً؛ نسبة إلى أحدث معدل للوزن عند النرويجيين.

"إذاً، باستثناء ماريت أولسن، لا يمكنك إخبارنا أي شيء عن الآخرين؟ ولا حتى إذا عرضت أمامك صوراً للذين نعرف أنهم كانوا موجودين هناك؟". قال لايك مع ابتسامة. "أوه، أظن أنني أستطيع فعل ذلك". "حقاً؟".

"عندما كنت في إحدى الغرف أبحث عن سرير لأنام عليه، توجّب علي إشعال الضوء لمعرفة أي سرير شاغر. وشاهدت شخصين نائمين؛ رجلاً وامرأة". "وهل تظن أنك تستطيع وصفهما؟".

"ليس بالتفصيل، لكنني واثق تماماً من أنني أستطيع التعرف إليهما". "حقاً؟".

"يمكنك تذكر الوجوه عندما تراها مجدداً".

عرف هاري أن ما قاله لايك صحيح. فأوصاف الشهود ليست دقيقة عادة، لكن إذا عرضت أمامهم صفاً من الأشخاص، فهم نادراً ما يخطئون.

توجه هاري صوب خزانة الملفات التي أعادوها إلى المكتب، وفتح ملفات الضحايا على التوالي، وأخرج الصور الفوتوغرافية. أعطى لايك الصور الخمس، فقلّبها هذا الأخير وهو يتفحصها.

قال: "هذه ماريت أولسن طبعاً". وهو يعيد الصورة إلى هاري. "وهاتان هما المرأتان اللتان جلستا قرب الموقد، مثلما أعتقد، لكنني لست متأكداً". وأعطى هاري صورتَي بورغني وشارلوت. "لا بد أن هذا هو الشاب". الياس سكوغ. "لكن أياً منهم لم يكن نائماً في غرفة النوم. أنا واثق من ذلك. ولا أعرف هذه أيضاً". قال وهو يعيد صورة أديل.

"إذاً، لست واثقاً أنهم الأشخاص أنفسهم الذين كانوا معك في الغرفة نفسها لبعض الوقت، لكنك واثق من تعرفك إلى الشخصين اللذين رأيتهما لبضع ثوانٍ فقط!؟".

أوماً لايك برأسه. "كانا نائمين، أليس كذلك؟".

"وهل يسهل التعرف إلى الأشخاص وهم نائمون؟".

"لا، لكنهم لا ينظرون إليك، وبالتالي يمكنك التحديق فيهم من دون أن تكون مراقباً".

"حسناً، لبضع ثوانٍ".

"لوقت أطول ربما".

أعاد هاري الصور إلى الملفات.

سأل لايك: "هل حصلتم على أسماء؟".

"أسماء؟!"

"نعم، مثلما قلت لك، كنت أول من استيقظ، وتناولت شريحتين من الخبز في المطبخ. كان سجل النزلاء لا يزال موجوداً هناك ولم أكن قد دوّنت اسمي فيه. لذا، فيما كنت أتناول الطعام، فتحتة وتأمّلت الأسماء التي جرى تدوينها في الليلة السابقة".

"لماذا؟".

رفع طوني كتفيه. "لماذا؟! إنهم في الغالب الأشخاص أنفسهم في رحلات التزلج في الجبال. أردت أن أرى إذا كان هناك أحد أعرفه".

"وهل كان بينهم من تعرفه؟".

"لا. لكن، إذا أعطيتني أسماء الأشخاص الذين تعرف أو تظن أنهم كانوا هناك، فربما استطعت التذكر إن كنت قد رأيت أسماءهم في سجل النزلاء".

"يبدو هذا منطقياً، لكنني أخشى أننا لا نملك أي أسماء، أو عناوين".

قال لايك، وهو يزرر معطفه الصوفي: "حسناً إذاً، أخشى أنني لم أوفر الكثير من المساعدة، أليس كذلك؟ سوى أنه بات بوسعكم الآن شطب اسمي".

قال هاري: "حسناً، بما أنك جئت إلى هنا، فأنا أريد أن أطرح عليك بعض الأسئلة الإضافية. طالما أنك تملك الوقت؟".

قال لايك: "أنا سيد نفسي. في الوقت الحاضر، على أي حال".

"حسناً، تقول إن ماضيك كان مظلماً. هلا أعطيتني فكرة عما تقصده".

قال لايك من دون أي تردد: "حاولت قتل رجل".

قال هاري وهو يتكئ إلى الخلف على كرسيه. "فهمت. وما السبب؟".

"لأنه هاجمني. قال إنني سرقت منه فتاته. لكن الحقيقة أنها لم تكن فتاته، ولا تريد أن تكون فتاته. وأنا لا أسرق الفتيات. لست مضطراً لذلك".

"حسناً، لقد ضبطكما بالجرم المشهود وضربها، أليس كذلك؟".
"ماذا تقصد؟".

"أحاول أن أفهم الوضع الذي يمكن أن يدفعك إلى قتله. إذا كنت تقصد الأمر حرفياً".

"لقد ضربني. ولهذا السبب، بذلت ما بوسعي لقتله؛ بواسطة سكين. وكنت على وشك النجاح في ذلك عندما أبعدني عنه اثنان من رفاقي. تمت إدانتني بالاعتداء الخطير. وهذا بسيط جداً بالنسبة إلى محاولة قتل".

"هل تدرك أن ما تقوله الآن يمكن أن يجعلك مشتبهاً به؟".
نظر لايك إلى هاري بارتيا. "في هذه القضية؟! هل تمازحني؟ تملك أدلة أكثر بكثير من هذا، أليس كذلك؟".

"إذا أردت القتل ذات مرة...".

"أردت القتل مرات عدة، وأفترض أنني فعلت ذلك أيضاً".
"تفترض؟".

"لا تسهل رؤية الرجال السود في الأدغال ليلاً. في معظم الأحيان، تطلق النار عشوائياً".
"وهل فعلت ذلك؟".

"نعم، في شبابي المنحرف. بعد إنهائي عقوبتي، ذهبت إلى الجيش، ومن هناك مباشرة إلى جنوب أفريقيا، وعملت بمثابة جندي مرتزق".
"حسناً، إذاً لقد كنت مرتزقاً في جنوب أفريقيا؟".

"لمدة ثلاثة أعوام. و جنوب أفريقيا هو المكان الذي تطوعت فيه. اندلع القتال في البلاد المجاورة. كانت هناك حرب دائمة، وسوق دائمة للمحترفين، ولا سيما البيض. لا يزال السود يظنون أنهم أذكى منا، مثلما تعلم، إلا أنهم يثقون في الجنود البيض أكثر مما يثقون في جنودهم".
"هل ذهبت ربما إلى الكونغو أيضاً؟".

ارتفع حاجب طوني لايك الأيمن على شكل قوس. "كيف ذلك؟".
"ذهبت إلى هناك قبل فترة، ولذلك أتساءل".

"كان يطلق عليها اسم زائير في ذلك الحين. لكن في معظم الأوقات، لم نكن نعرف في أي دولة نتواجد. كانت المساحات خضراء وخضراء وخضراء، ومن ثم سوداء وسوداء وسوداء إلى أن تشرق الشمس مجدداً. عملت مع شركة أمن في بعض

مناجم الألماس. وهناك تعلمت قراءة خريطة وبوصلة على ضوء مصباح على الرأس. البوصلة تبديد للوقت هناك نظراً لوجود الكثير من المعادن في الجبال".
تراجع طوني لايك إلى الخلف على كرسيه، ولاحظ هاري أنه مسترخ وغير خائف.

قال هاري: "بالحديث عن المعدن، قرأت في مكان ما أنك عملت هناك في المناجم أيضاً".

"هذا صحيح".

"أي نوع من المعادن؟".

"هل سمعت بالطنطاليت؟".

أوما هاري برأسه ببطء. "يستخدم في الهواتف الخلوية".

"بالضبط. وفي الألعاب الإلكترونية. عندما انطلق إنتاج الهواتف الخلوية في العالم في التسعينيات، كنا أنا وجنودي في مهمة في شمال شرق الكونغو. كان بعض الفرنسيين وبعض السكان المحليين يديرون منجماً هناك، ويوظفون الأولاد مع فؤوس ورفوش لاستخراج الطنطاليت. إنه يبدو مثل أي حجر قديم، لكنك تستخدمه لإنتاج الطنطالوم، وهو العنصر المهم فعلاً. وعرفت أنني إذا استطعت إيجاد شخص لتمويلي، فسأستطيع إدارة منجم عصري ملائم؛ حيث نصبح أنا وشركائي من الرجال الأغنياء".
"وهل هذا ما حصل؟".

ضحك طوني لايك. "ليس تماماً. نجحت في اقتراض المال، لكن شركائي خانوني وخسرت كل شيء. اقترضت المزيد من المال، وخسرت مجدداً، ثم اقترضت أكثر وربحت القليل".

"القليل؟".

"بضعة ملايين لتسديد الديون. لكن، كانت لديّ شبكة من المعارف، وبعض المراجع الرئيسة، لأنني كنت طبعاً أخطط جيداً قبل التنفيذ، وكان هذا كافياً لإدخالي ضمن الشبكة التي يوجد فيها الكثير من المال. فلكي تصبح عضواً، يؤخذ في الاعتبار عدد الأرقام في ثروتك، سواء أسبقته علامة الإيجاب أو السلب". ضحك لايك مجدداً ضحكة قوية نابعة من القلب، وكل ما استطاع هاري فعله هو كبح ابتسامة.

"والآن؟".

"نحن الآن ننتظر الضربة الكبيرة لأنه حان وقت حصاد الطنطاليت. نعم، في الواقع، قلت ذلك لوقت طويل، لكن الأمر صحيح هذه المرة. توجب عليّ بيع كل

حصصي في المشروع لأتمكن من تسديد ديوني. وعادت الآن الأمور إلى نصابها، وكل ما عليّ فعله هو الحصول على المال لاسترداد حصصي والتمكن من أصبح شريكاً كاملاً مجدداً".

"مم... والمال؟".

"سوف يفهم أحدهم أهمية إقراضي المال مقابل حصة صغيرة. العائدات هائلة، والمجازفة بسيطة. أنجزت كل الاستثمارات الكبيرة؛ بما في ذلك الرشوات المحلية. حتى إننا فتحنا طريقاً في الأدغال لتتمكن من التحميل مباشرة في الطائرات، ومن ثم إخراج المواد عبر أوغاندا. هل أنت غني هاري؟ أريد أن أرى إذا كان هناك أي أمل في أن تدخل في جزء من العملية".

هزّ هاري رأسه. "هل ذهبت إلى ستافانجر مؤخراً لايك؟".

"نعم. في الصيف".

"ألم تذهب بعد ذلك الحين؟".

فكر لايك قليلاً في السؤال، ثم هزّ رأسه.

سأله هاري: "هل أنت واثق تماماً؟".

"أنا أقدم مشروعني إلى مستثمرين محتملين، ويعني ذلك الكثير من الأسفار. لا بد أنني ذهبت إلى ستافانجر ثلاث مرات أو أربع مرات هذه السنة، ولكنني لم أذهب منذ أيام الصيف. لا أظن ذلك".

"ماذا عن ليزيغ؟".

"هل وصلنا إلى المرحلة التي يجدر بي فيها أن أطلب محامياً هاري؟".

"أريد فقط أن أحذفك من القضية بأسرع ما يمكن، لتتمكن من التركيز على المسائل ذات الصلة". مرر هاري سبابته على جسر أنفه. "إذا كنت لا تريد أن تعرف وسائل الإعلام بهذه القضية، فأنا أفترض أنك لا تريد توريط محام، ولا أن يتم استدعاؤك إلى مقابلات رسمية، أليس كذلك؟".

أوما لايك رأسه ببطء. "أنت محق طبعاً. شكراً على نصيحتك هاري".

"ماذا عن ليزيغ؟".

قال لايك: "آسف". وبدا الأسف الحقيقي في صوته وعلى وجهه. "لم أذهب إلى هناك مطلقاً. ولم يجدر بي الذهاب؟".

"مم... عليّ أن أسألك: أين كنت في أيام معينة؟ وماذا كنت تفعل؟".

"هيا".

ذكر هاري التواريخ الأربعة، فيما دونها لايك على دفتر صغير.
قال: "سأتحقق منها ما إن أصبح في مكتبي. بالمناسبة، هذا هو رقمي". أعطى
هاري بطاقته المهنية التي كتب عليها طوني س. لايك، مقاول.
"ما الذي يعنيه الحرف س؟"

قال لايك وهو يقف: "أنت أخبرني. طوني هو طبعاً اختصار لاسم أنطوني، ولذلك
فكرت أنني بحاجة إلى حرف استهلاكي. يعطيني ذلك المزيد من الجاذبية، ألا تظن
ذلك؟ أعتقد أن الأجانب يحبون ذلك".

بدل السير في الرواق تحت الأرض، رافق هاري لايك على الدرج المؤدي إلى
السجن، وطرق على باب زجاجي، فجاء حارس وسمح لهما بالدخول.

قال لايك عندما أصبحتا واقفين على الممشى المكسو بالحصى خارج الجدران
المهية لسجن بوستن القديم: "أشعر وكأنني أشارك في حلقة مع أولسن غانغ".

قال هاري: "تبقى الزيارة أكثر تكتماً هكذا. بدأت تصبح وجهاً معروفاً، وبدأ
الموظفون يصلون الآن إلى العمل في مقر مركز الشرطة".

"بالحديث عن الوجوه، أرى أن أحداً كسر فكك".
"وقعت وجرحت نفسي".

هز لايك رأسه وابتسم: "أعرف شيئاً عن الفك المكسور. هذا الفك المكسور
ناجم عن عراك. تركت اللحم يلتئم وحده مجدداً؛ مثلما ألاحظ. يجدر بك ترميمه
عند طبيب. ليس الأمر ذا أهمية كبيرة".

"شكراً على النصيحة".

"هل تدين لهم بالكثير من المال؟"

"هل تعرف شيئاً عن ذلك أيضاً؟"

قال لايك متعجباً، وقد اتسعت عيناه. "نعم! لسوء الحظ".

"مم... ثمة أمر أخير لايك..."

"طوني، أو طوني س". علك لايك كلماته بتبجح. مثل شخص خالٍ من الهموم
في هذا العالم، كما فكر هاري.

"طوني، هل ذهبت يوماً إلى بحيرة لايسرن؟ تلك الموجودة في أوست...؟".
"نعم، طبعاً. هل أنت مجنون؟". ضحك طوني. "مزرعة لايك موجودة في روستاد.

أذهب إلى منزل جدي هناك كل صيف. عشت أيضاً عامين هناك تقريباً. إنه مكان رائع،
أليس كذلك؟ لماذا تريد أن تعرف؟". اختفت ابتسامته على الفور. "أوه اللعنة! هناك

عشرتم على المرأة! إنها مصادفة، أليس كذلك؟".

قال هاري: "حسناً. ليس هذا مستبعداً. لايسرن بحيرة كبيرة".

"صحيح. شكراً مجدداً هاري". مدّ لايك يده. "وإذا ظهرت أي أسماء لها علاقة بشاليه هافاس، أو جاء شخص ما إليكم، اتصل بي وسأرى إذا كان بوسعي تذكره. تعاون كامل هاري".

شاهد هاري نفسه وهو يصافح الرجل الذي قرر للتو أنه قتل ستة أشخاص خلال الأشهر الثلاثة الماضية.

خمس عشرة دقيقة مرّت على مغادرة لايك عندما اتصلت كاترين برات.
"نعم؟".

قالت: "جواب سلمي على أربعة أسماء".

"والاسم الخامس؟".

"إصابة واحدة. في أعماق أحشاء المعلومات الرقمية".

"تعبير شاعري".

"سوف تحب الجواب. يوم السادس عشر من فبراير، تلقى الياس سكوغ اتصالاً من رقم غير مسجل باسم أي شخص. بتعبير آخر، رقم سري. وقد يكون هذا هو السبب وراء عدم اكتشاف شرطة أوسلو...".
"ستافانجر".

"... للرباط قبلاً. لكن، في الأحشاء الداخلية...".

"تقصدين بذلك سجل تليثور الداخلي، المحمي جيداً".

"شيء من هذا القبيل. تبين أن شخصاً اسمه طوني لايك، هولمنفين 172، هو صاحب ذلك الرقم السري".

صرخ هاري: "نعم!!! أنت ملاك".

"هذا انتقاء غير جيد للتشبيه، مثلما أعتقد. تبدو وكأنك قد سمعت للتو بأني حكمت على رجل بالسجن لمدى الحياة".

"أتحدث إليك لاحقاً".

"انتظر! ألا تريد أن تسمع شيئاً عن جوسي كولكا؟".

"كدت أنسى ذلك. قولي".

وقالت.

العرض

عشر هاري على كاجا في قسم مكافحة الجرائم؛ في المنطقة الحمراء في الطابق السادس. ابتهجت عندما لاحظت هاري واقفاً عند الباب.
سألها: "أتركين الباب مفتوحاً دوماً؟".
"دوماً. وأنت؟".

"مغلقاً. على الدوام. لكنني ألاحظ أنك تخلصت من كرسي الضيوف. فكرة ذكية. إذ يحب الناس الثروة".
ضحكت. "هل تفعل أي شيء مثير للحماسة؟".
قال: "نوعاً ما". ودخل واتكأ على الجدار.

وضعت يديها على حافة مكتبها ودفعت، فتحررت هي والكرسي صوب خزانة الملفات. هناك، فتحت درجاً، وأخرجت رسالة وقدمتها لهاري. "ظننت أنك تودّ رؤية هذا".

"ما هذا؟".

"رجل الثلج. تقدم محاميه بطلب لنقله من أولرسمو إلى مستشفى عادي لأسباب صحية".

جلس على حافة المكتب وقرأ. "مم... تصلب طبقات الجلد. يتطور المرض بسرعة. أتمنى ألا يكون سريعاً جداً، فهو لا يستحق ذلك".
نظر إليها ولاحظ أنها مصدومة.

قالت: "ماتت عمه والذي من تصلب طبقات الجلد. إنه مرض رهيب".

قال هاري: "وهو رجل رهيب. بالمناسبة، أنا أوافق تماماً الذين يقولون إن القدرة على المسامحة تقول شيئاً عن الطبيعة الأساسية للشخص. أنا في أدنى مستوى".
"لم أقصد انتقادك".

قال هاري، وهو ينظر إلى الأسفل ويفرك عنقه: "أعد بأن أكون أفضل في حياتي التالية. وإذا كان الهندوس محقين، فسأكون ربما خنفساء نابحة. لكنني سأكون خنفساء

نظر إلى الأعلى، ولاحظ أن ما تسميه راكيل "سحره الصبياني اللعين" قد أعطى مفعوله. "اسمعي كاجا، جئت إلى هنا لأقدم لك عرضاً".
"حقاً؟".

"نعم". سمع هاري الرزانة في صوته، صوت رجل لا يملك القدرة على المسامحة، أو المراعاة، أو التفكير في أي شيء باستثناء أهدافه الخاصة. واعتمد تقنية الإقناع المقلوبة التي تنجح معه في أغلب الأحيان. "لكنني أوصيك برفض العرض. فمثلما ترين، أملك ميلاً لتدمير حياة الأشخاص الذين أتورط معهم".
إلا أنه ذهل عندما رأى وجهها يتورد باللون الأحمر القرمزي.
تابع قائلاً: "لكنني لا أظن أنه من المناسب فعل الأمر من دونك. الآن بعد أن أصبحنا قريبين جداً".

"قريبين من ماذا؟". اختفى التورد من وجهها.
"قريبين من معرفة الفريق المذنب. أنا الآن في طريقي إلى النائب العام المساعد في الشرطة لطلب رخصة لتوقيفه".
"أوه... طبعاً".
"طبعاً؟".

"أقصد، توقيف من؟". انحنت فوق المكتب. "لماذا؟".
"قاتلنا، كاجا".

"حقاً؟". لاحظ بؤبؤها يتسعان ببطء، وينبضان. وعرف تماماً ماذا يجري داخلها. دفق الدم قبل سقوط الحيوان الوحشي وانهياره. الاعتقال؛ الأمر الذي يمكن ذكره في سيرتها الذاتية. كيف لها أن تقاوم؟
أوماً هاري برأسه. "اسمه طوني لايك".
عاد التورد إلى وجنتيها. "يبدو الاسم مألوفاً".
"إنه على وشك الزواج من ابنة...".
"أوه نعم، إنه مخطوب من ابنة غالتونغ. هل تريد القول إنك تملك أدلة؟".
قطبت وجهها.

"أدلة ظرفية، ومصادفات".
لاحظ بؤبؤها ينقبضان مجدداً.
"أنا واثق من أنه رجلنا، كاجا".

قالت: "أفنعني". واستطاع سماع الشغف في صوتها. الشغف في ابتلاع كل شيء كما هو، لامتلاك الذريعة لاتخاذ القرار الأكثر جنوناً في حياتها لغاية الآن. وهو لا ينوي أبداً حمايتها من نفسها؛ لأنه يحتاج إليها. إنها مثالية لوسائل الإعلام؛ فهي شابة، وذكية، وامرأة طموحة. مع وجه جذاب وسجل نظيف. باختصار، إنها تملك كل شيء لا يملكه. إنها جان دارك التي لا تريد وزارة العدل حرقها.

تنشق هاري الهواء، ثم كرر الحديث الذي حصل بينه وبين طوني لايك بالتفصيل. من دون أن يتساءل كيف يستطيع أن يعيد ما تم قوله كلمة كلمة. لطالما اعتبر زملاؤه هذه القدرة مميزة لديه.

قالت كاجا بعدما أنهى كلامه: "شاليه هافاس، الكونغو، بحيرة لايسرن. كان في كل الأماكن".

"نعم، وتمت إدانته بالعنف. ويعترف بأن نيته كانت القتل".

"رائع. لكن...".

"الخبر العظيم فعلاً يأتي الآن. اتصل بالياس سكوغ؛ قبل يومين من العثور عليه مقتولاً".

تحول بؤبؤها إلى اللون الأسود.

قالت بهدوء: "عثرنا عليه".

"أنقصدين بكلمة "عثرنا" أنك موافقة؟".

"نعم".

تنهد هاري. "أتدركين جيداً مخاطر الانضمام إليّ في هذا؟ حتى لو كنت محقاً بشأن لايك، لا توجد ضمانات بأن هذا التوقيف والمتابعة الناجحة للقضية كفيلاً بقلب توازن السلطة لصالح هاغن. وحينها ستصبحين في الحضيض".

"ماذا عنك؟". انحنى فوق المكتب، ولمعت أسنانها الصغيرة المستدقة. "لماذا تظن أن الأمر يستحق المجازفة؟".

"أنا شرطي فاشل، ولا أملك الكثير لأخسره كاجا. بالنسبة إليّ، إما هذه القضية أو لا شيء. لا أستطيع العمل في قضايا نارك أو الاعتداءات الجنسية، ولن تقدم لي كريبوس أبداً أي عرض. لكن، بالنسبة إليك شخصياً، قد يكون هذا قراراً سيئاً".

قالت، وقد باتت جدية الآن: "قراراتي سيئة عادة".

قال هاري، وهو ينهض: "جيد. سأذهب إلى مكتب النائب العام المساعد. لا تتحركي".

"سأكون هنا هاري".

ارتطم هاري مباشرة بوجه رجل بدا جلياً أنه كان يقف عند الباب منذ بعض الوقت.

قال الرجل مع ابتسامة عريضة: "عذراً، أريد فقط استعارة السيدة لبعض الوقت".
أوماً برأسه في اتجاه كاجا، والضحك يرقص في عينيه.
قال هاري: "تفضل". وأعطى الرجل ابتسامة وجيزة، ثم مشى مسرعاً في الممر.
قالت كاجا: "أسلاك كرونغلي. ما الذي يأتي بشاب ريفي إلى المدينة الكبيرة السيئة؟".

"المعتاد، مثلما أفترض". قال الشرطي من أوستاوسيت.

"الحماسة وأضواء النيون وضجيج الزحمة؟".

ابتسم أسلاك. "العمل، وامرأة. هل أستطيع أن أقدم لك فنجان قهوة؟".

قالت كاجا: "ليس الآن. ثمة أمور مهمة تحصل، وعليّ أن أكون في أهبة الاستعداد. لكنني سأفرح بأن أقدم لك فنجان قهوة في المطعم الذي يقع في الطابق العلوي. إذا سبقتني، فستكون قد منحتني الوقت لإجراء اتصال هاتفي".
رفع لها إصبعه وذهب.

أغمضت كاجا عينها وأخذت نفساً طويلاً ومرتعشاً.

يقع مكتب النائب العام المساعد في الشرطة في الطابق السادس، ولذلك لم يضطر هاري إلى المشي كثيراً. النائب العام المساعد امرأة شابة استلمت مهامها على ما يبدو بعد أن زار هاري هذا المكتب للمرة الأخيرة، نظرت فوق نظارتها فيما دخل إلى المكتب.

قال هاري: "أحتاج إلى إذن توقيف".

"ومن تكون؟".

"هاري هول، مفتش".

قدّم لها بطاقته المهنية، رغم أنه لاحظ من ردة فعلها المسعورة أنها سمعت باسمه قبلاً. تخيل ما يمكن أن تكون قد سمعته، وقرر عدم الاستفسار. من جهتها، دوّنت اسمه على استمارة البحث والتحري، ودققت في بطاقته المهنية بنظرات شزر مبالغ فيها؛ كما لو أن الاسم معقد جداً.

سألت: "ترخيصان؟".

أجاب هاري: "لا بأس".

وضع علامة صح أمام كلمة "توقيف"، وأخرى أمام كلمة "بحث"، فيما تراجعت إلى الخلف على كرسيها بطريقة دفعت هاري إلى الاعتقاد بأنها نسخة عن وضعية: أمامك ثلاثون ثانية لإقناعي، والتي يعتمدها معظم النواب العامين المساعدين في الشرطة.

عرف هاري من خبرته الخاصة أن الحجة الأولى هي الأكثر أهمية - فهي التي تحسم التفكير في عقل النائب العام المساعد - ولذلك بدأ بالاتصال الذي أجراه لايك بالياس سكوغ قبل يومين من الجريمة. هذا بالرغم من توكيد لايك عندما تحدث إلى هاري بأنه لا يعرف سكوغ، ولم يتحدث إليه في الشاليه. الحجة رقم اثنين هي تهمة الاعتداء التي اعترف لايك بأنها كانت محاولة قتل، ولاحظ هاري أن الرخصة التي يطلبها باتت تقريباً في حوزته. لذا، أضاف مسألة المصادفات في الكونغو وبحيرة لايسرن، من دون الدخول في الكثير من التفاصيل. نزعت نظارتها.

قالت: "مبدئياً، أنا موافقة. لكنني أحتاج إلى التفكير قليلاً في المسألة".

شتمها هاري في قرارة نفسه. فالنائب العام المساعد صاحب الخبرة كان سيعطيه رخصة التوقيف على الفور، لكنها كانت مبتدئة جداً، حيث لا تجرؤ على فعل ذلك من دون استشارة الآخرين. يفترض أن تكون هناك لافتة "قيد التدريب" على بابها، وعندها كان سيتوجه إلى مكتب آخر. لكن الوقت فات الآن.

قال هاري: "الأمر ملح".

"لماذا؟".

أخرجته. لوّح هاري بيده في الهواء، كما لو أنه يفترض بهذه الحركة أن تقول كل شيء، لكنها لم تقل أي شيء.

"سأخذ قراري مباشرة بعد الغداء...". نظرت مجدداً إلى الاستمارة. "... سيد هول. سأضع الرخصة في مكتبك إذا حصلت على الموافقة".

أطبق هاري أسنانه للتأكد من عدم قوله أي شيء جارح؛ لأنه عرف أنها تتصرف بطريقة مسؤولة. بطبيعة الحال، إنها تعوّض عن كونها شابة، ومن دون خبرة، وامرأة في عالم يهيمن عليه الرجال. إلا أنها كشفت عن عزم يجب احترامه. فمنذ البداية، أوضحت أن تقنية السرعة لا تمشي معها. جيد. أحس برغبة في الإمساك بنظارتها وسحقها.

قال: "هل يمكنك الاتصال بي على رقمي الداخلي عندما تحسمين قرارك؟ في

الوقت الحاضر، مكتبي بعيد قليلاً".

قالت بلباقة: "لا بأس".

كان هاري في الرواق تحت الأرض، على مسافة خمسين متراً تقريباً من المكتب، عندما سمع الباب يفتح. خرج شخص، وأقفل الباب بسرعة وراءه، واستدار وبدأ يركض صوب هاري. إلا أنه تجمد في مكانه عندما لمح.

سأله هاري برفق: "هل فاجأتك بيورن؟".

المسافة بينهما كانت لا تزال أكثر من عشرين متراً، لكن الجدران أرجعت صدى الصوت صوب بيورن هولم.

"قليلاً". قال الرجل من توتن، وهو يسوي القبعة متعددة الألوان التي تغطي شعره الأحمر. "أتنصت على رفاقك".

"مم... وأنت؟".

"ماذا عني؟".

"ماذا تفعل هنا؟ ظننت أن لديك ما يكفي من العمل في كريبوس. حصلت على وظيفة رائعة مثلما سمعت". توقف هاري على مسافة مترين من هولم الذي بدا مصدوماً بشكل ملحوظ.

قال هولم: "لست أكيداً من أنها رائعة. إذ لا يسمح لي بالعمل في ما أحبه كثيراً".

"ألا وهو؟".

"الأدلة الجنائية. أنت تعرفني".

"حقاً؟!".

قَطَب هولم حاجبيه. "التنسيق بين الأدلة القضائية، والتخطيط الاستراتيجي! ماذا يفترض أن يكون ذلك عندما يكون العمل في المنزل؟ تمرير الرسائل، والدعوة إلى اجتماعات، وإرسال التقارير".

قال هاري: "إنها ترقية؛ بداية شيء جيد. ألا تظن ذلك؟".

زمجر هولم. "هل تعرف ماذا أظن؟ أظن أن بيلمان وضعني في ذاك المنصب لإخراجي من الحلقة، وللتأكد من عدم حصولي على أي معلومات مهمة. لأنه يشك في أنني إذا فعلت ذلك، فلن يكون أكيداً من أنه سيحصل على المعلومات قبلك".

قال هاري: "لكنه أخطأ الظن هنا". وهو يقف وجهاً لوجه أمام الشرطي القضائي.

طرفت عينا بيورن هولم مرتين. "ما هذا الهراء هاري؟".

"نعم. ما هذا الهراء؟". سمع هاري الغضب يجعل صوته مشدوداً وقاسياً. "بالله عليك، ماذا كنت تفعل في المكتب، بيورن؟ أخذت كل أغراضك من هنا". قال بيورن: "ماذا أفعل؟! أجلب هذا". ورفع يده اليمنى. كان يحمل كتاباً. قلت لي إنك ستتركه في مكتب الاستقبال، هل تذكر؟".

هانك ويليامز. السيرة الذاتية.

أحس هاري بالخجل يتدفق إليه.

"مم".

"مم". قلده بيورن.

قال هاري: "أخذته معي عندما نقلنا أغراضنا. لكننا عدنا أدراجنا حين وصلنا إلى منتصف الرواق، وأعدته إلى المكتب. وبعدها، نسيت أمره تماماً". "حسناً. هل أستطيع الذهاب الآن؟".

ابتعد هاري قليلاً، وراقب بيورن وهو يعبر الرواق تحت الأرض ويشتم عالياً.

فتح باب المكتب.

جلس على الكرسي.

نظر حوله.

الدفتري. قلبه. لم يكتب أي ملاحظات بشأن المحادثة، ولا شيء يشير إلى أن طوني لايك مشتبه به. فتح هاري الأدراج في المكتب ليرى إذا كانت هناك أدلة على مساس أحد بها. بدا كل شيء على حاله. هل يمكن أن يكون هاري مخطئاً في النهاية؟ هل يُعقل أن هولم ليس من يسرّب المعلومات إلى مايكل بيلمان؟

نظر هاري إلى ساعته. أمل أن تنتهي النائب العام المساعدة للشرطة من تناول غدائها بسرعة. نقر مفتاحاً عشوائياً على الكمبيوتر، وعادت الشاشة إلى الحياة. ظهرت الصفحة مع آخر بحث له في محرك غوغل. وفي خانة البحث، سطع الاسم أمامه: طوني لايك.

الرخصة

قال أسلاك كرونغلي، وهو يبرم كوب القهوة في يده: "إذاً؟". رأت كاجا أن الكوب يبدو صغيراً جداً في يده الكبيرة. جلست قبالته أمام الطاولة الأكثر قرباً إلى النافذة. يقع المطعم الخاص بالشرطة في الطابق العلوي، ويعتمد التصميم النروجي القياسي؛ أي الضوء والنظافة، لكنه ليس حميماً جداً حيث يدفع الناس إلى المكوث لوقت أطول من المعتاد. الميزة الأبرز في الغرفة هي المنظر المطل على المدينة، لكن بدا أن هذا لم يثر اهتمام كرونغلي كثيراً.

تابع قائلاً: "تحققت من سجلات النزلاء في الشاليهات الأخرى التي تعتمد الخدمة الذاتية في المنطقة. الوحيدتان اللتان ذكرتا في السجل أنهما تويان قضاء الليلة التالية في شاليه هافاس كانتا شارلوت لوليس وإيسكا بيلر، اللتين كانتا في تونغ في الليلة السابقة".

قالت كاجا: "ولدينا أصلاً معلومات بشأنهما".

"نعم. لذا، في الواقع، أملك فقط أمرين قد يهمانك".
 "وهما؟".

"كنت أتحدث عبر الهاتف مع ثنائي متقدم في العمر أمضيا الليلة في شاليه تونغ مع لوليس وبيلر. قالوا إن رجلاً جاء في المساء، وتناول القليل من الطعام، وبدل قميصه، ثم تابع طريقه صوب الجنوب الغربي. رغم أن العتمة كانت تخيم في الخارج، والشاليه الوحيد الموجود في ذلك الاتجاه هو شاليه هافاس".
 "وذلك الشخص...".

"بالكاد لمحاه. بدا وكأنه لا يريد أن يراه أحد أيضاً. فهو لم ينزع القبعة عن رأسه، ولا النظارة عن وجهه، ولا حتى عندما بدّل قميصه. قالت الزوجة إنها ظنت أنه تعرض لإصابة بالغة ذات مرة".
 "ولم هذا القول؟".

"تذكر فقط أنها فكرت في ذلك، لكنها لا تعرف لماذا. إلا أنه قد يكون غير

الاتجاه بعدما توارى عن بصرهم، وتزلج متجهاً إلى شاليه آخر".

قالت كاجا، وهي تتحقق من ساعتها: "أفترض ذلك".

"بالمناسبة، هل جاء أحد استجابة لإنداركم بخصوص الجرائم؟".

قالت كاجا: "لا".

"يبدو وكأنك تقصدين نعم".

نظرت كاجا إلى أسلاك كرونغلي بغضب، الذي تفاعل مع ردة فعلها برفعه راحتي يديه عالياً. "يا الله! أنا آسف. لم أقصد أي شيء بقولي هذا".

قالت كاجا: "حسناً".

نظرا كلاهما إلى كوبي القهوة أمامهما.

قالت كاجا: "قلت إن لديك أمرين قد أكون مهتمة فيهما. ما هو الثاني؟".

قال كرونغلي: "أعرف أنني سأندم على قولي هذا". عادت الضحكة الصامتة إلى عينيه.

حزرت كاجا فوراً الاتجاه الذي ستسلكه المحادثة، وعرفت أنه محق: سوف يندم. "أنا أقيم في فندق البلازا، وتساءلت إذا كنت تودين تناول العشاء معي الليلة هناك".

لاحظت من تعبير وجهه أنه لم تكن قراءة تعبير وجهها أمراً صعباً.

قال: "لا أعرف شخصاً آخر في المدينة". وكشّر بفيه بطريقة كان ينوي بها ربما أن تكون ابتسامة ساحرة. "باستثناء صديقتي السابقة طبعاً، ولا أجرؤ على الاتصال بها". بدأت كاجا القول: "سيكون لطيفاً..." ثم توقفت. لاحظت أن أسلاك كرونغلي بدأ يندم على اقتراحه. "لكنني مرتبطة بموعد آخر".

ابتسم كرونغلي: "جيد. كان الإنذار المسبق قصيراً. ماذا عن الغد؟". ومرر أصابعه في شعره الأجدد.

"أنا... أنا مشغولة جداً في هذه الأيام أسلاك".

أوماً كرونغلي برأسه، وبدا وكأنه يومئ لنفسه. "طبعاً، طبعاً أنت مشغولة. الرجل الذي كان في مكتبك عندما وصلت هو السبب ربما؟".

"لا. أصبح لديّ مدرء جدد الآن".

"لم أكن أقصد المدرء بكلامي".

"أوه؟".

"قلت إنك مغرمة بشرطي. وبدا لي أنه لم يجد صعوبة كبيرة في إقناعك. كان

أفضل مني في أي حال".

"لا، لا، لم يكن هو! هل فقدت صوابك؟ أنا... أوه، لا بد أنني شربت كثيراً تلك الليلة". استطاعت كاجا سماع ضحكها الفطرية، وشعرت بالدم يتدفق إلى عنقها. قال كرونغلي وهو ينهي قهوته: "أوه حسناً. عليّ الخروج إلى المدينة الكبيرة الباردة. أفترض أنه توجد متاحف للزيارة ومقاهٍ للتسلية".
"نعم. عليك الاستفادة قدر الإمكان".

رفع حاجبه، وتلألأت الدموع في عينيه، وضحك بصوت عالٍ؛ تماماً مثلما كان يفيض يفعل في النهاية.

راففته كاجا إلى الخارج. وفيما صافح يدها، لم تستطع كبح نفسها. "اتصل بي إذا شعرت بالكثير من الوحدة، وسأرى إذا كان بوسعي الهروب قليلاً".
ترجمت ابتسامته على أنها امتنان لمنحه الفرصة برفض اقتراح أو على الأقل عدم القبول به.

واقفة في المصعد المؤدي إلى الطابق السادس، تذكرت كاجا ما قاله لها: "... لم يجد صعوبة كبيرة في إقناعك". كم مضى من وقت على وقوفه هناك عند الباب يسترق السمع؟

عند الساعة الواحدة، رنّ الهاتف أمام كاجا.

إنه هاري. "حصلت أخيراً على الرخصة. هل أنت جاهزة؟".
أحست بقلبيها يخفق أسرع. "نعم".
"سترة؟".

"سترة وسلاح".

"سوف تهتم فرقة الدلتا بالسلاح. بات أفرادها موجودين الآن في سيارة خارج المرأب، ومستعدين للانطلاق. أحضري الرخصة من مكتبي من فضلك".
"حسناً".

بعد عشر دقائق، كانا جالسين في واحدة من سيارات الدلتا ذات الاثني عشر مقعداً، ومتوجهين غرباً عبر وسط المدينة. أصغت كاجا إلى هاري وهو يشرح أنه اتصل بلايك قبل نصف ساعة في المبنى حيث استأجر مكتباً وأجابوه أنه يعمل خارج المكتب اليوم. اتصل بعدها برقم منزله في هولمنفين. أجاب طوني لايك، فأنهى هاري الاتصال. لقيادة العملية، طلب هاري خصيصاً ميلانو، وهو رجل بدين وداكن البشرة وصاحب

حاجيين سميكين، ولا يملك قطرة من الدم الإيطالي في عروقه؛ بالرغم من اسمه. عبروا نفق إيسين، وسطح الضوء المنعكس على خوذات ثمانية رجال من نخبة رجال الشرطة بدوا أنهم في حالة تأمل عميقة.

جلس هاري وكاجا على المقعد الخلفي. كان هاري يرتدي سترة سوداء مع كلمة POLITI مكتوبة بأحرف صفراء كبيرة على الجهتين الأمامية والخلفية، وقد أخرج مسدسه للتحقق من وجود رصاصات في كل الحجرات.

قالت كاجا: "ثمانية رجال من الدلتا وصفارة". وأشارت إلى الضوء الأزرق الذي يبرم على سطح سيارة MPV. "هل أنت واثق من أننا لا نغالي قليلاً؟".

قال هاري: "يجب أن نغالي قليلاً. إذا أردنا جذب الانتباه إلى الشخص الذي استهّل هذا الاعتقال، فإننا نحتاج إذاً إلى مبالغة أكثر من المعتاد". "هل سرّبت الخبر للصحافة؟".

نظر إليها هاري باستغراب.

قالت: "أفصد إذا أردت لفت الانتباه. تخيل الأمر، لايك، الشخص المشهور، يتم توقيفه بتهمة قتل ماريت أولسن. ستفضل الصحافة نشر هذا الخبر بدلاً من خبر ولادة أميرة".

قال هاري: "وماذا لو كانت خطيبته موجودة هناك؟ أو الأم؟ هل ستظهران أيضاً في الصحف وعلى البث التلفزيوني المباشر؟". أرجع المسدس إلى الخلف لتثبيت الأسطوانة في مكانها.

"ماذا سنفعل إذاً بعامل المبالغة؟".

قال هاري: "ستأتي الصحافة لاحقاً. سيسألون الجيران، والمارة، ويسألوننا أيضاً. وسيكتشفون كم كان الاستعراض عظيماً. هذا يكفي. لم يتورط أي أبرياء، وسنحصل على الجائزة الكبرى".

وجهت إليه نظرة جانبية، فيما انعكست عليهما ظلال النفق التالي الذي عبروه. اجتازوا ماجور تسوين وتوجهوا نحو سليمان السفين، مروراً بفيندرين، ولاحظته يحدق إلى خارج النافذة، عند محطة الترامواي، وبدا العذاب الواضح على وجهه. أحست برغبة ملحة في وضع يدها فوق يده، ولقول شيء ما، أي شيء يمكن أن يزيل ذلك التعبير. نظرت إلى يده. كانت تمسك بالمسدس، وتضغط عليه، كما لو أنه كل ما يملكه. لا يمكن أن يستمر ذلك، لأن شيئاً على وشك الانفجار، أو بالأحرى انفجر أصلاً. تحركوا صعوداً وصعوداً، وأصبحت المدينة تحتهم. اجتازوا خطوط الترامواي،

ثم بدأت الأضواء تومض خلفهم، وجرى خفض الحاجز.

أصبحا في هولمنفين.

"من سيذهب معي إلى الباب، ميلانو؟". صرخ هاري للراكب الجالس على المقعد الأمامي.

أجابه ميلانو: "دلنا 3 ودلنا 4". واستدار وأشار إلى رجل يحمل الرقم 3 على الجهتين الأمامية والخلفية لسترته القتالية.

قال هاري: "حسناً. والباقون؟".

"رجلان عند كل جهة من المنزل. الإجراء دايك 1-4-5". عرفت كاجا أن هذا رمز الخطة. تمت استعارته من كرة القدم الأميركية، والهدف منه التواصل بسرعة من دون أن يفهم أي شخص آخر، في حال نجح أحدهم في التنصت على الموجات اللاسلكية التي تستخدمها الدلتا. توقفوا فجأة قبل منزلين من منزل لايك. تحقق ستة من الرجال من أسلحتهم الـMP5 وخرجوا من السيارة. رأتهم كاجا وهم يتحركون عبر الحدائق الكبيرة لمنازل الجيران فوق العشب الذابل، وقرب أشجار التفاح العارية والأسياج العالية المعتمدة مبدئياً في غرب أوسلو. تحققت كاجا من ساعتها. مضت أربعون ثانية عندما صدح الجهاز اللاسلكي الخاص بميلانو. "الجميع في أمكتهم".

أفلت السائق دواسة الفرامل، وتقدمت السيارة ببطء نحو المنزل. منزل طوني لايك الذي اشتراه حديثاً كان أصفر اللون، من طابق واحد، وكبيراً جداً، لكن العنوان أكثر تألقاً من الهندسة المعمارية التي جمعت نوعاً ما بين الطابع العملي ومظهر الصندوق الخشبي، مثلما وجدت كاجا.

توقفت السيارة أمام بابي مرأب عند نهاية ممر مكسو بالحصى يفضي إلى الباب الأمامي. قبل أعوام عدة، خلال محنة اختطاف رهائن في فيستفولد حيث أحاطت فرقة الدلتا بمنزل، فرّ الخاطفون عبر مسار يؤدي من المنزل إلى المرأب، وأداروا محرّك سيارة صاحب المنزل وهربوا فيها بكل بساطة، أمام ذهول رجال الشرطة المسلحين.

قال هاري لكاجا: "ابقي في الخلف واتبعيني. المرة التالية، سيكون دورك".

خرجوا من السيارة، ووصل هاري فوراً إلى المنزل فيما لحق به شرطيان آخران؛ حيث كانا على مسافة خطوة واحدة فقط خلفه وإلى جانبه؛ على شكل مثلث. أحست كاجا من صوته أن نبضه قد تسارع بشدة. ولاحظت ذلك أيضاً في لغة جسده؛ في توتر عنقه، وفي طريقة تحركه بخفة مبالغ فيها.

صعدوا الدرج. رنّ هاري الجرس. وقف الشرطيان الآخران إلى جانبي الباب،

وظهراهما إلى الجدار.

عدت كاجا. أخبرها هاري في السيارة أن دليل منظمة الإف بي آي يقول إنه يجدر بالشرطة رنّ الجرس، أو الطرق على الباب مرتين، والصراخ عالياً "شرطة!"، ومن ثم "افتحوا من فضلكم"، وتكرار ذلك ومن ثم الانتظار عشر ثوان قبل الدخول. لا تملك الشرطة النروجية مثل هذه التعليمات الدقيقة، لكن هذا لا يعني أنها ليست إرشادات متبعة.

لكن، بعد ظهر هذا اليوم في هولمنفين، لم يحصل أي شيء من ذلك. فقد انفتح الباب بقوة. تراجعت كاجا خطوة واحدة إلى الخلف عندما رأت القبعة متعددة الألوان عند الباب، ثم رأت كتفي هاري تتحركان، وسمعت صوت ضربة قوية على اللحم.

بيفيس

ردة الفعل كانت لا إرادية، ولم يستطع هاري ببساطة كبجها. فعندما ظهر وجه الشرطي القضائي بيورن هولم، الشبيه بالبدر، عند باب طوني لايك، ولاحظ هاري بقية رجال الشرطة يتحركون مثل خلية النحل خلفه، أدرك بلمح البصر ما حصل، وتحول كل شيء إلى عتمة سوداء. أحسّ فقط باللكمة تمتدّ عبر ذراعه وصولاً إلى كتفه، ومن ثم شعر بالألم في أصابعه. وعندما فتح عينيه مجدداً، رأى بيورن هولم على ركبتيه في الردهة، والدم يسيل من أنفه إلى فمه ويتقطر من ذقنه. قفز اثنان من فرقة الدلتا إلى الأمام، ووجها سلاحيهما صوب هولم، لكنهما كانا جلياً في حالة ذهول. فقد رأيا ربما هذه القبعة متعددة الألوان قبلاً، وأدركا تماماً أن بقية الرجال الذين يرتدون الأبيض من شرطة مسرح الجريمة. قال هاري للرجل الذي يحمل الرقم 3 على صدره: "أبلغ أن الوضع تحت السيطرة، وأنه تم توقيف المشتبه به؛ من قبل مايكل بيلمان".

جلس هاري على الكرسي، ومدد ساقيه بعيداً بقدر بعد مكتب غونار هاغن. "الأمر بسيط جداً سيدي. عرف بيلمان أننا كنا على وشك توقيف طوني لايك. يقع مكتب المدعي العام في الجهة المقابلة من الشارع؛ في المبنى نفسه لكريمتكينيسك. لذا، كل ما كان عليه فعله هو الذهاب إلى هناك والحصول على رخصة التوقيف من أحد النواب العاميين. حصل على الرخصة ربما في دقيقتين، فيما انتظرت أنا ساعتين كاملتين!".

قال هاغن: "لا داعي لأن تصرخ".

صرخ هاري، وهو يضرب ذراع الكرسي: "لا داعي لأن تصرخ أنت، لكن هناك داعياً لي. اللعنة، اللعنة، اللعنة!".

"يفترض أن تكون سعيداً لأن هولم لن يتقدم بشكوى ضدك. لماذا ضربته

على أي حال؟ هل هو من يسرّب المعلومات؟".

"هل تريد أي شيء آخر، سيدي؟".

نظر هاغن إلى المفتش، ثم هز رأسه. "خذ إجازة لمدة يومين هاري".

حصل ترولس بيرنستن على العديد من التسميات خلال طفولته. لكن معظم تلك الألقاب أصبحت طي النسيان الآن. إلا أنه حصل على لقب مباشرة بعدما أنهى المدرسة في بداية التسعينيات: إنه بيفيس؛ ذلك الأحمق في الرسوم المتحركة على شاشة MTV. شعر أشقر، فك سفلي نافر، وضحكة عالية. حسناً، هو يضحك هكذا ربما. وقد فعل ذلك منذ أيام المدرسة الابتدائية؛ خصوصاً كلما ضربه أحدهم. قرأ في مجلة للرسوم المتحركة أن الرجل الذي صنع بيفيس وبات - هيد يدعى جادج. لا يستطيع تذكر اسمه الأول. لكن، في أي حال، قال ذلك الرجل جادج إنه تخيل أن والد بيفيس رجل ثمل يضرب ابنه. يذكر ترولس بيرنستن أنه رمى يومها تلك المجلة على الأرض، وغادر المتجر وهو يضحك عالياً تلك الضحكة الغريبة.

إن لديه خالين كانا في قسم الشرطة، ونجح شخصياً في تلبية شروط الدخول بمساعدة قريبه ورسالتي توصية. واجتاز الامتحان بمساعدة الرجل الجالس قربه. كان هذا أقل ما يمكنه فعله. فهما رفيقان منذ أيام الطفولة؛ رفيقان تقريباً. بصراحة، كان مايكل بيلمان رئيسه منذ أن كانا في الثانية عشرة من العمر؛ عندما التقيا في موقع المبنى الكبير الذي جرى تفجيريه في منغلوود. ضبطه بيلمان وهو يحاول إضرام النار في جرد ميت، وأراه كم هو ممتع حشو حنجرة الجرد بإصبع من الديناميت. حتى إنه تم السماح لترولس بإشعال إصبع الديناميت. ومنذ ذلك اليوم، لحق بمايكل بيلمان أينما ذهب؛ عندما يحصل على الإذن طبعاً. يعرف مايكل كيفية إنجاز كل الأمور التي يجهلها ترولس: المدرسة، النادي الرياضي، الدروس، التحدث بطريقة لا يتأكدك فيها أحد. حتى إنه كان يملك صديقات؛ إحداهن كانت أكبر منه. لكن، ثمة أمر واحد فقط كان ترولس أكثر براعة فيه: تلقي الضربات. بالفعل، كان مايكل يتراجع دوماً عندما يجد الشبان الأكبر سناً صعوبة في القبول بأنهم خسروا في فن الكلام البذيء، ويتوجهون صوبه بقبضات مطبقة. عندئذ، يضع مايكل ترولس أمامه؛ لأن ترولس قادر على تلقي الضربات. فقد تلقى تدريباً مكثفاً في المنزل. يستطيع أي كان ضربه حتى يسيل الدم منه، لكنه يبقى واقفاً هناك مع ضحكته العالية التي تجعل الخصم أكثر غضباً وجنوناً. لكنه لا يستطيع كبح نفسه. ببساطة يشعر بحاجة ملحة إلى الضحك، ويعرف تماماً أنه

سيتلقى بعد ذلك تربيئة على الكتف من مايكل. وإذا كان يوم أحد، فقد يقول مايكل إن هناك سباقاً جديداً بين جول وتي في. وهكذا، يقفان على الجسر تحت تقاطع راين، ويشمان رائحة الزفت المسفوع بالشمس، ويستمعان إلى محركات كاوازاكي التي تتحرك بسرعة 1000 برمة في الثانية، فيما المشجعون يصرخون ويهتفون. ثم تأتي دراجتا جول وتي في للتسابق على الطرقات السريعة الخالية من زحمة السيارات يوم الأحد، وتمران تحتهم، ومن هناك إلى النفق وبراين. وإذا كان مايكل في مزاج جيد والدة ترولس في عملها في مستشفى أكبر، كانا يذهبان لتناول غداء الأحد مع عائلة ييلمان. ذات مرة، رنّ مايكل على جرس منزل ترولس، وصرخ والده عالياً وقال له إن مايكل قد أتى ليجمع أتباعه.

لم يتجادلا يوماً. بالفعل، لم يحاول ترولس الثأر مطلقاً إذا كان مايكل في مزاج سيئ وحاول أن يسخر منه. ولا حتى في الحفلة عندما ناداه مايكل باسم بيفيس وضحك الجميع، وعرف ترولس في قرارة نفسه أن هذا الاسم سيلازمه طوال حياته. ثار مرة واحدة فقط؛ عندما قال مايكل عن والده إنه أحد الثملين في معمل كادوك. حينها، توجه ترولس صوب مايكل وهو يرفع قبضة يده، فترجع مايكل إلى الخلف واضعاً ذراعه فوق رأسه، وطلب منه عدم أخذ المسألة بجدية لأنه يمزح فقط، واعتذر منه. لكن بعد ذلك، أصبح ترولس هو من تأسف واعتذر.

ذات يوم، ذهب مايكل وترولس إلى إحدى محطات الوقود حيث عرفا أن جول وتي في يسرقان الوقود. كان جول وتي في يملآن خزان دراجة الكاولزاكي من مضخات الخدمة الذاتية، فيما الفتاة الجالسة على المقعد الخلفي تغطي رقم اللوحة بستره الدنيم المربوبة بطريقة عفوية حول خصرها. بعد ذلك، ركب الشبان على دراجتيهما وانطلقا بأقصى سرعة.

حينها، أعطى مايكل صاحب محطة الوقود الأسماء الكاملة والعناوين الخاصة بجول وتي في وواحدة فقط من الفتاتين، صديقة تي في. بدا صاحب محطة الوقود متشككاً، وتساءل إن كان قد رأى وجه ترولس قبلاً على شاشة التلفاز. أياً يكن الأمر، إنه يشبه الشاب الذي سرق علبة من الوقود قبل فترة وجيزة من اشتعال النيران في سقيفة العمال الفارغة في مانغلوود. قال مايكل إنه لا يريد أي مكافأة مقابل المعلومات، وإنما يريد فقط أن يتحمل الفريق المذنب مسؤولية أفعاله، وافترض أن صاحب المحطة مدرك تماماً لواجبه الاجتماعي. أوماً الرجل الناضج برأسه، وبدا متفاجئاً نوعاً ما. يملك مايكل تأثيراً في الأشخاص الآخرين. عندما غادرا، قال مايكل إنه سيتقدم بطلب إلى

كلية الشرطة بعد التخرج من المدرسة، وإنه يجدر ببيفيس فعل الشيء نفسه؛ خصوصاً وأنه يوجد رجال شرطة في عائلته.

لاحقاً، تعرّف مايكل إلى أولاً، ولم يعد الصديقان يريان بعضهما كثيراً. لكن، بعد التخرج من المدرسة وكلية الشرطة، تم تعيينهما في مركز الشرطة نفسه في ستوفنر، وهي ضاحية في شرق أوسلو تعجّ بجرائم العصابات والسرقات وحتى الجرائم الغريبة. بعد عام واحد، تزوج مايكل من أولاً، وتمت تربيته. أما ترولس، أو ببيفيس، مثلما بات اسمه منذ اليوم الثالث، فعمل معه، وبدا المستقبل جيداً بالنسبة إلى ترولس ورائعاً بالنسبة إلى مايكل؛ إلى أن قام شخص عنيد، وهو موظف مدني في مكتب الرواتب، باتهام بيلمان بأنه حطم فكه بعد عشاء الكرسمس. لم يملك أي دليل، وكان ترولس واثقاً من أن مايكل لم يفعل ذلك. لكن، وسط تلك الجلبة، تقدم مايكل بطلب لنقله، وتم قبوله في الأوروبول، وانتقل إلى المركز الرئيس في لاهاي حيث أصبح هناك نجماً أيضاً.

عندما عاد مايكل إلى النروج وكريوس، كان ثاني شيء فعله هو الاتصال بترولس وسؤاله: "ببيفيس، هل أنت مستعد لتفجير الجرذان مجدداً؟".

أما الشيء الأول فكان توظيف جوسي. جوسي كولكا خبير في نصف دزينة من الفنون القتالية التي تنسى اسمها قبل أن يتم حتى الانتهاء من لفظها. عمل في الأوروبول لمدة أربع سنوات، وكان قبل ذلك شرطياً في هلسينكي. أجبر جوسي كولكا على الاستقالة من الأوروبول لأنه تجاوز الحدود المرسومة أثناء التحقيق في سلسلة من حوادث الاغتصاب التي استهدفت فتيات مراهقات في جنوب أوروبا. يقال إن كولكا ضرب معتدياً جنسياً بشدة لدرجة أن محاميه واجه مشكلة في التعرف إليه. إلا أنه لم يجد مشكلة في تهديد الأوروبول بدعوى قضائية. حاول ترولس الاتصال بجوسي لإخباره بالتفصيل المثير، لكنه اكتفى بالتحديق في البعيد من دون التفوه بأية كلمة. والواقع أن ترولس أيضاً لم يكن من النوع المحب للكلام. وقد لاحظ أنه كلما تكلم المرء أقل، ازداد احتمال تقليل الناس من أهميته. وليس هذا دوماً بالأمر السيئ. إلا أنهما يملكان الليلة سبباً للاحتفال. فقد فاز مايكل نفسه؛ تماماً مثل جوسي وكريوس. وفي غياب مايكل، سيتخذون القرارات بأنفسهم.

صرخ ترولس: "اصمتوا!". وأشار إلى التلفاز المثبت على الجدار فوق المشرب

في مقهى جاستيسن. وسمع ضحكته العالية العصبية عندما التزم زملاؤه فعلاً بما قاله. ساد الصمت على الطاولات وعند المشرب. حدّق الجميع في مذيع الأخبار الذي نظر مباشرة إلى الكاميرا، وأعلن ما كانوا ينتظرونه.

"اليوم، اعتقلت كريبوس رجلاً يشبهه في أنه قتل ستة أشخاص، بمن فيهم ماريت أولسن".

علت الهتافات، وشرب الجميع نخب بعضهم بعضاً، فاخفى صوت مذيع الأخبار إلى أن انفجر صوت عميق بلكنة فنلندية - سويدية: "اصمتوا!".

أطاع شرطيو كريبوس الأمر، وركزوا انتباههم على مايكل ييلمان الذي كان واقفاً خارج مباهم في براين والغضب مستعر في وجهه.

قال مايكل ييلمان: "هذا الشخص مشبه به، وستولى كريبوس التحقيق معه لتبدأ بعد ذلك محاكمته".

"هل يعني ذلك أن الشرطة قد حلّت هذه القضية؟".

قال ييلمان مع ابتسامة صغيرة على فمه: "إن العثور على مرتكب الجرائم وإدانتهم أمران مختلفان تماماً. إلا أن تحقيقنا في كريبوس كشف الكثير من الأدلة الظرفية، والعديد من المصادفات التي اعتبرناها مناسبة لإجراء توقيف فوري نظراً لاحتمال حصول جرائم إضافية مع الكثير من الأدلة".

"الرجل الذي تم اعتقاله في العقد الثالث. هل يمكنك إخبارنا المزيد عنه؟".

"تمت إدانته قبلاً بتهمة استخدام العنف. هذا كل ما أستطيع قوله".

"سرت شائعات على الإنترنت حول هوية الرجل. قيل إنه مستثمر مشهور، وهو مخطوب لابنة صاحب سفن مشهور. هل يمكنك تأكيد هذه الشائعات بيلمان؟".

"لا أظن أن عليّ تأكيد أي شيء أو نفيه؛ باستثناء أننا في كريبوس واثقون تماماً من أننا سنحل هذه القضية قريباً".

استدار المراسل صوب الكاميرا لمتابعة تقريره، لكن الصوت اختفى وسط التصفيق العالي في مقهى جاستيسن.

طلب ترولس شراباً آخر، فيما وقف أحد التحرين على كرسي، وزعم أن قسم مكافحة الجرائم يستطيع أن يصدم رأسه في أول حائط يقابله. صدح الضحك في

الغرفة المزدهمة والملئية بروائح العرق النتنة.

في تلك اللحظة، فُتح الباب، ورأى ترولس عبر المرأة شخصاً يملأ المدخل. أحسّ بحماسة غريبة عند رؤيته؛ مع ثقة هائلة بأن شيئاً ما سيحصل، وأن شخصاً

إنه هاري هول.

وقف هناك وهو يبدو طويل القامة، وعريض الساقين، ونحيل الوجه، مع عينين حمراوين. ورغم أن أحداً لم يطلب من المجموعة السكوت، إلا أن الصمت خيم على مقهى جاستيسن من أوله إلى آخره، إلى أن سمع هسيساً أخيراً لتهدئة شرطين قضائيين ثرثارين. وعندما أصبح الصمت مطبقاً، تكلم هول.

"إذاً، أنتم تحتفلون بالمهمة التي نجحتم في سرقتها منا، أليس كذلك؟".
كان الصوت منخفضاً، أشبه بالهمس، إلا أن كل حرف تفوه به دوى صدها في الغرفة.

"أنتم تحتفلون بامتلاككم مديراً مستعداً للدوس فوق الجثث - التي تراكمت في الخارج، وتلك التي سيتم نقلها سريعاً من الطابق السادس في مركز الشرطة - لمجرد أن يكون ملك الشمس في براين اللعينة. حسناً، خذوا هذه ورقة مئة كرون".
رأى ترولس هول وهو يلوّح بالورقة النقدية.

"لا داعي لسرقة هذا. خذوا، اشترُوا لأنفسكم شراباً...". وطوى الورقة النقدية ورماها على الأرض. من زاوية عينه، لاحظ أن جوسي بدأ يتحرك. "... أو فيلماً بوليسياً جديداً".

تمايل هول على الجانب لاستعادة توازنه، وأدرك ترولس حينها أن الرجل ثمل جداً بالرغم من موعظته القوية.

في اللحظة التالية، استدار هول حول نفسه، فيما وجه إليه كولكا ضربة بيده اليمنى على ذقنه، ثم انحنى أمامه انحناءة احترام، فيما بقي الرجل الفنلندي متفوقاً على نفسه. أدرك ترولس أن هول سيتقيأ بعد ثوانٍ قليلة؛ حين يدخل بعض الهواء إلى رئتيه. هنا. بدا جلياً أن جوسي يفكر في الشيء نفسه، وأنه من الأفضل حصول ذلك في الخارج. وكانت رؤية الرجل الفنلندي البدين، الأشبه بجذع الشجرة، وهو يرفع رجله عالياً بليون راقصة الباليه، ويضعهما على كتفي هاري ويدفعهما برفق أمراً غريباً؛ حيث تراجع التحري المتفوق على نفسه إلى الخلف، وخرج من الباب الذي دخل منه قبلاً.

انفجر الأكثر ثمالة والأصغر سناً بينهم بالضحك، لكن ترولس زمجر. صرخ اثنان من الناضجين، وقال أحدهم إنه يجدر بكولكا أن يحسن التصرف. لكن أياً منهم لم يفعل أي شيء. عرف ترولس السبب؛ فالجميع هنا يذكرون القصة. كيف

جرّ هاري صاحب البذلة الرسمية في الأوساخ، وأطلق النار عليه، وقضى على حياة أحد أفضل رجالهم.

مشى جوسي صوب المشرب، مكشّر الوجه، كما لو أنه أخرج القمامة. انتحب ترولس وزمجر. لن يفهم أبداً الفنلنديين أو الساميين أو شعوب الأسكيمو أو أيّاً كانوا. من آخر القاعة، وقف رجل وشق طريقه صوب الباب. لم يره ترولس في كريبوس قبلاً، لكنه امتلك النظرة المتشككة لشرطي تحت ذلك الشعر الأجدد الداكن. صرخ أحد من حيث يجلس إلى طاولته: "أخبرني إذا احتجت إلى أي مساعدة معه أيها الشريف".

بعد ثلاث دقائق، عندما صدح صوت سيلين ديون وعادت الثرثرة إلى مستوياتها السابقة، تقدم ترولس إلى الأمام، ووضع رجله على ورقة مئة الكرون وأخذها إلى المشرب.

استعاد هاري أنفاسه، وبصق. مرة، مرتين. ثم انهار مجدداً. كان الزيت بارداً جداً؛ حيث وخز ضلوعه عبر قميصه وبقوة كبيرة. تراقصت نقاط من الدم الأحمر والديدان السوداء المتعرجة أمام عينيه. "هول؟".

سمع هاري الصوت، لكنه عرف أنه إذا أظهر أنه واعٍ فستبدأ جولة مفتوحة من الركل. لذا، أبقى عينيه مغمضتين. "هول؟". أصبح الصوت أقرب، وأحسّ بيد على كتفه.

عرف هاري أيضاً أن كمية الشراب التي احتساها خففت سرعته ودقته وقدرته على تقدير المسافات، لكنه فعلها على أي حال. فقد فتح عينيه، واستدار وحاول توجيه ضربة إلى الآخر، ثم انهار مجدداً.

إلا أنه فوّت الضربة مسافة نصف متر. قال الصوت: "سأوقف لك سيارة أجرة". زمجر هاري قائلاً: "ابتعد من هنا أيها الحقير اللعين". قال الصوت: "أنا لست من كريبوس. اسمي كرونغلي. أنا الشرطي الريفي من أوستاوسيت".

استدار هاري ونظر إليه. قال هاري بصوت خشن: "أنا متضايق قليلاً". وحاول التنفس بهدوء كي لا يجبر

الألم محتويات معدته على الصعود مجدداً. "ليست مسألة مهمة".

ابتسم كرونغلي قائلاً: "أنا متضايق قليلاً أيضاً". ووضع ذراعه حول كتفي هاري. "وبصراحة، لا أعرف أين أجد سيارة أجرة. هل تستطيع الوقوف؟".

وقف هاري على أول ساق ومن ثم على الاثنتين، وطرف بعينه مرتين، واستوعب أنه أصبح على الأقل واقفاً بشكل عمودي مجدداً. وأنه يعانق الشرطي من أوستاوسيت نصف عناق.

سأله كرونغلي: "أين ستنام الليلة؟".

نظر هاري إلى الشرطي باستغراب. "في المنزل. وأفضل أن يكون منزلي، إذا كان الأمر يناسبك".

في تلك اللحظة، توقفت سيارة شرطة أمامهما، وأنزل أحدهم زجاج النافذة. سمع هاري نهاية ضحكة معينة، ومن ثم صوتاً رزيناً:

"هل أنت هاري هول من قسم مكافحة الجرائم؟".

تهند هاري قائلاً: "صحيح".

"تلقينا للتو اتصالاً هاتفياً من أحد رجال التحري في كريبوس يطلب منا إيصالك إلى المنزل بخير وسلام".

"إذاً، افتح الباب".

جلس هاري على المقعد الخلفي، وجعل رأسه يتكئ على مسند الرأس، وأغمض عينيه، وبدأ يشعر بأن كل شيء يدور حوله، لكنه فضل ذلك على مشاهدة الرجلين يضحكان أمامه. طلب منهما كرونغلي الاتصال به عندما يصل هاري إلى منزله بأمان. ما الذي جعله يظن أنه صديقه؟

سمع هاري صوت زجاج النافذة وهو يرتفع إلى الأعلى، ومن ثم سمع الصوت اللطيف الصادر من المقعد الأمامي مجدداً.

"أين تعيش هول؟".

قال هاري: "تابع طريقك قدماً. سوف نزور شخصاً ما".

عندما أحسّ هاري أن السيارة انطلقت، فتح عينيه، وبرم ولاحظ أن أسلاك كرونغلي لا يزال واقفاً على الرصيف في موليرغاتا.

الاتصال بالمنزل

استلقت كاجا على جانبها وهي تحديق في عتمة غرفة نومها. سمعت البوابة الخارجية تفتح، ومن ثم صوت وقع خطوات على الحصى في الخارج. حبست أنفاسها وانتظرت. ثم رنّ جرس الباب. نزلت من السرير، ووضعت رداء النوم عليها وتوجهت إلى النافذة. رنة أخرى. فتحت الستائر قليلاً وتهدت. قالت بصوت عالٍ في الغرفة: "شرطي ثمل". انتعلت الخف، ومشت في الممر وصولاً إلى الباب. فتحتة ووقفت هناك شابكة ذراعيها.

قال الشرطي متلعثماً: "مرحباً أيتها الجميلة". تساءلت كاجا إذا كان يحاول أداء دور الثمل، أو إن كان كذلك فعلاً. سألته كاجا: "ما الذي جاء بك إلى هنا في هذه الساعة المتأخرة؟". "أنت. هل أستطيع الدخول؟". "لا".

"لكنك قلت إنني أستطيع الاتصال بك إذا شعرت بالوحدة. وهذا ما حصل فعلاً". قالت: "أسلاك كرونغلي، كنت نائمة. عد إلى فندقك الآن. يمكننا شرب القهوة غداً صباحاً".

"أعترف أنني أحتاج إلى قهوة الآن. عشر دقائق فقط ثم سأطلب سيارة أجرة، اتفقنا؟ يمكننا التحدث عن الجرائم والقتلة بالتسلسل لتمرير الوقت. ما رأيك؟". قالت: "أسفة. لست بمفردتي".

انتصب كرونغلي فجأة بحركة جعلت كاجا تشك في أنه ليس ثملاً مثلما ظهر في البداية. "حقاً؟! هل هو موجود هنا؛ ذلك الشرطي الذي قلت إنك مغرمة به؟". "ربما".

قال الشرطي: "وهل هذا له؟". وركل الحذاء العملاق الموجود قرب الباب. لم تجب كاجا. ثمة شيء في صوت كرونغلي، لا بل خلفه؛ شيء لم تسمعه من

قبل، مثل زمجرة منخفضة الذبذبات وبالكاك مسموعة.

"أم إنك تضعين الحذاء هنا لمجرد إخافة الزوار غير المرغوب فيهم؟". برز الضحك في عينيه. "لا يوجد أحد هنا، أليس كذلك كاجا؟".
"اسمع أسلاك".

"الشرطي الذي تحدثين عنه، هاري هول، كان ثملاً في وقت سابق من هذه الأهمية. وقد ذهب إلى مقهى جوستينسن وكان ثملاً ومهزوماً، وتشاجر مع مجموعة ثم غادر. مرّت سيارة شرطة لنقله إلى منزله. لا بد أنك حرّة الليلة، أليس كذلك؟".

حقق قلبها بصورة أسرع، ولم تعد تشعر بالبرد تحت رداء النوم.

قالت: "ربما تمّ إيصاله إلى هنا". وأحسّت أن صوتها بات مختلفاً الآن.

"لا، اتصلوا بي وقالوا إنهم أوصلوه إلى هضبة لزيارة شخص ما. وعندما وجدوا أنه يريد الذهاب إلى مستشفى ريكس ونصحوه بشدة بعدم فعل ذلك، قفز من السيارة عند إشارة المرور. أحب قهوتي قوية، اتفقنا؟".

سطع نور قوي في عينيه؛ تماماً مثل إيفن حين لا يكون على ما يرام.

"أسلاك، اذهب الآن. هناك سيارات أجرة في كيركيفين".

رفع يده إلى الأعلى، وقبل أن تتمكن من القيام بأية ردة فعل، أمسك بذراعها ودفعتها إلى الداخل. حاولت تحرير نفسها، لكنه وضع ذراعه حولها وطوّقها جيداً. همس في أذنها: "هل تريدين أن تكوني مثلها؟ التراجع بجبن والانصراف؛ تماماً

مثل كل بنات جنسك...".

تأوهت، وحاولت الإفلات، لكنه كان قوياً.

"كاجا!".

جاء الصوت من غرفة النوم حيث كان الباب مفتوحاً؛ صوت رجل صارم وقوي، كان كرونغلي سميّزه ربما في ظروف أخرى. لأنه سمعه قبل ساعة واحدة فقط في جوستينسن.

"ماذا يجري كاجا؟".

أفلتها كرونغلي وهو يحدّق فيها بعينين واسعتين وفم مفتوح.

قالت كاجا، من دون أن تبعد نظرها عن كرونغلي: "لا شيء. مجرد شرطي ثمل

من أوستاوسيت في طريقه إلى منزله".

تراجع كرونغلي إلى الخلف صوب المدخل الأمامي من دون التفوه بكلمة. ثم خرج وأغلق الباب خلفه بقوة. تقدّمت كاجا إلى الأمام وأحكمت القفل، ثم وضعت

جيينها على الخشب البارد. أحست برغبة في البكاء. ليس بسبب الخوف أو الصدمة؛ وإنما بسبب اليأس. كل شيء حولها ينهار. كل شيء ظنت أنه نظيف وصحيح بدأ أخيراً يظهر بصورته الحقيقية. بدأ الأمر يحصل منذ بعض الوقت، لكنها لم تشأ أن ترى الحقيقة؛ لأن ما قاله إيفن كان صحيحاً. ما من أحد مثلما يبدو، ومعظم الحياة أكاذيب وخيبات أمل؛ باستثناء الخيانة الصادقة. ويوم نكتشف أننا لسنا مختلفين، يكون اليوم الذي لا نرغب فيه بالحياة.

"هل أنت آتية كاجا؟".

"نعم".

ابتعدت كاجا عن الباب الذي أرادت بشدة أن تهرب عبره، وذهبت إلى غرفة النوم. انسلّ ضوء القمر من بين الستائر ووصل إلى السرير، وسطع على زجاجة الشراب التي أحضرها معه للاحتفال، وعلى جسده العاري والرياضي، وعلى الوجه الذي ظنته يوماً الأجمل في هذه الأرض. البقع البيضاء في وجهه تالأت مثل الطلاء اللامع؛ كما لو أنه يتوهج من الداخل.

المرساة

وقفت كاجا عند الباب تنظر إليه؛ مايكل ييلمان. بالنسبة إلى الآخرين، إنه رئيس شرطة كفوء وطموح؛ إنسان متزوج وأب لثلاثة أولاد، والرئيس الوشيك لكريبوس العظيمة التي ستتولى التحقيق في كل الجرائم في النروج. بالنسبة إليها، كاجا سولنس، إنه الرجل الذي وقعت في غرامه لحظة التقيا، والذي سحرها بكل الوسائل المتاحة له، إضافة إلى بعض الوسائل الأخرى. كانت طريفة سهلة، لكن هذه ليست غلظته، بل غلظتها؛ غلظتها الكبيرة. ألم يكن هذا ما قاله هاري: "إنه متزوج ويقول إنه سترك زوجته وأولاده من أجلك، لكنه لا يفعل ذلك أبداً".

لقد فكّر بشكل صائب. طبعاً. هذه هي حقيقة الأمر. فنحن نصدق لأننا نريد أن نصدق. في الحب، لأن التصديق يعزز مفهوم الحياة. في ما يقوله الرجال المتزوجون، لأن هذا ما يقوله الرجال المتزوجون.

عرفت ما سيقوله مايكل، ثم قاله:
"عليّ الذهاب. ستبدأ بالتساؤل".

تنهدت كاجا قائلة: "أعرف". ومثل المعتاد، لم تطرح الأسئلة التي تخطر دوماً في بالها عندما يقول لها ذلك. لماذا لا توقف تساؤلاتها؟ لماذا لا تفعل ما فكرت فيه منذ زمن طويل؟ والآن، ظهر سؤال جديد: لماذا لم أعد واثقة من أنني أريده أن يفعل ذلك؟

تشبث هاري "بالدرايزين" أثناء صعوده إلى قسم أمراض الدم في مستشفى ريكس. كان مبتلاً بالعرق، ومتجمداً، واصطكت أسنانه مثل المحرك ثنائي الشفرة. وكان ثملاً ومليئاً بالوحشية؛ مليئاً بنفسه، مليئاً بالحقارة. تعثر في الرواق. سيصل تقريباً إلى باب غرفة والده في طرف الرواق.

أخرجت ممرضة رأسها من مكتبها، ونظرت إليه، ثم اختفت مجدداً. توجب على هاري اجتياز خمسين متراً إضافياً للوصول إلى الباب، عندما وقفت ممرضة

برفقة ممرض حليق الرأس في الرواق لمنعه من إكمال الطريق.

قال الممرض حليق الرأس: "لا نحفظ بالعقاقير في هذا القسم".

قال هاري، وهو يحاول السيطرة على توازنه، وعلى اصطكاك أسنانه: "ما تقوله ليس فقط كذبة كبيرة، وإنما إهانة كبيرة. أنا لست بائع مخدرات، وإنما أنا ابن أتي لزيارة والده. لذا، أرجوكم ابتعدا عن طريقي".

قالت الممرضة التي بدت مطمئنة جداً للفظ هاري الدقيق: "أعتذر. لكن راثحك تشير إلى أنك ثمل...".

قال هاري: "إذا، يجدر بك القول إن راثحتي شبيهة ب... إنها...".

قال الممرض: "لكن"، وأمسك هاري من مرفقه، لكنه أفلته بسرعة ما إن تم برم يده. زمجر الممرض وكشّر ألماً قبل أن يطلق هاري سراحه. وقف هاري منتصباً بكامل طوله ورمقه بغضب.

قال الممرض: "اتصلي بالشرطة غيرد". من دون أن يُبعد نظراته عن هاري.

قال صوت فيه لثغة صيانية: "إذا كنتما لا تمانعان، فسوف أهتم شخصياً بالأمر". إنه سيغورد ألتمان. كان يضع ملفاً تحت ذراعه، وارتسمت ابتسامة ودودة على وجهه. "هل تملك الوقت لتأتي معي إلى حيث نضع العقاقير هاري؟".

تأرجح هاري مرتين إلى الأمام والخلف، وركز على الرجل الصغير النحيل ذي النظارة دائرية العدستين، ثم أوماً برأسه. قال ألتمان: "من هنا". وتابع سيره.

كان مكتب ألتمان عبارة عن مخزن بكل معنى الكلمة. لا نوافذ، لا تهوئة ظاهرة للعيان، وإنما مكتب وكمبيوتر، وسرير قابل للطي، شرح أنه للدوام الليلي، حيث يتمكن من النوم عليه، والاستيقاظ متى دعت الحاجة. بالإضافة إلى خزانة مع قفل افترض هاري أنها تحتوي على مجموعة من العقاقير الكيميائية.

قال هاري وهو جالس على حافة السرير، محرّكاً شفثيه عالياً كما لو أنهما ملتصقتان بغراء: "ألتمان. اسم غريب. أعرف شخصاً واحداً فقط كان يحمل هذا الاسم".

قال سيغورد، وهو يجلس على الكرسي الوحيد في الغرفة: "روبير. لم أحب من كنت عليه في القرية الصغيرة عندما كبرت. لذا، ما إن تركت القرية، حتى تقدمت بطلب لتغيير شهرتي. بررت السبب بالقول إن روبير ألتمان هو المخرج المفضل لدي؛ وهذه هي الحقيقة. ولا بد أن الموظف المسؤول كان ثملاً ذلك اليوم لأنه قبل الطلب".

قال هاري: "اللاعب".

أضاف ألتمان: "غوسفورد بارك".

"جروح قصيرة".

"آه، تحفة فنية".

"جيد، ولكن لم يحصل على إعجاب الكثيرين. فيه الكثير من المواضيع. الإخراج والسيناريو جعلوا الحبكة معقدة على نحو غير ضروري".
"الحياة معقدة. الناس معقدون. شاهده مجدداً، هاري".
"مم".

"كيف الحال؟ هل من تقدم في قضية ماريت أولسن؟".

قال هاري: "تقدم. تم اليوم اعتقال الشخص الذي ارتكب الجريمة".
"أوه، حسناً، أستطيع فهمك؛ أنت تحنل". وضع ألتمان ذقنه قرب صدره وحدث فوق نظارته. "عليّ الاعتراف بأنني آمل في أن أتمكن من إخبار أحفادي بأن معلوماتي عن الكيتانوم هي التي سهّلت القضية".
"طبعاً. لكن الاتصال الهاتفي بواحد من بين الضحايا هو الذي كشف القاتل".
"مساكين".
"من المسكين؟".

"كلهم مساكين؛ مثلما أفترض. لذا، لم أنت مستعجل لرؤية والدك الآن، الليلة؟".
وضع هاري يده أمام فمه وتجشأ من دون إصدار صوت.
قال ألتمان: "ثمة سبب وجيه. مهما كنت ثملاً، هناك دوماً سبب وجيه. من جهة أخرى، ليس ذلك السبب من شأنه قط، ولذلك يجدر بي ربما إبقاء فمي مغلق...".
"هل طُلب منك يوماً تنفيذ القتل الرحيم؟".
هز ألتمان كتفه. "بضع مرات. نعم. بصفتي ممرّضاً متخصصاً في التخدير، أكون خياراً بدهياً. لماذا؟".

"طلب مني والدي فعل ذلك".

أوماً ألتمان برأسه ببطء. "إنه عبء ثقيل لفرضه على أي كان. ألهذا السبب جئت الآن إلى هنا؟ لإنهاء المسألة؟".

جال نظر هاري سابقاً في الغرفة للتأكد ممّا إذا كان هناك أي نوع من الشراب، وأعاد الآن الكرّة. "جئت أطلب السماح؛ لعدم تمكيني من فعل ذلك له".
"لا تحتاج إلى السماح بسبب ذلك. فأخذ حياة ليس أمراً يمكنك فرضه على

أي كان، فكيف بابنك؟".

وضع هاري رأسه بين يديه. أحس أنه قاسٍ وثقيل، مثل كرة البولينغ.
قال: "فعلتها مرة قبلاً".

بدا صوت ألتمان متفاجئاً أكثر مما هو مصدوم. "هل نفذت يوماً القتل الرحيم؟".
قال هاري: "لا. رفضت تنفيذه. على أسوأ عدو لي. إنه مصاب بمرض فتاك
ومؤلم جداً وغير قابل للشفاء. إنه يختنق ببطء داخل بشرته المنكمشة".
قال ألتمان: "تصلب البشرة".

"عندما ألقيت القبض عليه، حاول إجباري على إطلاق النار عليه. كنا
بمفردنا، فقط أنا وهو. كان قد قتل عدداً غير معروف من الأشخاص، وألحق الأذى
بي وبالأشخاص الذين أحبهم. إنه أذى دائم. كان مسدسي مصوباً نحوه. كنا بمفردنا؛
دفاع عن الذات. لم أجرؤ على قتله".

قال ألتمان: "لكنك فضلت معاناته؛ فقد كان الموت أسهل عليه".
"نعم".

"والآن تشعر أنك تفعل الشيء نفسه مع والدك. أنت تجعله يعاني بدلاً من
السماح له بالذهاب".

فرك هاري عنقه. "ليس لأنني أتشبث بالحياة أو بأي شيء من هذا القبيل. إنه
ضعف؛ نقي وبسيط. إنه جبن. بالله عليك، ألا تملك شيئاً لشربه هنا ألتمان؟".
هز سيغورد ألتمان رأسه. لم يكن هاري واثقاً ما إذا كان هذا جواباً عن سؤاله
الأخير، أم عن الأشياء الأخرى التي قالها. ربما كان جواباً لكلا الأمرين معاً.

"لا يمكنك تجاهل مشاعرك هكذا، هاري. فأنت، مثل أي شخص آخر، تحاول
تجاوز الحقيقة القائلة إننا محكومون بمفاهيم الصح والخطأ. قد لا يملك فكرك كل
الحجج لهذه المفاهيم، لكنها متجذرة في أعماقك؛ صحيحة وخاطئة. إنها ربما أشياء
قالها لك أهلك عندما كنت صغيراً، قصة خرافية فيها عبرة قرأتها لك جدتك، أو شيء
غير عادل عشته في المدرسة وأمضيت الوقت وأنت تفكر فيه، أو مجموع كل هذه
الأمر نصف المنسية". انحنى ألتمان إلى الأمام وتابع "عبارة متأصلة في أعماقنا عبارة
بليغة جداً؛ لأنها تقول لك إنك قد لا تتمكن من رؤية المرساة في الأعماق، لكنك لا
تستطيع أيضاً التحرك من ذلك المكان، حيث تبقى طافياً حوله، ويكون منزلك. حاول
تقبل ذلك هاري. تقبل المرساة".

حدّق هاري في يديه المطويتين. "الألم الذي عاني منه...".

قال ألتمان: "الألم الجسدي ليس أسوأ شيء يواجهه الإنسان. صدقني، فأنا أراه كل يوم. ولا الموت أيضاً. ولا حتى الخوف من الموت".
"ما هو أسوأ شيء إذا؟".

"الذلّ، والحرمان من الشرف والكرامة، والإحساس بالنبذ من المجموعة. هذا هو العقاب الأسوأ. إنه أشبه بدفن الإنسان حياً. والعزاء الوحيد هو أن ذلك الشخص سيموت بسرعة".

استمر هاري في النظر إلى ألتمان. "مم... ألا تملك أي شيء في تلك الخزانة لتلطيف الجو هنا؟".

استجواب

كان مايكل بيلمان يحلم بالسقوط الحر مجدداً. تسلق وحده جرف "إل تشورو"، تشبث بالمسمار غير الموجود، تسارع جدار الجرف أمام عينيه، وأحس بالأرض تقترب منه بسرعة. رنّ المنبه في اللحظة الأخيرة. مسح صفار البيض عن فمه، ونظر إلى أولاً الواقفة مباشرة خلفه تملأ كوبه بالقهوة من آلة تحضير القهوة. تعلمت التعرف إلى اللحظة المحددة التي يكون فيها جاهزاً للأكل، وكان يرغب حينها - وليس قبل ثانية واحدة - في أن يتم سكب قهوته المغلية في الكوب الأزرق. كان هذا واحداً من الأسباب التي جعلته يقدرها. ثمة سبب آخر وهو أنها حافظت على رشاقة جسمها؛ حيث لا تزال تحصد نظرات الإعجاب في الحفلات التي تتم دعوتها إليها أكثر فأكثر. في النهاية، كانت أولاً ملكة جمال منغلرود من دون أي منازع عندما تعرفا إلى بعضهما. كان هو في الثامنة عشرة وهي في التاسعة عشرة. ثمة سبب ثالث، وهو أن أولاً - من دون إحداث جلبه كبيرة حول الموضوع - وضعت أحلامها في إكمال دراستها جانباً ليتمكن هو من التركيز أكثر على مهنته. إلا أن الأسباب الثلاثة الأكثر أهمية كانت تتمثل في أولاده الذين جلسوا حول المائدة، وتشاجروا للحصول على اللعبة البلاستيكية الموضوعية في علبة الكورن فلاكس، وحول من يجدر به الجلوس اليوم على المقعد الأمامي عندما توصلهم أمهم إلى المدرسة. فتانان وصبي. ثلاثة أسباب مثالية لتقدير المرأة وتناغم جيناتها مع جيناته.

سألته: "هل ستأخر الليلة مجدداً؟". فيما ربتت على شعره بحنان. عرف أنها تحب شعره.

قال: "قد تكون جلسة طويلة. سوف نبدأ اليوم مع المشتبه به". عرف أنه خلال النهار سوف تنشر الجرائد ما بات معلوماً: الشخص الذي تم توقيفه هو طوني لايك. إلا أنه اتخذ مبدأ، وهو ألا يكشف أبداً أسرار العمل في المنزل. فهذا يتيح له أيضاً تبرير سبب تأخره المنتظم بعبارة "لا أستطيع التحدث عن هذا حبيبي".

سألته وهي تدهن الزبدة على فطائر الأولاد تمهيداً لتوضيب وجبة الغداء الخاصة

بهم: "لماذا لم تستجوبوه البارحة؟".

"توجب علينا جمع المزيد من الحقائق، والانتهاء من تفتيش منزله".

"هل وجدتم أي شيء؟".

قال: "أخشى أنني لا أستطيع أن أجيبك بدقة حبيبتي". ووجه إليها تلك النظرة الحميمية النادرة كي لا يكشف حقيقة أنها وضعت إصبعها على النقطة الحساسة. بيورن هولم والشرطيون المتخصصون في مسرح الجريمة لم يجدوا خلال البحث أي شيء يمكن أن يربط لايك بأي من الجرائم. لكن، في الوقت الحاضر - لحسن الحظ - إن هذا الأمر غير مهم.

قال بيلمان: "لن يضير أبداً وضعه في زنزانه لليلة واحدة. سيجعله ذلك أكثر تعاوناً عندما نبدأ. والقسم الأول من الاستجواب هو دوماً الأكثر أهمية".
سألته: "حقاً؟". وحزر أنها تحاول أن تبدو مهمة.

"عليّ الذهاب". نهض وقلبها على وجتها. نعم، لا شك في أنه يقدرها. ففكرة تجاهلها هي والأولاد؛ أي تجاهل الإطار والبنية التحتية للذين أتاحا له الترفي في المراتب، والصفوف فكرة سخيطة طبعاً. أن يتبع نبضات قلبه، أن يرمي كل شيء كرمي للحب أو أياً كان، أمر غير عملي؛ حلم يستطيع التفكير فيه والتحدث عنه، فيما كاجا تستمع إليه. لكن، إذا كان هناك داعٍ للحلم، فإن مايكل بيلمان يفضل الأحلام التي هي أكبر من ذلك.

تحقق من أسنانه الأمامية في المرأة الكبيرة الموجودة في الردهة، وتأكد من أن ربطة عنقه الحريرية مستقيمة. فالصحافة ستكون موجودة بأعداد كبيرة.

لكم من الوقت سيتمكن من الاحتفاظ بكاجا؟ أحسّ ببعض الشكوك لديها في الليلة الماضية، وشعر بقلّة حماسها أثناء علاقتهما الحميمة. لكنه عرف أيضاً أنه طالما يتسلق نحو القمة - كما هي حاله لغاية الآن - فسيتمكن من السيطرة عليها. ليس لأن كاجا امرأة انتهازية مع أهداف واضحة حول ما يمكن أن يفعله لها في مهنتها؛ بصفته الرئيس العام، وليست مسألة فكر، بل إنه مجرد انجذاب بيولوجي. تستطيع النساء التمتع بالعصرية بقدر ما يشأن، لكن حين يتعلق الأمر بالخضوع للذكر، فإنهن لا يزلن في المستوى البدائي. لكن، إذا بدأت الشكوك تساورها في أنه لن يتخلى أبداً عن زوجته كرمي لها، فسيكون الوقت قد حان ربما لمنحها بعض التشجيع. في النهاية، إنه يحتاج إليها لتعطيه معلومات من داخل قسم مكافحة الجرائم؛ إلى أن يتم حسم كل الأمور العالقة، إلى أن تنتهي المعركة ويربح الحرب.

توجه إلى النافذة وهو يزرر معطفه. المنزل الذي ورثه من أهله يقع في منغلرود، وهي ليست المنطقة الفضلى في المدينة إذا سألت سكان القسم الغربي. لكن بالنسبة إلى الأشخاص الذين ترعرعوا هنا ويميلون إلى البقاء هنا، فإن هذا المكان رائع، وهو مكانه؛ مع منظر مظل على بقية أوصلو التي ستصبح قريباً ملكه أيضاً.

قال الشرطي بالبذلة الرسمية: "إنهم آتون الآن". وقف عند باب إحدى غرف الاستجواب في كريبوس.
قال مايكل بيلمان: "حسناً".

يحب بعض المحققين أن يتم إدخال الشخص المراد التحقيق معه إلى الغرفة أولاً، لجعله ينتظر، وللإيضاح من المسؤول. وهكذا، يستمتعون بالدخول العظيم والشروع فوراً في الاستجواب فيما يكون المتهم في أقصى درجات الضعف. إلا أن بيلمان فضل أن يكون جالساً ومستعداً عند إدخال المشتبه به. لفرض حدوده، وللإعلان من هو سيد الغرفة. لا يزال قادراً على إبقاء المشتبه به ينتظر فيما يتصفح أوراقه، ويشعر بالتوتر المتراكم في الغرفة. وبعدها، عندما يحين الوقت، يرفع عينيه ويبدأ. لكن هذه مجرد تفاصيل دقيقة في تقنيات الاستجواب، والتي يسعد بطبيعة الحال بمناقشتها مع بقية المحققين الكفوئين. تحقق مجدداً من أن ضوء التسجيل أحمر اللون قيد العمل. فالاهتمام بالمعدات التقنية بعد وصول المشتبه به قد يفسد التحديد الأولي للمكانة. رأى عبر النافذة بيفيس وكولكا وهما يدخلان إلى المكتب المحاذي. مشى بينهما طوني لايك الذي تم إحضاره من قسم الاحتجاز في مركز الشرطة.

أخذ بيلمان نفساً عميقاً. نعم، أصبح نبضه مشدوداً. هناك مزيج من العدائية وتوتر الأعصاب. رفض طوني لايك وجود محام. في المبدأ، يعتبر ذلك ميزة لصالح كريبوس؛ إذ يمنحهم تفوقاً أكبر. لكنه في الوقت نفسه دليل على أن لايك لا يملك الكثير ليخشاه. أحتمق مسكين، لا يعرف أن بيلمان يملك الدليل بأن لايك اتصل بالياس سكوغ مباشرة قبل قتله. حتى إنه زعم أنه لا يعرفه.

نظر بيلمان إلى الأوراق، وسمع لايك وهو يدخل الغرفة. أغلق بيفيس الباب خلفه مثلما طُلب منه.

قال بيلمان من دون أن ينظر إلى الأعلى: "اجلس".

سمع لايك ينفذ ما طلبه منه.

توقف بيلمان عند ورقة عشوائية، ومسح شفته السفلية بسبابته، فيما عدّ ببطء في

قرارة نفسه؛ بدءاً من الرقم واحد. خيم الصمت على الغرفة الصغيرة المغلقة. واحد، اثنان، ثلاثة. تلقى مع زملائه دورة في طرق الاستجواب الجديدة التي طلب منهم استخدامها. والهدف منها - حسب أولئك الرجال الأكاديميين - هو الانفتاح والحوار والثقة. أربعة، خمسة، ستة. استمع بيلمان بهدوء - في النهاية، تم اختيار النموذج من أعلى مستوى - لكن، أي نوع من الشخصيات يظن أولئك الأشخاص أن كريبوس تحقق معهم؟ أرواح حساسة وإنما مطبوعة تقول لك كل ما تريد معرفته مقابل وجود كتف للبكاء عليها؟ أصرّوا على أن الطرق التي تستخدمها الشرطة لغاية الآن، أي نموذج مكتب التحقيقات الفدرالي (إف بي آي) التقليدي المؤلف من تسع مراحل، غير بشري، ومراوغ، ويجعل الناس الأبرياء يعترفون بجرائم لم يرتكبوها، وهو بالتالي غير فعال. سبعة، ثمانية، تسعة. حسناً، قد يتم كشف المجرمين الحقيقيين، لكن ما هذا مقارنة مع الفارين من العدالة الذين يقتلون أنفسهم ويسخرون من الانفتاح والحوار والثقة؟ عشرة.

ضغط بيلمان أطراف أصابعه على بعضها ورفع عينيه.

"نعرف أنك اتصلت بالياس سكوغ من أوسلو، وأنتك بعد يومين كنت في ستافانجر، وأنتك قتلته. هذه هي الحقائق الموجودة لدينا، لكنني أتساءل لماذا. ألم تكن تملك حافظاً، لايك؟".

إنها المرحلة الأولى من النموذج المؤلف من تسع مراحل الذي وضعه عملاء مكتب التحقيقات الفدرالي إينباو ورايد وباكلي: المواجهة، ومحاولة استخدام الصدمة لتوجيه الضربة المباشرة، والإعلان بأنهم يعرفون كل شيء أصلاً، ولا جدوى من الإنكار. ثمة هدف وحيد لذلك: الاعتراف. هنا، دمج بيلمان الخطوة الأولى مع تقنيات استجواب أخرى: ربط حقيقة معينة مع أمر آخر أو أمور أخرى. في هذه الحالة، ربط التاريخ المحسوم للاتصال الهاتفي بتوجه لايك إلى ستافانجر وكونه القاتل. وبما أنهم يملكون الدليل للاتهام الأول، فسوف يستتج لايك تلقائياً أنهم يملكون دليلاً أيضاً على الاتهامات الأخرى. وهذه الحقائق بسيطة جداً وغير قابلة للجدل؛ حيث تتقل مباشرة إلى الشيء الوحيد الذي بقي من دون جواب: لماذا؟

رأى بيلمان لايك وهو يتلع لعابه، ورآه يكشف عن أسنانه البيضاء المرصوفة بشكل مثالي في محاولة لرسم ابتسامة، ورأى الارتباك في عينيه، وعرف أنهم ربحوا أصلاً. قال لايك: "لم أتصل بالياس سكوغ".

تنهد بيلمان. "هل تريد أن أريك لائحة الاتصالات المسجلة من تيلينور؟".

هزّ لايك كتفه. "لم أتصل به. أضعت هاتفاً خلويّاً قبل فترة. اتصل به ربما شخص ما باستعمال ذلك الهاتف؟".

"لا تحاول أن تكون ذكياً لايك. نحن نتحدث عن خط أُرضي".

"لم أتصل به. أقول لك الحقيقة".

"سمعت، حسب السجلات الرسمية، أنك تعيش وحدك".

"نعم، صحيح. في الواقع...".

"تمام عندك خطيبتك بين الحين والآخر. وفي بعض الأحيان، تستيقظ قبلها وتذهب إلى العمل فيما لا تزال في شقتك؟".

"يحدث ذلك أحياناً. لكنني أتواجد أكثر في شقتها".

"حسناً، الآن. هل تملك وريثة غالتونغ شقة أكثر فخامة من شقتك، لايك؟".

"ربما. لكنها أكثر حميمة حتماً".

شيك بيلمان ذراعيه وابتسم. "لكن، إذا لم تتصل بالياس سكوغ من منزلك، فلا بد أنها هي التي فعلت ذلك. أعطيك خمس ثوانٍ لتبدأ بالتحدث بدنطق معنا، لايك. خلال خمس ثوانٍ، ستلقى سيارة شرطة موجودة في شوارع أوصلو الأمر بالتوجه مع صفارات الإنذار إلى ذلك المنزل الحميم الخاص بها، وتكبل يديها، وإحضارها إلى هنا، والسماح لها بالاتصال بوالدها لإخباره بأنك تتهمها بالاتصال بالياس سكوغ. وهكذا، سيجمع أندرس غالتونغ أفضل المحامين الموجودين في النروج للدفاع عن ابنته، وستجد نفسك شخصياً أمام عدوّ حقيقي. أربع ثوانٍ، ثلاث ثوانٍ".

هزّ لايك كتفه مجدداً. "إذا كنت تجد هذا كافياً لإصدار مذكرة توقيف بحق امرأة

شابة صاحبة سجل نظيف وخالٍ من الشوائب، فهياً، امض قدماً. لكنني أشك نوعاً ما في أن أكون أنا من حصل على العدو".

راقب بيلمان لايك. هل قلل من شأنه في النهاية؟ بات الآن أصعب على القراءة.

في أي حال، انتهت المرحلة الأولى. من دون اعتراف. جيد، هناك ثماني مراحل باقية.

المرحلة الثانية في النموذج المؤلف من تسع مراحل تقضي بالتعاطف مع المشتبه به

بواسطة أفعال عادية. لكن هذا يفترض أنه يعرف الحافز أو أنه يعمل مع شيء يستطيع

تطبيع. الحافز لقتل كل النزلاء الذين صودف وجودهم في شاليه تزلج ليس أمر بدهياً،

ويتخطى الحقيقة الجلية بأن حوافز معظم القتلة بالتسلسل تكون مخفية في الروح التي

لا يسيرها العديد منا. أثناء تحضيراته، قرر بيلمان التعاطي بخفة مع مرحلة التعاطف

قبل الانتقال مباشرة إلى مرحلة الحافز: إعطاء المشتبه به سبباً للاعتراف.

"أقول لك، لايك، إني لست عدوك. أنا مجرد شخص يريد أن يفهم لماذا تفعل ما تفعله. ما الذي يجعلك تؤذي. يبدو جلياً أنك إنسان قادر وذكي. ما عليك إلا النظر إلى ما حققته في مجال الأعمال. أتعجب فعلاً من كيفية وضع الناس أهدافاً نصب أعينهم، ومن كيفية سعيهم إلى تحقيقها بصرف النظر عن رأي الآخرين؛ الأشخاص الذين يميزون أنفسهم عن الحشود العادية المسعورة. قد أقول لك إني أجد نفسي بين أولئك الأشخاص. أنا أفهمك ربما أكثر مما تظن، طوني".

طلب بيلمان من أحد رجال التحري الاتصال بأحد زملاء لايك في البورصة لمعرفة كيف يفضل لايك لفظ اسمه الأول "طووني" أو "توني" أو "طوني". وجاء الجواب "طوني". لفظ بيلمان الاسم بالطريقة الصحيحة، ونظر إلى عينيه وحاول ألا يزيح نظره أبداً.

"والآن، سأقول شيئاً لا يجدر بي قوله ربما، طوني. بسبب عدد من المسائل الداخلية، لا نستطيع تكريس الكثير من الوقت لهذه القضية، ولهذا السبب أرغب في الحصول على اعتراف. نحن لا نقدم عادة عرضاً لمشتبه به نملك هذا الكم من الأدلة ضده، لكن هذا يعجل الإجراءات. ومقابل الاعتراف أعرض عليك عقوبة مخففة. أخشى أنني ملزم بالإطار القانوني في ما يتعلق بتقديم عرض محدد. لكن، فلنقل إن العرض سيكون مغريباً بينك وبينني. اتفقنا، طوني؟ إنه وعد. وقد بات الآن مسجلاً على الشريط". وأشار إلى الضوء الأحمر على الطاولة بينهما.

وجه لايك نظرة تأمل طويلة إلى بيلمان، ثم فتح فمه. "الشخصان اللذان أحضراني إلى هنا أخبراني أن اسمك بيلمان".

"نادني مايكل، طوني".

"قالا أيضاً إنك رجل ذكي جداً، وصارم، وإنما جدير بالثقة".

"نعم، أظن أنك ستكتشف هذا بمفردك".

"قلت عرضاً مغريباً، أليس كذلك؟".

"أقسمت لك!". أحس بيلمان بنبضه يتسارع.

قال لايك: "اتفقنا".

قال مايكل بيلمان، وهو يلامس شفته السفلية بالإبهام والسيابة: "حسناً، هل ننتقل من البداية؟".

أجاب لايك "لا بأس"، وأخرج من جيبه الخلفي ورقة صغيرة يبدو أن ترولس وجوسي قد سمحا له بالاحتفاظ بها. "حصلت على التواريخ والأسماء من قبل هاري

هول لكي تكون الأمور أسرع. توفيت بورغني ستيم ميهر بين العاشرة والحادية عشرة ليلاً، يوم السادس عشر من ديسمبر، في أوصلو".
قال بيلمان: "صحيح". وأحسّ بابتهاج كبير.

"تحققت من الروزنامة الخاصة بي. في ذلك الوقت، كنت في سكاين، في قاعة بير جينت، إيسن هاوس، حيث كنت أتحدث عن مشروع الطنطاليت خاصتي. يمكنكم التأكد من ذلك بواسطة الشخص الذي استأجر القاعة، إضافة إلى مئة وعشرين مستثمراً محتملاً كانوا موجوبين هناك. أفترض أنك تعرف أن الوصول إلى هناك يستلزم ساعتين. الضحية التالية كانت شارلوت لوليس بين... دعني أرى... بين الحادية عشرة ومنتصف الليل يوم الثالث من يناير. في ذلك الوقت، كنت أتناول العشاء مع عدد من المستثمرين في هامار. تبعد ساعتين بالسيارة من أوصلو. بالمناسبة، استقللت القطار، حاولت إيجاد التذكرة، ولكن من دون جدوى لسوء الحظ".

ابتسم باعتذار لبيلمان الذي توقف عن التنفس. ولوهلة، ظهرت أسنان لايك البيضاء بين شفثيه قبل أن يختم كلامه بالقول: "لكني آمل في أن تجدوا بعض الشهود الموثوقين بين الاثني عشر شخصاً الذين كانوا موجودين خلال العشاء".

"ثم قال إن هناك احتمالاً باتهامه بقتل ماريت أولسن؛ لأنه رغم بقائه في المنزل مع خطيبته، فقد كان في الواقع وقت مقتلها يتزلج لمدة ساعتين في حلبة سوركيدالن ذلك المساء.

هزّ ما بكل بيلمان رأسه، وأقحم يديه أكثر في جيبي معطفه، فيما تأمل لوحة الولد المريض.

سألت كاجا: "في الوقت الذي توفيت فيه ماريت أولسن؟". وأحنت رأسها، ونظرت إلى فم الفتاة الشاحبة. تركز عادة على أمر واحد عندما يلتقيان في "متحف مانش". أحياناً، تركز على العينين، وأحياناً أخرى على المنظر الطبيعي في الخلفية، أو الشمس، أو ببساطة توقيع إدوارد مانش.

"قال إنه لا يستطيع لا هو ولا ابنة غالتونغ...".
صححت كاجا: "لين".

"... أن يذكرنا بالضبط متى، لكن الوقت كان متأخراً على الأرجح، لأنه يجب عادة التواجد في حلبة التزلج بمفرده".

"يمكن أن يكون طوني لايك قد ذهب إلى فروغنر بارك بدلاً من ذلك. إذا

كان في سوركيدالن، فسيتوجب عليه اجتياز محطات دفع الضريبة مرتين، في طريقي الذهاب والإياب. وإذا كان يملك تأشيرة إلكترونية على زجاج سيارته، فقد تمّ تسجيل الوقت بصورة تلقائية. وبعدها..."

استدارت، وتوقفت فجأة عندما التقت عيناها عينيه الباردتين.

قالت: "... لكنك تحققت من ذلك طبعاً".

أجاب مايكل: "لا داعي إلى فعل ذلك. لا يملك تأشيرة تلقائية، وإنما يتوقف ويدفع المال نقداً. وبالتالي لا يوجد أي سجل لرحلته".

أومأت برأسها. انتقلا إلى اللوحة التالية، ووقفنا خلف عدد من السياح اليابانيين الذين كانوا يومئون ويتحدثون بجلبة. ميزة اللقاء في متحف مانس خلال الأسبوع - إضافة إلى كونه في منتصف الطريق بين كريوس في براين ومركز الشرطة في غرونلاند - هي أنه واحد من مقاصد السياح؛ حيث تضمن عدم اللقاء أبداً بزملائك أو جيرائك أو معارفك.

سألته كاجا: "ماذا قال لايك عن الياس سكوغ وستافانجر؟".

هزّ مايكل رأسه مجدداً. "قال إنه يمكن اتهامه ربما بهذه القضية أيضاً. فقد نام بمفرده في تلك الليلة، ولا يملك بالتالي عذراً مبرئاً. سألته حينها إن كان قد ذهب إلى العمل في اليوم التالي، وأجاب أنه لا يذكر، لكنه افترض أنه ذهب عند الساعة السابعة كالمعتاد. وقال إنه يمكنني التحقق مع عاملة الاستقبال في مبنى المكاتب المشتركة إذا كنت أعتبر الأمر مهماً. وهذا ما فعلته، وتبين أن لايك قد حجز واحدة من غرف الاجتماعات عند الساعة التاسعة والربع. وبعد الحديث إلى عدد من المستثمرين في المكتب، وجدت أن اثنين منهم كانوا فعلاً في الاجتماع مع لايك. وإذا كان قد غادر منزل الياس سكوغ عند الساعة الثالثة فجراً، فإنه يحتاج إلى طائرة للوصول. ولم يكن اسمه على أي من لوائح الركاب".

"لا يعني ذلك الكثير. لقد سافر ربما باسم مستعار وهوية زائفة. وفي أي حال، ما زال لدينا اتصاله الهاتفي بسكوغ. كيف برّر ذلك أصلاً؟".

زمجر بيلمان قائلاً: "لم يحاول التبرير أصلاً. فقد أنكر الأمر ببساطة. ما الذي يجده الأشخاص رائعاً جداً في رقصة الحياة؟ الوجوه ليست جميلة حتى. تبدو مثل وحوش الزومبي برأيي الشخصي".

تأملت كاجا الراقصين في اللوحة الفنية، وقالت: "ربما، صحيح".

فهقه بيلمان: "ما تعريفك لوحوش زومبي؟".

"الأشخاص الذين يتحركون مثل الراقصين، وإنما يشعرون مثل الموتى في الداخل؛ كأنهم مدفنون ومتحللون. لا مجال".
"نظرية مثيرة، سولنس".

تكره عندما يستعمل اسم شهرتها، وهذا ما يفعله عادة عندما يكون غاضباً، أو يجد الأمر ببساطة ملائماً لتذكيرها بتفوقه الفكري. والواقع أنها تسمح له بفعل ذلك لأن الأمر يبدو مهماً له بصورة جلية. وهو ربما أكثر تفوقاً منها على الصعيد الفكري. ألم يكن هذا جزءاً من سبب وقوعها في غرامه؟ ذكائه المتفوق؟ لم تعد تتذكر الأمر بوضوح الآن.

قالت: "عليّ العودة إلى العمل".

سألها مايكل: "لفعل ماذا؟". ونظر إلى الحارس الواقف وراء الجبل في الجهة الخلفية للغرفة، والمتائب. "لعدّ الملفات وانتظار تحرك قسم مكافحة الجرائم؟ تعريفن أنك سببت لي مشكلة كبيرة مع المدعو لايك، أليس كذلك؟".
صرخت: "أنا؟!". وهي غير مصدقة لما تسمعه.

"أخفضي صوتك عزيزتي. أنتِ التي أبلغتني أن هاري قد اكتشف أمر لايك. أخبرتني أنه سيعتقله، ووثقت بك. وثقت بك كثيراً لدرجة أنني اعتقلت لايك استناداً إلى معلوماتك، وبالتالي أخبرت الصحافة أن القضية باتت محسومة. وها قد انفجر الآن هذا الهراء في وجوهنا اللعينة. يملك الرجل أعداءاً مبرئة لاثنتين من الجرائم على الأقل. سوف نطلق سراحه في وقت ما اليوم. لا شك في أن حماه المستقبلي يستدعي المحامين من الجحيم لمقاضاتنا، وسوف يرغب وزير العدل في معرفة كيفية ارتكابنا مثل هذه الحماقة. والآن، لن يكون كبش المحرقة أنت، أو هول، أو هاغن، وإنما أنا، سولنس. هل تفهمين؟ أنا وحدي. وعلينا فعل شيء حيال ذلك. يتوجب عليك أنت فعل شيء ما حيال ذلك".
"وما هو؟".

"ليس الكثير، خدعة، وسنهتم نحن بالباقي. أريدك أن تصطحبي هاري إلى العشاء، الليلة".

"أصطحبه؟ أنا؟".

"إنه يستلطفك".

"وما الذي يجعلك تظن ذلك؟".

"ألم أخبرك أنني رأيتكما جالسين تدخان على الشرفة؟".

أصبحت كاجا شاحبة. "وصلت متأخراً، لكنك لم تقل إنك رأيتنا".
"كنتما مشغولين جداً ببعضكما ولم تسمعا السيارة، ولذلك ركنتها وراقبتكما. إنه يستلطفك حبي. والآن، أريدك أن تصطحبيه إلى مكان ما؛ لمدة ساعتين، ليس أكثر."
"لماذا؟".

ابتسم مايكل بيلمان. "إنه يمضي الكثير من الوقت جالساً في المنزل، أو مستلقياً. لم يكن يجدر بهاغن أن يعطيه إجازة مطلقاً. لا يستطيع هول تحمل ذلك. ولا نريده أن يشرب حتى الثمالة ويموت في أوبسال، أليس كذلك؟ اصطحبيه لتناول العشاء في مكان ما. وتأكدي فقط من عدم تواجده في المنزل بين الثامنة والعاشرة. وكوني حذرة. لا أعرف إذا كان حاد الذكاء أو مصاب بالرهاب، لكنه تأمل سيارتي عن كثب ليلة غادر منزلك. اتفقنا؟".

لم تجب كاجا. كانت ابتسامة مايكل هي الابتسامة التي تحلم بها في الفترات الطويلة التي يغيب فيها عنها؛ عندما تمنعه الواجبات المهنية والعائلية من لقائها. لكن، كيف حصل أن تلك الابتسامة نفسها الآن جعلت معدتها تنقلب وتنكمش؟
"أنت... لا تفكر في...".

قال مايكل، وهو ينظر إلى ساعته: "أفكر في فعل ما يجدر بي فعله".
"ألا وهو؟".

هزّ كتفه. "ما رأيك؟ استبدال كبش المحرقة، مثلما أظن".

"لا تطلب مني فعل ذلك مايكل".

"لكني لا أطلب منك. أنا أمرك".

بالكاد كان صوتها مسموعاً. "وإذا... وإذا رفضت؟".

"لن أسحق حينها هول وحده، بل سأسحقك أنت أيضاً".

انعكس الضوء المنبعث من السقف على البقع البيضاء الصغيرة في وجهه. وجدته وسيماً جداً. يجدر بشخص ما رسمه.

الدمى المتحركة ترقص كما يجب الآن. اكتشف هاري هول أني اتصلت بالياس سكوغ. أستلطفه. أعتقد أنه كان بوسعنا أن نكون صديقين لو التقينا عندما كنا صغيرين أو في سنوات المراهقة. نملك بعض الأشياء المشتركة؛ مثل الذكاء. إنه التحري الوحيد الذي يمتلك القدرة على رؤية ما هو مخبأ خلف الكواليس. ويعني ذلك طبعاً أنه يجدر بي توخي الحذر معه. أتطلع شوقاً إلى رؤية كيفية تطور الأمور؛ بفرح طفولي.

القسم الخامس

خنفساء حمراء

فتح هاري عينيه وحدق في خنفساء كبيرة حمراء تزحف في اتجاهه بين قنيتين فارغتين، وتخرخر مثل الهرة. توقفت، ثم خرخرت مجدداً، وشقت طريقها خمسة سنتيمترات إضافية في اتجاهه على طاولة القهوة الزجاجية، تاركة وراءها خطاً رفيعاً في الرماد. مدّ يده، وأمسك بها ووضعها على أذنه. سمع صوته وكأنه صخرة مسحوقة. "توقف عن الاتصال بي، أويستن".

"هاري...".

"من هذا؟".

"أنا كاجا. ماذا تفعل؟".

نظر إلى الشاشة للتأكد من أن الصوت يقول الحقيقة. "أستريح". وأحس بمعدته تتحضر لإفراغ محتوياتها؛ مجدداً. "أين؟".

"على الأريكة. سأقفل الخط الآن إلا إذا كان الأمر مهماً".

"هل يعني ذلك أنك في المنزل في أوبسال؟".

"حسناً، دعيني أرى. هذا هو ورق الجدران في أي حال. كاجا، عليّ الذهاب". رمى هاري الهاتف على طرف الأريكة، ووقف على قدميه، وانحنى لإيجاد مركز الجاذبية لديه، ثم تقدم إلى الأمام مستخدماً رأسه بمثابة بوصلة إرشاد ومحرك دفع. أوصله إلى المطبخ من دون الارتطام بأي شيء، ووضع يديه على جانبي المجلى قبل أن يتدفق التقيؤ من فمه.

فتح عينيه مجدداً، ولاحظ أن الصينية لا تزال في المجلى. التقيؤ الأخضر المصفّر الرقيق سال على الصينية المنتصبه. فتح هاري الحنفية. إحدى مزايا المدمن على الشراب هي أن التقيؤ يتوقف عن سدّ المصفاة في اليوم الثاني. شرب هاري القليل من الماء من الحنفية. ليس كثيراً. إنها ميزة أخرى يمتلكها المدمن على الشراب؛ حيث يعرف ما تستطيع معدته تحمله.

عاد إلى غرفة الجلوس، ثانياً ركبتيه، كما لو أنه تبوّل للتو في سرواله. والواقع أنه لم يتحقق من ذلك بعد. استلقى على الأريكة وسمع صوتاً منخفضاً ينبعث من الطرف البعيد، صوتاً لشخص صغير يناديه باسمه. أمسك الهاتف برجليه ووضع مجدداً على أذنه.

"ما الأمر؟"

تساءل عما يجدر به فعله بالمرارة التي تحرق فمه مثل الحمم البركانية. هل يجدر به بصقها أم ابتلاعها؟ أو تركها تحرقه، مثلما يستحق.

أصغى إليها فيما شرحت له أنها تريد رؤيته. هل يلاقيها في مطعم إيكبرغ؟ الآن؟ أو بعد ساعة؟

نظر هاري إلى القنيتين الفارغتين، ثم نظر إلى ساعته. إنها السابعة. مطعم فيمونوبول مقفل. مطعم ومقهى.

قال: "الآن".

أنهى الاتصال، ثم رنّ الهاتف مجدداً. نظر إلى شاشة العرض، وضغط على زر الإجابة.

"مرحباً أويستن".

"الآن تجيب أيها الحقير! اللعنة، هاري. بدأت أتساءل إذا كنت قد متّ؟"

"هل يمكنك إيصالي إلى مطعم إيكبرغ؟"

"بالله عليك ماذا تظني؟ سائقك الخاص؟"

بعد ثماني عشرة دقيقة، توقفت سيارة أويستن أمام الدرج المؤدي إلى منزل أولاف هول، ونادى عبر النافذة المفتوحة مع ابتسامة عريضة. "هل تحتاج إلى أي مساعدة في إغلاق الباب اللعين، أيها الأحمق الثمل؟"

تعجب أويستن قائلاً: "عشاء! لمعاشرتها أم لأنك عاشرتها قبلاً؟". فيما عبرا نوردستراند.

"اهداً. نحن نعمل معاً".

"بالضبط. مثلما كانت زوجتي السابقة تقول: تريد ما تراه كل يوم. لا بد أنها قرأت ذلك في مجلة مشهورة. إلا أنها لم تكن تقصدي، وإنما ذلك الحقير في المكتب".

"لم تكن متزوجاً، أويستن".

"كنت على وشك الزواج. ارتدى ذلك الرجل كترزة نروجية ووضع ربطة عنق، وتحدث النيورسكية. ليست لكنة، وإنما أسلوب إيفار آسن، من نيورسك الرومنسية.

لا أمازحك. هل تتخيل أن تنام وحدك وتفكر في أن المرأة التي كادت أن تكون زوجتك مشغولة الآن في معاشرة أحدهم في المكتب؟ إلى أن تتوقف وتمتص على ما يبدو الصدمة: إي جي كجيم! لقد وصلت! في نينورسك".

ألقى أويستن نظرة على هاري، لكن لم تكن هناك أي ردة فعل.

"بالله عليك هاري، هذا مزاح رائع. هل أنت منزعج إلى هذا الحد؟".

جلست كاجا قرب النافذة غارقة في أفكارها، وهي تتأمل المدينة، عندما دفعها سعال منخفض إلى الاستدارة. إنه النادل المسؤول. كشف عن تلك النظرة المعتذرة التي تقول: صحيح أنه موجود على قائمة الطعام، لكن الطاهي في المطبخ يقول إنه غير موجود لدينا، وانحنى فوقها، وتحدث بصوت منخفض جداً حيث بالكاد استطاعت سماعه.

"أخشى القول لك إن رفيقك قد وصل". ثم عدّل كلامه مع تورّد في الوجنتين.

"أقصد، أخشى القول إننا لا نستطيع قبوله. أخشى القول إنه... ثمل. وسياستنا في مثل هذه...".

قالت كاجا وهي تنهض: "لا بأس. أين هو؟".

"إنه ينتظر في الخارج. أخشى أنه اشترى شيئاً وهو في طريقه إلى هنا، وأحضره معه. هل يمكنك من فضلك إعادة الكأس إلى هنا. قد نخسر رخصتنا بسبب هذا النوع من الأمور، مثلما تعلمين".

قالت كاجا: "طبعاً. أحضر لي معطفي من فضلك". وأسرعت إلى خارج المطعم فيما لحق بها النادل بعصية.

عند خروجها، رأت هاري. كان واقفاً وهو يتمايل، قرب الحائط المنخفض عند المنحدر حيث وقفا في المرة الأخيرة.

انضمت إليه. ثمة كأس فارغة على الحائط المنخفض.

قالت: "لا يبدو أننا نستطيع الأكل في هذا المطعم. هل لديك اقتراحات؟".

هزّ كتفه، وارتشف القليل من قارورة الجيب. "ثمة مقهى في سافوي. إذا كنت لا تشعرين بالكثير من الجوع".

شدت معطفها حولها بإحكام. "في الواقع، لست جائعة. ما رأيك لو نتجول قليلاً؟ أنت تعرف جيداً هذه المنطقة، وأنا لذيّ سيارة. يمكنك أن تريني مستودعات الذخيرة حيث كنت تمضي وقتك".

قال هاري: "إنها باردة وبشعة، وتفوح منها رائحة البول والرماد الرطب".
قالت: "نستطيع التدخين، وتأمل المنظر الطبيعي. هل لديك شيء أفضل للقيام به؟".

ثمة سفينة سياحية مضاءة، انزلقت ببطء ومن دون أي صوت في عتمة المدينة تحتهما. كانا جالسين على الإسمنت الرطب في أعلى مستودع ذخيرة، لكن هاري وكاجا لم يشعرَا بالبرد يتسلل إلى جسميهما. ارتشفت كاجا القليل من القنينة التي أعطاهَا هاري إياها.

قالت: "شراب قارورة الجيب؟!".

"هذا كل ما بقي في خزانة والدي. بعض لوازم الطوارئ بطبيعة الحال. من هو الممثل المفضل لديك؟".

قالت: "إنه دورك أنت".

"روبرت دي نيرو".

كشّرت بوجهها. "Meet The Fockers ؟ Analyse This".

"أقسمت على الوفاء الأبدي له بعد فيلم تاكسي درايفر (سائق التاكسي) وصيد الأيائل (دير هانتز). نعم، لكن الأمر كان مكلفاً. وأنت، ماذا عنك؟".
"جون مالكوفيتش".

"مم... جيد. لماذا؟".

فكرت ملياً. "أعتقد أنه الشيطان المثقف. ليس هذا أمراً أحبه كميزة إنسانية، وإنما أحب الطريقة التي يكشف من خلالها ذلك".

"ويملك أيضاً فماً أنثوياً".

"هل هذا جيد؟".

"نعم. كل الممثلين البارعين يملكون أفواهاً أنثوية، و/أو صوتاً أنثوياً عالي النبرة. كيفن سبايسي، فيليب سايمور هوفمان". أخرج هاري سيجارة من العلبة وقدمها لها.
قالت: "فقط إذا أشعلتها لي. أولئك الرجال ليسوا مفرطين في الرجولة".

"ميكي رورك؛ صوت امرأة، فم امرأة. جايمس وودس؛ فم امرأة".

"ولكن، ليس صوتاً عالي النبرة".

"صوت ثغاء. مثل النعجة".

ضحكت كاجا وأخذت السيجارة التي أشعلها لها. "هيا. الرجال الصارمون في

الأفلام يملكون أصواتاً عميقة وخشنة. خذ بروس ويليس مثلاً".

"نعم. بروس ويليس؛ صوت خشن. وإنما عميق؟ بالكاد". فرك هاري عينيه وهمس بصوت غنائي، وهو ينظر إلى المدينة: "في هذا الصدد، لا يبدو أنك تعرفين الكثير".

انفجرت كاجا في الضحك، وقفزت السيجارة من فمها وارتطمت بالجدار، ثم غاصت في الشجيرات الكثيفة، محدثة شرارات.
"أهذا سيئ؟".

شهقت قائلة: "سيئ جداً. يا الله! لقد جعلتني الآن أنسى الممثل صاحب الصوت الأنثوي الذي كنت أريد الحديث عنه".
هزّ هاري كتفيه. "سوف تفكرين به".

قالت كاجا وهي تأخذ سيجارة أخرى وتحملها بين الإبهام والسبابة كما لو أنها مسمار تريد طرده: "كنا أنا وإيفن نجلس في مكان كهذا. كان مكاناً لنا وحدنا؛ ظناً منا أن الآخرين لا يعرفون بوجوده، حيث نستطيع الاختباء وتبادل الأسرار".
"هل ترغيبين الآن في إخباري؟".
"ماذا؟".

"عن أخيك. ماذا حدث؟".
"مات".

"أعرف. ظننت أنك ستخبريني بما تبقى".
"وما هو؟".

"حسناً، لماذا جعلته مثلك الأعلى؟".
"وهل فعلت ذلك؟".

حدقت عيناها التائهتان فيه، ثم قالت: "شراب".

أعطاها هاري قارورة الشراب وارتشفت منه كمية كبيرة.

قالت: "ترك رسالة. كان إيفن حساساً جداً وهشاً جداً. في بعض الأحيان، يكون مجرد ابتسامات وضحك؛ كما لو أنه يحضر معه نور الشمس عندما يصل. إذا كانت لديك أي مشاكل، يبدو وكأنها تبخر عندما يصل، مثل... مثل الندى في الشمس. وفي الفترات الحالكة، يكون العكس تماماً. يصبح كل شيء هادئاً حوله، وتحسّ بتراجيديا مأساوية في الأجواء، تستطيع سماعها في صمته. موسيقى بأدنى درجاتها. كان وسيماً ومريعاً في الوقت نفسه. هل تفهمني؟ ورغم ذلك، بدا وكأن بعض نور الشمس يبقى

مخزناً في عينيه، لأنهما تستمران دوماً بالضحك. كان غريباً".
ارتعشت.

"حصل ذلك خلال العطلة الصيفية، في يوم مشمس، مثل ذلك الذي يصنعه إيفن. كنا في منزلنا الصيفي في تجوم، ونهضت وتوجهت إلى المتجر لشراء الفراولة. عندما عدت، كان الفطور جاهزاً، ونادت أمي بصوت عالٍ كي يسمع إيفن وينزل. لكنه لم يجب. افترضنا أنه نائم؛ لأنه كان يطيل النوم بين الحين والآخر. ذهبت لأبحث عن شيء في غرفتي، ونقرت على بابه وقلت "فراولة" أثناء مروري. كنت لا أزال أنتظر الجواب عندما فتحت باب غرفتي. عندما تدخل إلى غرفتك، فأنت لا تنظر حولك، وإنما تنظر فقط إلى ما تريده؛ إلى المنضدة الصغيرة حيث تعرف أن الكتاب موجود، أو إلى عتبة النافذة، أو إلى علبة معدات الصيد. لم أره على الفور، وإنما لاحظت فقط أن الضوء ليس مثلما يجب. ألقيت بعدها نظرة على الجانب ورأيت أولاً قدميه العاريتين. أعرف كل سنتيمتر من قدميه؛ فقد كان يدفع لي كروناً واحداً لأدغدغ له قدميه لأنه كان يحب ذلك. ظننت للوهلة الأولى أنه يطير، وأنه تعلم الطيران أخيراً. استمر نظري في الصعود إلى الأعلى. كان يرتدي الكنزة الزرقاء الشاحبة التي صنعتها له. شقق نفسه من المصباح بواسطة حبل الكهرباء. لا بد أنه انتظر خروجي من المنزل، ثم دخل إلى غرفتي. أردت الركض، لكنني لم أستطع التحرك؛ إذ تسمرت قدمي بالأرض. هكذا، وقفت هناك وأنا أحرق فيه، وكان قريباً جداً. ناديت أمي. فعلت كل الأشياء الممكنة لإصدار صراخ، لكن لم يخرج أي صوت من فمي".

أحنت كاجا رأسها، ونقرت على سيجارتها، ثم أخذت نفساً عميقاً جداً.
"أذكر فقط لمحات قليلة عما حصل لاحقاً. أعطوني دواء لتهدئتي. وعندما استعدت وعيي، بعد ثلاثة أيام، كانوا قد دفنوه. قالوا إنه من الأفضل أنني لم أكن موجودة؛ لأن الحزن كان كبيراً جداً. مرضت مباشرة بعد ذلك، وبقيت في السرير مع حرارة مرتفعة لفترات طويلة خلال الصيف. لطالما ظننت أنهم أسرعوا قليلاً في مراسم الدفن، كما لو أن هناك شيئاً معيماً في طريقة موته. ألا تظن ذلك؟".
"مم... قلت إنه ترك رسالة".

حدقت كاجا في المجرى المائي. "كانت على المنضدة الصغيرة قرب سريري. كتب أنه وقع في غرام فتاة لا يستطيع أبداً الحصول عليها، ولم يعد يريد العيش، وطلب السماح على كل الألم الذي يسببه لنا، وأنه يعرف أننا نجه".
"مم".

"كان ذلك مفاجئاً. لم يخبرني إيفن مطلقاً أن هناك فتاة؛ رغم أنه اعتاد على إخباري معظم الأمور. لو لم يكن هناك رور...".
"رور؟".

"نعم. تعرفت إلى أول صديق لي في ذلك الصيف. كان لطيفاً وصبوراً جداً، وزارني كل يوم تقريباً عندما كنت مريضة وأصغى إليّ فيما تحدثت عن إيفن."
"عن مدى كونه إنساناً رائعاً بشكل لا يوصف".
"صحيح".

هزّ هاري كتفه. "فعلت الشيء نفسه حين توفيت أمي. لم يكن أويستن صبوراً بقدر رور، فقد سألتني مباشرة إذا كنت قد وجدت الأمر غريباً".
ضحكت كاجا ومجت سيجارتها. "أظن أن رور شعر في النهاية أن ذكرى إيفن أعاقت كل الحياة التي يعرفها؛ بما في ذلك هو. دامت العلاقة لفترة وجيزة".
"مم... لكن إيفن لا يزال موجوداً".
أومأت برأسها. "وراء كل باب أفتحه".
"لهذا السبب، أليس كذلك؟".

أومأت برأسها مجدداً. عندما عدت من المستشفى إلى المنزل في ذلك الصيف، وتوجب عليّ الدخول إلى غرفة نومي، لم أستطع فتح الباب. لم أستطع ببساطة. لأنني عرفت أنني إذا فتحت، فسيكون معلقاً هناك مجدداً، وستكون تلك غلطتي".
"إنها دوماً غلطتنا، أليس كذلك؟".
"دوماً".

"ولا يستطيع أحد إقناعنا بأن هذا ليس صحيحاً، ولا حتى بأننا نستطيع فعل ذلك". أطفأ هاري سيجارته في العتمة، وأشعل سيجارة أخرى.
السفينة السياحية تحتتهما توقفت عند رصيف الميناء.
صفر الهواء عبر كوات الأسلحة فصدر صوت رهيب وقوي.
سألها بنعومة: "لماذا تبكين؟".

همست والدموع تنهمر على وجنتيها: "لأنها غلطتي. كل شيء حصل بسببي. عرفت الحقيقة منذ البداية، أليس كذلك؟".
استنشقت هاري الهواء، ثم أخرج السيجارة من فمه، ونفخ الدخان عالياً. "ليس منذ البداية".
"منذ متى؟".

"منذ أن رأيت وجه بيورن هولم قرب الباب في هولمتفين. بيورن هولم شرطي قضائي جيد، لكنه ليس روبرت دي نيرو. وبدا متفاجئاً فعلاً".
"هل كان هذا كل شيء؟".

"كان هذا كافياً. عرفت من تعابير وجهه أنه لم يكن على علم مطلقاً بأني أطارد لايك. وبالتالي، لم يطلع على المعلومات في جهاز كمبيوترى، ولم ينقل المعلومات إلى بيلمان. وإذا لم يكن هولم هو الواشى، فثمة شخص واحد فقط يمكن أن يكون هو المذنب".

أومأت برأسها وجففت دموعها. "لماذا لم تقل أي شيء؟ لماذا لم تفعل أي شيء؟ لماذا لم تطردني؟".

"وما كانت الجدوى من ذلك؟ افترضت أنك تملكين سبباً وجيهاً".
هزت رأسها، وتركت الدموع تنهمر على وجهها.

قال هاري: "لا أعرف بماذا وعدك. أظن أنه وعدك بمنصب في كريوس الجديدة وفائقة القوة. وكنت محقاً عندما قلت لك إن الرجل الذي وقعت في غرامه متزوج ويقول لك إنه سيترك زوجته وأولاده من أجلك، لكنه لم يفعل ذلك مطلقاً".
بكت بهدوء، وأحنت عنقها كما لو أنه أصبح ثقيلاً جداً عليها. مثل زهرة مثقلة بالمطر؛ ظن هاري في قرارة نفسه.

قال لها: "ما لا أفهمه هو لماذا أردت لقائي هذه الليلة؟". ونظر إلى سيجارته باشمئزاز. يجدر به ربما تغيير الماركة. "ظننت في البداية أنك ترغيبين في إخباري بأنك الواشية، لكنني أدركت سريعاً أن هذا ليس صحيحاً. هل تنتظر شخصاً ما؟ هل سيحصل شيء ما؟ أقصد، تم إقصائي، فأني أذى يمكن أن أسبب لهم الآن؟".
نظرت إلى ساعتها وشهقت. "هل يمكننا العودة إلى منزلك، هاري؟".
"لماذا؟ هل من أحد ينتظرنا هناك؟".

أومأت برأسها.

شرب هاري بقية محتويات قارورة الشراب.

تم خلع الباب، أوحى شظايا الخشب المتطايرة على الأرض بأنه تم خلعه بواسطة مخل. لم تتم مراعاة أي شيء، ولم تحصل أي محاولة للتخلي بالتكتم. إنه اقتحام شرطة.

استدار هاري على الدرج، ونظر إلى كاجا التي خرجت من السيارة ووقفت

شابكة ذراعيها، ثم دخل.

كانت غرفة الجلوس مظلمة. الضوء الوحيد انبعث من خزانة المشروبات التي كانت مفتوحة. لكن هذا كان كافياً له ليتعرف إلى الشخص الجالس في الظل قرب النافذة.

قال هاري: "بيلمان، أنت تجلس على كرسي والدي".

قال بيلمان: "سمحت لنفسني بذلك بما أن هناك رائحة مميزة تفوح من الأريكة. حتى الكلب كان سيهرب منها".

"هل أقدم لك شيئاً؟" أوماً هاري في اتجاه الخزانة، وجلس على الأريكة. "أم إنك وجدت شيئاً بمفردك؟".

لاحظ هاري أن بيلمان يهز رأسه. "ليس أنا. لكن الكلب وجد".

"مم... أفترض أنك حصلت على إذن بالتفتيش، لكنني فضولي بشأن الأسباب التي دفعتك إلى ذلك".

"وصلتنا معلومات بأنك هربت مخدرات إلى داخل البلاد بواسطة فريق ثانٍ بريء، وثمة احتمال بأن تكون البضاعة هنا".

"وهل كانت كذلك فعلاً؟".

"عشر الكلب على شيء ما، عبارة عن كرة من مادة بنية صفراء ملفوفة بورق المنيوم. لا تبدو مثل الأنواع العادية التي نصادرها في هذه البلاد، ولذلك لا نعرف لغاية الآن طبيعة المادة الموجودة لدينا. إلا أننا نفكر في تحليلها".

"تفكرون!".

"قد تكون أفيوناً، وقد تكون كتلة بلاستيك أو صلصال... ذلك يعتمد؟".

"علامَ يعتمد؟".

"عليك هاري. وأنا".

"حقاً؟".

"إذا وافقت على أن تنجز لنا خدمة، فقد أميل إلى اعتبار تلك الكتلة من البلاستيك وأتجاهل التحاليل المخبرية. يجدر بالمدير تحديد أولوية مصادره، أليس كذلك؟".

"أنت المدير. أي نوع من الخدمات تريد؟".

"أنت رجل لا يحب المراوغة هول، ولذلك دعني أكون صريحاً معك. أريدك أن تكون كبش المحرقة".

رأى هاري حلقة بنية في قعر القنينة على الطاولة، لكنه قاوم إغراء وضعها على شفتيه.

"توجب علينا للتو إطلاق سراح طوني لايك لأنه يملك أعداءً مبررة لجريمتين على الأقل. كل ما نملكه ضده هو اتصاله بأحد الضحايا. بالغنا كثيراً مع الصحافة. وكذلك مع لايك وحميه المستقبلي اللذين قد يجعلان الأمور مزعجة بالنسبة إلينا. علينا إصدار بيان صحفي الليلة. سوف يقول البيان إن التوقيف تم استناداً إلى الرخصة التي حصلت أنت عليها يا هاري هول المثير للجدل، من النائب العام المسكين في المركز الرئيس للشرطة. وكانت هذه عملية فردية نظمتها أنت وحدك، ولذلك تقع كل المسؤولية على عاتقك وحدك. أحسّت كريوس بوجود خطأ ما بعد التوقيف، فتدخلت وأوضحت الحقائق بعد المحادثات مع لايك، وتم إطلاق سراحه على الفور. عليك الانضمام إلينا والتوقيع على البيان الصحفي، ولن تطلق بعدها أي بيان بشأن التحقيق، ولن تنفوه بأية كلمة. مفهوم؟".

تأمل هاري البقايا في القارورة للمرة الثانية. "مم... هذا طلب صعب. هل تظن أن الصحافة ستصدق الرواية بعدما وقفت رافعاً يديك ومتباهياً بشرف التوقيف؟".

"سيقول البيان الصحفي إنني تحملت المسؤولية. فقد رأيت أن مواجهة التوقيف بمثابة مسؤولية إدارية؛ رغم شكوكنا بأن شرطياً ارتكب خطأً ربما. لكن، عندما أصرّ هاري هول على أن يتم السماح له بتصدر العملية، لم أف في وجهه لأنه تحرر صاحب خبرة، ولا يعمل حتى مع كريوس".

"وحافزي أنني إذا لم أوقع على البيان الصحفي، فسيتم اتهامي بتهرب المخدرات وحيازتها".

ضغط بيلمان بأطراف أصابعه على بعضها وتأرجح على كرسيه.

"صحيح. لكن حافرك الأهم ربما، هو قدرتي على اعتبارك محتجزاً؛ بدءاً من هذه اللحظة. وهذا أمر مؤسف لأنني أعرف أنك تودّ التواجد في المستشفى مع والدك الذي لم يبق لديه الكثير من الوقت، مثلما علمت. هذا أمر محزن جداً".

اتكأ هاري إلى الخلف على الأريكة. عرف أنه يجدر به الإحساس بالغضب. هاري القديم - الأصغر سناً - كان سيفضب حتماً. لكن هاري الموجود الآن أراد قبل كل شيء دفن نفسه في الأريكة التي تفوح منها رائحة العرق والتقيؤ، وإغماض عينيه، والأمل بأن يذهبوا جميعاً ويغادر معهما بيلمان وكاجا. إلا أن دماغه تابع مسار المنطق المكتسب.

سمع نفسه يقول: "بعيداً عن وضعي الشخصي، ما الذي يدفع لايك إلى تصديق مثل هذه الرواية؟ فهو يعرف تماماً أن كريبوس هي التي أوقفته والتي استجوبته".
عرف هاري الجواب قبل أن يلفظه بيلمان.

"لأن لايك يعرف أنه سيكون هناك دوماً شبح مزعج يخيم فوق أي شخص تم توقيفه. وسيكون الشبح مزعجاً جداً بالنسبة إلى شخص مثل لايك، يحاول في الوقت الحاضر كسب ثقة المستثمرين طبعاً. لذا، إن أفضل طريقة ليخلص نفسه من هذا الظل تقضي بالموافقة على الرواية القائلة إن التوقيف قد تم بناء على أمر فردي؛ على عنصر منزول وغير محترف في الشرطة. هل أنت موافق؟".

أوماً هاري برأسه.

"في أي حال، بالنسبة إلى الشرطة...".

قال هاري: "أنا أحمي اسم كل الشرطة عبر تحملي كل المسؤولية".
ابتسم بيلمان. "لطالما اعتبرتك إنساناً ذكياً نسبياً هول. هل يعني ذلك أننا توصلنا إلى تفاهم؟".

فكر هاري. إذا غادر بيلمان الآن، فبإمكانه أن يرى ما إذا كانت هناك بضع قطرات باقية من الشراب في القنينة. أوماً برأسه.

"هذا هو البيان الصحافي. أريد اسمك هنا". دفع بيلمان قلماً وورقة فوق طاولة القهوة. المكان معتم جداً للقراءة. لا يهم. وقّع هاري.

قال بيلمان: "جيد". وأخذ الورقة ونهض. انعكس ضوء مصباح الشارع على وجهه، فتلاأت النقاط البيضاء الصغيرة. "هذا هو الحل الأمثل لنا جميعاً. فكر في الأمر هاري، واسترح قليلاً".

قال هاري لنفسه إنه الانتباه الرحيم للمنتصر، وأغمض عينيه، وأحس بالمورفين يرحّب به بين ذراعيه. ثم فتح عينيه مجدداً، ووقف على رجليه، ولحق ببيلمان على الدرج. كانت كاجا لا تزال واقفة قرب سيارتها وهي تشبك ذراعيها.

رأى هاري بيلمان وهو يوجه إيماءة امتنان إلى كاجا التي استجابت لها بهزّ كتفها. راقبه وهو يجتاز الشارع ويدخل إلى السيارة، تلك السيارة نفسها التي رآها أمام مبنى لايدر ساغنز ذلك المساء، راقبه وهو يدير المحرك وينطلق. جاءت كاجا إلى أسفل الدرج. كان صوتها لا يزال ممزوجاً بالدموع.

"لماذا ضربت بيورن هولم؟".

استدار هاري للدخول، لكنها كانت أسرع؛ حيث صعدت درجتين مرة واحدة.

وقفت بينه وبين الباب وسدّت له الطريق، وأصبح تنفسها سريعاً وساخناً على وجهه.
"ضربته عندما عرفت أنه بريء. لماذا؟".
"أذهبي الآن، كاجا".
"لن أذهب!".

نظر هاري إليها. عرف أن هذا شيء لا يجدر به شرحه. كم تألم وتفاجأ عندما أدرك تشعبات المسألة. تألم بما يكفي لضرب ذلك الوجه البريء والممتلئ والمندهب الذي عكس حقيقة سذاجته وسهولة انخداعه.

سألها: "ماذا تريد أن تعرفي؟". وسمع النبرة القاسية والغضب المتصاعد في صوته. "لقد صدقتك فعلاً كاجا. لذا، يجدر بي تهنتك. أهنتك على عمل أحسنت فعله. هل يمكنك الذهاب الآن؟".

رأى الدموع تتلألأ في عينيها مجدداً، ثم انزاحت قليلاً، فدخل وأغلق الباب بقوة وراءه. بقي في الردهة في الفراغ الصامت بعد الدوي، في الصمت الجيد، في الفراغ، في العدم الرائع.

ملتبة
t.me/t_pdf

الخوف من العتمة

طرف أولاف هول بعينيه في العتمة.

"هل هذا أنت، هاري؟"

"نعم، هذا أنا."

"إنه الليل، أليس كذلك؟"

"نعم، إنه الليل."

"كيف حالك؟"

"ما زلت على قيد الحياة."

"دعني أشعل الضوء."

"لا داعي لذلك. سوف أقول لك شيئاً."

"أعرف هذه النبرة. لست واثقاً من أنني أريد سماع ما ستقوله."

"سوف تقرأ الخبر في الصحف غداً في أي حال."

"وأنت، هل تملك نسخة مختلفة تريد قولها لي؟"

"لا، أريد فقط أن أكون الأول."

"هل كنت تشرب هاري؟"

"هل تريد أن تسمع؟"

"كان جدك يشرب. أحببته. سواء أكان ثملاً أو رزيناً. لا يوجد الكثير من

الأشخاص الذين يقولون ذلك عن والد سكير. لا، لا أريد أن أسمع."

"مم."

"وأستطيع قول ذلك لك أيضاً. لقد أحببتك دوماً. ثملاً كنت أو رزيناً. لم تكن

صعباً؛ رغم أنك أحببت الجدل دوماً. كنت في حرب مستمرة مع معظم الأشخاص،

وعلى الأقل مع نفسك. إلا أن حبك، هاري، كان أسهل شيء فعلته."

"بابا..."

"لا يوجد وقت للتحدث عن التفاهات هاري. لا أعرف إذا كنت قد أخبرتك

بهذا يوماً، هاري. أشعر أنني فعلت، لكننا نفكر غالباً في بعض الأمور حيث نعتقد ببساطة أننا قلناها بصوت عالٍ. لطالما كنت فخوراً بك، هاري. هل أخبرتك بذلك بما يكفي؟".
"أنا...".

أصغى أولاف هول في العتمة. "نعم؟ هل تبكي بني؟ لا بأس. هل تعرف ما هو أكثر شيء جعلني فخوراً بك؟ لم أخبرك بهذا مطلقاً، لكن عندما كنت في سنوات المراهقة، اتصل بنا أحد أساتذتك. قال إنك تشاجرت مع رفاقك في الملعب مجدداً؛ مع اثنين من الصف الأعلى، لكن الأمور لم تتم على ما يرام، إذ توجب عليهم إرسالك إلى المستشفى لتقطيب شفتك ونزع سنك. أوقفت عنك مصروفك. هل تذكر؟ في أي حال، أخبرني أويستن عن الشجار لاحقاً. لقد طاردهما لأنهما ملاً حقيبة تريسكو بالماء من نافورة المدرسة. وحسب ما أذكر، لم تكن تحب تريسكو كثيراً. قال أويستن إن سبب تعرضك للكثير من الأذى هو عدم استسلامك. فقد كنت تنهض بين الحين والآخر للمشاركة في الشجار، إلى أن صرت تتزف بشدة في النهاية حيث خاف الولدان الكيبران وهربا".

ضحك أولاف هول بهدوء. "لم أعتقد أنه كان بوسعي إخبارك برأيي في ما قمت به في ذلك الوقت، لأن ذلك كان سيعني المزيد من الشجارات. إلا أنني كنت فخوراً جداً بك. كنت شجاعاً هاري. كنت تخاف من العتمة، لكن هذا لم يمنعك من الذهاب إلى هناك. وكنت أنا الوالد الأكثر فخراً بابنه في العالم. هل قلت لك هذا يوماً هاري؟ هاري؟ هل أنت هنا؟".

حرّ طليق. ارتطمت قنينة الشراب بالحائط، ونزلت الفقاقيع على ورق الجدران مثل النخاع الشوكي الذي يغلي، فوق الصور، وقصاصات الجرائد، والورقة المطبوعة من شبكة الإنترنت التي تظهر هاري هول وهو يتحمل اللوم. حرّ طليق؛ حرّ طليق من اللوم، حرّ طليق لإرسال العالم إلى الجحيم مجدداً. دست على الزجاج المكسور، وسحقته على الأرض، وسمعته ينسحق، وأنا حافي القدمين. دست على دمي. ضحكت إلى أن انفجرت في الصراخ. حرّ طليق. حرّ طليق.

انضم إلى مكتبة .. اضغط t.me/t_pdf للبدء

فرضية

مرر نيل ماك كورماك، رئيس قسم مكافحة الجرائم في جنوب سيدني، يده فوق شعره الرقيق، فيما تأمل المرأة صاحبة النظارة الجالسة قبالة في غرفة الاستجواب. جاءت مباشرة من دار النشر حيث تعمل. كانت بذلتها بسيطة ومجعدة، لكن ثمة شيء في إيسكا بيلر جعله يفترض أنها باهظة. فهي لا تهدف إلى التأثير في أشخاص بسطاء مثله. إلا أن عنوانها لا يوحي بأنها ميسورة جداً. فمنطقة البريستول ليست المنطقة الفضلى في سيدني. بدت راشدة وحساسة. وهي حتماً ليست من النوع الذي يبالي أو يجذب الانتباه لمجرد جذب الانتباه. بالإضافة إلى ذلك، كانوا هم الذين استدعوها للحضور. فهي لم تأت إلى مركز شرطة سيدني من تلقاء نفسها. نظر إلى ساعته. قرر ماك كورماك الذهاب في رحلة بحرية مع ابنه بعد ظهر اليوم، ويفترض أن يلتقيا في "واستون باي" حيث يرسو القارب. لهذا السبب، أمل ألا تطول المقابلة كثيراً. وكان كل شيء جيداً إلى أن ظهرت المعلومة الأخيرة.

قال ماك كورماك وهو يتكئ إلى الخلف، ويشبك ذراعيه فوق بطنه الممتلئ: "آنسة بيلر، لماذا لم تخبري أحداً بهذا من قبل؟".

هزت كتفيها. "ولمَّ يجدر بي فعل ذلك؟ لم يسألني أحد عن ذلك، ولا أرى أن لذلك صلة بجريمة شارلوت. أنا أخبرك بذلك الآن لأنك سألتني بالتفصيل الممل. ظننت أن ما حصل في الشاليه هو فقط ما يهمكم، وليس نوع... الحادث الذي حصل لاحقاً. وكان ذلك مجرد حادث بسيط، انتهى بسرعة وتم نسيانه بسرعة. يمكن إيجاد حمقى مثله في كل مكان. ولا يستطيع أي كان الإبلاغ عن كل شخص مزعج".

زمجر ماك كورماك. إنها طبعاً محقة، وهو لا يشعر برغبة في ملاحقة هذه المسألة أيضاً. فهناك دوماً الكثير من المشاكل، والكثير من العمل عندما يملك الشخص المعني قبضة مهنية تبدأ أو تنتهي بكلمة "شرطة". حدّق خارج النافذة. كانت الشمس تتلألأ على البحر في "بورت جاكسون" وعلى جهة "مانلي" حيث لا يزال الدخان يتصاعد رغم مرور أسبوع كامل على إطفاء آخر حريق أشجار لهذا الموسم. كان الدخان يتجه

جنوباً. الهواء شمالي وناعم ودافئ، وهو مثالي للإبحار. لقد استلطف ماك كورماك هول، أو هولتي مثلما ينادي النرويجي. لقد أنجز عملاً مذهلاً عندما ساعدتهم في جريمة المهرج. إلا أن النرويجي فاتح الشعر بدا منهكاً حين تحدث إليه عبر الهاتف. أمل ماك كورماك فعلاً في ألا يصير هولتي كثيراً على هذا الاستجواب.

"دعينا نعود إلى البداية من فضلك آنسة بيلر".

دخل مايكل بيلمان إلى قاعة محاضرات أودين، وسمع المحادثات تتوقف فجأة. مشى بسرعة إلى كرسي الخطيب، ووضع أوراقه، ووصل جهاز الكمبيوتر المحمول خاصته بمنفذ USB، ووقف في منتصف الغرفة مثبتاً رجله جيداً. يضم قسم التحقيق ستة وثلاثين شرطياً، أي ثلاثة أضعاف ما هو طبيعي في قضايا الجرائم. لقد عملوا لفترة طويلة من دون تحقيق أي نتائج؛ حيث توجب عليه تعزيز معنوياتهم بضع مرات. لكن في الإجمال، بقوا ملتزمين في عملهم مثل الأبطال. لهذا السبب، لم يسمح بيلمان لنفسه فقط وإنما أيضاً سمح لموظفيه بالاستمتاع بما بدا النصر الأكبر بالنسبة إليهم: توقيف طوني لايك.

قال وهو يراقب الجموع: "سوف تقرأون الصحف اليوم".

لقد حفظ لهم ماء الوجه. فالصفحة الأولى في اثنتين من أكبر ثلاث جرائد تحمل الصورة نفسها: طوني لايك وهو يدخل إلى سيارة خارج مركز الشرطة. أما الجريدة الثالثة فعرضت صورة لهاري هول، صورة من الأرشيف من برنامج تلفازي كان يناقش فيه مسألة رجل الثلج.

"مثلما ترون، إن المفتش هول تحمل المسؤولية، وهذا مناسب وملائم تماماً". ارتدت كلماته إليه عن الجدران، وشاهد النظرات المتعبة لرجال الشرطة الصامتين. أم إنه نوع مختلف من التعب؟ في هذه الحال، لا بد من معارضته؛ لأن الأمور باتت تتأزم الآن. لقد مرّ رئيس كريوس للقول إن وزارة العدل اتصلت وتطرح أسئلة. بدأ الوقت ينفد.

قال: "لا نملك مشتبهاً به رئيساً. لكن الخبر الجيد هو أننا نملك أدلة جديدة. وكلها تقودنا إلى شاليه هافاس في أوستاوسيت".

توجه إلى الكمبيوتر المحمول، ونقر على مفتاح، وظهرت أول صفحة من عرض "باوربوينت" الذي قام بتحضيره.

وبعد نصف ساعة، كان قد عرض كل الحقائق التي يمتلكونها، مع الأسماء

قال وهو يطفئ جهاز الكمبيوتر: "السؤال هو: أي نوع من الجرائم نواجه هنا؟ أعتقد أننا نستطيع حذف فرضية القاتل النموذجي بالتسلسل. فلم يتم اختيار الضحايا عشوائياً ضمن مجموعة ديموغرافية، وإنما يمكن ربطهم جميعاً بمكان معين ووقت محدد. على هذا الأساس، ثمة سبب للاعتقاد بأننا نتحدث أيضاً عن حافز محدد يمكن اعتباره منطقياً. وإذا كان هذا صحيحاً، فستصبح المهمة أكثر سهولة بكثير بالنسبة إلينا: أي سنعثر على الحافز ونجد القاتل".

لاحظ بيلمان أن العديد من التحرين أوماوا برؤوسهم.

"المشكلة هي أنه لا يوجد شهود ليخبرونا بأي شيء. الإنسانية الوحيدة التي نعرف أنها ما زالت على قيد الحياة، إيسكا بيلر، كانت مريضة وراقدة في الفراش بمفردها. أما الآخرون فأصبحوا في عداد الموتى أو لم يأتوا للتبليغ. نعرف مثلاً أن أديل فيتليس كانت مع رجل التفتة حديثاً، لكن يبدو أن لا أحد من دائرة معارفها يعرف عنه أي شيء، ولذلك علينا الافتراض أنها علاقة قصيرة الأمد. نحن نبحث عن الرجال الذين اتصلت بهم بواسطة الهاتف أو شبكة الإنترنت، لكننا سنحتاج إلى بعض الوقت للتعرف إليهم. وفي غياب الشهود، علينا أن نجد بأنفسنا نقطة انطلاقنا. نحتاج إلى فرضيات للحافز. ما كان الحافز وراء قتل أربعة أشخاص على الأقل؟".

أجاب أحد من الخلف: "غيرة أو سماع أصوات".

"كل خبرتنا تقول لنا ذلك".

"حسناً. من يمكن أن يسمع أصواتاً تأمره بالقتل؟".

أجاب فينمارك بنبرة موسيقية: "أي شخص لديه سجل حافل بالأمراض النفسية".

قال شخص آخر: "وأي شخص من دون ذلك السجل".

"جيد. من يمكن أن يكون غيوراً؟".

"شريك، أو زوج شخص كان موجوداً هناك".

"ومن قد يكون؟".

قال شخص آخر: "إلا أننا تحققنا من الأعدار المبرثة لشركاء الضحايا والحوافز المحتملة. هذا أول شيء فعلناه. وتبين أنهم لا يملكون شركاء، أو أننا حذفناهم لائحة الاستجواب".

عرف مايكل بيلمان جيداً أنهم يحاولون المضي قدماً لكنهم لا يزالون في الدائرة نفسها منذ بعض الوقت. غير أن النقطة المهمة الآن هي أنهم باتوا مستعدين لفعل

ذلك بالضبط: الاستراحة. فهو لا يشك أبداً في أن شاليه هافاس بمثابة دعامة يمكن استخدامها لإخراجهم من الدوامة.

قال بيلمان، وهو يتأرجح على عقبي قدميه: "لم نحذف كل الشركاء والأزواج. إلا أننا لا نعتبر ببساطة أيًا منهم مشتبهًا به. من لا يملك عذراً مبرئاً في الوقت الذي قتلت فيه زوجته؟".

"راسموس أولسن!".

"صحيح. وعندما ذهبت إلى ستورتينجت وتحدثت مع راسموس أولسن، اعترف أنه حصل نوع من الغيرة قبل أشهر عدة. ثمة امرأة كان يغازلها راسموس. وذهبت ماريت أولسن إلى شاليه هافاس لمدة يومين للتفكير في الأمر. قد تتطابق التواريخ. إلا أنها فعلت أكثر مما فكرت فيه ربما. لقد وجدت نفسها ربما. وإليكم هذه الفكرة: في الليلة المعنية، عندما كان الضحايا في شاليه هافاس، لم يكن راسموس أولسن في أوسلو، بل حجز لنفسه في فندق في أوستاوسيت. ماذا كان راسموس يفعل في المنطقة إذا كانت زوجته في هافاس؟ وهل أمضى الليلة في الفندق أم ذهب في رحلة تزلج طويلة؟

لم تعد العيون أمامه مثقلة أو متعبة، بل على العكس، كان يشعل الشرارة داخلها. انتظر جواباً. فمثل هذه المجموعة الكبيرة من المحققين ليست عادة الطريقة الأكثر فاعلية لتنظيم هذا النوع من تشارك الأفكار المرتجل، لكنهم عملوا على القضية لوقت طويل جداً حيث قام جميع من في الغرفة بتقديم آرائهم، وتلقي الرفض على فرضياتهم الخيالية، وضرب كبرياتهم عرض الحائط.

غامر تحر شاب. "لقد وصل ربما إلى الشاليه في المساء من دون إنذار مسبق، وقبض عليها بالجرم المشهود. رأى الرجل الحقيقة واختفى مجدداً. ثم خطط لكل هذه العملية".

قال بيلمان وهو يتجه إلى كرسي الخطيب ويحمل دفترًا صغيراً: "ربما. البرهان الأول لصالح مثل هذه النظرية حصلت عليه للتو من تيلينور. يظهر أن راسموس أولسن قد تحدث مع زوجته عبر الهاتف في وقت مبكر من صباح ذلك اليوم. لنفترض إذاً أنه يعرف الشاليه الذي كانت متوجهة إليه. البرهان الثاني لصالح هذه الفرضية هو تقرير الأحوال الجوية، الذي يظهر أن القمر والرؤية الجيدة سادا طوال المساء والليل؛ ما يعني إمكانية تزلجه هناك بسهولة، مثلما فعل طوني لايك. إلا أن البرهان الأول المضاد لهذه النظرية: لماذا سيقتل أي شخص أشخاصاً آخرين غير زوجته وشريكها المزعوم؟".

"كان لها ربما أكثر من شريك". صرخت تحرية بدينة وقصيرة القامة. "لقد حصلت ربما علاقة حميمة هناك".

علا الضحك في كل مكان. جيد. خفف ذلك من وطأة الضغط قليلاً. قال صوت آخر: "لم يرَ مع من كانت تقوم بعلاقة حميمة، وإنما عرف فقط أن هناك شخصاً تحت الأغطية معها. ولذلك، قرر القضاء على جميع من شهدوا على حياتها".

المزيد من الضحك.

قال إيسكيلدسن، وهو شرطي قديم حيث لا يعرف أحد بالضبط كم مضى على عمله تحرياً: "هيا، لا يمكننا تبديد الوقت على هذه التفاهات". ساد الصمت في الغرفة. وتابع إيسكيلدسن قائلاً: "هل يذكر أي منكم القضية التي تمت معالجتها في قسم مكافحة الجرائم قبل بضعة أعوام حين ظن الجميع أن قاتلاً بالتسلسل هو المسؤول؟ وعندما تم إلقاء القبض على القاتل، تبين أنه يملك حافزاً لقتل الرقم ثلاثة. وبما أنه عرف أنه سيكون تحت الشبهات إذا كانت هي الضحية الوحيدة، قتل الآخرين للتويه عن ذلك ضمن ثورة مجنونة".

قال شرطي شاب: "يا الله! هل نجح قسم مكافحة الجرائم فعلاً في حلّ قضية؟ لا بد أنها كانت أعجوبة".

نظر الرجل حوله مع ابتسامة عريضة، وتورّد وجهه ببطء؛ إذ لم تحصل أي ردة فعل تجاه كلامه. جميع الذين يملكون خبرة في التحقيقات يذكرون تلك القضية. وقد جرى تعميمها على كل مدارس الشرطة في اسكاندينافيا. كانت أسطورة؛ تماماً مثل الرجل الذي نفذها.

"هاري هول".

"طاب يومك هول، يا زميلي. أنا نيل ماك كورماك. كيف حالك؟ وأين أنت؟". ظن ماك كورماك أنه سمع هاري يجيب "في غيبوبة" لكنه افترض أنه يقول اسم بلدة نرويجية معينة.

"تحدثت إلى إيسكا بيلر. لا تملك الكثير لقوله بشأن تلك الليلة في الشاليه. لكن، في الليلة التالية...".

"نعم؟".

"جاء شرطي وأخذها مع صديقتها شارلوت من الشاليه واصطحبهما إلى منزله.

لكن، تبين أنه فيما كانت الأنسة بيلر تحاول النوم والتغلب على زكامها، كان الشرطي وصديقته يتناولان الشراب في غرفة الجلوس، وقد حاول الشرطي إغواء شارلوت. حصل عراك جسدي، جسدي جداً، حيث صرخت طلباً للمساعدة، فاستيقظت الأنسة بيلر وأسرعت إلى الغرفة، ووجدت أن الشرطي قد نزع سروال التزلج الخاص بصديقته، حيث وصل إلى ركبتيها. عندما رآها توقف، وقررت الأنسة بيلر وصديقته الذهاب إلى المركز، والتزول في فندق في مكان ما أخشى أنني لا...".

"جيلو".

"شكراً".

"قلت إنه حاول إغواءها، نيل. لكن، هل تقصد الاغتصاب، مثلما أعتقد؟".
"لا. أجريت الكثير من المناقشات مع الأنسة بيلر قبل التوصل إلى العبارة الصحيحة. قالت إن وصف صديقته تمثل في قولها إن الشرطي قد نزع عنها سروالها رغماً عن إرادتها، لكنه لم يلامس أعضاءها الحساسة".
"لكن...".

"نستطيع الافتراض ربما أن تلك كانت نيته، لكننا لا نعرف. الفكرة هي أنه لم يحصل أي شيء يمكن أن يعاقب عليه القانون. وافقت الأنسة بيلر على ذلك. في النهاية، لم تزعجا نفسيهما في التبليغ عن الحادثة، واكتفتا بالهروب. حتى إن الشرطي وجد أحداً من القرية لنقلهم هم الثلاثة إلى محطة القطارات، وساعدهم في الصعود إلى القطار. وحسب الأنسة بيلر، بدا الرجل غير مكترث نسبياً للعملية كلها. كان مهتماً أكثر في الحصول على رقم هاتف الصديقة بدل الاعتذار؛ كما لو أن ما حصل أمر عادي وطبيعي".

"مم. هل من شيء آخر؟".

"لا، هاري. سوى أننا وفرنا لها حماية الشرطة مثلما اقترحت. حماية على مدى أربع وعشرين ساعة، على أن يتم إحضار مستلزماتها إلى منزلها. تستطيع فقط الاستمتاع بالشمس. إذا أشرقت الشمس في البريستول. هذا كل شيء".

"شكراً نيل. إذا حصل أي شيء...".

"سوف أتصل بك. والعكس صحيح".

"طبعاً. اعتنِ بنفسك".

أنت من يجب عليه الانتباه إلى نفسه، فكر ماك كورماك في سرّه بعد أن أنهى الاتصال ونظر خارجاً إلى السماء الزرقاء بعد الظهر. أصبح النهار أطول قليلاً الآن

في فصل الصيف، وما زالت أمامه ساعة ونصف الساعة للإبحار قبل مغيب الشمس.

نهض هاري من السرير وتوجه للاستحمام. وقف من دون حراك، وترك الماء الساخن يجري على جسمه لمدة عشرين دقيقة. ثم خرج، وجفف بشرته الحساسة المغطاة بالبقع الحمراء، وارتدى ملابسه. لاحظ على هاتفه الخلوي أنه تلقى ثمانية عشر اتصالاً فيما كان نائماً. إذاً لقد نجحوا في الحصول على رقمه. عرف أن الأرقام الأولى هي أرقام الجرائد الثلاث الكبيرة في النروج، وأهم محطتين تلفازيتين؛ لأن الأرقام تبدأ كلها بالطريقة نفسها. أما بقية الأرقام فكانت أكثر عشوائية، وتخص ربما صحافيين تواقين إلى التعليق. إلا أن نظره توقف عند أحد الأرقام، من دون أن يعرف السبب. ثمة أنحاء في دماغه تستمتع بحفظ الأرقام ربما، أو لأن رمز المنطقة أنبأه بأن الاتصال من ستافانجر. بحث في سجل اتصالاته، وعثر على الرقم نفسه قبل يومين. كولبيورنسن.

عاود هاري الاتصال بالرقم، وثبت الهاتف بين وجته وكتفه فيما كان يربط حذاءه، ولاحظ أن الوقت قد حان لشراء حذاء جديد. فالصفحة المعدنية في النعل، التي تتيح لك الدوس على المسامير من دون أي قلق، باتت منفصلة.

"اللعنة هاري. لقد هاجموك كثيراً في الصحف اليوم. نحروك. ماذا يقول مديرك؟".

بدا كولبيورنسن متخماً من الدلال المفرط، أو مريضاً.

قال هاري: "لا أعرف. لم أتحدث إليه".

"حافظ قسم مكافحة الجرائم على ماء الوجه. أنت شخصياً من تحمل كل المسؤولية. هل دفعك مديرك إلى تحمل المسؤولية عن الفريق؟".

"لا".

جاء السؤال بعد صمت طويل. "لم يكن... لم يكن بيلمان، أليس كذلك؟".

"ماذا تريد كولبيورنسن؟".

"اللعنة، هاري. أجري تحقيقاً فردياً غير شرعي نوعاً ما؛ تماماً مثلك. لذا، أريد أن أعرف في البداية ما إذا كنا لا نزال في الفريق نفسه أم لا".

"لا أملك أي فريق، كولبيورنسن".

"رائع، أفهم إذاً أنني ما زلت في فريقك؛ فريق الخاسرين".

"أريد الخروج من المنزل".

"جيد. لكنني تحدثت مرة ثانية مع ستاين أولبرغ، الفتاة التي كان الياس سكوغ مفتوناً جداً بها".

"نعم؟".

"يبدو أن سكوغ قد أخبرها أشياء كثيرة عما حصل في الشاليه تلك الليلة، أكثر بكثير مما فهمت خلال المقابلة الأولى".

قال هاري: "أصبحت أثق في المقابلات الثانية".

"ماذا؟".

"لا شيء. تابع. هيا، ماذا لديك؟".

بومباي غاردن

بومباي غاردن هو المطعم الذي لا يبدو أنه يملك الحق في متابعة العمل، لكن على عكس المطاعم الأخرى الحديثة المنافسة له، نجح في الصمود عاماً بعد عام. إنه يقع في وسط شرق أوسلو، في شارع جانبي بين مستودع خشبي ومصنع مهجور تحول الآن إلى مسرح. تم الحصول على الرخصة وخسارتها بعد خروقات غير متناهية للقوانين. وينطبق الشيء نفسه على رخصة تقديم الطعام. ففي إحدى المرات، عثر مفتشو الصحة على نوع من القوارض في المطبخ، ولم يتمكنوا من تحديد طبيعته، لكنهم أعلنوا أنه يوجد سببٌ حتمي مع نوع الجرذ النروجي. وفي خانة التعليقات ضمن التقرير، وصف المفتش المطبخ بأنه "مسرح جريمة"؛ حيث اتخذ مجرمون من أسوأ الأنواع مكاناً لهم هناك. الآلات العاملة بالقطع النقدية والمرصوفة قرب الجدران كانت تدرّ كمية جيدة من المال، لكنها تتعرض غالباً للكسر والسرقة. إلا أن المالكين الفيتناميين لا يستخدمون ذلك المكان لتبييض أموال المخدرات؛ مثلما ظن البعض. فالسبب الذي جعل بومباي غاردن يصمد مع الوقت موجود في الجهة الخلفية، وراء بابين مقفلين. هناك، ثمة ناد خاص مخفي، وعليك التقدم بطلب عضوية ليسمح لك بالدخول إليه. على الصعيد العملي، يعني ذلك توقيعك على استمارة موجودة في مشرب المطعم، وتحصل فوراً على عضوية مقابل دفعك مبلغ مئة كرونة بمثابة رسم سنوي. بعد ذلك، تتم مرافقتك إلى الداخل ليقفل بعدها الباب وراءك.

تقف بعدها في غرفة مليئة بالدخان - لأن قوانين التدخين لا تنطبق على النوادي الخاصة - وتجد أمامك حلبة سباق مصغرة بياضوية الشكل، قياسها أربعة أمتار بمترين. الحلبة نفسها مغطاة باللباد الأخضر، وتشتمل على سبعة مسارات. سبعة أحصنة معدنية مسطحة، كل منها مثبت بدبوس، تتحرك إلى الأمام وفق ارتجاجات متقطعة. تتحدد سرعة كل حصان وفق كمبيوتر يش ويطنّ تحت الطاولة، وهو - مثلما أكد الجميع - عشوائي وقانوني تماماً. بهذه الطريقة، يعطي برنامج الكمبيوتر بعض الأحصنة فرصة أكبر في سرعة أكثر؛ مما ينعكس في الرهانات، وبالتالي في الريح النهائي. يجلس أعضاء

النادي - بعضهم منتظمون، وبعضهم الآخر جدد - حول حلبة السباق على كراس جلدية دوارة مريحة، ويدخنون، ويشربون نخب الحصان أو الأحصنة التي راهنوا عليها. بما أن النادي يعمل في مساحة قانونية مراعية للقوانين، فإن القاعدة تقول إنه في حال وجود اثني عشر عضواً أو أكثر، ينحصر الرهان في مبلغ مئة كرونر لكل عضو، في السباق الواحد. وفي حال وجود أقل من اثني عشر عضواً، تُفرض قوانين النادي؛ باعتبار الاجتماع لقاء محصوراً. وفي الاجتماعات الصغيرة الخاصة، لا يمكنك منع الراشدين من المقامرة بمبالغ كبيرة. ويعود المبلغ المحدد للرهان إلى المشتركين أنفسهم. لهذا السبب، يبدو الأمر مريباً لناحية تواجد أحد عشر شخصاً فقط في أغلب الأحيان في الغرفة الخلفية من بومباي غاردن. ولا يعرف أحد ماذا يحصل حقيقة.

عند الساعة الثانية وعشر دقائق من بعد الظهر، وقف صاحب أحدث عضوية في النادي - عمرها أربعون ثانية تحديداً - داخل الغرفة التي أدرك سريعاً أن الشخصين الوحيدين الموجودين فيها - باستثنائه طبعاً - هما عضو جالس على كرسي دوار وقد أدار ظهره له، إضافة إلى رجل من أصل فيتنامي على الأرجح بدا جلياً أنه يدير السباقات والرهانات. وفي أي حال، كان يرتدي المعطف الذي يرتديه مدير الرهانات. الظهر المستند إلى الكرسي الدوار كان عريض الكتفين، وقد ملأ القميص القطني، وتدلّت خصلات سوداء متموجة على ياقته.

سأل هاري: "هل تربح كرونغلي؟". وقد جلس على الكرسي قربه.

استدار رأس الرجل صاحب الخصلات المتموجة. وصرخ بفرح حقيقي بدا في صوته وعلى وجهه: "هاري! كيف وجدتي؟".

"لماذا تظن أنني أبحث عنك؟ أنا زبون دائم هنا ربما".

ضحك كرونغلي، فيما راقب الأحصنة وهي تتقدم على المسار الطويل، مع خيال معدني صغير على ظهر كل منها. "لا. لست زبوناً منتظماً. أتى إلى هنا كلما زرت أوسلو، ولم أرك يوماً".

"حسناً، أخبرني شخص ما أنني قد أجدك هنا".

"يا الله! هل انتشرت سمعتي؟ من غير الملائم ربما أن يأتي شرطي إلى هنا؛ رغم أن الأمر قانوني".

قال هاري: "في ما يتعلق بالجانب القانوني، ثمة شيء أردت التحدث معك بشأنه". وهز رأسه لمدير اللعبة الذي أشار إلى صنوبر الشراب مع حاجب مرتفع.

قال كرونغلي: "هيا". وركّز كل انتباهه على حلبة السباق، حيث الحصان الأزرق

في المسار الأبعد لا يزال في الطليعة، وإنما يتجه صوب منعطف خارجي عريض.
"إيسكا بيلر، المرأة الأسترالية التي نقلتها من شاليه هافاس تقول إنك تحرشت
بصديقتها، شارلوت لوليس".

لم يلاحظ هاري أي تبدل في تعبير كرونغلي المركز، فانتظر. وأخيراً، نظر إليه
كرونغلي.

"هل تريد ردة فعل مني؟".

أجابه هاري: "فقط إذا أردت ذلك".

"أفسّر ذلك بأن هذا ما تريده أنت مني. التحرش كلمة خاطئة؛ فقد غازلتها قليلاً.
قبلنا بعضنا. أردت الماضي قدماً، لكنها رأت أنّ ذلك كافٍ. استمررت في محاولة
إقناعها قليلاً؛ بالطريقة التي تتوقعها المرأة غالباً من الرجل. في النهاية، هذا جزء من
أداء الأدوار بين الجنسين. لكن، لم يحصل أي شيء أكثر من ذلك".

"لا يتطابق ذلك مع ما قالته شارلوت لإيسكا بيلر. هل تظن أن بيلر تكذب؟".
"لا".

"لا؟".

"لكنني أعتقد أن شارلوت أرادت إعطاء صديقتها وجهة نظر مختلفة قليلاً. فالفتيات
الكاثوليكيات يرغبن في الظهور بمظهر العفة أكثر من الحقيقة، أليس كذلك؟".
"قررتا قضاء الليلة في جيلو بدل النوم في منزلك. رغم أن بيلر كانت مريضة".
"هي التي أصرت على المغادرة. لا أعرف ما الذي جرى بين تينك المرأتين.
فالصداقة بين الفتيات مسألة معقدة في أغلب الأحيان، أليس كذلك؟ وأعتقد أن الأنسة
بيلر لم يكن لديها صديق". رفع الكأس نصف الفارغة أمامه. "إلى أين تريد الوصول
هاري؟".

"من الغريب قليلاً أنك لم تقل أي شيء أمام كاجا سولنس عن لقائك بشارلوت
لوليس عندما كانت كاجا في أوستاوسيت".

"ومن الغريب قليلاً أنك لا تزال تعمل على القضية. ظننت أنها مسألة من
اختصاص كريبوس؛ خصوصاً بعد عناوين الصحف اليوم". عاد تركيز كرونغلي إلى
الأحصنة. خرج الحصان الأصفر من المنعطف في المسار الثالث؛ متقدماً مسافة صغيرة.
قال هاري: "نعم. لكن قضايا الاغتصاب لا تزال من ضمن اختصاص قسم
مكافحة الجرائم".

"اغتصاب؟! ألم تتعقل بعد يا هاري؟".

أخرج هاري علبة سجائر من جيب سرواله. "حسناً. أنا أكثر رزانة مما تعتقد، كرونغلي". وضع سيجارة مجمدة بين شفثيه. "طوال الوقت، كنت تضرب وتغضب صديقتك السابقة في أوستاوسيت".

استدار كرونغلي ببطء نحو هاري، وارتطم مرفقه بكأس الشراب خاصته فأوقعها. امتص اللباد الأخضر الشراب، وانتشرت البقعة مثل انتشار القوات الألمانية فوق خريطة أوروبا.

تابع هاري قائلاً، وهو يشعل السيجارة: "عدت للتو من المدرسة حيث تعمل. هي التي أخبرتني أنني قد أجدك هنا. أخبرتني أيضاً أنها عندما تركتك وتركت أوستاوسيت، فقد كانت تهرب ولا تبدل فقط مكان إقامتها. أنت...".

لم يكمل هاري كلامه، إذ كان كرونغلي سريعاً، فقد برم كرسیه برجله، وهجم على هاري قبل أن يتمكن هذا الأخير من التفاعل. أحس هاري بقبضة قوية حول يده، وعرف ما سيحصل، عرف لأن هذا هو ما تمرنوا عليه في السنة الأولى في كلية الشرطة: ليّ الذراع. إلا أنه تأخر ثانية واحدة، وتكاسل جداً نتيجة احتسائه الشراب لمدة يومين، والتصرف بغباء طوال أربعين عاماً. برم كرونغلي معصمه وذراعه خلف ظهره، ودفع صدغه إلى الأمام فوق اللباد الأخضر؛ جهة الفك المصاب. صرخ هاري ألماً، وفقد وعيه لثانية، ثم عاوده الإحساس بالألم وحاول عبثاً تحرير نفسه. كان هاري قوياً. لطالما كان هكذا. لكنه عرف فجأة أنه لا يملك أي أمل أمام كرونغلي. فتنفس الشرطي قوي البنية كان ساخناً جداً ورطباً على وجهه.

"لم يكن يجدر بك فعل هذا هاري. لم يكن يجدر بك التحدث إلى العاهرة. فهي تقول أي شيء يخطر في بالها، وتفعل أي شيء يخطر في بالها".

حصل انسحاق داخل رأس هاري، فيما زاد كرونغلي الضغط. ارتطم حصان أصفر، ومن ثم أخضر بجبين هاري وأنفه على التوالي، فيما رفع قدمه اليمنى وركل بقوة. سمع كرونغلي يصرخ، وسرعان ما أفلت ذراعه المفتولة، فاستدار وضرب؛ ليس بقبضة يده هذه المرة - فقد أتلّف ما يكفي من العظام بهذا الهراء - وإنما بمرفقه. أصاب كرونغلي حيث تعلم هاري أن التأثير يكون في أوجه؛ ليس على الذقن، وإنما قليلاً إلى الجانب. تراجع كرونغلي إلى الخلف، ووقع على كرسي دوار منخفض، وسقط أرضاً، فيما اتجهت قدماه شمالاً. لاحظ هاري أن مقدمة حذاء الكونفرس الخاص بكرونغلي في القدم اليمنى كانت ممزقة وملطخة بالدم بعدما اصطدمت بصفيحة معدنية تحت حذاء كان يفترض رميّه منذ مدة. لاحظ أيضاً أن سيجارته لا تزال تتدلى من بين شفثيه،

ولمح بطرف عينه أن الحصان الأحمر في المسار الأول هو الفائز.

انحنى هاري إلى الأسفل، وأمسك بياقة كرونغلي، ورفعها إلى الأعلى، ورماه على الكرسي. أخذ نفساً عميقاً، وأحسّ به يحرق رثيته ويبعث الدفء فيهما.
قال: "أوافقك بأن قضية الاغتصاب التي أحقق فيها ليست لها علاقة كبيرة بذلك. فعلى الأقل، لم تبلغ عنك شارلوت لوليس ولا زوجتك. لهذا السبب، وبما أنني تحرّ، عليّ محاولة الغوص في التحقيقات أكثر، أليس كذلك؟ ولهذا السبب، سأذهب إلى شاليه هافاس".

"بالله عليك، عمّ تحدثت؟". بدا كرونغلي وكأنه أصيب بزكام سيئ.
"هناك تلك الفتاة في ستافانجر التي تحدث معها الياس سكوغ ليلة مقتله. كانا في حافلة وأخبرها عن تلك الليلة في شاليه هافاس عندما رأى ما يمكن اعتباره اغتصاباً".
"الياس؟".

"نعم، الياس. أعتقد أن نومه كان خفيفاً. فقد استيقظ في الليل نتيجة سماعه أصواتاً خارج نافذة غرفة النوم ونظر إلى الخارج. كان القمر ساطعاً، وهناك رأى ظل شخصين تحت سقف الحمام الخارجي. كانت المرأة في الأمام والرجل خلفها، يخبئ وجهه. ظن الياس أنهما يقومان بعلاقة حميمة؛ وقد وضع الرجل يده على فمها كي لا يزعجا أحداً على ما يبدو. وعندما جرّها الرجل إلى الحمام، خاب أمل الياس لعدم تمكنه من رؤية العرض مباشرة، فعاد إلى السرير. لكن، عندما قرأ عن الجرائم بدأ يتساءل. فقد كانت المرأة تحاول الهروب ربما، واليد التي وضعت فوق فمها هدفت إلى إسكات نداءات الاستغاثة". شهق هاري الهواء مرة أخرى. "هل كنت أنت كرونغلي؟ هل كنت هناك؟".
فرك كرونغلي ذقنه.

سأله هاري بمرح: "هل من عذر مبرّئ؟".
"كنت في المنزل، في السرير، بمفردي. هل قال الياس سكوغ من تكون تلك المرأة؟".

"لا. ولا الرجل؛ مثلما قلت لك".
"لم أكن أنا. وأنت تعرض نفسك للخطر هاري".
"هل أعتبر هذا تهديداً أم إطراء؟".
لم يجب كرونغلي. لكن، برز لمعان في عينيه، أصفر وبارد.

أطفاً هاري سيجارته ونهض. "بالمناسبة، حين تحدثت مع صديقتك السابقة كنا في غرفة الموظفين. ثمة شيء في تصرفها يقول لي إنها تخشى التواجد بمفردها مع رجل في الغرفة نفسها. لقد آذيتها كرونغلي، أليس كذلك؟".

"لا تنسَ أن تتبه لنفسك هول".

استدار هاري. بدا مدير الرهانات غير مكترث أبداً للمشهد أمامه، وكان يحضّر الأحصنة للسباق التالي.

سأله بلكنة نروجية مع ابتسامة: "هل تريد المراهنة؟".

هزّ هاري رأسه قائلاً: "عذراً، لا أملك شيئاً للمراهنة به".

قال المدير: "كل المزيد للريح".

حاول هاري استيعاب ذلك، واستنتج أنه خطأ لغوي، أو أن منطقته لا يفرز أكثر من ذلك، أو أنه مثل شرقي مريع آخر.

الفساد

انتظر مايكل بيلمان.

إنه أفضل وقت؛ تلك الثواني التي ينتظر خلالها لتفتح له الباب. متسائلاً بحماسة - وإنما في الوقت نفسه بثقة كاملة - عما إذا كانت ستخطى توقعاته مرة جديدة. ففي كل مرة يراها، يدرك أنه نسي كم هي جميلة. وكلما فتحت له الباب، بدا وكأنه يحتاج إلى برهة لاستيعاب كل جمالها؛ للتأكد من جمالها، والتأكد من أنه من بين كل الرجال الذين يريدونها - ويعني ذلك عملياً أي رجل طبيعي صاحب رؤية جيدة - اختارته هو فقط. هذا توكيد على أنه زعيم المجموعة، الذكر الأول؛ الذكر الذي يملك أفضل حق في التزاوج مع الإناث. نعم، يمكن تفسير ذلك بهذه العبارات البسيطة والعامية. فأن تكون الذكر الأول ليس شيئاً تطمح إليه، وإنما تولد مع هذه الميزة. قد لا يعني ذلك بالضرورة حياة أكثر سهولة أو راحة بالنسبة إلى الرجل، لكن إذا تم استدعاؤك، فلا يمكنك المقاومة.

فتح الباب.

كانت ترتدي الكتزة البيضاء ذات الياقة العالية، وقد رفعت شعرها إلى الأعلى. بدت متعبة، وكشفت عيناها عن لمعان أقل من المعتاد. لكنها حافظت على تلك الأناقة، ذلك الرقي الذي تحلم به أي امرأة، بمن في ذلك زوجته. قالت "مرحبا"، وأخبرته أنها جالسة على المصطبة، وأدارت له ظهرها ومشيت في المنزل. لحق بها، وأخذ قنينة شراب من البراد، وجلس على أحد الكراسي الكبيرة والضخمة على المصطبة. تنشق الهواء وقال: "لماذا تجلسين في الخارج؟ سوف تصابين بالتهاب الرئتين". قالت: "أو سرطان الرئة". ورفعت السجارة نصف المدخنة عن حافة المنفضة، ثم رفعت الكتاب الذي كانت تقرأه. نظر إلى الغلاف. لحم على الجاودار؟ تشارلز... غمز بعينه... بوكوسكي؟ كما في صالات المزاد السويدية؟

قال: "لديّ خبر جيد. لم نتجنب فقط كارثة بسيطة، وإنما قلبنا أيضاً كل حادثة هول لصالحنا. اتصلت وزارة العدل اليوم". وضع بيلمان رجله على الطاولة، وتأمل

للصاقة على قنينة الشراب. "أرادوا شكري على التدخل بهذا العزم وضمان إطلاق سراح لايك. كانوا قلقين مما يمكن أن يفعله غالتونغ ومجموعة محاميه لو لم تصرف كريبوس بهذه السرعة. وأرادوا ضمانة شخصية بأن أستلم أنا زمام الأمور، وألا يسمح أبداً لأي شخص خارج كريبوس بإفساد الأمور".

وضع القنينة على فمه وشرب، ثم ضربها بقوة على الطاولة. "ما رأيك، بوكوسكي؟".

أخفضت كتابها ونظرت إلى عينيه.

قال: "يجدر بك إظهار بعض الاهتمام. فهذا يعينك أيضاً، مثلما تعلمين. ما رأيك بالقضية، حبيبتي؟ هيا. أنت محققة جرائم".

"مايكل...".

"طوني لايك مجرم عنيف، وسمحنا لأنفسنا بأن يخدعنا ذلك؛ لأننا نعلم أنه لا يمكن إصلاح المجرمين العنيفين. فالقدرة على القتل والرغبة في ذلك ليستا بالأمر السهل. تكون هذه الصفة مولودة أو مكتسبة. لكن، عندما يكون القاتل داخلك، يصعب كثيراً التخلص منه مجدداً. والقاتل في هذه القضية يعرف ربما أننا نعرف ذلك؟ ويعرف أنه إذا وجّه أصابع الاتهام إلى طوني لايك، فسوف نحتفل جميعاً بالنصر ونقول: "هاي، لقد تم حسم القضية. فالرجل صاحب سجل عنيف!". ولهذا السبب، اقتحم شقة طوني لايك واتصل بالياس سكوغ؛ لمنعنا من البحث عن أي من الأشخاص الآخرين الذين كانوا موجودين في شاليه هافاس".

"الاتصال من منزل لايك جرى قبل أن يعرف أي شخص خارج الشرطة أننا وجدنا الرابط مع شاليه هافاس".

"إذاً ماذا؟ عرف من دون شك أنها مسألة وقت قبل أن نكتشف الأمر. اللعنة، كان يجدر بنا اكتشاف ذلك قبل وقت طويل!". أمسك بيلمان بالقنينة مجدداً.

"من هو القاتل إذاً؟".

قال مايكل بيلمان: "الشخص الثامن في الشاليه. الصديق الذي اصطحبته أديل فيتلسين معها، وإنما لا يعرفه أحد".

"لا أحد!؟".

"كلف أكثر من ثلاثين شرطياً في هذه المهمة. فتشنا شقة أديل. لا يوجد أي شيء مكتوب. لا مذكرات يومية، لا بطاقات، لا رسائل، ولا أي نصوص أو رسائل إلكترونية. والرجال الذين استطعنا التعرف إليهم تم استجوابهم وحذفهم من الشبهات.

وكذلك النساء. ولم يجد أي منهم غرابة في أنها تبدل شركاءها تماماً مثلما تبدل ملابسها الداخلية، وتفعل ذلك من دون إخبار أحد. الشيء الوحيد الذي وجدناه هو أن أديل أخبرت صديقة لها أن الشخص الذي كان معها في الشاليه كشف عما أسمته "حماسة جنسية" و"برودة جنسية". الحماسة الجنسية كانت عندما طلب منها ملاقاته في موعد غرامي ليلي في مصنع فارغ وهي متنكرة بزّي ممرضة".

"إذا كانت هذه هي الحماسة الجنسية، فأنا أخشى التفكير في ما قد تكون البرودة الجنسية".

"البرودة الجنسية كانت على ما يبدو أنه عندما تحدث، ذكّر أديل برفيقها في السكن. إلا أن الصديقة لم تفهم قطّ ما قصده أديل بذلك".

تثابت كاجا قائلة: "رفيق السكن ليس رفيقاً بالمعنى البيولوجي. غير بروون مثلي. وإذا حاول النزيل الثامن في الشاليه تحويل تهمة الجرائم إلى طوني لايك، فإنه كان يعرف حتماً أن لايك يملك سجلاً جرمياً".

"الإدانة بالاعتداء معلومة متاحة أمام الجميع. وكذلك الموقع، أي بلدية آيتر إينياك. كان لايك في طريقه لأن يصبح مجرماً أثناء إقامته مع جده قرب بحيرة لايسرن. إذا أردت توجيه شكوك الشرطة نحو لايك، أين ستظمرين جثة أديل فيتلسين؟ في مكان حيث تستطيع الشرطة إيجاد رابط معه، ومع إدانة على سجله طبعاً. لهذا السبب، اختار بحيرة لايسرن". توقف مايكل بيلمان. "قولي لي، هل أشعرك بالضجر؟".

"لا".

"تبدين ضجرة جداً".

"هناك... هناك الكثير من الأمور التي أفكر فيها".

"متى بدأت التدخين؟ أملك الآن خطة لكيفية العثور على النزيل الثامن". حدّقت فيه كاجا.

تنهد بيلمان. "ألن تسأليني كيف، حبيبي؟".

"كيف؟".

"باستعمال استراتيجيته نفسها".

"ألا وهي؟".

"التركيز على شخص بريء".

"أليست هذه هي الاستراتيجية التي تستعملها دوماً؟".

نظر إليها مايكل بيلمان بعنف. بدأ يتضح له أمر ما؛ أمر يتعلق به كذكر.

شرح لها الخطة، وأخبرها كيف سيجذب الرجل.

بعد ذلك، كان يرتجف من البرد والغضب. لا يعرف ما الذي جعله أكثر غضباً. ربما لأنها لم تتجاوب معه بأي تعليق إيجابي أو سلبي، أو لأنها جلست هناك تدخن، غير متأثرة أبداً بالقضية. ألا تفهم أن مهنته وتحركاته في هذه الأيام العصبية ستكون حاسمة بالنسبة إلى مستقبلها أيضاً؟ إذا كانت عاجزة عن أن تكون زوجته، فيإمكانها على الأقل الترقى في المراتب تحت رعايته؛ على افتراض أن تبقى وافية وتستمر في نقل المعلومات إليه. أو إن غضبه ناجم ربما عن السؤال الذي طرحته؟! كان متعلقاً به؛ الآخر، الذكر الضعيف وغريب الأطوار.

سألت عن الأفيون. سألت عما إذا كان سينفذ تهديده فعلاً، إذا لم يدعن هول لطلبه بضرورة تحمله مسؤولية توقيف لايك.

قال بيلمان: "طبعاً". محاولاً رؤية وجهها، لكنه كان مظلماً جداً. "ولم لن أفعل ذلك؟ فقد قام بتهريب المخدرات".

"لا أفكر به. أنا أفكر في ما إذا كنت سشوّه سمعة قوة الشرطة".

هز رأسه. "لا يمكننا السماح لأنفسنا بأن نفسد في هذا النوع من التفكير".

بدت ضحكته جافة، فيما التقت ببرد الليل الكثيف. "لا شك في أنك أفسدته". قال بيلمان وهو يشرب كل محتويات القنينة دفعة واحدة: "إنه قابل للفساد. هذا هو الفرق بيني وبينه. والآن كاجا، هل تريد أن تخبريني شيئاً ما؟".

فتحت فمها، أردت قول ذلك. كان يجدر بها قوله. لكن في تلك اللحظة رن هاتفه الخليوي. رآته يخرج من جيبه ويفعل ما يفعله عادة، أي زمّ شفتيه على بعضهما. لا يعني ذلك قبلة، وإنما عليها أن تسكت؛ في حال كانت زوجته، أو مديره، أو أي شخص آخر لا يريد أن يعرف أنه يأتي إلى هنا لمعاشرة شرطية في قسم مكافحة الجرائم تعطيه كل المعلومات التي يحتاج إليها للتفوق ببراعة على القسم المنافس في تحقيقات الجرائم. اللعنة على مايكل بيلمان. اللعنة على كاجا سولنس. والأهم من كل شيء اللعنة على...

قال مايكل بيلمان، وهو يعيد الهاتف إلى جيبه: "لقد اختفى".

"من؟".

"طوني لايك".

الرسالة

مرحباً طوني،

أنت تتساءل منذ وقت طويل عمّن أكون. منذ وقت طويل جداً، لدرجة أنني أعتقد أن الوقت قد حان للكشف عن نفسي. كنت في شاليه هافاس تلك الليلة، لكنك لم ترني، لم يرني أحد. كنت غير منظور مثل الشبح. لكنك تعرفني. تعرفني جيداً. وها أنا الآن آت إليك. الشخص الوحيد الذي يستطيع الآن إيقافني هو أنت. الآخرون ماتوا؛ كلهم. لم يبق سوى أنا وأنت، طوني. هل يخفق قلبك بصورة أسرع الآن؟ هل تحاول يدك الإمساك بسكين؟ هل تضرب السكين في العتمة، وأنت تشعر بالدوار بسبب خوفك على حياتك التي ستسلب منك؟

زيارة

ثمة شيء أيقظه؛ صوت. بالكاد توجد أي أصوات هنا، أو بالأحرى، لا توجد أصوات لا يعرفها، وتلك الأصوات لا توقظه. نهض، ووضع كعبي قدميه على الأرض الباردة، ونظر إلى خارج النافذة. أرضه. يطلق عليها البعض اسم الأرض القاحلة المهجورة، أياً كان قصدهم؛ لأن المكان ليس مهجوراً أبداً هنا، بل يوجد دوماً شيء ما. مثل الآن. أهو حيوان؟ أو هل يكون هو؟ الشبح؟ ثمة شيء في الخارج بالتأكيد. نظر إلى الباب. كان محكم الإقفال من الداخل. البندقية موجودة في المستودع. ارتجف في القميص القطني الأحمر السميك الذي يرتديه ليلاً ونهاراً هنا. كانت غرفة الجلوس فارغة جداً. المكان فارغ جداً هنا. فارغ جداً في العالم، لكنه غير مهجور. هما الاثنان موجودان؛ الاثنان اللذان بقيا على قيد الحياة.

كان هاري يحلم بمصعد له أسنان، وبامرأة تضع عود أسنان خشبي بين شفثيها الحمراء، وبمهرج يضع رأسه المبتسم تحت ذراعه، وبعروس ترتدي الفستان الأبيض أمام المذبح مع رجل ثلج، وبنجمة مرسومة على غبار شاشة تلفاز، وبفتاة ذات ذراع واحدة على لوح غطس في بانغوك، وبالرائحة الجميلة للحمامات، وبشكل جسم بشري داخل فراش بلاستيكي أزرق، وبمثقاب ضاغط والدم يتناثر على وجهه ساخناً ومستحضراً للموت. عمل الشراب بمثابة رادع قوي للأشباح، لكن البدر مكتمل الليلة، وها قد جاءت الأشباح الآن من الزاوية المعتمة والقبور العميقة ووضعت بينها في رقبتها - وهي أكثر وحشية وغرابة من أي وقت مضى - وفق إيقاعات قلب الخوف المميت وإنذار الحريق الدائم هنا في الجحيم. ثم ساد صمت مفاجئ، صمت تام. لقد عاد مجدداً. لقد ملأ فمه. لا يستطيع التنفس. كان بارداً وأسود اللون، وكان عاجزاً عن الحراك. كان...

ارتعش هاري وطرف عينيه في العتمة، وشعر أنه مصاب بالدوار. ثمة صدى تردد بين الجدران. صدى ماذا؟! أمسك بمسدسه عن الطاولة الموجودة قرب السرير،

وثبتت نعلي قدميه على الأرض الباردة ونزل إلى الأسفل؛ إلى غرفة الجلوس. فارغة. خزانة المشروبات الفارغة لا تزال مضاءة. كانت هناك قنينة شراب وحيدة. لطالما توخى والده الحذر مع المشروبات. عرف جيداً الجينات التي يحملها، وكان الشراب للضيوف. لكن، لم يأت الكثير من الضيوف. اختفت القنينة نصف الممتلئة والمتسخة بالغبار. جلس هاري على الكرسي الهزاز، وأدخل إصبعه في المزق الموجود في ذراع الكرسي. أغمض عينيه، وتخيل نفسه يملأ كوباً حتى النصف. أصوات الغرغرة العميقة من القنينة أثناء صبّ السائل البني الذهبي المتلألئ. الرائحة، الارتعاش فيما وضع الكأس على فمه وأحس بجسمه يحاربه، وهو مذعور. ثم أفرغ المحتويات في حنجرته. كان ذلك أشبه بضربة على الصدغ.

فتح هاري عينيه. ساد الصمت مجدداً.

وفجأة، عاد إلى هنا مجدداً.

شق الصوت طريقه عبر قنواته السمعية؛ إنذار الحريق في الجحيم. إنه الصوت نفسه الذي أيقظه؛ جرس الباب. نظر هاري إلى ساعته. إنها الثانية عشرة والنصف.

ذهب إلى الردهة، وأثار المصباح الخارجي، وشاهد جسماً عبر الزجاج المموج، فأمسك المسدس في يده اليمنى، فيما أزاح القفل بإبهامه وإصبعه الوسطي من اليد اليسرى وفتح الباب كاملاً.

تحت ضوء القمر، استطاع رؤية آثار تزلج في الممر. ليست آثاره. والأشباح لا تترك آثاراً، أليس كذلك؟

استدارت حول المنزل، إلى الخلف.

في تلك اللحظة، لفته أن نافذة غرفة النوم مفتوحة. كان يجدر به... حبس أنفاسه. بدا له وكأن هناك شخصاً يتنفس معه. ليس شخصاً، بل شيئاً؛ حيواناً.

استدار. فتح فمه. توقف قلبه عن الخفقان. كيف استطاع التحرك بهذه السرعة، من دون إصدار صوت، كيف استطاع الاقتراب هكذا؟!

حدقت فيه كاجا.

سألت: "هل أستطيع الدخول؟".

كانت ترتدي معطفاً فضفاضاً واقياً من المطر، وتطاير شعرها في كل الاتجاهات،

فيما بدا وجهها شاحباً ومنهكاً. طرف بعينه مرتين للتأكد من أنه لا يحلم. لم تكن يوماً أكثر جمالاً.

حاول هاري البصق بأكبر هدوء ممكن. فهو لم يتذوق الشراب منذ أكثر من يوم، وباتت معدته حساسة جداً؛ لدرجة أنها تمردت على نوبات الشرب المفاجئة والامتناع المفاجئ عن الشراب. توّرد وجهه، وشرب كوب ماء بعناية، وعاد إلى المطبخ. كانت المغلاة تصدر أصواتاً على الغاز، فيما جلست كاجا على أحد كراسي المطبخ وهي تنظر إليه.

قال: "إذاً لقد اختفى طوني لايك".

أومأت برأسها. "أعطى مايكل التعليمات بأن يتم الاتصال به. لكن، لم يعثر عليه أحد. لم يكن في المنزل، ولا في المكتب، ولم يترك أي رسائل. لا يوجد اسم لايك على أي من لوائح المسافرين في الخطوط الجوية أو الخطوط البحرية خلال الساعات الأربع والعشرين الماضية. وفي النهاية، نجح تحرّ في الاتصال بلين غالتونغ. إنها تعتقد أنه ذهب إلى الجبال ربما. للتفكير. يبدو أنه يفعل هذا كثيراً. وفي هذه الحالة، لا بد أنه استقلّ القطار لأن سيارته لا تزال موجودة في المرأب".

قال هاري: "أوستاوسيت. قال إن أرضه هناك".

"أياً يكن الأمر، فهو لم يذهب حتماً إلى فندق".

"مم".

"إنهم يعتقدون أنه في خطر".

"يعتقدون! من؟"

"بيلمان، كريبوس".

"ظننت أنك تريد القول نحن. ولماذا يريد بيلمان الاتصال بطوني لايك؟"

أغمضت عينيها. "أعدّ مايكل خطة؛ لتضليل القاتل".

"حقاً! "

"يحاول القاتل التخلص من كل شخص كان موجوداً في شاليه هافاس تلك الليلة. لذا، أراد محاولة إقناع لايك بأن يكون الطعم في الخطة. أي إقناع لايك بإجراء مقابلة مع جريدة، والتحدث عن الوقت العصيب الذي قضاه، وكيف سيسترخي بمفرده في مكان معين يتم الكشف عنه في الجريدة".

"حيث تحضر كريبوس فحاً".

"نعم".

"لكن الخطة فشلت الآن. ألهذا السبب جئت إلى هنا؟".

حدّثت فيه من دون أن تطرف بعينها. "بقي لدينا شخص واحد لاستعماله بمثابة طعم".

"يسكا بيلر؟ إنها في أستراليا".

"ويعرف بيلمان أنها تحت حماية الشرطة، وأنت كنت على تواصل معها ومع شخص يدعى ماك كورماك. يريدك بيلمان أن تقنعها بالمجيء إلى هنا".
"ولماذا يجدر بي الموافقة؟".

نظرت إلى يديها. "تعرف؛ بسبب بعض تكتيكات الإجبار كما في المرة السابقة".

"م. متى اكتشفت أن الأفيون كان في علبة السجائر؟".

"عندما كنت أضع العلبة على الرف في غرفة نومي. أنت محق. له رائحة قوية. وتذكرت الرائحة لأنني شممتها في مكان إقامتك. فتحت العلبة، ورأيت أن الختم في العلبة السفلية تم تمزيقه. وعثرت على الكتلة في الداخل. أخبرت مايكل، فطلب مني تسليمك العلبة عندما تطلبها".

"لقد سهّل ذلك عليك خيانتك لي؛ بعدما عرفت أنني استغللتك".

هزّت رأسها ببطء. "لا، هاري. لم يسهّل الأمر. كان يجب حصول ذلك ربما، لكن...".

"لكن؟".

هزّت كتفها. "نقل هذه الرسالة هو آخر خدمة أسديها لمايكل".

"أوه؟".

"بعد ذلك سأقول له إنني لا أرغب في رؤيته بعد الآن".

توقف الضجيج الصادر من المغلاة.

قالت: "كان يجدر بي فعل ذلك قبل وقت طويل. لا أنوي أبداً أن أطلب منك مسامحتي على ما فعلته هاري. فهذا كثير لطلبه. لكنني فكرت في أن أخبرك بذلك وجهاً لوجه؛ علّك تفهم. لهذا السبب، جئت الآن لأراك هنا. لأقول لك إنني فعلت ذلك بدافع الحب الغبي، الغبي. لقد أفسدني الحب، ولم أكن أظن أنني قابلة للفساد".
وضعت رأسها بين يديها. "لقد خيّبت أملك هاري. لا أعرف ماذا أقول؛ سوى أن خيبة أملي بنفسني تجعلني أشعر بسوء أكبر".

قال هاري: "جميعنا قابلون للفساد، وإنما نطلب أسعاراً مختلفة، وعملات

مختلفة. أنت الحب. وأنا المخدر. وهل تعلمين ماذا؟".
عاد صوت المغلاة مجدداً، وإنما هذه المرة بأنين أعلى.
"... أظن أنه يجعلك إنسانة أفضل مني. هل تريدين القهوة؟".

استدار بسرعة إلى اليمين وحدّق في الشكل. كان يقف مباشرة أمامه، من دون حراك؛ كما لو أنه مضى وقت طويل على وجوده، كما لو أنه ظله. كان هادئاً جداً. كل ما استطاع سماعه هو تنفسه. ثم أحسّ بحركة؛ بشيء يرتفع في العتمة، وسمع صفيراً منخفضاً في الهواء، وفي تلك اللحظة صعقته فكرة غريبة. الشكل مجرد ظله الشخصي. لقد...

اختفت الفكرة، وتبدل الوقت، وانكسر الرابط البصري هنيهة.
حدّق أمامه بذهول، وأحسّ بقطرة ساخنة من العرق تنزل على جبينه. تحدث، لكن الكلمات كانت من دون معنى. ثمة خطب في التواصل بين الدماغ والقم. سمع صفيراً منخفضاً مجدداً، ثم اختفى الصوت. كل الأصوات؛ حتى إنه لم يستطع سماع صوت تنفسه. واكتشف أنه راع، وأن الهاتف على الأرض قرب. أمامه، ثمة بقعة بيضاء من ضوء القمر امتدت فوق ألواح الأرضية، لكنها اختفت عندما وصلت قطرة العرق إلى جسر أنفه، ودخلت إلى عينيه وأعمته. وفهم أنها ليست قطرة عرق.
الضربة الثالثة كانت مثل الكتلة الجليدية التي دخلت إلى رأسه وحنجرته وجسمه. تجمد كل شيء.

لا أريد أن أموت - فكر في سرّه - وحاول أن يرفع ذراعاً واقية فوق رأسه، لكنه عجز عن تحريك أي من أطرافه، وأدرك أنه مشلول.
لم يشعر بالضربة الرابعة، لكنه استنتج من رائحة الخشب أنه مستلق على وجهه فوق الأرض. طرف بعينه مرات عدة، وعادت الرؤية إلى عين واحدة. مباشرة أمامه، رأى زوجاً من أحذية التزلج. وعادت الأصوات ببطء. شهيقه الثقيل، والتنفس الهادئ للشخص الآخر، والدم المتقطر من أنفه على الأرضية. الصوت الآخر كان مجرد همس، لكن الكلمات بدت وكأنها تُصرخ في أذنه. "والآن، يوجد واحد منا فقط".

فيما دقت الساعة الثانية، كانا لا يزالان في المطبخ يتحدثان.
قال هاري، وهو يسكب المزيد من القهوة: "التزليل الثامن. أغمضي عينيك. كيف يبدو لك؟ بسرعة، لا تفكري".

قالت كاجا: "مليء بالكراهية، غاضب، غير متوازن، مقرف. إنه من نوع الرجال الذين ترتمي أدبل بين أحضانهم، فتتحقق منهم ثم ترميهم. يملك كومات من المجلات والأفلام الإباحية في منزله".

"ما الذي يجعلك تظنين هذا؟".

"لا أعرف. ربما طلبه من أدبل الذهاب إلى مصنع فارغ وهي ترتدي بذلة ممرضة".

"تابعي".

"إنه مخنث".

"بأية طريقة؟".

"حسناً، صوت عالي النبرة. قالت أدبل إنه يذكرها بصديقها الذي يعيش معها في الشقة عندما يتحدث". وضعت الكوب على فمها وابتسمت. "أو إنه ربما ممثل أفلام، صاحب صوت قوي وفم بارز. ما زلت لا أذكر اسم الممثل صاحب الصوت الأنثوي".

رفع هاري كوبه كما لو أنه يشرب نخبها. "وكل الأشياء التي أخبرتك بها عن الياس سكوغ، وحادث آخر الليل خارج الشاليه. من كانا؟ هل كان اغتصاباً؟".

قالت كاجا: "لم تكن ماريت أولسن طبعاً".

"مم. لِمَ لا؟".

"لأنها كانت المرأة الوحيدة البدينة هناك، ولذلك كان الياس سكوغ سيتعرّف إليها فوراً، وسيستخدم اسمها عند وصف المشهد".

"إنه الاستنتاج نفسه الذي توصلت إليه. لكن، هل كان اغتصاباً برأيك؟".

"يبدو هكذا. لقد وضع يده على فمها، وكبت صراخها، وشدّها إلى داخل الحمام. ماذا يمكن أن يكون غير ذلك؟".

"لكن، لماذا لم يعتقد الياس سكوغ أنه اغتصاب على الفور؟".

"لا أعرف. ربّما لأنه كان هناك شيء في طريقة... طريقة وقوفهما، ولغة جسديهما".

"بالضبط. اللاوعي يفهم أكثر بكثير من العقل الواعي. كان واثقاً جداً من أنها علاقة جنسية بالتراضي، حيث خلد إلى النوم مجدداً. لكن، بعد مرور وقت، عندما قرأ عن الجرائم، تذكر المشهد نصف المنسي، وكون الفكرة بأنه قد يكون اغتصاباً".

قالت كاجا: "ربما كانت لعبة فيها نفحة الاغتصاب. من يفعل ذلك؟ بالتأكيد، لن

يفعل ذلك رجل وامرأة التقيا للتو في شاليه، وتسللا إلى الخارج ليتعرفا بصورة أفضل إلى بعضهما. لا بد أن يكون الشخصان مرتاحين مع بعضهما".
قال هاري: "إذاً، إنهما شخصان كانا معاً من قبل. وحسب معلوماتنا، يمكن أن يكونا...".

"أديل والرجل الغامض؛ النزيل الثامن".
"إما هذا أو شخص آخر جاء تلك الليلة". نقر هاري الرماد عن سيجارته.
سألت كاجا: "أين الحمام؟"
"في الرواق إلى اليسار".
شاهد دخان السيجارة يتصاعد إلى الأعلى في ظل المصباح فوق الطاولة. انتظر.
لم يسمع الباب يفتح، فنهض ولحق بها.
كانت واقفة في الرواق وهي تحديق في الباب. لاحظ في الضوء الخافت أنها تحاول استنشاق الهواء، ورأى أسنانها الرطبة تلمع. وضع يده على ظهرها، ورغم ذلك، رغم ملابسها، أحس بقلبيها يخفق بقوة. "هل تمانعين إذا فتحت؟".
قالت: "تظن على الأرجح أنني مختلة عقلياً".
"جميعنا هكذا. سأفتحه الآن، اتفقنا؟".
أومأت برأسها، وفتح الباب.
كان هاري جالساً أمام طاولة المطبخ عندما عادت. ارتدت معطفها الواقى من المطر.

"أظن أنه عليّ العودة إلى المنزل الآن".
أوماً هاري برأسه، ورافقها إلى الباب الأمامي. راقبها فيما انحنت لانتعال حذائها.
قالت: "يحدث ذلك فقط عندما أكون متعبة. أعني مسألة الباب".
قال هاري: "أعرف. أعيش التجربة نفسها مع المصاعد".
"أوه؟".
"نعم".
"أخبرني أكثر".

"في وقت آخر ربما. من يعلم؟ قد نلتقي مجدداً".
سكتت. أخذت وقتاً طويلاً لإغلاق سحاب جزمته. بعدها، فجأة، وقفت، واقتربت منه كثيراً، حيث أحس أن راثحتها تلحق بها، مثل الصدى.
قالت: "أخبرني الآن". مع تعبير غريب بدا في عينيها وعجز عن تفسيره.

قال: "حسناً". وهو يشعر بوخز خفيف في أصابعه؛ كما لو أنه كان يشعر بالبرد، وعاد ليحس بالدفء مجدداً. "عندما كنت صغيراً، امتلكت أختي الصغيرة شعراً طويلاً. كنا نرور أُمي في المستشفى، وكنا على وشك الدخول إلى المصعد. كان والدي ينتظرنا في الأسفل؛ لأنه لا يستطيع تحمل المستشفيات. وقفت أختي بالقرب من الجدار القرميدي، وعلق شعرها بين المصعد والجدار. أصبت بالذعر لدرجة أنني عجزت عن التحرك. شاهدت أختي وهي تُجَرّ من شعرها".

سألته: "ماذا حصل؟".

لاحظ أنهما يقفان قريبين جداً من بعضهما. كانا يقفان عند حدود مساحتهما الشخصية؛ وعرفا ذلك تماماً. أخذ نفساً عميقاً.

"خسرت أختي الكثير من شعرها، لكنه عاد للنمو مجدداً. أما أنا... فخسرت شيئاً آخر؛ شيئاً لم ينمُ مجدداً".

"تظن أنك خذلتها".

"في الواقع، خذلتها".

"كم كان عمرك؟".

ابتسم. "ما يكفي لخذلها. ظننت أن ليلة واحدة من الشفقة الذاتية كانت كافية، ليس كذلك؟ أحب والدي طريقة انحنائك أمامه".

قهقهت كاجا. "ليلة سعيدة". وانحنت أمامه.

مشت إلى الدرج، ثم استدارت.

"هاري؟".

"نعم؟".

"ألم تكن وحيداً في هونغ كونغ؟".

"وحيداً".

"راقبتك وأنت نائم. بدوت... وحيداً جداً".

قال: "نعم. كنت وحيداً. ليلة سعيدة".

وقفا هناك لنصف ثانية؛ لخمسة أعشار الثانية. كان يفترض بها أن تنزل الدرج ويعود هو إلى المطبخ.

التفت أصابعها حول عنقه، وأنزلت رأسه إلى الأسفل، فيما وقفت على أطراف أصابعها. فقدت عيناها التركيز، وتحولتا إلى بحر متلألئ، ثم أغمضتهما. كانت شفثاها متباعدين قليلاً فيما التقتا شفثيه. أمسكت به ولم يتحرك، وإنما شعر فقط بوخز في

معدته؛ كما لو أنه دفق مورفين.

أفلته.

"تم جيداً هاري".

أوما برأسه.

استدارت ومشت بعيداً، فأغلق الباب بهدوء خلفه.

رمى الكوبين، وغسل الإبريق بالماء، ووضع مكانه حين رنّ الجرس.

ذهب لفتحه.

قالت: "نسيت شيئاً".

سألها: "وما هو؟".

رفعت يدها، وربّت على حاجبه. "شكلك".

شدّها إليه. بشرتها، رائحتها؛ أحسّ بدوامة رائعة تنزله إلى الأسفل.

همست له: "أريدك. أريد أن أقوم بعلاقة حميمة معك".

"وأنا أريدك أيضاً".

أفلتا بعضهما، ونظرا إلى بعضهما. ساد طابع رسمي مفاجئ بينهما، وأحسّ لهنيهة أنها نادمة. وهو نادم أيضاً. فهذا كثير، وبسرعة كبيرة. هناك الكثير من الأمور الأخرى، وهناك الكثير من الأخطاء، والكثير من الذكريات، والكثير من الأسباب الجيدة. غير أنها أخذت يده بطريقة خجولة نوعاً ما، وهمست "تعال"، وقادته إلى الدرج المؤدي إلى الطابق العلوي.

كانت غرفة النوم باردة، وفيها رائحة الأهل. أنار المصباح.

كان السرير المزدوج الكبير مغطى ببطانيتين ووسادتين.

ساعدها هاري على تبديل الملاءات.

سألته: "في أي جهة كان ينام؟".

أشار هاري: "هنا".

قالت كما لو أنها تتحدث مع نفسها: "واستمر في النوم هنا بعدما رحلت".

خلعا ملابسهما من دون اختلاس النظر، ثم استلقيا تحت البطانيتين والتقيا هناك.

في البداية، استلقيا قرب بعضهما، وراحا يقبلان بعضهما ويستكشfan بعضهما،

مع الحرص على عدم إفساد تلك اللحظات. استمعا إلى أنفاس بعضهما، وإلى صوت

سيارة مازة على الطريق. بعد ذلك، أصبحت قبلاتهما أكثر قوة، وملامساتهما أكثر

جرأة، وسمع صوت الإثارة في نفسها على أذنه.

سألها: "هل أنت خائفة؟".

أجابت: "لا".

بالكاد صدر أي صوت، وبدت على وشك البكاء.

همست له: "قُبِّلني".

استلقيا هكذا، أطرافهما ممددة بصورة عشوائية؛ مثل الموتى. أحس هاري بالدم يتدفق إلى أذنيه، وبراحة كبيرة في كل جسمه. هذا بالإضافة إلى شيء آخر يمكن وصفه بالسعادة.

نام واستيقظ عندما عادت إلى السرير واستلقت بالقرب منه. كانت ترتدي واحدة من سترات أولاف. قبّلتها، وتمتمت شيئاً ما ونامت، وسرعان ما أصبح تنفسها خفيفاً وهادئاً. حدّق هاري في السقف، وترك أفكاره تتخبط بعنف؛ لأنه أدرك أنه لا جدوى من المقاومة.

لقد كان ذلك رائعاً جداً. لم يشعر بهذه الروعة منذ... منذ...

لم يتم إنزال الستارة، وعند الساعة الخامسة والنصف بدأت أضواء السيارات المارة تنعكس على السقف، فيما استيقظت أوسلو وحضرت نفسها للعمل. نظر إليها مجدداً، ثم نام هو أيضاً.

ملّية
t.me/t_pdf

تسلق

عندما استيقظ هاري، كانت الساعة التاسعة. امتلأت الغرفة بضوء النهار، ولم يكن هناك أحد قربه. وجد أربع رسائل على هاتفه.

الأولى من كاجا، تقول فيها إنها في طريقها إلى المنزل لتبديل ملابسها للذهاب إلى العمل. وشكرته على... لم يستطع سماع ماذا وإنما مجرد ضحكة عالية قبل أن تنهي الاتصال.

الرسالة الثانية من غونار هاغن الذي تساءل عن سبب عدم إجابة هاري على أي من اتصالاته، وقال إن الصحافة تلاحقه بسبب التوقيف غير المبرر لطوني لايك. الرسالة الثالثة من غونثر الذي كرّر نكتة هاري، وقال إن شرطة ليزيغ لم تعثر على جواز سفر جوليانا فيرني، وبالتالي لا يمكن الجزم ما إذا كان قد تم ختمه في كيغالي أم لا.

الرسالة الرابعة من مايكل بيلمان الذي طلب من هاري ببساطة أن يتواجد في كريبوس عند الساعة الثانية. افترض أن سولنس قد نقلت إليه التعليمات.

نهض هاري. أحس بارتياح، لا بل ما هو أكثر من ارتياح؛ الروعة ربما. أصغى إلى جسمه. حسناً، الروعة كلمة مبالغ فيها.

نزل هاري إلى الأسفل، وأخرج علبة من رقاقت الخبز المحمص وأجرى الاتصال المهم أولاً.

"معك سوس هول". إنها سوس، أو سيس؛ مثلما يناديها هاري. بدا صوتها رسمياً جداً، حيث ابتسم هاري.

قال: "ومعك هاري هول".

"هاري!". صرخت باسمه مرتين إضافيتين.

"مرحباً، سيس".

"قال بابا إنك عدت إلى الوطن! لماذا لم تتصل بي من قبل؟".

"لم أكن جاهزاً، سيس. أما الآن فأصبحت جاهزاً. وأنت؟".

"أنا دوماً جاهزة هاري. تعلم ذلك".

"نعم، صحيح. هل ترغيبين في تناول الغداء في المدينة قبل زيارة بابا في وقت قريب حبيبتى؟".

"نعم! تبدو سعيداً هاري. هل السبب راكيل؟ هل تتحدث إليها؟ اتصلت البارحة. ما كان ذلك الصوت، هاري؟".

"فتات الخبز المحمص المتساقط من العلبة على الأرض. ماذا أرادت؟".

"السؤال عن بابا. سمعت أنه مريض".

"هل كان هذا كل شيء؟".

"نعم. لا. قالت إن أوليغ بخير".

ابتلع هاري لعابه. "جيد. فلتتحدث عما قريب إذاً".

"لا تنس. أنا سعيدة جداً لعودتك إلى الوطن هاري. هناك الكثير من الأمور

التي أريد إخبارك بها".

وضع هاري الهاتف على رف المجلى، وانحنى لالتقاط فتات الخبز المحمص

عندما رن الهاتف مجدداً. هكذا هي سيس، إنها تتذكر الأشياء التي كان يجدر بها

قولها بعد إنهاء الاتصال. انتصب.

"ما الأمر؟".

سمع نحنة جديّة للحنجرة، ثم عرّف الصوت عن نفسه بأنه أبيل. الاسم مألوف،

ونقّب هاري في ذاكرته فوراً. هناك ملفات الجرائم القديمة؛ المنظمة بترتيب مع معطيات

لا تحمي أبداً على ما يبدو: أسماء، وجوه، أرقام منازل، تواريخ، أصوات، ألوان سيارات

وأنواعها. إلا أنه قد ينسى فجأة أسماء الجيران الذين عاشوا في مبناه لمدة ثلاثة أعوام،

أو متى كانت ذكرى ميلاد أوليغ. يطلقون على ذلك اسم ذاكرة التحري.

أصغى هاري من دون مقاطعة.

قال أخيراً: "فهمت. شكراً على اتصالك".

أنهى المكالمة، وطلب رقماً جديداً.

أجابت عاملة استقبال منهكة: "كريوس. أنتم تحاولون الاتصال بمايكل بيلمان".

"نعم. أنا هول من قسم مكافحة الجرائم. أين بيلمان؟".

أبلغته عاملة الاستقبال عن مكان رئيس الشرطة.

قال هاري: "هذا منطقي".

تثاءبت قائلة: "أهلاً بك".

وضع هاري الهاتف في جيبه. حدّق خارج نافذة المطبخ، وطقق فتات الخبز المحمص تحت قدميه فيما مشى.

كتبت على الباب الزجاجي المواجه لمرأب السيارة عبارة "نادي تسلق سكواين". دفع هاري الباب ودخل. في أثناء دخوله، توجب عليه انتظار مجموعة من تلامذة المدارس المتحمسين وهم في طريقهم إلى الخارج. نقر حذاءه على مصبّع حديدي خاص بالأحذية في أسفل الدرج. في القاعة الكبيرة، رأى نصف دزينة من الأشخاص يتسلقون الجدران البالغ علوها عشرة أمتار؛ رغم أن تلك الجدران بدت أشبه بالجدران الاصطناعية المصنوعة من الورق المجدد في أفلام طرزان التي رآها هاري وأويستن في سينما سيمرا عندما كانا صغيرين. إلا أن هذه الجدران مزودة بدعامات متعددة الألوان، وأوتاد مع حلقات وكلاّبات. فاحت رائحة صابون وأرجل متعرقّة من السجادات الزرقاء الموضوعّة على الأرض والتي مشى عليها هاري. توقف قرب رجل جالس القرفصاء يحدق عمداً في الشيء المتدلي فوقهم. ثمة حبل ممتد من عدّة التسلق خاصته إلى رجل كان في تلك اللحظة يتأرجح مثل رقاص الساعة على علو ثمانية أمتار فوقهم. رفع قدماً عن طرف قوس، ومرّر الكعب تحت وتد وردي إجاصي الشكل، ثم وضع القدم الأخرى على جزء من الحائط، وثبت حبل التسلق في المرساة العلوية بحركة رشيقّة أنيقة.

صرخ: "نجحت". وانحنى إلى الخلف على الحبل، ووضع ساقه على الجدار. قال هاري: "حركة موفقة. يبدو أن رئيسك متطلب قليلاً، أليس كذلك؟". لم يجب جوسي كولكا، ولم ينظر حتى إلى هاري، وإنما اكتفى بشدّ الرافعة في مكبح الحبل.

قال هاري للرجل الذي يتم إنزاله: "أخبرتني عاملة الهاتف أنك موجود هنا". قال بيلمان: "إنه تمرين منتظم كل أسبوع. من مزايا الشرطي القدرة على التمرن خلال ساعات الدوام. كيف حالك هاري؟ تبدو العضلات محدّدة جيداً. الكثير من العضلات بالنسبة إلى الوزن؛ مثلما أظن. هذا مثالي للتسلق مثلما تعلم". قال هاري: "للطموحات المحدودة".

هبط بيلمان على الأرض، فيما ابتعدت ساقاه عن بعضهما مسافة عرض كتفين، وأنزل القليل من الحبل ليتمكن من تحرير نفسه من العقدة الكبيرة. "لم أفهم ذلك".

"لا أرى جدوى من التسلق عالياً إلى هذا الحد. أتسلق بجهد بعض الأجراف بين الحين والآخر".

زمجر بيلمان وهو يحرق نفسه من الحبل ويدوس عليه: "التسلق بجهد! هل تعلم أن السقوط من علو مترين من دون حبل مؤذٍ أكثر من السقوط من علو ثلاثين متراً مع حبل؟".

قال هاري والابتسامة ترسم على وجهه: "نعم، أعلم".
جلس بيلمان على أحد المقاعد الخشبية، وخلع الحذاء الخاص بالتسلق الشبيه بحذاء الباليه، وفرك قدميه، فيما أنزل كولاكا الحبل وبدأ يلفه حول نفسه.
"هل وصلتك رسالتي؟".

"نعم".
"لِمَ العجلة إذا؟ سأراك عند الساعة الثانية".
"هذا ما أردت توضيحه معك بيلمان".
"توضيح!".

"قبل أن نلتقي الآخرين، أودّ الاتفاق على شروط انضمامي إلى الفريق".
ضحك بيلمان: "الفريق؟! عمّ تحدثت هاري؟".
"هل تريدني أن أقول الكلمات نيابة عنك؟ أنت تريد مني أن أتصل بأستراليا لإقناع امرأة بالمجيء إلى هنا لتكون بمثابة طعم. لا يمكنك فعل ذلك بنفسك من دون أي إزعاج. لذا، تطلب المساعدة".
"هاري! فعلاً الآن...".

"بدو منهكاً بيلمان. بدأت تشعر بهذا، أليس كذلك؟ بدأت تشعر بالضغط منذ مقتل ماريت أولسن". جلس هاري على المقعد قربه. ورغم ذلك، بقي أطول بنحو عشرة سنتيمترات. "بدأت تشعر بالضغط الناجم عن مواجهة الصحافة كل يوم. يستحيل المرور أمام كشك جرائد أو تشغيل تلفاز من دون الحصول على تذكير بالقضية. القضية التي لم تحلها، القضية التي يزعجك مدارؤك بشأنها على الدوام. القضية التي تستلزم مؤتمراً صحافياً كل يوم حيث تتلاطم أسئلة الصحفيين وتصطدم ببعضها. والآن، ها قد اختفى الرجل الذي أطلقت سراحه. استفسر الصحفيون، بعضهم باللغة السويدية أو الدانماركية أو حتى الإنكليزية. لقد عشت ما تعيشه الآن، بيلمان. سوف يبدأون قريباً بالتحدث باللغة الفرنسية. يجدر بك أنت حلّ هذه القضية، بيلمان. وقد أصبحت القضية قديمة".

لم يجب بيلمان، لكن عضلات فكّه كانت تطقق. وضّب كولكا الحبل في الكيس وجاء صوبهما، لكن بيلمان لوّح له للابتعاد. استدار الرجل الفنلندي ومشى صوب المخرج مثل الكلب المطيع.

"ماذا تريد هاري؟"

"أعرض عليك فرصة تسوية المسألة بيني وبينك، بدلاً من فعل ذلك في الاجتماع."

"أريد مني أن أطلب منك المساعدة؟"

لاحظ هاري الاحمرار على بشرة وجه بيلمان.

"أين تظن نفسك في موقع التفاوض هاري؟"

"حسناً، أعتقد أنني أصبحت أفضل مما كنت عليه قبل فترة."

"لقد أخطأت الظن."

"لا تريد كاجا سولنس العمل معك. أما بيورن هولم فقد قمت بترقيته حديثاً، وإذا جعلته مجدداً شرطياً في مسرح الجريمة، فسيكون مسروراً جداً. الشخص الوحيد الذي تستطيع إيذاءه الآن، بيلمان، هو أنا."

"هل نسيت أنني أستطيع احتجازك حيث لا يمكنك زيارة والدك قبل أن يموت؟"

هزّ هاري رأسه. "لم تعد هناك حاجة لزيارته بيلمان."

رفع مايكل بيلمان حاجبه متفاجئاً.

قال هاري: "اتصلوا بي من المستشفى هذا الصباح. دخل والدي في غيبوبة الليلة الماضية. يقول الدكتور أبيل إنه لن يخرج منها. ما بقي من دون قول بيني وبين والدي سيبقى على هذه الحال."

زهرة توليب

نظر بيلمان إلى هاري بصمت. كانت العينان البنيتان متجهتين صوب هاري، لكن نظره كان معكوساً. عرف هاري أنه يتم التحضير لاجتماع هيئة، لاجتماع فيه الكثير من الآراء المتعارضة على ما يبدو. أرخى بيلمان ببطء حبل الكيس الصغير المربوط حول خصره؛ كما لو أنه أراد كسب الوقت؛ الوقت للتفكير. ثم أقحم الكيس الصغير بغضب في حقيته الكبيرة.

قال: "إذا - فقط إذا - طلبت منك المساعدة من دون وجود أي شيء للضغط به عليك، فلم ستساعدني؟".
"لا أعرف".

توقف بيلمان عن توضيب أغراضه ونظر إلى الأعلى. "لا تعرف؟!".
"حسناً، حتماً ليس بدافع حبك بيلمان". تنشق هاري الهواء، ولعب بعلبة السجائر. "فلنقل إنه حتى الأشخاص الذين يعتبرون أنفسهم مشردين يكتشفون أحياناً أنهم يملكون منزلاً؛ مكاناً تتخيل أنك ستدفن فيه في يوم من الأيام. وهل تعرف أين أريد أن أدفن بيلمان؟ في المرأب أمام مركز الشرطة. ليس لأنني أحب الشرطة، أو لأنني أصدق مبدأ روح المجموعة، بل على العكس تماماً؛ لأنني أسخر من وفاء الشرطي الجبان لقوة الشرطة. فتلك الصحبة المحرّمة موجودة فقط لأن الأشخاص يظنون أنهم قد يحتاجون إلى خدمة في يوم عصيب. زميل قد ينتزع خدمة، أو يقدم شهادة، أو عند الحاجة، يغض النظر عنك. أكره كل ذلك".

نظر هاري إلى بيلمان مباشرة.
"لكن الشرطة هي كل ما أملكه. إنها قبيلتي. وتقضي مهنتي بكشف الجرائم. سواء أكان ذلك لصالح كريبوس أو قسم مكافحة الجرائم. هل تشعر بشيء كهذا بيلمان؟".
زّم مايكل بيلمان شفته السفلية بين إبهامه وسبابته.
توجه هاري إلى الحائط. "إلى أي درجة وصلت في التسلق؟ أكثر من سبعة؟".
"ثمانية على الأقل. حسب النظر".

"هذا صعب. وأعتقد أنك تجد الأمر أكثر صعوبة. لكن، هكذا يفترض بالأمور أن تكون".

تنحج هاري. "جيد. جيد، هاري". شدّ جبل حقيته الكبيرة مجدداً. "هل ستساعدنا؟".

أعاد هاري علبة السجائر إلى جيبه وأخفض رأسه. "طبعاً".

"عليّ التحدث مع مديرِك أولاً لأرى إذا كان موافقاً".

قال هاري وهو ينهض: "وفّر على نفسك الجهد. لقد أبلغته بأني سأعمل معك كثيراً من الآن وصاعداً. أراك عند الساعة الثانية".

حدّقت إيسكا بيلر خارج نافذة المبنى القرميدي المؤلف من طبقتين، ونظرت إلى صف المنازل المتشابهة في الجهة الأخرى من الشارع. يمكن أن يكون هذا أي شارع في أي مدينة في إنكلترا، لكنه شارع البريستول الصغير في سيدني، أستراليا. هبّ هواء جنوبي بارد. ستخفّ حرارة بعض الظهر ما إن تغيب الشمس.

سمعت كلباً ينبج، وحركة سير كثيفة على الطريق السريع على مسافة مبنيين. انطلق الرجل والمرأة في السيارة المقابلة. والآن، هناك رجلان. شربا ببطء من الكويين الورقيين المزودين بغطاءين. على مهلهما؛ لأنه ما من سبب في العالم يدعو إلى العجلة حين يكون أمامك دوام من ثماني ساعات، ولن يحصل أي شيء على الإطلاق. خفض السرعة، إبطاء الأيض، فعل ما يفعله السكان الأصليون: الانتقال إلى مرحلة السبات التي يستطيعون فيها البقاء لساعات طويلة، لا بل لأيام إذا دعت الحاجة. حاولت تصور كيف يمكن لشاربي القهوة أن يساعدوا إذا حصل أي شيء.

قالت، وهي تحاول السيطرة على الرجفة في صوتها نتيجة الغضب المكبوت: "أنا أسفة. أودّ فعلاً مساعدتكم في معرفة من قتل شارلوت، لكن ما تقترحونه غير وارد على الإطلاق". ثم ارتفعت نسبة غضبها. "لا أصدق أنكم تطلبون مني هذا! يكفيني أن أكون طعماً هنا! لا تستطيع عشرة أحصنة وحشية إعادتي مجدداً إلى النروج. أنتم الشرطة، وأنتم من تحصلون على المال لإلقاء القبض على ذلك الوحش، فلماذا تريدون أن أكون أنا الطعم؟".

أنهت الاتصال، ورمت الهاتف بعيداً. ارتطم بالوسادة على الكرسي المتحرك، وقفز أحد قططها إلى الأعلى ودخل إلى المطبخ. خبأت وجهها بين كفيها، وتركت

الدموع تنهمر مجدداً. حبيبتي شارلوت.
لم تخف يوماً من العتمة قبلاً، لكنها لا تفكر الآن في أي شيء آخر. سوف
تغيب الشمس قريباً، وسيحلّ الليل، ويعود القلق مجدداً.
صدر من الهاتف رنين على شكل بداية أغنية أنطوني وجونسونز، وأضاءت الشاشة.
مشت صوبه ونظرت إليه. أحست بالقشعريرة في جسمها. بدأ رقم المتصل بـ47. إنه
من النروج مجدداً.

وضعت الهاتف على أذنها.

"نعم؟"

"أنا مجدداً".

تنهدت بارتياح. إنه الشرطي.

"كنت أتساءل: إذا كنت لا تريدين المجيء إلى هنا شخصياً، فهل نستطيع على
الأقل استخدام اسمك؟".

تأملت كاجا الرجل الذي عانت المرأة صاحبة الشعر الأحمر التي أحنت رأسها
فوق عنقه العاري.

سأل مايكل: "ماذا ترين؟". تردد صدى صوته بين جدران المتحف.

قالت كاجا، وهي تبتعد عن اللوحة الفنية: "إنها تقبله، أو تواسيه".

قال مايكل: "إنها تعضّه وتمصّ دمه".

"لماذا تفكر هكذا؟".

"إنه أحد الأسباب التي دفعت مانش إلى إطلاق اسم "مصاص الدماء" على
هذه اللوحة. هل بات كل شيء جاهزاً؟".

"نعم، سأستقلّ القطار إلى أوستاوسيت قريباً".

"لماذا أردت أن نلتقي الآن هنا؟".

أخذت كاجا نفساً عميقاً. "أردت أن أخبرك أننا لا نستطيع المضي قدماً في
علاقتنا".

تأرجح مايكل بيلمان على كعبي قدميه. "الحب والألم".

"ماذا؟".

"هذا هو الاسم الأصلي الذي أطلقه مانش على هذه اللوحة. هل راجع هاري
تفاصيل الخطة معك؟".

"نعم. هل سمعت ما قلته؟".

"شكراً لك سولنس، سمعي ممتاز. إذا لم تخذلني ذاكرتي، قلت ذلك مرتين سابقاً. لذا، أقترح عليك التفكير في الأمر مجدداً".

"أنهيت التفكير في الأمر مايكل".

رَبَّت على عقدة ربطة عنقه وسألها: "هل نمت معه؟".

أجفلت. "من؟".

فهقه بيلمان.

لم تلتفت كاجا، بل أبقت عينيها مثبتتين على وجه المرأة، فيما ابتعدت خطواته عنها.

انسلّ الضوء عبر الستائر الفولاذية الرمادية، ووضع هاري يديه حول كوب قهوة أبيض كتبت عليه كلمة كريوس بأحرف زرقاء. قاعة المحاضرات مماثلة لتلك التي أمضى فيها ساعات عديدة من حياته في قسم مكافحة الجرائم. فهي مضاءة، ومكلفة، وإنما صارمة في تلك الطريقة العصرية البسيطة عن غير قصد، ومفتقدة إلى الحياة نوعاً ما. إنها غرفة تتطلب الكفاءة لاستنباط أفضل الأفكار فيها.

الأشخاص الثمانية الموجودون هنا يشكّلون ما أسماه بيلمان النواة الأصلية لوحدة التقصي. يعرف هاري اثنين منهم فقط: بيورن هولم وتحريّة بدينه ومتواضعة، وإنما غير مُبدعة، تعرف باسم البجعة، وقد عمل هاري معها قبلاً في قسم مكافحة الجرائم. قام بيلمان بتعريف هاري على الجميع، بمن فيهم أيردال؛ وهو رجل يضع نظارة سميكة، ويرتدي بذلة رمادية من النوع الذي يجعل الشخص يفكر في جمهورية ألمانيا الديمقراطية. جلس عند طرف الطاولة، وراح ينظف أظافره بسكين سويسرية. تصور هاري أنه يملك خلفية في الشرطة العسكرية. قدم كل واحد تقريره، وكانت كلها داعمة لرأي هاري: القضية باتت مملة. لاحظ الموقف الدفاعي؛ خصوصاً في التقرير المتعلق بالبحث عن طوني لايك. ذكر الشرطي المسؤول عن ذلك أسماء لوائح الركاب التي تمت مراجعتها مع الشركات - ولكن من دون جدوى - وأسماء الأشخاص في شركات الهاتف الذين أخبروهم أن محطاتهم لم تلتقط أي إشارة من هاتف لايك. أبلغهم أنه ما من فندق في المدينة يملك حجراً باسم لايك. لكن، بطبيعة الحال، اتصل الكابتن (حتى هاري يعرف موظف الاستقبال المخبر للشرطة في فندق بريستول) للقول إنه رأى شخصاً يتطابق مع أوصاف طوني لايك. قدّم

الشرطي تقريراً دخل في الكثير من التفاصيل، لكنه لم ينجح في الوصول إلى أي نتيجة؛ لا شيء.

جلس بيلمان على حافة الطاولة وشبك ساقيه، فيما بقيت طيات سرواله حادة مثل السكين. شكر رجال الشرطة على تقاريرهم، وقدم هاري بطريقة رسمية نوعاً ما؛ حيث قرأ بسرعة نوعاً من السيرة الذاتية: تخرج من كلية الشرطة، دورة مع مكتب التحقيقات الفيدرالي (إف بي آي) حول القتل بالتسلسل في شيكاغو، جريمة المهرج في سيدني، ترقية إلى رتبة مفتش، وطبعاً قضية رجل الثلج.

قال بيلمان: "إذاً، هاري جزء من هذا الفريق بدءاً من اليوم، وهو يقدم تقاريره لي". قالت البجعة مع ابتسامة عريضة: "وهل يخضع فقط لأوامرك؟". تذكر هاري أن ما تفعله الآن هو بالضبط ما أعطاها لقبها؛ أي طريقة دفعها ذقنها إلى الأمام، مع أنف طويل شبيه بالمنقار، وعنق طويل ونحيل، فيما حدّقت من فوق نظارتها؛ مشككة ونهمة في الوقت نفسه، وهي تفكر في ما إذا كانت تريدك على قائمتها أم لا.

قال بيلمان: "إنه لا يتلقى الأوامر من أي شخص. يملك دوراً حراً في الفريق. يمكننا اعتبار المفتش هول بمثابة مستشار. أليس هذا صحيحاً هاري؟".

قال هاري: "لِمَ لا؟ رجل بمرتب عالٍ يظن أنه يعرف شيئاً لا تعرفونه". سُمعت ضحكات حذرة حول الطاولة. تبادل هاري النظرات مع بيورن هولم الذي أوماً له إيحاء تشجيع.

قال مايكل بيلمان: "وهو يعرف شيئاً هذه المرة. لقد تحدثت مع إسكا بيلر، هاري".

قال هاري: "نعم. لكنني أودّ أولاً سماع المزيد عن خطتكم لاستعمالها بمثابة طعم".

تنحنت البجعة. "لم يتم إعداد الخطة بالتفصيل. في الوقت الراهن، تقضي خطتنا بإحضارها إلى النروج، والإعلان أمام الجميع بأنها ستمكث في مكان يبدو جلياً للقاتل أنها ستكون ضحية سهلة فيه، ثم سنجلس وننتظر أن يأكل الطعم". قال هاري: "مم. إنها مسألة بسيطة".

قال الرجل صاحب السكين السويسري الذي كان يركز على الظفر في سبابته: "تخبرنا التجربة أن البساطة تنفع".

قال هاري: "موافق. لكن، في هذه الحالة، لن يكون الطعم نافعاً". سمع زمجرات وتنهيدات يائسة.

قال هاري: "لذا، أقترح أن نجعل الأمر أكثر بساطة أيضاً. تقول إيسكا بيلر إننا إذا كنا نحن من يقبض المال لإلقاء القبض على الوحش، فلِمَ لا نكون نحن أنفسنا الطعم؟".

نظر حول الطاولة. لفت انتباههم على الأقل. إقناعهم سيكون أكثر صعوبة. "كما ترون، نحن نملك أفضلية على القاتل. فنحن نفترض أنه يملك الصفحة الممزقة من سجل النزلاء في شاليه هافاس، ويملك بالتالي اسم إيسكا، لكنه لا يعرف شكلها. نحن نفترض أنه كان في الشاليه تلك الليلة، لكن إيسكا وشارلوت وصلتا إلى هناك أولاً. وكانت إيسكا مريضة حيث أمضت الأمسية بمفردها في غرفة نوم تشاركتها حصرياً مع شارلوت. بقيت هناك إلى أن غادر كل الآخرين. بتعبير آخر، يمكننا إعداد مسرحية، بجعل شخص منا يؤدي دور إيسكا بيلر من دون أن يعي القاتل ذلك".

نظر مجدداً إلى الجالسين حول الطاولة. ازداد الشك على وجوههم. سأل أيردال، وهو يثني السكين السويسرية ليعيدها إلى علبتها: "وكيف تتصور إقناع شخص بأداء هذا الدور؟".

أجاب هاري: "بقيام كريبوس بما تجيد القيام به".

صمت.

سألت البجعة أخيراً: "ألا وهو؟".

قال هاري: "مؤتمرات صحافية".

خيم الصمت على الغرفة بوضوح؛ إلى أن كسره صوت الضحك. ضحك مايكل بيلمان. نظروا إلى رئيسهم مذهولين، وأدركوا أنه تمت الموافقة على خطة هاري هول. قال هاري: "إذا...".

بعد الاجتماع، أخذ هاري بيورن هولم على حدة.

سأله هاري: "هل لا يزال أنفك يؤلمك؟".

"هل تحاول الاعتذار مني؟".

"لا".

"حسناً... أنت محظوظ لأن أنفي لم ينكسر، هاري".

"كان يمكن تحسينه، مثلما تعلم".

"هل تعتذر أم لا؟".

"آسف، بيورن".

"رائع. وأفترض أن هذا يعني أنك تريد خدمة؟".

"نعم".

"ألا وهي؟".

"كنت أسأل إذا كنت قد ذهبت إلى درامين للتحقق من الحمض النووي DNA على ملابس أديل. فقد التقت ذلك الرجل الذي كانت معه في الشاليه مرات عدة".

"تحققنا من خزانة ملابسها، لكن المشكلة هي أنه تم غسل الثياب، وارتداؤها، وربما احتكت بالعديد من الأشخاص الآخرين بعد ذلك".

"مم... لم تكن بارعة في التزلج حسب علمي. لقد تحققت من معدات تزلجها، أليس كذلك؟".

"لا تملك أي معدات".

"ماذا عن بذلة الممرضة؟ لقد تم استعمالها ربما مرة واحدة فقط، وربما لا تزال هناك آثار السائل المنوي عليها".

"لا تملك بذلة ممرضة أيضاً".

"ألا تملك تنورة قصيرة وقبعة مع إشارة حمراء صغير؟".

"لا. عثرنا هناك على سروال وكنزة مستشفيات باللون الأزرق الفاتح. ولكن، ما من شيء جلي تماماً".

"مم... ربما لم تستطع الحصول على موديل التنورة القصيرة، أو إنه يزعجها ربما. هلاً تتحقق من ملابس المستشفى من فضلك".

تنهد بيورن: "مثلما قلت لك، تحققنا من كل الملابس الموجودة هناك، وكل ما يمكن غسله قد تم غسله. لا توجد آثار بقع أو شعر".

"هل يمكنك أخذها إلى المختبر؟ للتحقق منها ملياً؟".

"هاري...".

"شكراً، بيورن. كنت أمازحك؛ تملك أنفأ رائعاً حقاً".

كانت الساعة الرابعة عندما قام هاري باصطحاب سيس في سيارة كريبوس التي وضعها بيلمان تحت تصرفه حتى إشعار آخر. ذهب إلى مستشفى ريكس، وتحدثا إلى الدكتور أبيل. تولى هاري ترجمة الأمور التي لم تفهما سيس، وذرفت بعض الدموع، ثم ذهباً لرؤية والدهما الذي تم نقله إلى غرفة أخرى. ضغطت سيس على يد أولاف، وهمست باسمه مراراً وتكراراً؛ كما لو أنها أرادت إيقاظه من نومه برفق.

جاء ألتمان، ووضع يداً على كتف هاري، ليس لوقت طويل، وتفوه ببضع كلمات؛ لم تكن كثيرة.

بعد إيصال سيس إلى شقتها الصغيرة قرب بحيرة سوغنسفان، توجه هاري إلى وسط المدينة حيث راح يتجول في الشوارع أحادية الاتجاه، والشوارع التي تجري فيها الحفريات والطرق المقطوعة. توجه إلى منطقة الضوء الأحمر، ومنطقة التسوق، ومنطقة العقاقير. وبعد أن خرج وأصبحت المدينة تحته، أدرك أنه في طريقه إلى مستودعات الذخيرة الألمانية. اتصل بأويستن، الذي وصل بعد عشر دقائق، وركن سيارة الأجرة الخاصة به قرب سيارة هاري، وفتح الباب، وشغل الموسيقى، وتوجه صوب هاري وجلس على الجدار القرميدي قرب.

قال هاري: "غيبوبة. ليست أسوأ شيء يمكن أن يحصل؛ مثلما أفترض. هل تملك سيجارة؟".

جلسا يستمعان إلى جوي ديفيجون. "انتقال". لطالما أحب أويستن المغنين الذين يموتون وهم شبان.

قال أويستن وهو يمخّ سيجارته: "اللعة عليّ. لم أذهب قطّ للتحدث إليه بعد أن مرض".

قال هاري: "ما كنت لتفعل ذلك؛ مهما طالت مدة مرضه".
"لا. كان ذلك سيعزّيني".

ضحك أويستن. وجه إليه هاري نظرة جانبية وابتسم، وهو غير واثق ممّا إذا كان يسمح بالضحك عندما يكون الوالد على فراش الموت.

سأله أويستن: "ماذا ستفعل الآن؟ هل تريد شراباً؟ أستطيع الاتصال بتيسكو و...".
أجاب هاري وهو يطفئ سيجارته: "لا، عليّ العمل".

"تفضل الموت والفساد على احتساء كأس أو كأسين؟".

"هل تعلم أنه يمكنك المرور والقول وداعاً فيما لا يزال يتنفس؟".

ارتجف أويستن. "تخيفني المستشفيات كثيراً. أياً يكن الأمر، لن يستطيع سماع أي شيء، أليس كذلك؟".

"لم يكن هو من أفكر فيه أويستن".

أغمض أويستن عينيه نصف إغماضة أمام دخان السيجارة. "التربية القليلة التي حصلت عليها يا هاري كانت من والدك. هل تعلم ذلك؟ لم يكن والدي يساوي شيئاً.

سأذهب إلى هناك غداً، حتماً".
"هذا جيد".

حدّق في الرجل الذي يقف فوقه. رأى فمه يتحرك، وسمع الكلمات تصدر منه، لكن لا بد أن شيئاً ما قد تعطل؛ لأنه لم يستطع فهم الكلمات على الإطلاق. كل ما فهمه هو أن الساعة قد حانت؛ الثأر. وعليه دفع الثمن. وهذا مريح نوعاً ما. كان جالساً على الأرض، وقد أدار ظهره لموقد الحطب الدائري الكبير. تم إرجاع ذراعيه إلى الخلف وتقيدهما حول الموقد بحزامي تزلج. تقياً بين الحين والآخر، بسبب الارتجاج المخي ربما. توقف النزف، وعاد الإحساس إلى جسمه؛ لكن ثمة غشاوة في الرؤية تظهر وتختفي. إلا أن الشك لم يساوره قط؛ الصوت. إنه صوت شبح. همس: "سوف تموت سريعاً. مثلما ماتت. لكن، ثمة شيء لاكتسابه بعد. ما زالت أمامك إمكانية اختيار الطريقة. يتوافر خياران فقط لسوء الحظ. تفاحة ليوبولد...". ورفع الرجل كرة معدنية ذات ثقب مع حلقة سلكية صغيرة متدلية من إحدى الفتحات.

"تذوقتها الفتيات الثلاث، ولم تحبها أي منهن. إلا أنها سريعة وغير مؤلمة. وما عليك إلا الإجابة عن هذا: كيف؟ ومن يعرف أيضاً؟ ومع من كنت تعمل؟ صدقني، التفاحة أفضل من الخيار الآخر. وأنت، بصفتك رجلاً ذكياً، تمرّنت على...". وقف الرجل، ومدد ذراعيه بطريقة مبالغ فيها؛ لإبائهما دافنتين، ورسم ابتسامة عريضة. الهمس هو كل ما كان موجوداً لكسر الصمت. "الجو بارد قليلاً هنا، أليس كذلك؟".

ثم سمع صوت كشط تلاه هسيس منخفض. حدّق في عود الكبريت. في اللهب الأصفر الذي بدا على شكل زهرة توليب.

فيروزي

حلّ المساء، وامتألت السماء بالنجوم، وكان الجو بارداً جداً.
ركن هاري السيارة على الهضبة خارج عنوان فوكنسكولن الذي أعطي إياه. في شارع يضمّ منازل كبيرة باهظة، برز هذا المنزل تحديداً. كان المبنى أشبه بواحد في قصة خرافية؛ مثل قصر ملكي من الخشب الأسود، والأعمدة الخشبية العملاقة عند المدخل، وطبقة مكسوة بالعشب الأخضر على السقف. في الحديقة، ثمة مبنيان آخران إضافة إلى نسخة ديزني لمخزن نروجي مثبت على دعامات. فكّر هاري في أنه من المستبعد ألا يملك صاحب السفن أندرس غالتونغ براداً كبيراً كفاية.

ضغط هاري على جرس الباب، ولاحظ كاميرا في أعلى الجدار، وقال اسمه عندما سأله صوت أنثوي عنه. مشى في ممر مليء بالحصى، ومضاءً بأنوار غامرة، حيث بدا وكأنه يأكل ما بقي على نعل حذائه.

استقبلته عند الباب امرأة في خريف العمر، صاحبة عينين فيروزيتين، ترتدي مئزرًا، ورافقتة إلى غرفة جلوس خالية. فعلت ذلك بمزيج من الرقي والتكابر والودية المحترفة، لدرجة أنه حتى بعدما تركت هاري بعد سؤاله إن كان يريد قهوة أو شاي، لم يكن واثقاً ما إذا كانت هذه زوجة غالتونغ أو خادمتها، أو الاثنتين معاً.

عندما تأتي القصص الخرافية الأجنبية إلى النروج، لا يوجد فيها الملوك والنبلاء. وفي الإصدار النروجي، يكون الملك ممثلاً على شكل مزارع ميسور. وهذا هو بالضبط ما رآه هاري عندما جاء أندرس غالتونغ إلى غرفة الجلوس: مزارع بدين، ومبتسم، ولطيف، ومرهق نوعاً ما، يرتدي كتنزة نروجية تقليدية. لكن، بعد مصافحة اليد، تحولت الابتسامة إلى تعبير قلق، وملائم أكثر للمناسبة. سؤاله - "هل من شيء جديد؟" - تلاه تنفس ثقيل.

"أخشى القول إنه لا يوجد شيء".

"اعتاد طوني على الاختفاء؛ مثلما فهمت من ابنتي".

أحسّ هاري أنه سمع نوعاً من الاشمئزاز عند لفظ اسم صهره المستقبلي. جلس

صاحب السفن على كرسي مطلي باللون الوردي قبالة هاري.
"هل... هل تملك أي نظريات شخصية سيد غالتونغ؟"
"نظريات؟! هزّ غالتونغ رأسه، فارتجف فكه الأسفل. "لا أعرفه جيداً لأكون
نظريات عنه. ذهب إلى الجبال، ذهب إلى أفريقيا، ماذا أعرف؟"
"مم. في الواقع، جئت إلى هنا للتحدث مع ابنتك..."
قاطعه غالتونغ قائلاً: "سوف تحضر لين فوراً. أردت فقط الاستفسار أولاً".
"الاستفسار عمّ؟".

"عما قلته، عمّا إذا كان هناك شيء جديد. و... ما إذا كانت الشرطة واثقة من
أن الرجل يملك ضميراً حياً".

لاحظ هاري أن كلمة "طوني" قد استبدلت بكلمة "الرجل"، وعرف أن حدسه
الأول لم يخيب ظنه. الحمم المستقبلية غير متحمس كثيراً لخيار ابنته.
"هل تظن ذلك، غالتونغ؟".

"أنا؟ ظننت أنني أظهرت بعض الثقة. في النهاية، أنا في صدد استثمار مبلغ كبير
في مشروعه الخاص بالكونغو؛ مبلغ كبير جداً".

"إذاً، يأتي شاب ويطلق على الباب ليحصل على أميرة إضافة إلى نصف مملكة؛
كما في القصص الخرافية، أليس كذلك؟".

خيم الصمت على الغرفة خلال ثانيّتين، فيما تأمل غالتونغ هاري.
قال: "ربما".

"وتفرض ابنتك عليك بعض الضغط ربما لاستثمار المزيد. فالمشروع كله مرتبط
بتمويلك، أليس كذلك؟".

باعد غالتونغ بين ذراعيه. "أنا صاحب سفن. والمجازفة جزء مما أعيش منه".
"وقد تموت منه".

"إنهما وجهان لعملة واحدة. في أسواق المجازفة، تكون خسارة رجل ما ربحه
رجل آخر. لغاية الآن، خسر الآخرون، وأتمنى أن يستمر الأمر على هذا المنوال".
"ما الذي خسره الآخرون؟".

"العمل في السفن من تاريخ العائلة، وإذا أراد لايك أن يصبح من العائلة، فعلينا
ضمان...". وصمت فيما فتح الباب. كانت فتاة شقراء طويلة، لها قسّات والدها
الخشنة، وعينا والدتها الفيروزيتان، ولكن من دون مظهر المزارع الغني لوالدها أو
التكابر الراقي لوالدتها. مشّت متحدبة؛ كما لو أنها أرادت تقصير قامتها وعدم إبراز

طولها، ونظرت إلى حذاءها بدل النظر إلى هاري عندما صافحته، وعرفت عن نفسها بأنها لين غابريال غالتونغ.

لم يكن لديها الكثير لقوله، وحتى لسؤاله. بدت خائفة من نظرات والدها كلما أجابت عن أسئلة هاري، وتساءل هاري عما إذا كان مخطئاً في افتراضه أنها أجبرت والدها على قبول الاستثمار.

بعد عشرين دقيقة، شكرهما هاري ووقف، ويلمح البصر، ظهرت مجدداً؛ تلك المرأة صاحبة العينين الفيروزييتين.

عندما فتحت له الباب، دخل البرد وتوقف هاري لتزير معطفه. نظر إليها.
"أين طوني لايك برأيك سيدة غالتونغ؟"
قالت: "لا أعرف شيئاً".

أجابت ربما بسرعة كبيرة، حيث برز ارتعاش في زاوية عينها، أو إنها ربما كانت رغبة هاري الكبيرة في إيجاد شيء ما، أي شيء، لكنه كان مقتنعاً بأنها تقول الحقيقة. والشيء الثاني الذي قالته لم يترك له أي مجال للشك.
"وأنا لست السيدة غالتونغ. إنها في الأعلى".

عدّل مايكل بيلمان المذيع أمامه وراقب الحضور. صدر همس خفيف، لكن العيون كلها كانت شاخصة على المنصة؛ خشية تقويت أي شيء. في الغرفة المزدحمة، تعرف إلى الصحفي من ستافانجر أفتنبلاد وإلى روجر غيندم من أفتنبوستن. استطاع سماع نيني التي كانت ترتدي بذلة مكوية حديثاً؛ كالعادة. قام شخص بعدّ الثواني عكسياً قبيل الانطلاق، وهذا طبيعي في البث الحي خلال المؤتمرات الصحافية.
"أهلاً بكم أيها السيدات والسادة. دعوناكم إلى هذا المؤتمر الصحفي لإطلاعكم على ما نقوم به. أي أسئلة...".

ترددت القهقهات في كل مكان.
".... ستم الإجابة عليها في النهاية. سأعطي الكلام الآن إلى الشرطي المسؤول عن التحقيق، السيد مايكل بيلمان".

تنحنح بيلمان. تجهيزات كاملة. سُمح لكل محطة تلفازية بوضع المذيع الخاص بها على طاولة المنصة.

"شكراً. دعوني أقول إنه لا داعي للكثير من الحماسة. ألاحظ من وجوه الحاضرين أننا زدنا من توقعاتكم كثيراً عندما استدعيناكم إلى هنا. لن يكون هناك إعلان عن أي

نتيجة نهائية في التحقيق".

رأى بيلمان خيبة الأمل على وجوههم، وسمع همهمات متفرقة. "نحن هنا اليوم لتلبية رغبتكم في البقاء على اطلاع دائم. أعتذر إذا كانت لديكم مشاريع أكثر أهمية اليوم".

رسم بيلمان ابتسامة متعبة على وجهه، وسمع بعض الصحفيين يضحكون، وعرف أنه تمت مسامحته.

أعطاهم مايكل بيلمان جوهر ما توصل إليه التحقيق... أي إنه كرر الحديث عن النجاحات التي حققوها؛ مثل تقفي أثر الحبل في مبنى قرب بحيرة لايسرن، والعثور على ضحية أخرى، أديل فيتلسين، والتعرف إلى السلاح المستخدم في اثنتين من الجرائم؛ وهو ما يعرف بتفاحة ليوبولد. أخبار قديمة. رأى أحد الصحفيين يتأهب. نظر مايكل بيلمان إلى الأوراق أمامه؛ إلى النص المكتوب. لأن هذه هي الحقيقة، نص مسرحية نوعاً ما، حيث تمت كتابة كل كلمة بعناية ودقة. لا مبالغة ولا إيجاز. يفترض أن تفوح رائحة الطعم، ولكن من دون أن يغرق تحت الماء.

قال: "وأخيراً، لدينا معلومات عن الشهود". فيما انتصب الصحفيون على كراسيهم. "مثلما تعلمون، طلبنا من جميع الذين كانوا في شاليه هافاس في الليلة نفسها مع ضحايا الجرائم أن يأتوا إلينا. وجاءت إلينا امرأة تدعى إيسكا بيلر. ستصل الليلة بالطائرة من سيدني، وسوف تذهب غداً مع أحد رجال التحري إلى الشاليه. سنحاول إعادة تركيب مسرح الجريمة بأكثر دقة ممكنة".

في العادة، لا يتم أبداً ذكر الشهود، لكن من المهم الآن أن يعرف الرجل الذي يتوجهون إليه - أي القاتل - أنهم وجدوا فعلاً شخصاً من سجل النزلاء. لم يشدد بيلمان كثيراً على كلمة "أحد" عند ذكر التحري، لكن هذه هي الرسالة. سيكون هناك شخصان فقط؛ الشاهدة وتحرراً عادي. في شاليه. بعيداً عن الناس.

"نأمل طبعاً في أن تتمكن الأنسة بيلر من إعطائنا وصفاً لبقية النزلاء الذين كانوا موجودين تلك الليلة".

تناقشوا كثيراً أثناء اختيار الكلمات. فقد أرادوا أن يضمنوا اجتذاب الشاهدة للمجرم. وفي الوقت نفسه، رأى هاري أنه من الضروري عدم إثارة الكثير من الشكوك بالقول إن الشاهدة ستكون مصحوبة بتحرراً واحد فقط، وأمل في أن توحى عبارة "وأخيراً، لدينا معلومات عن الشهود" وعبارة "نأمل طبعاً" بأن الشرطة لا تعتبر هذه الشاهدة مهمة جداً حيث تستلزم حماية عالية المستوى. يأملون في أن يكون رأي القاتل مختلفاً".

"ماذا رأيت برأيكم؟ وهل يمكنكم ذكر اسم التحري الذي سيرا ففها؟".
إنه صحافي من روغالاند. انحنت نيني إلى الأمام لتذكيره بأن الأسئلة ستكون
في نهاية المؤتمر الصحافي، لكن مايكل هز رأسه.

قال بيلمان: "نريد أن نرى ما الذي ستتذكره عندما تصل إلى الشاليه". ومدد
إلى الأمام مذياعاً كتب عليه NRK، أي اسم المحطة الحكومية. "سوف تذهب إلى
هناك مع أحد التحرين الأكثر خبرة لدينا، وسيقيان هناك لمدة أربع وعشرين ساعة".
نظر إلى هاري هول الواقف في الخلف، ورآه يوجه له إيماءة بطيئة. لقد أوصل
الفكرة المطلوبة. أربع وعشرون ساعة. تم تحضير الطعم وإعداد الشرك. نظر بيلمان
إلى الحضور. رأى البجعة. كانت الوحيدة التي عارضت، واعتبرت أنه من المعيب
إصرارهم على تضليل الصحافة. حينها، طلب من المجموعة أخذ استراحة لمدة خمس
دقائق، وتحدث إليها جانباً. بعد ذلك، وافقت على رأي الأغلبية. فتحت نيني المجال
أمام الأسئلة. عادت الحيوية إلى الصحافيين، لكن مايكل بيلمان استرخى، واستعد
لإعطاء أجوبة غامضة، وتركيبات مموهة، والجملة الشهيرة المفيدة: "أخشى أننا لا
نستطيع التطرق إلى ذلك في هذه المرحلة من التحقيق".

كانت ساقاه تتجمدان؛ تتجمدان كثيراً لدرجة أنهما أصبحتا خدرتين بالكامل.
كيف يمكن أن يحصل ذلك فيما جسمه يحترق؟ صرخ عالياً جداً، حيث بُحَّ صوته
ولم يعد مسموعاً. كانت حنجرته جافة، مقطقة، متمزقة؛ عبارة عن جرح مفتوح
تحول الدم فيه إلى غبار أحمر. فاحت رائحة شعر ولحم محروقين. لقد أحرق موقد
الحطب قميصه القطني على ظهره، وراح يصرخ ويصرخ فيما النيران تلتهمه. ذاب
كما لو أنه جندي من القصدير. أحس أن الألم والحرارة بدأ ينهشان وعيه، وأنه بات
أخيراً ينزلق إلى الموت؛ فاستفاق بذهول. سكب الرجل دلواً من الماء البارد فوقه.
إلا أن الارتياح المفاجئ دفعه إلى البكاء مجدداً. ثم سمع هسيس الماء المغلي بين
ظهره والموقد وعاد الألم بقوة أكبر.
"أتريد المزيد من الماء؟".

نظر إلى الأعلى. وقف الرجل فوقه حاملاً دلواً آخر. اختفت الغشاوة من عينيه.
ورآه بوضوح تام لمدة ثانيتين. النور المنبعث من اللهب أظهر ملامح وجهه؛ مما جعل
قطرات العرق تلمع على جبينه.
"الأمر بسيط جداً. كل ما أريد معرفته هو من. هل هو أحد في الشرطة؟ هل

هو واحد من الذين كانوا في شاليه هافاس تلك الليلة؟".

بكى قائلاً: "أي ليلة؟".

"تعرف أي ليلة. لقد ماتوا كلهم الآن تقريباً. بالله عليك".

"لا أعرف. ليست لي أي علاقة بذلك. عليك أن تصدقني. ماء من فضلك. من

فضص...".

"... لك؟ كما في... فضلك؟".

الرائحة. رائحة جسمه يحترق. الكلمات التي تمت بها لم تكن أكثر من همس

خشن. "كنت... بمفردتي".

ضحكة خفيفة. "ذكي. أنت تحاول جعل الأمر يبدو وكأنك مستعد لفعل أي شيء

لتفادي الألم، كي أصدقك حين تعجز عن لفظ اسم شريكك. لكنني أعرف أنك قادر

على تحمل المزيد. أنت من طينة صلبة".

"شارلوت...".

حرّك الرجل قضيب إذكاء النار. لم يشعر بالضربة، لكن سرعان ما تحول كل

شيء إلى اللون الأسود للحظة طويلة رائعة، ثم عاد إلى الجحيم.

صرخ الرجل: "لقد ماتت. انطق بشيء أفضل".

قال، وهو يحاول استجماع أفكاره: "أقصد الأخرى". إنه يذكر الآن. يملك ذاكرة

جيدة عادة، فلماذا تخونه الآن؟ هل هو فعلاً بحال سيئة جداً؟ "إنها أسترالية...".

"أنت تكذب!".

أحسّ بعينه تهيمان مجدداً. دفق جديد من الماء؛ لحظة صفاء.

ثم سمع الصوت. "من؟ كيف؟".

"اقتلني! الرحمة! أنا... أنت تعرف أنني لا أحمي أحداً. بالله عليك، لِمَ أفعل

ذلك؟".

"لا أعرف شيئاً من هذا القبيل".

"لماذا لا تقتلني إذًا؟ لقد قتلتها. هل تسمعني؟ افعل ذلك. الانتقام بمتناولك".

أنزل الرجل الدلو، وجلس على كرسي، وارتكأ إلى الأمام واضعاً مرفقيه على

ذراعي الكرسي، وذقنه على كفيه، وأجاب ببطء كما لو أنه لم يسمع ما قيل، وإنما

يفكر في شيء آخر. "هل تعلم أمراً؟ حلمتُ بهذا طوال أعوام عدة. والآن، ها نحن

هنا... كنت آمل أن يكون الطعم أفضل".

ضربه الرجل بقضيب إذكاء النار مرة أخرى. ثم أحنى رأسه وتأمله، وبعد ذلك

غرز القضيب في ضلوعه مع تعبير متجهم.

"أفتقد ربما إلى المخيلة. ربما تفتقد هذه العدالة إلى النكهة الملائمة؟".
ثمة شيء جعل الرجل يلتفت إلى الراديو. كان صوته منخفضاً. توجه الرجل صوبه، ورفع الصوت. أخبار، أصوات في قاعة كبيرة. شيء عن الشاليه في هافاس. شاهدة. إعادة تمثيل الجريمة. تجمد، ولم يعد يشعر بساقيه. أغمض عينيه ودعا؛ ليس لتحريره من الألم - مثلما كان يفعل لغاية الآن - وإنما للحصول على العفو عن كل خطاياهم، ولتحمل شخص آخر مسؤولية ما فعله.

القسم السادس

الطعم

جحيم من الأضواء. شعر هاري بوخز في عينيه رغم النظارة الشمسية التي يضعها. كانت الشمس تسطع على الثلج، الساطع بدوره على الشمس. بدا المنظر أشبه بمحيط من الألماس؛ من الأضواء المتلائة بشكل مسعور. تراجع هاري عن النافذة، رغم إدراكه أنه عند النظر من الخارج، تبدو النوافذ مثل مرايا سوداء لا يمكن اختراقها. تحقق من ساعته. وصلوا إلى شاليه هافاس في الليلة الماضية. استقر جوسي كولكا في الشاليه مع هاري وكاجا، فيما توزع الآخرون في الثلج ضمن مجموعتين تضم كل منهما أربعة أشخاص في طرفين متقابلين من الوادي، وفصلت بينهما مسافة ثلاثين كيلومتراً تقريباً. هناك ثلاثة أسباب لاختيار شاليه هافاس لنصب الفخ. أولاً، لأن تواجدهم هناك منطقي. ثانياً، لأن القاتل يظن - مثلما يأملون - أنه يعرف المنطقة جيداً بما فيه الكفاية للشعور بالارتياح في شتّى اعتداء. ثالثاً، لأنه فخ مثالي؛ فالمنخفض حيث يقع الشاليه يسمح بالدخول إليه من الجهة الشمالية الشرقية والجهة الجنوبية فقط. وفي الشرق، كان الجبل شاهقاً جداً، وفي الغرب توجد الكثير من الأجراف والصدوع حيث يتوجب على المرء أن يعرف الأرض جيداً لإحراز أي تقدم.

أمسك هاري بالمنظار، وحاول لمح الآخرين، لكنه لم يرَ إلا البياض والأضواء. لقد تحدث إلى مايكل بيلمان الذي كان إلى جنوبه، وإلى ميلانو الذي كان في الشمال. إنهم يستخدمون عادة الهواتف الخلوية، لكن هنا في الجبال غير المأهولة، إن الشبكة الوحيدة العاملة هي "تيلينور". فالشركة التي كانت قبلاً تابعة للدولة امتلكت رأس المال لتشييد محطات إرسال على كل جرف. لكن، بما أن العديد من رجال الشرطة - بمن فيهم هاري - اشتركوا في شركات أخرى، فإنهم يستخدمون أجهزة الإرسال اللاسلكي. ولكي يتمكنوا من الاتصال به في حال حصل أي شيء في مستشفى ريكس، ترك هاري رسالة على مجيئه الصوتي قبل أن يغادر، قائلاً إنه لن يكون هناك إرسال في هاتفه وأعطاهم رقم ميلانو التابع لشركة "تيلينور".

زعم بيلمان أنهم لم يشعروا بالبرد خلال الليل، وأن الجمع بين أكياس النوم

وحصر الأرض العاكسة للحرارة ومواقد البارافين كان فعالاً جداً حيث اضطروا إلى خلع ملابسهم، وأن ماء الثلج الذائب يتقطر الآن من سقوف الكهوف الثلجية التي كسثوها من جانب الجبل.

تمت تغطية المؤتمر الصحافي بشكل جيد على التلفاز والراديو وفي الجرائد، حيث لا بد أن يكون المرء غير مبال البتة بالقضية كي لا يعرف أن إيسكا بيلر قد ذهبت إلى شاليه هافاس مع شرطي واحد. بين الحين والآخر، كان كولكا وكاجا يخرجان ويشيران إلى الشاليه وإلى الحمام الخارجي. كاجا في دور إيسكا، وكولكا في دور التحري الوحيد الذي يساعدها على إعادة رسم مسار الأحداث في تلك الليلة المشؤومة. اختبأ هاري في غرفة الجلوس، حيث وضع حذاء التزلج الخاص به وقضيي التزلج، فيما طمر الآخرا ن أغراض التزلج خارجاً في الثلج حيث يمكن رؤيتها.

لحق هاري بعصفة ربح هبت فوق الأرض الجرداء، حاملة معها الثلج الخفيف الجديد الذي تساقط خلال الليل. تراكم الثلج على قمم الجبال، والأجراف، والمنحدرات، حيث شكّل موجات جليدية وأجرافاً مذهلة، شبيهة بذلك الناتئ مثل حافة قبة من أعلى جبل وراء الشاليه.

عرف هاري طبعاً أنه ما من ضمانات بأن يأتي الرجل الذي ينتظرونه. فليسبب أو لآخر، قد لا تكون إيسكا بيلر على لائحة الأهداف، أو قد لا يعتبر هذه الفرصة ملائمة، أو قد يخطط لمشاريع أخرى مع إيسكا، أو أنبأه حدسه. وقد تكون هناك أسباب أكثر تفاهة؛ كان يكون مريضاً، أو مسافراً...

لكن، إذا حسب هاري كل المرات التي ضلله فيها حدسه، فإن ذلك الرقم سيقول له بضرورة التخلي عن حدسه. لكنه لا يريد عدّها. أراد بدلاً من ذلك عدّ كل المرات التي أنبأه فيها حدسه بشيء لا يعرف أنه يعرفه. وهو يقول له الآن إن القاتل في طريقه إلى هافاس.

ألقى هاري نظرة على ساعته مجدداً. امتلك القاتل عشرين ساعة. في الموقد العملاق، طقطق خشب الصنوبر وتطاير على الشبك الحامي للموقد. ذهبت كاجا لأخذ قيلولته في إحدى غرف النوم، فيما جلس كولكا قرب طاولة القهوة وهو يزيّت مسدس Weilert P11. تعرف هاري السلاح الألماني بحكم عدم وجود مهداف فيه. مسدس ويلبرت مصنوع خصيصاً للقتال القريب؛ حين تضطر إلى إخراجه من قراب أو حزام أو جيب بسرعة كبيرة من دون إيقاعه. في مثل هذه الأوضاع، تكون الرؤية مشوشة. تصوّبه نحو الهدف وتطلق النار، من دون تحديد الهدف تماماً. أما المسدس

الاحتياطي، SIG Sauer، فكان قربه، محشواً وجاهزاً. تحسس هاري قراب مسدسه سميت إند ويسون عيار 0.38 على ضلوعه.

هبطوا بطائرة مروحية خلال الليل قرب بحيرة نيدالفان، على بعد بضعة كيلومترات، واجتازوا بقية المسافة بواسطة معدات التزلج. في ظروف أخرى، كان هاري سيتأمل جمال البساط المكسو بالثلج تحت ضوء القمر، أو جمال الأضواء الشمالية المتلألئة في السماء، أو جمال كاجا المذهل وهم يتزلجون في الصمت الأبيض كما في قصة خرافية. كان الصمت شديداً، حيث أحسّ أن أصوات احتكاك معدات التزلج بالثلج تمتدّ لمسافة كيلومترات في الجبال. لكن هذا كثير للمجازفة، فهو لا يستطيع تركيز عينيه على شيء آخر غير المهمة، أو الصيد.

كان هاري هو من طلب من كولكا أداء دور "التحري الوحيد". ليس لأن هاري نسي ما حصل في مقهى جاستيسن، لكن إذا لم تجرّ الأمور وفق الخطة المرسومة، فيمكنهم الاستفادة من مهارات القتال لدى الرجل الفنلندي. يفترض من الناحية المثالية أن يتحرك القاتل خلال النهار فتراه واحدة من المجموعتين المختبئتين في الثلج. لكن، إذا جاء القاتل ليلاً، من دون أن يتم كشفه قبل أن يصل إليهم، فسيضطرون هم الثلاثة إلى تدبر الأمر بمفردهم.

استقر كل من كاجا وكولكا في غرفة نوم منفصلة. أما هاري فنام في غرفة الجلوس. مرّ الصباح من دون أي ثرثرة غير ضرورية. حتى كاجا كانت هادئة ومركزة. عبر انعكاس النافذة، راقب هاري كولكا وهو يعيد جمع السلاح، ويصوّب إلى الجهة الخلفية لرأسه ويتمرنّ على إطلاق النار. بقيت عشرون ساعة. أمل هاري في ألا يبدد القاتل أي وقت.

فيما كان بيورن هولم يأخذ ملابس المستشفى ذات اللون الأزرق الفاتح من خزانة أدبل، أحسّ بعيني غير بروون تحدّقان في ظهره من حيث يقف عند الباب. قال بروون: "لماذا لا تأخذ كل شيء؟ هكذا، لن أزعج نفسي برمي الباقي. بالمناسبة، أين زميلك هاري؟".

قال هولم بصبر: "ذهب للتزلج في الجبال". ووضع الملابس بصورة فردية في الأكياس التي أحضرها معه.

"حقاً؟ هذا مثير! لم أشعر أنه من النوع الذي يحب التزلج. أين؟".
"لا أستطيع القول. بالحديث عن التزلج، ماذا كانت أدبل ترتدي عندما ذهبت

إلى هافاس؟ إذ لا توجد معدات تزلج هنا".

"استعارتها مني طبعاً".

"استعارت أغراض التزلج منك؟".

"تبدو متفاجئاً جداً".

"لم أشعر أنك... من النوع الذي يحب التزلج". لاحظ هولم أن كلماته عكست تلميحاً لم يكن مقصوداً، وأحس بتوهج في عنقه.

قهقه بروون واستدار عند الباب. "صحيح، أنا أحب... الملابس أكثر".

تنحج هولم - من دون أن يعرف السبب - وجعل صوته أعمق. "هل أستطيع إلقاء نظرة؟".

تمتم بروون، كما لو أنه وجد متعة في انزعاج هولم: "أوه، رائع. هيا، فلنذهب ولنر ما أملكه".

قالت كاجا: "الرابعة والنصف". وهي تمرر قدر اليخنة إلى هاري للمرة الثانية. لم تتلامس أيديهما، ولم تلتقي عيونهما. الليلة التي تشاركها في أوبسال كانت بعيدة مثل حلم عمره ليلتان. "حسب الخطة، يفترض بي أن أفق الآن في الجهة الجنوبية وأدخن سيجارة".

أوماً هاري برأسه، ومرر القدر إلى كولكا الذي كسطه قبل أن يسكب المحتويات. قال هاري: "حسناً. كولكا، هل بإمكانك أن تذهب الآن من فضلك إلى النافذة المواجهة للغرب؟ أصبحت الشمس منخفضة الآن، ولذلك تحقق من وميض أي منظار للعينين".

أجاب كولكا ببطء وبلكنة سويدية وتشديد كبير: "ليس قبل أن أنهي طعامي". ووضع شوكة ممتلئة في فمه.

رفع هاري حاجبه، ثم ألقى نظرة سريعة على كاجا وأشار إليها للذهاب. عندما كانت في الخارج، جلس هاري قرب النافذة، وتأمل السهل المرتفع والجبال. "إذاً، وظفك بيلمان في وقت لم يستطع أحد آخر فيه فعل هذا، أليس كذلك؟". قال الكلمات بهدوء، لكن الصمت في الغرفة كان شديداً جداً حيث كان يستطيع همسها.

مرّت ثوانٍ قليلة من دون جواب، فافترض هاري أن كولكا يظن أنه يهاجمه بطريقة شخصية.

"عرفت بشأن الشائعة التي انتشرت بعدما جرى طردك من الأوروبول. لقد ضربت فتاة أثناء استجوابها. هذا صحيح، أليس كذلك؟".
قال كولكا، وهو يرفع الشوكة إلى فمه: "هذا من شأني وحدي. لكنها ربما لم تظهر لي احتراماً كافياً".

"مم. الغريب في الأمر أن الأوروبول نشرت الشائعة بنفسها. كما لو أن الشائعة تسهّل الأمور عليها، وعليك أيضاً مثلما أفترض. وطبعاً على أهل الفتاة التي كنت تستجوبها ومحاميها".

سمع هاري توقف مضغ الطعام خلفه.
"وهكذا، تمت تسوية المسألة بهدوء، ومن دون الحاجة إلى جرّك أنت والأوروبول إلى المحكمة. وتفادت الفتاة الجلوس في ركن الشهود والقول إنك عندما كنت معها في الغرفة تسألها عن الصديق الذي اغتصبها، شعرت بإثارة قوية عند سماعك الأجوبة، وبدأت تلامسها. كان عمرها خمسة عشر عاماً؛ مثلما تقول الملفات الداخلية في الأوروبول".

سمع هاري تنفس كولكا وهو يصبح ثقيلاً جداً.
تابع هاري القول: "لنفترض أن يلمان قرأ الملفات أيضاً. ربّما استطاع النفاذ إليها عبر معارفه والطرق غير الشرعية؛ مثلي أنا. انتظر قليلاً قبل الاتصال بك. انتظر حتى يخمد الغضب داخلك، ويخرج كل التوتر، وتعود مجدداً إلى هدوئك، ثم اتصل بك. أعطاك وظيفة، وأعاد إليك بعض الكبرياء التي خسرتها. وعرف تماماً أنك ستبدله بالإخلاص. اشتري عندما كان السوق في أدنى سعره، كولكا. هكذا يحصل على حراسه الشخصيين".

استدار هاري نحو جوسي كولكا، وكان وجه الفنلندي شاحباً.
"تم شراؤك، لكنك تحصل على أجر ضئيل جداً، جوسي. العبيد مثلك لا يحظون بالاحترام، ليس من السيد يلمان وليس مني. بالله عليك يا رجل، أنت لا تملك حتى أي احترام لنفسك".

وقعت شوكة كولكا فوق طبقه وأصدرت صوتاً مدوياً. نهض، ووضع يده داخل سترته، وأخرج مسدساً. مشى صوب هاري وانحنى فوقه، إلا أن هاري لم يتزحزح، بل نظر إلى الأعلى بهدوء.

"إذاً، كيف ستستعيد احترامك مجدداً، جوسي؟ بإطلاق النار عليّ؟".

كانت عينا الفنلندي ترتعشان غيظاً.

"أو بالذهاب بنفسك إلى الجحيم؟". نظر هاري إلى السهل المكسو بالثلج مجدداً.

سمع تنفس كولكا الثقيل. انتظر. سمعه يستدير. سمعه يتعد. سمعه يجلس قرب النافذة المواجهة للغرب.

تقطع الجهاز اللاسلكي، فأمسك هاري بالمذراع.
"نعم؟".

"سيهبط الظلام قريباً. لن يأتي". إنه صوت بيلمان.
"علينا الاستمرار في المراقبة".

"لماذا؟ تلبدت الغيوم في السماء، ومن دون ضوء القمر، لن نستطيع رؤية...".
قال هاري: "إذا كنا لا نستطيع الرؤية، فلن نستطيع هو أيضاً. لذا، تابعوا المراقبة بواسطة مصباح الرأس".

أطفأ الرجل مصباح الرأس، فهو لا يحتاج إلى أي ضوء، لأنه يعرف تماماً إلى أين يؤدي مسار التزلج؛ إلى شاليه هيئة السياحة. سوف تعاد عيناه على العتمة، وسيصبح بؤبؤاه كبيرين وحساسين للضوء قبل أن يصل. ها هو، الحائط الخشبي مع النوافذ السوداء. كما لو أنه لا يوجد أحد في الداخل. أحدث الثلج الجديد صوت صرير فيما انزلق الرجل فوق الأمتار القليلة الأخيرة. توقف وأصغى السمع إلى الصمت لثانيتين تقريباً قبل أن يفك معدات التزلج. أخرج السكين الكبيرة والثقيلة ذات النصل المروّع على شكل قارب والمقبض الخشبي الأصفر اللامع الناعم. هذه السكين مفيدة لقطع الأغصان بهدف إشعال النار، ومفيدة أيضاً لقطع لحم أيل، أو نحر الحناجر.

فتح الرجل الباب بأكبر هدوء ممكن، ودخل إلى الردهة. وقف يصغي عند باب غرفة الجلوس. صمت. صمت كبير. ضغط على المقبض وفتح الباب، فيما وقف بمحاذاة الجدار قرب الباب. بعد ذلك، ولجعل الهدف مضللاً وصغيراً قدر الإمكان، جلس القرفصاء وأسرع في العتمة والسكين أمامه.

لمح جثة الرجل الجالس على الأرض فيما تدلى رأسه وطوّقت ذراعه الموقد. أعاد السكين إلى قرابها، وأشعل الضوء قرب الأريكة. لم ينتبه حتى الآن إلى أن الأريكة مطابقة لتلك الموجودة في شاليه هافاس. لا بد أن هيئة السياحة حصلت على حسم عند الشراء. لكن غطاء الأريكة كان قديماً؛ لأن الشاليه مغلق منذ أعوام عدة، وهو يقع في منطقة خطيرة جداً: فقد حصلت حوادث مع أشخاص ينزلون الأجراف

في محاولة لإيجاد الشاليه.

قرب موقد الحطب، ارتفع رأس الرجل الميت ببطء.

"أسف لأنني دخلت عليك هكذا". تأكد من أن السلاسل التي ثبتت يدي الرجل حول الموقد كانت موضوعة كما يجب.

ثم بدأ يفرغ محتويات حقيبتيه. وضع قبعته، ودخل للتسوق بلمح البصر من متجر في أوستاوسيت؛ فابتاع الخبز، والبسكويت، والجرائد التي كتبت المزيد عن المؤتمر الصحافي والشاهدة في شاليه هافاس.

قال بصوت عالٍ: "إيسكا بيلر. أسترالية. إنها في شاليه هافاس. ما رأيك؟ هل يحتمل أنها رأته شيئاً ما؟".

بالكاد استطاعت الأوتار الصوتية للرجل الآخر التحرك لإصدار صوت: "الشرطة. الشرطة في شاليه هافاس".

"أعرف. هذا مكتوب في الجرائد. تحرّ واحد".

"إنهم هناك. لقد استأجرت الشرطة الشاليه".

"أوه؟". نظر إلى الرجل الآخر. هل أعدت الشرطة فخاً؟ وهل هذا الحقير الجالس أمامه يحاول مساعدته، ويحاول إنقاذه من الوقوع في الفخ؟ أغضبته الفكرة. لكن، لا بد أن هذه المرأة رأته شيئاً، وإلا ما كانوا ليحضروها من أستراليا. أمسك بقضيب إذكاء النار.

"اللعنة، رائحتك كريهة. هل تبوّلت في سروالك؟".

هبط رأس الرجل على صدره. يبدو جلياً أنه انتقل للسكن هنا. فهناك بعض الأغراض الشخصية في الأدراج: رسالة، بعض الأدوات، بعض الصور العائلية القديمة، جواز سفر. كما لو أن الرجل كان ينوي الهروب؛ ظناً منه أنه يستطيع الظهور مجدداً في مكان آخر، بدلاً من أن يكون هنا، في اللهب المستعرة حيث يتعذب للتكفير عن خطاياها؛ رغم أنه بدأ يظن أن الرجل لم يكن وراء كل هذا الشر في النهاية. فهناك حدود لمقدار الألم الذي يستطيع الرجل تحمله قبل أن يتكلم.

تحقق من الهاتف مجدداً. اللعنة! لا إرسال.

ويا لها من رائحة! المخزن. عليه تعليقه هناك ليجف. هذا ما يتم فعله باللحم

المدخن.

ذهبت كاجا إلى غرفة نومها، وأمل في أن تنام قليلاً قبل أن يحين موعد حراستها.

سكب كولكا القهوة المقطرة في كوبه، ومن ثم في كوب هاري.
قال هاري: "شكراً". وحدق في العتمة.

قال كولكا: "معدات تزلج خشبية!". ووقف قرب الموقد لتأمل معدات التزلج الخاصة بهاري.

أجاب هاري: "كانت لوالدي". وجد معدات التزلج في القبو في أوبسال. كانت القضبان جديدة، ومصنوعة من خليط معدني بدا أخف من الهواء. تساءل هاري لوهلة عما إذا كان قضيب التزلج محشواً بغاز الهيليوم. إلا أن أحذية التزلج كانت من "الموديل" الجبلي العريض والقديم.

"عندما كنت صغيراً، كنت أذهب إلى شاليه جدي في ليسجا كل عام خلال مناسبة الفصح. وكان هناك ذلك الجبل الذي لطالما أراد والدي تسلقه. وهكذا، أخبرنا أنا وأختي أن هناك كشكاً في أعلى الجبل حيث تباع مشروبات البيسي، وكان المشروب المفضل عند أختي. فإذا نجحنا في بلوغ المنحدر الأخير، فنستطيع حينها..."

أوماً كولكا برأسه، ومرر يده على معدات التزلج البيضاء، فيما ارتشف هاري القليل من القهوة.

"كانت سيس تنسى الحيلة من مناسبة إلى أخرى فتكرر دوماً الرواية نفسها. ولطالما تمنيت لو أنني أستطيع فعل الشيء نفسه. لكن مشكلتي هي أنني أذكر كل ما علمني إياه بابا: رمز الجبال، وكيفية استخدام عناصر الطبيعة بمثابة بوصلة، وكيفية البقاء على قيد الحياة عند حصول انهيار ثلجي، ملوك النروج وملكاتهما، الإمبراطوريات الصينية، والرؤساء الأميركيين".

قال كولكا: "إنها معدات تزلج جيدة".

"قصيرة قليلاً".

جلس كولكا قرب النافذة في الطرف الآخر من الغرفة. "نعم، تظن أن هذا لن يحصل أبداً. معدات التزلج الخاصة بوالدك باتت قصيرة جداً بالنسبة إليك".

انتظر هاري. انتظر، ثم جاء.

قال كولكا: "وجدتها رائعة، وظننت أنها استلظفتني. أفترض أنها كانت خائفة".
نجح هاري في كبت رغبته في مغادرة الغرفة.

قال كولكا: "أنت محق. تكون وفيماً للذين يرفعونك من سلة القمامة؛ حتى لو اكتشفت أنهم يستغلونك. لكن، ماذا يسعك أن تفعل؟ الخياران مران".

عندما أدرك هاري أن الكلام قد توقف، نهض وتوجه إلى المطبخ. فتش في كل

الخزائن في محاولة يائسة لإيجاد ما عرف أنه غير موجود هنا، وكان ذلك نوعاً من الهروب اليائس من الصراخ داخل رأسه. "كأس واحدة، لا أكثر".

لقد أعطي فرصة. واحدة. فك الشبح السلاسل التي قيد بها ذراعي الرجل، ورفعه إلى الأعلى، وشتم بسبب الرائحة النتنة، وساعده في الدخول إلى الحمام، حيث أفلته على أرضية المغطس وأدار الماء فوقه. وقف الشبح هناك لبرهة يراقبه وهو يحاول إجراء اتصال هاتفي، لكنه لعن اختفاء الإرسال، وعاد مجدداً إلى غرفة الجلوس، وسمعه الرجل وهو يحاول مجدداً.

أراد البكاء. لقد انتقل إلى هنا، واختبأ بعيداً كي لا يتمكن أحد من العثور عليه. استقر في الشاليه القديم الخاص بهيئة السياحة، وأحضر معه ما يحتاج إليه. ظن أنه سيكون بأمان بين الأجراف. بأمان من الشبح. لم يبك. ففيما تغلغل الماء في ملابسه، وبلبل بقايا القميص القطني الأحمر الملتصق بظهره، خطر في باله أن هذه فرصته. هاتفه الخليوي موجود في جيب سرواله، المطوي والموضوع على الكرسي خلف المغسلة. حاول النهوض على قدميه، لكن ساقيه لم تستجيباً لرغبته. لا يهم. فالكرسي على بعد أمتار قليلة فقط. وضع ذراعيه المحروقتين على الأرض، وتحدى الألم، وجرّ نفسه إلى الأمام، وسمع أصوات بثور الحروق وهي تفرقع، وشمّ الرائحة، لكنه وصل إلى هناك، وفتش في جيبه، وأمسك بهاتفه. لقد سجّل رقم الشرطي، كي يتعرف إليه على الشاشة إذا اتصل به.

ضغط على زر الاتصال. بدا وكأن الهاتف يأخذ نفساً طويلاً جداً بين رنة وأخرى. فرصة واحدة. كان الدش يصدر ضجيجاً كبيراً كي لا يسمعه الشبح وهو يتكلم. ها هو! سمع صوت الشرطي. قاطعه بهمس خشن، لكن صوته استمر رغم ذلك. وأدرك أنه يتحدث إلى المجيب الصوتي. انتظر حتى ينتهي الصوت، وضغط على الهاتف، وأحس بجلد يده يتمزق، لكنه لم يفلته. لم يستطع إفلاته. عليه أن يترك رسالة بشأن... انتهِ بالله عليك، هيا!

لم يسمعه وهو يدخل؛ لأن صوت المياه أخفى صوت خطواته الخفيفة. تم أخذ الهاتف من يده، وتسنى له الوقت لرؤية حذاء التزلج يأتي صوبه. عندما استعاد وعيه مجدداً، كان الرجل واقفاً فوقه، وهو يتأمل هاتفه باهتمام. "ألدك إرسال؟"

غادر الرجل الحمام وهو يطلب رقماً، ثم أخفى صوت المياه بقية الأصوات

الأخرى. إلا أنه عاد بعد وقت غير بعيد.
"سوف نذهب في رحلة، أنا وأنت". بدا الرجل فجأة في مزاج جيد. كان يمسك
جواز سفر في يده؛ جواز سفره. وفي اليد الأخرى، كان يمسك بكماشة من علبة
الأدوات.

"افتح فمك".

ابتلع لعابه. الرحمة يا الله.

"افتح فمك، قلت لك".

"الرحمة. أقسم إنني أخبرتك كل شيء. أنا...". لم يستطع قول المزيد لأن يداً
أمسكته من حنجرتة ومنعت دفق الهواء. كافح قليلاً، ثم انهمرت الدموع أخيراً، وفتح
فمه.

الرد

تحت وهج المصباح، كان بيورن هولم وبتي لون يقفان أمام الطاولة الفولاذية في المختبر، ويحدقان في سروال التزلج الأزرق أمامهما. قالت بتي: "هذه حتماً بقعة سائل". قال بيورن هولم: "أو خط سائل. انظري إلى الشكل." "هذا قليل جداً بالنسبة إلى عملية كاملة. يبدو وكأن احتكاكاً حصل بالقسم السفلي من الشخص الذي ارتدى سروال التزلج هذا. قلت إن بروون...، أليس كذلك؟".

"نعم، لكنه قال إنه لم يرتد هذا السروال منذ أن أعاره إلى أديل". "إذاً أقول إننا أمام بقع سائل توحى باعتداء. حسناً، عليّ إرسالها لتحليل الحمض النووي، بيورن". "موافق. وما رأيك في هذا؟". أشار هولم إلى سروال المستشفى باللون الأزرق الفاتح، وإلى علامتي احتكاك تحت الجيبين الخلفيين. "ما هذا؟".

"إنه شيء لا يختفي أبداً في الغسيل. إنها مادة مرتكزة على النونيلفينول اسمها PSG، يتم استعمالها في منتجات تنظيف السيارات والعديد من الأشياء الأخرى". "يبدو جلياً أنها كانت جالسة في مكان ما". "ليست جالسة فقط؛ فالمادة متغلغلة في أعماق القماش. كانت تفرك بقوة. هكذا". وحرك وركيه إلى الخلف والأمام. "فهمت. هل من نظريات حول السبب؟".

وضعت نظارتها، ونظرت إلى بيورن، فيما اتخذ فمه عدداً من الأشكال المتنوعة للتعبير عن أفكار ولدها دماغه ورفضها بسرعة. سألت بتي: "أهي ناجمة عن علاقة غير مكتملة؟". قال هولم بارتياح: "نعم".

"فهمت. كيف ومتى استطاعت امرأة لا تعمل في مستشفى أن ترتدي الملابس الخاصة بمستشفى وتقوم بعلاقة غير مكتملة، وتحثك بمادة PSG؟".
قال بيورن: "الجواب بسيط؛ في موعد ليلي في مصنع PSG مهجور".

تبددت الغيوم، وعاد مجدداً النور الأزرق السحري حيث يصبح كل شيء - بما في ذلك الظلال - بلون الفوسفور، متجمداً كما لو في حياة ساكنة.
ذهب كولكا إلى السرير، لكن هاري افترض أن الفنلندي مستلقٍ في غرفة النوم وعيناه مفتوحتان، فيما بقية حواسه في أقصى درجات التأهب.
جلست كاجا قرب النافذة، ووضعت ذقنها على يدها، ونظرت إلى الخارج. كانت ترتدي كنزتها البيضاء، وكانوا قد شغلوا أجهزة التدفئة الكهربائية فقط. اتفقوا على أن الأمر قد يبدو مريباً إذا تصاعد الدخان من المدخنة طوال الوقت فيما يفترض ظاهرياً أن يتواجد شخصان فقط هنا.
قالت كاجا: "إذا اشتقت إلى السماء المليئة بالنجوم فوق هونغ كونغ، انظر إلى الخارج الآن".

قال هاري، وهو يشعل سيجارة: "لا أذكر أي سماء مليئة بالنجوم".
"ألا تفتقد أي شيء في هونغ كونغ؟".
قال هاري: "نودلز لي يوان. كل يوم".
"هل أنت مغرم بي؟". أخفضت صوتها درجة واحدة فقط، وكانت تنظر إليه بانتباه فيما حاولت وضع رباط مطايطي حول شعرها.
فكّر هاري في مشاعره. "ليس الآن".
ضحكت، وبدت المفاجأة على وجهها. "ليس الآن! ماذا يعني ذلك؟".
"أن هذا الجزء مني معطل طالما أننا هنا".
هزّت رأسها. "كم أنت صبور هول".
قال هاري مع ابتسامة ساحرة: "ثمة شك في هذا الخصوص".
نظرت إلى ساعتها. "وماذا لو انتهت هذه المهمة خلال عشر ساعات؟".
قال هاري، وهو يضع يده قرب يدها على الطاولة: "قد أصبح مغرماً بك مجدداً.
إن لم يكن قبل ذلك".

نظرت إلى يديهما. لاحظت أن يده تبدو أكبر حجماً بكثير مقارنة مع يدها؛ فيدها دقيقة الشكل. كما لاحظت أن يده شاحبة ومليئة بالعقد، وبالأوعية الدموية السمكة

الملففة والموزعة في كل متن يده.

"إذاً، يحتمل أن تكون مغرماً بي قبل أن تنتهي هذه المهمة، أليس كذلك؟".
وضعت يدها على يده.

"عנית أن المهمة قد تنتهي قبل...".

سحبت يدها.

نظر إليها بدهشة. "قصدت فقط...".

"اسمع!".

حبس هاري أنفاسه وأصغى، لكنه لم يسمع أي شيء.

"ما كان ذلك؟".

قالت كاجا وهي تنظر إلى خارج النافذة: "مثل صوت سيارة. ما رأيك؟".

قال هاري: "هذا مستبعد برأيي. فنحن على بعد أكثر من عشرة كيلومترات من

أقرب طريق سالك في الشتاء. ماذا عن طائرة مروحية؟ أو دراجة ثلجية؟".

تنهدت كاجا قائلة: "أو ماذا لو كان ذلك خيالي المفرط؟ لقد اختفى الصوت.

وعند التفكير فيه، فإنه لم يصدر قطّ ربما. آسفة، لكنك تصبح حساساً بإفراط عندما

تكون خائفاً و...".

قال هاري وهو ينهض: "لا. خوفك في محله. حساسيتك في محلها. صفي لي

ما سمعته". أخذ هاري مسدسه من قراب كتفه، وتوجه إلى النافذة الثانية.

"لا شيء، لقد قلت لك".

فتح هاري النافذة قليلاً. "حاسة السمع لديك أفضل من حاسة السمع لديّ. لذا،

أصغي عنا نحن الاثنين".

جلسا يصغيان إلى الصمت. مرّت دقائق.

"هاري...".

"شششش".

"تعال واجلس مجدداً هاري".

قال هاري، بصوت نصف عالٍ كما لو أنه يتكلم مع نفسه: "إنه هنا. إنه هنا الآن".

"هاري. أصبحت أنت الآن مفرطاً في الحسا...".

سُمع دوي مكبوت. كان الصوت منخفضاً وعميقاً، أشبه برعد بعيد وبطيء، من

دون أي تمدد. لكن هاري عرف أن الرعد نادراً ما يحصل حين تكون السماء صافية

ودرجة الحرارة سبعة تحت الصفر.

حبس أنفاسه.

ثم سمعه؛ سمع هديرًا آخر مختلفاً عن الدوي، لكنه أيضاً كان منخفض الترددات؛ مثل الترددات الصوتية المنبعثة من مكبر الصوت؛ الترددات الصوتية التي تتحرك في الهواء، والتي يتم الإحساس بها في المعدة. سمع هاري هذا الصوت مرة واحدة فقط قبلاً، لكنه عرف أنه سيذكره لبقية حياته.

"انهيار ثلجي!". صرخ هاري، وركض صوب غرفة نوم كولكا المواجهة للجبل.
"انهيار ثلجي!".

فتح باب غرفة النوم، وكان كولكا هناك مستيقظاً. أحسوا بالأرض تهتز تحتهم. إنه انهيار ثلجي ضخم. وسواء أكان في الشاليه قبو أم لا، عرف هاري أنهم لن يتمكنوا أبداً من الوصول إلى هناك؛ لأن قطع الزجاج تناثرت وراء كولكا مما كانت نافذة قبلاً، نتيجة ضغط الهواء السابق للانهيال الثلجي.

"أمسكا بيدي". صرخ هاري عالياً فوق الهدير، ومدّ كلتا يديه، واحدة لكاجا وواحدة لكولكا. رأهما يركضان صوبه فيما اختفى الهواء من الشاليه؛ كما لو أن الانهيال الثلجي زفر الهواء أولاً ومن ثم استنشقه. أحس بيد كولكا تضغط بقوة على يده، وانتظر يد كاجا، ثم ارتطم جدار الثلج بالشاليه.

ثلج

كان المكان هادئاً جداً، والظلمة حالكة جداً. حاول هاري التحرك. مستحيل. بدا جسمه وكأنه في جبيرة جصّ، ولم يستطع تحريك أي طرف من أطرافه. في الواقع، فعل ما علّمه إياه والده: مدّ يداً أمام وجهه إفساحاً في المجال أمام جيب هواء. لكنه لا يعرف إذا كان يوجد هواء؛ لأنه لم يستطع التنفس. وعرف سبب ذلك؛ انقباض الغشاء المحيط بالقلب. ما شرحه أولاف هول يحصل؛ أي عندما ينحشر الصدر والحجاب الحاجز قرب بعضهما نتيجة الثلج، حيث تعجز الرئتان عن العمل. ويعني ذلك أن لديك فقط الأوكسيجين الموجود في دمك، أي قرابة لتر. ووفق الاستهلاك العادي - بمعدل 0.25 لتر في الدقيقة - سوف تموت خلال أربع دقائق. ضربه الذعر. عليه الحصول على الهواء. عليه التنفس. شدّ هاري جسمه، لكن الثلج كان مثل أفعى البوا التي تستجيب بإحكام قبضتها. عرف أن عليه محاربة الذعر، عليه التمكن من التفكير والتفكير الآن. توقف العالم الخارجي عن الوجود. الوقت والجاذبية والحرارة لم تعد موجودة. لا يعرف هاري ما هو الموجود في الأعلى أو الأسفل، أو كم مضى من وقت على وجوده تحت الثلج. خطرت في باله حكمة أخرى من حكم والده. لمعرفة وضعيتك وتحديد الطريقة التي أنت مستلقٍ فيها، اجعل اللعاب يسيل من فمك، وتحسس طريقة سيلانه على وجهك. مرر لسانه داخل فمه. عرف أنه الخوف. لقد جفف الأدرينالين فمه. فتح فمه كاملاً، واستخدم الأصابع التي أمام وجهه لإدخال بعض الثلج إلى فمه. مضغه، ثم فتح فمه مجدداً وأخرج الثلج الذائب. شعر فوراً بالذعر، وأجفل فيما امتلاً منخراه بالماء. أغمض فمه، وأخرج الماء مجدداً. أخرج ما بقي من الهواء في رثته. سوف يموت قريباً.

أخبره سيلان الماء أن وضعيته بالمقلوب، وأخبره ارتجاج جسمه أنه يستحيل التحرك على الإطلاق. حاول التحرك مجدداً، فتشنج جسمه كله، وأحس بالثلج يتحرك قليلاً؛ هل بما يكفي للهروب من قبضة انقباض الغشاء المحيط بالقلب؟ استنشق الهواء. دخل القليل منه. ليس ما يكفي. لا بد أن الدماغ بدأ يعاني من نقص الأوكسيجين،

لكنه تذكر بوضوح كلمات والده التي كان يقولها له في ليسجا. خلال الانهيار الثلجي، عندما تستطيع بالكاد التنفس، فأنت لا تموت من نقص الهواء، وإنما تموت من فرط ثاني أكسيد الكربون في دمك. ارتطمت يده الأخرى بشيء، شيء صلب، شيء أشبه بشبكة حديدية. أولاف هول: "تحت الثلج، تكون مثل سمكة القرش؛ فستموت إذا لم تتحرك. حتى لو كان الثلج رخواً كفاية للسماح بدخول بعض الهواء، فستؤدي حرارة جسمك وتنفسك إلى تكوّن طبقة من الجليد حولك؛ مما يعني أن الهواء لن يدخل، فيما ثاني أكسيد الكربون السام في نَفْسك لن يخرج. وهكذا، فأنت تحضّر بنفسك قبرك الجليدي. هل تفهم؟".

"نعم بابا. لكن هَوْن الأمور عليك من فضلك. هذه ليسجا وليست جبال الهيمالايا".

فيما تتردد ضحكة أمه من المطبخ.

عرف هاري أن الشاليه قد امتلأ بالثلج، وأن فوقه سقف، وفوقه المزيد من الثلج مجدداً. لا مجال أبداً للخروج. الساعة تدق. سيتهي الأمر هنا.

دعا كي لا يستيقظ مجدداً، وكي تكون المرة التالية التي يغيب فيها عن الوعي الأخيرة. إنه مستلقٍ رأساً على عقب. رأسه ينبض بقوة كما لو أنه سينفجر. لا بد أنه الدم الذي يملأه.

إلا أن صوت الدراجة الثلجية هو الذي أيقظه.

حاول عدم التحرك. فعل ذلك في البداية، وحاول تحرير نفسه فأجفل، وتوتر جسمه. ولكنه ألقع عن محاولاته بسرعة كبيرة. ليس بسبب كتلتَي اللحم في ربليتي ساقيه؛ لأنه فقد الإحساس في ساقيه قبل وقت طويل، بل بسبب الصوت؛ صوت تمزق اللحم والأوتار، وانفجار العضلات كلما أجفل وبرم؛ ما جعل السلاسل المعلقة بسقف المخزن تصدر ضجيجاً.

حدّق في العينين الجامدتين لأيل معلق بقائمتيه الخلفيتين، وبدا وكأنه في منتصف غوص، مع قرونه أولاً. اصطاده في رحلة صيد. بواسطة البندقية نفسها التي استخدمها لقتلها.

سمع صوت خطى على الثلج. فتح الباب، ودخل ضوء القمر. ثم عاد إلى هنا مجدداً؛ الشبح. والشيء الغريب أنه بات واثقاً عندما نظر إليه الآن، وهو بالمقلوب. همس قائلاً: "هذا أنت فعلاً. من الغريب التحدث من دون أسنان أمامية. هذا أنت، أليس كذلك؟".

وقف الرجل خلفه وحرر يديه.
"هل تستطيع مسامحتي؟"
"هل أنت مستعد للسفر؟"
"لقد قتلتهم جميعاً، أليس كذلك؟"
"نعم. فلنذهب".

حفر هاري الثلج بيده اليمنى. صوّب يده اليسرى؛ تلك التي كانت محتكة بشبكة سلكية لم يستطع التعرف إليها. ثمة جزء في دماغه قال له إنه في ورطة، وإن هذا سباق عديم الجدوى ضد الوقت؛ لأنه كلما أخذ نفساً واحداً اقترب خطوة واحدة من الموت. كل ما يفعله هو إطالة عذابه، وتأجيل المحتوم. قال الصوت الآخر إنه سيموت نتيجة اليأس وليس اللامبالاة.

نجح في شق طريقه وصولاً إلى اليد الأخرى، ووضع اليد اليمنى على الشبكة الحديدية. ضغط عليها بكلتا يديه وحاول دفعها، لكن الشبكة لم تتحرك. أحسّ أن نفسه بات ثقيلًا، وأن الثلج أصبح أكثر نعومة، وأن قبره مغلف بالجليد. جاء الدوار واختفى، لمجرد ثانية، لكنه عرف أنه أول إنذار بأنه يستنشق هواء مسمماً. سوف تأتي الغيبوبة قريباً، وسيتوقف عمل الدماغ شيئاً فشيئاً؛ تماماً مثل الفندق الذي يقترب من الموسم غير النشط. وعند ذلك، أحسّ هاري بشيء لم يشعر به قطّ من قبل، ولا حتى خلال أسوأ لياليه في "تشانغكينغ مانشون". أحسّ بوحدة هائلة. لم تكن الثقة بأنه سيموت هي التي سلبت منه فجأة كل رغبة في الحياة، وإنما موته هنا، من دون أحد، من دون الذين يحبهم، من دون والده، وسييس وأوليف وراكيل...

جاءت الغيبوبة. توقف هاري عن الحفر؛ رغم معرفته بأن هذا يعني موته. إنه موت ساحر وجذاب يأخذه بين ذراعيه. لم المعارضة؟ لم الاحتجاج؟ لم اختيار الألم فيما يمكن الاستسلام؟ لم اختيار شيء غير الذي فعله على الدوام؟ أغمض هاري عينيه. انتظر.

الشبكة الحديدية.

لا بد أنها شبكة الموقد؛ الموقد، المدخنة، الصخرة. إذا صمد أي شيء في وجه الانهيار الثلجي، إذا كان هناك مكان واحد لم تغلغل فيه الكتلة الثلجية، فإنه المدخنة. دفع هاري الشبكة الحديدية مجدداً. لم تتزحزح مليمترًا واحداً. تشبثت أصابعه بالشبكة. غير أنه خائر القوى؛ استسلم.

إنه مصير محتوم. هكذا هي نهايته. أحس دماغه المشبع بثاني أكسيد الكربون بمنطق هذا الأمر، لكنه لم يكن واثقاً تماماً من طبيعته. إلا أنه تقبله. ترك النوم الدافئ والجميل يغمره. السكون. الحرية.

حدّق مايكل بيلمان في ما هو أمامهم، أو تحديداً أكثر في ما لم يعد أمامهم. لأنه لم يعد هناك أي شيء. اختفى الشاليه. بدا الكهف الثلجي وكأنه رسم صغير على ورقة بيضاء كبيرة. كان هذا قبل الدوي والحطام البعيد الذي أيقظه من النوم. وعندما نجح أخيراً في وضع المنظار على عينيه، عاد السكون ليخيّم من جديد، وكان هناك فقط صدى بعيد يرتدّ من سلسلة جبال هالينغسكارفيت. حدّق عبر المنظار، وتأمل المشهد الجبلي كله. بدا وكأن شخصاً قد محا كل شيء عن الورقة. لا يوجد رسم، وإنما فقط بياض مسالم وبريء. هذا غير مفهوم. الشاليه مدفون بكامله! انتعلوا أحذية التزلج، واحتاجوا إلى ثماني دقائق للوصول إلى مكان الانهيار الثلجي، أو ثماني دقائق وثمانية عشرة ثانية. انتبه إلى الوقت. إنه شرطي.

سمع صوتاً خلفه يقول: "يا الله! الانهيار الثلجي ممتد على مساحة كيلومتر مربع". وشاهد الأضواء الصفراء المنبثقة من مصابيحهم تتمايل فوق الثلج. طقطق الجهاز اللاسلكي. "يقول رجال الإنقاذ إن المروحية ستصل إلى هنا خلال ثلاثين دقيقة. انتهى".

أدرك بيلمان أن هذا وقت طويل جداً؛ فقد قرأ أنه بعد مرور ساعة واحدة، يصبح احتمال البقاء على قيد الحياة تحت الثلج واحد على ثلاثة. وعندما تصل المروحية إلى هنا، ماذا يفترض بهم أن يفعلوا؟ أيغرزون المسابر الصوتية في الثلج لكشف بقايا الشاليه؟ "شكراً، وصلت الرسالة".

جاء إيردال. "لحسن الحظ، يوجد كلبان في آل. يتم إحضارهما الآن إلى أوستاوسيت. الشرطي المسؤول في أوستاوسيت، كرونغلي، ليس في المنزل - أو على الأقل لا يجيب على هاتفه - لكن كان هناك رجل في الفندق معه دراجة ثلجية، ويستطيع إحضار الكلبين إلى هنا". كان يحرك ذراعيه بقوة لإبقائهما دافئتين. نظر بيلمان إلى الثلج تحتهم. كاجا هنا في مكان ما. "كم مرة تحصل الانهيارات هنا؟".

أجاب إيردال: "مرة كل عشر سنوات".
تأرجح بيلمان على كعبي قدميه. يتولى ميلانو توجيه الآخرين الذين كانوا يحفرون

الثلج بواسطة أدوات التزلج الخاصة بهم.

قال: "الكلبان؟".

"أربعون دقيقة".

أوما بيلمان برأسه. عرف أن الكلبين لن يحدثا أي فرق أيضاً. فعندما سيصلان ستكون ساعة تقريباً قد مرّت على حصول الانهيار الثلجي.

احتمال النجاة سيكون قد أصبح أقل من عشرة في المئة حتى قبل أن يبدأوا العمل. وبعد مرور ساعة ونصف الساعة، تصبح الاحتمالات صفراً؛ مهما كانت نواياهم وأهدافهم.

بدأت الرحلة. إنه يقود دراجة ثلجية. بدا وكأن الضوء والعتمة يأتيان صوبه؛ كما لو أن السماء المرصعة بالنجوم تفتح له وترحب به. عرف أن الرجل، أو الشبح، يقف خلفه على الثلج، ويصوّب بسلاحه على ظهره المحروق والمليء بالقروح. لكن، ما من رصاصة تستطيع بلوغه الآن. أصبح حراً. سوف يذهب إلى حيث يريد، ويأخذ المسار الذي اتبعه على الدوام؛ إلى المكان الذي ذهبت إليه، وفق الطريق نفسه. لم يعد مقيداً، ولو تمكن من تحريك ذراعيه أو ساقيه، لوقف على المقعد، وضغط على دواسة السرعة وانطلق بسرعة أكبر. كان فرحاً فيما انطلق صوب السماء المليئة بالنجوم.

الدفن

غاص هاري في طبقات الأحلام والذكريات والأفكار. كل شيء جيد؛ باستثناء صوت واحد يردد العبارة نفسها مراراً وتكراراً؛ صوت أبيه. وفي النهاية، كنت تنزف كثيراً حيث خاف الأولاد الكبار وهربوا". حاول أن يكون موضوعياً، وأن يصغي إلى أحد الأصوات الأخرى. لكن حتى ذلك الصوت كان لأولاف هول.

"كنت خائفاً من العتمة، لكن هذا لم يمنعك من الذهاب إلى هناك".

اللعنة، اللعنة، اللعنة.

فتح هاري عينيه في العتمة، وتحرك في القبضة الحديدية للثلج الجليدي. حاول الركل، وبدأ يحفر أمام الشبكة المعدنية. فتح لنفسه مجالاً أكبر. عثرت أصابعه على حافة الشبكة المعدنية. لن يموت. لا بد أن يمضي أولاف هول أولاً. لا بد أن يكون ذلك الابن الشجاع! أصبحت يدها تتحركان الآن مثل المجرفة بعد أن أصبحت أمامهما مساحة أكبر للحركة. وضع أصابعه داخل فتحات الشبكة المعدنية وشدها صوبه. لقد نجح! تحركت. شدّ مجدداً، وأحسّ به؛ الهواء. فيه رائحة رماد ثقيل، لكنه هواء. شرط أن يبقى. دفع الثلج بعيداً، وأقحم يديه في الداخل. وجدت يدها شيئاً له ملمس البوليسثيرين. أدرك أنها جذوع نصف محترقة. لقد صمدت شبكة الموقد في وجه الانهيار الثلجي، لذا كان الموقد خالياً من الثلج. استمر في الحفر.

بعد دقائق قليلة - أو ربما ثوانٍ فقط - وجد نفسه داخل الموقد الكبير يتنشق الهواء ويسعل الرماد.

وأدرك أنه كان لغاية الآن يفكر في شيء واحد فقط، ألا وهو نفسه. حرّك ذراعه حول زاوية الموقد؛ إلى حيث كانت معدات التزلج الخاصة بوالده. فتش في الثلج إلى أن وجد ما كان يبحث عنه؛ أحد قضبان التزلج. أمسك بالسلسلة الموجودة في طرف القضيب وشده. انزلق القضيب المعدني الصلب الناعم والخفيف عبر الثلج. أحضر القضيب إلى الموقد، ووضعه بين ساقيه. دفع رجله معاً ونزع السلة.

أصبح لديه الآن قضيب طوله أكثر من متر ونصف المتر تقريباً.

لا يمكن أن يكون كاجا وكولكا بعيدين كثيراً عن مكانه. تخيل نظام شبكة الموقد، تماماً مثلما يفعلون في مسرح الجريمة بحثاً عن الأدلة، وبدأ يحرك القضيب. عمل بسرعة، وحركه بأكبر قوة ممكنة. كانت هذه مجازفة محسوبة. أسوأ سيناريو هو أن يرتطم بعين أو يذبح حنجرة. لكن أفضل سيناريو هو أنهما ما زالا يتنفسان. حرك القضيب إلى اليسار حيث تصوّر أنه كان مستلقياً على الأرجح، وأحس أنه واجه بعض المقاومة. سحب القضيب، ثم مدّه بعناية وأحسّ به يرتد مجدداً. وفيما حاول سحب القضيب مجدداً، أحسّ به يعلق. أفلت قبضته عنه، وراه يُسحب بعيداً عنه. ثمة شخص يمسك بالطرف الآخر ويشدّه إلى الأمام والوراء للإشارة إلى أنه على قيد الحياة. سحب هاري القضيب مجدداً؛ بقوة أكبر هذه المرة، لكن الشخص الآخر كان يتشبث به بقوة هائلة. احتاج هاري إلى القضيب، فوضع يده في رباط المعصم، وتوجب عليه استعمال كل قوته لسحب القضيب.

استلقى هاري وهو يتساءل عن سبب عدم وضعه القضيب جانباً وبدئه الحفر، ثم عرف السبب. تردد ثانية أخرى. ثم بدأ يحفر الثلج بالقضيب مجدداً، وإنما هذه المرة إلى يمين المكان الذي كان فيه. وعند الضربة الرابعة، أحسّ بشيء ما؛ إحساس الارتداد نفسه. هل أصاب المعدة؟ أمسك القضيب بأطراف أصابعه ليرى ما إذا كان بوسعه تحسس أي صعود أو هبوط، أو تنفس، ولكن لم تحصل أي حركة. يفترض أن يكون القرار سهلاً. فأقصر طريق هو إلى الفتحة الأولى حيث كانت هناك دلائل حياة؛ لإنقاذ ما يمكن إنقاذه. غير أن هاري ركع على ركبتيه وحفر مثل المجنون؛ نحو الفتحة الثانية.

كانت أصابعه خدرة عندما وصل إلى الجسم، وتوجب عليه استعمال باطن كفّه إذا كانت هناك كنزة صوفية. الكنزة البيضاء. أمسك بكتف، ودفع المزيد من الثلج إلى الجانب، وحرر ذراعاً، ثم سحب الجسم الخالي من الحياة عبر الممر في الثلج. انسدل شعرها على وجهه. لا تزال رائحة كاجا تفوح منه. نجح في سحب رأسها والنصف العلوي من جسمها صوب الموقد، وتحسس نبضها في عنقها، لكن أطراف أصابعه كانت مثل الإسمنت. وضع وجهه على وجهها، لكنه لم يشعر بأي تنفس. فتح فمها، وتأكد من أن لسانها لا يعرقل مجرى التنفس، ثم استنشق وزفر في فمها. ابتعد لاستنشاق هواء جديد، وقمع رغبته في السعال فيما استنشقت جزئيات الرماد، ثم زفر في فمها مجدداً. مرة ثالثة. عدّ: أربعة، خمسة، ستة، سبعة. بدأ رأسه يدور. تخيل

نفسه مجدداً قرب موقد النار في الشاليه في ليسجا، حين كان ولدأ صغيراً يحاول إعادة الرماد الميت إلى الحياة، فيما والده يضحك إلى أن شعر بالدوار وكاد يغمى عليه. لكن، عليه المضي قدماً؛ لأنه عرف أن فرص إنقاذها تتضاءل مع مرور كل ثانية. عندما انحنى فوقها لنفخ الهواء للمرة الثانية عشرة، أحس به؛ دفق ساخن على وجهه. حبس أنفاسه، وانتظر، من دون أن يجروء على التصديق بأن هذا حقيقي. إلا أن الدفق الساخن اختفى، ثم عاد. إنها تتنفس! في تلك اللحظة، ارتجف كل جسمها وبدأت تسعل، ثم سمع صوتها، خفيفاً.

"هل هذا أنت، هاري؟"

"نعم".

"أين... لا أستطيع أن أرى".

"لا بأس. نحن في الموقد".

صمت.

"ماذا تفعل؟"

"أبحث عن جوسي".

عندما وجد هاري كولكا، وأدخل رأسه في الموقد، لم يكن يعرف كم من الوقت قد مرّ. لكن، بالنسبة إلى جوسي، لم يعد هناك أي وقت. أشعل عود كبريت، ولمح العينين الكبيرتين للفنلندي أمام اللهب قبل أن ينطفئ.

قال هاري: "إنه ميت".

"ألا يمكنك تجربة التنفس عبر الفم؟"

أجاب هاري: "لا".

سألته كاجا بهمس خفيف مرتجف: "والآن، ماذا؟"

قال هاري: "علينا الخروج من هنا". وبحث عن يدها، ثم ضغط عليها.

"ألا يمكننا الانتظار هنا إلى أن يعثروا علينا؟"

أجاب: "لا".

قالت: "عود الكبريت".

لم يجب هاري.

قالت كاجا: "انظراً بسرعة. لا يوجد هواء هنا أيضاً. كل الشاليه مدفون تحت الثلج. لهذا السبب، لم تشأ محاولة إنقاذه. لا يوجد هواء يكفيننا نحن الاثنين. هاري...". كان هاري يقف على قدميه، ويحاول شق طريقه إلى الأعلى عبر المدخنة، لكن

المكان ضيق جداً حيث علقت كتفاه. جلس القرفصاء مجدداً، وكسر طرفي قضيب التزلج لتحويله إلى أنبوب مجوف، ثم رفعه في المدخنة ونهض على قدميه مجدداً، وإنما مدد هذه المرة ذراعيه فوق رأسه. بالكاد وصل. أحسّ برهاب الاحتجاز، لكن هذا الرهاب اختفى على الفور؛ كما لو أن الجسم قرر أن الرهاب غير العقلاني ترف لا مكان له الآن. ضغط بظهره على جانب الموقد، واستخدم ساقه لرفع نفسه إلى الأعلى. آلمته عضلات فخذه، وصار يلهث، وعاد الدوار إليه. إلا أنه تابع الصعود؛ رفع قدمه إلى الأعلى، ضغط، ثم رفع القدم الأخرى إلى الأعلى... وكلما ارتفع، أصبح المكان أكثر سخونة، وعرف أن هذا يعني أن الهواء الساخن المتصاعد لا يستطيع الخروج. وأدرك أنه لو كان الموقد مشتعلًا عند حصول الانهيار الثلجي، لكانا قد ماتا منذ وقت نتيجة التسمم بثاني أكسيد الكربون. يمكن تسمية ذلك بالحظ الجيد في أسوأ الأحوال. إلا أن الانهيار الثلجي لم يكن حظاً سيئاً. فالدوي الذي سمعوه... ارتطم القضيب بشيء فوقه. تسلق إلى الأعلى، وتلمس طريقه بيده الحرة. إنه مصبّع حديدي. ذلك النوع الذي يضعونه في أعلى المداخل لمنع السناجب والحيوانات الأخرى من الدخول. مرر إصبعه على الحافة. إنه مثبت في الإسمنت. اللعنة!

وصله صوت كاجا الخفيف: "أشعر بالدوار هاري".
 "تنفسي بعمق".

دفع القضيب عبر المصبع الحديدي الناعم.

لا يوجد ثلج في الجهة الأخرى!

بالكاد انتبه إلى الحمض اللبني المحترق في فخذه، إذ كان متحمساً جداً في دفع القضيب أكثر إلى الأعلى. إلا أنه اكتشف بخيبة أمل أنه ارتطم بشيء صلب؛ طربوش المدخنة. كان يجدر به التذكر أن الشاليه اشتمل على طربوش معدني أسود جذاب في أعلى المدخنة لحمايتها من الثلج والمطر. تلمس طريقه إلى أن وضع القضيب تحت حافة الطربوش وتحسس الكتلة الثلجية الصلبة التي كانت أكثر قساوة مما هي عليه في الشاليه. إلا أن هذا قد يعزى إلى دخول الثلج عنوة إلى الفتحة في القضيب المجوف. دعا كي يشعر بما ينتظره مع إقحام كل سنتيمتر من قضيب التزلج في الثلج؛ أي الغياب المفاجئ للمقاومة، مما يعني أنه كسر جحيم الثلج. ويعني ذلك أنه يستطيع نفخ الثلج خارج هذا الأنبوب وتنفس الهواء المنعش؛ الهواء المعطي للحياة، ودفع كاجا إلى الأعلى وإعطاءها الحقنة نفسها المضادة للموت. إلا أن ذلك الاخرق لم يحصل قط. ضغط الأنبوب بشدة على المصبّع الشبكي ولم يحصل أي شيء. جَرَب

في أي حال، وامتص بأكبر قوة ممكنة، فأحس بالثلج البارد والجاف في فمه، وبقي الطريق مسدوداً. لم يعد بوسعه تحمل الضغط على جانبيه فوق. صرخ عالياً، ومدد ذراعيه وساقيه، وتحسس الجلد المكشوط عن يديه، لكنه تابع الانزلاق إلى الأسفل. ارتطم بالجسم الذي تحته بكلتا ساقيه.

سألها هاري: "هل أنت بخير؟". وهو يتسلق المدخنة مجدداً.
قالت كاجا مع تأوه عميق: "بخير. وأنت؟ هل الأخبار سيئة؟".

أجاب هاري: "نعم". وزحف قربها.
"ماذا؟ ألم تعد مغرماً بي الآن؟".

قهقه هاري وشدها إليه: "أوه، بلى الآن".

أحس بالدموع الساخنة على وجنتيها فيما همست: "هل تزوج الآن؟".

أجاب هاري: "نعم، فلنفعل". وهو مدرك تماماً أن السم في دماغه هو الذي يتكلم الآن.

ضحكت. "إلى أن يفرقنا الموت".

أحس بدفء جسمها، وبشيء صلب؛ القراب والمسدس. أفلتها، وتلمس طريقه صوب كولكا. عرف مسبقاً أنه يستطيع رؤية تحول وجه كولكا إلى اللون الرخامي. مدد يده عبر الثلج صوب عنق الرجل الميت ووصل إلى صدره.
تمت بصوت ضعيف: "ماذا تفعل؟".

"أحضر مسدس جوسي".

سمعها تتوقف عن التنفس لثانية، وأحس بيدها على ظهره، تتلمس طريقها، مثل حيوان فقد طريقه. همست: "لا. لا تفعل ذلك... ليس هكذا... دعنا ننام... إيفن".
كانت الحقيقة مثلما تصورها هاري. لقد خلد جوسي كولكا إلى النوم وهو يضع قراب المسدس على كتفه. فك الزر المثبت للمسدس في مكانه، وأمسك بالمقبض، وجرّ المسدس عبر الثلج. مرر إصبعاً على الأسطوانة. ما من مرمى للتصويب. إنه مسدس وبليرت. نهض بسرعة كبيرة، وأحس بالدوار، وبحث عن دعم، ثم أصبح كل شيء أسود.

كان بيلمان واقفاً ينظر إلى الحفرة البالغ عمقها أربعة أمتار تقريباً عندما سمع الهدير المتقطع لمروحية الإنقاذ تقترب؛ تماماً مثل مكينة السجاد السريعة. استخدم رجاله حقائب الظهر لنقل الثلج، ورفعوه إلى الأعلى بواسطة أحزمة السراويل التي

جرى وصلها ببعضها.

"النافذة!" سمع الرجل يصرخ من الحفرة.

صرخ له ميلانو: "حطمها".

طقتق الزجاج.

سمع عبارة: "أوه يا إلهي!" وعرف أن هذا ينذر بالسوء.

"تم قذف قضيب تزليج".

سمع بيلمان الكلاب تنبح. وحاول تخيل عدد الساعات التي سيحتاجون إليها

لإبعاد الثلج عن الشاليه. أو بالأحرى، عدد الأيام.

أحس هاري بألم فظيع في فكه، وبشيء ساخن يسيل من جبينه وبين عينيه. ختم أن رأسه ارتطم بصخرة عندما وقع وأصيب مجدداً في موضع الكسر في فكه؛ لا بد أن هذا ما أيقظه. لكن الشيء الغريب هو أنه لا يزال واقفاً، ولا يزال ممسكاً بالمسدس في يده. حاول استنشاق الهواء غير الموجود هناك. لا يعرف ما إذا كان يملك الفرصة للقيام بمحاولة أخيرة، ولكن ماذا سيخسر؟ الأمر بسيط: ما من شيء آخر يستطيع القيام به. لذا، وضع المسدس في جيبه، وتسلق المدخنة بصعوبة. ثبتت ساقه على الجانبين عندما وصل إلى الأعلى، وتلمس المصبع الحديدي إلى أن وجد طرف القضيب المعدني الذي كان لا يزال عالقاً في الثلج. كان القضيب مخروطي الشكل تقريباً، مع فتحة أكبر لجهة هاري حيث أدخل فوهة المسدس. دخل ثلثا الفوهة في القضيب. وهذا يعني أنه محاذ تماماً لقضيب التزليج. كان مثل كاتم الصوت، وإنما بطول متر ونصف المتر. لا تستطيع الرصاصة اختراق متر ونصف المتر من الثلج، لكن ماذا لو كان القضيب على مسافة قصيرة من النهاية؟

انحنى فوق المسدس كي لا يدفعه الارتداد إلى الرجوع إلى الخلف وانطلاق الرصاص على شكل زاوية. ثم أطلق النار. وأطلق النار. وأطلق النار. أحس وكأن طبلات أذنيهما ستفجر في المساحة المختومة والمقفلة. توقف بعد أربع رصاصات، ووضع شفثيه على القضيب وامتنص.

امتنص... الهواء.

أحس بذهول كبير لثانية لدرجة أنه كاد يقع إلى الخلف. ثم امتص مجدداً، مع الحرص على عدم هدم النفق الذي فتحته الرصاصات في الثلج. سقطت حبة الثلج واستقرت تحت لسانه. هواء.

مرّ روجر غيندم أمام مبنى كارل جوهانز حيث بدأت المتاجر تفتح. في إيجيرتورجيت، نظر إلى ساعة فريا الحمراء، ولاحظ أن عقربي الساعة يشيران إلى أنها العاشرة وثلاث دقائق. زاد سرعته.

تم استدعاؤه على عجل من قبل بينت نوردبو؛ رئيس تحريرهم السابق والأسطوري الذي بات الآن عضواً في مجلس الإدارة ومرشداً ملهماً.

انعطف إلى اليمين، صعوداً إلى أكيرسجاتا حيث اجتمعت كل الجرائد معاً في تلك الأيام التي كان فيها الإصدار الورقي للجريدة سيد الصحافة بامتياز. انعطف نحو اليسار صوب المحاكم القانونية، وصولاً إلى أبوتيكرجاتا ودخل إلى ستوب بريسين، وهو منقطع الأنفاس. لم يتمكن بعد من حسم الأمر في ما إذا كانت المهمة المطلوبة منه هي الذهاب إلى نادٍ رياضي أو إلى مقهى إنكليزي تقليدي. قد تكون الأمرين معاً، لأن الهدف هو أن يشعر كل الصحفيين بالارتياح هنا. على الجدران، علّقت الصور الفوتوغرافية التي تعرض ما لفت الأمة، وأحزنها، وأفرحها، وأرعبها خلال العشرين عاماً الماضية. يرتبط معظم الصور بأحداث رياضية، ومشاهير، وكوارث طبيعية. إضافة إلى عدد من السياسيين الذين ينتمون إلى الفئتين الأخيرتين.

وبما أن هذه المؤسسة على مسافة قريبة جداً من مكاتب الجريدتين الباقيتين في أكيرسجاتا - أي فيردنز غانغ وداغلاديت - أمكن اعتبار ستوب بريسن بمثابة امتداد لتينك الجريدتين، لكن يمكن في الوقت الحاضر رؤية شخصين فقط في الداخل؛ النادل وراء رف العرض، ورجل جالس أمام طاولة في الخلف، وراء رف من الكتب الكلاسيكية المنشورة من قبل جيلدانندال وجهاز راديو قديم بدا جلياً أنه مخصص لمنح المكان طابعاً معيناً.

الرجل الجالس وراء الطاولة كان بينت نوردبو. يملك مظهر جون جيلغود المتكبر، ونظارة جون ماجور الكبيرة، وجسر تقويم أسنان لاري كينغ. وكان يقرأ جريدة ورقية حقيقية. سمع روجر أن نوردبو يقرأ فقط نيويورك تايمز، وفاينانشال تايمز، وغارديان،

وتشاينا دايلي، وسودوتش زايونج، وآل بايس، ولو موند؛ رغم أنه يقرأها كل يوم. قد يخطر في باله أحياناً أن يقلّب صفحات براهدا وسولفينيان ديفنيك، لكنه يصرّ على أن لغات أوروبا الشرقية ثقيلة جداً على العين.

توقف غيندم أمام طاولته وسعل. أنهى بيتت نوردبو قراءة السطور الأخيرة من مقالة حول قيام المهاجرين المكسيكيين بإعادة إحياء المناطق المنكوبة من البرونكس، وألقى نظرة سريعة على الصفحة للتأكد من عدم وجود شيء آخر مهم. ثم أنزل نظارته الكبيرة عن عينيه، وأخرج المنديل من جيب صدر سترة التويد الخاصة به، ونظر إلى الرجل المتوتر، ومنقطع الأنفاس الواقف قرب طاولته.

"روجر غيندم، مثلما أفترض".

"نعم".

طوى نوردبو الجريدة. قيل لغيندم أيضاً إنه حين يعيد الرجل فتحها مجدداً، فهذا يعني أن المحادثة قد انتهت. أحنى نوردبو رأسه، وبدأ مهمة تنظيف نظارته.

"لقد عملت على قضايا جرمية طوال أعوام عدة، وتعرف العديد من الأشخاص في كريبوس وقسم مكافحة الجرائم، أليس كذلك؟".

"نعم... سيدي".

"مايكل ييلمان. ماذا تعرف عنه؟".

أغمض هاري عينيه أمام الشمس الداخلة إلى غرفته. لقد استيقظ للتو، وأمضى الثواني الأولى وهو يطرد الأحلام ويعيد ترميم الحقيقة.

لقد سمعوا طلقاته النارية.

وكشفوا عن قضيب التزلج مع أول كشط بالرفش.

بعد ذلك، أخبروه أن ما أخافهم كثيراً هو أن يتعرضوا لإطلاق النار أثناء حفرهم نفقاً في المدخنة.

آلمه رأسه كما لو أنه لم يشرب منذ أسبوع. أنزل هاري ساقيه عن السرير، ونظر في أرجاء الغرفة التي أعطي إيّاها في الفندق الجبلي في أوستاوسيت.

تم نقل كاجا وكولكا بالمروحية إلى أوسلو ومستشفى ريكس. رفض هاري الانضمام إليهما. فقد كذب وقال إنه حصل على الكثير من الهواء طوال الوقت، وإنه بخير تماماً، فسمحوا له بالبقاء.

وضع هاري رأسه تحت الصنوبر في الحمام وشرب. "ليس الماء سيئاً أبداً، لا

بل إنه جيد فعلاً أحياناً". من كان يقول ذلك؟ راكيل كلما أرادت من أوليغ أن يشرب الماء أثناء جلوسه إلى المائدة. أدار جهازه الخليوي الذي بقي مطفأ منذ أن غادر إلى هافاس. ثمة إرسال هنا في أوستاوسيت، مثلما ظهر على شاشة العرض. ظهر أيضاً أن هناك رسالة في انتظاره. أدار هاري الرسالة، لكنها كانت ثانية واحدة من السعال والضحك قبل أن ينقطع الاتصال. تحقق هاري من رقم المتصل؛ إنه رقم هاتف خلوي، ويمكن أن يخص أياً كان. ثمة شيء مألوف فيه، لكنه حتماً ليس من مستشفى ريكس. أياً يكن المتصل، فسوف يعاود الاتصال على الأرجح إذا كانت المسألة مهمة.

في قاعة الفطور، جلس مايكل بيلمان على كرسي كبير وكوب القهوة أمامه، بالإضافة إلى جرائد مطوية ومقروءة. لا يحتاج هاري إلى النظر إليها لمعرفة أن هناك المزيد من الأخبار عن الموضوع نفسه، المزيد عن "القضية"، المزيد عن عجز الشرطة، المزيد من الضغط. إلا أن عدد اليوم لم يكن على الأرجح سريعاً كفاية لذكر موت جوسي كولكا.

قال بيلمان: "كاجا بخير".

"مم. أين الآخرون؟".

"ذهبوا في قطار الصباح إلى أوسلو".

"لكنك لم تفعل، لماذا؟".

"فكرت في أن أنتظرك. ما رأيك؟".

"فيم؟".

"في الانهيار الثلجي. أهو مجرد أمر يحدث؟".

"لا أعرف".

"لا؟ هل سمعت الدوي قبل حصول الانهيار؟".

"قد يكون سببه وقوع الثلج المتراكم في الأعلى وارتطامه بجانب الجبل. وهذا ما أدى بدوره إلى الانهيار الثلجي".

"هل تظن أن هذا ما حصل؟".

"لا أعرف ما الذي حصل بالضبط. لكن، لا شك في أن الضجيج يسبب الانهيار الثلجي".

هزّ بيلمان رأسه. "حتى أهالي الجبال يعتقدون أن الموجات الصوتية تسبب الانهيارات الثلجية. تسلقت جبال الألب مع خبير في الانهيارات الثلجية، وأخبرني أن الأشخاص ما زالوا يعتقدون أن الانهيارات الثلجية التي حصلت خلال الحرب

العالمية الثانية نجمت عن نيران المدافع. لكن الحقيقة هي أنه لكي تسبب نار المدافع انهياراً ثلجياً، لا بد أن تكون الإصابة مباشرة".
"مم. إذا؟".

"هل تعرف ما هذا؟". رفع بيلمان قطعة معدنية صغيرة بين إبهامه وسبابته. قال هاري: "لا". وأشار إلى النادل الذي كان يزيل أطباق الفطور من أمامه وأبلغه أنه يريد فنجان قهوة.

نددن بيلمان قصيدة "الأفزام والجنيات" للمؤلف ويرجلاند التي تتحدث عن البناء في الجبال ونسف الصخرة إلى أجزاء.
"لا أعرف".

"لقد خيّت أملي هاري. حسناً، أنا متقدم عليك ربما. لقد ترعرعت في مانغلوود في حقبة السبعينيات في بلدة متوسعة. حفروا الأراضي حولنا من كل الجهات. كانت أصوات طفولتي عبارة عن انفجارات رزم الديناميت. وبعدها غادر البنّاؤون، تجولت قليلاً في المنطقة، وعثرت على قطع من كابل أحمر بلاستيكي وأجزاء ورقية صغيرة من أصابع ديناميت. أخبرتني كاجا أنهم يملكون طريقة خاصة لصيد السمك هنا. أصابع الديناميت شائعة أكثر من ضوء القمر. لا تقل لي إن الفكرة لم تخطر في بالك".
قال هاري: "حسناً. هذا جزء من غطاء إصبع ديناميت. متى وأين عثرت عليه؟".
"بعدها تم إنقاذك في الليلة الماضية. فتشنا أنا ورجلان آخران المكان الذي انطلق منه الانهيار الثلجي".

"هل من آثار تزلج؟". أخذ هاري القهوة من النادل وشكره.
"لا. المكان مكشوف هناك، حيث إن الرياح تزيل أي آثار تزلج يمكن أن تكون قد تواجدت. لكن كاجا تقول إنها سمعت صوت دراجة ثلجية".
"بالكاد. وكان هناك وقت بين سماعها الصوت وبين الانهيار الثلجي. لا بد أنه ركن الدراجة الثلجية بعيداً قبل أن يصل إلى هناك كي لا نسمعها".
"خطرت لي الفكرة نفسها".

"وماذا الآن؟". ارتشف هاري القهوة بتردد.

"نبحث عن آثار دراجة تزلج".

"الشرطي المحلي...".

"لا يعرف أحد مكانه. لكنني استطعت الحصول على دراجة ثلجية، وخريطة، وجبل تسلق، وفأساً للجليد، ومؤونة. لذا، لا تتأخر كثيراً في احتساء قهوتك، لأن

الثلج سيتساقط بعد ظهر اليوم حسب توقعات الأحوال الجوية".

بلوغ أعلى المنطقة التي بدأ فيها الانهيار الثلجي، شرح لهما مدير الفندق الدانماركي أنه عليهما التحرك على شكل قوس عريضة غرب شاليه هافاس، ولكن ليس كثيراً صوب الجهة الشمالية الغربية، حيث يمكن أن يصبحا في منطقة تعرف باسم كجيفتن. تم إطلاق هذا الاسم عليها، ويعني "الفكين"، بسبب الصخور المسننة المتناثرة فيها على شكل أنياب. ثمة أجراف ومنحدرات مفاجئة في السهل الجبلي المرتفع؛ مما يجعل المكان خطراً جداً للتجول فيه في الطقس السيئ إذا لم يكن المرء يعرف المنطقة جيداً.

كانت الساعة الثانية عشرة تقريباً عندما نظر هاري وبيلمان إلى المنطقة الجبلية، حيث يمكنهما الاستفادة من المدخنة للوصول إلى قعر الوادي. انتقلت الغيوم من جهة الغرب. نظر هاري إلى الجهة الشمالية الغربية. اختفت الظلال والحدود من دون الشمس.

قال هاري: "لا بد أنه جاء من هناك. وإلا لكنا قد سمعناه حتماً".

قال بيلمان: "كجيفتن".

بعد ساعتين، وبعد اجتياز المنطقة الثلجية من الجنوب إلى الشمال على طريقة السرطان من دون العثور على أي آثار لدراجة ثلجية، أخذوا فترة استراحة. جلسا قرب بعضهما على المقعد، وشربا من زجاجة "الترموس" التي أحضرها بيلمان معه، فيما سقط ثلج خفيف.

قال بيلمان: "وجدت ذات مرة إصبع ديناميت غير مستعملة في الأرض في مانغلوود. كان عمري خمسة عشر عاماً. في مانغلوود، كان الأولاد يفعلون ثلاثة أمور. الرياضة أو التعبد أو المخدرات. ولم أكن مهتماً في أي منها، ولا حتماً في الجلوس قرب نافذة مكتب البريد في انتظار أن تأخذني الحياة من الحشيش والهروين، عبر شمّ الغراء، إلى القبر؛ مثلما حصل مع أربعة صبيان في صفي".

لاحظ هاري كيف عادت لكنة مانغلوود القديمة إلى لغته النرويجية.

قال بيلمان: "كرهت كل ذلك. لذا، إن خطوتي الأولى نحو العمل في سلك الشرطة تمثلت في أخذ إصبع الديناميت إلى ما وراء دار عبادة مانغلوود؛ حيث كان متعاطو المخدرات يفترشون الأرض!".

"يفترشون الأرض؟".

"كانوا يحفرون حفرة يضعون فيها، رأساً على عقب، قنينة مقطوعة العنق مع شبكة داخلها، حيث الحشيش يحترق ويتن. كانوا يضعون أنابيب بلاستيكية تحت الأرض، تنطلق من الحفرة وتصل إلى أنحاء مختلفة على مسافة نصف متر. ثم يفترشون العشب ويمص كل واحد أنبوه. لا أعرف لماذا...".

قهقه هاري: "التبريد الدخان. تحصل على تخدير أكثر من مخدر أقل. تقنية لا بأس بها بالنسبة إلى المدمنين. يبدو جلياً أنني قلت من أهمية مانغلوود".
"إلا أنني سحبت واحداً من تلك الأنابيب واستبدلته بإصبع ديناميت".
"هل فجرت المكان؟".

أوماً بيلمان برأسه، وضحك هاري.
ابتسم بيلمان: "تطائر التراب طوال ثلاثين ثانية".
صمت. عصفت الريح الباردة على علو منخفض.
قال بيلمان وهو ينظر إلى كوبه: "في الواقع، أردت أن أشكرك؛ لأنك أخرجت كاجا في اللحظة الأخيرة".

هزّ هاري كتفه. كاجا. يعرف بيلمان أن هاري على علم بعلاقتهما. كيف؟ وهل يعني ذلك أن بيلمان على علم بما بينه وبين كاجا أيضاً؟
قال هاري: "لم يكن لديّ شيء آخر لفعله هناك".

"بلى، كان لديك. نظرت إلى جثة جوسي قبل أن تنقلها المروحية".
لم يجب هاري، وإنما اكتفى بطرف عينيه أمام الثلج الذي بدأ يتساقط بكثافة.
"كشفت الجثة عن جرح على جانب العنق. وكان هناك المزيد من الجروح على راحتي اليدين؛ نتيجة طرف مستدق لفضيب تزلج ربما. لقد وجدته أولاً، أليس كذلك؟".
قال هاري: "ربما".

"الجرح على العنق كان مغطى بدم جديد. لا بد أن قلبه كان يخفق عندما أصيب بذلك الجرح، هاري. لا بل إنه كان يخفق بشدة أيضاً. كان يمكن إنقاذ رجل حي في الوقت المناسب. لكنك فضلت إنقاذ كاجا، أليس كذلك؟".
قال هاري: "حسناً. أعتقد أن كولكا كان محقاً". سكب بقية قهوته فوق الثلج.
"الخياران مران". كرر بلكنة سويدية.

عثرا على آثار دراجة التزلج عند الساعة الثالثة، على مسافة كيلومتر واحد من الانهيار الثلجي، بين صخرتين كبيرتين على شكل نابين؛ في مكان بعيد عن الريح.

قال هاري وهو يشير إلى حافة المسار الذي خلفه الرباط المطاطي للدراجة. "كان أمام الدراجة وقت للانغراز في الثلج". مرر إصبعه على وسط المسار الشمالي لرباط الدراجة الثلجية، فيما أبعد ييلمان الثلج الخفيف والجاف المتساقط. قال وهو يشير: "نعم. انعطف هنا، ثم توجه إلى الشمال الغربي". قال هاري وهو ينظر إلى السماء، ويخرج هاتفه من جيبه: "نحن نقرب من المنحدرات، وبات الثلج أكثر كثافة. علينا الاتصال بالفندق والطلب منهم أن يرسلوا لنا مرشداً على دراجة ثلجية. اللعنة!". "ماذا؟".

"لا إرسال. علينا أن نعود إلى الفندق بنفسينا".

تأمل هاري شاشة الهاتف. لا يزال هناك ذاك الاتصال من الرقم المؤلف نوعاً ما لشخص ترك تلك الأصوات على بريده الصوتي. الأرقام الثلاثة الأخيرة، أين رآها؟ ثم تذكر. ذكرة التحري. كان الرقم في ملف "المشتبه بهم السابقون"، محفوراً على بطاقة مهنية.

بالترافق مع اسم "طوني س. لايك، مقاول". رفع هاري عينيه ببطء، ونظر إلى ييلمان.

"لايك على قيد الحياة".

"ماذا؟".

"أو على الأقل هاتفه. فقد حاول الاتصال بي عندما كنا في هافاس".

حدق ييلمان في هاري من دون أن تطرف عيناه. استقر الثلج المتساقط على أهدابه الطويلة، وبدت البقع البيضاء وكأنها تتلألأ. كان صوته منخفضاً، وأشبه بهمس. "الرؤية جيدة، أليس كذلك هاري؟ ولا يوجد ثلج في الأجواء". قال هاري: "إنها رؤية استثنائية. لا يمكن رؤية أي كرة ثلجية متساقطة". قفز بسرعة على الدراجة الثلجية.

تقدما على الثلج؛ بمعدل مئة متر كل مرة. حددا المسار المحتمل للدراجة الثلجية، ومحو الآثار بواسطة مكنسة، وتقدما إلى الأمام. الإزميل المقعر في الجانب الأيسر، الناجم على الأرجح عن حادث، عنى أنهما يلحقان بالمسار الصحيح للدراجة الثلجية. في بعض الأماكن، في تجويفات صغيرة أو في قمم هضبات لفحتها الرياح، كان المسار واضحاً واستطاعا التقدم بسرعة؛ ولكن ليس بسرعة كبيرة. لقد أذره هاري

مرتين قبلاً بشأن الأجراف، وقد اقتربا أحياناً من الهاوية. إنها الساعة الرابعة تقريباً. أنار بيلمان المصابيح وأطفأها، وقدّر كمية الثلج المتناثرة على وجهيهما. تأمل هاري الخريطة. إنه لا يعرف أبداً أين هما الآن، وإنما عرف فقط أنهما يتبعدان أكثر فأكثر عن أوستاوسيت، وأن ضوء النهار بدأ يضمحل. ثمة جزء صغير في هاري بدأ يقلق بشأن رحلة العودة، فيما الجزء الأكبر لديه لم يكن مبالياً.

وعند الساعة الرابعة والنصف، أضاعا الطريق.

كان الثلج المتساقط كثيفاً جداً، حيث بالكاد استطاعا الرؤية.

صرخ هاري فوق هدير المحرك: "هذا جنون. لماذا لا ننتظر حتى الغد؟".

استدار بيلمان صوبه، وأجاب بابتسامة.

عند الساعة الخامسة، وجدا الآثار مجدداً.

توقفا ونزلا عن الدراجة الثلجية.

قال بيلمان: "الطريق من هنا. هيا".

قال هاري: "انتظر".

"لماذا؟ هيا! سيهبط الظلام قريباً".

"عندما صرخت الآن، هل سمعت الصدى؟".

توقف بيلمان: "الآن تحدث عن هذا. أهنالك جرف؟".

قال هاري، وهو يستدير صوب المسارات الواضحة: "لا توجد أجراف على

الخريطة".

صرخ: "هناك وادٍ شديد الانحدار". وتلقى جواباً، جواباً سريعاً جداً. استدار

صوب بيلمان.

"أعتقد أن الدراجة الثلجية التي خلّفت هذه المسارات تواجه ورطة كبيرة".

كرر روجر غيندم لكسب بعض الوقت: "ماذا أعرف عن بيلمان؟ إنه مشهور بكفاءته

الكبيرة ومهنيته العالية". ما الذي يسعى وراءه نوردبو، رئيس التحرير الأسطوري؟ تابع

غيندم قائلاً: "إنه ينجز كل الأمور الصحيحة، ويتعلم بسرعة، ويستطيع السيطرة علينا

نحن الصحفيين. إنه نوع من الطفل الأعجوبة. سيدي، إذا كنت تعرف...".

قال بينت نوردبو مع ابتسامة ساخرة: "أتحفّظ نوعاً ما على التعبير". وفرك بإبهامه

الأيمن وسببته المنديل بقوة فوق نظارته. "إلا أنني مهتم أكثر في ما إذا كانت هناك

شائعات تسري حوله".

قال غيندم: "شائعات!؟"، ولم يتبته إلى أنه عاد إلى عادته القديمة بترك فمه مفتوحاً بعد التكلم.

"أمل فعلاً في أن تكون قد فهمت المقصود، غيندم. فهذا ما تعيش منه أنت ومديرك، أليس كذلك؟".

تردد غيندم. "هناك الكثير من الشائعات".

برم نوردبو عينيه. "مضاربات، تلفيقات، أكاذيب مباشرة... أنا لا أقصد الأمور الجميلة، غيندم. اقلب كيس الشائعات رأساً على عقب، واكشف عن الأشياء السيئة".
"إذاً، أشياء سيئة؟".

أطلق نوردبو تنهيدة عميقة. "غيندم، يا صديقي العزيز، هل تسمع غالباً شائعات عن رزانة الأشخاص، أو كرمهم المالي، أو إخلاصهم لشركائهم، أو أسلوبهم القيادي غير الخبيث؟ هل يمكن أن يحصل ذلك لأن وظيفة الشائعات هي إرضاء الباقين عبر وضعنا تحت مجهر أفضل؟". أنهى نوردبو تنظيف أول عدسة، وياشر في تنظيف العدسة الثانية.

قال غيندم: "إنها شائعة تافهة جداً جداً". وأضاف بخفة: "وأعرف تماماً أشخاصاً آخرين يملكون السمعة نفسها لكنهم ليسوا كذلك حتماً".

قال نوردبو: "بصفتي رئيس تحرير سابقاً، أوصيك بحذف كلمة حتماً أو قطعاً. إنه تكرار لا معنى له. ليسوا ماذا؟".

"أوه، ليسوا غيورين".

"ألستا جميعاً غيورين؟".

"غيورون بعنف".

"هل ضرب زوجته؟".

"لا، لا أعتقد أنه مدّ يده عليها، أو أن لديه سبباً لفعل ذلك. لكن الذين تأملوها جيداً...".

السقوط

استلقى هاري وبيلمان على بطنيهما عند الحافة، حيث توقفت آثار الدراجة الثلجية. نظرا إلى الأسفل؛ أجراف عميقة وسوداء منحدره إلى الجهة الداخلية، ومختفية في طبقة سميكة من الثلج.

سأله بيلمان: "هل يمكنك رؤية أي شيء؟".

أجاب هاري: "ثلج". ومرر له المنظار.

"الدراجة الثلجية موجودة هناك". نهض بيلمان وتوجه صوب عربتهما. "سوف نزل إلى الأسفل".

"نزل!؟".

"نزل".

"أنا؟! ظننتك الخبير في الجبال هنا بيلمان".

قال بيلمان: "صحيح". فيما بدأ يحضّر العدة. "لذا، من المنطقي أن أتولى شخصياً تشغيل الجبال ومكبح الجبل. طول الجبل سبعون متراً. سأنزله بقدر ما أستطيع. اتفقنا؟".

بعد ست دقائق، وقف هاري على الحافة وظهره إلى الهوة؛ واضعاً شريط المنظار حول عنقه، فيما تدلت سيجارة من فمه.

ابتسم بيلمان قائلاً: "هل أنت متوتر؟".

أجاب هاري: "لا، بل خائف جداً".

تحقق هاري من مرور الجبل عبر المكبح من دون أي عراقيل، حول جذع الشجرة الضيق خلفهما وصولاً إلى عدة هاري.

أغمض هاري عينيه، واستنشق الهواء، وركز على الانحناء إلى الخلف؛ مقاوماً معارضة جسمه البدهية للهبوط، والتي تكوّنت على مرّ ملايين سني الخبرة، والقائلة إن الإنسان لا يستطيع النجاة إذا وقع من جرف.

تغلب الدماغ على الجسم بهامش بسيط جداً.

في الأمتار القليلة الأولى، استطاع دعم ساقيه على الجرف. لكن فيما نزل أكثر، أصبح معلقاً في الهواء. تم إرخاء الجبل على دفعات، لكن مرونته خففت من ضيق المعدات حول ظهره وفخذيته. ثم أصبح الجبل مستوياً أكثر فأكثر. وبعد برهة لم يعد قادراً على رؤية أعلى الجرف، وأصبح وحيداً ومتأرجحاً بين الثلج الأبيض والجرف الأسود. اتكأ ونظر إلى الأسفل. وهناك، تحت مسافة عشرين متراً، لمح صخوراً سوداء حادة ناتئة من الثلج، وركاماً كثيفاً. وفي وسط الأسود والأبيض، ثمة شيء أصفر.

صرخ هاري: "أستطيع رؤية الدراجة الثلجية". وتردد الصدى بين جدران الجرف. كانت الدراجة مقلوبة رأساً على عقب في الهواء. وبما أنه والجبل غير متأثرين بالريح، استطاع الحكم بأن الدراجة ممتدة على مسافة ثلاثة أمتار تقريباً، وعلى عمق أكثر من سبعين متراً. إذاً، لا بد أن الدراجة الثلجية كانت تتحرك بسرعة بطيئة جداً قبل أن تقع. أصبح الجبل مشدوداً.

صرخ هاري: "أكثر".

إلا أن الجواب الآتي من الأعلى بدا وكأنه صادر من منصة وعظ: "هذا أقصى مدى يصل إليه الجبل".

حدّق هاري في الدراجة الثلجية. ثمة شيء خارج من تحتها إلى جهة اليسار. ذراع عارية، وسوداء، ومتفخخة مثل قطعة نقانق تم شواؤها لوقت طويل جداً. يد بيضاء على صخرة سوداء. حاول التركيز، وإجبار عينيه على الرؤية بصورة أفضل. راحة يد مفتوحة. أصابع. مشوهة، ومعقوفة. عاد دماغ هاري بالذاكرة إلى الوراء؛ إلى ما قاله طوني لايك عن مرضه: غير معد وإنما وراثي فقط. التهاب مفاصل.

نظر هاري إلى ساعته. ردة فعل التحري. تم العثور على الرجل الميت عند الساعة 17:54. غطت العتمة كل المكان.

صرخ هاري: "إلى الأعلى".

لم يحصل أي شيء.

"بيلمان؟".

لا جواب.

هبت ريح قوية، وبرمت هاري المتدلي حول الجبل. صخور سوداء. عشرون متراً. فجأة، ومن دون سابق إنذار، أحسّ بقلبه يخفق، وأمسك تلقائياً بالجبل بكلتا يديه للتأكد من أنه لا يزال موجوداً. كاجا. بيلمان كان يعرف. تنفس هاري بعمق، ثلاث مرات، قبل أن يصرخ مجدداً.

"بدأت العتمة تسيطر، والرياح تعصف بقوة، وأنا أتجمد بيلمان. حان الوقت لإيجاد ملاذ".

لكن، لا جواب. أغمض هاري عينيه. هل كان خائفاً؟ هل هو خائف ربما من أن يقوم زميل عقلائي ظاهرياً بقتله بدافع النزوة لأن الظروف بدت ملائمة. طبعاً، إنه خائف كثيراً؛ لأن هذه ليست نزوة. فليست مصادفة أن يبقى وحده للذهاب إلى السهول الثلجية مع هاري. أم إنها مصادفة؟ أخذ نفساً عميقاً. يستطيع بيلمان بسهولة تدبير الأمر لجعله يبدو وكأنه حادث. إذ بإمكانه أن ينزل وراءه ويزيل الحبل والعدّة، ويقول إن هاري قد زلّت قدمه على الثلج. لقد جفّت حنجرتة. لن يحصل ذلك. لم ينقذ نفسه من الانهيار الثلجي ليمت إسقاطه في وادٍ سحيق بعد اثنتي عشرة ساعة؛ ومن قبل شرطي. لن يحدث هذا. لا...

اختفى الضغط من العدّة. إنه يسقط، يسقط بحرية، وسرعة.

قال غيندم: "تقول الشائعة إن بيلمان أساء معاملة زميل له؛ لمجرد أن الرجل رقص مرتين معها في حفلة الكرسمس التي أقامتها الشرطة. أراد الرجل الإبلاغ عن كسر في الفك وتحطم في الجمجمة، لكنه لم يملك أي دليل؛ لأن المهاجم كان يضع قبة صوفية ملونة على وجهه. لكن الجميع عرفوا أنه بيلمان. كانت المشاكل تتزايد، ولذلك تقدم بطلب لنقله إلى الأوروبول".

"هل تعتقد أن هذه الشائعات صحيحة، غيندم؟".

هزّ روجر كتفه. "يبدو حتماً أن بيلمان يملك... ميلاً لهذا النوع من الاعتداءات. نظرنا أيضاً إلى الخلفية المهنية لجوسي كولكا بعد حصول الانهيار في شاليه هافاس. تبين أنه ضرب فتاة أثناء التحقيق معها. وكذلك ترولس بيرنستن، الحارس الشخصي لبيلمان، ليس بالرجل اللطيف أيضاً".

"جيد. أريدك أن تغطي ذلك الصراع بين كريوس وقسم مكافحة الجرائم. أريدك أن تكشف عن بعض الأدلة الرهيبة. ويفضل أن ترتبط بأسلوب الإدارة المضطرب. هذا كل شيء. ولنرّ بعدها كيف ستكون ردة فعل وزارة العدل".

ومن دون أي إشارة، أو تحيات وداع، وضع بينت نوردبو نظارته على عينيه مجدداً وفتح الجريدة وبدأ يقرأ.

لم يكن أمام هاري وقت للتفكير. لا أحد يفكر. ولم يرَ أيضاً شريط حياته يمرّ

أمامه، ووجوه الأشخاص الذين أحبه، ولم يشعر أنه مدفوع للسير نحو أي ضوء. ربما لأنه لا يمكن لأي كان الوصول إلى هذا الحد عند السقوط من علو خمسة أمتار. ضغط الجبل على ظهره ومنفرج ساقيه، لكن مرونة الجبل أتاحت له إبطاء السرعة قليلاً. ثم أحسّ بنفسه يرتفع إلى الأعلى مجدداً، وعصفت الريح الثلجية على وجهه. "بالله عليك، ما الذي حصل؟". سأل هاري عندما أصبح واقفاً على حافة الوادي العميق، بعد خمس عشرة دقيقة، وهو يتأرجح في الهواء، فيما فك الجبل عن العدة المطوقة لخصره.

"لقد خفت كثيراً، أليس كذلك؟". ابتسم بيلمان.

لكن، بدل إنزال الجبل على الأرض، لفته هاري حول يده اليمنى. تحقق من أنه يملك طولاً كافياً من الجبل يتيح له التذلي. لكمة سريعة على الذقن. والجبل يعني أنه يستطيع استخدام يده مجدداً غداً، وليس كما حصل عندما ضرب بيورن هولم وعانى طوال يومين من ألم في براحمه.

تقدم خطوة إلى الأمام نحو بيلمان، ورأى تعابيره المندهشة عندما شاهد الجبل ملتفاً حول معصم هاري، ورآه يتراجع إلى الخلف، ويتعثر ويقع إلى الخلف على الثلج. "لا! أنا... توجب عليّ فقط ربط عقدة في طرف الجبل كي لا ينزلق عبر المكبح...". تابع هاري تقدمه نحوه، ورفع بيلمان - الذي بات الآن مغطى بالثلج - ذراعه بصورة تلقائية ووضعها أمام وجهه.

"هاري! كانت... كانت الريح قوية جداً، وانزلت...".

توقف هاري ونظر إلى بيلمان بدهشة، ثم تابع طريقه متجاوزاً رئيس الشرطة المرتجف، ومتحركاً بثقل على الثلج.

هبت الرياح الثلجية عبر الملابس الخارجية والملابس الداخلية، لتصل إلى البشرة واللحم والعضلات؛ وصولاً إلى العظام. أمسك هاري بقضيب تزلج مربوط بالدراجة الثلجية، وفتش قليلاً عن شيء آخر يستطيع ربطه بالأعلى، لكنه لم يجد شيئاً، ولا مجال أبداً لأن يضحى بأي شيء من ملابسه. غرز بعدها القضيب في الثلج لتحديد المكان. وحده الله يعلم كم سيمرّ من وقت قبل العثور عليهما مجدداً. ضغط على زر المشغل الكهربائي، ووجد الأضواء وأنارها. وعرف هاري الحقيقة فجأة. رآها في الثلج المتساقط بشكل أفقي على الأضواء ليكون جداراً أبيض لا يمكن اختراقه. لن يتمكن أبداً من الخروج من هذه المتاهة والعودة إلى أوستاوسيت.

عبور

كان كيم إريك لوكر أصغر شرطي في قسم الشرطة الجنائية في كريمتكنيسك. ووفق هذا الأساس، كانت توكل إليه مهام ذات طبيعة أقل جرمية؛ مثل القيادة إلى درامين. ذكر بيورن هولم أن بروون مثلي من النوع الذي يحب المغازلة، لكن المطلوب من إريك فقط هو تسليمه الملابس ومن ثم المغادرة.

عندما قالت المرأة في جهاز الملاحه في السيارة "لقد وصلت إلى مقصدك"، وجد نفسه أمام مجموعة قديمة من الشقق. ركن السيارة، ودخل عبر الأبواب المفتوحة وصولاً إلى الطابق الثاني؛ إلى الباب الذي كتبت عليه عبارة "غير بروون/ أديل فيتلسين" على ورقة مثبتة بشريطين لاصقين.

ضغط كيم إريك على الجرس؛ مرة، مرتين. وأخيراً، سمع صوت شخص آتٍ في الرواق.

فتح الباب. لم يكن الرجل يضع أكثر من منشفة حول خصره، وبدا شاحباً على نحو غير اعتيادي، وكان أعلى رأسه مبللاً ولامعاً نتيجة العرق. قال كيم إريك لوكر: "غير بروون؟ أمل أنني لا أقاطعك". حاملاً الكيس بذراعه الممدودة.

قال غير بروون بصوت ناعم نجح بيورن هولم في تقليده: "لا، أبداً. كنت ألعب. ما هذا؟".

"الملابس التي استعرتها. لكنني أخشى القول إنه توجب علينا إبقاء سروال التزلج حتى إشعار آخر".
"حقاً!".

سمع كيم إريك الباب يفتح خلف غير بروون، وصرخ صوت أنثوي تماماً: "ما الأمر حبيبي؟".

"مجرد شخص يوصل شيئاً ما".

جاءت ووقفت خلف غير بروون، ولم تزعج نفسها حتى يلف جسمها بمنشفة،

واستطاع كيم إريك الحسم أن هذا الكائن الصغير أنثى مئة في المئة.
قالت من فوق كتف غير بروون: "مرحباً. إذا لم يكن هناك أمر آخر، فأنا أودّ
استرجاعه". ورفعت قدمها الصغيرة بخفة وركلت الباب. بقي زجاج الباب يرتجف
ويهتز لوقت طويل بعد انغلاق الباب.

أوقف هاري الدراجة الثلجية، وكان يحدق في الثلج المتساقط.
شيء ما كان هناك.
وضع بيلمان ذراعيه حول خصر هاري، ورأسه خلف ظهره لحماية نفسه من
الريح.

انتظر هاري. حدق.
ها هو مجدداً؛ شاليه، قطع خشبية مسننة، ومخزن.
ثم اختفى مجدداً. محاه الثلج، كما لو أنه ليس موجوداً أبداً. لكن هاري عرف
الاتجاه.

لماذا لا يسرع ويتوجه صوبه، وينقذ حياتيهما؟ لماذا يتردد؟ لا يعرف. لكن،
ثمة شيء في الشاليه، شيء أحسه في الثواني القليلة الأولى التي رآه فيها، شيء في
النوافذ السوداء؛ الإحساس بأنه ينظر إلى مبنى مهجور بالكامل وإنما في الوقت نفسه
مسكون؛ شيء غير صحيح. وهذا ما دفعه إلى الضغط برفق على دواسة السرعة كي
لا يتم سماع صوت المحرك مع الريح.

المخزن

وضع هاري جذعاً خشبياً في الموقد. جلس بيلمان قرب الطاولة، واصططكت أسنانه. تحولت البقع البيضاء على وجهه إلى اللون الأزرق. طرقا على الباب، وصرخا لبعض الوقت فيما كانت الريح تعصف بقوة، قبل أن يحطما نافذة ويدخلا إلى غرفة نوم فارغة؛ غرفة نوم فيها سرير غير مرتب، ورائحة جعلت هاري يتساءل عما إذا كان أحد قد نام حديثاً في هذه الغرفة. وضع تقريباً يده على السرير ليرى ما إذا كان لا يزال دافئاً. ورغم أن غرفة الجلوس كانت دافئة أيضاً - كانا يشعران ببرد شديد - وضع هاري يده داخل الموقد لتحسس ما إذا كان هناك رماد ساخن تحت الرماد الأسود. لكنه لم يجد شيئاً.

اقترب بيلمان من الموقد وسأله: "هل رأيت شيئاً غير الدراجة الثلجية في الوادي العميق؟".

كانت هذه هي الكلمات الأولى التي يلفظها بعدما ركض وراء هاري، وتوسل إليه كي لا يتركه، ورمى نفسه على متن الدراجة الثلجية.

قال هاري: "ذراع".

"ذراع من؟".

"وكيف لي أن أعرف؟".

نهض هاري وذهب إلى الحمام. تحقق من لوازم الحمام. هناك اللوازم الأساسية؛ صابونة وشفرة حلاقة. لا توجد فرشاة أسنان. شخص واحد، رجل واحد لا ينظف أسنانه، أو ذهب بعيداً في رحلة. كانت الأرض رطبة؛ رغم الألواح الخشبية، حيث بدا له وكأن شخصاً ما سكب الماء فوقها. ثم لفت انتباهه شيء. جلس القرفصاء. تحت اللوح الخشبي ثمة شيء داكن. حصاة؟ رفعها هاري وتأملها. ليست من الحمم. وضعها في جيبه.

وجد في أدراج المطبخ قهوة وخبزاً. ضغط على الخبز؛ كان طازجاً نسيباً. وجد في البراد علبتين من المربي، وبعض الزبدة، وقنيتين من الشراب. كان هاري جائعاً جداً،

حيث تخيل نفسه يشم رائحة لحم مشوي. فتش في خزانات المطبخ. لا شيء. اللعنة. هل يعيش ذلك الرجل على الخبز والمربي فقط؟ عثر على علبة بسكويت فوق كدسة من الأطباق. إنه النوع نفسه من الأطباق الموجودة في شاليه هافاس، والمفروشات نفسها أيضاً. هل يمكن أن يكون هذا الشاليه تابعاً لهيئة السياحة؟ توقف هاري. إنه لا يتخيل. إنه يشم بالفعل رائحة لحم مشوي؛ أو بالأحرى رائحة لحم محترق.

عاد إلى غرفة الجلوس.

"هل تستطيع شمها؟"

"ما هي؟"

قال هاري: "الرائحة". وجلس القرفصاء قرب الموقد. عثر إلى جانب الباب على ثلاث قطع صغيرة سوداء محترقة قرب المصبع الحديدي، لم يستطع تحديد طبيعتها، وكان الدخان لا يزال ينبعث منها.

سأله بيلمان: "هل وجدت أي طعام؟"

قال هاري شارداً: "حسب نوع الطعام الذي تقصده."

"ثمة مخزن في الجانب الآخر. ربما..."

"بدل القول ربما اذهب للتحقق بنفسك."

أوماً بيلمان برأسه، ونهض وخرج.

توجه هاري إلى المكتب ليرى ما إذا كان يوجد أي شيء يستطيع استخدامه لكشط القطع المحروقة. فتح الدرج العلوي. فارغ. فتح هاري الأدراج الأخرى، لكنها كلها فارغة. باستثناء ورقة في الدرج السفلي. رفعها. لم تكن ورقة، وإنما صورة مقلوبة رأساً على عقب. أول ما لفت هاري في الأمر هو وجود صورة عائلية في شاليه تابع لهيئة السياحة. تم التقاط الصورة في الصيف، أمام مزرعة. ثمة امرأة ورجل جالسان على درج، وبينهما صبي. ارتدت المرأة فستاناً أزرق، ووضعت وشاحاً على رأسها، من دون مستحضرات تجميل، ومع ابتسامة متعبة. أما الرجل فكان مزموماً الفم، وصارم التعابير، مع وجه جدي ومكفهرٍ يمكن رؤيته فقط لدى الرجال الذين يدون وكأنهم يخبتون سرّاً دفيناً. لكن الصبي في وسط الصورة هو الذي لفت انتباه هاري. إنه يشبه الأم؛ فهو يملك ابتسامتها الصريحة وعينيها الرقيقتين. لكنه يشبه شخصاً آخر؛ تلك الأسنان الكبيرة البيضاء...

عاد هاري إلى الموقد، وشعر فجأة بالبرد مجدداً. رائحة اللحم المشوي... أغمض عينيه، وركّز على التنفس بعمق وهدوء عبر أنفه مرتين، لكنه أحس بالغبثان.

في تلك اللحظة، دخل بيلمان مع ابتسامة عريضة على وجهه. "أمل أنك تحب لحم الغزال".

استيقظ هاري متسائلاً عما أيقظه. هل كان صوتاً؟ أو غياب الصوت؟ فقد أدرك أن الغرفة ساكنة جداً. توقفت الريح في الخارج. رمى البطانية بعيداً، ونهض عن الأريكة. مشى صوب النافذة ونظر إلى الخارج. بدا وكأن شخصاً ما قد لَوَّح بعصا سحرية فوق المكان. فما كان قبل ست ساعات فقط جنوناً قاسياً من دون رحمة، أصبح الآن مشهداً رقيقاً وجميلاً تحت ضوء القمر. أدرك هاري أنه يبحث عن آثار أقدام على الثلج. لقد سمع صوتاً. يمكن أن يكون أي شيء. ربما عصفور، أو حيوان. أصغى وسمع شخيراً خفيفاً يصدر من خلف باب غرفة النوم. إذاً لم يكن بيلمان من نهض. لحق نظره بآثار الأقدام المؤدية من الشاليه إلى المخزن، أو من المخزن إلى الشاليه؟ أو الاثنين؟ هناك الكثير منها. هل يمكن أن تكون كلها من بيلمان قبل ست ساعات؟ متى توقف الثلج عن التساقط؟

انتعل هاري جزمته وخرج ونظر إلى الحمام. لا توجد آثار أقدام هنا. أدار ظهره إلى المخزن وبوّل على حائط الشاليه. لماذا يفعل الرجال هذا؟ لماذا يحتاجون إلى التبول على شيء ما؟ أسبب الرغبة الفطرية في تحديد الأرض؟ أو... أصبح هاري مدركاً أن سبب تبويله ليس مهماً، وإنما ما يدير له ظهره هو المهم؛ المخزن. شك في أنه مراقب من هناك. زرر سرواله، واستدار ونظر إليه، ثم تقدم صوبه. أمسك بالرفش فيما مرّ أمام الدراجة الثلجية. قضت الخطة بالدخول إليه مباشرة، لكنه وقف بدلاً من ذلك أمام الدرج المؤدي إلى الباب المنخفض. أصغى. لا شيء. ما الذي يفعله؟ ما من أحد هناك. صعد على الدرج، وحاول رفع يده والإمساك بالمقبض، لكنه لم يستطع التحرك. ما الذي يجري؟ كان قلبه يخفق بقوة كبيرة في صدره لدرجة أنه شعر بالألم، كما لو أن قلبه على وشك الانفجار. كان يتعرق، ورفض جسمه إطاعة الأوامر. ثم فهم هاري أن هذا هو بالضبط الوصف الذي سمعه؛ نوبة دعر. إنه الغضب الذي أنقذه. ركل الباب بقوة هائلة وحطمه في العتمة. فُتِح الباب. فاحت رائحة دهن، ولحم مدخن، ودم جاف. ثم شيء تحرك تحت ضوء القمر وسطعت عينان. رفع هاري الرفش، وضرب شيئاً. سمع صوت اللحم، وأحسّ به ينهار تحته. فتح الباب مجدداً خلفه، ودخل ضوء القمر. حذق هاري في الأيل الميت المعلق أمامه، وفي جثث الحيوانات الأخرى. أوقع الرفش وركع على ركبتيه، ثم فهم كل شيء، دفعة

واحدة. طقطقة الجدار، طمر الثلج له وهو حيّ، الخوف من عدم قدرته على التنفس، الإحساس الطويل بالخوف العظيم فيما أوشك على السقوط فوق الصخور السوداء. الوحدة الكبيرة؛ لأنهم رحلوا جميعاً. والده في غيبوبة، في مرحلة عبور. وراكيل وأوليف كانا مثل طيفين في الضوء في المطار، أيضاً في مرحلة عبور. أراد هاري العودة، العودة إلى الغرفة المتقطرة، إلى الجدران الصلبة الرطبة، إلى الفراش المليء بالعرق ورائحة الدخان الحلوة التي تنقله إلى حيث هو؛ مرحلة عبور. أحنى هاري رأسه وأحس بالدموع الساخنة تنهمر على وجهه.

طبعت صورة لجوسي كولكا من صفحة ويب داجلاديت ودبستها على الحائط قرب الصور الأخرى. لم يكن هناك أي كلام في الصحافة عن هاري هول وبقية رجال الشرطة الذين كانوا هناك، أو عن إسكال بيلر. هل كانت خدعة؟ إنهم يحاولون. والآن هناك شرطي ميت. سيحاولون أكثر. عليهم أن يحاولوا أكثر. هل تسمعي هول؟ لا؟ يجدر بك سماعي، فأنا قريب جداً لدرجة أنني أستطيع الهمس في أذنك.

القسم السابع

حالة صحية

لم تتبدل حالة أولاف هول الصحية، حسب قول الدكتور أبيل.

جلس هاري قرب سرير المستشفى وهو ينظر إلى والده، فيما صدح الصوت الاعتيادي من جهاز مراقبة القلب، بالترافق مع خفقان متقطع. دخل سيفورد ألتمان، وألقى التحية على هاري، ودوّن على دفتر صغير الأرقام المعروضة على الشاشة.

قال هاري، وهو ينهض: "في الواقع، جئت إلى هنا لزيارة كاجا سولنس. لكنني لا أعرف في أي غرفة وُضعت. هل يمكنك...؟".

"أهي زميلتك التي تم إحضارها إلى هنا بواسطة المروحية في الليلة الماضية؟ إنها في العناية الفائقة. ستبقى هناك حتى الانتهاء من كل نتائج الفحوصات. بقيت مطمورة تحت الثلج لبعض الوقت. عندما قالوا شاليه هافاس، افترضت أنها تلك الشاهدة من سيدني التي تحدثت عنها الشرطة عبر الراديو".

"لا تصدق كل ما تسمعه ألتمان. فيما كانت كاجا مطمورة تحت الثلج، كانت السيدة الأسترالية في مكان آمن ودافئ في البريستول، مع حراسها وخدمة غرف كاملة".

تأمل ألتمان هاري: "انتظر، هل دفنت أنت أيضاً تحت الثلج؟".

"ما الذي يدفعك إلى قول هذا؟".

"خطواتك المتعثرة. هل تشعر بالدوار؟".

هزّ هاري كتفه.

"بالارتباك؟".

قال هاري: "دوماً".

ابتسم ألتمان. "هناك الكثير من ثاني أكسيد الكربون في جسمك. يتخلص منه الجسم بسرعة عندما تنتشق الأوكسيجين، لكن عليك الخضوع لتحليل دم كي نتحقق من مستويات ثاني أكسيد الكربون في دمك".

قال هاري: "لا، شكراً. كيف حاله؟". أوماً في اتجاه السرير.

"ماذا يقول الطبيب؟".

"على حاله. أنا أسألك أنت".

"لست طبيباً هاري".

"إذاً، لا داعي لأن تعطيني جواب الطبيب. أعطني تقديراً".

"لا أستطيع...".

"سيبقى الأمر بيننا".

تأمل سيغورد ألتمان هاري. كان على وشك قول شيء ما، ثم بدّل رأيه. زم

شفته السفلية وقال: "أيام".

"ولا حتى أسابيع؟".

لم يجب ألتمان.

قال هاري: "شكراً سيغورد". وتوجه إلى الباب.

كان وجه كاجا شاحباً وجميلاً على الوسادة؛ مثل زهرة في بستان أعشاب، فكّر هاري في سرّه. بدت يدها صغيرة وباردة في يده. على الطاولة قرب السرير، وضع عدد اليوم من جريدة أفنبوستن مع عنوان "انهيار ثلجي يطمر شاليهاً في هافاس". تم وصف الحدث المأساوي، إضافة إلى حديث مايكل بيلمان الذي قال إنه من المؤسف جداً موت الشرطي كولكا أثناء حمايته إيسكا بيلر. إلا أنه حمد الله لأنه تم إنقاذ الشاهدة وهي الآن في مكان آمن.

قالت كاجا: "إذاً، نجم الانهيار الثلجي عن ديناميت؟".

أجاب هاري: "نعم. من دون أي شك".

"تعاونتما جيداً أنت وبيلمان هناك، أليس كذلك؟".

"نعم، بالفعل". استدار هاري لقمع نوبة سعاله.

"سمعت أنك عثرت على دراجة ثلجية في قعر وادٍ عميق. مع جثة محتملة تحتها".

"نعم. بقي بيلمان في أوستاوسيت للعودة إلى الموقع مع الشرطي المحلي هناك".

"ماذا عن كرونغلي؟".

"لا، لم نستطع تحديد مكانه. إلا أن نائبه، روي ستيل، بدا موثوقاً. أمامهما عمل شاق. لم نكن واثقين من مكاننا، إذ تساقط المزيد من الثلج وتراكم، وفي تلك المساحة...". هزّ هاري رأسه.

"هل لديك فكرة عن صاحب الجثة؟"
هزّ هاري كتفه. "سأتفاجأ كثيراً إذا لم يكن طوني لايك".
برمت كاجا رأسها. "أوه!؟".
"لم أخبر أحداً بعد، لكنني رأيت أصابع الجثة".
"ماذا عنها؟".

"إنها مشوهة. عانى طوني لايك من التهاب المفاصل".
"هل تظن أنه هو من سبّب الانهيار الثلجي، ثم وقع في الجرف في العتمة؟".
هزّ هاري رأسه. "أخبرني طوني أنه يعرف المكان جيداً. إنها أرضه. كان يوماً صافياً، ولم تكن الدراجة الثلجية تمشي بسرعة؛ هبطت فقط مسافة ثلاثة أمتار من المكان الذي وقعت منه. وكانت الذراع محروقة؛ الأمر الذي لا ينجم عن ديناميت. كما أن الدراجة الثلجية لم تكن محروقة".
"ماذا؟!".

"أعتقد أنه تم تعذيب طوني لايك وقتله، ومن ثم رميه مع الدراجة الثلجية كي لا نعثر على الجثة".
كشّرت كاجا بوجهها.
فرك هاري إصبعه الصغيرة، وتساءل إذا كان يعاني من لسعة البرد. "ما رأيك في كرونغلي؟".

"كرونغلي؟". فكرت كاجا قليلاً. "إذا كان فعلاً قد حاول اغتصاب شارلوت لوليس، لم يكن يجدر به قطّ أن يصبح شرطياً، أليس كذلك؟".
"ضرب زوجته أيضاً".
"لا يفاجئني الأمر".
"لا!؟".
"لا".

نظر إليها. "هل هناك أمر لم تخبريني به؟".
هزّت كاجا كتفها. "إنه زميل، واعتقدت أنه كان ثملاً، ولا داعي لأن أنشر الخبر. لكن، نعم، أحسست بوجود ذلك الجانب لديه. جاء إلى منزلي، وأعلن بطريقة واضحة وملحّة بأنه يرغب في التودد إليّ".
"لكن؟".
"كان مايكل هناك".

أحس هاري بنفسه يجفل.

جلست كاجا على السرير. "أنت لا تظن جدياً أن كرونغلي يمكن أن...".
"لا أعرف. لكنني واثق فقط من أن الشخص الذي سبب الانهيار الثلجي يعرف المنطقة جيداً. كان كرونغلي على ارتباط ببعض الفتيات في شاليه هافاس. بالإضافة إلى ذلك، قال الياس سكوغ قبل أن يُقتل إنه شاهد شيئاً قد يكون اغتصاباً في هافاس. يبدو أن أسلاك كرونغلي قد يكون عنيفاً.

ثم حصل ذلك الانهيار. إذا أردت قتل امرأة تظنين أنها وحيدة مع تحرّ في شاليه جبلي ناء، فكيف تفعلين ذلك؟ استهلال انهيار ثلجي لا يعطيك بالضبط نتيجة مضمونة. إذا لم لا تجعلين الأمر أكثر بساطة وفعالية، وتأخذين سلاحك المفضل وتوجهين مباشرة إلى الشاليه؟ لأنه عرف أن إيسكا بيلر والتحري لم يكونا بمفردهما. عرف أننا كنا في انتظاره. لذا، تسلل وهاجم بالطريقة الوحيدة التي تسمح له بالفرار بعد ذلك. نحن نتحدث عن شخص مطلع؛ شخص عرف بشأن نظرياتنا حول هافاس، وفهم تماماً ما يجري عندما سمعنا نسمي شاهدة في مؤتمر صحفي. الشرطي المحلي في أوستاوسيت...".

صححت كاجا قائلة: "جيلو".

"لا شك في أن كرونغلي قد تلقى الاتصال العاجل من كريوس لطلب الإذن بهبوط الطائرة المروحية للشرطة في الحديقة العامة تلك الليلة. لا بد أنه عرف الظروف".

قالت كاجا: "إذا لا بد أنه عرف أيضاً أن إيسكا بيلر لم تكن موجودة هناك، وأنا لن نعرض حياة شاهدة للخطر. لذا، لم يحاول الاقتراب مطلقاً".
أوما هاري برأسه. "نقطة جيدة، كاجا. أوافقك الرأي. لا أظن أن كرونغلي اعتقد لثانية واحدة أن بيلر موجودة في الشاليه. اعتقد أن الانهيار الثلجي كان استمرارية لما يقوم به منذ بعض الوقت".

"ألا وهو؟".

"اللعب بنا".

"اللعب؟!".

"تلقيت اتصالاً من هاتف طوني لايك عندما كنا في الشاليه. سجّل طوني رقمي. وأنا واثق تماماً من أنه لم يكن هو من اتصل بي. والغريب أن المتصل لم يبه الاتصال بسرعة كافية، حيث بدأ المجيب الصوتي بالتسجيل، ويمكنك سماع شيء ما

لثانية قبل انقطاع الاتصال. لست أكيداً، لكن الصوت بدا لي مثل ضحك".
"ضحك!"

"ضحك شخص مسرور. ربّما لأنه سمع رسالتي القائلة إنّ هاتفي سيكون خارج الإرسال لمدة يومين. فلنتخيل أنه أسلاك كرونغلي الذي تأكدت شكوكه بأنّي في الشاليه في هافاس أنتظر القاتل".

توقف هاري، وحدّق في الهواء وفكر بعمق.

"حسناً؟". قالت كاجا بعد برهة.

"أردت فقط أن أسمع كيف تبدو النظرية عند لفظها بصوت عالٍ".

"و؟".

وقف. "في الواقع، تبدو بدهية. لكنني سأتحقق من الأعدار المبرئة لكرونغلي في توارينخ الجرائم. أراك لاحقاً".

"ترولس بيرنستن؟".

"أنا هو".

"أنا روجر غيندم من جريدة أفنتبوستن. هل لديك الوقت للإجابة عن بعض الأسئلة؟".

"ذلك يعتمد. إذا كنت ستسألني عن جوسي، فمن الأفضل لك التكلم مع...".

"لا يتعلق الأمر بجوسي كولكا. لكنني أقدم تعازي بالمناسبة".

"حسناً".

كان روجر جالساً وهو يضع قدميه على مكتبه في برج "بوست أوفيس" يحدق في المباني المنخفضة التي تشكل محطة أوصلو المركزية وصولاً إلى دار الأوبرا التي سيتهي منها العمل قريباً. بعد انتهاء المحادثة مع بينت نوردبو في "ستوب برس"، أمضى النهار كله - وجزءاً من الليل - وهو يفكر في مايكل بيلمان بتفصيل أكبر. عدا عن الإشاعة بشأن نوبة غضبه في مركز شرطة ستونفر، لم يكن هناك الكثير من الحقائق الملموسة. لكن، بصفته صحافياً متخصصاً في الجرائم، جمع روجر غيندم على مرّ السنوات عدداً من المصادر المنتظمة والموثوقة الذين يبلغون بفرح عن جداتهم مقابل ثمن قنينة شراب أو علبة سجائر. ويعيش ثلاثة منهم في مانغلوود. وبعد بضعة اتصالات، تبين له أنهم الثلاثة ترعرعوا هناك أيضاً. ربما يبدو صحيحاً ما سمع أحد الأشخاص يقوله، وهو أن لا أحد ينتقل للعيش خارج مانغلوود، أو ينتقل للعيش في مانغلوود.

بدا جلياً أن هناك بعض الأسرار في ذلك المكان، لأنهم هم الثلاثة تذكروا مايكل بيلمان؛ ربما لأنه كان شرطياً حقيراً في ستوفنر. ولكن خصوصاً لأنه وقع في غرام زوجة جول فيما كان جول يؤدي حكماً بالسجن لمدة اثني عشر شهراً بسبب إدانة سابقة بالمخدرات، تم تعليقها لفترة، وإنما أعيد تنفيذها بعدما وشى به أحدهم واتهمه بسرقة الوقود من مورتنسروود. المرأة هي أولاً سوارت. وهي أجمل امرأة في مانغلوود، وأكبر من بيلمان بسنة واحدة. عندما انتهت مدة سجن جول وخرج من السجن بعد أن أقسم للجميع إنه سينتقم من بيلمان، كان هناك رجلان في انتظاره في المرأب عندما ذهب إلى منزله لأخذ دراجته النارية. كان الرجلان يعتمران قبعتين صوفيتين ملونتين، وضرباه بعنف بعصي حديدية، ووعده بأنه سيكون هناك المزيد من الضرب إذا لمس بيلمان أو أولاً. سرت الشائعات بأن أحد الرجلين كان بيلمان نفسه. لكن أحدهما كان حتماً شخصاً اسمه بيفيس؛ الحارس الأبدي لبيلمان. كانت هذه هي البطاقة الوحيدة التي يملكها روجر غيندم عندما اتصل بالمدعو ترولس "بيفيس" بيرنستن. لكن هذا كافٍ للدعاء بأنه يملك ورقة الجوكر.

"أردت فقط سؤالك عن صحة المعلومات القائلة إنه بناء على تعليمات مايكل بيلمان، قمت ذات مرة بضرب شخص اسمه ستانيسلاف هيسي، الذي كان يعمل في مكتب الأجور والموظفين في مركز شرطة ستوفنر".

ساد الصمت في الطرف الآخر.

تنحنح روجر، ثم تابع: "إذا؟".

"إنها كذبة كبيرة".

"أي جزء فيها؟".

"لم أتلق قطّ تعليمات من مايكل بيلمان لفعل ذلك. عرف الجميع أن الحقير بول كان يحاول مغازلة زوجته. يمكن أن يحصل هذا الأمر مع أي كان".

مال روجر غيندم إلى تصديق الرواية الأولى؛ أي تلك القائلة بإعطاء المعلومات. وليس الأخيرة "يمكن أن يحصل الأمر مع أي كان". فما من أحد من زملاء بيلمان الآخرين في ستوفنر - الذين تحدث إليهم روجر - امتلك شيئاً سيئاً لقوله عن بيلمان. لكن، بدا جلياً أن بيلمان ليس شخصاً محبوباً، وليس رجلاً يملك الكثير من المناصرين؛ باستثناء واحد.

قال روجر غيندم: "شكراً لك. هذا كل شيء".

فيما وضع روجر غيندم هاتفه الخلوي بعيداً، فتش هاري في جيب سترته ووضع هاتفه على أذنه.

"نعم؟"

"أنا بيورن هولم".

"أحسست بذلك".

"بالله عليك، ألا تستطيع تسجيل الأسماء مع الأرقام؟"

"فعلت ذلك. يجدر بك الشعور بالفخر. فأنت واحد من الأسماء الأربعة فيه".

"ما هذه الضجة عندك؟ أين أنت الآن؟"

"إنهم مغمامرون يهتفون لأنهم يعتقدون أنهم سيفوزون. أنا في سباق أحصنة".

"ماذا؟!"

"بومباي غاردن".

"أليس هذا... هل سمحوا لك بالدخول؟"

"أنا عضو. ماذا تريد؟"

"بالله عليك هاري، هل تقامر على الأحصنة؟ ألم تتعلم أي شيء في هونغ

كونغ؟"

"استرخ. أنا هنا للتحقق من وضع أسلاك كرونغلي. فحسب مكتبه، كان في

مهمة شرطة في أوصلو عندما قتلت شارلوت وبورغني. في الواقع، ليس هذا بالأمر

الغريب، لأنه يذهب غالباً إلى أوصلو. واكتشفت للتو السبب".

"بومباي غاردن؟"

"نعم. يملك كرونغلي مشكلة كبيرة. لقد تحققت من مدفوعاته بواسطة بطاقة

الائتمان على الكمبيوتر هنا؛ توقيت الدفع وكل شيء. لقد استخدم كرونغلي بطاقته

كثيراً، والتوقيت يعطيه عذراً مبرئاً لسوء الحظ".

"فهمت. وهل يضعون الكمبيوتر في الغرفة نفسها التي يجري فيها سباق

الأحصنة؟"

"ماذا؟ أصبحوا في المرحلة الأخيرة الآن، وعليك رفع صوتك!"

"لقد... انس الموضوع. أنا أتصل بك للقول إننا وجدنا سائلاً منوياً على

سروال التزلج الذي ارتدته أديل فيتلسين في شاليه هافاس".

"ماذا؟! هل تمزح؟ هذا يعني..."

"قد نملك قريباً الحمض النووي الخاص بالتزلج الثامن؛ إذا كان هذا سائلاً

المنوي. والطريقة الوحيدة للتأكد هي استثناء الرجال الآخرين في شاليه هافاس".
"نحتاج إلى الحمض النووي الخاص بهم".

قال بيورن هولم: "نعم. المشكلة حلت مع الياس سكوغ طبعاً لأننا نملك حمضه النووي. لكن، لم يحالفنا الحظ مع طوني لايك. لا بد أننا سنعثر عليه في منزله. لكننا نحتاج إلى رخصة لهذه الغاية. وبعد ما حصل في المرة الأخيرة، سيكون الأمر صعباً فعلاً".

قال هاري: "اترك الأمر لي. يجدر بنا أيضاً الحصول على الحمض النووي الخاص بـكروغلي؛ رغم أنه لم يقتل شارلوت ولا بورغني، لكنه ربما اغتصب أديل".
"حسناً. كيف سنحصل عليه؟".

أجاب هاري: "بصفته شرطياً، لا بد أنه كان في مسرح الجريمة في مكان أو آخر". لم تكن هناك حاجة لمتابعة استنتاجه المنطقي. فقد فهم بيورن هولم ما يقصده؛ لتفادي الارتباك والأخطاء في الهويات، يتم دورياً أخذ البصمات والحمض النووي من كل رجال الشرطة الذين يتواجدون في مسرح جريمة ويحتمل أنهم لوثوه.
"سأتحقق من قاعدة البيانات".

"أحسن، بيورن".

"انتظر، هناك المزيد. طلبت منا البحث أكثر عن بذلة تمرير، وهذا ما فعلناه. عثرنا على واحدة عليها مادة PSG. وتحققت من الأمر. ثمة مصنع مهجور لمادة PSG في أوسلو، في منطقة نيدالين. إذا كان خالياً، وقام النزير الثامن بعلاقة حميمة مع أديل هناك، قد نتمكن من العثور على بعض السائل المنوي هناك".

"مم. إغراء في نيدالين، ومتابعة في هافاس. يحتمل أن يكون النزير الثامن قد قام بمعاشرة الملابس فقط. قلت لي مادة PSG. هل هذا مصنع كادوك؟".
"نعم، كيف...؟".

"والد صديقي عمل هناك".

"كرر ما قلته. هناك ضجيج قوي حولك الآن".

"الأحصنة تعبر الخط النهائي. أراك لاحقاً".

وضع هاري الهاتف في جيب سترته، وبرم في كرسيه كي لا يرى الوجوه الحزينة للخاسرين حول حلبة السباق، ولا ابتسامة المدير. "مبروك مجدداً، هاري".
نهض هاري، وارتدى سترته، ونظر إلى الورقة النقدية التي أعطاها إياها الرجل الفيتنامي. عليها صورة إدوار مانش. ألف كرونر.

قال هاري: "مم، أنا محظوظ جداً. ضعها للمراهنة على الحصان الأخضر في السباق التالي. سأمر لأخذ المال النقدي في يوم آخر، صديقي".

كانت لين غالتونغ جالسة في غرفة الجلوس تنظر إلى النافذة ذات المصراعين؛ إلى الانعكاس الثنائي. كان جهاز الأيبود الخاص بها يعزف أغنية ترايسي شابمان. "سيارة سريعة". تستطيع الاستماع إلى الأغنية مراراً وتكراراً من دون أن تملّ منها أبداً. تتحدث الأغنية عن فتاة مسكينة تريد الهروب من كل شيء، والركوب في سيارة حبیبها السريعة والهروب من الحياة التي تعيشها؛ أي العمل على الصندوق في السوبرماركت، وتحمل مسؤولية والدها الثمل دائماً، وتخطي كل الحواجز. هذه الحياة مختلفة جداً عن حياة لين، لكن الأغنية تتحدث عنها. لين التي كان يمكن أن تكون. لين التي هي في الحقيقة واحدة من الاثنين اللتين رأتهما في الانعكاس المزدوج: العادية، والرمادية. طوال أعوامها التي قضتها في المدرسة، خافت أن يُفتح باب الصف ذات يوم، ويدخل أحدهم، ويشير إليها بإصبعه ويقول: جئنا إليك الآن. اخلعي هذه الملابس المرتبة. وبعد ذلك، أن يرمي لها بعض الخرق ويقول: الآن، يستطيع الجميع أن يعرفوا من أنت فعلاً، أيتها الفتاة اللقطة. بقيت جالسة هناك، سنة وراء سنة، مختبئة، وهادئة مثل الفأرة، تسترق النظر إلى الباب، وتنتظر. تستمع إلى الأصدقاء، وتستمع إلى الإشارات المنذرة التي ستفضح أمرها. بسبب الإحراج والخوف اللذين شعرت بهما، اعتمدت موقف الدفاع الذي بدا مثل تعجرف بالنسبة إلى الآخرين. وعرفت أنها برعت في أداء دورها كفتاة غنية، وناجحة، ومدللة، ولا مبالية. لم تكن على الإطلاق جميلة المظهر ومتألقة مثل الفتيات الأخريات في دائرتها؛ أولئك اللواتي يصرخن فرحاً، ويكشفن عن ابتسامة واثقة مفادها: "لا أعرف شيئاً"، وهنّ على ثقة بأن ما لا يعرفنه لا يمكن أن يكون مهماً، وأن العالم لن يحتاج منهن إلى شيء أكثر من جمالهن. لذا، توجب عليها الادعاء بأنها جميلة ومتألقة، وأعلى من كل شيء. لكنها سئمت من ذلك. أرادت فقط الجلوس في سيارة طوني والطلب منه أن تترك كل شيء خلفها، والذهاب إلى مكان حيث يمكن أن تكون لين الحقيقية وليس الزائفة. ومثلما تقول الأغنية، معاً - هي وطوني - يستطيعان إيجاد ذلك المكان.

تحرك الانعكاس على الزجاج. أجفلت لين عندما أدركت أن الانعكاس ليس وجهها على الإطلاق. فهي لم تسمعها تدخل، لذا انتصبت على الكرسي ونزعت سماعتي أذنيها.

"ضعي صينية القهوة هنا، نانا".

ترددت المرأة. "يجدر بك نسيانه، لين".

"توقفي!".

"أنا أقول لك الحقيقة. ليس رجلاً جيداً لك".

"توقفي! طلبت منك ذلك".

"شش!". وضعت المرأة الصينية على الطاولة مع صوت طقطقة، ولمعت عيناها الفيروزيتان. "عليك التحلي بالمنطق، لين. علينا جميعاً فعل ذلك في هذا المنزل عندما يستلزم الوضع ذلك. أنا أقول لك هذا بصفتي...".

صرخت لين: "بصفتك ماذا؟ انظري إلى نفسك. ماذا يمكن أن تكوني بالنسبة إليّ؟".

مررت المرأة يديها فوق المئزر الأبيض، وأرادت وضعهما على وجنتي لين، لكن لين لوّحت لها للابتعاد عنها. تنهدت المرأة، وبدت التنهيدة مثل قطرة ماء تقع في بئر. ثم استدارت وغادرت. وفيما انغلق الباب خلفها، رنّ الهاتف الأسود قرب لين. قفز قلبها في مكانه. فمئذ اختفاء طوني، تبقي هاتفها قيد العمل على الدوام وعلى مسافة قريبة منها. أمسكت به. "لين غالتونغ".

"هاري هول. قسم مكافحة... أقصد كريبوس. عذراً على الإزعاج، لكنني أريد طلب المساعدة منك في قضية. للأمر علاقة بطوني".

أحسّت لين بصوتها يخرج عن السيطرة، فيما أجابت: "هل... حصل شيء ما؟". "نحن نبحث عن شخص نعتقد أنه مات نتيجة سقوط في الجبال في منطقة أوستاوسيت".

شعرت بالدوار، وأحسّت أن الأرض ترتفع والسقف ينزل.

"لم نحدد موقع الجثة بعد. كان الثلج يتساقط، ومنطقة البحث كبيرة ووعرة جداً. هل يمكنك سماعي؟".

"نعم، أسمعك".

تابع الشرطي بصوت خشن قليلاً: "بعد أن يتم سحب الجثة، سنحاول التعرف إليها بأسرع ما يمكن. لكن الجثة تعاني من حروق خطيرة. لذا، نحتاج الآن إلى حمض نووي من أي شخص يحتمل أن يكون الشخص الميت. وبما أن طوني شخص مفقود...". أحسّت لين بقلها يصعد إلى حنجرتها، كما لو أنه مستعد للقفز من فمها، فيما تابع الصوت في الطرف الآخر الكلام.

"لهذا السبب، كنت أتساءل إذا كان بوسعك مساعدة أحد رجال الشرطة القضائيين في العثور على مادة حمض نووي في منزل طوني".
"مثل ماذا؟".

"شعرة من فرشاة، لعاب على فرشاة أسنان. يعرف رجال الشرطة ما يحتاجون إليه. الشيء المهم هو أن تقومي أنت، بصفتك خطيبته، بإعطائنا الإذن والقدوم إلى منزله مع مفتاح".
"طبعاً".

"شكراً جزيلاً لك. سأرسل شرطياً إلى هولمتفاين على الفور".
أنهت لين المكالمة، وأحست بدموعها تسيل على وجهها. أعادت سماعتي الأبيود إلى أذنيها.

سمعت ترايسي شابمان تغني عن ركوب سيارة سريعة ومتابعة القيادة. انتهت الأغنية، فضغطت على زر الإعادة.

كادوك

تجسد نيدالن تضاًؤل القدرة الصناعية في أوسلو. فمباني المصانع التي لم يتم تدميرها - والتي لم يتم استبدالها بمباني مكاتب أنيقة وجميلة مصنوعة من الزجاج والفولاذ - جرى تحويلها إلى استوديوهات تلفازية ومطاعم ومعارض كبيرة مفتوحة ذات تهوئة وقساطل مكشوفة.

وفي أغلب الأحيان، كانت هذه المعارض مستأجرة من قبل شركات إعلانية أرادت التوكيد على أنها تفكر بطريقة غير تقليدية، وأن الإبداع يزدهر أيضاً في الغرف الصناعية الزهيدة؛ تماماً مثلما يفعل في المكاتب الرئيسة للشركات المنافسة الواقعة في وسط المدينة. إلا أن العقارات في نيدالن باتت الآن مرتفعة الكلفة لأن الوكالات الإعلانية تفكر مبدئياً في أنماط تقليدية. أي إنهم يتبعون الموضة، ويرفعون السعر إلى الأعلى مهما كانت الموضة.

غير أن مالكي مصنع كادوك المهجور لم يشاركوا في هذه الفورة. فعندما أغلق المصنع أبوابه قبل أربعة عشر عاماً، بعد عجز سنوي متتالٍ وطمر مادة PSG في الصين، اختلف ورثة مؤسس المصنع في ما بينهم. وفيما كانوا يتناقشون حول من يجدر به اقتناء ماذا، وقع المصنع ضحية الإهمال، وبات معزولاً وراء الأسوار غرب نهر أكيرسيلفا. نمت الشجيرات والأشجار الكبيرة حوله، واستطاعت في النهاية حجب المصنع عن المنطقة المحيطة به. كان هاري يعرف كل هذه المعلومات، ولذلك وجد القفل الكبير الموضوع على البوابة جديداً نسبياً.

"اقطعه". قال هاري للشرطي الواقف قربهِ.

انغرزت أسنان قطاعة حديدية كبيرة في القفل المعدني كما لو أنه طري مثل الزبدة، وفتح القفل بالسرعة نفسها التي احتاج إليها هاري للحصول على الإذن. فالنائب العام في كريوس بدا وكأنه يملك أشياء أخرى أكثر أهمية للقيام بها بدل إعطاء تراخيص بحث وتحرّ، وما إن أنهى هاري كلامه حتى حصل على الإذن موقعاً في يده. وقال لنفسه إنه يستطيع فعل الشيء نفسه أيضاً مع اثنين من النواب العاميين المهملين في

قسم مكافحة الجرائم.

ومضت شمس بعد الظهر المنخفضة على الزجاج المسنن للنوافذ المتحطمة في الجدران القرميدية. طغى على المكان خراب يمكن إيجاده فقط في المصانع المهجورة؛ حيث كل ما تراه عينك كان مخصصاً أصلاً لنشاط فعال ومحموم، لكنه لم يعد موجوداً. وحيث صدى طرق الحديد على الحديد، وصراخ العمال، والشتائم، والضحك فوق هدير الآلات لا يزال ينبض بصمت بين الجدران، وهبوب الريح عبر النوافذ المكسورة والملبئة بالغبار؛ مما جعل شبكات العنكبوت والقشور الميتة للحشرات ترتعش.

لم يكن هناك قفل على باب ردهة المصنع. وسار الرجال الخمسة في مساحة مستطيلة لها خصائص سمعية شبيهة بدور العبادة؛ مما أعطى الانطباع بأن المكان قد تمّ إخلاؤه بدلاً من إقفاله. لا تزال أدوات العمل منتشرة هنا وهناك، مع منصة محملة بأوعية بيضاء كتبت عليها عبارة PSG النوع 3، وبدت جاهزة لنقلها بعيداً، إضافة إلى معطف أزرق معلق على ظهر كرسي.

توقفوا عندما وصلوا إلى وسط الردهة. في إحدى الزوايا، ثمة نوع من الكشك على شكل منارة يرتفع مسافة متر عن الأرض. قال هاري لنفسه إنه مكتب المشرف على الأعمال من دون شك. قرب الجدران، ثمة منصة عالية، تفضي من طرف واحد إلى طابق متوسط فيه الغرف الخاصة. خمن هاري أنها غرفة تناول الطعام والمكاتب الإدارية.

سأل هاري: "من أين نبدأ؟".

قال بيورن هولم، وهو يلتفت حوله: "من المكان نفسه كما هي الحال دوماً؛ الزاوية الشمالية".

"عمّ نبحت؟".

"عن طاولة أو مقعد عليه مادة PSG زرقاء. فالبقع الموجودة على السروال تم العثور عليها تحت الجيين السفليين بقليل؛ ما يعني أنها كانت جالسة على شيء ما؛ بتعبير آخر: لم تكن مستلقية".

قال هاري: "إذا بدأت هنا، فسوف نذهب أنا والشرطي إلى الأعلى مع قطاعة الحديد".

"لماذا؟".

"لفتح الأبواب لكم يا رجال الشرطة القضائية. نعدكم بألا نرش السائل المنوي الخاص بنا في أي مكان".

"مضحك جداً. لا...".

"... تلمسا أي شيء".

صعد هاري مع الشرطي الذي يسميه شرطياً لأنه نسي اسمه بكل بساطة بعد ثانيتين من سماعه على السلالم المؤدية إلى الأعلى، ما أدى إلى صدور رنين عن الدرج الحديدي. كانت الأبواب مفتوحة، وفي الداخل، مثلما تصور هاري، كانت هناك مكاتب أزيلت منها المفروشات. ثمة غرفة مراحيض مع صف من الأبواب الحديدية، بالإضافة إلى غرفة مشتركة للاستحمام. ولكن، ما من بقع زرقاء.

سأل هاري: "ما هذا برأيك؟". وهو واقف في غرفة الطعام، وأشار إلى باب صغير مقفل في الجهة الخلفية.

قال الشرطي، وهو يتجه إلى هناك: "حجرة إعداد الأطعمة".
"انتظر!".

توجه هاري إلى الباب، وخدش مسماراً على القفل الصدئ ظاهرياً. كان الصدأ حقيقياً. برمه، ونظر إلى الأسطوانة. لا يوجد صدأ.
قال هاري: "اقطعه".

فعل الشرطي مثلما طلب منه، ثم فتح هاري الباب.
زَمَ الشرطي شفتيه.

قال هاري: "إنه مجرد باب سري".

خلف الباب، لم تكن هناك حجرة لإعداد الأطعمة، ولا غرفة عادية، وإنما باب آخر مثبت بما بدا مثل قفل كبير ومتمين.
وضع الشرطي قطاعة الحديد أرضاً.

تفحص هاري المكان، ووجد ما كان يبحث عنه. مطفأة حريق حمراء كبيرة، مشيرة جداً للشبهات، متدلية من وسط الجدار في غرفة الطعام. ألم يذكر أويستن شيئاً عن هذا الأمر ذات مرة؟ فالمواد التي يصنعونها حيث عمل والده كانت سريعة الاشتعال جداً، حيث طُلب منهم التدخين قرب النهر. على أن يتم رمي فضلات السجائر لاحقاً في النهر أيضاً.

أنزل المطفأة عن الجدار وحملها إلى الباب. تقدم بسرعة نحو الباب، وصوّب على الهدف، ثم ضرب الأسطوانة المعدنية على الباب بقوة كبيرة.
انكسر الباب عند القفل، لكنه بقي ثابتاً ضمن الإطار.
كرر هاري الهجوم، فتطاير الخشب في كل مكان.

"بالله عليك، ماذا يجري عندك؟". سمع بيورن هولم يصرخ من الطابق الأرضي للمصنع.

بعد محاولة الثالثة، استسلم الباب مصدراً صوتاً عالياً، ثم فتح تماماً، وحدقا في فراغ أسود وحالك.

سأل هاري الشرطي: "هل أستطيع استعارة مصباحك؟". ووضع المطفأة أرضاً ومسح العرق عن جبينه. "شكراً. انتظرنى هنا".

دخل هاري إلى الغرفة. فاحت رائحة أمونياك. وجه ضوء المصباح على الجدران. الغرفة - التي قدر مساحتها بنحو ثلاثة أمتار مربعة - لم تكن تحتوي على أي نوافذ. كشف ضوء المصباح عن كرسي أسود قابل للطي، ومكتب عليه مصباح وشاشة كمبيوتر ماركة "ديل". كانت لوحة المفاتيح جديدة نسبياً، والمكتب مرتب ومصنوع من الخشب العادي، ولكن من دون بقع زرقاء. في سلة المهملات، هناك قصاصات ورق، كما لو أن أحداً ما قد قام بقص صور. ولا شك في أنه تم قطع قصاصة من الصفحة الأمامية لجريدة داجبلاديت. قرأ هاري العنوان فوق الصورة الناقصة، وعرف أنهم جاءوا إلى المكان الصحيح. لقد وصلوا. هذا هو.

- مات في انهيار ثلجي -

وجه هاري المصباح إلى الأعلى بطريقة فطرية، إلى الجدار فوق المكتب الملتخ ببعض البقع الزرقاء. وها هي كلها.

ماريت أولسن. شارلوت لوليس، بورغني ستيم - ميهر، أديل فيتلسين، الياس سكوغ، جوسي كولكا، وطوني لايك.

ركز هاري على التنفس من قفصه الصدري، وعلى استيعاب المعلومات شيئاً فشيئاً. تم قص الصور من جرائد أو تمت طباعتها من الكمبيوتر، على الأرجح من صفحات أخبار في الإنترنت. باستثناء صورة أديل. كان قلبه يخفق مثل الطبل المجنون فيما حاول إرسال المزيد من الدم إلى دماغه. كانت الصورة على ورقة فوتوغرافية ومحبة جداً، حيث افترض هاري أنه تم على الأرجح التقاطها بواسطة عدسة هاتف، ومن ثم جرى تظهيرها. بدت في الصورة نافذة سيارة، ووجه أديل التي كانت جالسة على المقعد الأمامي الذي لم يتزع عنه بعد غطاء النايلون، وثمة شيء ناتئ من عنقها؛

سكين كبيرة مع مقبض أصفر ساطع. أجبر هاري عينيه على التركيز أكثر. تحت الصور علقت مجموعة من الرسائل، مطبوعة أيضاً على كمبيوتر. قرأ هاري مقدمة إحداها.

الأمر بسيط جداً. أعرف من قتلتي. وأنت لا تعرف من أكون، لكنك تعرف ماذا أريد.

المال. إذا لم تدفعه، فسيصل رجال الشرطة. الأمر بسيط، أليس كذلك؟

كان النص طويلاً، لكن عينيه ركزت على نهاية الرسالة. لا اسم. لا توقيع. كان الشرطي واقفاً عند الباب. سمع هاري الصوت فيما كانت يده تتحسس الجدار وهو يتمتم: "لا بد أنه يوجد مفتاح للضوء في مكان ما هنا".

وجّه هاري ضوء المصباح إلى السقف الأزرق؛ إلى أربعة مصابيح نيون كبيرة. قال هاري: "نعم، صحيح". ووجّه ضوء المصباح فوق عدد من البقع الزرقاء، قبل أن يصل ضوء المصباح إلى ورقة مذبذبة على يمين الصور. ثمة جرس إنذار صغير بدأ يدق في دماغه. الورقة ممزقة من الجانب، وملينة بخطوط وأعمدة مرسومة باليد. لكن الخطوط مختلفة فيها.

قال الشرطي: "ها هو".

لسبب ما، فكر هاري فجأة في مصباح المكتب، والسقف الأزرق، ورائحة الأمونياك. وأدرك في تلك اللحظة أن الإنذار في رأسه لا علاقة له أبداً بالورقة.

قال هاري: "لا...".

لكن الوقت كان قد فات.

الانفجار لم يكن انفجاراً على الصعيد التقني، وإنما كان - مثلما سيُذكر في التقرير الذي سيوقعه رئيس قسم الإطفاء في اليوم التالي - حريقاً شبيهاً بالانفجار نجم عن احتكاك كهربائي بين الكابلات المتصلة بقلادة من غاز الأمونياك، فاشتعلت مادة PSG المطلية فوق كل السقف وتناثرت على الجدران.

شهق هاري فيما سحبت لهب النار كل الأوكسيجين الموجود في الغرفة، وأحس حرارة كبيرة فوق رأسه. ركع تلقائياً على ركبتيه، ومرر يديه فوق شعره لمعرفة ما إذا كان يحترق. وعندما نظر إلى الأعلى مجدداً، كانت اللهب تتصاعد من الجدران. أراد استنشاق الهواء، لكنه نجح في كبح ردة الفعل تلك، ووقف على قدميه. كان الباب على مسافة مترين فقط، لكن عليه... تمدد لالتقاط الورقة المعلقة. الورقة الممزقة من

سجل النزلاء في شاليه هافاس.

"ابتعد!". ظهر الشرطي عند الباب، وكان يحمل مطفأة الحريق تحت ذراعه والخرطوم في يده. وكما لو أن الأمر يحصل بصورة الحركة البطيئة، شاهد هاري الكارثة تحصل. فقد شاهد الدفق البني المائل إلى الذهبي يخرج من الخرطوم ويتطاير على الجدار؛ مادة بنية كان يفترض بها أن تكون بيضاء. سائل يفترض أن يكون بوردرة. وقبل أن ينظر إلى ألسنة اللهب التي استعرت على الأرض أمامه وهدرت حيث هبط السائل، وقبل أن يشم رائحة البترول في منخره، وقبل أن يرى اللهب وهي تلحق بدفق البترول باتجاه الشرطي الواقف عند الباب - الذي لا يزال يضغط على المقبض وهو في حالة صدمة - اندفع هاري نحو الشرطي. عرف هاري سبب تعليق مطفأة الحريق وسط غرفة الطعام، بشكل جلي، حيث يستحيل عدم رؤيتها. فهي حمراء وجديدة، وتنادي ليتم استعمالها.

ارتطمت كتف هاري بخصر الشرطي، فأوقعه، ودفع به إلى الجهة الخلفية للغرفة فيما هو فوقه.

رميا كرسيين في الهواء، فيما اختبأ تحت الطاولة. الشرطي الذي حاول استنشاق الهواء أشار بيديه، فيما حاول فتح فمه وإغلاقه مثل السمكة. استدار هاري، ونظر إلى حيث يشير، فشهد مطفأة الحريق الحمراء الملتفة باللهب تندرج صوبهما، والخرطوم يقذف مطاطاً ذائباً. نهض هاري، وجرّ الشرطي خلفه، وسحبه إلى الباب، فيما تكتكت ساعة إنذار في رأسه. أخرج الشرطي المترنح من الباب، وأصبحا في الردهة، ورماه على الأرض ثم اندفع فوقه، فيما دوى ما سيقول عنه رئيس الإطفاء في تقريره إنه انفجار حطم كل النوافذ وأشعل النار في كل غرفة الطعام.

غرفة "القص" تحترق. تم إعلان ذلك في الأخبار. عليك أن تخدم وتحمي، هاري هول، لا أن تحطم وتدمر. عليك دفع تعويض، وإلا فساخذ منك شيئاً عزيزاً على قلبك؛ خلال ثوانٍ. لا تعرف كم أن الأمر سهل.

بعد الحريق

هبطت ظلمة الليل على نيدالن. وقف هاري مع بطانية فوق كتفيه وكوب ورقبي كبير في يده، فيما راقب مع بيورن هولم رجال الإطفاء وهم يدخلون ويخرجون حاملين آخر أوعية PSG موجودة في مصنع كادوك.

قال بيورن هولم: "إذاً، قام بتعليق صور ضحايا الجرائم؟".

أجاب هاري: "نعم. باستثناء تلك المرأة من ليزيغ، جوليانا فيرني".

"ماذا عن الصفحة؟ هل أنت واثق من أنها من سجل النزلاء في شاليه هافاس؟".

"نعم. رأيت سجل النزلاء عندما كنت في الشاليه، وبدت الصفحات مماثلة".

"وكنت تقف على مسافة متر واحد من اسم النزيل الثامن، لكنك لم تره،

أليس كذلك؟".

هز هاري كتفه. "أحتاج ربما إلى نظارة للقراءة. حصلت الأمور بسرعة كبيرة هنا

بيورن، واختفى كل اهتمامي في الصفحة عندما بدأ الشرطي برش البترول".

"طبعاً، لم أقصد...".

"كانت هناك بعض الرسائل المعلقة على الحائط. وحسبما فهمت، إنها رسائل

ابتزاز. قام شخص ما بابتزازه ربما".

جاء رجل إطفاء صوبهما، وكانت ملابسه تصدر صوت صرير وخشخشة فيما

مشى.

"أنتما من كريوس، أليس كذلك؟". صدح صوت الرجل بطريقة متناغمة مع

الخوذة والجزمة. وكان يملك لغة جسدية أوحى بأنه المسؤول.

تردد هاري، ثم أكد بإيماءة. لا داعي لتعقيد الأمور.

"ماذا حصل هنا بالضبط؟".

قال هاري: "هذا ما أمل أن تتمكنوا أنتم أخيراً من إخبارنا به. لكن في الإجمال،

أعتقد أننا نستطيع القول إن الشخص الذي جعل لنفسه مكتباً هنا معفى من الإيجار

كان يملك خطة واضحة لاستقبال الزوار غير المدعويين".

"كان يجدر بي معرفة ذلك ما إن رأيت أنابيب النيون على السقف. فلو كانت تعمل، لما احتاج ذلك الشخص إلى مصباح للمكتب. كان مفتاح الضوء موصولاً بشيء آخر؛ بجهاز إشعال معين".

"أهذا هو رأيك؟ حسناً، سنحضر بعض الخبراء إلى هنا صباح غد".
سأل هولم: "كيف هي الأمور في الداخل؟ أعني في الغرفة حيث اشتعلت النيران؟".

تأمل رجل الإطفاء هولم بإمعان. "مادة PSG على الجدران والسقف، يا بني. كيف الحال برأيك؟".

شعر هاري بالتعب. تعب من أن يكون دوماً في طرف التلقي، وتعب من أن يكون خائفاً، وتعب من أن يتأخر دوماً. لكنه في الوقت الحاضر تعب خصوصاً من الرجال الأشرار الذين لا يسأمون أبداً من الأذية. تحدث هاري بصوت منخفض، منخفض جداً؛ حيث توجب على رجل الإطفاء الانحناء لسماعه.

"ما لم تكن مهتماً جداً في رأي رجل الشرطة القضائية التابع لي في الغرفة التي أرسلت للتو رجال الإطفاء إليها، فأنا أقترح عليك أن تنطق بكل ما تعرفه بعبارات وجيزة وإنما واضحة. تعرف أن هناك رجلاً كان جالساً هناك يخطط لست جرائم أو سبع. ثم نفذها. ونحن مهتمون جداً في معرفة ما إذا كان بوسعنا العثور على أي أدلة قد تساعدنا في إيقاف هذا الرجل الشرير جداً. هل يمكنك أن تكون مقتضباً هكذا؟".
استقام رجل الإطفاء، وسعل. "مادة PSG...".

"اسمع. نحن نسألك عن النتائج، وليس عن السبب".
تحول وجه رجل الإطفاء إلى لون أحمر غير ناجم فقط عن حرارة احتراق مادة PSG. "احترقت. احترقت بالكامل: الأوراق، المفروشات، الكمبيوتر، كل شيء".
قال هاري: "شكراً لك سيدي".

راقب الشرطيان ظهر رجل الإطفاء وهو يغادر.
كرر هولم: "رجل الشرطة القضائية التابع لي!". وكشّر بوجهه كما لو أنه ابتلع شيئاً مرفأاً.

"توجب عليّ أن أبدو أنا أيضاً في مظهر المسؤول".
"من الجيد التذاكي على أحد فيما تذاكي عليك أحد للتو، أليس كذلك؟".
أوماً هاري برأسه، وشدّ البطانية أكثر على كتفيه. "قال إن كل شيء قد احترق،

أليس كذلك؟".

"كل شيء قد احترق. ما رأيك؟".

حدق هاري بتعاسة في الدخان الذي كان لا يزال يتصاعد من نوافذ المصنع تحت أضواء مصابيح رجال الإطفاء.

أجاب: "تماماً، مثل المغازلة في نيدالن". وشرب بقية قهوته الباردة.

ابتعد هاري عن نيدالن، لكنه لم يصل أبعد من الإشارة الحمراء في أولانغدسغايت قبل أن يتصل به بيورن هولم مجدداً.

"أجرى رجال الشرطة القضائية تحليلاً للسائل المنوي الموجود على سروال التزلج الخاص بأديل، وحصلنا على هوية صاحب الحمض النووي".

قال هاري متعجباً: "حقاً؟".

"هوية جزئية. لكن ذلك كافٍ لتوكيد التطابق بنسبة 93 في المئة".

انتصب هاري على كرسيه.

تطابق. يا لها من كلمة رائعة! لم يذهب النهار سدى في النهاية.

قال هاري: "انطق بها إذا".

قال هولم: "عليك تعلم الاستمتاع بلذة الانتظار".

زمرجر هاري.

"حسناً، حسناً. وجدوا تطابقاً مع الحمض النووي لشعرة تم أخذها من فرشاة شعر طوني لايك".

حدق هاري في البعيد.

اغتصب طوني لايك أديل فيتلسين في الشاليه.

لم يتخيل هاري ذلك. طوني لايك؟! لا يمكن أن يكون بهذه الحقارة. إنه مجرم عفيف، نعم. لكن أن يغتصب امرأة جاءت إلى الشاليه مع رجل آخر؟! قال الياس

سكوغ إنه رآه يغلق فمها ويجرّها إلى الحمام. لم يكن اغتصاباً ربما.

فجأة، وبلمح البصر، أصبح كل شيء واضحاً.

رآه هاري مثل الماء الصافي.

لم يكن اغتصاباً، بل كان الحافز.

صدرت أصوات أبواق من السيارات خلفه. وتحولت الإشارة إلى اللون الأخضر.

الأمير الفاتن

كانت الساعة الثامنة إلا ربعاً، ولم يظهر بعد لون النهار وتناقضه. تلاً ضوء الصباح الرمادي على المشهد الريفي بنسخة مشوشة بالأسود والأبيض فيما ركن هاري سيارته قرب السيارة الوحيدة الأخرى قرب بحيرة فويتانغن ونزل إلى الرصيف. كان الشرطي سكاي واقفاً عند حافة الرصيف وهو يمسك بقصبة صيد في يده، ويضع سيجارة في زاوية فمه. طفت كتل الرطوبة في الهواء مثل الكرات الصوفية حول القصببات الناتئة من المياه السوداء والساكنة مثل الزيت.

قال سكاي من دون أن يلتفت: "هول، أنت تنهض باكراً".

"قالت لي زوجتك إنك هنا".

"كل صباح من الساعة السابعة إلى الساعة الثامنة. إنها الفرصة الوحيدة التي أملكها للتفكير قبل أن تبدأ زحمة النهار".

"ماذا اصطدت؟".

"لا شيء. لكن هناك أسماكاً بين القصببات".

"يبدو هذا الخبر مألوفاً. أخشى أن تبدأ زحمة النهار باكراً اليوم. جئت للحديث عن طوني لايك".

"طوني، نعم. مزرعة جده كانت في روستاد، شرق بحيرة لايسرن".

"هل تذكره جيداً؟".

"إنه مكان صغير، هول. كان والدي وهول العجوز صديقين، وكان طوني يأتي إلى هنا كل صيف".

"ما هي الذكريات التي تحتفظ بها عنه؟".

"كان رجلاً مرحاً. الكثير من الأشخاص أحبوه؛ خصوصاً النساء. كان ودوداً مع الفتيات، من نوع إلفيس بريسلي. ونجح في إحاطة نفسه بالكثير من الغموض. سرت الشائعات بأنه ترعرع بمفرده مع أمه المدمنة على الشراب إلى أن طردته ذات يوم لأن الرجل الذي كانت معه لم يحب الصبي. لكن النساء هنا استلطفنه كثيراً. وهو أيضاً

في المقابل. سبب له ذلك المشاكل بين الحين والآخر".

"كما حصل عندما تودد من ابنتك؟".

أجفل سكاي كما لو أن أحداً قد لدغه.

قال هاري: "زوجتك. سألتها عن طوني، وأخبرتني. فقد تشاجر طوني مع شاب

محلي على ابنتك في ذلك الوقت".

هز الشرطي رأسه. "لم يتشاجرا، بل كانت مذبحة بكل معنى الكلمة. المسكين

أول؛ اعتقد في رأسه أنه يشكل مع ميا ثنائياً لأنه وقع في غرامها وسمح له باصطحاب

ميا وصديقتها إلى الرقص. لم يكن من النوع المقاتل، أعني أول، بل كان صيبانياً أكثر.

إلا أنه أصبح مقاتلاً مع طوني الذي طرحه أرضاً وسحب سكيناً... كان المشهد

عنيفاً. لسنا معتادين على هذا النوع من الأمور هنا".

"ماذا فعل؟".

"قطع له نصف لسانه، ثم وضعه في جيبه وغادر. تم توقيف طوني بعد نصف

ساعة في منزل جده، وقيل له إنهم بحاجة إلى اللسان في غرفة العمليات. لكن طوني

قال إنه أطمعه للغربان".

"ما أردت السؤال عنه هو ما إذا كنت قد شككت يوماً في اغتصاب طوني

لامرأة. في ذلك الحين، أو في أي وقت آخر".

برم سكاي.

"دعني أشرح لك الأمر هول. لم تعد ميا تلك الفتاة السعيدة والمحظوظة

بعد تلك الحادثة. فقد بقيت مغرمة بذلك المجنون طبعاً. لكن، هكذا هنّ الفتيات في

ذلك العمر. وانتقل أول للعيش بعيداً. فكلما فتح الفتى المسكين فمه هنا، كان الأمر

بمثابة تذكير له وللآخرين بإذلاله المريع. لذا، نعم، أستطيع القول إن طوني لايك كان

من النوع العنيف. لكن، لا أعتقد أنه اغتصب أي امرأة؛ وإلا لكان قد اغتصب ميا؛

إذا استطعت وصف الأمر بهذه الطريقة".

"هل...؟".

"كانا في الغابة خلف قاعة الرقص. لم تسمح لطوني بإشباع رغبته، وقبل

بقرارها".

"هل أنت واثق؟ عذراً على السؤال، لكن...".

قفزت الصنارة إلى خارج الماء صوبهما. لمعت تحت الأشعة الأفقية للشمس.

"لا بأس، هول. أنا شرطي أيضاً، وأعرف ما الذي تسعى وراءه. ميا فتاة محترمة

ولا تكذب؛ ولا حتى في قاعة الشهود. يمكنك الحصول على التقرير إذا رغبت في التفاصيل. لكنني أفضل ألا تضطر ميا لتذكر كل تلك التجربة مجدداً".
قال هاري: "لن يكون ذلك ضرورياً. شكراً".

أبلغ هاري رجال التحري المجتمعين في قاعة مؤتمرات أودين أن الشخص الذي رآه تحت الدراجة الثلجية - والذي لم يتم العثور عليه بعد بالرغم من التواجد الكثيف للشرطة - امتلك أصابع طوني لايك المشوهة بفعل التهاب المفاصل، ثم أفصح عن نظريته. تراجع إلى الخلف على كرسيه، وانتظر ردات الفعل.
حدقت البجعة في هاري من فوق نظارتها، لكنها بدت وكأنها تتوجه إلى كل المجموعة.

"ماذا تقصد باعتقادك أن أديل كانت موافقة؟ بالله عليك، كانت تصرخ طلباً للمساعدة!".

قال هاري: "هذا ما اعتقده الياس سكوغ في مرحلة لاحقة. لكن الانطباع الأول الذي تكوّن لديه كان رؤيته شخصين يقومان بعلاقة حميمة برضى مشترك".
"لكن المرأة التي تأخذ معها رجلاً إلى شاليه لا تقوم بعلاقة حميمة مع شخص غريب في منتصف الليل! هل من الضروري أن تكون امرأة لتفهم ذلك؟". وتذكر هاري صورة الوحش الغاضب عند رؤيته صفائر شعرها غير الجذابة.

جاء الجواب من جار هاري. "هل تعتقد أن جنسك يمنحك تلقائياً معرفة أكبر للتفضيلات الجنسية لنصف سكان الكرة الأرضية؟!". توقف أيردال وتأمل الظفر المنظف حديثاً في إصبعه الصغرى. "ألم يتضح لك بعد أن أديل فيتلسين تبدل شركاءها باستمرار وبشكل متواتر؟ فقد وافقت على القيام بعلاقة حميمة مع شخص بالكاد تعرفه، وفي مصنع مهجور في منتصف الليل، أليس كذلك؟".

أخفض أيردال يده، وبدأ العمل على الإصبع الرابعة، وتمتم بصوت منخفض جداً؛ حيث كان هاري الوحيد الذي سمعه. "أياً يكن الأمر، عاشرت الكثير من النساء أيتها البجعة المخيفة".

قال هاري: "تنجذب النساء بسهولة إلى طوني، والعكس صحيح. وصل طوني إلى الشاليه في وقت متأخر. كان صديق أديل منزعجاً من شيء ما وخلد إلى النوم. لذا، استطاع طوني مغازلة أديل من دون أي إزعاج. كان يواجه المشاكل في المنزل، فيما بدأت هي تفقد الاهتمام في الرجل الذي كانت معه. استلطف طوني وأديل

بعضهما بعضاً، لكن الأشخاص كانوا متشربين في كل أرجاء الشاليه. لذا، تسلا في وقت لاحق من الليل إلى الخارج، والتقى عند الحمام. قبلا بعضهما، وتلامسا، ووقف خلفها، وأنزل سرواله، وكان يشعر بإثارة كبيرة جداً، حيث سال القليل ممّا يسمونه في "قسم الاعتداءات الجنسية" السائل السابق للقذف على سروال التزلج الخاص بها قبل أن يتمكن من إنزاله، والقيام بعلاقة حميمة معها. صرخت بصوت عالٍ بسبب نشوتها، فأيقظت الياس سكوغ الذي راقبهما من النافذة. وأعتقد أنهما أيقظا أيضاً صديقها فشاهدما من غرفته. لا أعتقد أنها اهتمت كثيراً للأمر. من جهة أخرى، حاول طوني كبح صوتها".

قالت البجعة بغضب: "إذا لم تكن مهتمة، فلم سيهتم هو؟ ففي النهاية، النساء هن اللواتي يشعرن بالخجل من أمور كهذه، فيما تتعزز مكانة الرجال؛ بين بقية الرجال، أذكركم!".

قال هاري: "امتلك طوني لايك حافزين على الأقل لكبح صراخها. أولاً، لا يرغب الرجل كثيراً في الكشف عن مغامراته الجنسية إذا كان خطيباً يظهر في المجالات؛ وخصوصاً إذا كان مال حميه المستقبلي على وشك إنقاذ استثماراته في الكونغو. ثانياً، كان طوني لايك خبيراً في التزلج ويعرف المنطقة جيداً".

"وما علاقة ذلك بالقضية؟"

سُمع صوت ضحك، واستدار الجميع إلى رأس الطاولة حيث كان مايكل بيلمان جالساً.

ضحك قائلاً: "انهيار ثلجي. خاف طوني لايك أن يؤدي صراخ أديل إلى استهلال انهيار ثلجي".

قال هاري: "لا بد أن طوني كان يعرف أن ثلاثة أرباع الانهيارات الثلجية القاتلة تنجم عن البشر".

انتشر الضحك حول الطاولة؛ حتى إن البجعة سمحت لنفسها بالابتسام. سألت: "لكن، ما الذي يدفعك إلى الظن بأن صديق أديل قد رآهما؟ وأن أديل لم تبال؟ كانت تشعر بإثارة كبيرة ربما لدرجة أنها نسيت نفسها".

قال هاري، وهو يتكئ إلى الخلف على كرسيه: "لأن أديل فعلت ذلك قبلاً. فقد أرسلت رسالة نصية إلى صديقها مع صورة لها وهي تعاشر رجلاً آخر. رسالة من دون رحمة، لا ترك مجالاً للشك عند أي كان. قال أصدقاؤها إنها لم تعاود لقاء صديقها ذاك مجدداً بعد الرحلة إلى هافاس".

قال بيلمان: "هذا مشير. لكن، إلى أين يقودنا؟".

أجاب هاري: "إلى الحافز. للمرة الأولى في هذه القضية، نملك "لماذا" محتملة".
سأل إيردال: "إذا نحن نبتعد عن نظرية القاتل المجنون بالتسلسل؟".

قالت بتي لون التي دخلت للتو، وجلست على طرف الطاولة: "امتلك رجل الثلج حافزاً؛ حافزاً مجنوناً ربما، وإنما هو حافز حتماً".

قال هاري: "الأمر أكثر بساطة هنا؛ غيرة قديمة الطراز. حافز لجريمتين من أصل ثلاث جرائم في هذه البلاد، وفي معظم البلاد الأخرى. في هذا السياق، يمكن توقع تصرفاتنا نحن البشر".

قالت البجعة: "قد يشرح ذلك جريمة قتل أديل فيتلسين وطوني لايك. لكن، ماذا عن بقية الجرائم؟".

قال هاري: "توجب عليه التخلص منهم جميعاً. فقد كانوا جميعاً شهوداً محتملين على الأحداث التي حصلت في الشاليه، وكان بوسعهم إخبار الشرطة، وتزويدنا بالحافز الذي كنا نفتقد إليه. لا بل الأسوأ ربما. لقد كانوا شهوداً على إذلاله الكبير؛ إذ تمت خيافته علناً. وبالنسبة إلى شخص مختل، يكون هذا حافزاً كافياً بحد ذاته".

صفق بيلمان بيديه. "أتمنى أن نحصل على بعض الأجوبة قريباً. تحدثت إلى كرونغلي عبر الهاتف، ويقول إن الطقس قد تحسن في منطقة البحث، حيث يستطيعون الآن إرسال الكلاب واستخدام المروحيات. هل من سبب معين دفعك إلى عدم الحديث عن شكك في أن الجثة تعود إلى طوني لايك، هاري؟".

هز هاري كتفه. "افترضت أننا سننتشل الجثة بسرعة أكبر، ولذلك لم أر سبباً للإفصاح علناً عن رأيي. في النهاية، التهاب المفاصل ليس بالمرض النادر".

حدّق بيلمان في هاري لثانية تقريباً قبل أن يتوجه إلى الآخرين. "لدينا مشتبه به أيها الرفاق. هل يرغب أحد في تسميته؟".

قال إيردال: "التزيل الثامن".

أعلنت البجعة: "الأمير الفاتن".

ساد صمت تام بضع لحظات؛ كما لو أن شيئاً ما استلزم الوقت للاستيعاب قبل أن يتابعوا الكلام.

قالت بتي لون: "اسمعوا، لسْتُ بارعة في الاستراتيجيات". وهي على ثقة تامة بأن جميع من في الغرفة يعرفون أنها لم تعلق يوماً على أي شيء لم تجرِ بحثاً شاملاً حوله. "لكن، ثمة شيء ما هنا يجعلني أتوقف وأتساءل. امتلك لايك أعذاراً مبررة في

أوقات الجرائم، لكن ماذا عن كل الأدلة التي تشير إليه؟ ماذا عن الاتصال الذي تمّ من هاتف منزله بالياس سكوغ؟ ماذا عن سلاح الجريمة الذي تم الحصول عليه من الكونغو؟ من مكان بعيد حيث يملك لايك اهتمامات مالية. هل هذه مجرد صدفة؟".

قال هاري: "لا. منذ اليوم الأول، أرشدنا الأمير الفاتن إلى طوني لايك. والأمير الفاتن هو الذي دفع لجوليانا فيرني للذهاب إلى الكونغو؛ لأنه عرف أن أي إشارة إلى الكونغو تعني الإشارة إلى طوني لايك. وبالنسبة إلى الاتصال الهاتفي بالياس سكوغ، تحققت اليوم من شيء كان يجدر بنا التحقق منه منذ وقت طويل، لكننا أهملناه مبدئياً عندما بدأنا نقرب من نتيجة؛ لأننا نقاوم أي شيء يضعف أدلتنا. ففي الوقت نفسه الذي جرى فيه الاتصال من منزل لايك بالياس سكوغ، حصلت ثلاثة اتصالات من خط لايك المباشر في مبنى مكتبه في أكير بريج. لا يمكن أن يكون لايك في مكانين مختلفين في الوقت نفسه. أراهن بمبلغ مئتي كرونر أنه كان في أكير بريج. هل من مؤيد؟".

ساد الصمت، ونظرت إليه العيون بدهشة.

قالت البجعة: "هل تقصد أن الأمير الفاتن اتصل بالياس سكوغ من منزل لايك؟ كيف...؟".

"عندما جاء لايك إلى مركز الشرطة، أخبرني أنه تمّ كسر باب القبو قبل أيام معدودة. يتطابق ذلك مع توقيت الاتصال الهاتفي بسكوغ. أخذ الأمير الفاتن دراجة هوائية لجعل الأمر يبدو مثل سرقة عادية بريئة بما فيه الكفاية لندون ذلك في سجلاتنا، ولكن ليس أكثر. يعرف لايك أننا لا نفعل أي شيء حيال هذا النوع من السرقات، ولذلك لم يبلغنا بها. بهذه الطريقة، وضع الأمير الفاتن بعض الأدلة غير القابلة للجدل ضد لايك".

قالت البجعة: "يا له من محتال!".

قالت بتي لون: "أؤيد شرح كيف. لكن، لماذا؟ لماذا توجيه الاتهام إلى طوني لايك؟".

قال هاري: "لأنه عرف أنه عاجلاً أم آجلاً، سوف نربط الجرائم بشاليه هافاس. وسيحدّ ذلك من عدد المشتبه بهم؛ حيث إن كل شخص كان موجوداً هناك تلك الليلة سيكون تحت المجهر. ثمة سببان وراء تمزيقه الصفحة من سجل النزلاء. السبب الأول هو حصوله على أسماء الذين كانوا هناك، حيث يتمكن من إيجادهم وقتلهم على راحته، فيما نعجز نحن عن إيقافه. أما السبب الثاني، والأكثر أهمية، فهو إبقاء اسمه مخفياً".

قال أيردال: "هذا منطقي. وللتأكد جيداً من عدم تعقبنا له، توجب عليه تزويدنا

بمتهم ظاهري؛ ألا وهو طوني لايك".

قال أحد رجال التحري، وهو رجل صاحب شاربين كبيرين يذكر هاري فقط اسم عائلته: "ولهذا السبب، توجب عليه الانتظار حتى النهاية لقتل طوني لايك".

تدخل جاره، وهو رجل صاحب بشرة لامعة وعينين لامعتين، لكن هاري لا يذكر اسمه أبداً: "لكن، من سوء حظه أن طوني امتلك عذراً مبرئاً لكل أوقات الجرائم. وبما أن دور طوني هو أن يكون بمثابة كبش محرقة، فقد بات زائداً عن الحاجة الآن. لذا، حان الوقت أخيراً لقتل العدو رقم واحد".

ارتفعت الحرارة في الغرفة، وبدت شمس الشتاء الشاحبة والخجولة وكأنها تسطع على المناقشة. إنهم يحرزون تقدماً، وتم إرخاء العقدة أخيراً. لاحظ هاري أن بيلمان اتكأ أكثر إلى الأمام على كرسيه.

قالت بتي لون: "كل هذا جيد". وفيما كان هاري ينتظر سماع كلمة "لكن"، أدرك ما ستسأله، وعرف أنها ستؤدي دور محامي الشيطان لأنها عرفت أنه يملك الأجوبة. "لكن، لماذا جعل الأمير الفاتن كل هذه المسألة معقدة جداً؟".

أجاب هاري: "لأننا نحن البشرية معقدون". واستطاع سماع صدى شيء سمعه ونسيه. "تريد فعل أشياء معقدة ومتشابكة، حيث نسيطر على أقدارنا، ونشعر أننا نتحكم في عوالمنا. الغرفة التي احترقت في مصنع كادوك، هل تعرفون بماذا ذكرتني خصوصاً؟ بغرفة التحكم. بالمقر الرئيس. ولست أكيداً من أنه خطط فعلاً للقضاء على لايك؛ ربما أراد فقط أن يتم اعتقاله وإدانته".

كان الصمت مدوياً جداً، لدرجة أنه استطاع سماع عصفور يزقزق في الخارج. سألت البهجة: "لماذا؟ إذا كان بوسعه قتله أو تعذيبه!".

أجاب هاري، وسمع الصدى مجدداً: "لأن الألم والموت ليسا أسوأ عقاب للبشرية. فالذل هو الأسوأ. هذا ما أراده لللايك. الذل الذي يأخذ كل شيء تملكه من بين يديك، السقوط، العار".

شاهد ابتسامة صغيرة ترسم على شفتي بتي لون، ورآها تومئ برأسها دليل الموافقة.

تابع قائلاً: "لكن، مثلما أشرنا سابقاً، امتلك طوني أعذاراً مبرئة، وهذا من سوء حظ القاتل. وهكذا، حصل طوني على العقاب البديل؛ وهو الموت البطيء وإنما الوحشي طبعاً".

أحس هاري في الصمت الذي تلا كلامه بشيء يرفرف أمامه. رائحة لحم مشوي.

ثم بدا وكأن من في الغرفة حبسوا أنفاسهم دفعة واحدة.

سألت البجعة: "ما الذي يجدر بنا فعله الآن؟".

نظر هاري إلى الأعلى. العصفور الممزق على غصن الشجرة خارج النافذة كان من نوع الصغنج. إنه طائر مهاجر وصل باكراً جداً. مما أعطى الناس أملاً بالربيع، لكنه تجمد حتى الموت في أول ليلة جليدية.

اللجنة لو كنت أعرف، قال هاري لنفسه. اللجنة لو كنت أعرف.

الرمح

كان اجتماع كريوس طويلاً هذا الصباح. أبلغ بيورن هولم المجتمعين بنتائج التحقيقات القضائية في كادوك. لم يتم العثور على أي سائل، ولا على أي دليل جسدي آخر للمجرم. فالغرفة التي استخدمها احترقت بالكامل، وتحول الكمبيوتر إلى كتلة معدنية، فلم يبق أي مجال لاسترداد أي معطيات. "كان يتصل ربما بالإنترنت باستعمال تلك الشبكات غير الآمنة في المنطقة. نايدالن مليئة بها".

قال أيردال: "لا بد أنه ترك بعض الآثار الإلكترونية". لكن العبارة بدت أشبه بشيء سمعه قبلاً، وليس بشيء استنتجه بنفسه.

قال هولم: "يمكننا طبعاً التقدم بطلب للنفاذ إلى مئات الشبكات الموجودة هنا والبحث عن شيء لا نعرفه. لكنني لا أعرف عدد الأسابيع التي سيستغرقها ذلك. أو ما إذا كان بوسعنا العثور على أي شيء".

قال هاري: "اتركوا الأمر لي". نهض وكان في طريقه إلى الباب وهو يطلب رقماً هاتفياً. "أعرف شخصاً".

ترك الباب مفتوحاً قليلاً، وفيما كان ينتظر الجواب، سمع أحد رجال التحري يقول إنه ما من شخص تحدثوا إليه رأى من كان يدخل أو يخرج من كادوك. لكن هذا ليس مفاجئاً؛ لأن المصنع مخبأ خلف الأشجار والأجمات، وأياً يكن الأمر، بات المكان معتماً جداً الآن في أشهر الشتاء.

حصل هاري على الرد. "سكرتيرة كاترين برات".
"مرحباً".

"الآنسة برات تتناول الغداء الآن".

"عذراً كاترين، لكن يجب أن ينتظر الغداء قليلاً. اسمعي...".

أصغت كاترين، فيما شرح لها هاري ما يريد.

"علّق الأمير الفاتن صوراً على الجدار جرى طبعها على الأرجح من مواقع

في شبكة الإنترنت. يمكنك بواسطة محرك البحث الدخول إلى الشبكات الموجودة في المنطقة، والتحقق من سجلات الخادم، ومعرفة من قام بزيارة صفحات الأخبار التي تحدثت عن الجرائم. الكثير من الأشخاص قاموا ربما...".

قالت كاترين: "ولكن، ليس بقدره. سأطلب لائحة مفرزة حسب عدد التحميلات".
"مم. تعلمت ذلك بسرعة".

"إنه في اسمي. كاترين برات. برات أي شاهق؛ منحني تعلم شاهق. هل فهمت؟".

عاد هاري إلى الآخرين.

كانوا يصغون إلى الرسالة التي تلقاها هاري من هاتف لايك الخلوي. تم إرسالها إلى الجامعة التقنية في تروندهايم لتحليل الصوت. لقد حققوا نتائج مفيدة من تسجيلات الصوت في سرقات المصارف، لأن الصوت يصعب تمويهه حتى لو حاولت تشويهه. لكن قيل لبيورن هولم إن التسجيل السيئ لصوت غير محدد - أشبه بسعال أو ضحك - يكون عديم الجدوى، ولا يمكن استعماله للتعرف إلى صاحب الصوت.

قال بيلمان، وهو يضرب الطاولة بيده: "اللعنة! لو كان معنا ملف صوتي أو آثار قدم، لاستطعنا حذف أسماء المشتبه بهم المحتملين من القضية".

تمتم أيردال: "أي مشتبه بهم محتملين؟".

قال هولم: "تقول لنا إشارة المحطة الرئيسة إن الشخص الذي استعمل هاتف لايك كان قرب وسط أوستاوسيت عندما اتصل، ثم اختفت الإشارة مباشرة بعد ذلك. فشبكة الهاتف الخلوي توفر تغطية فقط في وسط أوستاوسيت. إلا أن اختفاء الإشارة تدريجياً يعزز النظرية القائلة إن الأمير الفاتن هو الذي استعمل الهاتف".
"لِمَ هذا؟".

"حتى لو لم يتم استعمال الهاتف، تقوم المحطة الرئيسة بالتقاط إشارات مرة كل ساعتين. وبما أن المحطة لم تتلق أي إشارات، يثبت ذلك أن الهاتف، قبل الاتصال أو بعده، كان في المنطقة الجبلية المقفرة حول أوستاوسيت. حيث تم نقله ربما خلال الانهيار الثلجي والتعذيب وما إلى ذلك".

ما من ردة فعل. عرف هاري أن الحماسة السابقة قد اختفت. ذهب إلى كرسيه. قال بهدوء، وهو مدرك تماماً أنه لم تعد هناك حاجة لكي يلفت الانتباه: "ثمة طريقة واحدة محتملة تتيح لنا الحصول على أثر قدم مثلما اقترح بيلمان. استرجعوا في عقولكم منزل لايك وعملية السرقة التي حصلت هناك. لنفترض أن القاتل اقتحم

منزل لايك للاتصال بالياس سكوغ من هناك. ولنفترض أن رجال الشرطة المسؤولين عن مسرح الجريمة أنجزوا عملاً دقيقاً ومسهباً؛ مثلما بدا لي عندما وصلت وعن غير قصد... ضربت هولم". أحنى بيورن هولم رأسه، ووجه إلى هاري نظرة تقول: بالله عليك، اعفني من مزاحك. "... ألا يفترض أن تكون في هولمنفين بصمات تخص... الأمير الفاتن؟".

أشرفت الشمس مجدداً على الغرفة، وتبادل الآخرون نظرات في ما بينهم. شعروا تقريباً بالخجل. الأمر بسيط جداً؛ بدهي جداً. ولم يفكر به أحد... قال بيلمان: "كان اجتماعاً طويلاً فيه الكثير من المعلومات الجديدة. يبدو جلياً أن أدمغتنا بدأت تتعب. لكن، ما رأيك في هذا هولم؟". ضرب بيورن هولم جبينه. "نملك طبعاً كل البصمات. أنجزنا التحقيق ظناً منا أن طوني لايك هو القاتل، وأن منزله مسرح الجريمة المحتمل. كنا نأمل في إيجاد بصمات تتطابق مع بعض الضحايا".

سأل بيلمان: "وهل كان هناك الكثير من البصمات التي لم يتم التعرف إليها؟". قال بيورن هولم، وهو يتسّم: "هنا المسألة المهمة. كانت تأتي امرأتان بولنديتان إلى منزل لايك لتنظيفه مرة أسبوعياً. كانتا في المنزل قبل ستة أيام وأنجزتا تنظيفاً مسهباً. لذا، عثرنا فقط على بصمات تخص لايك نفسه، ولين غالتونغ، والمرأتين البولنديتين وشخصاً مجهولاً لم تتطابق بصماته مع أي من الضحايا. أوقفنا البحث عن التطابقات بعدما قدّم لايك عذراً مبرئاً وجرى إطلاق سراحه. لكني لا أذكر الآن أين عثرنا على البصمات مجهولة الهوية".

قالت بتي لون: "أنا أذكر. تلقيت التقرير مع الرسوم الأولية والصور الفوتوغرافية. تم العثور على بصمات اليد اليسرى للسيد "إكس" مجهول الهوية على مكتب فخم وبشع جداً. هكذا". وقفت وأحنت يدها اليسرى. "وإذا لم أكن مخطئة كثيراً، هنا يوجد هاتف الخط الأرضي. بهذه الطريقة". استخدمت يدها اليمنى لرسم الإشارة الدولية للهاتف، حيث وضعت الإبهام على أذنها والإصبع الصغير على فمها.

قال بيلمان مع ابتسامة عريضة: "أيها السيدات والسادة. اللعنة عليّ إذا لم نكن قد أحرزنا تقدماً مهماً. باشر في البحث عن تطابق للسيد "إكس"، هولم. لكن، عدني أنه لن يكون زوج إحدى المرأتين البولنديتين، وأنه قد انضم إليهما لإجراء بعض الاتصالات المجانية بالوطن".

في أثناء الخروج، مشت البجعة قرب هاري. ووجهت إليه إحدى نظراتها المروعة.

"قد تكون أفضل مما اعتقدت، هاري. لكن، عندما تعطي نظرياتك، لا بأس في قول كلمة "أظن" بين الحين والآخر". ابتسمت ووكزته برفق على وركه.
قدّر هاري الابتسامة، والوكزة على الورك من جهة أخرى. رجّ هاتفه في جيبه، فأخرجه؛ ليس مستشفى ريكس.

قالت كاترين برات: "يسمي نفسه ناشفيل".
"مثل المدينة الأميركية؟".

"نعم. زار مواقع الويب لتصفح كل الجرائد الكبيرة، وقراءتها، والاطلاع على كل المعلومات حول الجرائم. لكن الخبر السيئ هو أن هذا كل ما توصلت إليه. فقد نشط ناشفيل على شبكة الإنترنت لمدة شهرين فقط، ويبحث حصراً عن الأشياء المرتبطة بالجرائم. يبدو وكأن ناشفيل كان ينتظر أن يجري التحقق منه".

قال هاري: "يبدو مثل رجلنا تماماً".
قالت كاترين: "حسناً. عليك البحث عن رجال يعتمرون قبعات رعاة البقر".
"ماذا؟".

"ناشفيل. بلاد الموسيقى الريفية وكل ذلك".
صمت.

"آلو، هاري؟".
"أنا هنا. حسناً. شكراً لك كاترين".
"هل من قبلات؟".
"على كل جسمك".
"لا، شكراً لك".
أنهيا المكالمة.

مُنح هاري مكتباً مطلقاً على براينز، وكان يراقب بعض التفاصيل غير الجميلة في المنطقة عندما سمع أحدهم يطرق على الباب.
كانت بتي لون واقفة عند الباب.
"ما هو إحساسك لدى اقتراب موعد مواجهتك العدو؟".
هزّ هاري كتفه. "العدو اسمه الأمير الفاتن".
"جيد. أردت فقط أن أقول لك إننا طابقنا البصمات الموجودة على المكتب مع المعطيات الموجودة لدينا، ولم يكن هو".

"لم أتوقع أن يكون هو".

"كيف حال والدك؟".

"بقيت لديه أيام".

"أسفة لسماع ذلك".

"شكراً لك".

نظرا إلى بعضهما. وفجأة، انتبه هاري أن هذا وجه سيراه في الدفن؛ وجه صغير شاحب رآه في جنازات أخرى، مليء بالدموع، مع عينين كبيرتين كأساويتين، وجه وكأنه مخصص للجنازات.

سألته: "بِمَ تفكر؟".

أجاب هاري، وهو يعاود النظر إلى المشهد الطبيعي: "أعرف فقط قاتلاً وحيداً قتل بهذه الطريقة".

"إنه يذكرك برجل الثلج، أليس كذلك؟".

أوماً هاري رأسه ببطء.

تنهدت. "وعدت بألا أقول ذلك، لكن راكيل اتصلت".

حدق هاري في مباني الشقق في هيلسفاير.

"سألت عنك. قلت لها إنك بخير. هل فعلت الشيء الصحيح هاري؟".

أخذ هاري نفساً عميقاً. "طبعاً".

بقيت بتي واقفة عند الباب لبرهة، ثم غادرت.

كيف حالها؟ كيف أوليغ؟ أين هما؟ ماذا يفعلان عندما يهبط الليل؟ من يعتني

بهما؟ ومن يراقبهما؟ وضع هاري رأسه على ذراعيه، وغطى أذنيه بيديه.

هناك شخص واحد فقط يعرف كيف يفكر الأمير الفاتن.

حلت عتمة بعد الظهر من دون إنذار. الكابتن، موظف الاستقبال شديد الحماسة، اتصل للقول إن أحداً ما قد اتصل بهم للسؤال عما إذا كانت إيسكا بيلر؛ السيدة الأسترالية، تنزل عندهم. قال هاري إنه صحافي ربما، لكن الكابتن رأى أنه حتى الصحافي المبتدئ يعرف قواعد اللعبة. إذ عليه التعريف عن نفسه بالاسم، وذكر مكان عمله. شكره هاري، وكان على وشك الطلب منه أن يعاود الاتصال به إذا سمع أخباراً إضافية. لكنه فكر في ما يمكن أن تنطوي عليه هذه الدعوة. اتصل بيلمان للقول إنه يعقد مؤتمراً صحافياً، وسأله إذا كان يودّ المشاركة، ثم...

اعتذر هاري، واستطاع سماع ارتياح بيلمان.
طرق هاري على المكتب. رفع سماعة الهاتف للاتصال بكاجا، ثم أنزلها مجدداً.
رفعها مجدداً واتصل ببعض الفنادق في وسط المدينة. لا يذكر أي منها أنه تلقى
أسئلة عن امرأة تدعى إيسكا بيلر.

نظر هاري إلى ساعته. رغب في احتساء الشراب، كما رغب في الذهاب إلى
مكتب بيلمان، وسؤاله عما فعله بالأفيون اللعين خاصة، رافعاً قبضته، ومتأملاً إياه
وهو يبدو خائفاً منه...

شخص واحد فقط يعرف.

نهض هاري، وركل الكرسي، وأمسك بمعطفه الصوفي وخرج مسرعاً.
توجه إلى المدينة، وركن السيارة في مكان يمنع فيه الوقوف خارج المسرح
النروجي. عبر الشارع، وذهب إلى مكتب الاستقبال في الفندق.

اكتسب الكابتن هذا اللقب عندما كان يعمل بواباً في الفندق نفسه. والسبب ربما
هو الجمع بين البذلة الحمراء المبهرجة وحقيقة إصداره التعليقات والأوامر باستمرار
لكل شيء حوله. بالإضافة إلى ذلك، اعتبر نفسه نقطة التقاطع مع أي شيء مهم يحصل
في المدينة، أي إنه الرجل الذي يضع إصبعه على نبض المدينة؛ الرجل الذي يعرف
والواقع أن المخبر جزء مهم من آلية الشرطة في إبقاء أو سلو آمنة.

قال الكابتن: "إذا استرجعت الذكريات في دماغي، فأنا أستطيع سماع صوت
مميز". لافظاً كلماته بطريقة مميزة. انتبه هاري إلى زميل الكابتن الواقف وراء مكتب
الاستقبال قربه وقد برم عينيه.

استنتج الكابتن: "كان يبدو شاذاً نوعاً ما".

سأله هاري، وهو يتذكر شيئاً ذكره أصدقاء أديل: "هل تقصد أن صوته كان عالي
النبرة؟". قالت أديل إن صديقها يتكلم بطريقة منحرفة؛ تماماً مثل رفيقها في السكن.
"لا، هكذا". عقف الكابتن يديه، وحرك أهدابه، وأنجز حركة الملكة كثيرة
الكلام. "أنا مفتون بك جداً، سورين".

قهقه زميله الذي كان يضع لصاقة تحمل الاسم "سورين".

شكره هاري، وكان مرة جديدة على وشك الطلب من الكابتن أن يتصل به إذا
تذكر أي شيء، غير أنه خرج من الفندق. أشعل سيجارة ونظر إلى لافتة الفندق. ثمة
شيء... في تلك اللحظة، لمح سيارة شرطة المرور مركونة وراء سيارته فيما الشرطي
المرتدي بذلة كاملة يدون رقم السيارة على محضر الضبط.

اجتاز هاري الشارع، ورفع بطاقته المهنية قائلاً: "أنا في مهمة للشرطة".
قال الشرطي من دون أن يتوقف عن الكتابة: "لا فرق عندي. ممنوع الوقوف
يعني ممنوع الوقوف. تقدم بشكوى".
قال هاري: "حسناً. هل تعرف أننا نملك صلاحية كتابة محاضر ضبط إذا أردنا؟".
نظر إليه الرجل وابتسم. "إذا كنت تظن أنني سأسمح لك بكتابة محضر الضبط
بنفسك، فأنت مخطئ يا صديقي".
أشار هاري قائلاً: "كنت أفكر أكثر في تلك السيارة".
"هذه سيارتي، وشرطة المرور...".
"ممنوع الوقوف يعني ممنوع الوقوف".
وجّه إليه الرجل نظرة غضب.
هزّ هاري كتفه. "تقدم بشكوى يا صديقي".
أغلق الشرطي دفتره، واستدار في مكانه، وعاد إلى سيارته.
فيما كان هاري يتوجّه إلى أونيفيرسيتيسغاتا، رنّ هاتفه. إنه غونار هاغن. استطاع
هاري سماع ارتعاش الحماسة في الصوت المضبوط عادة لرئيس قسم مكافحة الجرائم.
"تعال إلى هنا فوراً هاري".
"ماذا حصل؟".
"تعال فقط، إلى المكتب تحت الأرض".

سمع هاري الأصوات، ورأى الأضواء تومض قبل أن يصل فعلياً إلى نهاية الرواق
الإسمتي. كان غونار هاغن وبيورن هولم واقفين أمام باب مكتبه القديم، وثمة امرأة
من كريمتكينسك تمسح الباب ومقبض الباب بفرشاة بحثاً عن بصمات، فيما شخص
شبيه بهولم يلتقط صوراً لنصف أثر قدم في الزاوية.
قال هاري: "هذا الأثر قديم. كان هنا قبل أن تنتقل إلى المكتب. ماذا يجري؟".
سأل الشرطي زميله هولم مستفسراً، فأوماً له هذا الأخير بأن هذا يكفي.
قال هاغن: "اكتشف أحد حراس السجن هذا على الأرض قرب الباب". وحمل
كيساً يحتوي على مغلف بني. عبر الكيس الشفاف، قرأ هاري اسمه، مطبوعاً على
لصاقة فوق المغلف.
"يقول حارس السجن إن المغلف موضوع هنا منذ يومين على الأكثر. لا يمر
الكثير من الناس في هذا الرواق كل يوم".

قال بيورن: "نحن نقيس مقدار الرطوبة في الورق. وضعنا مغلفاً مماثلاً هنا، ومنتظر حتى نعرف كم من الوقت سيحتاج كي يصل إلى مستوى الرطوبة نفسه. ثم سنعمل بشكل عكسي".

قال هاري: "ها أنتم أمام تحقيق في مسرح الجريمة".

قال هاغن: "لن يساعدنا التوقيت. لا توجد كاميرات مراقبة حيث اعتقد أنه تواجد. هذا أمر واضح تماماً. في مساحة الاستقبال المزدحمة، في المصعد، هنا في الأسفل، لا أبواب مقفلة قبل أن تصعد إلى السجن".

سأل هاري: "لا، لم يجدر بنا البقاء هنا؟ هل يعارض أحد إذا دخنت سيجارة؟".
لم يجب أحد، لكن نظراتهم كانت معبرة كفاية. هز هاري كتفه.

قال: "أفترض أنه في مرحلة ما سيخبرني أحدكم بما يوجد في المغلف".
حمل بيورن هولم كيساً آخر.

كانت رؤية المحتويات صعبة بسبب الإنارة السيئة، ولذلك اقترب هاري أكثر.
قال: "أوه اللعنة". وتراجع نصف خطوة إلى الوراء.

قال هاغن: "الإصبع الوسطي".

قال بيورن: "تبدو الإصبع وكأنها قد كسرت أولاً. بشرة نظيفة ومقطوعة جيداً. لا حواف ممزقة. قطع. فأس، أو سكين كبيرة".

صاح في الرواق تحت الأرض صوت خطوات سريعة تقترب.

حدّق هاري. كانت الإصبع بيضاء، وخالية من الدم، لكن الطرف أسود مزرق.
"ما هذا؟ هل أخذتم البصمات؟".

قال بيورن: "نعم. وإذا كنا محظوظين، فالجواب في طريقه إلينا".

قال هاري: "أعتقد أنه من اليد اليمنى".

قال هاغن: "صحيح. مراقبتك دقيقة".

"هل يحتوي المغلف على أي شيء آخر؟".

"لا. وها أنت الآن تعرف بقدر ما نعرف نحن".

قال هاري، وهو يبحث عن علبة السجائر: "ربما. لكنني أعرف شيئاً آخر عن الإصبع".

قال هاغن، وهو يتبادل النظرات مع بيورن هولم: "فكرنا في ذلك أيضاً". اقترب

صوت الخطوات أكثر فأكثر. "الإصبع الوسطى لليد اليمنى. إنها الإصبع نفسها التي خسرتها بسبب رجل الثلج".

قاطعتهم الشرطة القضائية قائلة: "وجدت شيئاً هنا".

استدار الآخرون صوبها.

كانت تجلس القرفصاء، وتحمل شيئاً بين الإبهام والسبابة. لونه أسود رمادي.
"ألا يبدو مثل الحجارة الصغيرة التي وجدناها في مسرح جريمة بورغني؟".
اقترب هاري أكثر. "نعم. حمم بركانية".

الشخص الآتي كان شاباً يضع بطاقة شرطة على جيب صدر قميصه. توقف أمام
بيورن هولم، ووضع يديه على ركبتيه، وحاول استنشاق الهواء.

قال هولم: "حسناً، كيم إريك؟".

قال الرجل الشاب: "وجدنا تطابقاً".

قال هاري، وهو يضع سيجارة بين شفتيه. "دعني أحزر".

استدار الآخرون صوبه.

"طوني لايك".

بدا كيم إريك خائب الأمل فعلاً. "كيف...؟".

"ظننت أنني رأيت يده اليمنى ناتئة من تحت الدراجة الثلجية، لكن الأصابع لم
تكن ناقصة. إذاً لا بد أنها كانت اليد اليسرى". أوماً هاري في اتجاه الكيس. "الإصبع
غير مكسورة، وإنما فقط مشوّهة بسبب التهاب المفاصل قديم الطراز. وهو مرض
وراثي وإنما غير مُعدّ".

كتابة مزخرفة

المرأة التي فتحت باب المنزل في هوفستر كانت عريضة الكتفين بقدر المصارع، وطويلة بقدر هاري. حدّقت به وانتظرت بصبر؛ كما لو أنها معتادة على منح الأشخاص الثواني الضرورية للتعبير عما يريدونه.
"نعم؟".

تعرف هاري إلى صوت فريدا لارسن من الهاتف. وقد جعله يتصور امرأة صغيرة القامة ونحيلة.
قال: "هاري هول. وجدت عنوانك من خلال رقم الهاتف. هل فيليكس هنا؟".
أجابت ببرودة: "خرج للعب الشطرنج". جواب قياسي، مثلما بدا له. "أرسل له بريداً إلكترونياً".
"أود التحدث إليه".

"بخصوص ماذا؟". وقفت عند الباب بطريقة تحول دون استراق النظر إلى الداخل.
"عثرت على قطعة حمم في مركز الشرطة، وكنت أتساءل عما إذا كانت من البركان نفسه مثل العينة السابقة التي أرسلناها إليه".
وقف هاري تحتها بدرجتين، وأمسك بالحجر الصغير. إلا أنها لم تتزحزح عن العتبة.

قالت: "تستحيل عليك رؤيته. أرسل بريداً إلكترونياً إلى فيليكس". واقتربت أكثر من الباب.
قال هاري: "أفترض أن الحمم كلها متشابهة؛ فهي مجرد حمم، أليس كذلك؟".
ترددت، فيما انتظر هاري. عرف من تجربته أن الخبراء لا يستطيعون مقاومة تصحيح الخطأ.

قالت: "لكل بركان تركيبته الخاصة في الحمم. لكن التركيبة تختلف أيضاً بين فوران وآخر. عليك تحليل الحجر؛ فمحتوى الحديد الموجود فيه يقول لك الكثير".

كان وجهها خالياً من التعابير، وبدت عيناها بلا أي اهتمام.

قال هاري: "ما أريده فعلاً هو الاستفسار عن أولئك الأشخاص الذين يسافرون حول العالم لدراسة البراكين. لا يوجد الكثيرون منهم، ولذلك كنت أتساءل عما إذا كان فيليكس يملك لمحة عن الخبراء النروجيين".

أجابت: "عددهم أكبر مما تتصور".

"إذاً، هل أنت واحدة منهم؟".

هزت كتفها.

"ما هو آخر بركان قمتما بزيارته؟".

"أول دوانيو لانغاي في تانزانيا. ولم نصل إليه، لكننا كنا قريبين. كان البركان في حالة ثوران. ناتروكربونيت بركاني. الحمم المتدفقة كانت سوداء، لكنها تفاعلت مع الهواء، وبعد بضع ساعات أصبحت بيضاء تماماً؛ مثل الثلج".

أصبح صوتها ووجهها حيويين فجأة.

سألها هاري: "لماذا لا يريد التكلم؟ هل أخوك أخرس؟".

تصلب وجهها مجدداً، وعادت الرتبة إلى صوتها. "أرسل له بريداً إلكترونياً".

انغلق الباب بقوة كبيرة، لدرجة أن الغبار دخل في عيني هاري.

ركنت كاجا السيارة في ماريدالسفاين، وقفزت فوق الحاجز المحطم، ونزلت برفق المنحدر العميق المؤدي إلى الغابة حيث يقع مصنع كادوك. أضاءت مصباحها، ومشت ببطء بين الشجيرات، وأبعدت عنها الأغصان العارية التي أرادت الانغراز في وجهها. كانت النباتات كثيفة جداً، وتداخلت الظلال مثل الذئاب الصامتة. وحتى عندما توقفت، وأصغت وراقبت، انعكست ظلال الأشجار على الأشجار، حيث لم يعد بوسعها التمييز، كما لو أنها في متاهة مرايا. إلا أنها لم تشعر بالخوف. من الغريب فعلاً أن تكون هي التي تخاف من الأبواب المغلقة غير خائفة الآن من العتمة. أصغت إلى هدير النهر. هل سمعت شيئاً؟ هل سمعت صوتاً لا يفترض أن يكون هنا؟ تابعت طريقها. مشت فوق جذع شجرة قلبتها الرياح وتوقفت. لكن الأصوات الأخرى توقفت لحظة توقفت هي. أخذت كاجا نفساً عميقاً وركزت تفكيرها. بدا لها كما لو أن شخصاً ما يلاحقها ولا يريد أن يراها.

استدارت وأنارت المصباح ووجهته خلفها. لم تعد واثقة من أنها غير خائفة

من العتمة. تمايلت بعض الأغصان أمام الضوء، لكن لا بد أن تكون الأغصان التي حركتها بنفسها، أليس كذلك؟
برمت إلى الأمام مجدداً.

وصرخت عندما وقع ضوء مصباحها على وجه شاحب جداً مع عينين كبيرتين. أوقعت المصباح وتراجعت إلى الخلف، لكن الشكل لحق بها مع صوت عالٍ شبيه بالضحك. لاحظت في العتمة أن ذلك الشكل انحنى، ثم انتصب، وفي اللحظة التالية كان ضوء مصباحها القوي يسطع على وجهها.
حبست أنفاسها.

ملتبة
t.me/t_pdf

توقفت الضحكة الساخرة.
"إليك". قال صوت رجل، وقفز الضوء.
"ماذا؟".

قال الصوت: "مصباحك".
أخذته كاجا، ووجهت نور المصباح إلى جانبه؛ كي تتمكن من رؤيته من دون أن تعمية بالضوء. إنه يملك شعراً أشقر وفكاً ناتئاً.
سألته: "من أنت؟".

"ترولس بيرنستن. أعمل مع مايكل".
لقد سمعت باسم ترولس بيرنستن من دون شك. الظل. بيفيس؛ ألا يناديه مايكل هكذا؟

"أنا...".
"كاجا سولنس".
"صح. كيف...؟" ابتلعت لعابها، وبدلت السؤال. "ماذا تفعل هنا؟".
أجاب من دون أي تردد: "تماماً مثلك".
"صح. وماذا أفعل أنا هنا؟".

ضحك ضحكته الساخرة، لكنه لم يجب. وقف مباشرة أمامها، وأنزل ذراعيه بعيداً عن جانبيه. رفّ جفناه كما لو أن حشرة عالقة تحتها.
تنهدت كاجا وقالت: "إذا كنت تفعل ما أفعله أنا، فإنك هنا لمراقبة المصنع؛ في حال عاود الظهور".

قال بيفيس من دون أن يزيح عينيه عنها: "نعم، في حال عاود الظهور".
قالت: "ليس هذا مستبعداً، أليس كذلك؟ فهو لا يعرف ربما أنه احترق".

قال بيفيس: "عمل والدي هنا. كان يقول إنه صنع PSG، وسعمل PSG وأصبح PSG".

"هل هناك الكثير من جماعة كريوس في المنطقة؟ هل أعطاكم مايكل الأمر للمجيء إلى هنا؟".

"توقفت عن مقابلته، أليس كذلك؟ أنتِ تقابلين الآن هاري هول".
أحست كاجا بقشعريرة في معدتها. كيف يعرف هذا الرجل تلك الأخبار؟ هل أخبر مايكل الناس عن علاقتهما؟

قالت لتبديل الموضوع: "لم تكن في هافاس".
"لم أكن؟". ضحكة ساخرة. "أفترض أنني كنت في إجازة. كان جوسي هناك".
قالت بهدوء: "نعم. كان هناك".

هبت رياح قوية، فأدارت رأسها للحؤول دون خدش وجهها بغصن. هل كان يلاحقها أم إنه وصل إلى هنا قبلها؟
عندما استدارت لسؤاله، لم يعد موجوداً. وجهت مصباحها إلى الأشجار. لقد اختفى.

كانت الساعة الثانية من بعد منتصف الليل عندما ركنت سيارتها في الشارع، ودخلت عبر البوابة وصعدت الدرج المؤدي إلى المنزل الأصفر. ضغطت على الزر الموضوع فوق السيراميك المطلي، والذي يحمل عبارة "عائلة هول" بكتابة زخرفية منمقة.

بعد أن رنّ الجرس للمرة الثالثة، سمعت سعالاً خفيفاً، واستدارت لرؤية هاري وهو يعيد مسدس الخدمة إلى بطانة سرواله. لا بد أنه تسلل إلى زاوية المنزل من دون إصدار أي ضجة.
سألته مذعورة: "ما الأمر؟".

"حيطة إضافية. كان يجدر بك الاتصال والقول إنك آتية".
"ألم يكن يجدر بي المجيء؟".

صعد هاري الدرج، وتجاوزها وفتح قفل الباب. لحقت به إلى الداخل، ووضعت ذراعيها حوله من الخلف، وتشبثت بظهره، وركلت الباب لإغلاقه بكعبها. حرر نفسه منها، واستدار، وكان على وشك قول شيء، لكنها أوقفته بقبلة؛ قبلة جشعة استلزمت رداً مماثلاً. وضعت يديها الباردتين على قميصه، وعرفت من بشرته الساخنة أنه جاء

مباشرة من السرير، أخرجت المسدس من سرواله ووضعتة على الطاولة في الرواق.
همست له: "أريدك".
"كاجا...".

"هل أستطيع الحصول عليك؟".
أحسنت أنها شعرت بتردد بسيط؛ برفض معين. طوقت عنقه بيدها الأخرى،
ونظرت إلى عينيه. "أرجوك...".

ابتسم، ثم استرخت عضلاته وقبّلها؛ بحذر، بحذر أكثر مما تريد.
قال لها: "اللعنة عليك". وحملها، ونقلها على الدرج. ركل باب غرفة النوم لفتحه
ووضعها على السرير. في جهة أمه. أرجعت رأسها إلى الخلف، وأغمضت عينها...

استلقت وهي تضع وجتها وأذنها على صدره، وتصغي إلى دقات قلبه.
همست له: "بِمَ فكرت عندما كنت مستلقياً هناك وأنت على علم بأنك ستموت؟".
قال هاري: "بأنني سأعيش".
"فقط هذا؟".

"ألم تفكر في أنك ستلتقي الذين أحببتهم؟".
"لا".

"أنا فكرت. كان ذلك غريباً. شعرت بخوف كبير لأن شيئاً مميزاً سيحطم. ثم
اختفى الرعب، وغمرني بدلاً من ذلك إحساس بالسلام. نمت فقط، ثم جئت أنت
وأيقظتني؛ أنقذتني".

مرر إليها هاري سيجارته فأخذت مجرة منها، ثم ضحكت ضحكة نصف
مكبوتة.

"أنت بطل، هاري. من النوع الذي يمنحونه ميداليات. من كان يظن هذا؟".
هزّ هاري رأسه. "صديقيني حبيبتني، كنت أفكر فقط في نفسي. لم أفكر فيك إلا
عندما وصلت إلى الموقد".

"ربما لا، لكن عندما وصلت إلى هناك، كان لديك القليل جداً من الهواء. وعند
بحثك عني، عرفت أننا سنستهلك ضعف الهواء وبسرعة كبيرة".
"ماذا عساي أقول؟ أنا رجل كريم".
ضربته على صدره مع ضحكة. "أنت بطل!".

استنشق هاري الهواء بقوة. "أو ربما كانت الرغبة في البقاء تناور الضمير".
"ماذا تقصد؟".

"الشخص الذي وجدته أولاً كان قوياً جداً لدرجة أنه احتفظ بالقضيب. حذرت أنه كولكا، وأنه لا يزال على قيد الحياة. عرفت أنها مسألة ثوانٍ ودقائق، لكنني بدلاً من إخراجه رحمت أفتش في الثلج لأجدك. كنت جامدة جداً. ظننتك ميتة".
"إذا؟".

"كنت أفكر ربما في أعماق نفسي أنني إذا انتشلت الميت أولاً، فإن الذي لا يزال على قيد الحياة قد يموت أيضاً في غضون ذلك. وبهذه الطريقة، سيصبح الهواء كله لي وحدي. تصعب معرفة من يتحكم في أفعالك".

بقيت صامتة. في الخارج، صدح صوت دراجة نارية ثم اختفى. دراجة نارية في شهر مارس. واليوم شاهدت عصفوراً مهاجراً. كل شيء خارج عن التوازن.
سألته: "هل تفكر دوماً كثيراً؟".

"لا. ربما. لا أعرف".

اقتربت منه أكثر فأكثر. "بِمَ تفكر الآن؟".

"كيف يستطيع أن يعرف ما يعرفه".

تنهدت. "أتعني قاتلنا؟".

"ولماذا يلعب معي؟ لماذا أرسل لي جزءاً من طوني لايك؟ كيف يفكر؟".
"وكيف ستعرف؟".

أطفأ سيجارته في المنفضة الموضوعة على المنضدة قرب السرير. أخذ نفساً عميقاً، ثم زفر مصدراً صوت هسيس طويل. "هنا المسألة. أفكر في طريقة واحدة. عليّ التحدث إليه".

"هو! الأمير الفاتن؟".

"شخص مثله".

أصبح الحلم على عتبة النوم. كان يحرق في مسمار؛ مسمار ناتئ من رأس رجل. لكن، ثمّة شيء مألوف في الوجه الليلة. فهو وجه مألوف، وجه رآه مرات عدة. رآه في الآونة الأخيرة. الشيء الغريب في فم هاري انفجر؛ كان نائماً.

بقعة عمياء

مشى هاري في رواق المستشفى مع حارس سجن يرتدي ثياباً مدنية. مشى الطبية أمامهما بخطوتين. أبلغت هاري عن وضعه، وحضرتة لما يجدر به توقعه. وصلوا إلى باب وفتح حارس السجن. في الداخل، استمر الرواق لبضعة أمتار. هناك ثلاثة أبواب في الجدار إلى اليسار، وثمة حارس سجن يرتدي بذلته واقفاً أمام أحد الأبواب.

سألته الطبيبة: "هل هو مستيقظ؟". فيما تأمل حارس السجن هاري. أوما الحارس برأسه، ووضع كل محتويات جيوب هاري على الطاولة، ثم فتح الباب ووقف جانباً.

أشارت الطبيبة إلى هاري بضرورة الانتظار لحظة ودخلت مع حارس السجن، ثم عادت على الفور.

قالت: "خمس عشرة دقيقة كحد أقصى. إنه في حال أفضل، لكنه ضعيف". أوما هاري برأسه، وأخذ نفساً عميقاً، ودخل. توقف قرب الباب، وسمعه ينغلق وراءه. كانت الستائر مسدلة، والغرفة معتمة باستثناء مصباح منير قرب السرير. هبط الضوء على شخص ممدد على السرير وقد أسند ظهره إلى وسادة، محني الرأس، فيما تدلى شعره الطويل على جانبيه. "اقترب أكثر يا هاري". لقد تبدل الصوت. بدا مثل صرير مفصلات باب غير مزينة. لكن هاري تعرف إليه، وتجمد الدم في عروقه.

اقترب من السرير، وجلس على الكرسي الذي تم وضعه هناك. رفع الرجل رأسه، وتوقف هاري عن التنفس.

بدا وكأن أحدهم قد سكب الشمع الساخن فوق وجهه، ما جعله يتحول إلى قناع مشدود جداً، مرجعاً الجبين والذقن إلى الخلف، ومحولاً الفم إلى فوهة صغيرة من دون شفتين ضمن كتلة من النسيج العظمي. كانت الضحكة عبارة عن نفختين من الهواء. "ألم تعرف إليّ، هاري؟".

قال هاري: "تعرفت إلى العينين. هذا يكفي. هذا أنت".

"هل من شيء جديد عن...". بدا الفم الصغير وكأنه يرسم ابتسامة. "... عن راكيل؟".

حَضَرَ هاري نفسه لذلك، واستجمع قواه؛ تماماً مثلما يفعل الملاك مع الألم. إلا أن صوت اسمها في فمه جعله يطبق قبضتيه.

"وافقت على التحدث معي بشأن رجل؛ رجل نظن أنه يشبهك".

"يشبهني؟ أعتقد أنه أجمل مني". نفختان جديدتان من الهواء. "هذا غريب، هاري. لم أكن يوماً رجلاً تافهاً. اعتقدت أن الألم سيكون أسوأ جانب في هذا المرض. لكن، هل تعرف شيئاً؟ إنه التدهور. إن رؤيتك نفسك في المرأة، ورؤية الوحش يظهر هما أسوأ ما يحصل. ما زالوا يسمحون لي بالذهاب إلى الحمام بمفردي، لكنني أتفادي المرايا. كنت رجلاً وسيماً؛ مثلما تعلم".

"هل قرأت الأشياء التي أرسلتها لك؟".

"تصفحتها بسرعة. تقول الدكتورة دايرجود إنه لا يجدر بي إرهاق نفسي. التهابات. حرارة مرتفعة. إنها قلقة فعلاً على صحتي، هاري. الأمر غريب جداً عندما تفكر بما قمت به، أليس كذلك؟ أنا شخصياً مهتم أكثر في الموت. وهذا بالتحديد ما أحسد عليه الذين... لكنك أوقفَ هذا، أليس كذلك هاري؟".

"الموت عقاب لطيف جداً".

بدا وكأن شيئاً لمع في عيني الرجل المريض.

"أملك على الأقل اسماً ومكاناً في سجلات التاريخ. سيقراً الناس عن رجل الثلج، وسيرث أحد الفكرة وينفذ أفكاره في الحياة. أما أنت، فماذا فعلت هاري؟ لا شيء. العكس تماماً. لقد خسرت القليل الذي كان لديك".

قال هاري: "صحيح. أنت ربحت".

"هل تفتقد إلى إصبعك الوسطى؟".

"حسناً، أفقدتها الآن". رفع هاري رأسه، ونظر إلى عيني الآخر؛ حدق فيهما. ثم انفتح الفم الصغير، وبدت الضحكة الصادرة عنه مثل مسدس مزود بكاتم صوت. "على الأقل، لم تخسر حس الدعابة لديك هاري. تعرف أنني سأطلب شيئاً في المقابل، أليس كذلك؟".

"حسب الطلب، وإنما هيا امضي قدماً".

استدار الرجل ببعض الصعوبة نحو المنضدة قرب السرير، ورفع كوب الماء الموضوع هناك، ووضع على فمه. حدق هاري في اليد الممسكة بالكوب الزجاجي.

بدت مثل مخلب طائر أبيض. وبعد أن شرب، أعاد الرجل الكوب بعناية وتكلم. أصبح
الأنين أخف الآن؛ مثل راديو ببطاريات ضعيفة.

"أعتقد أن هناك شيئاً في دليل السجون حول المخاطر المرتفعة للانتحار. لذا،
إنهم يراقبونني مثل الصقور. فتشوك قبل أن تدخل، أليس كذلك؟ خافوا أن تحضر
لي سكيناً أو شيئاً مماثلاً. لكني لا أريد رؤية المزيد من التدهور، هاري. هذا يكفي،
ألا تظن ذلك؟".

قال هاري: "لا. لا أظن ذلك. تحدث عن شيء آخر".

"كان يمكنك الكذب والقول نعم".

"هل تفضل ذلك؟".

لوح الرجل بيده بمعنى الرفض. "أريد رؤية راكيل".

رفع هاري حاجبه. "لِمَ هذا؟".

"أريد فقط أن أقول لها شيئاً".

"ماذا؟".

"إنها مسألة بيني وبينها".

أصدر الكرسي صوتاً فيما نهض هاري. "لن يحدث ذلك".

"انتظر. اجلس".

جلس هاري.

نظر الرجل إلى الأسفل وشدّ البطانية. "لا تسيء فهمي. لست نادماً بشأن

الأخريات؛ كنّ عاهرات. لكن راكيل مختلفة. كانت... مختلفة. أردت فقط قول ذلك".

تأمله هاري مصعوقاً.

قال رجل الثلج: "ما رأيك إذا؟ قل نعم. اكذب إذا اضطررت لذلك".

"نعم". كذب هاري.

"أنت كاذب سيء، هاري. أريد التحدث إليها قبل أن أساعدك".

"لا مجال".

"لِمَ يجدر بي الوثوق بك؟".

"لأنك لا تملك خياراً؛ لأن السارقين يثقون في السارقين حين يضطرون لذلك".

"حقاً؟".

أكره هاري نفسه على الابتسام قليلاً. "عندما كنت أشتري الأفيون في هونغ كونغ،

استعملنا لفترة حماماً مهجوراً في مجمع لاندمارك التجاري، "دي فو روود". كنت

أدخل أولاً، أضع رضاعة طفل تحت غطاء الصهريج في الحمام في أقصى اليمين، ثم

أخرج للقيام بنزهة، وأنظر إلى الساعات المزيفة، وحين أعود أجد رضاعتي مكانها. ودوماً مع الكمية الصحيحة من الأفيون داخلها. إيمان مطلق."

"قلت إنك استخدمت الحمام لفترة".

هزّ هاري كتفه. "ذات يوم، اختفت الرضاعة. يبدو أن المروّج خدعني، أو أن أحداً ما رآنا ربما وسرق المال أو البضاعة. لا توجد ضمانات."

تأمل رجل الثلج هاري بتمعن.

مشى هاري في الرواق مع الطيبة، وأمامهما حارس السجن.

قالت: "لم يستغرق الأمر وقتاً طويلاً".

أجاب هاري: "كان مقتضياً".

عبر هاري ردهة الاستقبال، وخرج إلى مرأب السيارات، وفتح قفل سيارته. شاهد يده ترتجف فيما وضع المفتاح في المكان المخصص له لتشغيل المحرك. كان قميصه مبللاً بالعرق فيما اتكأ على المقعد.

كان مقتضياً.

"لنفترض أنه مثلي هاري. في النهاية، يعتبر هذا الافتراض مهماً إذا استطعت مساعدتك. الحافز أولاً؛ الكراهية. كراهية حمراء متقدة. إنها مسألة الصمود، إنها الصهارة الداخلية التي تبقيه دافئاً. وتاماً مثل الصهارة، تعتبر الكراهية شرطاً مسبقاً للحياة، حيث لا يتحول كل شيء إلى جليد. في الوقت نفسه، سيفضي الضغط الناجم عن الحرارة الداخلية إلى ثوران حتمي؛ إلى إطلاق العنصر المدمر. وكلما طال الوقت من دون ثوران، كان الأمر أكثر عنفاً. أصبح الثوران الآن في ذروته، فهو عنيف. مما يقول لي إنه يجدر بك العودة بالزمن إلى الخلف بحثاً عن السبب. لأنه لا يجدر بك التفكير في الأفعال المرتكبة نتيجة الحقد، وإنما سبب الحقد هو الذي سيحلّ لك المعضلة. لا معنى للأفعال من دون السبب. الحقد يحتاج إلى الوقت حتى يتراكم، لكن السبب بسيط. فقد حصل شيء ما. كل شيء مرتبط بذلك الشيء المحدد الذي حصل. اعرف ما هو تنل منه".

من بين كل التشبيّهات، ما الذي دفعه إلى استعمال البركان كمثال؟! قاد هاري السيارة في الطريق الملتوي والمنحدر من مستشفى بايروم.

"ثمانية جرائم. إنه الملك الآن، في القمة. لقد شيّد عالماً حيث يبدو أن كل شيء يطيعه. إنه محرك الدمى، وهو يلعب بكم جميعاً. وخصوصاً بك، هاري. تصعب

معرفة سبب اختياره لك. إنها مسألة حظ ربما. لكن، تدريجياً، فيما يسيطر على الدمى الخاصة به، سيبحث عن المزيد من الحماسة. سوف يتحدث إلى الدمى، وسيكون قريباً منها، وسيستمتع بانتصاراته؛ حيث يستطيع الاستمتاع بها بدرجة فائقة، بالترافق مع الذين ينتصر عليهم. لكنه متخفٌ جيداً. فهو لا يظهر مثل محرك للدمى، لا بل إنه قد يبدو خانعاً مثل شخص يمكن قيادته بسهولة، شخص ليس محط تقدير، شخص لا تتخيل أبداً أنه يمكن أن يدير مثل هذه الدراما المعقدة".

كان هاري متوجهاً من وسط المدينة إلى "إي 18". هناك زحمة سير. انتقل إلى طريق النقل العام. إنه شرطي في النهاية، والأمر ملح، ملح. كان فمه جافاً، والكلاب تنبح بأعلى صوتها.

"إنه قريب منك، هاري. أنا واثق تماماً من ذلك. لكنه لا يستطيع ببساطة الكشف عن نفسه. لكنه قريب منك؛ من بقعة عمياء. تسلل إلى حياتك بطريقة ما، وأوحى لك بالثقة في وقت كان انتباهك مركزاً فيه على شيء آخر، أو عندما كنت ضعيفاً. إنه مرتاح حيث هو. جار، صديق، زميل، أو شخص موجود ببساطة، مباشرة خلف شخص آخر أكثر وضوحاً لك؛ إنه بمثابة ظل لا تفكر حتى فيه، سوى أنه امتداد لذلك الشخص الأول. فكر في أولئك الذين شملهم حقلك البصري. لأنه كان موجوداً هناك. أنت تعرف وجهه. لم يتبادل معك الكثير من الكلمات ربما، لكن إذا كان مثلي، فإنه لم يستطع كبح نفسه هاري. إنه قريب جداً منك".

ركن هاري السيارة خارج "سافوي"، وتوجه إلى المقهى.
"ماذا تريد أن تشرب؟".

نظرت عينا هاري إلى القناني الموضوععة على الرفوف الزجاجية خلف النادل. كان يبحث عن رجل فيه حقد دفين، شخص لا يترك عواطفه تتوه، شخص له قلب مصفح.

توقفت عيناه الهائمتان فجأة، وتراجع إلى الخلف. فتح فمه. كان الأمر أشبه بوميض سماوي. وكل شيء، كل شيء كان في ذلك الوميض.

جاء الصوت من بعيد.

"سيدي، عذراً سيدي".

"نعم".

"هل قررت؟".

أوماً هاري ببطء.

قال: "نعم. نعم. لقد قررت".

نعيم

كان غونار هاغن يبرم قلمماً بين أصابعه، ويراقب هاري الذي كان هذه المرة جالساً وليس مستلقياً على الكرسي أمام مكتبه.

قال رئيس قسم مكافحة الجرائم: "من الناحية التقنية، وفي الوقت الراهن، أنت تعمل لدى كريوس، وتشكل بالتالي جزءاً من فريق بيلمان. لذا، إن أي اعتقال تنفذه سيكون انتصاراً لبيلمان".

"وإذا أبلغتكَ أنت - علماً أن الأمر لا يزال فرضياً - وتركت مهمة الاعتقال لشخص في قسم مكافحة الجرائم، مثل كاجا سولنس أو ماغنوس سكار؟".

"سأكون مجبراً على رفض مثل هذا العرض الكريم منك هاري. فكما قلت لك، أنا ملزم باحترام الاتفاقيات".

"مم. لا يزال بيلمان مسيطراً عليك".

تنهد هاغن. "لوقمت بالمجازفة وسرقت من بيلمان اعتقال أكبر مجرم في النرويج، فإن وزارة العدل سترغب فوراً في معرفة كل شيء. ولو تحدّيتها وأعدتكَ إلى هنا للتحقيق في القضية، فسيتم اعتبار ذلك بمثابة انتهاك للأوامر. وسيتأثر سلباً القسم كله. عذراً هاري، لكنني لا أستطيع".

تأمل هاري، ثم حدق بعيداً. "حسناً، سيدي". نهض عن الكرسي وتوجه بسرعة إلى الباب.

"انتظر!".

انتظر هاري.

"لماذا تطلب مني ذلك الآن هاري؟ هل حصل شيء يجدر بي معرفته؟".

هزّ هاري رأسه. "أنا أختبر فقط بعض الفرضيات، سيدي. هذه مهنتنا، أليس كذلك؟".

بقي هاري حتى الساعة الثالثة يجري اتصالات هاتفية. الانصال الأخير كان بيورن

هولم الذي وافق على الذهاب من دون أي تردد.

قال هاري: "لم أخبرك أين أو لماذا".

"لا داعي". قال بيورن، وتابع مع التشديد على الكلمات: "أنا أثق بك".

صمت وجيز.

قال هاري: "أعتقد أنني أستحق ذلك".

أجاب بيورن: "نعم".

"أشعر أنني اعتذرت، أليس كذلك؟".

"لا".

"حقاً؟ حسناً. مم... مم... مم... يا الله، هذا صعب. مم... مم... مم...".

قال بيورن: "يبدو وكأنك بطيء في الانطلاق يا صديقي". لكن هاري أحس أنه

كان يتسم.

قال هاري: "آسف. أتمنى أن أعطيك بعض البصمات للتحقق منها قبل الانطلاق.

إذا لم تتطابق، فلا داعي لأن تذهب؛ إذا فهمت ما أقصده".

"ولِمَ هذا التكتّم؟".

"لأنك تثق بي".

كانت الساعة الثالثة والنصف عندما طرق هاري على باب الغرفة الصغيرة في

مستشفى ريكس.

فتح سيغورد ألتمان الباب.

"مرحباً. هل يمكنك إلقاء نظرة على هذه؟".

أعطى الممرض كدسة من الصور الفوتوغرافية.

قال ألتمان: "إنها ملتصقة ببعضها".

"جاءت للتو من غرفة التظهير".

"مم. إصبع مبتورة. لِمَ هذا؟".

"أعتقد أن صاحبه قد تلقى جرعة قوية من الكيتانوم. كنت أتساءل إذا كان

بوسعك - لكونك خبيراً في التخدير - أن تقول لي ما إذا كنا نستطيع العثور على

أي آثار من العقار في الإصبع".

"نعم، من دون شك. فالمادة تجري في كل الجسم مع الدم".

قَلَبَ ألتمان الصور الفوتوغرافية. "تبدو الإصبع خالية تماماً من الدم، لكن قطرة

واحدة تكفي من الناحية النظرية".

"والسؤال التالي هو ما إذا كان بوسعك مساعدتنا في تنفيذ اعتقال الليلة".
"أنا! ألا تملكون أطباء...؟".

"أنت تعرف أكثر منهم في هذا الخصوص. وأحتاج إلى شخص يمكنني الوثوق فيه".

هز ألتمان كتفه، ونظر إلى ساعته، وأعاد الصور الفوتوغرافية. "ينتهي دوام عملي بعد ساعتين، لذا...".

"رائع. سنمرّ لاصطحابك. ستكون جزءاً من تاريخ الجريمة النرويجية، ألتمان".
ابتسم الممرض ابتسامة ضعيفة.

اتصل مايكل بيلمان فيما كان هاري في طريقه إلى كريمتكينسك.

"أين أنت هاري؟ لم أرك في الاجتماع الصباحي".
"أتجول هنا وهناك".

"أين تتجول؟".

قال هاري: "في مدينتنا الرائعة". ووضع مغلفاً بقياس A4 على المقعد أمام كيم إريك لوكر، وأشار إلى أطراف أصابعه ليشرح له أنه يريد التحقق من بصمات المحتويات.

"أشعر بالتوتر حين تكون خارج الرادار طوال يوم كامل هاري".

"ألا تثق بي، مايكل؟ هل تخشى أن أعود إلى الشراب؟".
صمت الطرف الآخر.

"أنت تقدم التقارير لي، وأريد أن أبقى على اطلاع. هذا كل شيء".

"حسناً، ها أنا أبلغك بأنه ما من شيء للإبلاغ عنه سيدي".

أنهى هاري الاتصال، وذهب لرؤية بيورن. كانت بتي جالسة في المكتب تنتظره.
سألته: "ما الذي تريد قوله لنا؟".

قال هاري، وهو يجلس: "قصة حقيقية عن رجال الشرطة والسارقين".

كان في منتصف سرده عندما أقحم لوكر رأسه في الغرفة.

قال: "وجدت هذه". وهو يحمل ورقة بصمات.

قال بيورن الجالس أمام الكمبيوتر: "شكراً". وأخذ منه الورقة. وضع الورقة على جهاز المسح، وأخرج ملف البصمات التي وجدوها في هولمنفاين، وشغل برنامج التتابع.

كان هاري مدركاً أن العملية ستستغرق ثابنتين فقط، لكنه أغمض عينيه، وأحس بقلبه يخفق بقوة رغم أنه يعرف الحقيقة؛ يعرف الحقيقة. رجل الثلج يعرف، وأخبر هاري بما كان يحتاج إليه، نطق بالكلمات، أطلق الموجة الصوتية التي ستسهل الانهيار الثلجي.

هكذا يجب أن تتم الأمور.

يفترض أن تستغرق العملية ثابنتين فقط.

كان قلبه يخفق بقوة كبيرة.

تنحني بيورن هولم، لكنه لم يقل أي شيء.

قال هاري وهو لا يزال مغمضاً عينيه: "بيورن".

"نعم، هاري".

"هل هذه واحدة من لحظات الصمت الدراماتيكية التي تريدني أن أستمع بها؟".

"نعم".

"انتهت الآن أيها الحقيير".

"نعم. ووجدنا تطابقاً".

فتح هاري عينيه. نور الشمس تدفق إلى الغرفة، وملاها حيث يستطيعون رؤية

الحقيقة؛ النعمة، النعمة اللعينة.

وقفوا هم الثلاثة في الوقت نفسه. حدقوا في بعضهم بعضاً بأفواه مفتوحة صدرت

منها صيحات فرح مكبوتة. ثم عانقوا بعضهم بعضاً عناقاً جماعياً فيما بيورن متفاجئ

وبتي مصعوقة. تابعوا إصدار صيحات مكتومة بحذر شديد، واستنتج بيورن هولم ما

اعتبره هاري فوق وأبعد من أي هوية عادية؛ بمثابة نزهة على القمر.

هيريويين

وقف الرجلان على هضبة عشبية صغيرة - لكن، لم يكن هناك عشب - بين دار عبادة مانغلرود والطريق العام.

قال الرجل صاحب السترة الجلدية القصيرة: "كنا نسميها النارجيلة الأرضية". وأرجع خصلات شعره الطويلة والرقيقة إلى الجانب. "في الصيف، كنا نستلقي هنا وندخن كل الأشياء التي حصلنا عليها. على مسافة خمسين متراً من مركز شرطة مانغلرود. كنا أنا، وأولا، وتي في، وامرأته، إضافة إلى بعض الآخرين. كانت أياماً جميلة".

هامت عينا الرجل، فيما دوّن روجر غيندم ملاحظات.

لم يكن العثور على جول سهلاً، لكن في النهاية تعقب روجر أثره في ناد لراكبي الدراجات النارية في ألنابرو، حيث تبين أنه يتناول طعامه، وينام ويعيش حياته كرجل حرّ. لم يكن يذهب أبعد من المتجر لشراء التبغ والخبز. شاهد غيندم هذا قبلاً، كيف يجعل السجن الناس مدمنين على البيئة المألوفة، على الروتين، على الأمان. لكن الغريب أن جول وافق تماماً على التحدث عن ماضيه. كلمة السر كانت بيلمان.

"كانت أولا امرأتي، وكان ذلك رائعاً فعلاً لأن الجميع في مانغلرود كانوا مغرمين بأولا". أوماً جول برأسه كما لو أنه يوافق على ما قاله بنفسه. "لكن، لم يكن أحد غيوراً بجنون مثله".

"أتعني مايكل بيلمان؟".

هزّ جول رأسه. "لا، الآخر. الظل. بيفيس".

"ماذا حصل؟".

باعد جول ذراعيه، فلاحظ غيندم الندوب. سجين سابق ينتقل بين الحشيشة في السجن والحشيشة خارج السجن. "وشى مايكل بيلمان بي لأنني سرقت بعض البترول. كان لديّ حكم مرجأ بسبب الحشيشة، ولا بد أن أمضي بعض الوقت في السجن. سمعت إشاعات أن بيلمان وأولا شوهدا معاً. أياً يكن الأمر، عندما خرجت وذهبت

لاصطحابها، كان بيفيس في انتظاري. كاد يقتلني. قال إن أولاً تخصه وتخص مايكل. لكنها لا تخصني أبداً، على الإطلاق. وإذا حدث واقتربت من...". ومرر جول سبابته على عنقه الطويل. "كان مجنوناً. ومخيفاً جداً. لم يصدقني أحد من رفاقي عندما أخبرتهم أن بيفيس أوشك فعلاً على قتلي. الأبله يجري وراء بيلمان".

قال روجر: "ذكرت شيئاً عن كميات الهيروين". عندما يُجري مقابلات مع الأشخاص في قضايا المخدرات، فهو يحرص دوماً على استعمال كلمات دقيقة لا يمكن أن يساء فهمها؛ لأن التعابير العامة تتبدل بسرعة وتعني أشياء مختلفة في أماكن مختلفة. فعلى سبيل المثال، الحشيش قد يعني الكوكايين في هوفستر، والهيروين في هيليرود، وأي شيء أعظم في أيلدسو.

"كنا أنا وأولا وتي في وامرأته قد ذهبنا في جولة على الدراجات الهوائية في أوروبا خلال الصيف الذي دخلت فيه إلى السجن. أخذنا معنا نصف كيلو من الهيروين من كوبنهاغن. كان يجري التحقق من راكبي الدراجات مثلي أنا وتي في عند كل معبر حدود، لكننا أرسلنا الفتاتين بشكل منفصل. كانتا رائعتين فعلاً، إذ كانتا ترتديان الملابس الصيفية، مع عيون زرقاء ومفاتن رائعة. بعنا معظم الكمية إلى مروج في تفايتا".

قال روجر وهو يدون الملاحظات: "أنت صريح جداً". ووضع قوسين حول كلمة مفاتن.

"مرّ الوقت، ولم يعد بوسعهم توقيف أي كان الآن بسبب ذلك. المسألة هي أنه تم توقيف المروج في تفايتا، وعُرض عليه تخفيض العقوبة إذا أفضى باسم الموردين. وهذا ما فعله طبعاً، الحقيير اللعين".

"كيف عرفت؟".

"أخبرني الرجل ذلك بعد سنوات قليلة عندما كنا نقضي الوقت معاً في أوليرسمو. أعطى أسماءنا وعناويننا نحن الأربعة؛ بمن في ذلك أولا. لكن كل ما بقي ناقصاً هو أرقام هوياتنا. كنا محظوظين جداً لأنه تم إهمال القضية".

دون روجر الكثير من الملاحظات المهمة.

"واحزر من استلم القضية في شرطة ستوفنر؟ احزر من استجوب الرجل؟ ومن أوصى على الأرجح بإهمال القضية ووضعها طي النسيان؟ ومن أنقذ أولاً؟".

"أريدك أنت أن تقول الاسم، جول".

"افرح بذلك؛ إنه السارق الحقيير نفسه: مايكل بيلمان".

قال روجر، وهو يعرف أنه وصل إلى نقطة حساسة: "سؤال أخير. هل يمكن

إثبات هذه الرواية؟ هل يمكن التحقق من المصدر؟ هل تملك اسم المروج؟ أعدك أنه لا يجازف بأي شيء، ولن يتم ذكر اسمه أياً يكن الأمر".
"هل أفضح؟". ضحك جول ضحكة عالية. "سأفعل طبعاً".

لفظ الاسم، وبرم روجر الصفحة، وكتب عليها الاسم بأحرف كبيرة، فيما لاحظ أن ابتسامته كانت عريضة. سيطر على نفسه وأخفى الابتسامة. لكنه عرف أن الابتسامة ستبقى مرسومة على وجهه لوقت طويل؛ فقد حقق أهم سبق صحفي.
قال روجر: "شكراً على مساعدتك".

قال جول: "شكراً لك. تأكد فقط من تحطيم بيلمان، وسنكون عندها متساويين".
"بالمناسبة، وبدافع الفضول فقط، لماذا تظن أن المروج قد أخبرك أنه أوقع بكم؟".

"لأنه كان خائفاً".

"كان خائفاً! لماذا؟".

"لأنه يعرف الكثير. أراد أن يعرف الآخرون الرواية في حال نفذ الشرطي تهديده".

"هل قام بيلمان بتهديد المخبر؟".

"ليس بيلمان، بل ظله. قال إنه إذا لفظ الرجل اسم أولاً مجدداً، فسيضع في فمه شيئاً يجعله يصمت إلى الأبد".

توقيف

انعطفت سيارة الفولفو أمازون الخاصة ببيورن هولم صوب مستشفى ريكس، مقابل محطة الترامواي. وقف سيغورد ألتمان ينتظر هناك وقد وضع يديه في جيبي معطفه الصوفي. أشار إليه هاري من المقعد الخلفي. ألقى سيغورد وبيورن التحية على بعضهما، وانتقلوا بالسيارة إلى رينغفايان حيث اتجهوا شرقاً صوب تقاطع سينسن. انحنى هاري إلى الأمام بين المقعدين.

"هذا مثل إحدى تجارب الكيمياء التي كنا ننجزها في المدرسة. في الواقع، تملك كل المكونات اللازمة للحصول على تفاعل، لكنك لا تملك المُحفِّز، أو المركب الخارجي، أو الشرارة الضرورية لإطلاقه. امتلكت المعلومات، وكل ما كنت بحاجة إليه هو شيء لمساعدتي على ترتيب الكتل في التسلسل الصحيح. مُحفِّزي كان رجلاً مريضاً، مجرمًا يعرف باسم رجل الثلج. هل من مشكلة إذا دخنت؟".

صمت.

"فهمت. حسنًا...".

دخلوا النفق المؤدي إلى براين، صعوداً إلى تقاطع راين ومانغلوود.

وقف ترولس بيرنستن في الموقع القديم، ونظر إلى أعلى المنحدر؛ إلى منزل بيلمان.

كم هو غريب أن يكون هو من تناول العشاء، ولعب ونام هناك غالباً حين كانوا صغاراً، لم يزر المكان مرة واحدة منذ أن استولى مايكل وأولا على المنزل. السبب جلي: لم تتم دعوته.

يقف أحياناً حيث هو الآن، في غسق بعد الظهر، وينظر إلى المنزل للمحها؛ تلك المرأة التي لا يسعه الحصول عليها. لا أحد باستثناءه؛ الأمير، مايكل. يتساءل بين الحين والآخر عمّا إذا كان مايكل يعرف. هل يعرف ولهذا السبب لم تتم دعوته؟ أم إنها هي التي تعرف وأوضحت الأمر لـمايكل، من دون قول الكثير، وجعلته يفكر أن بيفيس

الذي ترعرع معه ليس شخصاً يحتاجان إليه في حياتهما الخاصة. على الأقل، تحرر في مهنته الآن، وبات بوسعه لقاء الأشخاص المناسبين، وإرسال الإشارات الصحيحة. لذا، ليس تكتيكاً ذكياً الآن أن يحيط نفسه بأشباح من الماضي تضم أشياء يستحسن نسيانها. أوه، إنه يعرف ذلك. لكنه لا يعرف فقط سبب عجزها عن فهمه: إنه لن يؤذيها أبداً، بل العكس. ألم يوفر الحماية لها ولمايكل طوال كل هذه الأعوام؟ بلى، لقد فعل. لقد راقب، وتواجد دوماً لأجلهما، ووفر الحماية لهما. أدار سعادتهما. هكذا هو حبه. كانت النوافذ مضاءة هناك تلك الليلة. هل يقيمان حفلة؟ هل يأكلان ويضحكان، ويشربان الشراب، ويتكلمان بالطريقة الجديدة؟ هل هي تبسم وعيناها تتلألآن، عيناها الجميلتان جداً لدرجة أنهما تؤلمانك عند النظر إليهما؟ هل سترى أشياء أكثر فيه إذا جمع المال، وأصبح غنياً؟ هل هذا ممكن؟ بهذه البساطة؟
وقف لبرهة في أسفل موقع البناء، ثم عاد أدراجه إلى المنزل.

انعطفت سيارة الأمازون الخاصة ببيورن هولم حول مستديرة راين.

ثمة لافتة تشير إلى الطريق المؤدي إلى مانغلوود.

سأل سيغورد أتمان: "إلى أين نذهب؟". وهو متكى على الباب.

قال هاري: "نحن ذاهبون إلى حيث قال رجل الثلج إنه يجدر بنا الذهاب؛ العودة

بالزمن إلى الوراء".

اجتازوا المفرق.

قال هاري: "هنا". وأوقف بيورن السيارة.

"إي 6؟".

"نعم. نحن متوجهون شرقاً؛ إلى لايسرن. هل تعرف هذه المناطق، سيغورد؟".

"طبعاً، لكن...".

قال هاري: "هنا بدأت الحكاية. قبل أعوام عدة، خارج المرقص. طوني لايك،

الرجل صاحب الإصبع التي أريتك صورها قبلاً، كان يقف عند حافة الغابة، ويقبل ميا؛

ابنة الشرطي سكاى. أول الذي كان مغرماً بميا خرج للبحث عن ميا ووجدهما. أول،

المحطم والغازب، ألقى بنفسه على المتطفل الساحر طوني. لكن جانباً جديداً تكشف

حينها لدى طوني. فقد اختفى الجانب المبتسم والساحر الذي يحبه الجميع، ليحل

مكانه الوحش. وكما هي حال كل الحيوانات التي تشعر أنها مهددة، هاجم بغضب

ووحشية ذلك المسكين أول وميا وكل المتفرجين. طغى الوحش فيه، فأخرج سكيناً،

وقطع نصف لسان أول قبل أن يتم إبعاده. ورغم أن أول كان بريئاً في هذه القضية، إلا أنه من أصابه العار؛ عار الحب أحادي الطرف الذي انكشف علناً أمام الآخرين، والإذلال في صراع عشاق في أرياف النروج، وصار نطقه المشوه بمثابة دليل أبدي على هزيمته. لذا، هرب. هل تتابعني لغاية الآن؟".

أوما ألتمان برأسه.

"مرت سنوات عدة. أسس أول نفسه في مكان جديد، وحصل على وظيفة حيث هو محبوب ومحترم بفضل قدراته، ويملك أصدقاء؛ ليس الكثير منهم، وإنما ما يكفي. المهم ألا يعرفوا ماضيه. وما ينقصه في حياته امرأة. التقى بعض النساء، عبر مواقع المواعدة في شبكة الإنترنت، والإعلانات الشخصية، وأحياناً في المطاعم. إلا أن تلك العلاقات انتهت بسرعة. ليس بسبب لسانه، وإنما لأنه يحمل الهزيمة داخله؛ تماماً مثل الحقيقية المليئة بالحقارة. بسبب أنماط الكلام المتأصلة والمشوهة للسمعة الشخصية، وبسبب استباق الرفض، والشك في النساء اللواتي يتصرفن كما لو أنهن يردنه فعلاً؛ مثلما يحصل عادة. طعم الهزيمة الذي يهرب منه الجميع. وفي يوم ما، حصل شيء. التقى امرأة صاحبة علاقات متعددة. حتى إنها جعلته يعيش أجمل اللحظات في حياته. قاما بعلاقة حميمة في مصنع مهجور، ودعاها للقيام برحلة تزلج في الجبال، كعلامة أولى بأنه يريد علاقة رسمية. كان اسمها أديل فيتلسين، وانضمت إليه على مضض. خفف بيورن هولم سرعة السيارة قرب غرونمو حيث تصاعد الدخان في الهواء. "كانت رحلة تزلج رائعة في الجبال ربما، أو إن أديل شعرت ربما بالضجر. فهي إنسانة متململة. ذهبنا إلى شاليه في هافاس حيث كان يوجد أصلاً خمسة أشخاص: ماريت أولسن، الياس سكوغ، بورغني ستيم - ميهر، شارلوت لوليس، ومريضة اسمها إيسكا بيلر نامت في غرفة بمفردها بسبب حرارتها المرتفعة. بعد العشاء، أشعلوا النار في الموقد، وفتح أحدهم قنينة شراب، فيما خلد الآخرون إلى أسرّتهم؛ مثل شارلوت لوليس، وأول المستلقي في كيس نومه في غرفة النوم منتظراً أديل. لكن أديل فضّلت البقاء مستيقظة، فقد بدأت تشعر بالملل أخيراً ربما. ثم حصل شيء ما؛ وصل شخص أخير في وقت متأخر ليلاً. الجدران رقيقة، وسمع أول صوت رجل جديد يصدر من غرفة الجلوس. تصلب جسمه. إنه صوت أسوأ كابوس له، صوت أحلام الانتقام لديه. لكن لا يمكن أن يكون ذلك صحيحاً، لا يمكن. أصغى أول بانتباه. الصوت تحدث إلى ماريت أولسن لبرهة، ثم تحدث إلى أديل. سمعها تضحك، لكنهم أخفضوا أصواتهم تدريجياً. سمع الآخرين يخلدون إلى النوم في الغرف المحاذية. ولكن، ليس أديل،

وليس الرجل صاحب الصوت المؤلف. وبعدها، لم يسمع أي شيء. إلى أن وصلت إلى أذنيه أصوات من الخارج. توجه إلى النافذة، ونظر إلى الخارج، ورأهما. رأى وجهها المتحمس، وتعرف إلى تأوهات متعتها، وعرف أن المستحيل يحصل: التاريخ يكرر نفسه. لأنه تعرف إلى الرجل الواقف خلف أديل، إنه هو. إنه طوني لايك".

أدار بيورن هولم جهاز التدفئة، فيما أرجع هاري نفسه إلى الخلف على المقعد. "عندما نهض الآخرون في صباح اليوم التالي، كان طوني لايك قد غادر. تصرف أول وكان شيئاً لم يحدث؛ لأنه أصبح أقوى الآن. سنوات الكراهية العديدة جعلته أكثر صلابة. كان يعرف أن الآخرين رأوا أديل وطوني. لقد رأوا إذلاله؛ تماماً كما حصل سابقاً. لكنه هادئ. فهو يعرف ماذا سيفعل. كان يتوق ربما إلى هذا، إلى هذه الوكزة الأخيرة، إلى السقوط الحر. بعد يومين، أعدّ الخطة. عاد إلى شاليه هافاس، ووصل إلى هناك ربما على متن دراجة ثلجية، ومزق الورقة التي تحتوي على أسمائهم من سجل النزلاء. لأنه لن يكون هذه المرة من يهرب من الشهود بسبب العار، بل هم الذين سيعانون؛ وأديل. إلا أن أكثر من سيعاني هو طوني. عليه تحمل كل العار الذي تحمله أول. سيلطخ اسمه في الوحل، وستتدمر حياته، وستتخذ العدالة مجراها".

أنزل سيغورد ألتمان زجاج النافذة، وملاً صوت صغير ناعم السيارة.

"أول ما توجب على أول فعله هو إيجاد غرفة لنفسه، لتكون بمثابة مقر رئيس له حيث يستطيع العمل من دون أن يزعجه أحد، ومن دون أن يكتشفه أحد. وهل من مكان مناسب أكثر من المصنع المهجور حيث عاش أسعد ليلة في حياته؟ هناك، بدأ بجمع المعلومات عن ضحاياه، وبدأ يخطط للتفاصيل. طبعاً، عليه قتل أديل فيتلسين أولاً لأنها الشخص الوحيد في شاليه هافاس الذي يعرف هويته. الأسماء التي تم تبادلها هناك ربما أصبحت طي النسيان بسرعة، ولا توجد نسخة عن الورقة في سجل النزلاء. هل أنتما واثقان بشأن السجارة أيها الرجلان؟".

لا جواب. تنهد هاري.

"هكذا، حاول مواعدها مجدداً. اصطحبها في سيارة كانت مغطاة في الداخل بالنيلون. ذهب إلى منطقة نائية، إلى مصنع كادوك ربما. هناك، أخرج سكيناً كبيراً ذا مقبض أصفر، وأجبرها على كتابة بطاقة بريدية أملاها عليها، وطلب منها توجيهها إلى رفيقها في السكن في درامين. وبعد ذلك، قتلها. بيورن؟".

سعل بيورن هولم، وبذل محرك السرعة. "أظهر التشريح أنه قطع الشريان الأورطي

لديها".

"خرج من السيارة، والتقط لها صورة وهي جالسة على المقعد قرب السائق والسكين مغروزة في عنقها. الصورة الفوتوغرافية. تأكيد على الانتقام، على الانتصار. إنها أول صورة تعلق على جدار مكتبه في مصنع كادوك".

انعطفت سيارة قادمة بعيداً عن مسارها، وإنما عادت إليه مجدداً وأطلقت صوت البوق فيما مرّت أمامهم.

"كان قتلها سهلاً ربما، وربما لا. إلا أنه يعرف أنها الضحية الأكثر أهمية. فهما لم يلتقيا كثيراً، لكنه لا يعرف بالضبط كم أخبرت أصدقاءها عنه. وإنما يعرف فقط أنه إذا تم العثور عليها ميتة، فسيتم ربط موتها به، وسيكون العاشق المفجوع المشتبه به الأول عند الشرطة؛ إذا تم العثور عليها. لكن، من جهة أخرى، إذا اختفت ظاهرياً، في رحلة إلى أفريقيا مثلاً، فسيكون في أمان.

هكذا، أغرق أول جثتها في مكان يعرفه جيداً؛ حيث المياه عميقة، وحيث يبقى الناس بعيدين عن ذلك المكان. في المكان الذي تقف فيه العروس المنبوذة قرب النافذة. في مصنع الحبال قرب بحيرة لايسرن. سافر بعدها إلى ليزينغ، ودفع لجوليانا فيرني لتأخذ معها إلى رواندا البطاقة البريدية التي كتبها أديل، وتمكث هناك في فندق باسم أديل، وترسل البطاقة إلى النروج. بالإضافة إلى ذلك، عليها أن تحضر لأول شيئاً من الكونغو؛ سلاح الجريمة: تفاحة ليوبولد. لا شك في أن السلاح المميز لم يكن وليد الصدفة، بل يجب أن يكون له رابط بالكونغو، وأن يدفع الشرطة إلى الشك في المسافر إلى الكونغو، طوني لايك. دفع أول المال لجوليانا عند عودتها إلى ليزينغ. وهناك ربما، فيما كان واقفاً قرب جوليانا المرتجفة والباكية التي فتحت فمها لتلقي التفاحة، بدأ يختبر الفرح، ومتعة السادية التي طوّرها وغذاها طوال أعوام عدة مع أحلام اليقظة بالتأثر. بعد ذلك، طمرها في النهر، لكن الجثة عادت للطفو مجدداً وتم العثور عليها".

أخذ هاري نفساً عميقاً. أصبحت الطريق أضيق، وغطت أشجار الغابة الكثيفة على كلا الجانبين.

"خلال الأسابيع التالية، قتل بورغني ستييم - ميهر وشارلوت لوليس. وعلى عكس ما حصل مع أديل وجوليانا، لم يحاول إخفاء جثتيهما، لا بل العكس. إلا أن تحقيق الشرطة لم يقدها إلى طوني لايك، مثلما أمل أول. لذا، عليه متابعة القتل، ومتابعة ترك أثر؛ متابعة الدفع. ولتحقيق ذلك قتل ماريت أولسن، النائب، وعرضها في فروغندر ليدو. هنا، يتوجب على الشرطة رؤية الرابط بين النساء، والعثور على الرجل صاحب تفاحة ليوبولد. لكن هذا لم يحصل. عندها، عرف أن عليه التدخل،

أن يمدّ يد المساعدة، أن يجازف. راقب منزل طوني في هولمفانين إلى أن رآه يغادر، ثم اقتحم المنزل عبر القبو، وصعد إلى غرفة الجلوس واتصل بالضحية التالية، الياس سكوغ، من هاتف طوني الموجود على المكتب. وفي أثناء خروجه، سرق دراجة لجعل الاقتحام يبدو طبيعياً. ترك البصمات في الأعلى في غرفة الجلوس لم يزعج أول. فالجميع يعرفون أن الشرطة لا تحقق في السرقات الخفيفة. ذهب بعدها إلى ستافانجر. في هذه المرحلة، كانت ساديته في ذروتها. قتل الياس سكوغ عبر لصقه في المغطس، وفتح الصنبور فوقه. هاي، محطة للوقود! هل يشعر أحد بالجوع؟".

لم يحاول بيورن هولم إبطاء السرعة.

"حسناً. بعدها حصل شيء ما. تلقي أول رسالة، إنها من مبتز. كتب المبتز في الرسالة أنه يعرف أن أول هو القاتل، وأنه يريد المال مقابل سكوته وإلا فستأتي الشرطة. أول ما خطر في بال أول أن ذلك الشخص كان على الأرجح في شاليه هافاس، ولا بد إذاً أن يكون أحد الاثنين الباقيين: إيسكا بيلر، أو طوني لايك. استثنى فرضية إيسكا بيلر على الفور. إنها أسترالية، وعادت إلى بلادها، وأياً يكن الأمر، فمن المستبعد أن تكتب الرسالة باللغة النرويجية. طوني لايك! يا لها من سخرية! لم يلتقيا في الشاليه قط، لكن أدليل ذكرت طبعاً اسم أول أثناء المغازلة، أو إن طوني رأى اسم أول في سجل النزلاء. أياً يكن الأمر، يبدو أن طوني لايك قد حزر الرابط مع ظهور الجرائم في الجرائد. محاولة الابتزاز تتطابق جيداً مع ما كتبه الصحافة المالية عن حاجة طوني لايك الملحة إلى المال لتمويل مشروعه في الكونغو. لذا، اتخذ أول قراره. ورغم أنه كان يفضل ترك طوني يعيش مع العار، توجب عليه الانتقال إلى الخيار الثاني قبل أن تخرج الأمور عن السيطرة. يجب أن يموت طوني. ولتحقيق ذلك، تقفّى أثر طوني، ولحق به في القطار المتوجه إلى حيث يذهب طوني دوماً؛ إلى أوستاوسيت. تتبّع آثار دراجته الثلجية المؤدية إلى شاليه مقفل تابع لهيئة السياحة وواقع بين المنحدرات والأجراف. وهناك، وجده أول. وتعرف طوني إلى الشبح، إلى الصبي في المرقص، إلى الصبي الذي قطع لسانه. أدرك ما ينتظره. سيأخذ أول بثأره، وسيعذّبه ويحرقه. ربما لجعله يكشف عن شركاء محتملين في عملية الابتزاز. وربما لمتعته الخاصة".

رفع ألتمان زجاج النافذة بقوة.

وقال: "برد".

"أثناء حصول ذلك، سمع على الأخبار أن إيسكا بيلر موجودة في شاليه هافاس. شعر أول أن الحل النهائي أصبح في متناول يده، لكنه شمّ رائحة فخ. تذكر

الجرف الثلجي فوق الشاليه الذي يقول عنه السكان المحليون إنه خطير. اتخذ قراره. أخذ معه طوني ربما بمثابة مرشد، وتوجه إلى شاليه هافاس، واستهل الانهيار الثلجي بالديناميت. ثم عاد بالدراجة الثلجية، ورمى طوني - حياً أو ميتاً - عن الجرف، ورمى الدراجة الثلجية خلفه. فإذا تم العثور على الجثة، على عكس التوقعات، فسيبدو الأمر مثل حادثة. رجل أحرق نفسه وكان في طريقه لطلب المساعدة ربما".

ظهر المشهد الريفي. مروا أمام بحيرة انعكس عليها ضوء القمر. "أول انتصر. لقد ربح. لقد خدع الجميع وأعمى بصيرتهم، وبدأ يستمتع باللعبة، وبالإحساس بأنه المسيطر، وبأن الجميع يتبعون تعليماته. وهكذا، قرر المعلم - الذي حكم على مصير ثمانية أشخاص في دراما واحدة - أن يودعنا. أن يودعني شخصياً". مروا بمجموعة من المنازل، وبمحطة وقود ومركز تسوق، وأخذوا المنعطف الأيسر بعد تجاوز مستديرة.

"قطع أول الإصبع الوسطى من اليد اليمنى لطوني لايك. وكان يملك هاتف لايك. إنه الهاتف الذي استخدمه عندما اتصل بي من وسط أوستاوسيت. رقمي غير موجود في السجلات الهاتفية، لكن طوني لايك يملك رقمي على هاتفه الخلوي. لم يترك أول رسالة. كانت ربما مجرد فكرة غريبة".

قال بيورن هولم: "أو لإرباكتنا".

أضاف هاري: "أو ليظهر لنا تفوقه. تماماً كما حصل عندما ترك لنا الإصبع الوسطى الخاصة بطوني أمام بابي، داخل المركز الرئيس للشرطة، على مرأى من عيوننا. لأنه يستطيع فعل ذلك. إنه الأمير الفاتن. لقد تعافى من العار. لقد انتقم وثار لنفسه من كل الذين سخروا منه وحطوا من شأنه؛ الشهود، العاهرة، والفاسق. بعدها، حصل شيء لم يكن في الحسابان. فقد تم العثور على المركز الرئيس في كادوك. في الواقع، لا تملك الشرطة أي دليل يقودها مباشرة إلى أول، لكنها بدأت تقترب بخطورة. لذا، ذهب أول إلى مديره، وقال إنه سيأخذ أخيراً إجازته مع الوقت المتراكم المستحق له، وسيغيب لبعض الوقت. بالمناسبة، تقلع طائرته بعد غد".

قال بيورن هولم: "عند الساعة التاسعة والربع مساءً إلى بانغوك، عبر استوكهولم". "حسناً، الكثير من التفاصيل في هذه الراوية افتراضات، لكننا اقتربنا. ها قد وصلنا".

انعطف بيورن عن الطريق، ووصل إلى ممر الحصى أمام مبنى كبير من الخشب الأحمر. توقف وأطفأ المحرك.

لا يوجد أي ضوء في النوافذ، لكن ثمة إعلانات معلقة على جدران الطابق الأرضي، تظهر أن زاوية من المبنى كانت في ما مضى محل بقالة. في الطرف الآخر من الساحة، على مسافة خمسين متراً أمامهم وتحت مصباح شارع، توقفت سيارة جيب شيروكي خضراء اللون.

كان المكان ساكناً. الصوت ساكن، والوقت ساكن، والهواء ساكن. من أعلى النافذة الموجودة قرب مقعد السائق في سيارة الشيروكي، تصاعد دخان سيجارة تحت الضوء.

قال هاري: "هنا بدأ كل شيء. قاعة الرقص".

سأل ألتمان، وهو يوميئ صوب سيارة الشيروكي: "من هذا؟".

"ألم تتعرف إليه؟". أخرج هاري علبة سجائره، ووضع سيجارة بين شفتيه، من دون إشعالها، وحدث بجشع في دخان التبغ. "قد يخدعك مصباح الشارع طبعاً. فمعظم مصابيح الشوارع القديمة تعطي ضوءاً أصفر، ما يجعل السيارة الزرقاء تبدو خضراء".

قال ألتمان: "شاهدت الفيلم. في الوادي".

"مم... إنه فيلم جيد. من فئة ألتمان تقريباً".

"تقريباً".

"فئة سيغورد ألتمان".

لم يجب سيغورد.

قال هاري: "إذاً، هل أنت سعيد؟ هل كانت هذه هي التحفة التي تصورتها سيغورد؟

أو هل أستطيع مناداتك أول سيغورد؟".

بريستول كريم

"أفضل سيغورد".

قال هاري، وهو يتكئ إلى الأمام مجدداً بين المقعدين: "المؤسف أنه لا يسهل تغيير الأسماء الأولى مثل تغيير أسماء الشهرة. عندما أخبرتني أنك بدلت اسم شهرتك، لم يخطر في بالي أن "إس" في أول إس هانسن تعني سيغورد. لكن هذا نفع، سيغورد! هل جعلك الاسم الجديد شخصاً مختلفاً عن الشخص الذي خسر كل شيء أمام هذه النقطة تحديداً؟".

هز سيغورد كتفه. "نهرب بقدر ما نستطيع. أفترض أن الاسم الجديد فضحني جزئياً".

"تحققت من عدد من الأمور اليوم. عندما انتقلت إلى أوسلو، شرعت في دراسة التمريض. لماذا لم تدرس الطب؟ ففي النهاية، كانت علامتك ممتازة في المدرسة". قال سيغورد مع ابتسامة ساخرة. "أردت تفادي الحاجة إلى التحدث علناً. افترضت أنني سأكون معفى من ذلك في مهنة التمريض".

"اتصلت اليوم باختصاصي في النطق، وأخبرني أن ذلك مرتبط بالعضلات التي تعطلت. من الناحية النظرية، حتى بنصف لسان، يمكنك تدريب نفسك للتحدث بطريقة مثالية مجدداً".

"يصعب لفظ حرف السين من دون طرف اللسان. هل كان هذا ما فضحني؟". أنزل هاري النافذة وأشعل سيجارته. مج السيجارة بقوة شديدة لدرجة أن الورق طقطق.

"كان هذا أحد الأشياء. إلا أننا سلكنا المسار الخطأ لبعض الوقت. أخبرني الاختصاصي في النطق أن الأشخاص يميلون إلى ربط اللثغة بالشذوذ. في اللغة الإنكليزية، يطلق عليها اسم "لثغة الشاذ" ولا تشكل لثغة في معنى العلاج بالنطق، وإنما هي طريقة مختلفة للفظ حرف السين. يستطيع الشاذون اعتماد اللثغة أو عدم القيام بذلك؛ إذ يستخدمونها بمثابة نوع من الرمز. وهذا الرمز ينجح. أخبرني

الاختصاصي في النطق أن جامعة أميركية أجرت بعض الأبحاث اللغوية لمعرفة ما إذا كان يمكن استنتاج الميول الجنسية عند الأشخاص بمجرد الاستماع إلى كلامهم المسجل فقط. وجاءت النتائج دقيقة جداً. لكن، تبين أيضاً أن لثغة الشاذ كانت قوية جداً حيث طغت على بقية الإشارات اللغوية التي تميز مثليي الجنس. وعندما قال موظف الاستقبال في فندق البريستول إن الرجل الذي سأل عن إسكا بيلر تحدث بطريقة مخشنة، فإنه كان ضحية التفكير النموذجي. لكن، عندما قلّد الشخص الذي تحدث إليه، أدركت أنه سمح لنفسه بالوقوع في فخ اللثغة".

"لا بد أنه كانت هناك أشياء أخرى غير ذلك".

"نعم، بالفعل. البريستول. إنها ضاحية في سيدني، أستراليا. أرى الآن أنك قمت بالربط بين الاثنين".

قال بيورن: "انتظر، أنا لم أفعل".

نفخ هاري الدخان خارج النافذة. "رجل الثلج أخبرني. أراد القاتل أن يكون قريباً. اجتاز حقل رؤيتي، وتقرّب مني. لذا، عندما رأيت بعينيّ قنينة بريستول، أدركت الحقيقة أخيراً. ثم أدركت أن ما قلته قد أسيء فهمه. قلت إن البريستول هو مقرّ إقامة إسكا بيلر. لكن الشخص الذي أبلغته بذلك ظن أنني أقصد فندق البريستول في أوصلو. لقد قلت هذا لك سيغورد، في المستشفى، مباشرة بعد الانهيار الثلجي".

"تملك ذاكرة جيدة".

"في بعض الأمور. عندما يساورك الشك في البداية، تصبح أشياء أخرى بديهية؛ تماماً مثل قولك إنه عليك العمل في مجال التخدير للحصول على الكيتانوم في النروج. ومثل قول صديق لي إننا نرغب غالباً في تلك الأشياء التي نراها كل يوم؛ مما يوحي بأن من يملك تخيلات جنسية بشأن النساء اللواتي يرتدين ملابس الممرضة قد يعمل في مستشفى. تماماً مثل الكمبيوتر في مصنع كادوك الذي حمل اسم ناشفيل؛ اسم الفيلم الذي أخرجه...".

قال سيغورد: "روبرت ألتمان عام 1975. تحفة فنية أسيء تقديرها".

"ولا داعي للقول إن الكرسي في المكتب كان كرسي المخرج. المخرج الرئيس، سيغورد ألتمان".

لم يكشف سيغورد عن أي ردة فعل.

تابع هاري القول: "لكني ما أزلت أجهل حافرك. أخبرني رجل الثلج أن القاتل تدفعه الكراهية. وتولد الكراهية نتيجة حدث واحد؛ حدث يعود بالزمن إلى الخلف.

كان لديّ توقّع للحافز: اللسان، اللثغة. طلبت من صديقة لي في بيرغن أن تجري بعض الأبحاث حول سيغورد ألتمان. احتاجت إلى ثلاثين ثانية لتكتشف تبديلك اسمك في السجل الوطني وربطه بالاسم القديم المذكور في إדانة طوني لايك بالاعتداء".

تم رمي سيجارة خارج نافذة الشيروكي، فتركت وراءها ذيل شرارات. قال هاري: "بقيت إذاً مسألة الجدول الزمني. تحققنا من دوام عملك في مستشفى ريكس. يعطيك الدوام عذراً مبرئاً لاثنتين من الجرائم. كنت تعمل عندما قتلت ماريت أولسن وبورغني ستيم - ميهر. لكن الجريمتين ارتكبتا في أوسلو، ولا يستطيع أحد في المستشفى أن يذكر بدقة إن كانت قد تمت رؤيتك في الأوقات المعنية. وبما أنك تنتقل بين الأقسام، فلن يفقدك أحد إذا غبت عن الأنظار لمدة ساعتين. صحح لي إذا كنت مخطئاً، لكنني أعتقد أنك ستقول لي إنك تمضي معظم وقت فراغك بمفردك؛ وفي الداخل".

هزّ سيغورد ألتمان كتفه. "ربما".

قال هاري وهو يصفق بيديه: "ها نحن إذاً".

قال ألتمان: "انتظر دقيقة. القصة التي أخبرتني بها مجرد خيال. فأنت لا تملك أي دليل".

"أوه، نسيت أن أقول لك. هل تذكر الصور الفوتوغرافية التي أريتك إياها اليوم؟ تلك التي طلبت منك تقليبها وقلت لي إنها ملتصقة ببعضها؟".

"ماذا عنها؟".

"حصلنا على بصمات رائعة منها. تطابقت بصماتك مع تلك التي وجدناها على المكتب في منزل لايك".

تبدّل تعبير سيغورد ألتمان ببطء، فيما أدرك ما حصل فعلاً. "أظهرتها لي فقط... كي أمسك بها؟". حدّق ألتمان في هاري لبضع ثوانٍ، كما لو أنه تحول إلى صخر. ثم وضع وجهه بين يديه، وصدر صوت من خلف أصابعه. ضحك.

قال هاري: "فكرت في كل الأمور تقريباً. لماذا لم تفكر في إيجاد عذر مبرر محترم لك؟".

"لم يخطر في بالي أنني بحاجة إلى واحد". أبعد ألتمان يده. "أياً يكن الأمر، كنت ستدقق في كل شيء، أليس كذلك هاري؟".

العينان خلف عدستي النظارة كانتا رطبتين، وإنما غير محطمتين؛ كانتا مهزومتين. اختبر هاري هذا الإحساس قبلاً؛ الإحساس بالارتياح لأنه تم إلقاء القبض على الفاعل.

القدرة على إنزال العبء عن الكتفين أخيراً.

قال هاري: "ربما. أقصد، على الصعيد الرسمي، لم أدق في أي من هذا. الرجل الجالس وراء المقود هنا هو الذي دق، وهو من سيقوم باعتقالك".

نزع هاري نظارته، وجفف دموع الضحك. "إذا كنت تكذب حين قلت إنك بحاجة إليّ لإخبارك عن الكيتانوم؟".

"نعم، لكنني لم أكن أكذب حين قلت إن اسمك سيذكر في تاريخ الجرائم النرويجية".

أوماً هاري برأسه إلى بيورن الذي أومض بأضواء السيارة مجدداً.

قفز رجل من سيارة الشيروكي ووقف أمامهم.

قال هاري: "من المعارف القدماء؛ على الأقل ابنته".

مشى الرجل بتمهل، محني الساقين قليلاً، ورافعاً سرواله بالحزام؛ مثل شرطي قديم.

قال هاري: "ثمة أمر أخير كنت أتساءل بشأنه. قال رجل الثلج إنك ستسلسل إليّ بهدوء، فيما أكون ضعيفاً ربما. كيف حصل ذلك؟".

أعاد سيغورد النظرة إلى عينيه. "يجدر بكل المرضى الذين يتم إدخالهم أن يعطوا اسم الشخص الأقرب إليهم. لا بد أن والدك قد أعطى اسمك لأن إحدى الممرضات ذكرت في مقهى المستشفى أن والد الرجل الذي ألقى القبض على رجل الثلج، هاري هول نفسه، موجود في قسمها. افترضت بصورة بدهية أن شخصاً سمعتك سيستلم القضية. في ذلك الوقت، كنت أعمل في أقسام أخرى، لكنني طلبت من مدير الأقسام أن يسمح لي بالاهتمام بوالدك للاستفادة من حالته في بحث أعدّه حول التخدير، وقلت إن والدك يناسب تماماً دراستي. اعتقدت أنني إذا استطعت التعرف إليك عبر والدك، فسأعرف حينها كيف تجري القضية".

"تقصد أنه يمكنك حينها أن تكون قريباً، وأن تتحسس نبض القضية وتؤكد تفوقك".

"حين ظهرت أخيراً، حرصت على ألا أطرح عليك أسئلة مباشرة بشأن التحقيق". أخذ سيغورد ألتمان نفساً عميقاً. "لم أشأ إثارة الشبهات. توجب عليّ التحلي بالصبر، والانتظار إلى أن أكسب ثقتك".

"ونجحت".

أوماً سيغورد برأسه ببطء. "شكراً. أحب الاعتقاد أنني أوحى بالثقة. بالمناسبة،

أطلقت على مكتبي في مصنع كادوك اسم غرفة الإخراج. عندما اقتحمتها، فقدت صوابي. كانت بمثابة منزلي. غضبت جداً لدرجة أنني كنت على وشك فصل والدك عن جهاز التنفس، هاري. لكنني لم أفعل ذلك. أريدك أن تعرف ذلك".

لم يجب هاري.

قال سيغورد: "ثمة شيء آخر. كيف عرفت بشأن الشاليه المهجور التابع لهيئة السياحة؟".

هزّ هاري كتفه. "بالصدفة. توجب علينا أنا وزميل لي قضاء ليلة هناك. بدا وكأن شخصاً ما كان قبلنا هناك. وثمة شيء علق بموقد الخشب؛ لحم مثلما أظن. مضى وقت قبل أن أربط ذلك بالذراع الناتئة من تحت الدراجة الثلجية. بدت أشبه بقطعة نقانق مشوية. ذهب الشرطي المحلي إلى الشاليه، وبحث عن أجزاء اللحم، وأرسلها لتخضع لفحص الحمض النووي. سوف نحصل على النتائج خلال أيام قليلة. يبقي طوني أغراضاً شخصية هناك. وجدت صورة عائلية في درج مثلاً. طوني عندما كان صغيراً. أنت لا تنظف المكان جيداً وراءك سيغورد".

توقف الشرطي أمام نافذة السائق، فأنزل بيورن زجاج النافذة. انحنى إلى الأمام، ونظر خلف بيورن، إلى سيغورد ألتمان.

قال سكاي: "مرحباً أول. أنا ألقى القبض عليك بتهمة قتل مجموعة من الأشخاص كان يجدر بي حفظ أسمائهم، لكننا سنأخذ الأمور تدريجياً. قبل أن أبرم وأفتح الباب، أريدك أن تضع يديك على لوحة أجهزة القياس كي أراهما. سأضع الأغلال في يديك، وسوف ترافقني إلى زنزانة مرتبة تم تنظيفها حديثاً. حضرت زوجتي كرات اللحم مع البطاطا المهروسة. يبدو أنها تذكرك بهذه الطريقة. هل هذا جيد، أول؟".

القسم الثامن

"ماذا يفترض بذلك أن يعني بالله عليك؟".

إنها الساعة السابعة، ومبنى كريبوس يضج بالحياة، وعند الباب المؤدي إلى مكتب هاري، وقف مايكل بيلمان الغاضب وهو يحمل حقيبة في يد ونسخة من جريدة أفتنبوستن في اليد الأخرى.

"إذا كنت تقصد أفتنبوستن...".

"أنا أقصد هذا، نعم!". رمى بيلمان الجريدة على المكتب أمامه.

العنوان الرئيس غطى نصف الصفحة الأولى. تم توقيف الأمير الفاتن الليلة الماضية. حصلت الصحافة على لقب الأمير الفاتن في اليوم نفسه لابتكاره في قاعة المؤتمرات في أودين. أما كلمات توقيف... والليلة الماضية فلم تكن دقيقة تماماً طبعاً، إذ جرى الاعتقال في بداية المساء. لكن، لم يتسنّ لسكاي الوقت لإرسال التقرير إلى الصحافة إلا قرابة منتصف الليل؛ بعد انتهاء آخر البرامج الإخبارية التلفازية، وقبل انتهاء مواعيد تحرير الصحف. كان التقرير مقتضباً، ولم يحدد الوقت أو الظروف، وإنما ذكر فقط أن الأمير الفاتن - وبعد تحقيقات مكثفة من قبل الشرطة المحلية - قد تم إلقاء القبض عليه خارج قاعة قديمة للرقص في آيتر إينيباك.

كرر بيلمان: "ماذا يفترض بذلك أن يعني؟".

قال هاري: "أفترض أنه يعني أن الشرطة قد ألقت القبض على أحد أخطر القتلة في النروج". وحاول إخفاض الكرسي عالي الظهر.

قال بيلمان بغضب: "الشرطة! الشرطة المحلية في - توجب عليه مراجعة الجريدة - آيتر إينيباك؟".

قال هاري: "لا أعتقد أنه يهم من ختم القضية طالما أنه جرى ختمها، أليس كذلك؟". وهو يمسك بالرافعة الموجودة إلى جانب المقعد. "كيف يعمل هذا؟".

أغلق بيلمان الباب. "أصغ إليّ هول".

"ألم يعد اسمي هاري؟".

"أغلق فمك واسمعني جيداً. أعرف ما جرى هنا. كنت تتحدث إلى هاغن، وقيل لك إنه لا يمكنك توكيل مهمة الاعتقال له ولقسم مكافحة الجرائم لأن هذا محفوظ جداً بالمخاطر. وبما أنك لا تستطيع إنجاز الأمر بنفسك، أجريت سحب قرعة، وسلّمت شرف القيام بذلك إلى شرطي أخرق لا يميز طرفاً في تحقيق جريمة عن آخر".

قال هاري، وهو ينظر إليه بتعجب ودهشة: "أنا سيدي؟! تم العثور على إحدى الجثث في منطقته. لذا، من الطبيعي أن يتابع المسألة على صعيد محلي. ثم ارتكز على خلفية طوني لايك. إنه عمل شرطي قديم برأيي".

البقع البيضاء على جبين بيلمان بدت وكأنها تتحول إلى كل ألوان قوس القزح. "هل تعرف كيف ستعاطى وزارة العدل مع هذا؟ لقد وضعوا التحقيق بين يدي، وكنت أتابعه أسبوعاً وراء أسبوع، ولكن من دون نتيجة. ثم يأتي هذا المسخ الحقيق، وبعد يومين يصل إلى قلب القضية".

"مم". ضغط هاري على الرافعة، فترجع الكرسي إلى الخلف بعنف. "ألا يبدو الأمر جيداً جداً عند وضعه بهذه الطريقة، سيدي؟".

وضع بيلمان راحتي يديه على المكتب، وانحنى إلى الأمام وصرخ مرسلأ كرات صغيرة من اللعاب الأبيض في اتجاه هاري: "أتمنى ألا يبدو الأمر جيداً جداً هول. بعد ظهر اليوم، تم العثور على كتلة من الهيرويين في منزلك، وسيتم إرسالها إلى المختبر للتعرف إليها. وقعت في الفخ هول!".

"وبعد ذلك، سيدي؟". تحرك هاري صعوداً ونزولاً فيما تلاعب بالرافعة.

قطب بيلمان جبينه. "ماذا تقصد بالله عليك؟".

"ماذا ستقول للصحافة ووزارة العدل؟ عندما يرون تاريخ مذكرة البحث التي استخدمتها، والصادرة باسمك؟ وحين يسألون عن كيفية تمكّنك في اليوم التالي لعثورك على الأفيون في منزل الشرطي من وضع هذا الشرطي نفسه في منصب بارز في التحقيق؟ قد يزعم البعض أنه إذا كانت كريبوس تعمل بهذه الطريقة، فلا عجب إذاً أن ينجح شرطي ريفي، يملك هاتفأ خلويأ واحداً وزوجة تطهو جيداً، في العثور على القتلة".

انخفض فك بيلمان إلى الأسفل، واستمر في طرف عينيه.

"ها هي". اتكأ هاري على المقعد إلى الخلف، وبات راضياً الآن عن وضعيته، مع ابتسامة على وجهه، وفرك عينيه نتيجة دفع الهواء الذي جاء بعد انغلاق الباب بقوة.

تلاأت الشمس على حافة الجبل، فيما أوقف كرونغلي الدراجة الثلجية، ونزل

عنها وتوجه إلى روي ستيل الذي كان يقف قرب قضيب تزليج مغرور في الثلج.
"إذاً؟".

قال ستيل: "أعتقد أننا وجدناه. لا بد أن يكون هذا هو القضيب الذي وضعه
الزميل هول لتعليم الموقع".

الشرطي الذي بات الآن على وشك التقاعد لم يطمح يوماً للترقي في السلم
المهني، لكن الشعر الأبيض الكثيف والنظرة المحدقة والصوت الهادئ جعلت الناس
يظنون عند التحدث إليه أنه الأعلى رتبة وليس كرونغلي.
قال كرونغلي: "أوه؟".

رافق ستيل إلى حافة المنحدر، ونظر إلى حيث أشار هذا الأخير، وهناك، في
قعر المنحدر، رأى الدراجة الثلجية. عدّل منظاره، وركز على الذراع العارية المحروقة
الناتئة من تحت الدراجة. تتم بصوت شبه عالٍ: "أوه اللعنة. أخيراً".

بدأ الزبائن الذين كانوا يتناولون الفطور يغادرون "ستوب بريسين" عندما سمع
بينت نوردبو سعالاً، ونظر من فوق جريدة نيويورك تايمز، ونزع نظارته، ونظر شزراً،
وكشف عما هو أقرب إلى الابتسامة.
"غونار".
"بينت".

للقاؤهما التحية على بعضهما، عبر لفظ اسميهما، شيء تعلماه منذ الطفولة، ويذكر
غونار هاغن دوماً بلقاء النمل وتبادل الروائح. جلس رئيس قسم مكافحة الجرائم، لكنه
لم يخلع معطفه. "قلت عبر الهاتف إنك وجدت شيئاً".

"قام أحد الصحفيين لديّ بنشر الموضوع". مرر نوردبو مغلفاً أسمر عبر الطاولة.
"يبدو وكأن مايكل بيلمان قد غطى زوجته في قضية مخدرات. القضية قديمة، وبالتالي
لا يمكن ملاحظتهما من الناحية القانونية. لكن، في الصحافة...".

قال هاغن، وهو يأخذ المغلف: "يمكن دوماً محاسبتهما".
"أعتقد أنه يمكنك إبطال غرور مايكل بيلمان بفاعلية".

"على الأقل، يمكن التوصل إلى توازن رعب. فهو يملك أشياء ضدي أيضاً.
بالإضافة إلى ذلك، قد لا أحتاج حتى إلى هذا؛ إذ تم إذلاله من قبل شرطي في آيتر
إينيباك".

"قرأت ذلك. ولا شك في أن وزارة العدل قد قرأت ذلك أيضاً، أليس كذلك؟".

"هناك، يقرأون الجرائد ويبقون آذانهم على الأرض. لكن، شكراً لك على كل حال".

"من دواعي سروري أن نساعد بعضنا بعضاً".

"من يعرف؟ قد أحتاج إلى هذا يوماً ما؟". وضع غونار هاغن المغلف داخل معطفه.

لم يتلقَ جواباً، فيما استأنف بينت نوردبو قراءة مقال عن سيناتور شاب أسود أميركي اسمه باراك أوباما يمكن أن يصبح يوماً ما رئيس الولايات المتحدة، مثلما ذكر الكاتب بكل جدية.

عندما نزل كرونغلي إلى الأسفل، صرخ للآخرين بأنه وصل وفكّ الحبل. كانت الدراجة الثلجية من نوع "القطة الثلجية"، وكانت رأساً على عقب. جرّ نفسه مسافة ثلاثة أمتار للوصول إلى الحطام، وأدرك فوراً أين يضع قدميه ويديه؛ كما لو أنه في مسرح جريمة. جلس القرفصاء. كانت تمايل على صخرتين. أخذ نفساً عميقاً وقلب الدراجة الثلجية على جانبها.

استلقت الجثة على ظهرها. أول ما خطر في بال كرونغلي أن الجثة تعود افتراضياً إلى رجل. فقد تحطم الرأس والوجه بين الدراجة والصخور، وبدت النتيجة مثل بقايا حفلة سلطعون. لا حاجة لتحسس الجسم المهشم ليعرف أنه أشبه بالهلام؛ مثل قطعة من اللحم الطري الخالي من العظام، أو أن الجذع جرى تسطيحه مع طحن للوركيين والركبتين. بالكاد استطاع كرونغلي التعرف إلى الجثة لولا القميص الأحمر القطني، والسنّ الوحيدة المهترئة والباقية في الفك السفلي.

إعادة صياغة

قال هاري متعجباً: "ماذا تقول؟!". وجعل الهاتف أقرب إلى أذنه كما لو أن هناك خطأ ما.

قال كرونغلي: "قلت إن الجثة تحت الدراجة الثلجية لا تخص طوني لايك".

"ومن تخص إذا؟".

"أود أوتمو. إنه ناسك محلي ودليل محلي. يرتدي دوماً القميص القطني أحمر اللون. وتلك دراجته الثلجية. لكن الأسنان هي التي حسمت المسألة. سن واحدة مهترئة. الله يعلم بما حصل لبقية الأسنان ولجسر التقويم".

أوتمو. جسر تقويم الأسنان. تذكر هاري أن كاجا أخبرته عن الدليل الذي أوصلها إلى هافاس.

قال هاري: "لكن أصابعه. أليست مشوهة؟".

"طبعاً. عانى أوتمو من مشاكل رهيبة في التهاب المفاصل. وقد طلب مني بيلمان إبلاغك بالأمر مباشرة. لم يكن هذا ما أملت سماعه، أليس كذلك هول؟".

أبعد هاري الكرسي عن المكتب. "على الأقل، ليس ما كنت أتوقعه. هل يحتمل أن الأمر كان حادثاً كرونغلي؟".

لكنه عرف الجواب قبل أن يسمعه. كانت السماء صافية طوال المساء والليل. حتى من دون مصابيح للرأس، يستحيل عدم الانتباه إلى الجرف. خصوصاً بالنسبة إلى دليل محلي، وخصوصاً حين يقود بسرعة بطيئة جداً حيث هبط ثلاثة أمتار فقط من جرف قائم الانحدار علوه أكثر من سبعين متراً.

"انس الأمر كرونغلي. أخبرني عن الحروق".

صمت الطرف الآخر لبرهة قبل أن يأتي الجواب. "الذراعان والظهر. كانت البشرة في الذراعين مقطقة، وأمكن رؤية اللحم الأحمر تحتها. ثمة أجزاء من الظهر تفحمت. وثمة رسم جرى حرقه بين عظمي الكتفين...".

أغمض هاري عينيه. شاهد النمط في موقد الخشب في الشاليه. أجزاء اللحم المدخنة.

"... يبدو مثل أيل. هل من شيء آخر هول؟ علينا البدء بالتحرك...".
"لا، شكراً كرونغلي".

أنهى هاري المكالمة، وجلس يفكر لبرهة. ليس طوني لايك. لا شك في أن هذا يبذل التفاصيل، ولكن ليس الصورة الكبيرة. كان أوتمو ربما ضحية انتقام ألتمان، إنه شخص وجد نفسه في طريق شيء أو آخر. إنهم يملكون إصبع طوني لايك، لكن أين بقية جسمه. ثم خطرت فكرة في بال هاري. إذا كان ميتاً؛ فمن الناحية النظرية، يحتمل أن يكون طوني محتجزاً في مكان ما؛ مكان يعرفه فقط سيغورد ألتمان.
طلب هاري رقم سكاى.

قال سكاى وهو يمضغ شيئاً ما: "إنه يرفض التفوه بكلمة واحدة أمام أي كان. باستثناء محامي الدفاع عنه".
"ومن هو؟".

"جوهان كروهن. هل تعرفه؟ يبدو مثل صبي و...".
"أعرف جوهان كروهن جيداً".

اتصل هاري بمكتب كروهن، وجرى تحويله، وبدا كروهن نصف مرحب ونصف رافض؛ تماماً مثلما يفترض أن يكون محامي الدفاع المحترف عندما تتصل به سلطة الادعاء. أصغى إلى هاري، ثم أجاب.
"أخشى ذلك. فإذا كنت لا تملك دليلاً ملموساً يدحض أي شك بأن موكلتي يحتجز شخصاً ما أو يعرض شخصاً للخطر من خلال عدم الكشف عن مكانه، فأنا لا أستطيع السماح لك بالتحدث إلى ألتمان في هذا الموضوع هول. إنها ادعاءات خطيرة توجهها ضده، ولا داعي لأن أقول لك إن مهمتي تقضي بحماية مصالحه قدر المستطاع".

قال هاري: "موافق. لا داعي لتقول لي".
أنهيا المكالمة.

نظر هاري إلى خارج النافذة؛ إلى وسط المدينة. الكرسي جيد، لا شك في ذلك. لكن عينيه وجدتا المبنى الزجاجي المألوف في غرونلاند.
ثم طلب رقماً آخر.

كانت كاترين برات سعيدة مثل طائر القبرة، وتثرثر مثله أيضاً.

قالت: "سيتم منحني حُرّيتي بعد يومين".

"ظننت أنك موجودة هناك بملء إرادتك".

"نعم، صحيح. لكن، لا بد من إخلاء سبيلي رسمياً. أتطلع بشوق إلى ذلك. عرضوا عليّ وظيفة إدارية في المركز عندما تنتهي إجازتي المرضية".
"جيد".

"هل من شيء خاص تريده؟".

شرح هاري.

"إذاً، تريد العثور على طوني لايك من دون مساعدة ألتمان؟".

"نعم".

"هل من أفكار لتساعدني أين أبدأ؟".

"فكرة واحدة فقط. مباشرة بعد اختفاء طوني، تحققنا من عدم مكوثه في مكان ما قرب أوستاوسيت. واللافت أنني تحققت عن كَثب في الأعوام القليلة الماضية، ولم يتسجل قطّ في أي شاليه أو فندق في أي مكان في أوستاوسيت، وإنما فقط في اثنين من شاليهات هيئة السياحة. هذا كل شيء. وهذا غريب، لأنه تواجد هناك كثيراً".

"كان يتطفل على الشاليهات ربما، من دون أن يسجل اسمه أو يدفع المال".

قال هاري: "ليس من هذا النوع. أتساءل عمّا إذا كان طوني يملك شاليهاً أو

كوخاً هناك ولا يعرف أحد بوجوده".

"حسناً. هل من شيء آخر؟".

"لا. أعني نعم، حاولي إيجاد أي شيء عن نشاط أود أوتمو خلال الأيام القليلة

الماضية".

"هل ما زلت عازباً هاري؟".

"أي نوع من الأسئلة هذا؟".

"لا تبدو عازباً كثيراً".

"حقاً؟".

"نعم. لكن هذا يناسبك".

"حقاً؟".

"بما أنك سألت، لا".

قوم أسلاك كرونغلي ظهره المتشنج ونظر إلى أعلى الجرف.
ناداه أحد الرجال في فريق البحث، وها هو يصرخ الآن مجدداً، مع حماسة
جلية. "هنا!".

تمتم أسلاك بشتيمة بصوت منخفض. أنهى شريطو مسرح الجريمة عملهم، وجرى
رفع الدراجة الثلجية وجثة أود أوتمو إلى الأعلى. كان عملاً معقداً ومستنفداً للوقت
لأن المنفذ الوحيد إلى الجرف كان بواسطة الجبل، وحتى هذا كان صعباً جداً.
أثناء استراحة الغداء، أخبرهم رجل بشيء همسته سراً في أذنه خادمة في الفندق.
كانت هناك بقع دم على الملاءات في الغرفة التي حجزها راسموس أولسن، زوج
النائب المقتولة، بعدما خرج. في البداية، اعتقدت أنه دم طمث، لكنها سمعت بعد
ذلك أن راسموس كان بمفرده، وأن زوجته كانت في شاليه هافاس.
أجاب كرونغلي بالقول إنه أحضر على الأرجح فتاة محلية إلى غرفته، أو أنه
التقى زوجته صباح وصولها من أوستاوسيت وتصالحا في السرير. لكن الرجل أكد
أن الدم ليس دم طمث.
"هنا!".

يا لها من جلبة! أراد أسلاك كرونغلي الذهاب إلى المنزل، وتناول العشاء، وشرب
القهوة، والنوم؛ ووضع كل هذه القضية اللعينة خلف ظهره. المال الذي يدين به في
أوسلو تم تسديده، ولن يذهب إلى هناك أبداً مجدداً. لن يعود أبداً إلى الورطة؛ إنه
وعد سيحرص على تنفيذه هذه المرة.
استخدموا كلباً للتأكد من عثورهم على كل أجزاء أوتمو في الثلج، وكان الكلب
هو الذي قفز في أعلى المنحدر وبدأ ينبح على مسافة مئة متر، على عمق مئة متر.
قيّم أسلاك الجرف.

صرخ: "هل هذا مهم؟". وسمع صدى صوته يتردد.
تلقى جواباً، وبعد عشر دقائق كان يحرق في ما نبشه الكلب من تحت الثلج.
كان عالقاً بين الصخور بإحكام شديد حيث يستحيل لمحه من الأعلى.
قال أسلاك: "يا الله! ماذا يمكن أن يكون هذا؟".
قال الشرطي الممسك بالكلب: "ليس طوني لايك طبعاً. هنا في الجرف البارد،
يحتاج الهيكل العظمي إلى وقت طويل جداً قبل أن يصبح نظيفاً هكذا. أعوام عدة".
"ثمانية عشر عاماً". إنه روي ستيل؛ الشرطي الذي لحق بهم وكان يلهث بقوة.
قال روي، وهو يجلس القرفصاء: "إنها هنا منذ ثمانية عشر عاماً".

استفسر أسلاك: "إنها؟".

أشار الشرطي إلى الوركين في الهيكل العظمي. "تملك المرأة حوضاً أكبر من حوض الرجل. لم نعر عليها مطلقاً عندما اختفت. إنها كارن أوتمو".

سمع كرونغلي شيئاً لم يسمعه قطّ من قبل في صوت روي ستيل؛ رجفة، رجفة رجل مضطرب عاطفياً، ومفجوع بالحزن. لكن وجهه الصارم كان ناعماً مثل العادة. قال الشرطي الممسك بالكلب: "حسناً، إذاً ما قيل كان صحيحاً. لقد رمت نفسها من الأعلى بسبب حزنها على ولدها".

قال كرونغلي: "لا". نظر الآخرون إليه. أقحم إصبعه الصغيرة في فتحة دائرية صغيرة في جبين الجمجمة.

قال الشرطي الممسك بالكلب: "هل هذا ثقب رصاصة؟".

أجاب ستيل وهو يتحسس متن الجمجمة: "نعم. ولا يوجد مخرج. لذا، أعتقد أننا سنعر على الرصاصة داخل الجمجمة".

قال كرونغلي: "وهل يجدر بنا المراهنة بأن هذه الرصاصة تتطابق مع بندقية أوتمو؟".

كرر الشرطي الممسك بالكلب: "حسناً، لم أفكر في ذلك قطّ. هل تقصد أنه أطلق النار على زوجته؟ هل هذا ممكن؟ هل يمكن قتل شخص أحببته؟ لأنك تظن أنها... هذا مثل الدخول إلى الجحيم".

قال ستيل، وهو ينهض: "ثمانية عشر عاماً. بقيت سبع سنوات قبل أن تعتبر الجريمة قديمة جداً. لا بد أن هذا ما يسمونه سخرية القدر. تنتظر وتنتظر؛ خشية افتضاح أمرك. تمرّ السنوات، وعندما تقترب من الحرية، بانغ! تُقتل أنت أيضاً وتنتهي في الجرف نفسه".

أغمض كرونغلي عينيه وقال نعم، إنه من الممكن قتل إنسان تحبه. هذا ممكن بسهولة. لكن، لا. لن تصبح أبداً حراً. لن يأتي أبداً إلى هنا مجدداً.

استمتع جوهان كروهن بالإشارة القوية. فالمرء لا يصبح أشهر محامي دفاع في البلاد من دون الاستمتاع بها. وعندما وافق على الدفاع عن سيغورد ألتمان، الأمير الفاتن، من دون التردد لثانية واحدة، عرف أنه ستكون هناك أضواء قوية أكثر مما اختبر لغاية الآن في مهنته المميزة. لقد حقق هدفه في التغلب على والده لناحية كونه أصغر محام يحق له الدخول إلى المحكمة العليا. وبصفته محامي دفاع في العقد الثاني من

عمره، قيل عنه إنه النجم الجديد، الشاب الأعجوبة. لكن، يبدو أن الغرور قد طغى عليه، إذ لم يكن معتاداً على هذا القدر من الانتباه في المدرسة. كان في ذلك الحين التلميذ المجتهد الذي يلوح دوماً بيده في الصف بحماسة كبيرة، ويذل جهداً كبيراً جداً على الصعيد الاجتماعي، لكنه رغم ذلك بقي آخر من يعلم أين ستقام حفلة ليلة السبت؛ هذا إذا عرف أصلاً. لكن السكرتيرات والموظفات الشابات قد يضحكن ويتوردن خجلاً الآن عندما يوجه إليهن الإطراء أو يقترح عليهن عشاء بعد العمل. ومع سيل الدعوات لإلقاء المحاضرات، والمشاركة في المناقشات على الراديو أو التلفاز، أو حتى حضور العرض الأول لفيلم - الأمر الذي تقدّره زوجته كثيراً - شغلت مثل هذه الأحداث الكثير من انتباهه خلال الأعوام الماضية. وأياً يكن الأمر، حصل انخفاض ملحوظ في عدد الانتصارات القضائية، والقضايا ذات الأهمية الإعلامية والزبائن الجدد. ليس كثيراً لدرجة أنها باتت تؤثر في سمعته، وإنما بما يكفي ليدرك أنه يحتاج إلى قضية سيغورد ألتمان. إنه يحتاج إلى شيء مهم يعيده إلى حيث ينتمي؛ إلى القمة.

لهذا السبب، جلس جوهان كروهن يصغي بهدوء إلى الرجل النحيل صاحب النظارة ذات العدستين الدائريتين. يصغي فيما سيغورد ألتمان يخبر قصة ليست فقط أغرب قصة سمعها كروهن في حياته، وإنما أيضاً قصة صدقها. يستطيع جوهان كروهن رؤية نفسه في قاعة المحكمة، الحطيب اللامع، المثير للرأي العام، المراوغ الذي لم يغفل قط عن العدالة القانونية، وهذه متعة بالنسبة إلى الرجل العادي والقاضي على حد سواء. لذا، خاب أمله في البداية عندما كشف سيغورد ألتمان عن الخطط التي أعدّها. لكن، بعد تذكيره نفسه بقول والده المتكرر إن المحامي موجود لخدمة الزبائن، وليس العكس، قبل بالقضية. لأن جوهان كروهن ليس شخصاً سيئاً في النهاية.

وعندما غادر كروهن سجن منطقة أوسلو حيث جرى نقل سيغورد ألتمان خلال النهار، رأى إمكانات جديدة في القضية؛ تبقى بطريقتها استثنائية رغم كل شيء. وأول ما فعله عندما عاد إلى مكتبه كان الاتصال بمايكل بيلمان. التقيا مرة واحدة فقط من قبل، في محاكمة جرمية طبعاً، لكن جوهان كروهن عرف فوراً أين موقعه بالنسبة إلى بيلمان. فالصقر يتعرف إلى الصقر. لذا، قدّر شعور بيلمان بعد عناوين الصحف بشأن الإنجاز العظيم للشرطي الرفي في مهمة الاعتقال.

"بيلمان".

"جوهان كروهن. يسرّني التحدث إليك مجدداً".

"أهلاً بك كروهن". بدا الصوت رسمياً، ولكن ليس فظاً.

"حقاً؟ أتخيل أنك تشعر بالإحباط، أليس كذلك؟".
صمت وجيز. "ماذا تقصد كروهن؟". أسنان مطبقة. غضب.
عرف جوهان كروهن أنه الفائز.

جلس هاري وسيس قرب سرير والدهما في مستشفى ريكس. على الطاولة قرب السرير، وعلى طاولتين أخريين في الغرفة، وضعت باقات أزهار ظهرت من حيث لا يدري في الأيام القليلة الماضية. قرأ هاري البطاقات المرافقة للأزهار. كتب على إحداها: "عزيزي أولاف" والتوقيع حمل اسم "ليز". لم يسمع هاري من قبل باسم ليز، ولم يتخيل أصلاً وجود نساء أخريات في حياة والده غير أمه. البطاقات الأخرى كانت من زملاء وجيران؛ لا بد أنهم سمعوا أن النهاية قد اقتربت. ورغم معرفتهم بأن أولاف لن يتمكن من قراءة البطاقات، أرسلوا تلك الأزهار ذات الرائحة العطرة للتعويض عن حقيقة عدم تخصيص الوقت لزيارته. رأى هاري الأزهار المحيطة بالسرير مثل الصقور التي تحوم حول رجل على فراش الموت. رؤوس ثقيلة متدلية فوق أعناق نحيلة وطويلة؛ مناقير حمراء وصفراء.

همست سيس: "لا يسمح لك باستعمال الهاتف الخليوي هنا هاري".
أخرج هاري هاتفه، وقرأ الرقم على الشاشة. "عذراً سيس. إنه اتصال مهم".
دخلت كاترين برات في الموضوع مباشرة. "لا شك في أن لايك كان في أوستاوسيت والمنطقة المحيطة لبعض الوقت. في الأعوام الأخيرة، اشترى بطاقات القطار عبر شبكة الإنترنت، ودفع ثمن الوقود بواسطة بطاقة اعتماد في محطة الوقود في جيلو. يصح الشيء نفسه على المؤن، ولاسيما في أوستاوسيت. الشيء الوحيد البارز هو فاتورة بمواد بناء، أيضاً في جيلو".
"مواد بناء؟!".

"نعم. راجعت لائحة الفواتير؛ اشترى ألواح خشب، ومسامير، وأدوات، وكابلات فولاذية، وحجارة خفان، وإسمتاً. ما قيمته أكثر من ثلاثين ألف كرونر. لكن هذا حصل قبل أربعة أعوام".
"هل تفكرين في ما أفكر فيه؟".
"بنى لنفسه كوخاً صغيراً أو شيئاً ما هناك؟".

"إنه لا يملك شاليهاً مسجلاً ليتمكن من تشييد كوخ متصل به، فقد تحققنا من ذلك. لكن، لا أحد يخزن المؤن إذا أراد العيش في فندق أو في أحد شاليهات،

هيئة السياحة. أعتقد أن طوني قد بنى لنفسه مقراً غير شرعي في الأملاك العامة، مثلما قال لي إنه يحلم بأن يفعل. بعيداً عن الأنظار طبعاً. في مكان لا يزعجه فيه أحد أبداً. لكن أين؟". أدرك هاري أنه نهض وبدأ يذرع الغرفة جيئة وذهاباً.

قالت كاترين برات: "أنت أخبرني".

"انتظري! في أي وقت من السنة اشترى كل هذا؟".

"دعني أرى... تقول الفاتورة في السادس من يوليو".

"إذا كان الشاليه مخفياً عن الأنظار فلا بد أنه في مكان ما خارج المسار الاعتيادي؛ في منطقة معزولة من دون طرقات. هل قلت كابلات فولاذية؟".

"نعم. وأعرف لماذا. عندما شيّد البرغنسيون شاليهاتهم في المناطق التي تعصف فيها الرياح القوية في أوستاوسيت في حقبة الستينيات، كانوا يستخدمون عموماً الكابلات الفولاذية لتثبيت الشاليهات".

"إذاً لا بد أن يكون شاليه لايك في مكان تعصف فيه الرياح، وإنما معزول، وتوجب عليه نقل مواد بناء بقيمة ثلاثين ألف كرونر إلى هناك؛ أي ما وزنه قرابة طنين على الأقل. كيف يمكن فعل ذلك في الصيف حين لا يوجد ثلج، ولا يمكن بالتالي استعمال الدراجة الثلجية؟".

"باستعمال الحصان ربما؟ أو سيارة رباعية الدفع؟".

"في الأنهار، المستنقعات، أعلى الجبال، تابعي".

"لا أعرف".

"لكنني أعرف. رأيت صورتها. شكراً لك. وداعاً".

"انتظر".

"ماذا؟".

"طلبت مني أيضاً البحث عن نشاطات أوتمو خلال الأيام الأخيرة من حياته. لا يوجد الكثير من المعلومات حوله في العالم الإلكتروني، لكنه أجرى بعض الاتصالات. وأحد آخر الاتصالات التي أجراها كان بأسلاك كرونغلي. يبدو أنه حصل على مجرد مجيب صوتي. أما الحديث الأخير على هاتفه فكان مع "ساس". راجعت نظام الحجز لديهم. حجز تذكرة طائرة إلى كوبنهاغن".

"مم. لا يبدو من النوع الذي يسافر كثيراً".

"هذا أكيد. تم إصدار جواز سفر باسمه، لكنه غير مسجل في أي نظام حجز. ونحن نتحدث هنا عن أعوام عدة".

"إذاً، إنه رجل بالكاد غادر منطقة سكنه ويريد فجأة الذهاب إلى كوبنهاغن. متى كان يفترض به أن يسافر؟".
"البارحة".
"حسناً، شكراً".

أنهى هاري الاتصال، وأخذ معطفه، واستدار عند الباب. نظر إليها؛ إلى المرأة الجذابة؛ أخته. كان على وشك سؤالها إذا كانت تبلي حسناً وحدها، من دونه. لكنه نجح في منع نفسه من طرح مثل هذا السؤال الأبله. متى لم تبلي حسناً من دونه؟ قال لها: "اعتني بنفسك".

كان جنس راث في قاعة الاستقبال في مبنى المكاتب المشتركة. تحت سترته وقميصه، كان ظهره يتصبب عرقاً؛ لأنه تلقى للتو اتصالاً من المكتب يفيد بأن الشرطة آتية لزيارته. حصل تصادم بينه وبين قسم مكافحة الاحتيال قبل بضعة أعوام، لكن تم إسقاط القضية. إلا أنه ما زال يتصبب عرقاً كلما رأى سيارة شرطة. ويشعر جنس راث الآن بأنه في غاية التوتر. كان رجلاً صغير القامة، ونظر إلى الشرطي الذي شمخ للتو على قدميه، واستمر في الشموخ إلى أن أصبح أعلى بنصف متر من جنس، وصافحه بطريقة مهذبة وصارمة.

"هاري هول. قسم مكافحة... كريبوس. جئت للتحدث عن طوني لايك".
"هل من شيء جديد؟".
"هل يمكننا الجلوس، راث؟".

جلس كل منهما على كرسي من كراسي لو كوربوسيه، وأشار راث إلى عاملة الاستقبال بأنه لا يجدر بها تقديم القهوة لهما، علماً أن هذه سياسة معتمدة عندما يأتي المستثمرون للزيارة.

قال الشرطي: "أريدك أن تدلنا أين يقع الشاليه".
"الشاليه؟!".

"شاهدتك تلغي القهوة راث، وهذا جيد. فأنا مثلك، لا أملك الكثير من الوقت. وأعرف أيضاً أنه تم إسقاط قضيتك في الاحتيال. لكنني أحتاج إلى اتصال هاتفي واحد لإعادة فتحها مجدداً. قد لا يجدوا أي شيء هذه المرة، لكنني أعدك بأن الوثائق التي سيطلبونها منك...".

أغمض راث عينيه. "يا الله!".

"... ستبقيك مشغولاً لوقت أطول من الوقت الذي احتجت إليه لبناء شاليه لصديقك وزميلك طوني لايك. اتفقنا؟".

موهبة جنس راث الوحيدة تمثلت في قدرته على حساب المخاطر بسرعة وفاعلية أكبر من أي شخص آخر. وعلى هذا الأساس، احتاج إلى ثانية واحدة فقط للاستجابة للحسابات التي أنجزها للتو.
"جيد".

"نغادر غداً عند الساعة التاسعة صباحاً".
"كيف؟".

"بالطريقة نفسها التي نقلتم فيها المواد. بواسطة طائرة مروحية".
وقف الشرطي.

"مجرد سؤال واحد. لطالما أصرّ طوني على ضرورة عدم معرفة أحد بهذا الشاليه. لا أظن حتى أن لين، خطيبته، تعرف بشأنه. فكيف...؟".
"فاتورة لمواد بناء من جيلو، إضافة إلى صورة لكم أنتم الثلاثة حين كنتم جالسين على كومة من الأخشاب أمام المروحية".
إيماءة سريعة من رأس جنس راث. "طبعاً، الصورة".
"بالمناسبة، من التقطها؟".

"ربان المروحية؛ قبل أن يغادر جيلو. وكانت فكرة أندرياس أن نرسلها مع التقرير الصحفي عندما افتتحنا المكاتب. فقد ظن أن ارتداء ملابس العمل أفضل من البدلات الرسمية وربطات العنق. ووافق طوني لأنه اعتبر أن الصورة توحى بأننا نملك المروحية. في أي حال، تستخدم الجرائد المالية هذه الصورة على الدوام".
"لماذا لم تذكر أنت وأندرياس مسألة الشاليه عندما اختفى طوني؟".

هزّ جنس راث كتفه. "لا تفهمني خطأً. فنحن مثلك نتوق لعودة طوني بأسرع ما يمكن. نملك مشروعاً في الكونغو سيخفق حتماً إذا لم يستطع توفير عشرة ملايين على الفور. لكن، عندما يختفي طوني عن الأنظار، فذلك لأنه يرغب في هذا. يستطيع الاهتمام بنفسه. لا تنس أنه كان جندياً مرتزقاً. وأعتقد أن طوني جالس في الوقت الحاضر في مكان ما مع كأس في يده، وامرأة فاتنة بين ذراعيه، ويتسم ابتسامة عريضة لأنه وجد الحل".

قال هاري: "مم... إذاً أفترض أن تلك المرأة هي التي بترت إصبعه الوسطى. لاقني في مطار فورنيو غداً".

وقف جنس راث يراقب الشرطي. كان العرق يتصبب منه بشدة، لدرجة أنه ابتل كله.

عندما عاد هاري إلى مستشفى ريكس، كانت سيس لا تزال جالسة هناك. كانت تتصفح مجلة وتأكل تفاحة. راقب مجموعة الصقور. هناك المزيد من الأزهار. قالت: "تبدو منهكاً هاري. يجدر بك العودة إلى المنزل". فهقه هاري. "يمكنك الذهاب. جلست هنا بمفردك لوقت طويل بما فيه الكفاية". قالت مع ابتسامة محتالة: "لم أكن بمفردتي. احزر من كان هنا". تنهد هاري. "عذراً سيس. لدي ما يكفي من التخمين في مهنتي". "أويستن!". "أويستن إيكلاندا؟".

"نعم! أحضر معه لوحاً من الشوكولا بالحليب. ليس لبابا، وإنما لي. أسفة لأنه لم يبق منه أي شيء". ضحكت بشدة لدرجة أن عينيها غاصتا في وجنتيها. عندما نهضت للمشسي قليلاً، تحقق هاري من هاتفه. هناك مكالمتان فائتان من كاجا. أرجع الكرسي إلى الجدار واتكأ إلى الخلف.

بصمة إصبع

عند الساعة العاشرة وعشر دقائق، هبطت المروحية على الجهة الغربية لجبال هالينغسكارفت. وعند الساعة الحادية عشرة، حددوا موقع الشاليه.

كان بعيداً جداً عن الأنظار، حيث إنهم حتى لو عرفوا مكانه نوعاً ما، لكانوا قد تعذبوا في إيجاده من دون مساعدة جنس راث. تم تشييد الشاليه على صخرة عالية لجهة الشرق؛ في جانب اتجاه الريح من الجبل، في مكان عالٍ جداً لا يتأثر بالانهيارات الثلجية. تم نقل الحجارة إلى هناك من مناطق محيطة، وجرى تثبيتها على صخرتين عملاقتين شكّلتا الحائطين الجانبي والخلفي. لا توجد زوايا مستقيمة جلية. بدت النوافذ أشبه بشقوق مسدس، وكانت عميقة جداً في الجدار؛ حيث لا تنعكس أشعة الشمس عنها أبداً.

قال بيورن هولم، وهو يفك أحذية التزلج ويركع فوراً على ركبتيه فوق الثلج: "هذا ما أسميه شاليهاً محترماً".

أخبر هاري جنس أنهما لا يحتاجان الآن إلى خدماته، وأنه يجدر به العودة إلى المروحية وانتظارهما هناك مع قائد المروحية.

لم يكن الثلج عميقاً جداً أمام الباب الأمامي. قال هاري: "ثمة شخص أزال الثلج من هنا قبل وقت غير بعيد". كان الباب مزوداً بصفحة وقفل بسيط استسلم لمنشار بيورن من دون أي اعتراض. قبل فتح الباب، نزعوا القفازات الصوفية، ووضعوا قفازات اللاتكس وأكياساً زرقاء فوق حذاءيهما، ثم دخلا. "واو!". قال بيورن بدهشة.

تألف الشاليه كله من غرفة واحدة مساحتها ثلاثة أمتار بخمسة تقريباً، وبدت أشبه بمرسى سفينة قديم الطراز، مع نوافذ أشبه بالكوّات وحلول موقرة للمساحة. كانت الأرضية والجدران والسقف مكسوة بألواح خشبية خشنة غير معالجة، وإنما مطلية بطبقتين من الطلاء الأبيض للاستفادة من الضوء الخفيف الداخل. الجدار القصير إلى

اليمين احتله رف بسيط مع مجلى وخزانة تحته. إضافة إلى أريكة يمكن استعمالها كسرير. وفي وسط الغرفة، ثمة طاولة مع كرسي وحيد بمتن مغزول ومدهون بالطلاء. أمام إحدى النوافذ، وضع مكتب قديم مع أحرف أسماء ومقتطفات أغاني محفورة في الخشب. إلى اليسار، على الجدار الطويل حيث تظهر الصخرة الخلفية، ثمة موقد خشبي أسود. وللاستفادة قدر الإمكان من الحرارة، جرى تحويل أبواب المدخنة حول الصخرة إلى اليمين، قبل أن يرتفع عمودياً. سلة الخشب كانت مليئة بالعيدان والجرائد لإشعال النار. وعلى الجدارن، علقت خرائط للمنطقة المحلية، إضافة إلى خريطة لأفريقيا.

نظر بيورن إلى خارج النافذة من فوق المكتب.

"وهذا ما أسميه منظراً محترماً. يا الله! يمكنك رؤية نصف النروج من هنا". قال هاري: "فلنبدأ بالعمل. أعطانا قائد المروحية ساعتين. ثمة غيمة قادمة من الساحل".

كالعادة، نهض مايكل بيلمان عند الساعة السادسة، وركض على السجادة الكهربائية في القبو. لقد حلم بكاجا مجدداً. كانت تركب على دراجة نارية وتطوق بذراعيها رجلاً يضع خوذة على وجهه. ابتسمت بسعادة كبيرة، وكشفت عن أسنانها المستدقة، ولوّحت فيما انطلقا بعيداً. لكن، ألم يسرقا الدراجة؟ أليست تلك دراجته؟ لم يتأكد تماماً لأن شعرها المتطاير في الهواء كان طويلاً جداً حيث غطى رقم اللوحة. بعد الانتهاء من الركض، استحم مايكل وصعد إلى الأعلى لتناول الفطور. لقد حصّن نفسه قبل أن يفتح جريدة الصباح التي وضعتها أولاً - كالمعتاد - قرب طبقه.

نظراً لعدم توافر صورة لسيغورد ألتمان، أو الأمير الفاتن، تم نشر صورة للشرطي المحلي سكاي. كان يقف أمام مركز الشرطة ويشبك ذراعيه، ويعتمر قبعة خضراء ذات حافة طويلة، مثل صياد دبية شجاع. العنوان: هل تم توقيف الأمير الفاتن؟ وقرب العنوان، صورة لدراجة ثلجية صفراء محطمة: العثور على جثة أخرى في أوستاوسيت. قرأ بيلمان النص بسرعة بحثاً عن كلمة كريبوس، أو حتى اسمه. لكن، لا شيء في الصفحة الأمامية. جيد.

فتح الصفحات المشار إليها وها هي، صورة وكل شيء:

قال رئيس كريبوس، مايكل بيلمان، في بيان مقتضب إنه لا يرغب في الإدلاء

بتصريح إلا بعد استجواب الأمير الفاتن. ولا يملك أي شيء محدد لقوله بشأن توقيف المشتبه به من قبل شرطة آيتر إينيباك.

"في الإجمال، أستطيع القول إن عمل الشرطة عمل جماعي. ونحن في كريبوس لا نعلّق أهمية كبيرة على الأفراد الذين يتلقون ميداليات الأبطال".

لم يكن يجدر به قول العبارة الأخيرة. إنها كذبة، وسيعرف الجميع أنها كذبة، وهي توحى من بعيد بخسارة سيئة.

لكن، لا يهم. فإذا كان ما أخبره به جوهان كروهن، محامي الدفاع، عبر الهاتف صحيحاً، فإن بيلمان يملك فرصة ذهبية لإصلاح كل شيء. حسناً، لا بل أكثر من ذلك. إنه يملك فرصة لتلقي الميداليات شخصياً. عرف أن الثمن الذي سيطلبه كروهن سيكون باهظاً، لكن لن يكون هو من سيدفع في النهاية؛ وإنما صياد الدببة الأحمق، وهاري هول وقسم مكافحة الجرائم.

فتح حارس السجن الباب المؤدي إلى قاعة الزوار المفتوحة، وسمح مايكل بيلمان بدخول جوهان كروهن أولاً. أصرّ كروهن على أن هذه مجرد محادثة، وليست استجواباً رسمياً، ويفترض أن تتم على أساس حيادي قدر الإمكان. وبما أنه يستحيل السماح للأمير الفاتن بالخروج من سجن منطقة أوسلو، حيث يحتجز حالياً، اتفق كروهن وبيلمان على الاجتماع في قاعة الزوار؛ إحدى القاعات المستخدمة للاجتماعات الخاصة بين المحتجزين وعائلاتهم. لا كاميرات، لا مكبرات صوت، وإنما غرفة عادية خالية من النوافذ؛ حيث جرت محاولات باردة لجعل المكان أكثر دفئاً وحميمية بوضع شرشف مخرم على الطاولة، وسجادة نروجية على الجدار. يعطى الإذن للحبيبات والزوجات باللقاء هنا، وكانت الأريكة المتسخة مهترئة جداً لدرجة أن بيلمان استطاع رؤية كروهن وهو يغرق في الأريكة عندما جلس عليها.

كان سيغورد ألتمان جالساً على كرسي عند طرف الطاولة، فجلس بيلمان في الطرف الآخر حيث كان هو وبيلمان بالارتفاع نفسه تقريباً. كان وجه ألتمان نحيلاً، وعينه غائرتين، وفمه بارزاً مع أسنان نائثة.

قال بيلمان: "مثل هذه المحادثات لا تلتزم بالقانون. وعليّ بالتالي الإصرار على ضرورة عدم قيام أي كان بتدوين ملاحظات، وكل ما نقوله هنا لن يخرج من هذه الجدران".

قال كروهن: "في الوقت نفسه، علينا الحصول على ضمانات بأنه تم الالتزام بشروط الاعتراف من قِبَل السلطة المدعية".

قال بيلمان: "أعطيك وعداً".

"أشكرك على ذلك. ماذا لديك أيضاً؟".

ابتسم بيلمان ابتسامة خفيفة. "ماذا أيضاً؟ ماذا تريد أيضاً؟ أتريد اتفاقاً خطياً موقعاً؟!". محام فظ وحقير.

قال كروهن: "أفضل ذلك". ومرر ورقة عبر الطاولة.

حذق بيلمان في الورقة. قرأها بسرعة، وقفزت عيناه من عبارة إلى أخرى.

قال كروهن: "لن أريها لأحد طبعاً، إذا لم تبرز الحاجة إلى ذلك. وستتم إعادة المستند عند الإيفاء بكل الشروط". ثم مرر قلماً إلى بيلمان وأضاف: "وهذا قلم إس. تي. دويون، أفضل قلم يمكنك العثور عليه".

أخذ بيلمان القلم ووضع على الطاولة قربها، وقال: "إذا كانت القصة جيدة بما فيه الكفاية فسأوقع".

"إذا كان هذا مبدئياً مسرح جريمة، فإن الشخص المعني قد نظف وراءه جيداً".

وضع بيورن هولم يديه على وركيه وراقب الغرفة. فتشا في كل مكان، في الأدراج والخزانات، ووجها المصباح إلى كل شيء بحثاً عن دم وبصمات. وضع الكمبيوتر المحمول على المكتب، ووصله بجهاز لمسح البصمات بحجم علبة الكبريت، مماثل لذلك المستخدم الآن في بعض المطارات للتعرف إلى الركاب. ولغاية الآن، تطابقت كل البصمات مع شخص واحد في القضية: طوني لايك.

قال هاري، وهو راكع على ركبتيه تحت المجلى، يفك الأنابيب البلاستيكية: "تابع. إنه هنا في مكان ما".

"ما هو؟".

"لا أعرف. شيء ما".

"إذا تابعنا، فسنحتاج حتماً إلى القليل من التدفئة".

"إذا أشعل النار".

جلس بيورن هولم القرفصاء قرب موقد الخشب، وفتح الباب وبدأ يمزق جريدة أخذها من سلة الخشب.

"ماذا عرضت على سكاى لإقناعه بالانضمام إلى لعبتك الصغيرة؟ إنه يجازف بكل شيء إذا ظهرت الحقيقة".

قال هاري: "إنه لا يجازف بأي شيء. لم يقل أي كلمة غير صحيحة. انظر إلى إفادته. وسائل الإعلام هي التي توصلت إلى الاستنتاجات الخاطئة. ولا توجد تعليمات من الشرطة تحدد من يستطيع ومن لا يستطيع توقيف مشتبه به. لم أحتج إلى عرض أي شيء للحصول على مساعدته. قال إنه ينفر مني أقل مما ينفر من بيلمان، وهذا تبرير كافٍ".

"هل هذا كل شيء؟".

"نعم. أخبرني عن ابنته، ميا. لم تكن الأمور جيدة معها. في مثل هذه الحالات، يبحث الأهل دوماً عن سبب، عن شيء ملموس يستطيعون الإشارة إليه. ويقول سكاى إن ما حصل في تلك الليلة خارج قاعة الرقص هو الذي أثر في حياة ميا إلى الأبد. تقول الإشاعة المحلية إن ميا وأول ذهباً إلى المرقص، ولم تكن مجرد قبلات بريئة في الغابة ما شاهده أول عندما رأى ميا وطنوي. برأي سكاى، يتحمل أول وطنوي مسؤولية مشاكل ابنته".

هزّ بيورن رأسه. "ضحايًا، ضحايًا، أينما ذهبت".

جاء هاري إلى بيورن، ومدّ له يده، في راحة يده كانت هناك أجزاء مما بدا سلكاً معدنياً مقطوعاً من سور. "كانت هذه تحت الأنوب. هل لديك فكرة ماذا يمكن أن تكون؟".

أخذ بيورن القطع الحديدية وتأملها.

قال هاري: "هاي، ما هذا؟".

"ماذا؟".

"الجريدة. انظر، هنا المؤتمر الصحافي حيث أطلقنا خطة إيسكا بيلر".
نظر بيورن هولم إلى صورة بيلمان التي ظهرت للعيان بعدما مزق الصفحة الأولى من الجريدة. "حسناً، أنا...".

"يعود تاريخ الجريدة إلى أيام قليلة فقط. جاء أحد إلى هنا في الآونة الأخيرة".
"حسناً".

"قد تكون هناك بصمات على الصفحة الأمامية...". نظر هاري إلى الموقد حيث تحولت الصفحات الأولى من الجريدة إلى لهب محترقة".

قال بيورن: "أسف. لكنني أستطيع التحقق من الصفحات الأخرى".

"حسناً، في الواقع، كنت أتساءل أيضاً بشأن الخشب".

"أوه؟".

"لا توجد شجرة قريبة من هنا إلا على مسافة ثلاثة أميال. تحقق أنت من الجرائد، فيما أقوم أنا بجولة في الجوار".

تأمل مايكل بيلمان سيغورد ألتمان. لم يحب عينيه الباردتين، ولم يحب جسمه النحيل، وأسنانه الضاغطة على الجهة الداخلية من شفثيه، والحركات المتقطعة، واللثغة الغريبة. لكن، لا داعي لأن يحب سيغورد ألتمان لكي يراه بمثابة تعويض له، فمع كل كلمة قالها ألتمان، أصبح بيلمان أكثر قريباً من تحقيق انتصاره.

قال ألتمان: "أفترض أنك قرأت تقرير هاري هول الذي يعرض مسار الأحداث". قال بيلمان: "أتقصد تقرير سكاي؟ عرض سكاي؟".

رسم ألتمان ابتسامة حزينة. "مثلما تريد. في أي حال، كانت الرواية التي قالها هاري دقيقة جداً. لكن المشكلة فيها أنها احتوت فقط على دليل واحد ملموس؛ بصماتي في منزل لايك. حسناً، فلنقل إنني كنت هناك فعلاً. كنت أزوره. وتحدثنا عن الأيام القديمة".

هز بيلمان كتفه. "وهل تظن أن هيئة القضاة ستصدق ذلك؟".

"أحب الاعتقاد بأني أوحى بالثقة. لكن...". تمددت شفثا ألتمان وكشفتا عن لثثيه. "... بعد الآن لست مضطراً مطلقاً لمواجهة هيئة قضاة، أليس كذلك؟".

عثر هاري على كومة أخشاب تحت قماش مشمع أخضر اللون خلف صخرة ناتئة من جهة الجبل. ثمة فأس مغروزة في قطعة خشبية، وقربها سكين. نظر هاري حوله وركل الثلج. لا شيء مهم هنا. لامس حذاؤه شيئاً ما؛ كيساً أبيض فارغاً. انحنى، ثمة لصيقة محتويات عليه. عشرة أمتار من الشاش. ماذا يفعل هنا؟!

أمال هاري رأسه، وتأمل القطعة الخشبية بضع لحظات. نظر إلى مقبض الفأس الأسود، إلى السكين، إلى المقبض. أصفر، ناعم. ماذا يفعل سكين في قطعة خشبية؟ هناك عدة أسباب محتملة طبعاً، لكن...

وضع يده اليمنى على القطعة الخشبية بطريقة أصبحت فيها إصبعه الوسطى موجهة إلى الأعلى، فيما بقية الأصابع مضغوطة إلى الأسفل.

أمسك هاري السكين بحذر من أعلى المقبض باستعمال إصبعين فقط. كان النصل حاداً مثل شفرة الحلاقة، مع آثار مادة يراها دوماً في مهنته. ثم ركض مثل المجنون على ساقيه الطويلتين في الثلج.

رفع بيورن عينيه عن كمبيوتره فيما دخل هاري مسرعاً. تنهد بيورن قائلاً: "المزيد من طوني لايك".

قال هاري، منقطع الأنفاس: "ثمة دم على النصل. تحقق من المقبض بحثاً عن بصمات".

حمل بيورن السكين بعناية. رش بودرة سوداء على المقبض الخشبي الأصفر اللامع الناعم ثم نفخ بنعومة.

قال: "هناك فقط مجموعة واحدة من البصمات هنا. لكنها مهمة. قد تكون هناك خلايا ظهارية أيضاً".

قال هاري: "نعم".

"ما الأمر؟".

"الشخص الذي ترك بصماته هنا هو الذي قطع إصبع طوني لايك".

"أوه. ما الذي يجعلك...".

"هناك دم على الخشب، وجّهز شاشاً لتضميد الجرح. ولديّ إحساس بأنني رأيت هذا السكين قبلاً. على صورة غير واضحة لأدليل فيتلسين".

أطلق بيورن هولم صفيراً خفيفاً، ووضع ورقة شفافة على المقبض كي تثبت البودرة. ثم وضع الورقة الشفافة فوق جهاز المسح.

همس هاري: "سيغورد ألتمان، قد تملك محامياً جيداً يبرر سبب وجود بصماتك على مكتب طوني لايك، ولكنه لن يبرر البصمات على هذا السكين". فيما ضغط بيورن على زر البحث، وتبعاً كلاهما الخط الأزرق الذي تحرك بشكل متقطع صوب الجهة اليمنى.

جاهز...

العثور على تطابق.

ضغط بيورن هولم على زر "العرض".

حدّق هاري في الاسم الذي ظهر.

سأله بيورن هولم: "هل ما زلت تظن أن البصمات تخص الشخص الذي قطع إصبع طوني؟".

الصفحة

بعد أن رأيت أديل و طوني يقومان بعلاقة حميمة مثل كليين قرب الحمام، عاد كل شيء إليّ؛ كل شيء نجحت في دفنه، كل شيء قال الطبيب النفسي إنني وضعته خلفي. كان الأمر أشبه بحيوان تم تكييله بالسلاسل، وإنما جرى إطعامه فكبير وأصبح أقوى أكثر من أي وقت مضى، وبات الآن حرّاً. كان هاري محقّاً تماماً. خططت لأنتقم نفسي من طوني عبر إذلاله؛ تماماً مثلما فعل بي".

نظر سيغورد ألتمان إلى يديه وابتسم.

"لكن بعد ذلك، أصبح هاري مخطئاً. لم أخطط لقتل أديل. أردت فقط إذلال طوني أمام الناس؛ خصوصاً أمام أهل زوجته العتيدة، أي عائلة غالتونغ الثرية التي ستموّل مغامرته في الكونغو. لماذا يرغب شخص مثل طوني لايك في الزواج من فارة مثل لين غالتونغ لولا ذلك؟".

ابتسم مايكل بيلمان وقال: "صحيح". ليظهر أنه يوافقه الرأي.

"لذا، كتبت رسالة إلى طوني زعمت فيها أنني أديل. قلت إنني حامل وأريد الاحتفاظ بالطفل. وبصفتي أمّاً عزباء مستقبلية، سأتحمل كل المسؤولية، لكنني أريد المال مقابل صمتي. أربع مئة ألف دفعة أولى. عليه أن يأتي بعد يومين في منتصف الليل إلى مرأب السيارات خلف محل ليفدال لبيع اللوازم الكهربائية في سانديكا، وأن يحضر معه المال. ثم أرسلت إلى أديل رسالة، زاعماً فيها أنني طوني، وسألته إذا كان بوسعنا اللقاء في المكان نفسه والتوقيت نفسه من أجل موعد غرامي. عرفت أن هذا العرض سيعجب أديل، وافترضت أنهما لم يتبادلا أرقام الهاتف، إذا كنت تفهم ما أقصده. أي إنه لن يتم اكتشاف الحقيقة والشعور بخيبة الأمل إلا حين يفوت الأوان، حين أحصل على ما أريده. عند الساعة الحادية عشرة، تموضعت في مكاني، جالساً في سيارتي مع كاميرا جاهزة. قضت الخطة بالتقاط صور للموعد الغرامي كييفما انتهى، وإرسال كل الصور إلى أندرس غالتونغ مع القصة الفضيحة. هذا كل شيء".

نظر سيغورد إلى بيلمان وكرر: "هذا كل شيء".

أوما بيلمان برأسه، وتابع سيغورد ألتمان: "وصل طوني باكراً. ركن السيارة وخرج منها وقام بجولة، ثم اختفى وراء الأشجار قرب النهر. اختبأت خلف عجلة القيادة. وحين جاءت أديل، أنزلت زجاج النافذة لتصوير ما حصل. وقفت هناك تنتظر، وهي تنظر من حولها، وتتحقق من ساعتها. رأيت طوني مباشرة خلفها، قريباً جداً منها، حيث لا يصدق أنها لم تستطع سماعه. شاهدته يخرج سكيناً كبيراً ويطوق عنقها بذراعه. حاولت الإفلات منه وركله فيما جرّها إلى سيارته. عندما فتح الباب، لاحظت أنه غطى المقاعد بالناليون. لم أسمع ما قاله لها طوني، لكنني حملت الكاميرا وقربت الصورة. شاهدته يضع قلماً في يدها، ويملي عليها شيئاً لكتابته على بطاقة بريدية".

قال بيلمان: "البطاقة البريدية من كيغالي. خطط لكل شيء مسبقاً. سوف تختفي". "التقطت الصور من دون التفكير في أي شيء آخر؛ إلى أن رأيته فجأة يرفع يده ويغرز السكين في عنقها. لم أصدق عيني. تناثر الدم على كل الزجاج الأمامي". لم يدرك الرجلان أن كروهن كان يسعى لاستنشاق الهواء.

"انتظر قليلاً تاركاً السكين في عنقها؛ كما لو أنه أراد تصفية دمها أولاً. ثم رفعها، وحملها إلى الجهة الخلفية لسيارته ووضعها في الصندوق. وفيما كان على وشك الصعود إلى السيارة، توقف وبدا وكأنه يشمّ الهواء. كان واقفاً تحت ضوء مصباح الشارع، وعند ذلك رأيت الصورة واضحة. العينان الكبيرتان نفسهما، الابتسامة نفسها على الشفتين؛ كما حين ثبتني أرضاً خارج قاعة الرقص وأدخل السكين في فمي. بعد وقت طويل من انطلاق طوني مع أديل، بقيت في سيارتي مذعوراً تماماً، وعاجزاً عن التحرك. عرفت أنه لم يعد بوسعي الآن إرسال رسالة إلى أندرس غالتونغ وإخباره كل شيء فيها. ولا إلى أي شخص آخر؛ لأنني أصبحت للتو شريكاً في الجريمة".

ارتشف سيغورد القليل من الماء من الكوب الزجاجي الموضوع أمامه، ونظر إلى جوهان كروهن الذي أوما له برأسه.

تحنح بيلمان وقال: "من الناحية التقنية، لست شريكاً في الجريمة. أسوأ تهمة توجه إليك ستكون الابتزاز أو الخداع. كان بوسعك التوقف هناك. صحيح أن الأمر مزعج بالنسبة إليك، لكن كان بوسعك الذهاب إلى الشرطة. حتى إنك تملك صوراً فوتوغرافية تثبت روايتك".

"لكن، كان سيتم توجيه التهمة إليّ واعتباري مذنباً. كانوا سيقولون إنني أعرف أكثر من أي شخص آخر أن طوني يتصرف بعنف عند تعرضه للضغط، وإنني أنا من بدأ القصة كلها؛ كان ذلك عن سابق تصور وتصميم".

سأل بيلمان: "ألم تفكر في إمكانية حصول ذلك؟". متجاهلاً النظرة المعارضة من كروهن.

ابتسم سيغورد ألتمان. "أليس غريباً كم يصعب غالباً تفسير تفكيرنا المُسبق؟ أو التذكر؟ أنا بصراحة لا أذكر أنني استبقت ما يمكن أن يحصل".

لأنك لم تشأ ذلك، فكر بيلمان في قرارة نفسه، وأوماً برأسه كما لو أنه ممتن لأن ألتمان أعطاه أفكاراً جديدة حول الروح الإنسانية.

قال ألتمان: "فكرت ملياً لأيام عديدة، ثم عدت إلى شاليه هافاس ومزقت الصفحة من سجل النزلاء؛ تلك التي تحتوي على كل الأسماء والعناوين. ثم كتبت رسالة أخرى إلى طوني. قلت له فيها إنني أعرف ما قام به، وأعرف السبب. وأخبرته أنني شاهدته وهو يعاشر أديل في الشاليه في هافاس، وطلبت المال. وقعت الرسالة باسم بورغني ستيم - ميهر. بعد خمسة أيام، قرأت في الصحف أنه تم قتلها في قبو. كان يجب أن يتوقف الأمر هنا. كان يجدر بالشرطة التحقيق في القضية والثور على طوني. هذا ما كان يجدر بهم فعله؛ توقيفه".

رفع سيغورد ألتمان صوته، ولاحظ بيلمان أنه رأى دموعاً تتلألأ في عينيه خلف النظارة ذات العدستين الدائريتين.

"لكن، لم يكن لديكم أي دليل. كنتم معميي البصيرة بالكامل. لذا، توجب عليّ تلقيمة بالمزيد من الضحايا، وتهديده بأسماء جديدة من لائحة شاليه هافاس. قصصت صور الضحايا من الجرائد، وعلقتها على الجدار في غرفة الإخراج في مصنع كادوك مع نسخ عن الرسائل التي أرسلتها بأسماء الضحايا. وكلما قتل طوني شخصاً، كانت تصله رسالة أخرى يتم التأكيد فيها على إرسال الرسائل السابقة، وعلى علم المُرسِل الآن بأنه مسؤول عن موت شخصين، أو ثلاثة أشخاص، أو أربعة أشخاص. وأن سعر الصمت يرتفع حسب ذلك". اتكأ ألتمان إلى الأمام، بدا صوته حزيناً. "فعلت ذلك لمنحك فرصة لاعتقاله. القاتل يرتكب الأخطاء، أليس كذلك؟ كلما ازداد عدد الجرائم، ازداد احتمال توقيفه".

قال بيلمان: "وأصبح أكثر مهارة في ما يفعله. تذكّر أن طوني لا يكلمك ليس حديث العهد في العنف. لا تكون مرتزقاً في أفريقيا لوقت طويل مثلما فعل من دون أن يكون الدم قد لطح يديك؛ تماماً مثلك أنت".

صرخ ألتمان، في نوبة غضب مفاجئة: "دم على يدي! اقتحمت منزل طوني واتصلت بالياس سكوغ كي تتمكنوا من العثور على الرابط بواسطة شبكة تيلينور.

أنتم من لطختم أيديكم بالدماء! وإلا...".
وقف جوهان كروهن على قدميه. "توقف الآن سيغورد. فلأخذ استراحة من
فضلكم".

أغمض ألتمان عينيه، ورفع يديه وهزّ رأسه. "أنا بخير، أنا بخير. دعونا ننتهي
من هذا".

تأمل جوهان كروهن موكله، ثم نظر بسرعة إلى مايكل بيلمان وجلس. أخذ ألتمان
نفساً عميقاً، ثم تابع. "بعد الجريمة الثالثة تقريباً، عرف طوني طبعاً أن الرسالة التالية
ليست بالضرورة من الشخص الذي يزعم أنه هو. إلا أنه تابع قتلهم، بطرق أكثر عنفاً.
بدا وكأنه أراد تخويفي، وجعلني أراجع؛ ليظهر لي أنه قادر على قتل الجميع، وعلى
فعل شيء؛ ليقتلني أنا في النهاية أيضاً".

قال بيلمان: "أو إنه أراد التخلص من الشهود المحتملين الذين رأوه مع أديل.
عرف أنه كان هناك سبعة أشخاص آخرين في شاليه هافاس، لكنه لم يكن يملك
الوسيلة لتحديد هوياتهم".

ضحك ألتمان. "تخيل! أقسم إنه ذهب إلى الشاليه للنظر إلى سجل النزلاء؛
ليجد فقط الصفحة ممزقة. مسكين طوني!".
"ماذا عن دافعك للمتابعة؟".

سأل ألتمان: "ماذا تقصد؟". وقد بات يقظاً الآن.
"كان بوسعك إعطاء الشرطة إخباراً مجهول الاسم في وقت مبكر من القضية.
فهل أردت أنت أيضاً التخلص من كل الشهود ربما؟".

أحنى ألتمان رأسه، حيث لامست أذنه كتفه وقال: "مثلما قلت، تصعب معرفة
الأسباب التي دفعتك إلى فعل ما تقوم به. فاللاوعي يخضع للرجبة في البقاء، وهو
بالتالي في أغلب الأحيان عقلاني أكثر من التفكير الواعي. لقد أدرك اللاوعي عندي
ربما أنه سيكون أكثر أماناً لي إذا تخلص طوني من كل الشهود. عندئذ، لن يتمكن
أحد من القول إنني كنت هناك، أو من التعرف إليّ فجأة في الشارع في يوم من الأيام.
لكننا لن نحصل أبداً على جواب لذلك، أليس كذلك؟".

قطقت الأخشاب في الموقد وتطايرت النيران منه.
سأل بيورن هولم: "لكن، لماذا سيقوم طوني لايك ببتير إصبعة؟".
لقد جلس على الأريكة فيما فتش هاري في عدّة الإسعافات الأولية التي وجدها

في درج في المطبخ الأخير. احتوت على عدة لفافات من الضمادات، إضافة إلى مرهم مطهر يجعل الدم يتجمد بصورة أسرع. أظهر التاريخ المدون على الأنبوب أن تاريخ الصنع يعود إلى شهرين فقط.

قال هاري، وهو يقلّب في يده قنينة بنية صغيرة من دون أي لصيقة عليها: "أجبره ألتمان على فعل ذلك. لا بد من إذلال لايك".

"لا تبدو وكأنك مقتنع في ذلك".

قال هاري: "بلى، أنا مقتنع تماماً في ذلك". وفتح غطاء القنينة لشم رائحة المحتويات.

"حقاً؟! لا توجد بصمة واحدة هنا لا تعود إلى لايك. ولا توجد شعرة واحدة لا تخص شعر لايك الأسود. ولا يوجد أثر حذاء ليس قياسه خمسة وأربعين؛ تماماً مثل قياس أحذية لايك. أما سيغورد ألتمان فهو أشقر ومقاس حذائه اثنان وأربعون". "نجح في التنظيف جيداً وراءه. ذكّرني بضرورة تحليل هذا". وضع هاري القنينة البنية في جيب سترته.

"نجح في التنظيف جيداً في ما لا يمكن اعتباره حتى مسرح جريمة؟ الرجل نفسه الذي لم يأبه لترك بصمات كبيرة على مكتب لايك في هولمنفاين؟! أنت قلت بنفسك إنه لم ينظف خلفه جيداً في الشاليه حيث قتل أوتمو؟ لا أظن ذلك، هاري. ولا أنت أيضاً".

صرخ هاري: "اللعنة! اللعنة! اللعنة!". وضع جيبيه بين يديه وحدّق في الطاولة. أمسك بيورن هولم بإحدى القطع المعدنية التي تم العثور عليها في الأنبوب تحت المجلى، ورفعها في الهواء وكشط عنها الغطاء الذهبي بظفره. "بالمناسبة، أظن أنني أعرف ما هذا".

"حقاً؟!". قال هاري من دون أن يرفع رأسه.

"حديد وكروم ونيكل وتيتانيوم".

"ماذا؟".

"وضعت جسراً لتقويم الأسنان عندما كنت صغيراً. توجّب حينها حني الأسلاك المعدنية وقصها".

نظر هاري فجأة إلى الأعلى، وحدّق في خريطة أفريقيا. تأمل الدول التي تراصفت قرب بعضها مثل قطع الأحجية. باستثناء مدغشقر، التي كانت منفصلة، وكأنها قطعة غير مناسبة.

"في عيادة الأسنان..."

قال هاري وهو يرفع يده: "هسس". الآن فهم. تطابق كل شيء في مكانه. كل ما أمكن سماعه هو حسيس النيران في الموقد، وصفير الريح في الخارج الذي بات أقوى الآن. قطعتان من الأحجية كانتا بعيدتين جداً عن بعضهما، تطابقتا الآن في مكانيهما في الأحجية. جد لجهة الأم قرب بحيرة لايسرن. والد أمه. والصورة الفوتوغرافية في الدرج في الشاليه. الصورة العائلية. الصورة لم تكن تخص طوني لايك، وإنما أود أوتمو. التهاب المفاصل. ألم يكن هذا ما أخبره به طوني؟ ليس مرضاً معدياً، وإنما وراثياً. الصبي صاحب الأسنان الكبيرة، والرجل صاحب الفم القاسي المزموم كما لو أنه يخفي سرّاً قاتماً؛ يخفي أسنانه المهترئة وجسراً لتقويم الأسنان.

الحجر، الحجر داكن اللون الذي عثر عليه على أرضية الحمام في الشاليه. وضع يده في جيبه، لا يزال موجوداً. أعطاه إلى بيورن.
قال: "عثرت على هذا. أخبرني، هل تظن أنه قد يكون سنّاً؟".

رفعه بيورن إلى الضوء، وكشطه بظفره. "ربما".

قال هاري، وهو يشعر بالقشعريرة تسيطر عليه: "فلنعد. لم يكن الحقيق أتمان من قتلهم".
"حقاً؟!"

"كان طوني لايك".

قال بيلمان: "لا بد أنك قرأت في الجرائد أنه تم إطلاق سراح طوني لايك بعد توقيفه. امتلك شيئاً جميلاً اسمه العذر المبرئ. استطاع أن يثبت أنه كان في مكان آخر عند موت بورغني وشارلوت".

قال سيغورد، وهو يشبك ذراعيه: "لا أعرف شيئاً عن هذا. أعرف فقط أنني رأيت يغرز سكيناً في عنق أديل. وأن الرسائل التي أرسلتها جعلت المرسلين المقترضين يقتلون مباشرة بعد ذلك".

"أنت تعلم أن هذا يجعلك على الأقل شريكاً في الجرائم، أليس كذلك؟".
سعل جوهان كروهن. "وأنت تعلم أنك قد عقدت اتفاقاً كي يقدم القاتل الحقيقي لك ولكريوس على طبق من فضة، أليس كذلك؟ سيتم حلّ كل مشاكلك الداخلية بيلمان، وسوف تحظى بكل الاعتبار، وسيكون لديك شاهد يقول في المحكمة إنه رأى طوني لايك وهو يقتل أديل فيتلسين. لكن ما يحصل وراء ذلك يبقى بينك وبينني".

"ويصبح موثّق حرّاً؟".

"هذا هو الاتفاق".

قال بيلمان: "ماذا لو كان لايك قد احتفظ بالرسائل، وأبرزها خلال المحاكمة. سنواجه مشكلة حينها".

ابتسم كروهن وقال: "لهذا السبب بالضبط أشعر أنه لن يتم إبرازها. أليس كذلك؟".

"ماذا عن الصور الفوتوغرافية التي التقطتها لأدليل وطوني؟".

قال ألتمان: "احترقت في الانفجار في كادوك. ذلك الحقيق هول".

أوماً مايكل بيلمان برأسه ببطء، ثم رفع قلمه. إس. تي. دويون. رصاص وفولاذ. كان ثقيلًا، لكن حين وضعه على الورق، بدا وكأن التوقيع قد كتب نفسه.

قال هاري: "شكرًا. لقد أنهينا".

تلقى صوتاً بارداً كجواب، ثم ساد السكون ولم يصدر سوى ضجيج محرك المروحية خارج سماعتيه. أحنى هاري المذيع ونظر إلى الخارج. لقد تأخر الوقت كثيراً.

أنهى للتو الحديث عبر الجهاز اللاسلكي مع برج المراقبة في مطار غاردموين. لأسباب أمنية، يستطيعون النفاذ إلى معظم المعلومات، بما في ذلك اللوائح التي تضم أسماء الركاب. وقد أكدوا له أن أود أوتمو سافر باستعمال تذكرته المحجوزة مسبقاً إلى كوبنهاغن قبل يومين.

تحرك المشهد الريفي ببطء تحتهم.

تصوره هاري واقفاً هناك مع جواز سفر الرجل الذي عذبه وقتله. الرجل أو المرأة خلف المكتب تقرأ بصورة روتينية المعلومات للتأكد من أن جواز السفر يتطابق مع الاسم المذكور في اللائحة، وتقول لنفسها: يا له من جسر لتقويم الأسنان! إذا نظرت أصلاً إلى الصورة. ثم تنظر إلى الأعلى وتسجل تطابق التقويم الظاهر في الصورة مع الأسنان التي جرى صبغها اصطناعياً باللون البني؛ جسر التقويم الذي توجب على طوني لايك ربما حنيه وقصه ليتطابق مع أسنانه البيضاء مثل البورسلين.

عبروا عاصفة ماطرة انفجرت على زجاج البليكسي، وانهمرت على شكل وابل مرتعش من المطر ثم اختفت. بعد ثوانٍ قليلة، بدا لهم وكأنه لم يحصل أي شيء البتة. الإصبع.

لقد قطع طوني لايك إصبعه وأرسلها إلى هاري بمثابة إنذار أحمر أخير؛ ليثبت أنه يجب اعتبار طوني لايك ميتاً. يمكن نسيانه وحذفه ووضعها جانباً. هل هي مصادفة أن يختار لايك الإصبع نفسها الناقصة من يد هاري، حيث يجعل نفسه شبيهاً له؟ لكن، ماذا عن العذر المبرر؟ ذلك العذر القوي؟

خطرت الفكرة في بال هاري قبلاً، لكنه رفضها لأن المجرمين أصحاب الدم البارد نادرون؛ مثل أرواح شريرة بالمعنى الحرفي للكلمة. لكن، هل يمكن أن يكون هناك شخص آخر؟ هل يمكن أن يكون الجواب بسيطاً، حيث إن طوني لايك يعمل مع مساعد جانبي؟

قال هاري: "اللعنة!". بصوت عالٍ كفاية ليتولى المذياع الحساس للأصوات نقل آخر جزء من الكلمة إلى السماعات الثلاث الأخرى الموجودة في المروحية. أحس بنظرة جنس راث. قد يكون جنس راث محقاً في النهاية؛ فطوني لايك جالس فعلاً في مكان ما، مع كأس في يده، وامرأة فاتنة بين ذراعيه؛ وهو يتسم ابتسامة عريضة لأنه توصل إلى حل.

اتصالات من دون إجابة

عند الساعة الثانية والربع، هبطت المروحية في فورنيو؛ المطار المهجور الذي يبعد مسافة 20 دقيقة في السيارة عن وسط المدينة. عندما دخل هاري وبيورن عبر باب مبنى كريبوس، وسأل هاري موظفة الاستقبال عن سبب عدم ردّ بيلمان أو أي من كبار التحرين الآخرين على هواتفهم، أجابته أنهم جميعاً في اجتماع. "لماذا لم تتم دعوتنا؟". تمتم هاري فيما اجتاز بسرعة الرواق، وركض بيورن خلفه.

فتح الباب بقوة من دون الطرق عليه، فاستدارت سبعة رؤوس صوبهما. الثامن، مايكل بيلمان، لم يكن بحاجة إلى الاستدارة؛ لأنه كان جالساً عند طرف الطاولة الطويلة بشكل مواجه للباب، وكان الشخص الذي يركز عليه الآخرون. صرخ بيلمان ضاحكاً: "ستان وأولي". وفهم هاري من الضحكة أنهما كانا موضوع الحديث في غيابهما. "أين كنتما؟".

قال هاري وهو يجلس على كرسي فارغ في الطرف المقابل من الطاولة: "حسناً، فيما أنتم جالسون هنا وتلعبون لعبة بياض الثلج والأقزام السبعة، ذهبنا إلى شاليه طوني لايك، ولدينا بعض الأخبار المهمة. ليس أتمان هو القاتل، لقد اعتقلنا الرجل الخطأ. كان طوني لايك من فعل ذلك".
لم يعرف هاري أي ردة فعل كان يتوقع، ولكن حتماً ليس ما حصل: لا شيء على الإطلاق.

تراجع رئيس كريبوس إلى الخلف على كرسيه مع ابتسامة لطيفة محيرة. "اعتقلنا الرجل الخطأ؟! حسب ذاكرتي، كان الشرطي سكاى هو من أخذ على عاتقه مهمة توقيف سيغورد أتمان. وفي ما يتعلق بقيمة الأخبار، فإنها سخيفة جداً. وبالنسبة إلى طوني لايك، يجدر بنا القول ربما: أهلاً مجدداً."
انتقل نظر هاري من إيردال إلى البجعة، ومن ثم إلى بيلمان، فيما عمل دماغه بسرعة البرق؛ وتوصل إلى الاستنتاج الوحيد الممكن.

قال هاري: "ألتمان. قال لك ألتمان إنه لايك. كان يعرف طوال الوقت".
قال بيلمان: "لم يكن فقط يعرف. ولكن، مثلما دبّر لايك الانهيار الثلجي في هافاس، فإن ألتمان دبّر لكل هذه القضية الجرمية؛ من دون أن يدرك ذلك. لقد أوقف سكاي رجلاً بريئاً هاري".

هزّ هاري رأسه. "بريء! رأيت الصور في مصنع كادوك بيلمان. ألتمان متورط هنا، لكنني لا أعرف كيف".

قال بيلمان: "لكننا نعرف. فإذا كنت لا تمنع ترك الأمور لنا نحن...". سمع هاري كلمة "الكبار" تتشكل في فم بيلمان لكنها صدرت على شكل "... المنورين، يمكنك الانضمام إلينا عندما تصبح جاهزاً للسرعة هاري. اتفقنا؟ بيورن أيضاً. فلنمض إذاً قدماً. كنت أقول إننا لا نستطيع أن نستثني إمكانية وجود شريك للإيك؛ شخص ارتكب على الأقل اثنتين من الجرائم؛ أي اللتين يملك لايك عذراً مبرئاً منهما. نعرف أنه عندما ماتت بورغني وشارلوت، كان لايك في اجتماعات عمل مع العديد من الشهود الحاضرين".

قال أيردال: "إنه حقير ذكي. عرف لايك طبعاً أن الشرطة ستجد رابطاً بين كل الجرائم، وإذا وجد لنفسه عذراً مبرئاً لواحدة أو اثنتين منهما، فسيتم تلقائياً حذفه من الجرائم الأخرى".

قال بيلمان: "نعم. لكن، من هو الشريك؟".

سمع هاري اقتراحات وتعليقات واستفسارات يتم تداولها في الغرفة.
قالت البجعة: "السبب الذي دفع طوني لايك إلى قتل أديل فيتلسين لم يكن المبلغ الذي طُلب بحد ذاته؛ والبالغ أربعمئة ألف، وإنما الخوف من أنه إذا افتضح أمره بجعله امرأة ما حاملاً، فسوف تنهي لين غالتونغ علاقتها به وبالتالي، سيقول وداعاً لملايين غالتونغ لمشروع الكونغو. لذا، إن السؤال الذي يجدر بنا طرحه على أنفسنا هو: من يملك مصالح مماثلة؟".

قال التحري صاحب الوجه الناعم: "المستثمرون الآخرون في الكونغو. ماذا عن أصدقائه الماليين في مبنى المكاتب؟".

قال بيلمان: "كان مشروع الكونغو حاسماً جداً بالنسبة إلى لايك. لكن، لا يمكن لأي من شركائه الماليين الآخرين أن يقتل شخصين لتثبيت حصته البالغة عشرة في المئة في مشروع. فأولئك الرجال معتادون على ربح المال وخسارته. بالإضافة إلى ذلك، يتوجب على لايك التعاون مع شخص يستطيع الوثوق فيه على الصعيدين الشخصي

والمهني. تذكروا أن سلاح الجريمة كان نفسه في جريمتي قتل بورغني وشارلوت. ما كان اسمه هاري؟".

قال هاري، وهو لا يزال مذهولاً: "تفاحة ليوبولد".
"بصوت أعلى من فضلك".

"تفاحة ليوبولد".

"شكراً لك. من أفريقيا؛ المكان نفسه الذي خدم فيه لايك كجندي من المرتزقة. من العادل إذاً الافتراض أن لايك استخدم أحد رفاقه السابقين، وأعتقد أننا نستطيع البدء من هنا".

قالت البجعة: "إذا كان قد استخدم أحد المرتزقة لتنفيذ الجريمتين رقم اثنين وثلاثة، فلماذا لم يفعل ذلك في كل الجرائم؟ كان سيملك حينها عذراً مبرئاً على الدوام".

قال صاحب الشارين: "كان سيحصل على حسم مهم أيضاً. فالمرتزقة لا يحاكمون بأكثر من السجن لمدة الحياة في أي حال".

قال بيلمان: "قد تكون هناك أمور نجهلها؛ أسباب تافهة مثل عدم امتلاكه الوقت، أو عدم امتلاك لايك للمال، أو السبب الأكثر شيوعاً في الجرائم: هكذا حصلت الأمور".
تالت إيماءات الموافقة حول الطاولة، حتى إن البجعة بدت راضية عن الجواب.
"هل من أسئلة أخرى؟ لا؟ إذاً أريد الاستفادة من هذه الفرصة لشكر هاري هول الذي تعاون معنا لغاية الآن. وبما أننا لم نعد بحاجة إلى خبراته، فسوف يعود إلى قسم مكافحة الجرائم بدءاً من الآن. كانت تجربة وجهة نظر أخرى حول كيفية العمل في الجرائم أمراً رائعاً هاري. صحيح أنك لم تحل هذه القضية، لكن، من يعلم؟ قد تكون هناك بعض القضايا المثيرة في انتظارك في قسم مكافحة الجرائم في غرونلاند، إن لم تكن جرائم. لذا، أشكرك مجدداً. لدي الآن مؤتمر صحافي أيها الرفاق".

نظر هاري إلى بيلمان، ولم يستطع إلا إبداء إعجابه به. تماماً مثلما تعجب بالصرصار الذي تسكب الماء فوقه في الحمام، وإنما يستمر دوماً في الصعود إلى الأعلى. مجدداً ومجدداً. وفي النهاية، يرث العالم.

قرب سرير أولاف في مستشفى ريكس، مرّت الثواني والدقائق والساعات في وتيرة رتيبة وبطيئة. تدخل ممرضة وتخرج. تأتي سيس وتذهب. تندفق الأزهار أكثر وأكثر.

لاحظ هاري كيف أن عدداً من الأقارب لا يستطيعون تحمل انتظار النَّفس الأخير لأحبائهم، وكيف يتضرعون في النهاية، كي يأتي الموت ويحررهم. يحررهم هم. لكن الأمر كان العكس تماماً بالنسبة إلى هاري. لم يشعر يوماً أنه قريب إلى والده مثلما شعر الآن. هنا، في الغرفة الخالية من الكلمات حيث لا يوجد سوى التنفس وخفقان القلب. فرؤية أولاف هول على هذا النحو كانت أشبه برؤيته لنفسه؛ في الوجود المليء بالسلام.

التحرون في كريبوس شاهدوا وفهموا الكثير، ولكن ليس الرابط البدهي. ما يجعل كل القصة أكثر وضوحاً. الرابط بين مزرعة لايك وأوستاوسيت؛ بين الإشاعات وشبح صبي مختفٍ من مزرعة أوتمو ورجل يطلق على المنطقة هناك اسم "أرضه". بين طوني لايك والصبي الذي بدا في الصورة الفوتوغرافية مع والده البشع وأمه الجميلة. بين الحين والآخر، كان هاري يلقي نظرة على هاتفه الخلوي ويلاحظ اتصالاً لم تتم الإجابة عليه. هاغن، أويستن، كاجا. كاجا مجدداً. عليه الإجابة على اتصالاتها قريباً. اتصل بها.

سألت: "هل أستطيع المجيء إلى منزلك الليلة؟".

الإيقاع

انهزم المطر بقوة على ألواح الرصيف. مشى هاري وصولاً إلى الرجل الواقف عند الحافة، مواجهاً للجهة الأخرى.

"صباح الخير، سكاى".

أجاب الشرطي من دون أن يلتفت: "صباح الخير هول". كان طرف قصبه الصيد منحنيّاً صوب الخيط الذي اختفى بين القصبات في الضفة الأخرى.

"هل اصطدت شيئاً؟".

أجاب سكاى: "لا. علقّت الصنارة في القصبات اللعينة".

"آسف لسماع ذلك. هل قرأت الصحف اليوم؟".

"لا تصل إلا في وقت متأخر من الصباح".

عرف هاري أن هذا ليس صحيحاً، لكنه أوماً برأسه في أي حال.

قال سكاى: "لكنني أفترض أنهم كتبوا في الجرائد أنني أحقق قروي، وأنه يجب

العودة إلى الخبراء في كريبوس لحلّ المشكلة".

"مثلما قلت قبلاً، أنا آسف".

هزّ سكاى كتفه. "أنا لا أشكو أبداً. كنت صريحاً جداً معي، وكنت أعرف ماذا

أفعل. وكان الأمر ممتعاً قليلاً أيضاً. لا تحدث الكثير من الأمور هنا، مثلما تعلم".

"مم... لم يكتبوا كثيراً عنك، وإنما كانوا مهتمين أكثر في كون طوني لايك

القاتل. تم الحديث عن بيلمان كثيراً".

"هو يحب ذلك".

"سوف يكتشفون قريباً أيضاً من هو والد طوني".

استدار سكاى ونظر إلى هاري.

"كان يجدر بي التفكير في هذا قبلاً؛ خصوصاً بعد أن تحدثنا عن تبديل الأسماء".

"لا أفهم قصدك هول".

"كنت أنت من أخبرني سكاى. عاش طوني مع جده في مزرعة لايك؛ والد

أمه. أخذ طوني اسم عائلة أمه".

"ما من شيء غير اعتيادي في ذلك".

"ربما لا. لكن في هذه الحالة، ثمة سبب وجيه وراء تبديل الاسم. كان طوني يختبئ في مزرعة جده. أرسلته أمه إلى هناك".

"ما الذي يجعلك تظن ذلك؟".

قال هاري: "زميلة لي". وأحس هاري لبرهة أن رائحتها عادت إلى منخريه مجدداً. "أخبرتني شيئاً قاله لها شرطي أوستاوسيت بشأن عائلة أوتمو. عن والد وابن كرها بعضهما بشدة؛ لدرجة أن الخطر وصل إلى حدود ارتكاب جريمة".

"جريمة؟!".

"تحققت من سجل أود أوتمو. كان - مثل ابنه - مشهوراً بنوبات غضبه. عندما كان شاباً، ذهب إلى السجن لمدة ثماني سنوات لارتكابه جريمة بسبب الغيرة. بعد ذلك، انتقل للعيش في الأراضي القاحلة. تزوج من كارن لايك، وأنجبا صبياً. بلغ الفتى سنوات المراهقة وكان شاباً وسيماً وطويلاً وفاتناً. رجلان وامرأة في منطقة معزولة تماماً. رجل أدين بتهمة القتل في نوبة غضب. بدا وكأن كارن حاولت الحؤول دون حصول مأساة عبر تهريب ابنها سرّاً، وترك أحد أحذيته في منطقة حصل فيها للتو انهيار ثلجي كبير".

"هذا جديد عليّ هول".

أوماً هاري رأسه ببطء. "أخشى أنها نجحت فقط في تأجيل المأساة. تم العثور على جثتها في أسفل جرف مع رصاصة في الرأس. وعلى مسافة أمتار قليلة، قُتل زوجها، وسُحق تحت دراجة ثلجية. تم تعذيبه، وحرق معظم الجلد في ظهره وذراعيه، وخلع أسنانه. واحزر من فعل ذلك؟".

"أوه، يا الله!".

وضع هاري سيجارة بين شفتيه.

سأل سكاي: "كيف تعقبت الرابط؟".

"التشابه، الجينات". أشعل السيجارة. "أب وابن. يمكنك محاولة الهرب، لكنه سيقى دوماً موجوداً؛ مثل اللعنة. أعتقد أن أود أوتمو أدرك أن جرائم شاليه هافاس عنت أنه سيتم تعقبه أيضاً، وأن شبح ابنه المتوفى هو الذي يطارده. لذا، هرب من المزرعة إلى شاليه تابع لهيئة السياحة مخبأً بأمان بين الأجراف. أخذ معه صورة للعائلة؛ العائلة التي دمرها بنفسه. تخيل قاتلاً خائفاً، وربما نادماً، وحده مع أفكاره".

"لقد نال جزاءه".

"وجدت الصورة. كان طوني محظوظاً لأنه يشبه أمه في الشكل. تصعب رؤية أي شبه بين طوني الرجل وطوني الصغير الموجود في الصورة. لكنه يملك تلك الأسنان البيضاء الكبيرة، فيما أخفى والده أسنانه. هنا، كان الاختلاف بينهما".

"ظننت أنك قلت إن التشابه هو الذي فضحهما".

أوماً هاري برأسه. "امتلكا المرض نفسه".

"كانا قاتلين".

هزّ هاري رأسه. "مرض جسدي، سكاى. قصدت أنهما عانيا كلاهما من التهاب المفاصل. تم توكيد العلاقة العائلية هذا الصباح. أظهر تحليل الحمض النووي لجزيئات اللحم التي وجدت قرب الموقد ولشعر طوني لايك أنهما أب وابنه".

أوماً سكاى برأسه.

قال: "حسناً، جئت لأشكرك على مساعدتك وللتحسر على النتيجة. يرسل بيورن هولم تحياته إلى زوجتك، ويقول إنها تحضر أفضل طبق كرات باللحم مع البطاطا المهروسة تذوقه في حياته".

ابتسامة صغيرة من سكاى. "هذا رأي معظم الأشخاص. حتى طوني أحب ذلك الطبق".

"حقاً؟!".

هزّ سكاى كتفه، وسحب سكيناً من الغمد في حزامه.

"أخبرتكم أن ميا كانت مغرمة به، أليس كذلك؟ كان ذلك بعد فترة وجيزة من سحبه السكين على أول. أحضرته إلى المنزل لتناول الغداء ذات يوم حين عرفت أنني لست موجوداً. لم تقل زوجتي أي شيء عندما وصلا، لكنني عارضت الأمر بشدة حين عرفت به لاحقاً. تعرف كيف هنّ الفتيات في ذلك العمر عند وقوعهن في الغرام. حاولت أن أشرح لها أن طوني عنيف وأحمق. لكن، كان يجدر بي معرفة أن الصفات السيئة التي نسبتها إلى صديقها جعلتها أكثر عزمًا على التثبث به. وهكذا، أصبحا هما الاثنان ضد بقية العالم إذا شئت قول ذلك. لا شك في أنك لاحظت الأمر بنفسك مع نساء يبدأن بكتابة الرسائل إلى مجرمين مدانين".

أوماً هاري برأسه.

قال سكاى: "كانت ميا مستعدة لمغادرة المنزل، وللحاق به إلى آخر العالم. لم يكن هناك اعتدال في أي شيء". وقطع خيط الصيد ولفه حول القصة.

تتبع هاري مسار الخيط الملتف حول القصة. "مم... نهاية العالم".

"نعم".

"فهمت".

توقف سكاي عن لف الخيط حول القصة ونظر إلى هاري، ثم قال بقناعة: "لا".

"لا ماذا؟".

"لا، ليس مثلما تظن".

"ألا وهو؟".

"أن ميا وطنوني التقيا مجدداً لاحقاً. فقد انفصل عنها، ولم يلتقيا منذ ذلك الحين مطلقاً. تابعت حياتها من دونه. ليست لها أي علاقة بهذه القضية، هل فهمت؟ أقسم لك. إنها تلملم حياتها مجدداً، ولذلك أرجوك لا...".

أوماً هاري برأسه، وأخرج السيجارة التي أطفأها المطر من فمه.

قال: "لم أعد أعمل في القضية. لكن رأيك مهم في أي حال".

فيما انطلق هاري من مرأب السيارات، نظر إلى المرأة، وشاهد سكاي يوضّب

عدة صيد السمك خاصته.

مستشفى ريكس. إنه يتماشى الآن مع الإيقاع. الوقت غير متقطع بالأحداث، بل

يتدفق في تيار منتظم. فكر في طلب فراش. سيكون ذلك شبيهاً قليلاً بتشانكينغ مانشون.

أكواز الضوء

مرّت ثلاثة أيام. إنه على قيد الحياة. الجميع على قيد الحياة. لا أحد يعرف أين طوني لايك؛ لأن مسار أود أوتمو المزيف انتهى في كوبنهاغن. ثمة صورة للين غالتونغ - مع شال فوق رأسها ونظارة شمسية كبيرة بأسلوب غريتا غاربو - ظهرت في إحدى الجرائد. كان العنوان: لا تعليق. والآن، لم يرها أحد منذ يومين بعد أن اختبأت على ما يبدو في منزل والدها في لندن. صورة طوني بملابس العمل أمام المروحية ظهرت في عدة جرائد. وكُتبت تحت إحداهما: اختفاء الأمير الفاتن. بات الآن ملقباً بالأمير الفاتن، وقد اعتمد الناس هذا اللقب، علماً أنه يلائمه أكثر من ألتمان في أي حال. لكن الغريب أن لا أحد في الصحافة نجح لغاية الآن في الربط بين طوني لايك ومزرعة أوتمو. يبدو أن الأم وبعدها طوني نجحا في إخفاء آثارهما جيداً. أقام مايكل بيلمان مؤتمرات صحافية يومية، وأثبت في برنامج تلفازي قدراته البيداغوجية، فيما كشف عن ابتسامته الفاتنة وهو يشرح كيف تم حل القضية. طبعاً، وفق روايته الخاصة للقضية. وجعل الأمر يبدو وكأن عدم توقيف القاتل خطأ غير مقصود. الشيء المهم أولاً هو كشف القناع عن طوني لايك "الأمير الفاتن"، وبالتالي جعله هامشياً وغير فعال.

بات الظلام يهبط بضع دقائق متأخرة كل مساء. الجميع في انتظار الربيع أو الصقيع، أحد الاثنين، لكن أياً منهما لم يأت. تمايلت أكواز الضوء على السقف.

استلقى هاري على جانبه، محدّقاً في الدخان المتصاعد من سيجارته، والملتف نحو السقف في أنماط معقدة لا يمكن توقعها.

قالت كاجا، وهي تقترب أكثر من ظهره: "تبدو هادئاً جداً".
قال: "سأبقى هنا حتى الدفن، ثم سأخذ إجازة".

مَجّ السيجارة مرة أخرى. لم تجبه. بعد ذلك، أحسّ بشيء دافئ ورطب على كتفه. وضع السيجارة على حافة المنفضة واستدار صوبها. "هل تبكين؟!".
ضحكت وهي تمسح أنفها: "أحاول ألا أفعل. لا أعرف ما الذي أصابني".

"هل تريدين سيجارة؟"

هزت رأسها وجففت دموعها. "اتصل مايكل اليوم. يريد أن نلتقي."
"مم".

وضعت رأسها على صدره. "ألا تريد أن تعرف بماذا أجبته؟"
"فقط إذا أردت إخباري".

"قلت لا. ثم قال لي إنني سأندم على هذا. قال إنك تغرقني معك، وإن هذه
ليست المرة الأولى التي تفعل فيها هذا بأحد".
"حسناً، إنه محق".

متبة
t.me/t_pdf

رفعت رأسها. "لكن هذا لا يهم، ألا تفهم؟ أريد أن أكون حيثما تكون". بدأت
الدموع تنهمر مجدداً. "وإذا كان ذلك في الحضيض، فأنا أريد أن أكون هناك أيضاً".
قال هاري: "لكن، لن يكون هناك أي شيء. ولا حتى أنا. سأكون مثلما رأيتني
في تشانغكينغ. سيكون الأمر كما حصل بعد الانهيار الثلجي مباشرة. الحجرة نفسها،
وإنما أنا وحدي ومهجور".

"لكنك وجدتني وأخرجتني. وأستطيع فعل الشيء نفسه معك".
"ماذا لو كنت لا أريد الخروج؟ لم يعد هناك المزيد من الآباء على فراش الموت
لإغرائي".

"لكنك تحبني هاري. أعرف أنك تحبني. هذا سبب كافٍ، أليس كذلك؟ أنا
سبب كافٍ".

داعب شعرها ووجنتيها، ومسح دموعها بأصابعه، وقبلها.
قال مع ابتسامة حزينة: "نعم. أنت سبب كافٍ".
أمسكت يده وقبلتها.

همست له: "لا. لا تقلها. لا تقل إنك ذاهب ولا تريد إغراقي. سألحق بك إلى
نهاية العالم، هل فهمت؟".

شدّها إليه. وفجأة، أحس بشيء يضعف، مثل عضلة بقيت مشدودة جداً لوقت
طويل من دون أن يدرك ذلك. أفلت التوتر، استسلم، ترك نفسه يسقط. والألم الذي
كان موجوداً اختفى، أصبح شيئاً أكثر دفئاً جرى مع الدورة الدموية في جسمه، حيث
جعله أكثر نعومة وملاًه بالسلام. الإحساس بالسقوط الحرّ كان محرراً جداً، حيث
شعر أن حنجرته تنقبض. وعرف أن جزءاً منه أراد ذلك.

همست له: "إلى نهاية العالم". وباتت تتنفس بصورة أسرع.
تمايلت أكواز الضوء مجدداً على السقف.

أحمر

كان هاري جالساً قرب سرير والده. كانت العتمة لا تزال مخيمة عندما دخلت ممرضة مع كوب قهوة، وسألته إذا كان يريد أي فطور، ووضعت كوباً لامعاً في حضنه.

قالت وهي تحني رأسها وتعطي الانطباع بأنها على وشك التريت على وجنته: "عليك التفكير في شيء آخر؛ مثلما تعلم".

قلّب هاري صفحات المجلة، فيما اهتمت بوالده. لكنه لم يستطع إلهاء نفسه في صحافة المشاهير أيضاً. رأى صوراً للين غالتونغ وهي تغادر حفلات العروض الأولى للأفلام، أو حفلات غداء راقية في سيارتها البورش الجديدة. العنوان كان الاشتياق إلى طوني، وجرى التوكيد على ذلك من خلال تعليقات؛ ليست للين نفسها، وإنما لأصدقاء من المشاهير. ثمة صور لبوابات منزل في لندن، لكن لا أحد رأى لين هناك أيضاً. أو على الأقل، لم يتعرف أحد إليها. ثمة صورة غير واضحة مأخوذة من بعيد لامرأة ذات شعر أحمر أمام مصرف "كريدي سويس" في زيوريخ، وزعمت المجلة أنها لين غالتونغ لأنها استطاعت الاتصال بمزين شعر لين الذي افترض هاري أنه قبض مبلغاً هائلاً من المال للقول: "طلبت مني تجعيد شعرها وصبغه باللون الأحمر القرميدي". وتمت الإشارة إلى طوني بأنه "مشته به" في ما جرى تصويره بأنه فضيحة اجتماعية متوسطة؛ وليس واحدة من أسوأ القضايا الجرمية في البلاد.

نهض هاري، وذهب إلى الرواق، واتصل بكاترين برات. لم تصبح الساعة السابعة بعد، لكنها كانت مستيقظة. سوف تخرج اليوم، وتبدأ عملها في مركز شرطة بيرغن خلال عطلة نهاية الأسبوع.

أمل في أن تهون الأمور على نفسها في البداية. رغم صعوبة التصور بأن تهون كاترين برات أي شيء.

قال: "مهمة أخيرة".

سألته: "وبعد ذلك؟".

أجاب: "أستقيل".

"لن يشاق أحد إليك".

"... أكثر مني".

"كانت هناك نقطة في نهاية الجملة، عزيزي".

"الأمر متعلق بمصرف "كريدي سويس" في زيورخ. أريد أن أعرف إذا كانت لين غالتونغ تملك حساباً هناك. يفترض أنها حصلت على إرث كبير جداً. والمصارف السويسرية دقيقة جداً. يتطلب الأمر ربما بعض الوقت".

"جيد. سأباشر البحث عن ذلك الآن".

"جيد. وثمة امرأة أريد التحقق من تحركاتها".

"لين غالتونغ؟".

"لا".

"لا؟ ما اسم الوحش؟".

لفظ لها هاري الاسم.

عند الساعة الثامنة والربع، أوقف هاري السيارة أمام المنزل الخرافي في فوكنسكولن. كان ثمة عدد من السيارات المركونة، ولاحظ هاري عبر قطرات المطر المنهمرة الوجوه المتعبة والعدسات الطويلة لكاميرات الباراتزي. بدا له وكأنهم خيموا هنا طوال الليل. ضغط هاري على الجرس عند البوابة ودخل. المرأة صاحبة العينين الفيروزييتين كانت تقف قرب الباب، تنتظر. قالت: "لين ليست هنا".

"أين هي؟".

أجابت: "في مكان لن يجدها فيه". وأشارت إلى السيارات المركونة أمام البوابة. "وقد وعدتموني أنتم أيضاً بأن تتركوها وشأنها بعد المقابلة الأخيرة. استمر الأمر ثلاث ساعات".

كذب هاري قائلاً: "أعرف. لكنني أردت التحدث إليك أنت".

"أنا!".

"هل أستطيع الدخول؟".

لحق بها إلى المطبخ. أشارت له إلى كرسي، وأدارت له ظهرها، وملأت كوباً من آلة القهوة الموجودة على رف المجلى.

"ما هي القصة؟".

"أي قصة؟".

"تلك التي تقول إنك والدة لين".

ارتطم فنجان القهوة بالأرض وتناثر إلى ألف قطعة. تشبثت بالمجلى، ولاحظ أن ظهرها قد انحنى. تردد هاري لبرهة، ثم أخذ نفساً عميقاً وقال ما قرر مسبقاً قوله.

"أجرينا تحليلاً للحمض النووي".

دارت حول نفسها بغضب. "كيف؟ لم...". ثم صمتت فجأة.

نظر هاري إلى عينيها الفيروزيتين. وقعت في الفخ. أدرك وجود موجة كبيرة من الانزعاج. قد تكون ناجمة عن العار، إلا أنها اختفت. صرخت: "اخرج".

سألها هاري، وهو يشير صوب الباباراتزي: "هل أذهب إليهم؟ سأنهي قريباً مهنتي في الشرطة، وسوف أسافر. أستطيع فعل ذلك مع مبلغ كبير من المال. فإذا أمكن الدفع لمزين الشعر مبلغ عشرين ألف كرونر ليقول اللون الذي طلبته لين، كم تظنين أنه يجدر بي أن أطلب لأخبرهم من هي والدتها الحقيقية؟".

تراجعت المرأة خطوة واحدة إلى الوراء، ورفعت يدها بغضب، لكن دموعها انهمرت بشدة، وانطفاً البريق المشتعل في عينيها، وانهارت على كرسي المطبخ عاجزة. شتم هاري نفسه؛ لأنه عرف أنه كان فظاً معها على نحو غير ضروري. إلا أن الوقت ليس لصالحه ليجري أي خطط دقيقة ومهذبة.

قال: "أعتذر. لكنني أحاول إنقاذ ابنتك. ولفعل ذلك، أنا بحاجة إلى المساعدة. هل تفهمين؟".

وضع يده على يدها، لكنها سحبتهما.

قال هاري: "إنه قاتل، لكنها لا تهتم، أليس كذلك. سوف تفعل ذلك في أي حال".

قالت المرأة: "تفعل ماذا؟".

"تلحق به إلى نهاية العالم".

لم تجب، وإنما هزت رأسها فقط ومسحت دموعها الصامتة.

انتظر هاري. وقف، وسكب لنفسه كوباً من القهوة، ومزق منديلاً ورقياً من لفافة مناديل المطبخ، ووضعها على الطاولة أمامها، وجلس وانتظر. ارتشف القليل من القهوة وانتظر.

قالت بهدوء: "قلت لها إنه لم يكن يجدر بها أن تفعل ما فعلته أنا. لم يكن يجدر بها أن تحب رجلاً لأنه... لأنه جعلها تشعر بأنها جميلة؛ أكثر جمالاً مما هي عليه. تظن أنها نعمة عندما تحصل، لكنها في الواقع لعنة".
انتظر هاري.

"عندما ترى نفسك وقد أصبحت أكثر جمالاً في عيني الآخر، يصبح الأمر مثل... مثل السحر، وتصبح مسحوراً. مراراً وتكراراً، لأنك تظن أنه سيسمح لك برؤية ذلك مرة جديدة".
انتظر هاري.

"أمضيت سنواتي الأولى في عربة نقالة. سافرنا كثيراً، ولم أستطع الذهاب إلى المدرسة. عندما كنت في الثامنة، جاء أناس من الرعاية الاجتماعية إليّ. وفي عمر السادسة عشرة، بدأت أنظف في شركة الملاحة التي يملكها غالتونغ. كان أندرس مخطوباً عندما جعلني حاملاً. لم يكن هو من يملك المال، وإنما هي. خاطر في سوق البورصة، لكن أسعار البواخر هبطت ولم يكن لديه خيار آخر. طلب مني توضيب أغراضي والرحيل، لكنها اكتشفت الأمر. وكانت هي من قرر أن أحتفظ بالطفل، وأن أبقى للعمل كخادمة في المنزل، فيما تتم تربية ابنتي على أنها ابنة المنزل. لم يكن بوسعها إنجاب الأولاد، ولذلك أخذنا لين مني. سألاني عن التربية التي أستطيع أن أقدمها لها. أنا، الأم العازبة وغير المتعلمة، من دون عائلة حولي. هل أرغب فعلاً في حرمان ابنتي من فرصة عيش حياة رغيدة؟ كنت صغيرة جداً وخائفة، وقلت لهما إنهما محقان، وإن هذا الخيار هو الأفضل".
"ألم يعرف أحد بذلك؟"

أخذت المنديل الورقي ومسحت أنفها. "كم يسهل خداع الناس حين يريدون أن يخدعوا. وإذا لم ينخدعوا، فهم لا يظهرون ذلك علناً. لم يكن ذلك مهماً بالنسبة إليّ. كنت مجرد رحم أنجب وريثة لآل غالتونغ؟"
"ماذا؟"

هزّت كتفها. "في النهاية، أنجبت لين، وأرضعتها، وأطعمتها، وغيرت حفاظاتها، ونمت قربها. علمتها كيف تتحدث، وريبتها. لكننا عرفنا جميعاً أن هذا قصير الأمد. في يوم من الأيام، عليّ أن أتخلى عنها".
"وهل تخليت؟"

ضحكت بمرارة. "وهل تستطيع أم أن تتخلى عن أولادها؟ الابنة تستطيع أن تتخلى عن والديها. تكرهني لين بسبب ما فعلته، بسبب ما أنا عليه. لكن، انظر إليها. ها هي الآن تفعل الشيء نفسه".

"تلحق بالرجل الخطأ إلى نهاية العالم".
هزّت كتفها مجدداً.

"هل تعرفين أين هي؟"

"لا. أعرف فقط أنها غادرت لتكون معه".

ارتشف هاري القليل من القهوة، وقال: "أعرف أين هي نهاية العالم".
لم تجب.

"أستطيع الذهاب إلى هناك ومحاولة إعادتها إليك".
"إنها لا تريد أن تعود".

"يمكنني المحاولة؛ بمساعدتك". أخرج هاري قطعة ورقية ووضعها أمامها.
"ما رأيك؟"

قرأتها، ثم نظرت إليه. لقد سالت الدموع من عينيها الفيروزييتين على وجنتيها الغائرتين، ولوّث وجهها بمستحضرات التجميل.
"أقسم لي إنك ستعيد إليّ ابنتي سالمة هول. أقسم. افعل ذلك، وسأوافق".

تأملها هاري، ثم قال: "أقسم".

وعندما أصبح في الخارج مجدداً، وأشعل سيجارة، فكر في ما قالته. هل تستطيع أم أن تتخلى عن أولادها؟ فكر في أود أوتمو الذي أخذ معه صورة لابنه. لكن الابنة تستطيع أن تتخلى عن والديها. هل تستطيع فعلاً القيام بذلك؟ نفخ دخان سيجارته.
هل يستطيع أن يتخلى؟

كان غونار هاغن واقفاً قرب رف الخضار في متجر البقالة الباكستاني المفضل لديه. نظر إلى التحري لديه وهو غير مصدق لما يسمعه. "أتريد العودة إلى الكونغو؟! لإيجاد لين غالتونغ؟ ولا علاقة لهذا بالتحقيق في الجرائم؟".

قال هاري وهو يرفع نوعاً من الخضار لم يتعرف إليه: "تماماً كما في المرة الماضية. نحن نبحث عن شخص مفقود".

"لم يبلغ أحد عن اختفاء لين غالتونغ باستثناء الصحافة الصفراء، حسب علمي".

"ثمة أحد فعل ذلك الآن". وأخرج ورقة من جيب معطفه، وأظهر التوقيع لهاغن. "أمها البيولوجية".

"فهمت. وكيف سأشرح لوزارة العدل أننا سنطلق هذا البحث في الكونغو؟".
"لدينا دليل".
"ألا وهو؟".

"قرأت في مجلة سي أوغ هور أن لين غالتونغ طلبت من مزين شعرها صبغ شعرها باللون الأحمر القرميدي. لا أذكر أن اسم هذا اللون معتمد في النروج، ولهذا السبب تذكرت".
"ماذا تذكرت؟".

"أن هذا هو لون الشعر المذكور في جواز السفر الخاص بجوليانا فيرني من ليزيغ. في ذلك الوقت، طلبت من غونثر التحقق مما إذا كان هناك ختم من كيغالي على جواز سفرها. لكن الشرطة لم تجده، واختفى جواز السفر، وأنا مقتنع تماماً بأن طوني لايك هو من أخذه".
"جواز السفر و؟".

"والآن حصلت عليه لين غالتونغ".

وضع هاغن بعض الملفوف الصيني في سلة التسوق فيما هز رأسه ببطء. "أتجعل رحلة إلى الكونغو مرتكزة على شيء قرأته في مجلة شائعات؟".
"أرتكز على ما وجدته - أو بالأحرى، على ما وجدته كاترين برات - عما فعلته جوليانا فيرني في الآونة الأخيرة".
بدأ هاغن يتحرك صوب الرجل عند صندوق الدفع الموجود على الحائط الأيمن.
"فيرني ميتة هاري".

"وهل يسافر الأشخاص الموتى؟ تبين أن جوليانا فيرني - أو فلنقل امرأة صاحبة شعر أحمر مجعد - اشترت تذكرة سفر من زيوريخ إلى نهاية العالم".
"نهاية العالم؟".

"غوما، الكونغو. غداً صباحاً".

"سوف يعتقلونها عندما يكتشفون أنها تحمل جواز سفر يخص امرأة ماتت منذ أكثر من شهرين".

"تحققت من الأمر مع المنظمة الدولية للطيران المدني. قالوا إنه قد يمرّ عام كامل قبل أن يتم شطب رقم جواز سفر الشخص المتوفى من السجلات. ويعني ذلك

أن شخصاً ما قد يكون سافر إلى الكونغو بجواز سفر أود أوتمو أيضاً. إلا أننا لا نملك اتفاقية تعاون مع الكونغو. وليست مشكلة صعبة أبداً أن تخرج نفسك من السجن".
وضع هاغن أغراضه على الصندوق لدفع ثمنها، فيما ذلك صدغيه في محاولة للحوؤل دون شعور بالصداع المحتوم. "أذهب إذاً واعثر عليها في زيورخ. أرسل الشرطة السويسرية إلى المطار".

"وضعناها تحت المراقبة. سوف تقودنا لين غالتونغ إلى طوني لايك سيدي".
"سوف تقودنا إلى الضياع هاري". دفع هاغن المال، وأخذ أغراضه وخرج من المتجر إلى غرونلاندسلايرت الماطرة والمسفوعة بالرياح القوية، حيث تسارع الناس بياقاتهم المقلوبة ووجوههم المنخفضة.

"أنت لم تفهم. اكتشفت برات أن لين غالتونغ قامت قبل يومين بإفراغ حسابها في زيورخ. سحبت مليوني يورو. ليس هذا مبلغاً عظيماً، وهو حتماً غير كافٍ لتمويل مشروع تنجيم كامل. وإنما كافٍ لتمرير مرحلة حساسة".
"هذا تخمين تافه".

"ما الذي ستفعله إذاً بمبلغ مليوني يورو نقداً؟ أرجوك سيدي. إنها الفرصة الوحيدة لدينا". أسرع هاري في خطواته للحاق بهاغن. "في الكونغو، لا يمكنك العثور على أشخاص لا يرغبون في أن يتم العثور عليهم. فذلك البلد اللعين كبير بقدر أوروبا الشرقية، ويتألف بمعظمه من غابات لم يرَ مثلها رجل أبيض في حياته. اقبل الآن، وإلا فسيطارد لايك أحلامك، سيدي".

"أنا لا أعاني من الكوابيس مثلك هاري".
"هل أخبرت أولادك كم تنام جيداً في الليل سيدي؟".
توقف غونار هاغن فجأة.
قال هاري: "عذراً سيدي. بالغت في ذلك".

"صحيح. وفي الحقيقة لا أفهم لماذا تصرّ على أخذ إذني. لم تعتبر الأمر مهماً من قبل مطلقاً".

"فكرت أنه أمر جميل أن تشعر بأنك الرجل المسؤول سيدي".
وجّه هاغن نظرة غاضبة إلى هاري، فهزّ هذا الأخير كتفيه. "دعني أفعل ذلك سيدي. بعد ذلك، يمكنك طردي بسبب رفضي إطاعة أوامرك. سأتحمل كل المسؤولية. لا مشكلة عندي".

"لا مشكلة؟!".

"سوف أستقيل بعد هذه القضية في أي حال".
نظر هاغن إلى هاري وقال: "لا مشكلة. اذهب". ثم تابع المشي مجدداً.
لحق به هاري متسائلاً: "لا مشكلة؟!".
"نعم. في الواقع، لم تكن هناك مشكلة منذ البداية".
"حقاً! ولماذا لم تقل ذلك حينها؟".
"فكرت أنه أمر جميل أن أشعر بأني الرجل المسؤول".

القسم التاسع

نهاية العالم

حلمت بأنها واقفة أمام باب مغلق، وسمعت صراخاً بارداً لعصفور وحيد من الغابة. بدا ذلك غريباً؛ لأن الشمس كانت ساطعة وبقوة. فتحت الباب... استيقظت ورأسها على كتف هاري، وجفت اللعاب عن زاوية فمها. أعلن صوت قبطان الطائرة أنهم على وشك الهبوط في غوما.

نظرت إلى خارج النافذة. ثمة خط رمادي في الشرق يبشر بولادة يوم جديد. مضت اثنتا عشرة ساعة على مغادرتهما أوصلو. بعد ساعات قليلة، ستصل رحلة زيورينغ التي تسافر على متنها جوليانا فيرني.

قال هاري: "أتساءل لماذا رأى هاغن أنه لا مشكلة في تتبع لين بهذه الطريقة".
تثابت كاجا قائلة: "إنه يقدر ربما حججك القوية".

"مم... بدا مسترخياً جداً. أشعر وكأنه يخبي شيئاً ما. ثمة ضمانه حصل عليها بأنهم لن يعاتبوه على هذا".

قالت كاجا: "يملك ربما شيئاً، أو يعرف أحداً في وزارة العدل".

"مم... أو ربما يملك شيئاً ضد بيلمان. ربما يعرف أنك كنت وبيلمان على علاقة؟".

أجابت كاجا وهي تحديق في العتمة: "أشك في ذلك. بالكاد توجد أي أنوار هنا".
قال هاري: "يبدو وكأن الكهرباء مقطوعة. لا بد أن المطار يملك مولده الخاص".
قالت وهي تشير إلى ضوء أحمر ساطع في شمال المدينة: "ثمة ضوء هناك. ما هذا؟".

أجاب هاري: "نيراغونغو. الحمم هي التي تضيء السماء".

قالت وهي تضغط بأنفها على النافذة: "هل هذا طبيعي؟".

شرب هاري الماء الخاص به. "هل يجدر بنا مراجعة الخطة مرة إضافية؟".
أومأت برأسها، وجعلت ظهر كرسيها منتصباً.

"ستبقين في قاعة الوصول وتراقبين مواعيد هبوط الطائرات. تأكدي من أن كل

شيء يجري وفق الخطة. في غضون ذلك، سأذهب للتسوق. أحتاج فقط إلى خمس عشرة دقيقة للوصول إلى وسط المدينة، وبالتالي سأعود قبل وقت طويل من هبوط طائرة لين. ستراقبين وترين إذا جاء أحد لاصطحابها، ثم ستتعقبين أثرها. بما أن لين تعرف وجهي، فسأنتظرك في الخارج داخل سيارة أجرة. وفي حال حصل أي شيء غير مرتقب، يجب أن تتصلي بي على الفور. اتفقنا؟".

"اتفقنا. وهل أنت أكيد من أنها ستنزّل في غوما؟".

"لست أكيداً من أي شيء. يوجد فقط فندقان في غوما لا يزالان يعملان، وحسب كاترين، لا يوجد أي حجز باسم فيرني ولا باسم غالتونغ. لكن رجال العصابات يسيطرون على الطرقات المؤدية إلى الغرب والشمال، وأقرب مدينة إلى الجنوب تقع على مسافة ثمانية أميال".

"هل تعتقد فعلاً أن السبب الوحيد الذي دفع طوني لإحضار لين إلى هنا هو الحصول على المال منها؟".

"حسب جنس راث، يواجه المشروع مرحلة حاسمة. هل ترين أي سبب آخر؟".
هزّت كاجا كتفها. "ماذا لو كان القاتل قادراً على حبّ امرأة كثيراً لدرجة أنه يريد فقط التواجد معها؟ هل هذا مستحيل؟".

أوما هاري برأسه، كما لو أنه أراد القول: "نعم، لديك وجهة نظر". أو "نعم، هذا مستحيل".

صدر صوت طنين وطققة، فيما انخفضت عجلات الطائرة.
حدقت كاجا خارج النافذة.

"لا أحب فكرة التسوق هاري. لماذا الأسلحة؟".
"لايك عيف".

"ولا أحب السفر بوصفي شرطيّة متخفية. أعرف أننا لا نستطيع تهريب أسلحتنا إلى الكونغو، لكن ألم يكن بوسعنا الطلب من الشرطة الكونغولية مساعدتنا في عملية الاعتقال؟".

"مثلما قلت لك، لا توجد اتفاقية بيننا. وليس مستبعداً أن يكون شخص مثل لايك يملك مخبرين في الشرطة المحلية لإنذاره".
"نظرية المؤامرة".

"نعم، وعملية حسابية بسيطة. فمرتب الشرطي في الكونغو لا يكفي لإطعام عائلة. استرخي، لأن فان بورست يملك أسلحة رائعة، وهو محترف كفاية لإبقاء فمه مغلقاً".

أصدرت العجلات صوتاً قوياً فيما ارتطمت بأرض المطار.
نظرت كاجا إلى خارج النافذة. "لماذا يوجد العديد من الجنود هنا؟".
"تعزيزات من الأمم المتحدة. لقد تقدم رجال العصابات في الأيام القليلة
الماضية".

"أي عصابات؟".

"عصابات هوتو، عصابات توتسي، عصابات ماي ماي. من يعرف؟".

"هاري".

"نعم".

"دعنا ننهي هذه المهمة بسرعة ونعود إلى بلادنا".

أوما برأسه.

أصبح الضوء أكثر سطوعاً عندما مرّ هاري أمام صف سائقي سيارات الأجرة في
الخارج. تبادل بضع كلمات مع كل واحد من السائقين إلى أن وجد أخيراً شخصاً
يستطيع تحدث الإنكليزية جيداً. لا بل إنكليزية ممتازة. كان رجلاً صغير الحجم،
مع عيين يقظتين، وشعر رمادي، وأوعية دموية سميكة فوق الصدغين وجانبي جبينه
العالي واللامع. بدا جلياً أن لغته الإنكليزية أصلية؛ من نوع لكنات أوكسفورد مع
لكنة كونغولية واضحة. شرح له هاري أنه بحاجة إليه طوال اليوم، واتفقا بسرعة على
سعر وتصافحا، ودفع له هاري ثلث المبلغ المتفق عليه بالدولارات، وعرفا بنفسهما:
هاري ودكتور دويغام.

قال الرجل وهو يعدّ المال علناً: "أنا دكتور في الأدب الإنكليزي. لكن، بما أننا
سنمضي النهار كله معاً، يمكنك مناداتي سول".

فتح الباب الخلفي لسيارة هيونداي قديمة. أبلغ هاري السائق سول بالطريق
الواجب سلوكها؛ أي الطريق المؤدي إلى دار العبادة المحترقة.

قال سول: "يبدو أنك جئت إلى هنا قبلاً". وقاد السيارة على طريق مزقت بشكل
جيد، لكنه ما لبث أن تحول إلى متاهة من الفوهات والتشققات ما إن اتصل بالطريق
الرئيس.

"مرة واحدة".

ابتسم سول: "إذا يجدر بك توخي الحذر. فقد قال همنغواي إنك حين تفتح
روحك لأفريقيا، فلن تتمكن من التواجد في أي مكان آخر".

استفسر هاري ببعض الشك: "هل كتب همنغواي ذلك؟".

"نعم، لقد فعل. لكن همنغواي كتب تلك التفاهة الرومنسية طوال الوقت. أطلق النار على الأسود حين كان ثملاً، وبوّل على جثثها. الحقيقة هي أنه ما من أحد يعود إلى الكونغو إذا لم يكن مضطراً".

قال هاري: "أنا مضطر. اسمع، حاولت الاتصال بالسائق الذي ساعدني في المرة الماضية حين كنت هنا؛ جو من منظمة إغاثة اللاجئين. لكن، ما من أحد يردّ على رقمه". قال سول: "لقد ذهب جو". "ذهب؟!".

"أخذ معه عائلته، وسرق سيارة وذهب إلى أوغاندا. غوما تحت الحصار. سوف يقتلون الجميع. سأذهب أنا أيضاً قريباً. حصل جو على سيارة جيدة. قد يتمكن ربما من الفرار".

ميّز هاري برج دار العبادة المهيمن فوق الدمار الذي خلّفه بركان نيراغونغو. وتشبث جيداً فيما اجتازت سيارة الهيونداي الحفر في الطريق، وحصلت بعض الارتطامات المزعجة بهيكل السيارة أحياناً.

قال هاري: "انتظر هنا. سأتابع بقية الطريق سيراً على قدمي، وسأعود قريباً". خرج هاري من السيارة، وشمّ رائحة الغبار والتوابل والسّمك. ثم بدأ يمشي. ثمة رجل ثمل حاول جلياً ضرب هاري بكتفه، لكنه أخفق ووقع على الطريق. سمع هاري بعض الشتائم خلفه فيما تابع سيره. ليس بسرعة كبيرة، وليس ببطء شديد. وعندما وصل إلى المنزل القرميدي الوحيد في ساحة المتاجر، توجه إلى الباب وطرق عليه بقوة وانتظر. سمع خطوات سريعة في الداخل؛ سريعة جداً لتكون خطوات فان بورست. فُتح الباب جزئياً، وظهر نصف وجه أسود وعين واحدة.

سأل هاري: "هل السيد فان بورست في المنزل؟".

"لا". ومضت الأسنان الذهبية الكبيرة في الفك العلوي.

"أريد شراء بعض الأسلحة أنتسي. هل يمكنك مساعدتي؟".

هزت رأسها. "عذراً. إلى اللقاء".

أدخل هاري قدمه في فتحة الباب. "أدفع جيداً".

"لا أسلحة. فان بورست ليس هنا".

"متى سيعود أنتسي؟".

"لا أعرف. لا أملك وقتاً الآن".

"أبحث عن رجل من النروج. طوني. إنه طويل ووسيم. هل رأيته في الجوار؟".
هزت الفتاة رأسها.

"هل سيعود فان بورست إلى المنزل هذا المساء؟ هذا مهم، أنستي".
نظرت إليه، وتأملته من أعلى رأسه وحتى أخمص قدميه، ثم تراجعت إلى الخلف.
كشفت شفتاها عن أسنانها. "هل أنت رجل غني؟".

لم يجب هاري. طرفت بعينها قليلاً، ولمعت عيناها السوداءوان، ثم ابتسمت.
"بعد ثلاثين دقيقة عد إلى هنا".

عاد هاري إلى سيارة الأجرة، وجلس على المقعد الأمامي، وطلب من سول
التوجه إلى الفندق، واتصل بكاجا.

قالت: "لا أزال أنتظر في قاعة الوصول. لم يتم الإعلان عن أي شيء، سوى
أن رحلة زيورخ ستصل في موعدها".

"سوف أسجل اسمينا في الفندق قبل أن أعود إلى منزل فان بورست وأشتري
ما نحتاج إليه".

يقع الفندق في وسط المدينة، في اتجاه الحدود الرواندية. أمام قاعة الاستقبال،
ثمة مرآب للسيارات مغطى بالحمم، ومزروع بالأشجار.

قال سول، كما لو أنه يقرأ أفكار هاري: "تمت زراعتها بعد الفوران الأخير
للبركان". لا توجد تقريباً أي أشجار في غوما. الغرفة المزدوجة كانت في الطابق
الأول من مبنى منخفض قرب البحيرة مع شرفة مطلة على الماء. دخن هاري سيجارة،
وراقب شمس الصباح وهي تتلألأ على السطح وتنعكس عن هيكل باخرة النفط في
البعيد. تحقق من ساعته وعاد إلى مرآب السيارات.

بدا أن عقل سول قد تكيف مع السير البطيء الذي تواجد فيه: قاد السيارة ببطء،
وتحدث ببطء، وحرك يديه ببطء. ركن السيارة قرب جدران دار العبادة، على مسافة
بعيدة عن منزل فان بورست. أطفأ المحرك، واستدار صوب هاري، وطلب بتهذيب
وإنما بصرامة الدفعة الثانية من المبلغ.

سأله هاري وهو يرفع حاجبه: "ألا تثق بي؟".
قال سول: "أثق في رغبتك الصريحة في الدفع. لكن في غوما، يعتبر المال معي

أمناً أكثر مما هو معك سيد هاري. هذا مؤسف، وإنما صحيح".
فهم هاري المبدأ، فأوماً برأسه، وعدّ بقية المال، وسأل سول إذا كان يملك شيئاً
ثقيلاً ومدمجاً في السيارة، بحجم مسدس، أي مثل مصباح ضوئي. زمّ سول شفتيه

وفتح الصندوق الأمامي. أخذ هاري المصباح الضوئي، ووضعه في جيبه الداخلي ونظر إلى ساعته. مرّت خمس وعشرون دقيقة.
مشى في الشارع مثبتاً عينيه على الطريق أمامه. لكن النظرات الجانبية سجلت وجود رجال التفتوا صوبه ناظرين إليه بعيون الإعجاب. الإعجاب بالطول والوزن، وبرشاقة خطواته. كانت السترة منحرفة قليلاً مع شكل ناتئ في الجيب الداخلي.
ذهب إلى الباب وطرق.
الخطوات الرشيقة نفسها.

فتح الباب. نظرت إليه، ثم نظرت خلفه؛ إلى الشارع.
قالت: "بسرعة، ادخل". وأمسكت بذراعه وشدته إلى الداخل.
اجتاز هاري العتبة ووقف في الغرفة المعتمة جزئياً. كانت كل الستائر مسدلة، باستثناء ستارة النافذة فوق السرير حيث رآها تستلقي شبه عارية في المرة الأولى التي جاء فيها إلى هنا.

قالت بلغتها الإنكليزية البسيطة وإنما الفعالة: "لم يصل بعد. سيأتي قريباً".
أوماً هاري برأسه ونظر إلى السرير. حاول تخيلها هناك، مع بطانية فوق وركيها، فيما الضوء مسلّط على بشرتها. لكنه لم يستطع. لأن هناك شيئاً آخر أثار انتباهه؛ شيئاً لم يكن صحيحاً، أو كان حيث لا يجدر به أن يكون.
سألته: "هل أتيت بمفردك؟". ومشت حوله وجلست على السرير. وضعت يداً على الفراش، فانزاحت حمالة الكتف لفستانها.
أبعد هاري نظره لتحديد ما هو خطأ؛ ووجده. السيد المستعمر والمستكشف؛ الملك ليوبولد.

قال بصورة تلقائية، من دون أن يفهم السبب بعد: "نعم. بمفردك".
صورة الملك ليوبولد التي كانت معلقة على الجدار اختفت. تلت ذلك فكرة جلية تماماً: فان بورست لن يأتي. لقد ذهب هو أيضاً.
تقدم هاري نصف خطوة صوبها. أحنّت رأسها قليلاً، ورطبت شفيتها الممتملتين باللون الأحمر المسودّ. كان قريباً بما فيه الكفاية الآن ليرى ما وُضع مكان لوحة الملك البلجيكي. فالمسماز الذي كانت الصورة معلقة فيه طوّق الآن ورقة نقدية. والوجه الذي جعل الورقة النقدية مميزة كان حساساً مع شاربين مرتبين؛ إنه إدوارد مانش.
أدرك هاري ما سيحصل، وكان على وشك أن يبرم، لكن شيئاً ما أخبره أيضاً

أن الوقت قد فات، وبات محاصراً؛ تماماً كما هو مخطط.

أحسّ - أكثر مما رأى - بالحركة خلفه، ولم يشعر بالضربة الدقيقة على عنقه، وإنما فقط بالنفس على صدغه. تجمد عنقه، وامتد الشلل إلى أسفل ظهره وصعوداً إلى فروة رأسه، وانهارت ساقاه تحته عندما وصل العقار إلى دماغه وفقد الوعي. آخر فكرة خطرت له قبل أن تطوقه العتمة كانت مدى سرعة فاعلية الكيتانوم.

اجتماع

عَضَّت كاجا شفتها السفلية. ثمة خطب ما.
 اتصلت برقم هاري مجدداً، وردّ المجيب الصوتي مجدداً.
 طوال ساعات عدة، جلست في قاعة الوصول - التي تبين لغاية الآن أنها أيضاً
 قاعة المغادرة - واحتك الكرسي البلاستيكي بكل أنحاء جسمها التي لامسها.
 سمعت هدير طائرة. بعد ذلك، عرضت الشاشة الوحيدة المتوافرة، وهي عبارة
 عن صندوق كبير يتدلى من سلكين معدنيين صدئين في السقف، أن الرحلة رقم كاي
 جي 337 الآتية من زيوريخ قد وصلت.
 تأملت مجموعة الأشخاص المنتظرين كل ثانية، وتأكدت أن طوني لا يك ليس
 بينهم.

اتصلت مجدداً، لكنها أوقفت الخط عندما أدركت أنها تفعل ذلك لمجرد فعل
 شيء ما لا أكثر.
 فُتِحَت الأبواب المنزلة المؤدية إلى قاعة الحقائب، وخرجت طليعة الركاب
 الحاملين حقائب يدوية. وقفت كاجا، وذهبت إلى الحائط قرب الأبواب المنزلة كي
 تتمكن من رؤية الأسماء على اللافات البلاستيكية وقصاصات الورق التي يرفعها
 سائقو التاكسي الذين يحتشدون في انتظار الواصلين. لا جوليانا فيرني ولا لين
 غالتونغ.

عادت إلى مكانها السابق على الكرسي. جلست ووضعت راحتي يديها تحتها،
 وأحست أنهما مبلتان بالعرق. ما الذي يجدر بها فعله؟ أنزلت نظارتها الشمسية
 وحدقت في الأبواب المنزلة.
 مرت ثوانٍ. لم يحصل أي شيء.

كانت لين غالتونغ مخفية تقريباً وراء نظارة شمسية بنفسجية ورجل أسود كبير
 مشى أمامها. كان شعرها أحمر، ومجعداً، وارتدت سترة دنيم وسروالاً قطنياً، وانتعلت
 حذاءً متيناً. كانت تجرّ خلفها حقيبة بعجلات مصنوعة حسب الطلب وفق المقاسات

القصوى المسموح بها لحقائب اليد. لم تكن تحمل حقيبة يدوية، وإنما علبة معدنية صغيرة لامعة.

لم يحصل أي شيء، وحصل كل شيء. بشكل متوازٍ وفي الوقت نفسه، الماضي والحاضر، وبطريقة غريبة عرفت كاجا أن الفرصة قد توافرت أخيراً. الفرصة التي كانت تنتظرها؛ فرصة القيام بالشيء الصحيح.

لم تنظر كاجا إلى لين غالتونغ مباشرة، وإنما تأكدت فقط من أنها موجودة في شمال حقل رؤيتها. وقفت بهدوء بعدما مرّت بجانبها، وأخذت حقيبتها وبدأت تتبعتها؛ إلى نور الشمس الساطع. لم يتحدث إليها أحد لغاية الآن، ونظراً إلى خطواتها السريعة والحازمة، افترضت كاجا أنه جرى إعلامها بكل ما يجدر بها فعله. مرّت أمام سيارات الأجرة، واجتازت الطريق، وصعدت إلى المقعد الخلفي لسيارة رانج روفر كحلية اللون. فتح لها الباب رجل أسود يرتدي بذلة رسمية. أغلق الباب وراءها بقوة، ثم توجه إلى مقعد السائق. جلست كاجا على المقعد الخلفي لأول سيارة أجرة واقفة في الرتل، وانحنت إلى الأمام بين المقعدين، وفكرت بسرعة، لكنها استنتجت أنه لا توجد مبدئياً طريقة أخرى للتخاطب. "اتبع تلك السيارة".

رأت عيني السائق وحاجبيه المتعجبين في مرآة السيارة. أشارت إلى السيارة التي أمامهما، فأوماً السائق برأسه دليل الفهم، وإنما أبقى السيارة تسير بسرعة عادية. قالت كاجا: "سأدفع لك الضعف".

متبة
t.me/t_pdf

هزّ السائق رأسه وضغط على دواسة الوقود. لا جواب لغاية الآن.

شقاً طريقهما صوب الغرب على طول الطريق السريع الرئيس. كانت الشوارع مليئة بالعربات والسيارات مع حقائب مثبتة على الأسطح. وعلى الجانبين، كان الناس يسرون حاملين كومات كبيرة من الثياب والممتلكات على رؤوسهم. في بعض الأماكن، كانت زحمة السير خانقة؛ حيث توقف السير تماماً. يبدو جلياً أن السائق قد فهم الرسالة، وكان يبقي سيارة واحدة على الأقل بينهما وبين الرانج روفر التي تستقلها لين غالتونغ.

سألت كاجا: "إلى أين يذهبون كلهم؟".

ابتسم السائق وهزّ رأسه للإشارة إلى أنه لم يفهم. كررت كاجا السؤال باللغة الفرنسية، ولكن من دون جدوى. في النهاية، أشارت إلى الأشخاص الذين يمرّون قرب السيارة مع تكشيرة استفهام.

قال السائق: "لاجئون. يذهبون بعيداً. أناس أشرار قادمون".
قالت كاجا: "أوه".

أرسلت كاجا رسالة نصية جديدة إلى هاري؛ في محاولة للهرب من خوفها. في وسط غوما، تشعبت الطريق. انعطفت سيارة الرانج روفر صوب اليسار. وبعد قليل، انعطفت مرة جديدة إلى اليسار ونزلت صوب البحيرة. وصلوا إلى منطقة مختلفة تماماً من المدينة، حيث توجد منازل كبيرة منفصلة عن بعضها، وراء أسوار عالية، ومحاطة بحدائق وأشجار مرتبة لتوفير الظلال وإبعاد العيون المتطفلة.
قال السائق: "قديم. البلجيكيون. المستعمرون".

لا توجد زحمة سير في هذه المنطقة السكنية، وأشارت كاجا إلى السائق بضرورة ابتعادهما قليلاً أكثر؛ رغم إحساسها بأن لين غالتونغ لم تتلق أي دروس في كشف المتعقبين. عندما توقفت سيارة الرانج روفر بعد مئة متر، أشارت كاجا إلى السائق للتوقف أيضاً.
فتح رجل يرتدي بذلة رمادية بوابة حديدية كبيرة، ودخلت السيارة، ثم انغلقت البوابة مجدداً.

استطاعت لين غالتونغ سماع قلبها يخفق بقوة. لم يخفق هكذا منذ أن رنّ الهاتف وسمعت صوته. أخبرها أنه في أفريقيا. وقال لها إنه يجدر بها أن تأتي إليه، وإنها الوحيدة القادرة على مساعدته وعلى إنقاذ المشروع المهم الذي ليس مشروعه فقط، وإنما سيصبح أيضاً مشروعها؛ حيث سيكون لديه عمل. إذ يحتاج الرجال إلى العمل، إلى المستقبل، إلى حياة آمنة، إلى مكان يترعرع فيه أولادهم.

فتح لها السائق باب السيارة، ونزلت لين غالتونغ. لم تكن الشمس قوية مثلما خشيت، والمنزل المنتصب أمامها كان عظيماً وقوياً ومبنياً بروية؛ حجرة وراء حجرة. مال قديم. تماماً مثلما فعلوا هم. عندما تعرفت إلى طوني، كان مفتوناً جداً بشجرة عائلتها. فال غالتونغ عائلة أرستقراطية نروجية، إحدى العائلات القليلة التي لم تأت من الخارج، وهذه حقيقة كررها طوني مراراً وتكراراً. لهذا السبب ربما قررت تأجيل إخباره بأنها مثله: من أصول عادية ومتواضعة، من صخرة رمادية في الجرف، من طبقة عادية.

لكنهما سيؤسسان الآن عائلتهما الخاصة، وسوف يسطعان في المجتمع. سوف يبنيان.

مشى السائق أمامها، وصعدت الدرج المؤدي إلى الباب، حيث قام رجل مسلح ويرتدي ثياباً مموهة بفتح الباب لهما. تدلت ثريا من الكريستال الحقيقي من السقف في ردهة الاستقبال.

ضغظت يد لين على المقبض المبلل بالعرق للعلبة المعدنية المحتوية على المال. أحست أن قلبها سينفجر في صدرها. هل شعرها مرتب؟ هل يمكن رؤية علامات قلة النوم والرحلة الطويلة؟ ثمة شخص ينزل على السلم العريض من الطابق الأول. لا، إنها امرأة سوداء، إحدى الخادמות ربما. وجهت إليها لين ابتسامة ودودة وإنما غير مرحبة كثيراً. رأت وميض الأسنان الذهبية عندما بادلتها المرأة ابتسامة باردة ووقحة نوعاً ما وغادرت عبر الباب خلفها.

ها هو.

وقف قرب "الدرايزون" في الطابق الأول ونظر إليهما.

كان طويلاً وداكن اللون وملتفأ في رداء. لاحظت الندبة السميقة الجذابة واللامعة على في صدره المسمر. ثم ابتسم. سمعت أنفاسها تتسارع؛ الابتسامة جعلت وجهه يشرق، وكذلك قلبها، وكشفت عن ضوء أكثر مما تستطيع أي ثريا كريستالية فعله. نزل السلم.

وضعت علبتها على الأرض وأسرعت صوبه. فتح ذراعيه واستقبلها، وأصبحت معه. تعرفت إلى رائحته التي كانت أقوى أكثر من أي وقت مضى؛ ممزوجة برائحة توابل قوية. انبعثت الرائحة من رداء النوم الذي لاحظت الآن أنه رداء من الحرير الأنيق وقصير جداً على الذراعين وليس جديداً أبداً. وعندما أحست أنه يحاول تحرير نفسه منها، أدركت أنها كانت تتشبث به، فأفلتته بسرعة.

ضحك قائلاً: "حبييتي، أنت تبكين". وداعب وجنتها بإصبعه.

"حقاً؟". كانت تضحك أيضاً، وتجفف دموعها؛ آملة ألا تكون مستحضرات

التجميل قد سالت على وجهها.

قال وهو يمسك بيدها: "لدي مفاجأة لك، تعالي".

قالت: "لكن...". واستدارت لترى أن العلبة المعدنية قد اختفت.

صعدا إلى الأعلى، ودخلا عبر باب إلى غرفة نوم كبيرة ومشرفة. ثمة ستائر طويلة تمايلت برفق بفعل نسيم الهواء الداخل من باب المصطبة.

سألته: "هل كنت نائماً؟". وهي تشير إلى السرير غير المرتب ذي الأعمدة الأربعة.

ابتسم وقال: "لا. اجلسي هنا وأغمضي عينيك".

"لكن...".

"افعلي فقط مثلما أطلب منك لين".

أحست أنها سمعت بعض الانزعاج في صوته، فأسرعت إلى تنفيذ ما طلبه منها. "سيصلون قريباً مع زجاجة شراب، وأريد بعدها أن أسألك شيئاً. لكنني سأخبرك قصة أولاً. هل أنت جاهزة؟".

قالت: "نعم". وعرفت، عرفت أن هذه هي اللحظة. تلك التي كانت تنتظرها. تلك اللحظة التي ستذكرها لبقية حياتها.

"القصة التي سأرويها لك عني. هناك بعض الأمور التي يجدر بك معرفتها قبل أن تجيبي عن سؤالي".

"فهمت". بدا وكأن فقايع الشراب بدأت تسري في عروقها، ولذلك توجب عليها التركيز لعدم الضحك.

"أخبرتكم أنني ترعرعت مع جدي، وأن والديّ قد ماتا. لكنني لم أقل لك إنني عشت معهما حتى بلغت الخامسة عشرة من عمري".

قالت بتعجب: "كنت أعرف!".

رفع طوني حاجباً، فقالت لنفسها: أوه، ياله من حاجب جميل! ضحكت قائلة: "لطالما عرفت أنك تخبي سرّاً طوني. لكنني أخبي سرّاً أنا أيضاً. وأريد أن نعرف كلانا كل شيء عن بعضنا، كل شيء".

كشف طوني عن ابتسامة غريبة وقال: "إذاً دعيني أكمل من دون أن تقاطعيني، حبيبتي لين. كانت أمي متدينة جداً، وتعرفت إلى والدي في دار العبادة. كان قد خرج للتو من السجن بعدما أنهى عقوبة بسبب ارتكابه جريمة خلال نوبة غيرة، وصار متديناً أثناء وجوده في السجن. بالنسبة إلى أمي، كان مثل الابن الضال، مثل الرجل الذي تستطيع مساعدته فيما تكفّر هي عن خطاياها. هكذا شرحت لي الأمور عند تبريرها بسبب زواجها من ذلك الحقيير".

"ماذا...؟".

"ششش. كان والدي نادماً على ارتكابه الجريمة. لم يكن يسمح لي بفعل أي شيء من الأشياء التي يفعلها الأولاد الآخرون. وإذا عارضته، كان يضربني بالحزام. حاول استفزازي، والقول إن الشمس تدور حول الأرض، وإذا عارضته، ضربني. اعتدنا على ذلك. عندما كنت أخرج، كان يضربني بالرفش لأنه يعتقد أن خروجي خطيئة، وأني أصبحت كبيراً جداً للدخول إلى الحمام مع أمي. أثر في لبقية حياتي".

شهقت لين، فيما رفع طوني إصبعاً مشوهاً مصاباً بالتهاب المفاصل ومرره فوق الجزء العلوي من الندبة على صدره. ثم لاحظت إصبعه الناقصة.

"طوني، ماذا حصل...؟"

"ششش. آخر مرة ضربني فيها والدي كنت في الخامسة عشرة من عمري، واستخدم الحزام لمدة ثلاث وعشرين دقيقة من دون توقف. ألف وثلاثمئة واثنان وتسعون ثانية. قمت بعدها. ضربني كل أربع ثوانٍ مثل الآلة. استمر في ضربني، وازداد غضبه تدريجياً لأنني رفضت البكاء. في النهاية، ألمته ذراعه فاضطر إلى الاستسلام. ثلاثمئة وثمانين وأربعون جلدة. تلك الليلة، انتظرت حتى سمعته يشخر في نومه، وتسقلت إلى غرفة نومهما، وسكبت نقطة من الحمض في عينه. صرخ وصرخ فيما أمسكته وهمست في أذنه أنه إذا لمسني مجدداً فسأقتله، وأحسست به يتصلب بين ذراعي. عرفت أنه أدرك أنني أصبحت أقوى منه. وعرف أن الأمر متأصل فيّ."

"متأصل فيك، طوني! ما هو؟"

"هو. القتل."

توقف قلب لين عن الخفقان. ليس هذا صحيحاً. لا يمكن أن يكون صحيحاً. أخبرها أنه ليس هو. كانوا مخطئين.

"بعد ذلك اليوم، راقبنا بعضنا مثل الصقور. وعرفت أمي أنه إما أنا أو هو. ذات يوم، جاءت إليّ وقالت لي إنه ذهب إلى جيلو لشراء ذخيرة للبندقية، وإنه عليّ الهروب. قررت أن أهرب إلى منزل جدي، فقد كان أرمل، ويعيش قرب بحيرة لايسرن. عرف أنه يجدر به إبقائي مخبأً، وإلا فسيأتي الرجل الشرير ورائي. لذا، غادرت. جعلت أمي الأمر يبدو وكأنني قتلت في انهيار ثلجي. عزل والدي نفسه عن المجتمع، حيث كانت أمي دوماً هي التي تفعل أي شيء يستلزم تعاطياً مع الناس. ظن أنها أبلغت الشرطة عن اختفائي، لكنها في الواقع أبلغت شخصاً واحداً فقط بما فعلته ولماذا. هي والشرطي روي ستيل كانا... حسناً كانا يعرفان بعضهما جيداً. كان ستيل حكيماً كفاية ليدرك أن الشرطة لا يسعها فعل الكثير لحمايتي من والدي، والعكس صحيح، ولذلك ساعد في تغطية آثاري. عشت راضياً في منزل جدي؛ إلى أن وصلت الرسالة بأن أمي قد اختفت في الجبال."

رفعت لين يدها. "مسكين، مسكين طوني."

"أغمضي عينيك."

أجفلت بسبب الغضب في صوته، وسحبت يدها وأغمضت عينيها بقوة.

"قال جدي إنني لا أستطيع الذهاب إلى الدفن. إذ لا يجدر بأي كان أن يعرف أنني على قيد الحياة. وعندما عاد، أخبرني حرفياً ما قاله رجل الدين عنها في عظته. ثلاث عبارات. ثلاث عبارات عن أقوى وأجمل امرأة في العالم. الأخيرة كانت: مشت كارن بخفة على هذه الأرض". لاحظت لين أن طوني بات يتنفس الآن بقوة أكبر. "مشت بخفة. رجل الدين وقف هناك أمام المذبح وقال إنها لم تترك أي آثار خلفها. اختفت مثلما عاشت، من دون ترك أثر. أخبرني جدي ذلك صراحة، ومن دون أي مرواغة، وهل تعرفين ماذا لين؟ كان ذلك أهم يوم في حياتي. هل تفهمين؟".
"أوه... لا، طوني".

"عرفت أنه كان جالساً هناك بصمت، الحقير الذي قتلها. وأقسمت بأن أنتقم. سوف أريه. سأريهم جميعاً. في ذلك اليوم، قررت أنه مهما حصل فلن أنتهي مثله، أو مثلها. لا أحتاج أنا ولا الحقير الجالس هناك إلى الغفران؛ فسوف نحترق كلانا". أخفض صوته. "لا أحد، لا أحد سيقف في طريقي. هل تفهميني الآن؟".
ابتسمت لين: "نعم، واستحققت ذلك، طوني. كل شيء! لقد عملت بكّد كبير".
"أنا مسرور لأنك تفهمين حبيتي. هنا تأتي البقية. هل أنت جاهزة؟".
قالت لين: "نعم". وشفقت بيديها. أمها هي أيضاً جالسة في المنزل؛ حسودة، ووحيدة، وحزينة، تحسد ابتها على فرصة الشعور بالحب.

قال طوني: "كان كل شيء في راحة يدي". وأحست لين بيده على ركبته. "أنت، مال والدك، المشروع هنا في أفريقيا. فكرت أنه لن يحصل أي خطب؛ إلى أن عاشرت تلك العاهرة في الشاليه في هافاس. حتى إنني لم أكن أذكر اسمها عندما تلقيت رسالة منها تقول إنها حامل وتريد المال. اعترضت طريقي، لين. كنت دقيقاً جداً في تخطيطي. غطيت السيارة بالنايلون، وأخذت معي بطاقة بريدية فارغة للكونغو كانت معي، وأجبرتها على كتابة بضعة سطور تبرر اختفاءها، ثم غرزت السكين في عنقها. صوت الدم وهو يسيل على النايلون، لين... إنه فريد جداً".

إدوارد ماناش

بدا وكأن شخصاً ما قد ضرب جمجمة لين بكرة حديدية، إلا أنها فتحت عينيها مجدداً. "أنت... أنت... قتلتها؟ امرأة... نمت معها في الجبال؟!".

"شهوتي الجنسية أكبر من شهوتك لين. وإذا لم تفعل لي ما أريده، فسأطلب من الأخريات فعله لي".

"لكنك... أردتني أن...". خنقت الدموع صوتها. "... هذا غير طبيعي!".
قهقهه طوني. "أدبل لم تمنع. وجوليانا لم تمنع أيضاً؛ إلا أنها كانت تقبض الكثير من المال لفعل ذلك".

"جوليانا؟ عمّ تتحدث طوني؟ طوني!". كانت لين تصرخ في العتمة مثل شخص أعمى.

"عاهرة ألمانية من ليزيغ كنت ألتقيها بانتظام. إنها تفعل أي شيء مقابل المال. وفعلت".

أحست لين بالدموع تنهمر على وجنتيها. كان صوته هادئاً جداً؛ ما جعل الأمر كله يبدو غير حقيقي.

"قل... قل إن هذا غير صحيح، طوني. أرجوك توقف الآن".
"شش. تلقيت بعدها رسالة أخرى، مع صورة فوتوغرافية. يمكنك ربما تخيل صدمتي عندما رأيت صورة لأدبل في سيارتي مع السكين في عنقها مرفقة بالرسالة. كانت الرسالة موقعة باسم بورغني ستيم - ميهر. كتبت أنها تريد المال، وإلا فستبلغ عني لأنني قتل أدبل فيتلسين. طبعاً، عرفت أنه يجدر بي التخلص منها. لكنني احتجت إلى عذر مبرر في وقت موتها في حال قامت الشرطة بربط مقتل بورغني مع محاولة الابتزاز. في الواقع، كنت أفكر في إرسال بطاقة أدبل البريدية من أفريقيا في المرة التالية التي أذهب فيها إلى هناك، لكن صودف أن خطرت في بالي فكرة أفضل. اتصلت بجوليانا وأرسلتها إلى غوما. سافرت باستعمال اسم أدبل، وأرسلت البطاقة من كيغالي، وذهبت إلى فان بورست، واشترت تفاحة كنت أفكر في تجربتها على بورغني. عادت

جوليانا والتقىنا في ليزبغ؛ حيث جعلتها تتذوق طعم التفاحة لأول مرة". فهقه طوني.
"اعتقدتها لعبة جديدة، المسكينة".
"أنت... قتلتها أيضاً!".

"نعم، ومن ثم بورغني. لحقت بها. كانت تفتح باب مبنى الشقق حيث تعيش
عندما صعدت إليها مع سكين. أنزلتها إلى القبو في نيدالن حيث حضّرت كل شيء.
قفل. تفاحة. أعطيتها حفنة من الكيتانوم في عنقها، ثم ذهبت إلى سكاين؛ إلى اجتماع
مع المستثمرين حيث ينتظرنني كل الشهود. العذر المبرئ. عرفت أنه فيما كنا نحسني
الشراب، كانت بورغني تنهي حياتها بنفسها. الجميع يفعلون ذلك في النهاية. ثم عدت،
ونزلت إلى القبو، وأخذت القفل، وأخرجت التفاحة من فمها وعدت إلى المنزل؛
إليك. قمنا بعلاقة حميمة، وزعمت أنك استمتعت؛ هل تذكرين؟".

هزّت لين رأسها، عاجزة عن الكلام.

"أغمضي عينيك، قلت لك".

أحست بأصابعه تنزلق على جبينها وتغمض جفניה، مثل الحانوتي. سمعت صوته
يختفي وكأنه يتحدث إلى نفسه.

"كان يحب ضربي. أستطيع فهم ذلك الآن. الإحساس بالقوة الكامن في توليد
الألم، وفي رؤية شخص آخر يستسلم لك، وفي أن تكون قادراً على تنفيذ رغباتك".
صمت قليلاً، ثم عاد صوته مجدداً، قريباً من أذنها الآن. "فيما قتلتهن، بدأ شيء
ما يحصل. بدا وكأن دمهّن روى بذرة كانت موجودة طوال الوقت. بدأت أستوعب
ما كنت أراه في عيني والذي في ذلك الوقت. تماماً مثلما رأى نفسه فيّ، بدأت أراه
كلما نظرت إلى نفسي في المرأة. أحببت القوة التي شعرت بها وعجز الضحية، أحببت
اللعبة، المجازفة، الإيجابيات والسلبيات في الوقت نفسه. عندما تقفين على قمة الجبل
ورأسك في غيمة وتسمعين تغريد الطيور، عليك أن تسمعي أيضاً حسيس النار المشتعلة
تحتك كي يكون للأمر معنى. هذا ما عرفه والذي. وهذا ما أعرفه الآن أنا أيضاً".

رأت لين بقعاً حمراء ترقص أمام عينيها.

"لم أدرك مدى كراهيتي إلا بعد أعوام عديدة لاحقاً، عندما كنت أقف مع فتاة
عند حدود غابة خارج قاعة للرقص. هاجمني شاب. رأيت الغيرة تشتعل في عينيه.
رأيت والذي يأتي إليّ مع أمي والرفش. قطعت لسان الصبي. تم اعتقاله، وجرى الحكم
عليّ بالسجن. وهناك اكتشفت ما يفعله بك السجن. ولماذا لم يتحدث والذي عن فترة
سجنه مطلقاً؛ ولا كلمة. حكم عليّ لفترة قصيرة، إلا أنني أصبحت مجنوناً في الداخل.

وفيما كنت أمضي فترة سجنني، عرفت ما يجدر بي فعله. عليّ وضعه في السجن لأنه قتل أمي. ليس قتله، وإنما تعذيبه، ودفنه حياً. لكن، في البداية، توجب عليّ إيجاد الدليل، أي بقايا أمي. لذا، شيدت شاليهاً في أعلى الجبال، بعيداً عن الناس، للتأكد من عدم وجود أي احتمال في أن يتعرف أحد على الصبي الذي اختفى عندما كان في الخامسة عشرة من عمره. في كل سنة، كنت أفنقش السهول الجبلية، كيلومتراً وراء كيلومتر، وأبدأ البحث ما إن يختفي معظم الثلج، والأفضل في الليل حين لا يتواجد أحد في الخارج، فأفنقش الأجراف وأماكن الانهيارات الثلجية. وإذا اضطرت، كنت أمضي الليل في شاليه تابع لهيئة السياحة، حيث الناس يمرون بطريقة عابرة. لكن، لا شك لديّ في أن بعض السكان المحليين رأوني. في أي حال، بدأت تسري شائعات حول شبح صبي أوتمو". فهقه طوني، ففتحت لين عينيها، لكن طوني لم يلاحظ، بل كان يتأمل حامل سجاثر أخرجه للتو من جيب رداء النوم. أغمضت لين عينيها بسرعة مجدداً.

"بعد جريمة بورغني، وصلتني رسالة موقعة باسم "شارلوت" التي كتبت أنها كانت وراء الرسالة الماضية. لاحظت أنني علقت في شباك لعبة. يمكن أن تكون تلك رسالة مضللة، أو يمكن أن يكون أي شخص تواجد في شاليه هافاس تلك الليلة من كتبها. لذا، ذهبت للنظر إلى سجل النزلاء، لكن جرى تمزيق الصفحة الخاصة بتلك الليلة. هكذا، قتلت شارلوت، وانتظرت الرسالة التالية. وصلت. قتلت ماريت، ومن ثم الياس. بعد ذلك، هدأت الأمور. ثم قرأت في الصحيفة أنهم يطلبون من الأشخاص الذين تواجدوا في شاليه هافاس في الليلة نفسها مع ضحايا الجرائم أن يأتوا إليهم. عرفت طبعاً أن لا أحد سيحزر أنني كنت هناك، ولكن إذا ذهبت إلى الشرطة، فقد أعرف منها أسماء الذين كانوا هناك. وقد أتمكن من معرفة من يلاحقني، ومن بقي لقتله. لذا، ذهبت مباشرة إلى الشخص الذي افترضت أنه الأكثر اطلاعاً. ذلك التحري، هاري هول. حاولت الاستفسار منه عن بقية النزلاء. لكنني لم أوفق. بدل ذلك، جاء مايكل بيلمان واعتقلني. ثم شخص استخدم هاتفني للاتصال بالياس سكوغ، مثلما قال لي. وفهمت الإشارة. ليست للأمر علاقة بالمال، بل ثمّة شخص يسعى لأن يتم توقيفي؛ سجنني. ثمّة من يستطيع الوقوف جانباً، ومراقبة الأشخاص ببرودة وهم يقتلون ويبقى مصراً... على هذه الحملة ضدي؟ من يمكن أن يكرهني إلى هذا الحد؟ ثم وصلت الرسالة الأخيرة. هذه المرة، لم يكشف عن هويته، وإنما كتب فقط أنه كان في شاليه هافاس تلك الليلة، وأنه كان غير مرئي مثل الشبح. قال إنني أعرفه جيداً، وإنه سيأتي

للليل مني. عندها، فهمت أخيراً أنه وجدني. بابا".

توقف طوني لالتقاط أنفاسه.

"خطط لي تماماً مثلما خططت له. خطط لأن أأدفن حياً؛ أن أسجن مدى الحياة. لكن، كيف تدبر ذلك؟ تساءلت إذا كان قد أبقى شاليه هافاس تحت المراقبة. أهكذا عرف أنني ما زلت على قيد الحياة؟ هل كان يلاحقني من بعيد؟ بعدما عقدت خطوبتي منك، بدأت الصحافة الصفراء التي تلاحق المشاهير بنشر صور لي، ويبدو أن والدي قد قلب تلك المجالات بين الحين والآخر. لكن، لا بد أنه كان يتعاون مع أحد. على سبيل المثال، لا يستطيع الذهاب إلى أوسلو واقتحام منزلي، ولا يستطيع أن يلتقط صورة لأدليل والسكين في عنقها. أو هل يستطيع؟ اكتشفت أنه هرب من المزرعة، ذلك الحقيير اللعين. لكن ما لم يكن يعرفه هو أنني أصبحت الآن أعرف المنطقة جيداً بعد البحث عن أمي خلال كل تلك السنوات. وجدته في شاليه تابع لهيئة السياحة في كيجفتن. كنت سعيداً مثل الطفل الصغير، لكن سرعان ما تبددت تلك السعادة".

سمعت لين صوت احتكاك الحرير بجسده.

"كانت متعتي في تعذيبه أقل مما تمنيت. لم يتعرف إليّ؛ ذلك الحقيير الأعمى. لكن، لا يهم. أردته أن يراني مثلما لم ينجح هو مطلقاً في أن يكون. أردت أن يراني إنساناً ناجحاً؛ أردت إذلاله. بدل ذلك رأيته كأنه هو. قاتل". تنهد. "وبدأت أدرك أنه لم يكن يعمل مع أي كان. ولم يملك القدرة لفعل كل ذلك بمفرده. كان ضعيفاً جداً، وخائفاً جداً، وجباناً جداً. استهللت الانهيار الثلجي في هافاس، وأنا مذعور تقريباً. لأنني أصبحت أعرف الآن أن هناك شخصاً آخر؛ صياداً غير مرئي وغير مسموع يقف في العتمة في مكان ما، ويناغم نفسه مع تنفسي. عليّ الهروب إلى خارج البلاد، إلى مكان حيث لا يمكن العثور عليّ. لذا، ها نحن هنا حبيبتي. على حافة أدغال بحجم أوروبا الغربية".

كانت لين ترتجف بطريقة خارجة عن إرادتها. "لماذا تفعل هذا، طوني؟ لماذا تخبرني... هذا؟".

أحست بيده على وجنتها. "لأنك تستحقين هذا حبي. لأن اسمك غالتونغ، وسيتم رثاؤك كما ينبغي حين تموتين. ولأنني أعتقد أنه من الملائم أن تسمعي كل شيء عني قبل أن تعطيني جوابك".

"جوابي على ماذا؟".

"على ما إذا كنت تريد الزواج مني".

أصبح دماغها يدور في دوامة مجنونة الآن. "ما إذا كنت أريد... أريد...".

"افتحي عينيك لين".

"لكن، أنا...".

"افتحيهما، قلت لك".

فعلت مثلما طلب منها.

قال لها: "هذه لك".

شهقت لين غالتونغ.

قال طوني: "إنها مصنوعة من الذهب". لمعت الشمس على الكرة المعدنية ذات

اللون الذهبي البني الباهت التي كانت على ورقة فوق طاولة القهوة بينهما. "أريدك

أن تضعيها".

"أضعيها؟!".

"بعدها توقعين على عقد زواجنا طبعاً".

طرفت عينا لين بشكل متكرر. حاولت إيقاظ نفسها من الكابوس، إلا أن اليد

ذات الأصابع المشوهة تحركت فوق الطاولة، وغطت يدها. نظرت إلى الأسفل، نظرت

إلى النمط المطبع على رداء النوم المصنوع من الحرير برغندي اللون.

قال: "أعرف ما تفكرين فيه. إن المال الذي أحضرته معك سيدوم فقط لفترة

وجيزة، لكن الزواج سيمنحني بعض حقوق الإرث حين تموتين. أنت تتساءلين إن

كنت أنوي القضاء على حياتك، أليس كذلك؟".

"هل ستفعل؟".

قهقهه طوني وضغط على يدها. "هل تنوين اعتراض طريقي لين؟".

هزت رأسها. كل ما أرادته هو العيش من أجل شخص ما؛ من أجله. وكما لو

أنها في نشوة، أخذت القلم الذي أعطاها إياه، ووضعت على الورقة. انهمرت دموعها

على التوقيع؛ ما جعل الحبر يتحول إلى بقعة. أخذ منها المستند.

قال: "هذا جيد". ونفخ عليه، ثم وضعه على طاولة القهوة. "والآن، دعينا نرى

كيف تضعين هذه".

"ماذا تقصد طوني؟ هذه ليست خاتماً".

"أقصد أنني أريد منك أن تفتحي فمك جيداً، لين".

طرفت عينا هاري. ثمة مصباح واحد مضاء يتدلى من السقف. كان مستلقياً

على فراش وهو عارٍ. إنه الحلم نفسه، لكنه لا يحلم الآن. فوقه، ثمة مسمار معلق في الحائط، ومن المسمار تدلت ورقة عليها رأس إدوارد مانش. ورقة نقدية نروجية. ثئاب بشدة، لدرجة أنه أحس أن فكه المحطم سيزمق، لكن الضغط استمر، وكاد أن ينفجر في رأسه. إنه لا يحلم. لقد اختفى مفعول الكيتانوم، ولم يعد الألم يسمح بأية أحلام أخرى. كم مضى على استلقائه هنا؟ لكم من الوقت حتى دفعه الألم إلى حافة الجنون؟ برم رأسه بعناية وتأمل الغرفة. لا يزال في منزل فان بورست، وهو بمفرده. ليس مقيداً بالأغلال، ويستطيع الوقوف إذا أراد ذلك.

لحق نظره بالسلك المتصل بمقبض الباب الأمامي، والممتد عبر الغرفة إلى الجدار خلفه. برم رأسه بعناية صوب الجهة الأخرى. امتد السلك عبر مسمار ملولب على شكل U مغروز في الجدار مباشرة خلف رأسه. ومن هناك إلى فمه. تفاحة ليوبولد. إنه عالق في وضعيته. يفتح الباب صوب الخارج، حيث إن أول شخص يفتح الباب سيشد الخيط لتخترق الإبر رأسه من الداخل. وإذا تحرك كثيراً، فسيتم إطلاق الإبر بمفردها أيضاً.

وضع هاري إبهامه وسبابته على جانبي فمه. تحسس الحواف الدائرية. حاول عبثاً وضع إصبع تحتها. أصيب بنوبة سعال، وبات كل شيء أسود فيما كافح للتنفس. أدرك أن الحواف الدائرية جعلت اللحم حول حنجرته متورماً وأوشك على الاختناق. السلك المتصل بمقبض الباب، الإصبع المبتورة؛ هل هذه صدفة؟ أم إن طوني لا يك عرف بشأن رجل الثلج؟ وكان ينوي التفوق عليه؟

ركل هاري الجدار، وشدّ أوتاره الصوتية، لكن الكرة المعدنية خنقت الصرخة. استسلم. اتكأ على الجدار، وحضّر نفسه للألم، وأجبر فمه على الانغلاق. لقد قرأ في مكان ما أن عضة الإنسان ليست أضعف كثيراً من عضة القرش الأبيض. إلا أن عضلات الفك نجحت فقط في الضغط على الضلوع إلى الأسفل قبل إجبار الفم على أن يفتح مجدداً. بدا أن هناك نبضاً، أو قلباً حديدياً حياً في فمه. لمس السلك المعدني المتدلي من التفاحة. حثّه رغبة فطرية على شدّه لإخراج التفاحة. إلا أنه رأى قبلاً عرضاً حياً لما سيحصل، ورأى الصور الفوتوغرافية من مسارح الجريمة. لو لم يرَ ذلك... في تلك الثانية، عرف هاري. عرف كيف سيموت هو، وكذلك كيف ماتت المرأتين الضحيتين، ولماذا تم إعدادها بهذه الطريقة. أحسّ برغبة ملحة في الضحك. الأمر بسيط بطريقة جهنمية. بسيط بطريقة جهنمية؛ حيث إن الشيطان وحده هو الذي يتكره.

العذر المبرئ لطوني لايك. لم يكن لديه شريك متواطئ معه. بل يمكن القول إن الضحيتين نفسيهما كانتا شريكتيه في تنفيذ الجريمة. فهذا ما فعلته بورغني وشارلوت حين لم تعرفا طبيعة الشيء الموجود في فم كل منهما. تم حبس بورغني في قبو. وكانت شارلوت في الخارج، لكن السلك المعدني الخارج من فمها اتصل بشيء داخل صندوق سيارة محطة أمامها، ومهما كافحت وشدت وضغطت على صندوق السيارة، بقي الصندوق مقفلاً. لم تتح لأي منهما فرصة الهروب، وعندما أصبح الألم قوياً جداً، سلكتا الطريق المتوقعة؛ عمدتا إلى شدّ السلك. هل استبقنا ما يمكن أن يحصل؟ هل جعلهما الألم تستسلمان للأمل، الأمل في أن يفضي شدّ السلك إلى انقباض الحواف الدائرية في ذلك الشيء الغريب؟ وفيما عانت الفتاتان ببطء من آلام الشك واليقين قبل المصير المحتوم، كان طوني لايك على مسافة كيلومترات عدة يتناول العشاء أو يشارك في محاضرة، وهو واثق تماماً من أن الفتاتين ستجنزان القسم النهائي من المهمة بنفسيهما. وهذا ما منحه أفضل عذر مبرئ بالنسبة إلى توقيت الوفاة. وبتعبير آخر، لم يقتلها بنفسه فعلياً.

برم هاري رأسه ليرى مدى إمكانية تحركه من دون شدّ السلك الفولاذي. عليه أن يفعل شيئاً ما؛ أي شيء. زمجر، ولاحظ أن السلك أصبح مشدوداً أكثر. توقف عن التنفس، وحدق في الباب. انتظره كي يفتح، كي... لم يحصل أي شيء.

حاول تذكر عرض فان بوست لكيفية عمل التفاحة، وكم تبقى الضلوع مفتوحة في حال لم تكن هناك مقاومة. لو أنه يستطيع فتح فمه أكثر، لو أن فكيه... أغمض هاري عينيه. لفته كم تبدو الفكرة طبيعية وبديهية بطريقة غريبة، وكم هو ضئيل إحساس المقاومة لديه. على العكس، شعر بالارتياح؛ الارتياح لفرض المزيد من الألم على نفسه، وعند الضرورة المجازفة بحياته الخاصة في محاولة للبقاء على قيد الحياة. إنه منطقي وبسيط؛ فراغ الشك المقموع بفكرة مجنونة واضحة وساطعة. استدار هاري على بطنه، ورأسه على المسمار اللولبي في الحائط حيث ارتخى السلك قليلاً. ثم نهض بحذر على ركبتيه. لمس فكه، وجد النقطة. النقطة حيث يتمركز كل شيء: الألم، ومفصل الفك، والعقدة، وكتلة الأعصاب والعضلات التي تثبت فكه بعد الحادث في هونغ كونغ. لن يكون في وسعه ضرب نفسه بقوة كافية، إذ لا بد أن يكون هناك وزن جسم خلفه. تحسس إبهامه المسمار. نأ حوالى أربعة سنتيمترات عن الجدار. مسمار عادي مع رأس عريض ومسطح، يخترق أي شيء يعترض طريقه

في حال كانت هناك قوة كافية. صوّب هاري على الهدف، ووضع فكه على المسمار للتجربة، ووقف لحساب الزاوية التي يجدر به الوقوع وفقها، وكم سينغرز المسمار فيه، وكم يجب ألا ينغرز المسمار فيه. عنق، أعصاب، شلل. أجرى حساباته. ليس ببرودة وهدوء؛ لكنه أجرى الحسابات في أي حال. أجبر نفسه. رأس المسمار لم يكن مثل أعلى الحرف T، وإنما ينحدر نحو الأسفل بحيث لا يمزق بالضرورة كل شيء يعترض طريقه. في النهاية، حاول التفكير في كل شيء لم يخطر في باله. إلى أن أدرك أن دماغه يحاول فقط تأجيل الأحداث.

أخذ هاري نفساً عميقاً.

لن يطيعه جسمه. عارض، قاوم. لن يخفض رأسه.

"مغفل!". كافح هاري للصرخ، لكن الصوت تحول إلى صفير. أحس بدمعة ساخنة تنهمر على وجنته.

يكفي بكاء، قال لنفسه. حان الوقت للموت الآن.

ثم أخفض رأسه.

استقبله المسمار بتنهيدة عميقة.

كانت كاجا تبحث عن هاتفها الخلوي. صرخ آل كاربنتر "توقف!" ثلاث مرات. وأجابت كارن كاربنتر: "أوه، نعم. انتظروا دقيقة". إنذار الرسالة النصية. خارج السيارة، هبط الظلام بسرعة مفاجئة. أرسلت ثلاث رسائل نصية إلى هاري، وأخبرته بما حصل، وأنها موجودة على الطريق أمام المنزل الذي دخلت إليه لين غالتونغ، وتنتظر منه المزيد من التعليمات وإشارة منه.

عمل جيد. تعالي واصطحبيني من الشارع الموجود إلى جنوب دار العبادة. يسهل العثور عليه لأنه المنزل القرميدي الوحيد. تعالي على الفور. الباب مفتوح. هاري.

الرسالة مكتوبة باللغة النروجية. أعطت سائق التاكسي العنوان، فأوماً برأسه وتساءب وأدار المحرك.

ردّت عليه كاجا برسالة نصية أخرى باللغة النروجية وقالت له: "أنا في طريقي". فيما انطلقا شمالاً عبر الشوارع المضاءة. أنار البركان سماء الليل مثل المصباح المتوهج، طاغياً على النجوم، ومانحاً كل شيء لمعاناً خفيفاً باللون الأحمر الدموي. بعد ربع ساعة، وجدا نفسيهما في الشارع الذي يقصدانه. ثمة مصباحان من

البارافين يتدليان خارج متجر. إما أن يكون التيار الكهربائي مقطوعاً، أو إن هذه المنطقه غير موصولة بالكهرباء.

توقف السائق وأشار. فان بورست. لا شك في أن هذا هو المنزل القرميدي. نظرت كاجا حولها. في آخر الشارع، رأَت سيارتين من نوع رانج روفر. مرّت دراجتان ناريتان مع مصابيح إنارة ضعيفة. صدحت موسيقى أفريقية عالية من وراء أحد الأبواب. ولاحظت هنا وهناك وميض سجاثر وعيوناً بيضاء.

قالت كاجا: "انتظرنى هنا". فيما رفعت شعرها إلى الأعلى تحت القبعة، وتجاهلت تحذيرات السائق عندما فتحت الباب وخرجت.

مشت بسرعة صوب المنزل. كانت تدرك تماماً المخاطر التي تتعرض لها امرأة يضاء في مدينة مثل غوما بعد هبوط الليل، لكن العتمة تعتبر في الوقت الحاضر أفضل حليفة لها.

رأت الباب المحاط بالحمم السوداء على كلا الجانبين، وعرفت أن عليها الإسراع في خطواتها، لأنها أحست بالخطر، وعليها استباقه. كادت تتعثر، وأسرت إلى الأمام، وتنفست عبر فمها المفتوح. وها قد وصلت. وضعت أصابعها على مقبض الباب؛ رغم أن الحرارة انخفضت بسرعة بعد مغيب الشمس. كان العرق يتصبب بين عظمي كتفها وثديها. أجبرت نفسها على الضغط على المقبض إلى الأسفل. أصغت. كان المكان هادئاً جداً؛ هادئاً تماماً كما...

تجمعت الدموع مثل خليط الإسمنت الدبق في حنجرتها.
همست لنفسها: "ها، ليس الآن".

أغمضت عينيها، وركزت على نفسها، وأفرغت دماغها من الأفكار. سوف تنجح هذه المرة. تباطأت أفكارها. حذف، حذف. هذه هي الطريقة. بقيت مجرد فكرة صغيرة واحدة لتتمكن بعدها من فتح الباب.

استيقظ هاري وشعر بشيء مشدود في زاوية فمه. فتح عينيه. إنها العتمة. لا بد أنه أغمي عليه، ثم أدرك أنه يتم شدّ السلك المتصل بالكرة التي لا تزال في فمه. بدأ قلبه يخفق بقوة، ثم تسارعت نبضاته. رفع فمه إلى الأعلى صوب المسمار، وبدأ جلياً أن أياً من هذا لن يجدي نفعاً إذا قام أحدهم بفتح الباب.

جاء شعاع ضوء من الخارج، ووصل إلى الحائط فوقه، ولمع الدم. أدخل أصابعه إلى فمه، ووضعها فوق الأسنان في الفك السفلي وضغط. أدى الألم القوي الذي شعر

به إلى جعل كل شيء يختفي لثانية، ثم أحس بفكه يستسلم. لقد انزاح من مكانه!
وفيما ضغط على فكه نزولاً بيد واحدة، أمسك التفاحة باليد الأخرى وسحبها.
سمع أصواتاً خارج الباب. اللعنة، اللعنة، اللعنة! ما زال عاجزاً عن تمرير التفاحة
من بين أسنانه. أنزل فكه السفلي إلى الأسفل أكثر. صدر صوت انسحاق العظام وتمزق
النسيج كما لو أنه خارج من أذنيه. لا بد أنه نجح في إنزال فكه كثيراً إلى الأسفل
في جهة واحدة، حيث استطاع إزاحة التفاحة جانبياً، لكن ثمة وجنة تعترض الطريق.
لاحظ أن مقبض الباب يتحرك. لا يوجد وقت. لا وقت. توقف الوقت هنا.

تلك الفكرة الأخيرة الصغيرة، الرسالة القصيرة باللغة النروجية. غاتن. كيركن.
الشارع. دار العبادة. لا يستخدم هاري مثل هذه الكلمات. غاتا، كيركا. هذا ما قاله.
فتحت كاجا عينيها. ماذا قال لها حين كانا جالسين على مصطبتها يتحدثان عن عنوان
كتاب فانتني؟ إنه لا يرسل أبداً رسائل نصية. لأنه لا يريد أن يخسر روحه، لأنه يفضل
عدم ترك أي آثار عندما يختفي. لم تلتق يوماً أي رسالة نصية منه. إلا الآن. كان
سيتصل؛ هذا غير منطقي. ليس دماغها ما يتكرر الأعداء لعدم فتح الباب. إنه فخ.
أفلتت كاجا مقبض الباب بنعومة. أحست بهواء ساخن على عنقها؛ كما لو أن
أحداً يتنفس قربها. ألغت عبارة "كما لو أن" واستدارت.
هناك اثنان. اختفى وجههما في العتمة.
"هل تبحثين عن أحد، سيدتي؟"
أحست كاجا أنها رأت هذين الوجهين قبل أن تجيب. "أخطأت في المنزل.
هذا كل شيء".

في تلك اللحظة، سمعت صوت محرك سيارة. وحين استدارت، رأت الضوءين
الخلفيين لسيارة الأجرة المتمائلة في الشارع.
قال الصوت: "لا تقلقي سيدتي. لقد دفعنا له الأجرة."
استدارت ونظرت إلى الأسفل؛ إلى المسدس الموجه صوبها.
"فلنذهب".

فكرت كاجا في الخيارات البديلة. لم تحتج إلى وقت طويل؛ إذ لا توجد أي
خيارات.

مشت أمامهما صوب سيارتي الرانج روفر. فتح الباب الخلفي لإحدى السيارتين
فيما اقتربوا. وحين دخلتها، شمّت رائحة مستحضر ما بعد الحلاقة وجلد جديد. انغلق

الباب بقوة وراءها. ابتسم. كانت أسنانه كبيرة وبيضاء، وصوته ناعماً ومرحاً.
"مرحباً كاجا".

كان طوني لايك يرتدي بذلة عسكرية باللونين الأصفر والرمادي. ويمسك هاتفاً
خلوياً أحمر اللون في يده. إنه هاتف هاري.
"طُلب منك الدخول مباشرة. ما الذي أوقفك؟".
هزّت كتفها.

قال وهو يميل رأسه: "رائع".
"ما هو؟".

"لا تبدين خائفة على الإطلاق".
"ولماذا يجدر بي أن أخاف؟".

"لأنك ستموتين قريباً. ألم تفهمي ذلك بعد؟".

انكمشت حنجرة كاجا؛ رغم أن جزءاً من دماغها كان يصرخ قائلاً إن هذا مجرد
خطر تافه؛ فهي شرطية، ولن يجازف أبداً بذلك. عجز ذلك الجزء عن السيطرة على
الجزء الآخر، ذلك الذي يقول إن طوني لايك جالس أمامها، ويعرف تماماً ما هو
الوضع. هي وهاري مجرد انتحاريين بعيدين عن الوطن، من دون إذن، ومن دون
دعم، ومن دون خطة ثانية؛ من دون أمل.

ضغط طوني على زر، فنزل زجاج النافذة إلى الأسفل.

قال للرجلين: "اذهبا واقضيا عليه، ثم انقلاه إلى هناك". ثم رفع زجاج النافذة.
ثم قال لها: "أظن أن الأمر كان سيصبح أفضل لو فتحت الباب بنفسك. أعتقد
أننا ندين لهاري بموت شاعري. لكن، علينا الآن اختيار وداع شاعري". انحنى إلى
الأمام، وحقق في السماء. "لون أحمر جميل، أليس كذلك؟". رأت الأمر على وجهه
الآن، وسمعتة. وأنبأها تفكيرها - ذلك الذي يقول الحقيقة - سوف تموت فعلاً.

عيار

أشار كينزونزي إلى منزل فان بورست القرميدي، وطلب من أوردري قيادة سيارة الراج روفر وإيقافها مباشرة أمام الباب. رأى الضوء خلف الستائر، وتذكر أن السيد طوني قرر ترك الضوء مضاءً عندما لا يتواجد أحد هنا؛ حيث يتمكن الرجل الأبيض من رؤية ما ينتظره. خرج كينزونزي من السيارة، وانتظر حتى وضع أوردري مفتاح السيارة في جيبه ولحق به. الأمر بسيط: قتله وأخذه إلى هناك. لا توجد أي عواطف. لا خوف، ولا متعة، ولا حتى توتر. إنها وظيفة.

عمر كينزونزي تسعة عشر عاماً. إنه جندي منذ أن كان في الحادية عشرة من عمره. جيش تحرير الشعب الديمقراطي غزا قريته. حطموا رأس أخيه بمقبض بندقية كلاشينكوف، واغتصبوا أخته فيما أجبروا والدهما على المشاهدة. بعد ذلك، قال الضابط المسؤول إنه إذا لم يقم الأب بمعاينة أخته الصغرى أمامهم، فسوف يقتلون كينزونزي وأخته الكبرى. لكن، قبل أن ينهي الضابط جملته، ذبح الوالد نفسه بإحدى السكاكين الكبيرة، فترددت ضحكتهم في الأرجاء.

قبل المغادرة، تناول كينزونزي أول وجبة محترمة له منذ أشهر عدة، وحصل على قبة. قال الضابط إنها ستكون جزءاً من بذلته الرسمية. بعد شهرين، حصل على رشاش كلاشينكوف، وأطلق النار على أول إنسان، وهي أم في قرية رفضت تسليم بطانياتها إلى جيش التحرير الديمقراطي. كان عمره اثني عشر عاماً عندما وقف في الصف مع جنود آخرين لاغتصاب فتاة صغيرة في مكان غير بعيد عن المكان الذي جرى فيه تجنيده. عندما جاء دوره، فكر فجأة في أن هذه الفتاة يمكن أن تكون أخته، لأن العمر متقارب. لكن حين تأمل وجهها، لاحظ أنه لم يعد يذكر وجوه أمه وأبيه وإخوته... لقد رحلوا وانمحووا من ذاكرته.

بعد أربعة أشهر، قام مع اثنين من رفاقه بتر ذراعي الضابط، وشاهدوه وهو يتزف حتى الموت، ليس بسبب الانتقام أو الكراهية، وإنما لأن جبهة تحرير الكونغو وعدتهم بدفع مال أكثر. طوال خمسة أعوام، عاش مما تجنيه غزوات جبهة تحرير الكونغو في

شمال أدغال كيفو، لكن توجب عليهم طوال الوقت الانتباه من العصابات الأخرى؛ علماً أن القرى التي دخلوا إليها قبلاً باتت تعج بالعصابات الأخرى، وبالكاد استطاعوا تحرير أنفسهم. تفاوضت جبهة تحرير الكونغو لبعض الوقت مع الجيش النظامي: تسليم الأسلحة مقابل العفو والتوظيف. لكن المناقشات أخفقت بسبب الأجور.

كانت جبهة تحرير الكونغو تعاني من الجوع واليأس، فهاجمت شركة تنجيم تستخرج القلطان؛ على الرغم من إدراك الجبهة جيداً أن شركات التنجيم تملك أسلحة وجنوداً أفضل منها. لم يتوهم كينزونزي مطلقاً أنه سيعيش حياة طويلة، أو أنه سيموت خارج معركة. لذا، لم تطرف له عين حين جاء ووجد نفسه يحدق في مسدس رجل أبيض يتحدث إليه بلغة أجنبية. اكتفى كينزونزي بالإيماء برأسه له لإنهاء المسألة. بعد شهرين، شفيت جروحها، وباتت شركة التنجيم مركز عمله الجديد.

كان الرجل الأبيض السيد طوني. يدفع السيد طوني مالاً جيداً، لكنه لا يملك أي رحمة إذا لاحظ أدنى مستوى من عدم الإخلاص. نعم، كان يتحدث إليهم، وكان أفضل سيد عرفه كينزونزي. إلا أن كينزونزي لن يتردد لثانية واحدة في إطلاق النار عليه لو استحق ذلك. لكن هذا لم يحصل.

قال كينزونزي لأودري، وهو يحشو مسدسه: "بسرعة". عرف أن موت الشرطي الأبيض قد يتطلب وقتاً إن اعتمد فقط على التفاحة المعدنية التي ستفجر في فمه عندما يفتحان الباب، ولذلك عليه أن يطلق النار عليه دفعة واحدة بهدف الذهاب إلى نيراغونغو بسرعة؛ حيث ينتظر السيد طوني والنساء.

نهض رجل كان جالساً على كرسي يدخن أمام متجر محاذٍ، وضاع في العتمة وهو يتمتم بغضب.

نظر كينزونزي إلى مقبض الباب. المرة الأولى التي جاء فيها إلى هنا كانت لاصطحاب فان بورست. كانت أيضاً المرة الأولى التي يرى فيها الأسطورية ألما. في ذلك الوقت، كان فان بورست ينفق كل ماله على المشروبات والأمن وألما التي لم يكن الاحتفاظ بها رخيصاً البتة. ثم ارتكب فان بورست أسوأ خطأ في حياته بدافع اليأس؛ لقد ابتز السيد طوني وهدده بالذهاب إلى الشرطة. بدا الرجل البلجيكي راضخاً أكثر مما كان متفاجئاً عندما جاءوا وقتلوه. قطعوه إلى قطع كبيرة نسيباً لإطعام الحيوانات الكبيرة خارج مخيم اللاجئين. استولى السيد طوني على ألما؛ ألما صاحبة الوركين الكبيرتين، والأسنان الذهبية، والنظرة المغربية التي أعطت كينزونزي سبباً آخر لإطلاق رصاصة على رأس السيد طوني؛ إذا استحقها يوماً ما.

ضغط كينزونزي على المقبض، وسحب الباب بقوة. فُتح الباب، وإنما توقف في الوسط نتيجة سلك حديدي رفيع مثبت داخل الباب. وعندما أصبح السلك مشدوداً جداً، دَوَّتْ طقطقة قوية وواضحة، وصدح صوت احتكاك معدن بمعدن، مثل صوت إقحام السيف في غمده الحديدي. فتح الباب مصدراً صوت طقطقة. دخل كينزونزي، وجرّ أودري خلفه، وأغلق الباب خلفهما بقوة. تغلغل رائحة التقيؤ الكريهة في أنفيهما.

"أشعل الضوء".

فعل أودري مثلما طلب منه.

حدّق كينزونزي في نهاية الغرفة. على الجدار، تدلت ورقة نقدية مبللة بالدم من مسمار سال منه دم أحمر وصولاً إلى الأرض. وعلى السرير، في بركة من التقيؤ الأصفر، ثمة كرة معدنية مغطاة بالدم خرجت منها إبر طويلة مثل أشعة الشمس. ولكن، ما من شرطي أبيض.

الباب. استدار كينزونزي حول نفسه والمسدس جاهز في يده.

لا أحد هناك.

ركع على ركبتيه ونظر تحت السرير. لا أحد.

فتح أودري باب الخزانة الوحيدة في الغرفة، فوجدها فارغة.

قال أودري لكينزونزي الذي كان يقف قرب السرير ويضغط بإصبعه على الفراش:

"لقد هرب".

سأل أودري، وهو يقترب أكثر: "ما هذا؟".

دم". أخذ كينزونزي المصباح من أودري، ووجهه إلى الأرض. لحق بخبط الدم الذي توقف في الوسط، حيث يوجد باب أفقي في الأرض مع حلقة معدنية. تقدم صوب الباب الأفقي، وفتحه، ووجه المصباح إلى العتمة تحته. "أحضرت سلاحك أودري".

ذهب رفيقه إلى الخارج، وعاد مع كلاشينكوف AK-47.

قال كينزونزي: "غطني". ونزل السلم.

وصل إلى الأسفل، وأمسك بالمسدس والمصباح في يد واحدة فيما برم حول نفسه. وجّه ضوء المصباح إلى كل الخزانات والرفوف الموجودة على الحائط. ثم وجّه الضوء إلى خزانة موضوعة في وسط الغرفة، وفيها أفنعة بيضاء ضخمة على الرفوف. ثمة قناع مع مسامير على الحاجبين، وآخر شبيه جداً بوجه الإنسان مع فم أحمر غير متماثل ممتد إلى الأذن في جهة واحدة، وآخر بعينين فارغتين مع وشم رمح على

كلتا الوجنتين. ثم توقف فجأة، وتصلب جسمه. أسلحة. مسدسات. ذخيرة. الدماغ كمبيوتر مذهل. خلال جزء من الثانية، يستطيع تسجيل أطنان من المعطيات، ومعالجتها والتوصل إلى الجواب الصحيح. لذا، عندما أعاد كينزونزي توجيه الضوء إلى الأقفعة، عرف الجواب الصحيح. انعكس الضوء على القناع الأبيض ذي الفم غير المتماثل. عرض للأضراس. لون أحمر متلألئ؛ تماماً مثلما لمع الدم على الحائط تحت المسمار. لم يتوهم كينزونزي مطلقاً أنه سيعيش حياة طويلة، أو أنه سيموت من غير قتال. طلب دماغه من أصابعه الضغط على زناد المسدس. الدماغ كمبيوتر مذهل. وفي جزء من الثانية، ضغطت الإصبع على الزناد. في الوقت نفسه الذي أنهى فيه الدماغ تحليله المنطقي وصار لديه الجواب، عرف ما ستكون عليه النتيجة.

عرف هاري أنه يوجد حل واحد، ولا يوجد أي وقت لتبديده. لذا، لطم رأسه بالمسمار، وإنما أعلى قليلاً هذه المرة. بالكاد أحس بالمسمار عندما انغرز في وجنته أو عندما ارتطم بالكرة المعدنية في الداخل. ثم أخفض نفسه على السرير، ووضع رأسه على الجدار، وتراجع إلى الخلف بكل وزنه فيما حاول شد العضلات في وجنتيه. في البداية، لم يحصل أي شيء، ثم جاء الغثيان والدعر. إذا تقيأ الآن، وتفاحة ليوبولد في فمه، فسوف يختنق. لكن، لم يكن بالإمكان إيقاف ذلك، إذ بدأ يشعر أن معدته تنقبض لإرسال أول دفعة من التقيؤ عبر المريء. وفي حالة من اليأس، رفع هاري رأسه ووركيه، ثم جعل نفسه يقع بقوة، وأحس باللحم في وجنته يستسلم ويتمزق ويفتح. أحس بالدم يسيل في فمه، وينزل عبر المريء، وينشط ردة فعل السعال، وأحس بالمسمار يرتطم بأسنانه الأمامية. وضع هاري يده في فمه، لكن التفاحة كانت كثيرة الانزلاق نتيجة كل الدم الذي يسيل، وانزلقت أصابعه على المعدن. أدخل يداً واحدة للإمساك بالكرة، فيما أنزل فكه إلى الأسفل باليد الأخرى. سمع صوت احتكاك الكرة بأسنانه، ثم جاء التقيؤ دفعة واحدة.

هذا ما أجبر ربما التفاحة المعدنية على الخروج. استلقى هاري ورأسه على الجدار، وهو ينظر إلى الاختراع المमित اللماع وهو يفرق في قيئه على الفراش تحت المسمار.

ثم نهض عارياً، وارتجفت ساقاه. إنه حرّ.

ترنح صوب الباب الأمامي، ثم تذكر سبب مجيئه إلى هذا المنزل. وفي المحاولة الثالثة، نجح في فتح الباب الأفقي في الأرضية. انزلق على دمه وهو ينزل السلم، ووقع

في سواد حالك. استلقى على الأرض الإسمتية وهو يشهق لتنفس الهواء، وسمع صوت سيارة تتوقف في الأعلى. سمع أصواتاً وباباً ينغلق بقوة. كافح هاري للوقوف على قدميه، وتلمس طريقه في العتمة، ومشى خطوات كبيرة، ووضع يده على الباب الأفقي وأغلقه، فيما سمع الباب الأمامي يفتح، تلته طقطقة التفاحة المعدنية.

نزل هاري السلم بعناية، إلى أن أحس بالأرض الإسمتية الباردة تحت قدميه. ثم أغمض عينيه وحاول استرجاع ما رآه سابقاً. استعاد صورة زيارته السابقة إلى هنا. الرفوف إلى اليسار. كلاشينكوف. غلوك. سميث إند ويسون. العلبة المشتملة على بنديفة ماركلين. ذخيرة. في هذا التسلسل. تلمس طريقه إلى الأمام، وتلمست أصابعه أسطوانة مسدس؛ الفولاذ الناعم لمسدس غلوك. وهناك، تعرفت أصابعه إلى شكل مسدس سميث إند ويسون بعيار 0.38؛ تماماً مثل مسدس الخدمة الخاص به. أخذه، وتلمس طريقه إلى الأمام صوب صناديق الذخيرة. تلمس الخشب بأطراف أصابعه. سمع أصواتاً غاضبة وخطوات في الأعلى. يحتاج فقط إلى فتح الغطاء. يحتاج إلى القليل من الحظ الآن. أدخل يده وأمسك بإحدى العلب الكرتونية. مرر أصابعه على حواف الخرطوشة. اللعنة! ليست كبيرة جداً! فيما رفع غطاء الصندوق الخشبي التالي، فُتح الباب الأفقي. أمسك بالعلبة، إذ توجب عليه المجازفة في أن تكون من العيار الصحيح. في تلك اللحظة، دخل ضوء إلى عتمة القبو، على شكل دائرة، وأضاء الأرضية حول درجات السلم. منح ذلك هاري ضوءاً كافياً لقراءة اللصيقة على العلبة 7.62 مليمترًا. اللعنة! نظر هاري إلى الرف. هناك. العلبة التالية. عيار 0.38. ارتفع الضوء عن الأرض وتمايل على السقف. شاهد هاري خيال رشاش كلاشينكوف في الفتحة ورجلاً ينزل درج السلم.

الدماغ كمبيوتر مذهل.

فيما فتح هاري غطاء الصندوق وأخرج منه علبة كرتونية، أجرى الدماغ حساباته؛

لقد فات الأوان.

كلاشينكوف

قال طوني لايك: "ما كانت لتوجد أي طرق هنا لو لم تكن ندير المناجم". فيما تمايلت السيارة على الطريق الضيقة. "فالمقاولون أمثالي هم الأمل الوحيد بالنسبة إلى أشخاص في بلد مثل الكونغو لينهضوا على أرجلهم، ويلحقوا بنا، ويصبحوا متمدنين. الخيار البديل هو تركهم على سجيّتهم؛ حيث يستمرون في فعل ما فعلوه دوماً: أي قتل بعضهم بعضاً. جميع من في هذه القارة قتلة وضحايا في الوقت نفسه. لا تنسي ذلك وأنت تنظرين إلى العينين المتوسلتين لطفل أفريقي يتضور جوعاً. أعطيه القليل من الطعام وستنظر إليك تانك العينان المتوسلتان مجدداً؛ من وراء سلاح أوتوماتيكي. وحينها، لا توجد أي رحمة".

لم تجب كاجا، وإنما حدقت في الشعر الأحمر للمرأة الجالسة قرب السائق. لم تتحرك لين غالتونغ ولم تتفوه بأي شيء، وإنما جلست هناك فقط بظهر مستقيم وكتفين منكشيتين.

تابع طوني القول: "كل شيء في أفريقيا يسير وفق دورات. المطر والجفاف، الليل والنهار، الأكل والتعرض للجوع، العيش والموت. مسار الطبيعة هو كل شيء، ولا يمكن تغيير أي شيء، وإنما فقط السباحة مع التيار، والصمود لأطول وقت ممكن، وتلقي ما يعرض عليك. هذا كل ما يمكنك فعله؛ لأن حياة أسلافك هي حياتك. لا يمكنك التغيير، والتطور غير ممكن. ليست هذه فلسفة أفريقية، وإنما خبرة أجيال. والواقع أن الخبرة هي التي يجب أن تتغير. فالخبرة هي التي تبدل العقول، وليس العكس". قالت كاجا: "وهل أطلعتك خبرتك أن الناس البيض يستغلونك؟".

أجاب طوني: "فكرة الاستغلال اخترعها الرجال البيض. لكن، تبين أن هذا التعبير بمثابة أداة مفيدة للزعماء الأفارقة الذين يحتاجون إلى الإشارة إلى عدو مشترك لحشد شعبهم ورائهم. منذ أيام الحكومات الاستعمارية في ستينيات القرن العشرين، استخدموا مشاعر الذنب عند الناس البيض لاكتساب القوة، حيث يمكن أن يبدأ الاستغلال الحقيقي للشعب. إحساس البيض بالذنب لأنهم استعمروا أفريقيا مقرف فعلاً. فالجريمة الحقيقية

كانت ترك الأفارقة على أهوائهم القاتلة والمدمرة. صدقيني كاجا، لم يعرف الكونغوليون زمناً أفضل من ذلك الذي حكم فيه البلجيكيون. فالثورات لا أساس لها في إرادة الشعب، وإنما في جشع الأفراد للسلطة. مجموعات صغيرة حطمت منازل البلجيكيين هنا قرب بحيرة كيفو لأن المنازل كانت أنيقة جداً، وافترض أفراد تلك المجموعات أنهم سيعشرون فيها على شيء يرغبون فيه. هكذا كانت الأمور، ولا تزال هكذا. لهذا السبب، تملك المنازل دوماً بايين، واحداً في كل جهة. واحد يدخل منه السارقون، وآخر يستطيع السكان الهروب منه".

"إذاً، ألهذا السبب غادرت المنزل من دون أن أراك؟".

ضحك طوني. "هل تعتقدين فعلاً أنك كنت تلاحقينا؟! نحن نراقبكما منذ أن وصلتما. غوما مدينة صغيرة، فيها القليل من المال مع هيكلية قوة واضحة. كانت سداجة منكما أنت وهاري أن تأتيا بمفردكما".

قالت كاجا: "من الساذج؟ ماذا سيحصل برأيك حين يتبين اختفاء شرطين نروجيين في غوما؟".

حدّب طوني كتفيه. "الخطف مسألة شائعة نسبياً في غوما. لا يفاجئني الأمر إذا تلقت الشرطة المحلية رسالة من مقاتل متمرد يطلب فيها مبلغاً كبيراً من المال للإفراج عنكما، بالإضافة إلى إطلاق سراح سجناء يُعرف عنهم أنهم معارضون بارزون لنظام الرئيس كاييلا. تستمر المفاوضات بضعة أيام، لكنها لا تفضي إلى أي شيء؛ لأنه يستحيل طبعاً تلبية الطلبات. وبعد ذلك، لن يراكما أحد مجدداً. إنها مسألة عادية كاجا".

حاولت كاجا رؤية عيني لين غالتونغ في المرأة، لكنها أبقت نظرها بعيداً.

قالت كاجا: "ماذا عنها؟ هل تعرف أنك قتلت كل أولئك الأشخاص طوني؟".

أجاب طوني: "أصبحت تعرف الآن، وتفهمني. هذا هو الحب الحقيقي كاجا. ولهذا السبب، سوف نتزوج أنا ولين هذا المساء. أنت مدعوة!". ضحك. "نحن في طريقنا إلى دار العبادة. أعتقد أن الجو سيكون رومانياً جداً حين نعلن الإخلاص الأبدي لبعضنا البعض، أليس كذلك لين؟".

في تلك اللحظة، انحنت لين إلى الأمام في مقعدها، وفهمت كاجا سبب انكماش كتفها. كانت يداها مكبلتين خلف ظهرها بزوج من الأغلال. انحنى طوني إلى الأمام، وأمسك بكتف لين، ودفع ظهرها بخشونة. حينها، استدارت لين للنظر إليهما، وأجفلت كاجا مذعورة. كانت لين غالتونغ في مظهر يجعل التعرف إليها مستحيلاً. فقد كان وجهها مغطى بالدموع، مع عين متورمة، وقد أجبرت على فتح فمها بطريقة جعلت

شفتيها تبدوان بشكل O. ودخل الفم المفتوح، لمحت كاجا معدناً باهتاً؛ كرة ذهبية تدلى سلك معدني أحمر اللون منها.

الكلمات التي تتمم بها طوني كانت بالنسبة إلى كاجا صدى عرض آخر للزواج على عتبة الموت، دفن في الثلج: إلى أن يفرقنا الموت.

انزلق هاري وراء رف الأقفعة، فيما نزل الشخص على السلم واستدار وأضاء مصباحه. لا يوجد أي مكان للاختباء فيه، وإنما مجرد عدّ عكسي إلى حين انكشاف أمره. أغمض هاري عينيه كي لا يعميه ضوء المصباح، فيما فتح علبة الخراطيش بيده اليسرى. أخذ أربع رصاصات. عرفت أصابعه جيداً شكل الرصاصات الأربع. برم الأسطوانة إلى اليسار بيده اليمنى، وأفسح المجال أمام الحركات اللاإرادية؛ تماماً مثلما فعل حين كان جالساً بمفرده في كابريني غرين يتمرن على حشو المسدس بسرعة لمجرد الإحساس بالضجر. لكنه ليس بمفرده هنا. وليس ضجراً جداً. ارتجفت أصابعه. شاهد اللون الأحمر داخل جفنيه فيما سطع الضوء على وجهه. استجمع قواه، لكن الطلقات النارية لم تصدر. تحرك الضوء. لم يمت، ليس بعد. أطاعته أصابعه. دفعت الرصاصات الأربع في الحجرات الفارغة في الأسطوانة، ثم استرخت وأغلقت الأسطوانة بسرعة. فتح هاري عينيه، فيما سطع الضوء على وجهه. أصيب بالعمى فأطلق النار باتجاه الضوء.

ارتفع الضوء إلى الأعلى، صوب السقف، ثم اختفى. صدح صدى الطلقات النارية في الهواء، فيما تدرج المصباح حول نفسه على الأرض، وأصدر ضجيجاً قوياً مع ضوء خفيف تحرك حول الجدران مثل المنارة.

"كينزونزي! كينزونزي!"

توقف المصباح عن الدوران قرب الرف. أسرع هاري إلى الأمام وأمسك به، ثم برم على ظهره، حاملاً المصباح على مسافة ذراع، بأبعد شكل ممكن عن جسمه، ودافعاً ساقيه على خزانة الرفوف للتوجه قدر الإمكان صوب السلم إلى أن أصبح الباب الأفقي مباشرة فوقه. ثم جاءت الرصاصات، وبدت مثل هسيس السوط، وأحس برذاذ غبار الإسمت يتطاير على ذراعه وصدرة قبل أن يسقط على الأرض قرب المصباح. صوّب هاري المسدس وأطلق النار على الشخص الواقف قرب الباب الأفقي؛ ثلاث طلقات سريعة.

وقع رشاش الكلاشينكوف أولاً. ارتطم بالأرض قرب رأس هاري، ودوى صوته

عالياً، ثم وقع الرجل. نجح هاري في إبعاد نفسه قبل أن يقع الرجل. لا توجد مقاومة. مجرد لحم. وزن ميت.

ساد الهدوء لثانيتين، ثم سمع هاري الرجل كينزوني - إذا كان هذا اسمه - يصدر أنيناً خفيفاً. نهض هاري وهو لا يزال يمسك بالمصباح إلى جانبه، وشاهد مسدس غلوك مستلقياً على الأرض قرب كينزوني، فركله بعيداً، وأمسك برشاش الكلاشينكوف. جرّ الرجل الآخر إلى الجدار، حيث أصبح بعيداً قدر الإمكان عن كينزوني، ووجه الضوء عليه. كانت ردة فعله تماماً مثل ردة فعل هاري. فقد أعماه الضوء وأطلق النار في الهواء. لاحظت عينا التحري هاري أن المساحة بين فخذي الرجل مليئة بالدم. لا بد أن الرصاصة تابعت طريقها حتى معدته لكنها لم تقتله. ثمة كتف تتزف، وبالتالي دخلت رصاصة على الأرجح تحت إبطه. ذلك يبرر سبب سقوط الكلاشينكوف أولاً. جلس هاري القرفصاء. لكن هذا لا يبرر سبب عدم تنفس الرجل.

وجه الضوء صوب وجهه. لماذا لا يتنفس الصبي؟!

دخلت الرصاصة تحت ذقنه؛ من الزاوية التي أطلق النار فيها، لا بد أن الرصاصة قد دخلت فمه، وعبرت حنكه ووصلت إلى دماغه. استنشق هاري الهواء. لا يمكن أن يكون عمر الصبي أكثر من ستة عشر عاماً أو سبعة عشر. إنه صبي وسيم إجمالاً. وقف هاري ووضع فوهة المسدس على رأس الرجل الميت وصرخ: "أين هم؟ سيد لايك. طوني. أين؟".

انتظر قليلاً.

"ماذا؟ ارفع صوتك. لا أستطيع سماعك. أين؟ ثلاث ثوانٍ. واحد. اثنان...". ضغط هاري على الزناد. لا بد أن السلاح كان ملقماً بصورة تلقائية لأن الرصاصات انطلقت منه أربع مرات على الأقل قبل أن ينجح في إبعاد إصبعه. أغمض هاري عينيه حين لطمّ الدم وجهه، وعندما فتحهما مجدداً لاحظ أن قسمات الصبي الوسيمة قد تحطمت. لاحظ هاري دماً أحمر ساخناً يجري على جسمه العاري.

داس هاري فوق كينزوني، ثم أزاحه جانباً، ووجّه المصباح على وجهه، ووضع المسدس على جبينه، وكرر السؤال نفسه كلمة كلمة.

"أين هم؟ سيد لايك. طوني. أين؟ ثلاث ثوانٍ...".

فتح كينزوني عينيه، ولاحظ هاري أنه خائف. الذعر من الموت دليل واضح على الرغبة في الحياة. لا بد أن يكون الأمر هكذا، على الأقل في غوما. أجاب كينزوني، ببطء ووضوح.

دار العبادة

استلقى كينزونزي ساكناً جداً. وضع الرجل الأبيض المصباح على الأرض حيث يضيء السقف. راقبه كينزونزي وهو يرتدي ملابس أودري. راقبه وهو يمزق قميصه القطني إلى أشرطة طويلة ويربطها حول ذقنه ورأسه لتغطية الفك المتدلي إلى الأسفل، والجرح الممتد من فمه إلى أذنه. شدّ الرباط جيداً لمنع الفك من التدلي على جانب واحد. ملأ الدم الأشرطة القطنية فيما راقبه كينزونزي.

أجاب عن الأسئلة القليلة التي طرحها الرجل الأبيض. أين؟ كم عددهم؟ ما هي الأسلحة التي لديهم؟

بعد ذلك، ذهب الرجل الأبيض إلى الرف، وسحب علبة سوداء، وفتحها وتأمل محتوياتها.

عرف كينزونزي أنه سيموت موتاً عنيفاً ومفاجئاً. لكن ليس الآن ربما، ليس الليلة. ألمته معدته كما لو أن أحداً سكب حمضاً عليها؛ لكن لا بأس.

أمسك الرجل الأبيض بكلاشينكوف أودري وتحرك صوب كينزونزي، وقف فوقه والضوء خلف ظهره. قامة طويلة مع رأس ملفوف بقماش أبيض؛ تماماً مثلما يربطون ذقن الميت قبل دفنه. إذا كان سيطلق النار على كينزونزي، فسي فعل ذلك الآن. أفلت الرجل القطع الممزقة التي لم يستخدمها فوق كينزونزي.

"تدبر أمرك".

سمعه كينزونزي يتأوه ألماً فيما كان يتسلق السلم. أغمض كينزونزي عينيه. إذا لم ينتظر طويلاً، فسيتمكن من وقف النزف قبل أن يغمى عليه نتيجة خسارة الكثير من الدم. وسيتمكن من الوقوف على رجليه، والزحف إلى طريق، وإيجاد أشخاص هناك. وقد يكون محظوظاً؛ قد لا يتمكنون إلى فصيلة صقور غوما. قد يجد ألماً. قد يجعلها له؛ لأنها لا تملك رجلاً الآن. ولم يعد كينزونزي يملك أي سيد عمل. لقد رأى ما أخذه معه الرجل الأبيض الطويل في العلبة.

أوقف هاري سيارة الرانج روفر أمام جدران دار العبادة المنخفضة، قرب سيارة الهيونداي القديمة التي كانت لا تزال هناك.

ثمة سيجارة تومض في السيارة.

أطفأ هاري المصابيح الأمامية للسيارة، وأنزل زجاج النافذة، وأخرج رأسه منها.
"سول!"

شاهد هاري السيارة تومض أكثر، ثم خرج سائق التاكسي.

"هاري! ماذا حصل؟! وجهك...".

"لم تجر الأمور مثلما توقعت. لم أتخيل أنك لا تزال موجوداً هنا".

"ولِمَ لا؟ لقد دفعت لي أجره يوم كامل". مرر سول يده فوق محرك الرانج روفر.
"سيارة جميلة. أهى مسروقة؟".

"مستعارة".

"سيارة مستعارة، وملابس مستعارة أيضاً؟".

"نعم".

"مع دم أحمر. هل تخصص صاحب السيارة؟".

"فلتترك هذه السيارة هنا سول".

"هل أرغب فعلاً في هذه الرحلة هاري؟".

"ربما لا. لكن، هل يفيد القول إنني واحد من الرجال الجيدين؟".

"آسف، لكننا نسينا في غوما ما يعنيه ذلك هاري".

"مم. هل تفيدك مئة دولار سول؟".

أجاب سول: "مئتان".

أوماً هاري برأسه.

"... وخمسون".

نزل هاري من السيارة، وجعل سول يستلم المقود.

سأل سول: "هل أنت واثق أنهم توجهوا إلى هناك؟". فيما انطلقت السيارة على

الطريق.

أجاب هاري من المقعد الخلفي: "نعم. أخبرني شخص ما أنه المكان الوحيد

الذي يستطيع الأشخاص في غوما الوصول منه إلى السماء".

قال سول: "لا أحب هذا المكان".

قال هاري: "حقاً؟!". وفتح العلبه قربه. الماركليين. التعليمات حول كيفية جمع

أجزاء البندقية مع بعضها كانت مكتوبة داخل الغطاء. باشر هاري في القيام بتلك المهمة.
"أرواح شريرة".

"لقد درست في أوكسفورد، أليس كذلك؟". باتت القطع المعدنية الباهتة مثبتة
في مكانها.

"لا تعرف أي شيء عن ذلك مثلما أعتقد".

قال هاري: "لا، لكنني أعرف هذه". ورفع إحدى الخراطيش من مكانها في العلبة
وتابع: "وسوف أوجهها على الأرواح الشريرة".

الضوء الداخلي الأصفر الضعيف جعل غطاء الخرطوشة ذهبي اللون يلمع. يبلغ
قطر الرصاصة في الداخل ستة عشر مليمترًا. إنه أكبر عيار في العالم. عندما كان
يعدّ التقرير حول تحقيق "الثدي الأحمر"، أخبره خبير في القذائف البالستية أن عيار
الماركلين يتخطى كل الحدود المعقولة؛ حتى لصيد الفيلة. إنه مناسب أكثر لإسقاط
الأشجار.

ثبّت هاري المنظار التلسكوبي في مكانه. "حاول زيادة سرعتك سول".

وضع الأسطوانة على أعلى المقعد الشاغر قرب السائق، وجربّ الزناد فيما أبقي
عينيه بعيدتين قليلاً عن المنظار بسبب الطريق الوعرة. يحتاج المنظار إلى بعض التعديل
والضبط. لكن، لن يكون هناك مجال لفعل ذلك.

وصلوا. نظرت كاجا إلى خارج النافذة؛ إلى الأضواء المبعثرة تحتهم، تلك هي
غوما. وفي البعيد، رأت سفينة نפט مضاءة في بحيرة كيفو. تلاًلاً شعاع القمر على
الماء الأسود المخضّر. آخر جزء من الطريق لم يكن سوى طريق مليء بالغبار يلتف
حول القمة، وتمايلت المصابيح الأمامية للسيارة على سطح القمر الأسود العاري.
عندما وصلوا إلى أعلى سهل مرتفع، وهو عبارة عن قرص مسطح من الصخر قطره
مئة متر تقريباً، توجه السائق صوب الطرف البعيد، عبر سحب من الدخان الأبيض
المصبوغ بالأحمر قرب فوهة بركان نيراغونغو.
أطفأ السائق المحرك.

قال طوني: "هل أستطيع أن أطرح عليك سؤالاً؟ عن شيء فكرت فيه كثيراً خلال
الأسابيع القليلة الماضية. ما هو إحساسك عندما تعرفين أنك ستموتين؟ لا أقصد كيف
يبدو الإحساس بالخوف بالنسبة إليك لأنك في خطر؛ فقد جربت هذا بنفسني مرات
عدة في حياتي. لكن، ما هو إحساسك وأنت واثقة تماماً بأن حياتك ستوقف الآن.

هل تستطيعين... وصف ذلك؟". انحنى طوني إلى الأمام للنظر إلى عينيها. "خذي وقتك لإيجاد الكلمات المناسبة".

نظرت كاجا إلى عينيها، وتوقعت أن تشعر بالذعر. لكن هذا لم يحصل. على الصعيد العاطفي، كانت جرداء تماماً مثل الأرض حولهم. قالت: "لا أشعر بأي شيء".

قال: "هيا، بالله عليك! كان الآخرون خائفين جداً حيث عجزوا عن الإجابة، وإنما اكتفوا بالهذيان. كانت شارلوت لوليس مشلولة؛ كما لو أنها في صدمة. أمّا الياس سكوغ فلم يستطع جعل كلامه مفهوماً. والذي بكى. هل هي مجرد فوضى؟ أم إن هناك بعض التفكير؟ هل تشعرين بالحزن أو بالندم أو بالارتياح لأنك لست مضطرة للكفاح بعد الآن؟ انظري إلى لين مثلاً، لقد استسلمت وهي ذاهبة لملاقة حتفها مثل الحمل الوديع. كيف الحال معك كاجا؟ كم تتوقين إلى التخلي عن السيطرة؟". استطاعت كاجا رؤية فضول حقيقي في عينيها.

قالت: "دعني أسألك بدل ذلك طوني: كم تتوق إلى اكتساب السيطرة؟! فقد قتلت شخصاً تلو الآخر، تحت إشراف شخص غير منظور تبين أنه شاب قطعت بنفسك لسانه. هل تستطيع إخباري؟".

نظر طوني إلى البعيد قليلاً، وهز رأسه ببطء كما لو أنه يجيب عن سؤال آخر. "لم تكن لدي أي فكرة إلى أن قرأت عبر شبكة الإنترنت أن الشرطي الطيب سكاى ألقى القبض على شخص من قريتي. أول، ليس أكثر. من كان يظن أنه يملك كل تلك الشجاعة؟".

"تقصد الكراهية، أليس كذلك؟".

أخذ طوني المسدس من جيبه، وتحقق من ساعته.

"تأخر هاري".

"سيأتي".

ضحك طوني. "ولكن من دون حياة هذه المرة. بالمناسبة، أحببت هاري؛ فعلاً. كان اللعب معه ممتعاً. اتصلت به من أوستاوسيت - كان قد أعطاني رقمه - وسمعت صوت المجيب الصوتي يقول إنه سيكون خارج الإرسال لمدة يومين. جعلني ذلك أضحك. كان في شاليه هافاس طبعاً". وضع طوني المسدس في راحة يده، فيما ربت على الفولاذ الأسود باليد الأخرى. "لاحظت ذلك فيه عندما التقينا في مركز الشرطة؛ إنه يشبهني".

"أشك في ذلك".

"أوه بلى. إنه رجل مجنون، مدمن مخدرات، رجل يفعل ما يجب فعله للحصول على ما يريد، يمشي فوق الجثث عند الضرورة. أليس هذا صحيحاً؟".
لم تجب كاجا.

تحقق طوني من ساعته مجدداً ثم قال: "أعتقد أننا سنبدأ من دونه".
سوف يأتي، ففكرت كاجا في سرّها، عليّ المراوغة للحصول على المزيد من الوقت.

قالت: "لقد هربت إذأ؟ باستعمال جواز سفر والدك وأسانه؟".

نظر إليها طوني.

عرفت أنه أدرك ما تقوم به، وأنه أحب ذلك أيضاً. فقد أحبّ فكرة إخبارها كيفية تمكنه من خداعهم جميعاً.

"هل تعرفين شيئاً كاجا؟ أتمنى لو كان والدي هنا ليراني الآن. هنا، على قمة جبلي. لرؤيتي وفهمي - قبل أن أقتله - تماماً مثلما تفهم لين أنها يجب أن تموت، وتتماً مثلما أمل أن تفهمي كاجا".

أحسّت بذلك الآن؛ أحسّت بالخوف، خوف جسدي أكثر مما هو نوبة ذعر ستجعل عقلها المفكر ينفجر. رأت بوضوح، وسمعت بوضوح، وفكرت بوضوح. نعم، بوضوح أكثر من أي وقت مضى، ففكرت في سرّها.

قالت بصوت أجش الآن: "بدأت تقتل لإخفاء حقيقة عدم إخلاصك، لحماية ملايين آل غالتونغ. لكن، ماذا عن الملايين التي سرقتها من لين هنا؟ هل هي كافية لإنقاذ مشروعك؟".

ابتسم طوني وهو يمسك بمسدسه. "لا أعرف. علينا أن نرى".

"هل يستحق الأمر ذلك طوني؟ هل يستحق فعلاً القضاء على كل تلك الحيوانات؟".

شهقت كاجا فيما وضع المسدس بين ضلوعها، وهمس طوني في أذنها:
"انظري حولك كاجا. إنه مهد البشرية. انظري إلى ما تساويه الحياة البشرية. يموت البعض ويولد المزيد منهم في سباق محموم لا نهاية له، في حلقة مفرغة؛ حيث لا قيمة لأية حياة أكثر من الأخرى. لكن اللعبة منطقية؛ الشغف، الحماسة، الإدمان على المقامرة، مثلما يسميها بعض المغفلين. إنها كل شيء. إنها مثل بركان نيراغونغو. إنها مستنفدة لكل شيء، ومدمرة لكل شيء، لكنها شرط أساسي لكل الحياة. إن لم

يكن هناك شغف أو معنى أو حمم تغلي في الداخل وسيصبح كل شيء في الخارج مثل حجارة ميتة وجامدة. الشغف كاجا، هل عرفته يوماً؟ أم إنك بركان ميت؛ مجرد ذرة غبار بشرية، يمكن تلخيصها في ثلاث عبارات خلال الجنازة؟".

نظرت كاجا بعيداً عن المسدس، وضحك طوني بسرور.

"هل أنت مستعدة للزفاف كاجا؟ هل أنت مستعدة للذوبان؟".

شمت رائحة الكبريت القوية. لقد فتح السائق الباب، وراقب كاجا من دون مبالاة، ووجه إليها مسدساً قصيراً. حتى هنا في السيارة، على مسافة عشرة أمتار من حافة الفوهة، أحست بالحرارة القوية جداً. لم تتحرك. انحنى صوبها الرجل الأسود وأمسك بذراعها، تركته يشدها من دون أن تقاوم البتة، وإنما حرصت على أن تكون ثقيلة جداً حتى يختل توازنه؛ لكي يتفاجأ بها حين تقفز فجأة ويفقد توازنه. كان الرجل خفيفاً جداً وأقصر منها قليلاً. لطمته بمرفقها، فقد عرفت أنه أقوى من معصمها. عرفت أن العنق والصدغ والأنف أهداف جيدة. ارتطم المرفق بشيء أحدث صوتاً، ثم سقط الرجل وأفلت سلاحه. رفعت كاجا قدمها، فقد سمعت أن الطريقة الأكثر فاعلية لبطح شخص ما أرضاً ضربة على الفخذ. فالجمع بين ضرب كل الجسم من الأعلى وضغط الأرض من الأسفل سيؤدي فوراً إلى حصول نزف واسع في عضلات الفخذ؛ مما يجعل الشخص عاجزاً عن النهوض. أما الحل البديل فهو الضرب على الصدر والعنق وإحداث عواقب مميتة ربما. ثبتت عينيها على العنق المكشوف عندما سطع ضوء القمر على وجه الرجل. ترددت جزءاً من الثانية؛ لا يمكن أن يكون أكبر من إيفن. أحست أن شخصاً ما يطوقها من الخلف، ويجعل ذراعها على جانبيها؛ حيث خرج الهواء من رثتها عندما جرى رفعها عن الأرض، وركلت بساقيها ولكن من دون جدوى. صوت طوني القريب من أذنها بدا مرحاً.

"جيد، كاجا. شغف. تريدان العيش. سأحرص على أن يتم حسم راتبه. أعدك".

الرجل الممدد على الأرض أمامها نهض على رجليه وأمسك بسلاحه. لقد اختفت اللامبالاة الآن، وسطع الغضب في عينيه.

ثبت طوني يديها خلف ظهرها، وأحست بأربطة بلاستيكية رقيقة تربط حول معصمها.

قال طوني: "إذاً، هل أستطيع أن أطلب منك أن تكوني مرافقة لين، أنسة

سولنس؟".

والآن، جاءت اللحظة الحاسمة أخيراً؛ الذعر. أفرغ دماغها من كل شيء آخر،

وجعله فارغاً ونظيفاً ووحشياً. سهلاً. صرخت عالياً.

الزفاف

وقفت كاجا عند الحافة تنظر إلى الأسفل. ارتفع الهواء الحارق ولفح وجهها مثل نسمة ساخنة. جعلها الدخان السام تشعر بالدوار، لكن الهواء المرتجف ربما هو الذي جعل رؤيتها غير واضحة، وجعل الحمم ترتجف؛ هناك في الأسفل في القعر، حيث سلطت باللونين الأصفر والأحمر. انسدلت خصلة شعر على وجهها، لكن يديها مكبلتان خلف ظهرها بأربطة بلاستيكية. وقفت جنباً إلى جنب مع لين غالتونغ التي - مثلما افترضت كاجا - بدت مخدرة من طريقة وقوفها، وهي تحدق فيها مثل الإنسان الذي يسير وهو نائم. بدت مثل جثة شاحبة مع جليد وأرض قاحلة داخلها؛ دمية ترتدي ملابس مثل العروس التي تقف قرب نافذة مصنع الجبال.

كان طوني مباشرة خلفهما. أحست بيده على أسفل ظهرها. همس قائلاً: "هل تقبلين بالرجل الواقف إلى جانبك زوجاً لك، وتعدينه بالحب والشرف والاحترام في السراء والضراء، في الفقر والغنى، في المرض والصحة...". شرح أن هذا ليس بدافع الوحشية، وإنما هو فقط مسألة عملية. لن يبقى أي أثر منهما. الناس في الكونغو يخفتون كل يوم. "ها أنا أعلنكما زوجاً وزوجة".

تمت كاجا: "... لأنه يستحيل عليّ وعلى الشخص الذي أريده أن نكون معاً". إنها كلمات رسالة الوداع التي كتبها إيفن. سُمع صوت محرك سيارة تقترب فيما لمعت أضواء المصابيح الأمامية في السماء. ظهرت سيارة الرانج روفر في الجهة الأخرى من الفوهة. قال طوني: "وها قد وصل الآخرون. لوّحا لهم بتحية الوداع أيتها الفتاتان الطيبتان".

لم يتخيل هاري المشهد الذي ينتظره عندما أصبحا قرب فوهة البركان. قال كينزوني إنه باستثناء الفتاتين، اصطحب السيد طوني سائقه فقط معه. لكنه والسيد

طوني يحملان أسلحة أوتوماتيكية.

قبل أن يصلا إلى القمة، عرض هاري على سول فرصة إنزاله من السيارة، لكنه رفض. "لم تبقَ لدي أي عائلة هاري. قد يكون صحيحاً أنك إنسان جيد. في أي حال، دفعت لي أجرة يوم كامل".
توقفا فجأة.

سطعت المصاييح الأمامية للسيارة على الفوهة، وأنارت مجموعة من ثلاثة أشخاص واقفين على الحافة. ثم اختفوا في سحابة، لكن هاري رآهم جيداً واستوعب الوضع: رجل يحمل مسدساً يقف خلفهم هم الثلاثة. سيارة رانج روفر واحدة مركونة. لا وقت. ثم اختفت السحابة، ورأى هاري طوني والرجل الآخر وقد وضعا أيديهما فوق عيونهما وهما يراقبان السيارة؛ كما لو أنهما يتوقعان شيئاً.

قال هاري من حيث يجلس على المقعد الخلفي، وهو يجعل الماركلين يتكئ على المقعد الأمامي: "أطفئ المحرك، وإنما اترك أضواء المصاييح الأمامية منارة".
فعل سول مثلما طلب منه.

ركع الرجل الذي يرتدي ثياباً مرقطه ووضع سلاحاً على كتفه وصوّب.
قال هاري، وهو يضع عينه على المنظار: "أطفئ الأنوار وأشعلها مرتين متتاليتين. إنهم ينتظرون إشارة من نوع ما".

أغمض هاري عينه اليسرى نصف إغماضة، وتجاهل نصف العالم. تجاهل الوجوه الضعيفة، وحقيقة أن كاجا كانت هناك، وأن لين واقفة هناك مع وجنتين منفتحتين وعينين مغمضتين، إن هذه الثواني مهمة جداً. تجاهل العينين الفيروزييتين اللتين تأملتاه ملياً فيما قال: "أقسم". تجاهل صوت الرصاصة الذي صدح، والمنذر بأنهما أرسلتا إشارة خاطئة. تجاهل الصوت عندما ارتطمت تلك الرصاصة بالسيارة، وتلاه صوت آخر. تجاهل كل شيء غير مرتبط بانعكاس الضوء على الزجاج الأمامي، وبانعكاس الضوء في الحرارة المرتفعة فوق الفوهة، وبالانحراف المحتمل للرصاصة إلى اليمين؛ تماماً مثل الاتجاه الذي سلكته سحب البخار. عرف أن شيئاً واحداً الآن يدفعه إلى الصمود، ألا وهو الأدرينالين. عرف أن تأثير ذلك المنبه الطبيعي سيكون قصيراً، وأنه سوف يختفي خلال ثانية. لكن، طالما أن قلبه لا يزال يضخ الدم إلى دماغه، فإن هذه الثانية هي التي يحتاج إليها. لأن الدماغ كمبيوتر مذهل. كان رأس طوني لايك مخبأ جزئياً برأس لين، وإنما أعلى منه قليلاً.

صوّب هاري السلاح على أسنان كاجا، ثم انتقل إلى الكرة المشعة بين شفتي

لين، ورفع المنظار أعلى قليلاً. ما من ضبط دقيق. إنه الحظ. هذه فرصته الأخيرة.
ثمة سحابة من البخار آتية من جهة اليسار.
سوف تخفيهم جميعاً بعد قليل، كما لو أنه حصل على ثانية واحدة فقط من
الرؤية الواضحة. فهم هاري الأمر: عندما تمرّ السحابة، فلن يبقى أحد واقفاً عند الفوهة.
ضغط هاري على الزناد. رأى كاجا تطرف بعينيها على الفور.
أقسم.
تدخل القدر أخيراً.

بدا وكأن داخل السيارة سينفجر مع الصوت. ارتجّت كتفه كما لو أنها انخلعت
عن المفصل. حصل ثقب صغير في الزجاج الأمامي للسيارة، ثم غطت سحابة من
الدم الأحمر كل شيء في الجهة الأخرى من الفوهة. أخذ هاري نفساً عميقاً وانتظر.

مارلون براندو

كان هاري مستلقياً على ظهره وهو يطفو. يطفو بعيداً، ويغرق في بحيرة كيفو، فيما اختلط الدم - دمه ودم الآخرين - مع ماء البحيرة، وأصبحت مزيجاً واحداً، واختفى كل شيء في نوم الكون العميق، وانطفأت النجوم فوقه في الماء البارد الأسود. سلام في الأعماق. صمت. لا شيء. إلى أن عاد وطفا على السطح مع فقاع من غاز الميثان، وجثة باللون الكحلي ملاًها الدود الناهش للحم الذي تحرك صعوداً من تحت الجلد. وتوجب عليه الخروج من بحيرة كيفو للعيش؛ للانتظار.

فتح هاري عينيه، وشاهد شرفة الفندق فوقه. برم على جانبه، وسبح الأمتار القليلة للوصول إلى الشاطئ، ثم خرج من الماء.

سوف ينبلع الفجر قريباً. سيكون عما قريب جالساً في الطائرة العائدة إلى أوصلو. سيعود قريباً إلى مكتب غونار هاغن ليخبره أن كل شيء قد انتهى. وأنهم رحلوا، رحلوا إلى الأبد. وأنهم فشلوا، وأنه سيحاول هو أيضاً أن يرحل.

ارتجف هاري بشدة، ولفّ نفسه بالمنشفة البيضاء الكبيرة، ومشى صوب السلالم المؤدية إلى غرفته في الفندق.

عندما انجلت السحابة، لم يكن أحد واقفاً قرب حافة الفوهة.

بحث منظار هاري تلقائياً عن الرجل الذي كان يحمل السلاح. وجده وكان على وشك إطلاق النار، لكنه اكتشف أنه ينظر إلى ظهر الرجل، المتجه صوب السيارة. ثم أدار محرك سيارة الرانج روفر ومرّ أمامهم وانطلق.

وجّه هاري المنظار إلى حيث رأى كاجا وطوني ولين. عدّل عدسة المنظار جيداً، وشاهد آثار الأقدام؛ ثلاث مجموعات.

رمى البندقية جانباً، وقفز خارج السيارة، وبرم حول الفوهة وهو يحمل مسدسه أمامه. ركض وهو يدعو، ثم ركع على ركبتيه قريههم. عرف أصلاً أنه خسر قبل أن يركز.

فتح هاري باب غرفته في الفندق. ذهب إلى الحمام، وأزال الضمادات الرطبة عن رأسه، ووضع أخرى جديدة حصل عليها من مكتب الاستقبال. القطب المؤقتة ثبتت وجته جيداً. إنها مسألة مختلفة مع فكه. كانت حقييته موضبة وموضوعة قرب

السري، والملابس التي سيرتديها للسفر معلقة على الكرسي. أخرج علبة السجائر من جيب سرواله، وخرج إلى الشرفة، وجلس على أحد الكراسي البلاستيكية. نجح البرد في إخمام الألم الذي يشعر به في فكه ووجته. نظر إلى البحيرة الفضية المتألثة التي لن يراها أبداً مجدداً طالما هو على قيد الحياة.

إنها مية. الرصاصة البالغ قطرها ستيمتراً ونصف الستيمتر اخترقت عينها اليمنى وأخذت معها نصف رأسها، وأخرجت أسنان طوني البيضاء الكبيرة من جمجمته، وأحدثت فتحة في الجهة الخلفية من رأسه؛ ناثرة كل شيء معها على صخرة بركانية مساحتها مئة متر مربع.

بصق هاري. بصق مخاطاً أخضر عليهما وتراجع إلى الخلف.

أخرج سيجارتين من العلبة، ووضعهما بين شفتيه، وأحس بهما تتحركان صعوداً ونزولاً مع أسنانه الممطقة. ستغادر الطائرة بعد أربع ساعات. تدبّر أمر ذهابه إلى المطار مع سول. كان هاري مرهقاً جداً لدرجة أنه بالكاد استطاع فتح عينيه، لكنه لم يرغب أيضاً في النوم. لم يسمح للأشباح بالدخول في الليلة الأولى.

قالت: "مارلون براندو".

أجاب هاري: "ماذا؟". وهو يشعل السيجارتين ويعطيها واحدة.

"إنه الممثل المشهور الذي لم أستطع تذكره. يملك الصوت الأكثر أنثوية على الإطلاق، وفم امرأة أيضاً. بالمناسبة، هل لاحظت أنه يبلع؟ ليست اللثغة مسموعة، لكنها موجودة، مثل لكنة لا تحسبها الأذن صوتاً، وإنما يتولى الدماغ تسجيلها في أي حال".

قال هاري، وهو يستنشق الهواء ويراقبها: "أعرف ما تقصدينه".

كانت مغطاة برذاذ الدم وأجزاء اللحم وقطع العظام والمادة النخاعية. احتاج إلى وقت طويل لقطع الأربطة البلاستيكية المثبتة حول معصمها، لأن أصابعه لم تطاوعه بكل بساطة. وعندما أصبحت حرّة أخيراً، نهضت على قدميها، فيما استلقى هو على الأرض. ولم يفعل أي شيء لمنعها من الإمساك بياقة سترة طوني وحزامه، ودحرجة جسمه إلى حافة الفوهة. لم يسمع هاري صوتاً، وإنما فقط همس الريح. راقبها وهي تنظر إلى أسفل البركان قبل أن تستدير صوبه.

أوماً برأسه؛ لا حاجة لأن تشرح له. هذا ما يجب فعله.

ألقت نظرة مستفسرة على جثة لين غالتونغ، لكن هاري هزّ رأسه. قارن بين الأمور العملية والاعتبارات الأخلاقية، وبين العواقب الدبلوماسية والأم التي تملك قبراً لزيارتها، وبين الحقيقة المؤلمة والكذبة التي قد تجعل الحياة أكثر قابلية للحياة، ثم نهض على قدميه. رفع لين غالتونغ، وكاد أن ينهار تحت وزن المرأة الشابة الخفيفة. وقف على

حافة الفوهة، وأغمض عينيه، وأحس بنفسه يتمايل لثانية، ثم أفلتها. فتح عينيه وشاهدها تسقط إلى الأسفل؛ تحولت إلى نقطة، ثم ابتلعها الدخان.

قالت كاجا في طريق العودة من البركان مع سول: "يختفي الناس كل يوم في الكونغو". فيما جلس هاري على المقعد الخلفي وهو يمسك بها.

عرف أن التقرير سيكون مقتضباً. لا آثار؛ فقد اختفيا. يمكن أن يكونا موجودين في أي مكان. والجواب عن كل الأسئلة التي سيتم طرحها عليهما سيكون: يختفي الناس في الكونغو كل يوم؛ حتى عندما تسأل هي، المرأة صاحبة العينين الفيروزيتين. لأن هذا سيكون أكثر بساطة بالنسبة إليهم. لا جثة، لا استجابات داخلية؛ علماً أن هذا روتين معتمد عندما يطلق رجال الشرطة النار. لا حوادث عالمية محرجة، ولن يكون هناك تخلُّ عن القضية؛ على الأقل ليس على المستوى الرسمي، وإنما ستتم متابعة البحث عن لايك لمجرد المظاهر. سيتم الإعلان عن أن لين غالتونغ مختفية. فهي لم تحجز أصلاً تذكرة سفر باسمها، ولم تسجل سلطات الهجرة في الكونغو دخولها إلى البلاد. هذا أفضل، سيقول هاغن. لكل الأفرقاء. في أي حال، للأفرقاء المهمين. والمرأة صاحبة العينين الفيروزيتين ستومئ برأسها، وستقبل بما يقال لها. لكنها قد تعرف في أي حال، إذا سمعت ما لم يقله لها. يمكنها الاختيار. اختيار سماعه وهو يقول لها إن انتهت ماتت، وإنه صوّب السلاح بين عيني لين بدل الهدف الذي يفترض اعتباره دقيقاً، إلى اليمين قليلاً. لكنه أراد التأكد من عدم ابتعاد الرصاصة إلى اليمين كثيراً؛ لأنها عندها ستصيب زميلته؛ المرأة التي تعمل معه في هذه المهمة. يمكنها اختيار ذلك أو الكذبة التي تدفع الموجات الصوتية إلى الأعلى، تلك التي تعطي الأمل بدلاً من القبر.

بدلاً الطائرة في كامبالا.

جلسا على مقعدين بلاستيكيين قاسيين قرب الباب يراقبان الطائرات الواصلة والمغادرة إلى أن نامت كاجا ورأسها على كتف هاري.

استيقظت بسبب شيء ما. لم تعرف ما هو، لكن شيئاً قد تغير. ربما حرارة الغرفة، أو خفقان قلب هاري، أو التجاعيد على وجهه الشاحب والمنهك. رأت يده وهي تعيد الهاتف الخلوي إلى جيبه.

قالت: "من هذا؟"

"مستشفى ريكس". وأبعد عينيه عنها، حيث تجاوزتها نظراته؛ إلى خارج النوافذ الكبيرة، لبلوغ الأفق على المدرج الإسمنتي والسماء الزرقاء الساطعة.

"لقد مات".

القسم العاشر

هطل المطر أثناء دفن أولاف هول. كانت الجنازة مثلما توقع هاري: ليست جيدة جداً، لكن الأعداد لم تكن ضئيلة بشكل محرج.

بعد ذلك، خرج هاري وسييس من دار العبادة لتقبل التعازي من أقارب قدامى لم يسمعا بأسمائهم مطلقاً، ومن زملاء قدامى في التعليم لم يرياهم قط، ومن جيران قدامى تعرفوا إلى أسمائهم ولكن ليس إلى وجوههم.

الأشخاص الوحيدون الذين لم يمضِ وقت طويل على رؤيتهم هم زملاء هاري في الشرطة: غونار هاغن، وبتي لون، وكاجا سولنس، وبيورن هولم. بدا أويستن إيكلاندا كما لو أنه كان على وشك المجيء حتماً، لكنه اعتذر بالقول إنه سهر حتى وقت متأخر في الليلة الفائتة، وإن تريسكو لن يأتي ويرسل تحياته وتعازيه.

فتشت عينا هاري في دار العبادة بحثاً عن الاثنين اللذين رأهما على المقعد الأخير، لكن يبدو أنهما قد غادرا قبل إخراج التابوت.

دعا هاري الجميع لتناول كرات اللحم في مطعم شرودر. تحدثت المجموعة الصغيرة من الأشخاص كثيراً عن الطقس، وقليلاً فقط عن أولاف هول. أنهى هاري عصير التفاح، وشرح أن لديه موعداً مسبقاً، وشكر الجميع على حضورهم وغادر. أوقف سيارة أجرة، وأعطى السائق عنواناً في هولمنكولن.

لا يزال هناك بعض الثلج في الحدائق في هذه المناطق المرتفعة. عندما وصل أمام المنزل الخشبي الأسود، كان قلب هاري يخفق بقوة. وخفق بقوة أكبر عندما وقف أمام الباب المألوف، وبعد أن رنّ الجرس وسمع اقتراب الخطوات؛ الخطوات المألوفة أيضاً.

بدت مثلما كانت دوماً، ومثلما ستكون دوماً. الشعر الداكن، والرقعة في عينيها البنيتين، والعنق النحيل. تأملها. كانت جميلة جداً لدرجة مؤلمة. قالت: "هاري".
"راكيل".

"وجهك! رأيتُه في دار العبادة. ماذا حصل؟".

"لا شيء. قالوا إنه سيشفى جيداً". كذب عليها.

"ادخل وسأحضر لك بعض القهوة".

هز هاري رأسه. "ثمة سيارة أجرة تنتظرنِي على الطريق. هل أوليغ هنا؟".

"في غرفته. هل تريد رؤيته؟".

"في يوم آخر. كم من الوقت ستبقين هنا؟".

"ثلاثة أيام وربما أربعة، أو خمسة. سنرى".

"هل أستطيع رؤيتكما قريباً؟ هل يناسبك ذلك؟".

أومأت برأسها. "لا أعرف إذا كنت قد فعلت الشيء الصحيح".

ابتسم هاري. "ومن منا يعرف؟".

"أعني، في دار العبادة. فقد غادرنا قبل أن... انسحبنا بهدوء. لديك أشياء أخرى

للتفكير فيها. في أي حال، ذهبنا إكراماً لأولاف. تعرف أنه كان وأوليغ... حسناً، كانا

يتفقان. إنهما شخصيتان متحفظتان. لا يمكنك الاستخفاف بأي شيء".

أوماً هاري برأسه.

"يتحدث أوليغ عنك كثيراً هاري. أنت مهم له أكثر مما ظننت". نظرت إلى

الأسفل. "وأكثر مما ظننت أنا أيضاً ربما".

تنحج هاري وقال: "إذا لم يتبدل أي شيء هنا منذ...؟".

أومأت راكيل برأسها بسرعة، حيث أعفته من الحاجة إلى إكمال الجملة

المستحيلة. منذ أن حاول رجل الثلج قتلها في هذا المنزل تحديداً.

حدق هاري فيها. أراد فقط رؤيتها، وسماع صوتها. أحس بعينها عليه. لم يشأ

سؤالها. تنحج مجدداً وقال: "ثمة شيء أريد أن أطلبه منك".

"ما هو؟".

"هل يمكننا الدخول إلى المطبخ لدقيقة؟".

دخلا، وجلس قبالتها أمام الطاولة. شرح ببطء وبطريقة مطوّلة نوعاً ما. أصغت

إليه من دون أن تقاطعه.

"يريدك أن تزوريه في المستشفى. يريد أن يطلب منك السماح".

"ولم يجدر بي الموافقة؟".

"عليك أن تجدي الجواب بنفسك راكيل. لكن، لم يبق لديه الكثير من الوقت".

"قرأت أنه يمكن أن يعيش الإنسان لوقت طويل مع هذا المرض".

كرر هاري: "لم يبق لديه الكثير من الوقت. فكري في الأمر. لست مضطرة للإجابة الآن".

انتظر. رآها تطرف بعينيها، ورأى عينيها تمتلئان بالدموع، وسمع البكاء الصامت تقريباً. شهقت لالتقاط أنفاسها.

"ماذا كنت ستفعل لو كنت مكاني هاري؟"

"كنت سأرفض. لكني إنسان سيئ".

امتزجت ضحكتها مع دموعها. وتساءل هاري كم يمكن أن يشاق الإنسان إلى صوت معين، إلى ذبذبة معينة في الهواء، وكم يمكن أن يتوق الإنسان إلى ضحكة معينة. قال: "عليّ الذهاب الآن".

"لماذا؟"

"بقيت لديّ ثلاثة اجتماعات".

"بقيت! قبل ماذا؟"

نهض هاري. سمع الموسيقى الصادرة من الطابق الأول. فرقة سلاير. فرقة سلبينوت.

بعد أن ركب في سيارة الأجرة وأعطى السائق العنوان التالي، فكّر في سؤالها. قبل ماذا؟ قبل أن ينهي كل شيء، قبل أن يصبح حراً؛ ربما. كانت رحلة قصيرة.

قال: "قد تستغرق هذه الزيارة وقتاً أطول".

استنشق الهواء، وفتح البوابة، وتوجه إلى باب المنزل الخرافي. أحسّ أنه رأى العينين الفيروزيتين تلحقان به من نافذة المطبخ.

سقوط حرّ

وقف مايكل بيلمان داخل ردهة سجن منطقة أوصلو، قرب الباب، وهو يراقب سيغورد ألتمان وشرطي سجن وهما يمشيان ببطء صوب مكتب الاستقبال. سأل الشرطي الجالس خلف مكتب الاستقبال: "هل ستخرج اليوم؟". أجاب ألتمان: "نعم". وأعطاه استمارة. "هل أخذت أي شيء من براد الغرفة؟". فقهقه الشرطي الآخر على ما بدا نكات معتمدة خلال عملية إطلاق السراح. تم إخراج أغراضه الشخصية من خزانة مغلقة وتسليمها له مع ابتسامة عريضة. "نأمل أن تكون إقامتك لدينا قد تناسبت مع توقعاتك سيد ألتمان، ونأمل في رؤيتك مجدداً".

فتح بيلمان الباب لألتمان، ونزلا السلالم معاً. قال بيلمان: "الصحافة تنتظر في الخارج. فلنذهب عبر الرواق تحت الأرض. كروهن ينتظرك في سيارة في الجهة الخلفية من مركز الشرطة". قال ألتمان مع ابتسامة خيثة: "سيد الألاعب". لم يسأله بيلمان عمّا يقصده، إذ لديه أسئلة أخرى. الأسئلة الأخيرة. وهناك ثلاث مئة متر فقط لتتم الإجابة عنها. نزع القفل، وفتح الباب المؤدي إلى الرواق تحت الأرض. "الآن، بعد أن تمت الصفقة، أعتقد أنك تستطيع إخباري بعض الأشياء". "هيا، بيلمان".

"لماذا لم تصحح معلومات هاري ما إن أدركت أنه سيقوم بتوقيفك؟". هزّ ألتمان كتفه. "اعتبرت سوء التفاهم جائزة كبيرة. فهمت كل شيء طبعاً. لكن، ما لم يكن مفهوماً هو سبب إجراء التوقيف في آيتر إينبياك. لمّ هناك؟ وحين يكون هناك شيء لا يمكنك فهمه، فمن الأفضل أن تبقي فمك مغلقاً. وهذا ما فعلته؛ إلى أن فهمت الصورة الكاملة".

"وماذا أخبرتك الصورة الكاملة؟".

"أني في وضع متأرجح".

"ماذا تقصد بذلك؟".

"عرفت بشأن النزاع القائم بين كريوس وقسم مكافحة الجرائم. ورأيت أن هذا يمنحني فرصة. فالتواجد في وضع متأرجح يعني أنك قادر على فرض الضغط على هذا الجانب أو ذاك".

"لكن، لماذا لم تجرب مع هاري الصفقة نفسها التي تجربتها معي؟".

"في الوضع المتأرجح، تتوجه دوماً إلى الفريق الخاسر. فهذا الفريق يكون أكثر بأساً، وأكثر رغبة في أن يدفع لك مقابل عرضك. إنها نظرية بسيطة".

"ولماذا كنت واثقاً جداً بأن هاري ليس الفريق الخاسر؟".

"لم أكن واثقاً، لكن كان هناك عامل آخر. بدأت أعرف هاري. إنه ليس مثلك بيلمان. ليس رجل تسويات. فهو لا يهتم أبداً لمجده الشخصي، وإنما يريد فقط إلقاء القبض على الأشرار؛ كل الأشرار. كان سيرى الأمور بهذه الطريقة: إذا كان طوني الممثل الرئيس، فأنا المخرج. وبالتالي يجب عدم الاستخفاف بي. وأدركت أن رجلاً مثلك يرى الأشياء بطريقة مختلفة. ووافقني جوهان كروهن الرأي. أنت ترى المكسب الشخصي في كونك الشخص الذي ألقى القبض على المجرم. عرفت أن الأشخاص متحمسون جداً لمعرفة من فعل ذلك، من أنجز القتل الجسدي، وليس من فكر. إذا فشل الفيلم، فسيكون حظ المخرج راعياً إذا تواجد طوم كروز في دور البطولة؛ لأن الأشخاص سينتقدونه هو. يحب الجمهور وأهل الصحافة أن تكون الأمور بسيطة، وجريمتي معقدة وغير مباشرة. لا شك في أن المحكمة القانونية كانت ستصدر حكماً بالسجن لمدى الحياة في حقي، لكن هذه القضية لا علاقة لها بالقانون، وإنما بالسياسة. إذا فرح الناس وأهل الصحافة، فرحت وزارة العدل، حيث يعود الجميع إلى منازلهم فرحين نوعاً ما. الحصول على عقوبة مخففة، أو ربما عقوبة مؤجلة ثمن زهيد جداً يمكن دفعه".

قال بيلمان: "ليس للجميع".

ضحك ألتمان، وأغرق الصدى صوت خطواته. "خذ نصيحة من شخص يعرف. تخلّ عن الأمر. لا تدعه ينهشك. الظلم مثل الطقس. إذا لم تستطع التعايش معه، فانتقل إلى مكان آخر. الظلم ليس جزءاً من آلية النظام، بل إنه الآلية نفسها".

"أنا لا أتحدث عن نفسي ألتمان. أستطيع التعايش معه".

"وأنا لا أتحدث عنك بيلمان. أنا أتحدث عن الشخص الذي لا يستطيع التعايش معه".

أوما بيلمان برأسه. بالنسبة إليه، يستطيع حتماً التعايش مع الوضع. فقد وصلته اتصالات هاتفية من الوزارة. ليس من الوزير نفسه طبعاً، لكن يمكن تفسير ردات الفعل بطريقة واحدة فقط؛ كانوا سعداء. إنَّ هذا سيفضي إلى عواقب إيجابية، بالنسبة إلى كريبوس وإليه على حدّ سواء.

صعدا السلالم ووصلا إلى ضوء النهار. خرج جوهان كروهن من سيارة الأودي الزرقاء، ومدّ يده لمصافحة سيغورد ألتمان فيما اجتازا الطريق.

وقف بيلمان يراقب الرجل الذي أطلق سراحه للتو مع محاميه إلى أن اختفت سيارة الأودي عن الأنظار في المنعطف المؤدي إلى توين. "ألا تلقي التحية حين تأتي لزيارتنا بيلمان؟".

استدار بيلمان. إنه غونار هاغن. كان على الرصيف المقابل، من دون سترة، شابكاً ذراعيه.

ذهب بيلمان إليه وتصافحا. سأل بيلمان: "هل يتحدث أحد بالسوء عني؟".

قال هاغن مع ابتسامة عريضة، فيما ارتجف وفرك يديه تلمساً للدفع: "هنا في قسم مكافحة الجرائم، تم الكشف عن حقيقة كل شيء. بالمناسبة، لديّ اجتماع مع وزارة العدل في نهاية الشهر القادم".

قال بيلمان من دون مبالاة: "أوه نعم". عرف جيداً ما سيكون عليه هذا اللقاء؛ إنه إعادة تنظيم، تحجيم، نقل المسؤوليات في قضايا الجرائم. لكنه لم يعرف ما الذي قصده هاغن حين قال إنه تم الكشف عن حقيقة كل شيء.

قال هاغن: "لكنك تعرف كل شيء عن الاجتماع، أليس كذلك؟ تم الطلب من كلينا أن نقدم توصيات بشأن التنظيم المستقبلي للتحقيقات في الجرائم. وقد اقترب الموعد النهائي".

قال بيلمان وهو ينظر إلى هاغن ويحاول أن يفسر ما يجري: "لا أعتقد أنهم يعولون كثيراً على توصياتنا أحادية الجانب. أعتقد أنه علينا أن نعطي آراءنا فقط، باسم التسامح".

قال هاغن من بين أسنانه المصطكة: "إلا إذا اعتقدنا كلانا أنه يستحسن وضع

كل التحقيقات تحت سقف واحد".

قهقهه بيلمان. "أنت لا ترتدي ملابس كافية هاغن".

"قد تكون محقاً. لكنني أعرف أيضاً ما سيكون رأيي في قسم جديد للجرائم يرأسه شرطي استخدم منصبه لإطلاق سراح زوجته المستقبلية بعدما قامت بتهريب المخدرات. رغم تحديد الشهود لهويتها".

توقف بيلمان عن التنفس، وأحس بقبضة يده ترتخي. أحس بالجاذبية تسيطر عليه، وبأن شعره يرتفع، ومعدته تنهار. إنه الكابوس الحقيقي؛ الاستيقاظ من نوم عميق إلى حقيقة فظة، السقوط من دون أي حبل، سقوط المتسلق الأعزل.

"يدو أنك تشعر بالبرد أنت أيضاً بيلمان".

"اللعنة عليك، هاغن".

"أنا؟!".

"ماذا تريد؟".

"أريد؟ على المدى الطويل، أريد أن تعفى الشرطة من فضيحة أخرى بسبب الشكوك في استقامة شرطي عادي. وبالنسبة إلى إعادة تنظيم الهيكلية...". تراجع رأس هاغن بين كتفيه، وثبت قدميه أكثر على الأرض. "الآن، قد ترغب وزارة العدل في جمع كل موارد التحقيقات في الجرائم تحت دائرة واحدة؛ بصرف النظر عن مسألة الزعامة. وإذا طُلب مني استلام زعامة مثل هذا القسم، فسوف أقبل العرض حتماً. لكن، في الإجمال، أعتقد أن الأمور تجري جيداً كما هي الآن. فالمجرمون يحصلون مبدئياً على عقابهم، أليس كذلك؟ وإذا كان شريك في هذه المسألة يوافقني الرأي، فسأكون مستعداً لمتابعة التحقيقات في براين وهنا في مركز الشرطة. ما رأيك، بيلمان؟".

أحس مايكل بيلمان بارتعاش عصبي؛ وكأن جبل المشنقة التف حول عنقه. أحس بالطوق يشتدّ حوله. وشعر كما لو أنه يتمزق إلى اثنين، وأحس أن ظهره بات عاجزاً عن تحمل العبء المفروض عليه فانكسر؛ بمزيج من الألم والشلل. تأرجح، وهو يشعر بالعجز والدوار، في مكان ما بين السماء والأرض. لكنه لا يزال حياً.

"دعني أفكر في الأمر هاغن".

"فكر بعيداً. لكن، لا تأخذ الكثير من الوقت. فهناك موعد نهائي، مثلما تعلم.

علينا التنسيق".

وقف بيلمان مراقباً ظهر هاغن الذي دخل إلى مركز الشرطة. ثم استدار وحدّق في أسقف منازل غرونلاند. تأمل المدينة؛ مدينته.

الجواب

كان هاري واقفاً في وسط غرفة الجلوس، ينظر حوله، عندما رنّ الهاتف.
 "أنا راكيل. ماذا تفعل؟".
 قال: "أتأمل ما بقي. بعد موت الشخص".
 "و؟".

"هناك الكثير، ولكن ليس الكثير. قالت لي سيس ما الذي تريده، وسيأتي رجل غداً لشراء الأغراض والأثاث. قال إنه سيدفع خمسين ألفاً ثمن الأغراض، وسينظف وراءه. هذا... أوه...". لم يستطع هاري إيجاد الكلمة المناسبة.
 قالت: "أعرف. هكذا حصل معي عندما مات والدي. أغراضه - التي كانت مهمة جداً، وغير قابلة للتعويض - بدت فجأة أنها فقدت أهميتها. بدا وكأنه هو وحده من أعطاهها قيمتها".

"أو يجدر بمن بقي منا أن يتولى التنظيف؛ الحرق، البدء من جديد". ذهب هاري إلى المطبخ، ونظر إلى الصورة المعلقة تحت خزانة المطبخ. صورة من منزل صوفيز. أوليغ وراكيل.

قالت راكيل: "أمل أن تكون قد ودعته كما يجب. فالوداع مهم جداً؛ خصوصاً بالنسبة إلى الذين رحلوا".
 أجاب هاري: "لا أعرف. لم نلق يوماً التحية على بعضنا كما يجب، أنا وهو. لقد خذلته".

"كيف ذلك؟".

"طلب مني فصله عن الآلات، لكنني رفضت".

صمت قليلاً، وأصغى إلى الضجيج في الخلفية. ضجيج مطار.

ثم عاد صوتها: "هل تظن أنه كان يجدر بك مساعدته على الموت؟".

أجاب هاري: "نعم. أظن ذلك الآن".

"لا تفكر في الأمر. لقد فات الأوان".

"حقاً؟".

"نعم، هاري. لقد فات الأوان".

صمت مجدداً، واستطاع سماع صوت عبر المذياع يعلن عن بدء استقبال الركاب على متن الرحلة المتوجهة إلى أمستردام.
"إذاً لا تريدان لقاءه".

"لا أستطيع فعل ذلك هاري. أعتقد أنني إنسانة سيئة أيضاً".

"علينا أن نسعى لنكون أفضل في المرة التالية".

استطاع تخيل ابتسامتها. "هل يمكننا فعل ذلك؟".

"لا يفوت الوقت أبداً للتجربة. بلغني تحياتي إلى أوليغ".

"هاري...".

"نعم؟".

"لا شيء".

وقف هاري ينظر إلى خارج النافذة بعدما أنهت المكالمة، ثم صعد إلى الأعلى وبدأ يوضب الأغراض.

كانت الطيبة في انتظار هاري عندما خرج من الحمام. سارا معاً في الممر المؤدي إلى الغرفة التي يحرسها شرطي السجن.

قالت: "حالته مستقرة. نستطيع نقله مجدداً إلى السجن. ما الهدف من هذه الزيارة؟".

"أريد شكره لأنه ساعدنا على كشف ملابسات قضية. كما أريد إبلاغه أيضاً بالردّ على أمنية طلبها".

خلع هاري سترته، وأعطى الشرطي إيّاه، ومدد ذراعيه إلى الأمام فيما جرى تفتيشه.

"خمس دقائق. لا أكثر. اتفقنا؟".

أوماً هاري برأسه.

قال حارس السجن الذي عجز عن إبعاد عينيه عن خدّ هاري المشوه: "سأدخل معك".

رفع هاري حاجبه.

قال الشرطي: "هذه هي القواعد المطبقة على المدنيين. وصلت إلى مسامعنا

أخبار بأنك استقلت من الشرطة".

هزّ هاري كتفه.

نهض الرجل من سريره، وكان جالساً على كرسي قرب النافذة.

قال هاري، وهو يضع كرسيّاً بالقرب من كرسيه: "وجدناه". وقف حارس السجن قرب الباب، وإنما على مسافة تتيح له سماع الحديث. "شكراً لك على مساعدتك". قال الرجل: "وفيت بوعدتي. ماذا عنك؟".

"لم تقبل راكيل أن تأتي".

لم تتحرك عضلة واحدة في وجه الرجل، وإنما انكمش فقط كما لو أن رياحاً ثلجية باردة لفحته.

"عثرنا على قنينة دواء في شاليه الأمير الفاتن، وقمنا بتحليل قطرة من المحتويات البارحة. كيتانوم؛ إنها المادة نفسها التي استخدمها على ضحاياها. هل تعرف هذا العقار؟ إنه قاتل في حال تناوله بجرعات كبيرة".

"لماذا تخبرني هذا؟".

"تلقيت جرعة منه شخصياً في الآونة الأخيرة. أحببته نوعاً ما. لكنني أحب كل أنواع العقاقير. أنت وحدك تعلم هذا، أليس كذلك؟ أخبرتك بما فعلته في الحمام في لاندمارك في هونغ كونغ".

تأمل رجل الثلج هاري، ثم ألقى نظرة حذرة على شرطي السجن، ثم نظر مجدداً إلى هاري.

قال بنبرة رتيبة: "أوه نعم... في الحجرة في نهاية...".

قال هاري: "... إلى اليمين. حسناً، مثلما قلت، شكراً لك. لا تنظر في المرأة".

قال الرجل: "وافعل أنت الشيء نفسه". ومدّ يداً بيضاء عظيمة لمصافحته.

عندما وصل هاري إلى نهاية الرواق استدار، ولمح رجل الثلج وهو يمشي ببطء مع الحارس، قبل أن يدخل إلى الحمام.

نودلز

"مرحباً هول". ابتسمت له كاجا.

كانت جالسة في المطعم، على كرسي منخفض، وكفأها تحتها. كانت نظرتها قوية، وشفاتها باللون الأحمر الدموي، ووجنتها متوردتين. لفته أنه لم يرها قبلاً تضع مستحضرات التجميل. وليس صحيحاً ما اعتقده قبلاً، في سذاجته، بأن المرأة لا تصبح أكثر جمالاً باستعمال مستحضرات التجميل. كانت ترتدي فستاناً أسود بسيطاً، وثمة عقد قصير من الذهب واللؤلؤ الأبيض يرتاح على عظمي كتفيها. وعندما تنفست، عكست اللآلي ضوءاً ناعماً.

سألها هاري: "هل تنتظرين منذ وقت طويل؟".

قالت: "لا". ووقفت قبل أن تتاح له فرصة الجلوس، وشدته إليها، ووضعت رأسها على كتفه وتشبثت به هكذا. "أشعر بالبرد قليلاً".

لم تكثرث للأشخاص الآخرين في المطعم الذين كانوا يراقبونها، ولم تفلته، بل على العكس وضعت كلتا يديها تحت سترة بذلته، وحرّكتها على ظهره صعوداً ونزولاً لتشعر بالدفء.

سمع هاري سعالاً خفيفاً فنظر إلى الأعلى، وتلقى إيماءة ودودة من رجل قالت لغته الجسدية إنه نادل.

قالت: "طاولتنا جاهزة".

"طاولة! ظننت أننا هنا فقط لتناول الشراب".

"علينا الاحتفال بنهاية القضية، أليس كذلك؟ طلبت الطعام مسبقاً. إنه شيء مميز جداً".

توجّها إلى طاولة قرب النافذة في المطعم المليء بالكامل. أشعل نادل الشموع، وسكب عصير التفاح في كأسين، وأعاد القنينة إلى دلو الثلج وغادر.

رفعت كأسها. "نخبك".

"نخب ماذا؟".

"نخب عودة العمل إلى قسم مكافحة الجرائم كما في السابق. نخب نجاحنا أنا وأنت في إلقاء القبض على الأشرار، وتواجدنا هنا الآن؛ معاً".

احتسب الشراب، ثم وضع هاري كأسه على الطاولة وحركها، فتركت علامة رطبة على الشرفف. "كاجا...".

"أحضرت لك شيئاً هاري. أخبرني ما هي أكبر أمنية لديك في الوقت الحاضر؟".
"اسمعي كاجا".

قالت: "ماذا؟". وهي منقطعة الأنفاس، وانحنت إلى الأمام بشوق كبير لسماعه.
"أخبرتكَ أنني سأسافر مجدداً. سأغادر غداً".

"غداً؟!". واختفت الابتسامة، فيما قام النادل بفتح منديليهما وبسطهما فوق حضنيهما. "إلى أين؟".
"بعيداً".

حدقت كاجا في الطاولة من دون التفوه بكلمة. وأراد هاري وضع يده على يدها لكنه كبح نفسه.

همست قائلة: "إذا، لم أكن كافية. لم تكن علاقتنا كافية!".
انتظر هاري حتى لمح عينيها مباشرة وقال: "لا. لم تكن العلاقة كافية. ليس هذا كافياً لك، ولا لي".

"وما الذي تعرفه عما هو كافٍ؟". كان صوتها مخنوقاً بسبب الدموع.
قال هاري: "أعرف الكثير".

تنفست كاجا بقوة، وحاولت السيطرة على صوتها. "هل السبب راكيل؟".
"نعم. إنها راكيل دوماً".

"لكنك قلت بنفسك إنها لا تريدك".

"لا تريدني مثلما أنا الآن. لذا، عليّ إصلاح نفسي. عليّ أن أكون جيداً من جديد. هل تفهمين؟".

"لا. لا أفهم". علققت دمعتان صغيرتان بالأهداب تحت عينيها المرتجفتين.
"أنت جيد. الندوب مجرد...".

"تعرفين جيداً أنني لا أتحدث أبداً عن تلك الندوب".

سألتها، وهي تمسح دمعة بطرف إصبعها: "هل سأراك مجدداً؟".

أمسكت بيده، وضغطت عليها بقوة شديدة لدرجة أن براجمها أصبحت بيضاء.
نظر هاري إليها، ثم أفلتته.

قالت: "لن أذهب وأحضرك إلى هنا مجدداً".

"أعرف".

"لن تتكيف".

ابتسم. "ربما. لكن، من يفعل ذلك؟".

أملت رأسها، ثم ابتسمت وكشفت عن تلك الأسنان الصغيرة المستدقة، وقالت:

"أنا".

بقي هاري على كرسيه إلى أن سمع صوت باب سيارة وهو ينغلق في العتمة، ومحركها يدور. نظر إلى الشرشف هذا وكان على وشك النهوض عندما وصل أمام عينيه طبق حساء، وسمع صوت النادل يقول: "هذا طلب خاص تم إحضاره مباشرة من هونغ كونغ بناء على تعليمات السيدة. إنه نودلز من مطعم لي يوان".

حدّق هاري في الطبق. لا تزال جالسة على كرسيها، قال لنفسه. المطعم فقاعة صابون، وها هي تفلع الآن وتحلق فوق المدينة وتختفي. المطبخ لا يحلق أبداً ولا يهبط. نهض وأوشك على المغادرة، لكنه بدّل رأيه، وجلس مجدداً، ورفع العودين الخشبيين.

الحلفاء

غادر هاري المطعم، ونزل الهضبة المؤدية إلى مدرسة البحارة التي لم تعد مدرسة بحارة. تابع طريقه حتى مستودعات الذخيرة التي صدّت غزاة البلاد. رأى تحته النهر والمدينة؛ مغلفين بالضباب. زحفت السيارات إلى الأمام بعناية، وأضواؤها الأمامية مشتعلة. ارتفع خيط من الضباب مثل شبح مكشّر عن أنيابه.

توقفت سيارة أمامه، وجلس هاري على المقعد الأمامي. صدح صوت كاتي ميلوا عبر المذياع بغنائها الشجي، وحاول هاري عبثاً إيجاد الزر المناسب لإطفاء الراديو. قال أويستن مذعوراً: "يا الله! شكلك مخيف! لا بد أن الجراح قد أخطأ في التقطيب. لكنك ستوفر على الأقل بعض المال في يوم التنكّر. لا تضحك وإلا فسيتمزق وجهك مجدداً".
"أعدك".

قال أويستن: "بالمناسبة، اليوم ذكرى مولدي".
"اللعنة. إليك هذه السجارة مني لك؛ مجاناً".
"هذا هو بالضبط ما أردته".
"مم... هل ترغب في هدايا أخرى أكبر؟".
"مثل ماذا؟".
"السلام العالمي".

"اليوم الذي سيحلّ فيه السلام العالمي، لن تستيقظ فيه يا هاري. لأنهم تخلوا عن هذا الأمل".
"حسناً. ألا توجد لديك أمنيات خاصة؟".
"ليس الكثير. الحصول على ضمير جديد ربما".
"ضمير جديد!".

"الضمير القديم لم يكن جيداً جداً. جميلة جداً بذلتك. ظننت أنك تملك بذلة واحدة فقط".

"كانت لوالدي".

"الله! لا بد أنك انكشمت".

قال هاري وهو يسوي ربطة عنقه: "نعم. لقد انكشمت".

"كيف حال مطعم إيكبيرغ؟".

أغمض هاري عينيه. "جيد".

"هل تذكر تلك المرة التي تسللنا فيها إليه؟ كم كان عمرنا؟ في السادسة عشرة؟".

"السابعة عشرة".

"ألم ترقص مع "الملكة القاتلة" هناك ذات مرة؟".

"ربما".

"يخيفني التفكير في أن تلك الملكة قد انتهى بها الأمر في منزل للعجزة".

"حقاً؟!".

تنهد أويستن. "نعم".

"مم. أويستن؟".

"ماذا؟".

"لماذا أصبحنا أنا وأنت صديقين؟".

"لأننا ترعرعنا معاً، مثلما أفترض".

"هل هذا كل شيء؟ هل السبب صدفة ديموغرافية فقط وليس انسجاماً روحياً؟".

"لم ألاحظ ذلك. حسب علمي، نملك شيئاً واحداً فقط مشتركاً".

"ألا وهو؟".

"لم يشأ أحد آخر أن يكون صديقاً لنا".

تابعا طريقهما بصمت.

قال هاري: "باستثناء تريسكو".

زمجر أويستن. "الذي تفوح منه رائحة كريهة جداً حيث لا يتحمل أي كان

الجلوس قربه".

قال هاري: "نعم. كنا جيدين في ذلك".

قال أويستن: "نجحنا في ذلك. لكن، يا الله! كم كانت رائحته كريهة".

ضحكا معاً ضحكة رقيقة ولامبالية، وإنما حزينة.

ركن أويستن السيارة على العشب البني وفتح الأبواب. تسلق هاري على سطح مستودع الذخيرة، وجلس على الحافة، وجعل ساقيه تتدليان. من مكبرات الصوت داخل السيارة صدح صوت المغني سبرينغستين وهو ينشد عن إخوة ذات ليلة عاصفة والقسم الذي قالوه.

أعطى أويستن هاري قنينة. ثم صفارة وحيدة ارتفعت من المدينة ثم انخفضت إلى أن خارت قواها واختفت. لدغ الشراب حنجرة هاري ومعدته فتقيأ. المرة الثانية كانت أفضل، والثالثة جيدة.

بدا ماكس واينبرغ وكأنه يحاول تدمير الطبلية.

قال أويستن: "يلفتني غالباً كم أتمنى أن يكون لديّ المزيد من الندم. لكنني لا أبالي. أعتقد أنني تقبلت منذ ولادتي أنني صبي حقير. ماذا عنك؟".

فكر هاري. "هناك الكثير من الأمور التي أندم عليها. لكن، يعزى ذلك ربما إلى اعتمادادي مفاهيم سامية جداً. في الواقع، أتخيل أنه كان بوسعي اتخاذ خيارات أخرى." "لكنك لم تستطع يا صديقي".

"ليس في ذلك الوقت. لكن في المرة التالية، أويستن. في المرة التالية".

"هل حصل ذلك يوماً هاري؟ في تاريخ البشرية اللعين؟".

"إذا لم يحصل أي شيء فهذا لا يعني أنه لا يمكن أن يحصل. لا أعرف إذا كانت هذه القنينة ستقع إذا أفلتها. اللعنة! من كان الفيلسوف الذي اكتشف ذلك؟ هوبس؟ هوم؟ هايدغر؟ إنه أحد العباقرة الذين يبدأ اسمهم بالحرف "ه". "أجيني".

هز هاري كتفه. "أعتقد أنه يمكن التعلم. المشكلة هي أننا نتعلم ببطء شديد، حيث إنه عندما يحين الوقت وتذكر الحقيقة، يكون الوقت قد فات. قد يطلب منك شخص تحبه مثلاً خدمة؛ بدافع الحب، مثل مساعدته على الموت. لكنك ترفض لأنك لم تتعلم، لم تملك البصيرة الداخلية. وعندما ترى النور في النهاية، يكون الوقت قد فات". ارتشف هاري القليل من الشراب. "لذا، بدلاً من القيام بشيء جيد لشخص تحبه، قد تفعل ذلك لشخص تكرهه".

أخذ أويستن القنينة. "لم أفهم قطّ ما تتحدث عنه، لكن يبدو الأمر معقداً".

"ليس بالضرورة. لا يفوت الوقت أبداً لإنجاز الأفعال الجيدة، أليس كذلك؟". "الوقت دوماً متأخر، أليس هذا ما تقصده؟".

"لا. لطالما اعتقدت أننا نكره جداً فكرة الانصياع للأوامر الأخرى. لكن، كان

نواندي رأي مغاير. قال إن الحب والكراهية وجهان لعملة واحدة. كل شيء يبدأ بالحب، فيما الكراهية هي الوجه الآخر للعملة".
"أتمنى ذلك".

"لكن هذا يعني أننا نستطيع سلوك الاتجاه المغاير، من الكراهية إلى الحب. يفترض أن تكون الكراهية نقطة انطلاق جيدة للتعلم، للتغير، لفعل الأشياء بطريقة مختلفة في المرة التالية".

"أنت متفائل جداً الآن لدرجة أنني سأتقياً هاري".

عادت الموسيقى إلى اللازمة، على شكل القطع بمنشار دائري.

أمال أويستن رأسه إلى الجانب، فيما نفخ رماد السيجارة. وكاد هاري أن يبكي؛ لأنه رأى ببساطة سنوات حياتهما الماضية التي جعلتهما على حالهما، الطريقة التي نفخ فيها صديقه السيجارة مثلما فعل دوماً، حيث ينحني إلى الجانب كما لو أن السيجارة ثقيلة جداً، ويميل رأسه كما لو أنه يحب العالم بصورة أفضل من منظور مائل، الرماد على أرض كوخ المدخنين في المدرسة، وفي قعر قنينة شراب فارغة في حفلة أقاموها معاً على الباطون البارد والخشن لمستودع الذخيرة.

"على أي حال، بدأت تصبح عجوزاً يا هاري".

"لماذا تقول هذا؟".

"عندما يبدأ الرجال بنقل كلام آبائهم، فهذا يعني أنهم أصبحوا عجائز. لقد انتهى السباق".

وحينها وجده هاري؛ الجواب على سؤالها حول أكثر ما يريده الآن. يريد قلباً مصفحاً.

انضم إلى مكتبة .. اضغط اللينك t.me/t_pdf

خيّمت سحب زرقاء - سوداء فوق أعلى نقطة في هونغ كونغ، قمة فيكتوريا، لكن المطر توقف أخيراً عن الهطول بعد أن هطل باستمرار منذ بداية سبتمبر. سطعت الشمس عبر الغيوم، وتشكّل قوس قزح عملاق على شكل جسر بين جزيرة كونغ وكولون. أغمض هاري عينيه، وترك الشمس تدفئ وجهه. لقد جاءت رائحة الطقس الجيد في الوقت المناسب لبداية موسم سباق الأحصنة الذي يفترض افتتاحه في هابي فالي في وقت لاحق من هذا المساء.

سمع هاري مجموعة من الأصوات اليابانية تقترب وتمرّ أمام المقعد الذي كان جالساً عليه. إنهم آتون من سكة الحديد المعلقة التي تجذب - منذ العام 1888 - السياح والسكان المحليين إلى هنا لاستنشاق الهواء النقي فوق المدينة. فتح هاري عينيه مجدداً، وقلّب صفحات برنامج السباق.

اتصل بهيرمان كلوت ما إن وصل إلى هونغ كونغ. عرض كلوت على هاري فرصة العمل كمحصّل للديون؛ أي إنه يجدر به تعقب الأشخاص الذين يحاولون الهروب من دفع ديونهم. بهذه الطريقة، لن يضطر كلوت إلى بيع الديون مع حسم كبير إلى منظمة الترياد، أو التفكير في طرق الاسترداد الوحشية التي يستخدمونها.

سيكون أمراً مبالغاً فيه إذا قيل إن هاري استمتع بالوظيفة، لكنها كانت بسيطة وتوفر مالياً جيداً. فهو ليس مضطراً إلى استرداد المال، وإنما فقط تحديد موقع المُستدينين. لكن، تبين أن ظهوره - بقامة طولها متر وتسعون، وندبة كبيرة من الفم إلى الأذن - كان كافياً في أغلب الأحيان لدفعهم إلى تسديد ديونهم على الفور. ونادراً ما اضطر إلى استعمال محرك بحث في خادم في ألمانيا.

إلا أن الحيلة كمنت في البقاء بمنأى عن المخدرات والشراب، وهذا ما نجح في فعله لغاية الآن. ثمة رسالتان في انتظاره في مكتب الاستقبال اليوم. ليست لديه فكرة حول كيفية إيجاد المُرسَل عنوانه. لا بد أن كاجا قد تدخلت. ثمة رسالة حملت شعار شرطة أوصلو على المغلف، وعرف هاري أنه غونار هاغن. أما الرسالة الثانية فلم يكن هناك داعٍ ليحزر ممن هي؛ لأنه تعرف فوراً إلى خط أوليغ وكتابته الصبائية. وضع

هاري كلتا الرسلتين في جيب سترته من دون أن يقرر ما إذا كان سيقراًهما ومتى.
 طوى هاري برنامج السباق ووضع قربه على المقعد. نظر إلى الضباب الأصفر في
 الصين الذي يصبح أكثر كثافة كل سنة. لكن هنا في أعلى الجبل، لا يزال الهواء منعشاً.
 نظر إلى هابي فالي، وإلى المدافن، غرب طريق ونغ ناي تشونغ، حيث توجد أقسام
 منفصلة للبروتستانت، والكاثوليك، والمسلمين، والهندوس. استطاع رؤية حلبة السباق
 حيث عرف أنه يتم اختبار الخيالة والأحصنة قبل سباقات المساء. بعد وقت قليل، سيبدأ
 المتفرجون بالوصول: منهم مع أمل، ومنهم من دون أمل، منهم محظوظون ومنهم غير
 محظوظين. هناك الذين يأتون لتحقيق أحلامهم، وأولئك الذين يأتون لمجرد الحلم.
 الخاسرون الذين يقومون بمجازفات غير محسوبة، وأولئك الذين يقومون بمجازفات
 محسوبة؛ وإنما يخسرون في أي حال. لقد جاءوا إلى هنا قبلاً، ويعودون جميعاً. حتى
 الأشباح من المقابر هناك؛ المئات الذين ماتوا خلال الحريق الكبير في سباق الأحصنة
 الذي جرى في هابي فالي عام 1918. الليلة دورهم في قلب الموازين، في انتزاع الحظ،
 في ملء جيوبهم بدولارات هونغ كونغ الجديدة، في الهروب من جريمة. بعد ساعتين
 من الآن، سيدخلون من الأبواب، ويقرأون البرنامج، ويملاؤن القسائم، ويراهنون على
 حصانين أو ثلاثة أو أربعة، أو أي شيء آخر. سيقفون في أرتال قرب حجرات وكلاء
 المراهنات، وسيحملون بطاقات المراهنات في أيديهم. سيموت معظمهم قليلاً كلما جرى
 اجتياز خط الوصول، لكن التعويض يأتي بعد خمس عشرة دقيقة فقط، عندما تفتح
 أبواب المراهنات للسباق التالي. إلا إذا كان الشخص مجازفاً؛ يجازف بكل ما لديه
 على حصان واحد وفي سباق واحد. لكن، لا أحد يتدمر. فالجميع يعرف المخاطر.
 لكن هناك من يعرفون المخاطر، وهناك من يعرفون النتيجة. ففي حلبة سباق في
 جنوب أفريقيا، عثروا مؤخراً على أنابيب تحت الأرض في بوابات الانطلاق. احتوت
 الأنابيب على هواء مضغوط وإبر صغيرة محتوية على مهدئات يمكن حقنها في بطون
 الأحصنة بمجرد الضغط على جهاز تحكم عن بعد.
 أبلغته كاترين برات أن سيغورد ألتمان حجز غرفة له في فندق في شانغهاي.
 إنها على مسافة أقل من ساعة بالطائرة.
 ألقى هاري نظرة أخيرة على الصفحة الأمامية للبرنامج.
 أولئك الذين يعرفون النتيجة.
 "إنها مجرد لعبة". هكذا كان هيرمان كلوت يقول؛ لأنه اعتاد ربما على الريح.
 نظر هاري إلى ساعته، ووقف وبدأ يمشي صوب الحلبة. أخبروه عن حصان
 واعد في السباق الثالث.

انكفأ المحقق هاري هول إلى هونغ كونغ، هارباً من صدمة قضيته الأخيرة في أوكار الأفيون القذرة، حين تم العثور على شابيتين مقتولتين في أوصلو، غارقتين في دمهما. بلغت التغطية الإعلامية ذروتها في الحماس والتخمينات. لا توجد أية تلميحات، وتوقف تحقيق الشرطة، ولا يمكن العثور على هاري- الرجل الوحيد القادر على المساعدة. بعدما عاد إلى أوصلو، وجّه القاتل ضربه مجدداً، فتأهبت غريزة هاري. لا يمكن لأي شيء أن يمنعه من متابعة التحقيق، على رغم توافر القليل جداً من المعطيات. والأسوأ من ذلك إداركه سريعاً أنه يواجه مريضاً نفسياً يختبر قدراته، المهنية والشخصية على حد سواء، بطريقة لم يسبق لها مثيل.

جو نيسبو موسيقي، ومؤلف أغنان، واقتصادي، وأحد أفضل كتّاب الجريمة وأكثرهم نجاحاً اليوم. فاز عام 2004 بجائزة «غلاس كي» (المفتاح الزجاجي)، وهي الجائزة الأهم في مجال مؤلفات الجريمة في شمال أوروبا، وذلك عن روايته الأولى التي قَدِّم فيها محقق الشرطة هاري هول. يعيش نيسبو في أوصلو.



t.me/t_pdf

صدر للمؤلف أيضاً:



ISBN 978-614-01-1205-6



9 786140 112056

للإصدارات
للإصدارات

جميع كتبنا متوفرة على الإنترنت
في مكتبة نيل وفرات كوم

www.nwf.com



الدار العربية للعلوم ناشرون

Arab Scientific Publishers, Inc.

www.asp.com.lb - www.aspbooks.com